الأنبياء

الجغرافيا والتاريخ

اول دراسة مفصلة في ضوء العلم والكشوف الأثرية
بعيدا عن الاسرائيليات والروايات الشعبية

عُمَر الصّبروتي

الأنبياء

الجغرافيا والتاريخ

دراسة مفصلة في ضوءِ العلم والاكتشافات الاثرية الحديثة
مع التحرر الكامل من الإسرائيليات والروايات الشعبية

عمر الصبروتي

المحتويات

مقدمة

هناك مئات من الكتب التي حكت قصص الأنبياء اما من منظور قراني بحت واما من الاسرائيليات واما من خليط بينهما، ولكن ليس من بينهم أي قصص تاريخي للأنبياء بعيدا عن ميثولوجيا القصص الديني – رغم أيماننا بصحته – ولكن ما اقصده هنا هو سرد تاريخي موثق لوقائع عاشها بشر واحداث عظيمة حدثت بالفعل وتركت بصماتها في الجيولوجيا بحيث يمكننا تتبعها.

ولان معظم أمهات الكتب التي وضعت في تلك المسالة كانت قد الفت في القرون الاولي من الإسلام، والتي افتقرت للمعلومات الجغرافية والحفريات والاسس العلمية التي تدعمها، فراح المؤلفين يجتهدون ما بين تفسير آيات القرآن في الظلام بدون علوم تسندها، وبين النقل المضطر من كتب اليهود واسفارهم المليئة بالخرافات والمبالغات الكارثية.

فقد وجدنا – حتى في العصور اللاحقة – مؤلفين اتخذوا من تلك المراجع القديمة اسسا وقاموا بإعادة نشرها مع كثير من الأحاديث الموضوعة والضعيفة جدا والمنكرة وخلصوا بها الي قصصا غير مفهومة وشتات من قصص الأنبياء وارقاما واعمارا غير منطقية،

لقد اعتمدت في هذا الكتاب علي منهج مختلف تماما في البحث عن الأنبياء في التاريخ والجغرافيا، فقد وضعت الرواية اليهودية جانبا ، واعتمدت آيات القرآن كمنصة انطلاق لاستقاء الأسس التي عليها سأضع اطار بحثي ، معتمدا بشكل أساسي علي اخر ما توصلت اليه البحوث الاثرية والجيولوجية والوثائق التاريخية الموثوقة والموجودة الان في سبيل إتمام هذا البحث الذي طالما اردت إنجازه .

وفي هذا البحث سألتزم بموضوع محدد وهو تحديد امرين:

أولا: الجغرافيا: المكان المحدد الذي جرت فيه احداث قصة كل نبي

ثانيا: التاريخ : العصر الذي عاش فيه هذا النبي والحضارة التي عاصرها والملوك المرجحين ان امكن.

وبالتالي فان هذا البحث لا يرجي به السرد التاريخي لقصص الأنبياء الا في الاطار الذي يخدم موضوع البحث، والأحداث التي تساعد في اغلاق الدائرة علي عصر او مكان محدد.

وأخيرا ينبغي التنو ه الي أمور هامة قبل البدء في الكتاب:

أولا: التقديرات التاريخية تبقي جميعها تقريبية الي اضيق قدر ممكن ولا . كن الجزم بدقتها خصوصا في الأزمنة البعيدة (نوح ، ادم ، إبراهيم ..) لتعذر إيجاد المصادر في فترة ما قبل التاريخ .

ثانيا: الكتاب يحاول سد الفراغات في قصص الأنبياء وحل العديد من المعضا ت التي لا يوجد لها مصدر يمكن اللجوء اليه وذلك عن طريق ربط وتحليل الأدلة المتوفرة واست اج ما هو عائب من الحقائق بشكل لا يفسد السياق التاريخي ولا يتعارض مع الثوابت الموثقة . ولذلك اردت لتنويه الي ان الاستنتاجات التي خلصت اليها هي محض جتهاد مدعوم بالأدلة المتاحة وا اجزم بان ما توصلت اليه هو عين الحق وربما تظهر ادلة اخري في المستقبل تكشف لنا حقائق اخ ي.

فصل تمهيدي

آدم.. بداية جديدة

سواء كان ادم ذرية لبشر سابقين،

او كان بداية جديدة للجنس العاقل..

فمن اين إذا نبدأ قصة التاريخ

المصادر اليهودية لتاريخ الأنبياء

ان المشكلة في اتباع المصادر اليهودية في قصص الأنبياء هي انها لا يمكن اعتبارها سردا تاريخيا موثقا، فالتوراة تتضمن وجهة نظر معينة لسرد قصص الأنبياء تتجاهل تماما التدقيق التاريخي سواء من حيث معقولية التواريخ وخاصة اعمار البشر ، او من حيث توافق هذا السرد مع ابسط المعطيات العلمية لعلم التاريخ والجغرافيا، فنجد مثلا انهم قد حددوا عددا معينا من الأجيال من نوح وصولا لادم عليه السلام ، ولا يعرف مصدر هذه المعلومات ، ومن ثم وجدوا ان عمر ادم يعود الي حوالي ٦٠٠٠ قبل الميلاد ، ولكن عدد الأجيال التي حددوها مسبقا بينه وبين نوح قليل جدا بالنسبة لهذا العمر وعليه فقد قاموا بتخمين اعمار الأجيال بأعمار مبالغ فيها جدا بحيث يبدو عمر سيدنا نوح (٩٦٠ عاما) والذي من المفترض انه استثنائيا ،وكانه امرا عاديا ، بحيث يكون عمر الاربعمائة عام هو امر طبيعي جدا بالنسبة للبشر في هذه العصور وعليه فقد جعلوا عمر ادم اكثر من الف عام وهي كلها أمور غير علمية تماما ولا يوجد أي دليل عليها ،

كذلك فقد بدا ان التوراة قد خلطت بين روايات ربما جاء بها بالفعل أنبياءهم وبين روايات اخري اقتبسها من الثقافة البابلية اثناء فترة السبي ولذلك اصبحنا امام مسخا تاريخيا لا يمكن انتقاء الفاسد منه من السليم، ولهذا كله اجد اننا لا يمكننا الاعتماد علي المصادر اليهودية كمصدر أساسي او حتي فرعي ، وان كان من الجائز الاستئناس به فقط اذا توافق مع بعض الحقائق الثابتة او اذا بدا معقولا ، بدون اعتباره حقيقة ثابتة وموثقة. وهذا هو المنهج الذي سنتبعه في هذا الكتاب .

□المصادر التاريخية لبلاد الرافدين

الاساطير و النصوص التي تعود لحضارات ما بين النهرين وهي ما يسمي تاريخيا (بقوائم الملوك) والنصوص القصصية مثل (ملحمة جلجامش) وهي كلها حكايات نبدو عن القرون السابقة عليهم، وان كان المؤرخون يعتبرونها من قبيل الاساطير الخرافية الا اننا نري انها مبنية أساسا علي وقائع واحداث تاريخية حقيقية ، وان كانت قد اتخذت طابعا اسطوريا بإضافة بعض الأحداث والمبالغات المشوقة عليها عبر العصور فقد تلقتها ثلاث حضارات متتالية واخذت كل حضارة تلونها بطابع مختلف مما اطبع عليها الشكل الاسطوري، ولكننا نزعم اننا يمكننا اليوم ازالة تلك الرتوش والتلبيسات التي شابتها ، حيث اننا نمتلك وثيقة اكيدة وهي القرآن الكريم يمكن اعتبارها مرجعية لإثبات الحقائق في تلك الاساطير او نفيها ، ولذلك اعتقد ان تلك الوثائق التاريخية ستكون مفيدة جدا–خصوص وانها اقرب توثيق تاريخي للزمن الذي عاش فيه أنبياء ما قبل الطوفان والفترة التي تلي الطوفان ، ومن ناحية اخري للتطابق الشديد بين تلك الاساطير والحقائق التي نعرفها اليوم ونثق في صحتها لورودها بالقرآن ولذلك سنعتمد علي قوائم الملوك بشكل خاص (السومرية والبابلية والاشورية) في بحثنا اذا كانت تستند الي ادلة تاريخية وجيولوجية معقولة.

□ادم ـ البداية

في التوراة ، نجد ان سلالة ادم تبدا في ابنه (قايين) الذي تزوج من امرأه تدعي (اقليما) التي كانت سبب التنافس بينه وبين أخيه (المقتول) وانجب منها (حنوك) والذي انجب (عيراد) والذي انجب (متوشائيل) ومنه (لامك) والذي انجب (يابال) و (اوبال) واخته (نعمة) التي ستتزوج (نوح) بعد ذلك.

اما الفرع الثاني فهو سلالة (شيث) ابن ادم ، والتي تشمل عشرة اباء حتي نوح وهم:

انوش ، قينان ، مهللئيل ، يارد ، اخنوخ، متوشالح ، لامك ، نوح.

ومن نوح ولد (يافث ، وحام ، وسام ، ويام) وهم اصول البشر بعد ذلك – أنبياء سومريين –خزعل الماجدي

هذه هي خلاصة القائمة اليهودية للملوك ، ونلاحظ انهم وضعوا عشرة أجيال منذ ادم الي نوح ، ولنستعرض اعمار هؤلاء العشرة حسب الرواية اليهودية..

ادم ٩٣٠، تكوين ٣:٥-٥

شيث ٩١٢ تكوين ٩:٥-٨

، انوش ٩٠٥ تكوين ٩:٥-١١

، قينان ٩١٠ تكوين ١٢:٥-١٤

، مهللئيل ٨٩٥ تكوين ١٥:٥-١٧

، يارد ٩٦٢ تكوين ١٨:٥-٢٠

، اخنوخ ٣٦٥ تكوين ٢١:٥-٢٤

، متوشالح ٩٦٩ تكوين ٢٥:٥-٢٧

، لامك ٧٧٧ تكوين تكوين ٢٨:٥-٣١

، نوح ٩٥٠ تكوين ٣٢:٥، ٢٩:٩

ويكون العمر الكلي للعشرة أجيال وفقا للتوراة من خلق ادم الي نوح هو ١٦٥٦ سنة ، واذا علمنا انهم يؤرخون الطوفان بنحو ٦٠٠ سنة من عمر نوح فيكون عمر الانسان من خلق ادم الي الطوفان ٢٢٥٦ سنة .

اما عن التاريخ المحدد لخلق ادم فقد وضعه الاسقف (جيمس اوشير) في القرن السابع عشر وهو تخميني بحت وقدره بنحو ٥٦٠٠ ق م

ولكن يجب ان نوضح ان الاعمار المذكورة للآباء هي فقط في الترجمة العبرية (الماسوري) للتوراة ، ولكن هناك أيضا الترجمة (السبعينية) والتي تقدر عمر ادم بحوالي ٤٣٠٠ ق م والترجمة (السامرية) والتي تجعلها ٤٣٠٠ ق م، وأيا كانت الترجمة الصحيحة بينهم فكلها تقديرات مستحيلة ولا تتسق مع ابسط معطيات العلم والمنطق.

والغريب ان كثيرا من الباحثين المسلمين قد راحوا يعتمدون علي هذه الروايات باعتبارها وثائق تاريخية وهي تخمينية بعيدة عن الصحة وهذا ما سوف نبينه ..

□أولا: أقصى تقدير لعمر ادم

من الصعب جدا تحديد الوقت الذي عاش فيه ادم ، والحقيقة انه من اصعب الأمور تحديد انسان بعينه في عصور ما قبل التاريخ خصوصا اذا كانت بعيدة جدا فيما يلي العصر الحجري الحديث، وبالنسبة لادم فإننا –لولا النصوص الدينية – لما امكننا ان نعرف عنه شيء ولكان مجرد حلقة في سلالة ذات تاريخ ممتد لأكثر من مئتي الف عام من البشر ، وسنحاول فيما يلي الاستعانة بالحقائق والاكتشافات التاريخية والاثرية لرسم حد ادني للزمن الذي عاش فيه ادم اذا اعتبرنا انه اول الانسان العاقل الحديث والذي كان يمتلك طفرة عقلية متقدمة قليلا عن اسلافه من العاقلين الذي عاشوا منذ ٢٠٠ الف سنة ولذلك سنجعل النقلة العقلية التي مكنت الانسان من انشاء اول بذور الحضارة هو الأساس الذي نحدد عليه بداية ظهور ذرية ادم ، وذلك في عدة نقاط ..

أولا: اكتشاف الزراعة :

تعتبر الزراعة اول نقلة من حياة الصيد – العصر البدائي – الي عصر الحضارة ، فانتقال الانسان من البحث عن الغذاء (الانسان الجامع) بنفس الطريقة التي يعمل بها الحيوان وهي مجرد اصطياد فريسته او جمع الثمار ، الي التفكير الإبداعي والخلاق في توفير الغذاء الذي سيكفيه في المستقبل وليس فقط الاعتماد علي قوته اليومي – ان وجد- والزراعة كانت اول نقلة حضارية للإنسان الحديث ،

١) ان اقدم اثار تثبت ممارسة حرفة الزراعة تعود الي ١٢٠٠٠ سنة مضت ، فقد وجدت أدوات زراعية واثار لبذور محفوظة ترجع لهذا العمر ومساحات زراعية بالية بدأت خصوصا في منطقة (الهلال الخصيب) مثل القمح البري والشعير المستأنس ووجدت صوامع تخزين حبوب ومناجل حجرية تم تاريخها بالكربون المشع الي ١٠,٥٠٠ سنة مضت .

٢) مدينة (اريحا) بفلسطين، وجدت اسوار لتخزين الحبوب يرجع تاريخها الي ١٠٠٠٠ ق.م

٣)الأدلة البيولوجية: فالنباتات المستأنسة تختلف جينيا عن البرية، فمثلا سنابل القمح لا تتكسر طبيعيا والحبوب الموجودة الان اكبر حجما كما انها تفقد القدرة علي الانتشار الذاتي وهذا يمكن تحديد زمن بدايته – أي بداية استئناس الحبوب وزراعتها يدويا بدلا من التكاثر الطبيعي – أي زمن تدخل الانسان في الزراعة.

ثانيا: الشواهد الاثرية علي حضارة حديثة :

العالم يخفي الكثير من الالغاز التي ربما تكسر معلوماتنا طوال القرون الاولي عن بداية الانسان الحديث، فهناك اثار ضخمة لمعابد ومدن تم تشييدها قبل ١٢٠٠٠ سنة ولا يمكن ان تبني الا من قبل انسان قد تحصل علي معرفة بقوانين الهندسة والمعمار ،،

١)جوبكلي تيبه (شكل١): واحد من اشهر المواقع الاثرية بتركيا (جنوب شرق الاناضول) يعود عمرها الي ٩٦٠٠ ق.م (١١٠٠٠ سنة مضت) .

٢)كاراهان تيبه : تركيا، يعود عمره الي ٩٤٠٠ ق.م

٣) نيفالي تشوري: تركيا – وادي الفرات يقدر عمره ٨٨٠٠ ق.م

٤)برج اريحا: فلسطين ، واحد من اقدم البنآيات في التاريخ ويقدر عمره ١١٠٠٠ سنة مضت.

٥) جاتال هويك (شكل٢): تركيا – وسط الاناضول يعود الي ٧٥٠٠ ق.م

هذه قائمة مختصرة لكثير من الاثار التي يعود عمرها باقل تقدير لأبعد كثيرا من التاريخ الذي حددته التوراة . ومن هذا يمكننا ان نقول بثقة ان عمر ادم يتجاوز ١٢ الف سنة مضت وذلك لعدة اعتبارات ، منها اننا اذا اعتبرنا ان البشرية قد استغرقت الف سنة فقط لتصل من البدائية المطلقة الي بداية الحضارة التي تمكنها من الزراعة فان عمر ادم سيكون اكثر من ١٢ الف سنة، ويمكن فهم ذلك أيضا بالنظر الي صور الاثار التي ذكرناها والقدرات الفائقة التي يتطلبها انشاء مثل تلك الاثار الضخمة والمعقدة والتي قدر لها ان تظل قائمة الي وقتنا هذا ، فان عمر ١٢ الف سنة هو اقل تقدير لبداية الانسان القادر عقليا علي انشاء كل هذه المظاهر الحضارية ومن ثم بناء لغة وكتابة.

والحقيقة اننا لن نبدأ في هذا الكتاب بقصة نبي الله ادم عليه السلام لقلة بل لانعدام أي اثار او وثائق تفيدنا في هذا البحث ولو اتبعنا رواية التوراة فإننا سنقع في وحل من التخيلات والتخمينات بل والافتراءات الغير

مقبولة والتي لا يمكن باي حال ان يكون لها أي سند ديني او اثري ولذلك سنتجاوز عصر ادم الي عصر الأنبياء الذين يعتبر وجودهم التاريخي اكثر تأكيدا وتوثيقا..



شكل)

غوبلي تيبه في تركيا تعود لاكثر ن ١٠٠٠٠ سن مضت



شكل ')

جاتال هويول – تركيا، يعود عمره ٩٥٠٠ سنة مضت.

لا حظ تعقيد البناء بالنسبة للإنسان البدائي وكم سنة احتاجها الانسان ليصل الي هذا العلم .

□المكان الذي بدا منه ادم

١) ان اول واقدم اثار للحضارة الحديثة متمثلة في بداية ظهور الزراعة وتطور الأدوات البدائية يتمركز حول منطقة الهلال الخصيب (العراق ، سوريا ، فلسطين ، جنوب تركيا)

و من دراسة خريطة انتشار الاثار الضخمة القديمة والهندسية أيضا نجد انتشار واسع حول منطقة شمال تركيا وقرب بلاد الرافدين ،

مما يجعلنا قادرين علي رسم دائرة حول تلك المناطق (الهلال الخصيب والرافدين) للمنطقة التي تنقل فيها ادم وذريته خلال الفترة التاريخية الاولي للأنبياء (من ادم الي ادريس) أي قبل انشاء المدن السومرية التاريخية المعروفة (اريدو ، شروباك ، اور ، اوروك ..) وقبل ذلك لم تكن هناك مدن بالمعني التاريخي بل تجمعات قبلية متفرقة .

٢) وبعد ذلك فان السؤال الذي يطرح هنا هو **ماذا حدث خلال الفترة المبهمة من ادم الي ادريس – اول نبي مؤكد قبل نوح ؟**

كما سبق وقلنا ان الرواية التوراتية لا يوجد أي دليل علي صحة القوائم التي جاءت بها من حيث الأسماء او الاعمار، ولذلك فسنضعها جانبا بشكل كامل.

ومن ناحية اخري فأننا نتحدث عن فتره زمنية لا تقل عن ستة آلاف عام مبهمة ليس لدينا مصادر تاريخية او دينية توثق ما حدث خلالها ، ولكن من المنطقي ان يكون قد عرف الانسان خلالها عدد كبير جدا من الأنبياء والرسل خاصة في بداية تعلم الانسان عن الخالق بعد ادم عليه السلام ، ولذلك فمن المرجح ان يكون هناك أنبياء كثر خلال تلك الفترة بغض انظر عن الأسماء ، وبالتأكيد لم يكونوا بالأعمار التي ذكرتها التوراة.

وبقي ان نشير الي ان الكثير من المفسرين قد اقتبسوا تلك الأسماء من التوراة ولا يوجد أي نص موثق سواء قراني او حديث يذكر أسماء أنبياء قد اشتهروا عندهم مثل (شيث) ولا يمكننا ان ننكر او نؤكد وجودهم ولذلك سنلتزم في هذا البحث بالأنبياء المثبت وجودهم دينيا وتاريخيا بعد ادم وهو علي التقسيم التالي:

أولا : ذرية ادم المباشرة: ادريس ، نوح عليهما السلام

ثانيا: ذرية نوح: هود ، صالح (أنبياء العرب البائدة)

ثالثا: لوط و ابراهيم عليه السلام وذريته : ابراهيم عليه السلام ، اسماعيل عليه السلام ، ، شعيب ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، موسي عليه السلام ، هارون

رابعا: أنبياء بني إسرائيل: يوشع، داود ، سليمان ، أنبياء السبي ، يونس

خامسا: أنبياء فلسطين: ذكريا ، يحيي ، عيسي

سادسا: خاتم الأنبياء: محمد – صلي الله عليه وسلم

وذلك خلال فصول مخصصة لكل نبي رئيسي مرتبة حسب المعلومات المتوفرة لتحديد كل نبي في الجغرافيا والتاريخ.

الفصل الأول

إدريس

اين عاش ادريس عليه السلام عليه السلام

هل ادريس عليه السلام هو هرمس المصري

هل يوجد له مقابل في قوائم الملوك

ان أقدم نبي بعد ادم تم ذكره في المصادر الإسلامية هو ادريس عليه السلام، وقد ورد ذكره في القرآن مرتين :

١) قوله تعالي : واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا – مريم ٥٦

٢) قوله تعالي: واسماعيل عليه السلام وادريس وذا الكفل كل من الصابرين – الأنبياء ٨٥

ولكن لا توجد معلومات مفصله عن الزمن الذي عاش فيه او إشارات لأحداث معينة حدثت في عهده يمكن الرجوع اليها لتحديد زمنه، ولكن رغم ذلك فهناك نظريات غريبة وجدت لباحثين حديثين ربطوا ادريس بالأسطورة المصرية الشهيرة المتعلقة (بهرمز) ولكن لا يوجد أي دليل ديني او تاريخي يشير الي ان ادريس قد عاش او هاجر الي وادي النيل او عاش في مصر ، وان التشابه في جزر الاسمين لا يمكن ان يعد دليلا كافيا علي ذلك.

ولهذا فإننا سنلتزم بالمنطقة الجغرافية التي انحدرت منها ذرية ادم خاصة اذا كانت احداث الطوفان قد انحصرت في بلاد الرافدين – كما سيأتي بعد ذلك – فلا دليل علي ان نوح كان من ذرية اخري غير ادريس ولذلك سيظل ادريس في نفس المنطقة الجغرافية كما سنبين ..

□ملامح قصة ادريس عليه السلام

يمكننا تحديد ملامح الشخصية التاريخية من عدة إشارات قليلة جدا وردت في القرآن :

١) قوله تعالي : ورفعناه مكانا عليا – مريم، ومن المجمع عليه عند الفقهاء ان سيدنا ادريس قد رفع الي السماء بطريقة ما ولم يمت علي الأرض ، والمثير ان الرواية التوراتية تتفق مع تلك الحقيقة أيضا مما يزيد من مصداقيتها .

٢) هناك إشارات في الكتب الإسلامية لا نعرف مصدرها تفيد بان ادريس كان من المعلمين الأوائل للبشر وانه كان له دور هام في اكتشاف الكتابة منه ما ورد في تاريخ الطبري وابن كثير انه (اول من خط بالقلم) ، ولكن

ذكرناها لأنها توافقت مع بعض المصادر التاريخية – لا علي سبيل التوقيت التاريخي – بل من باب الاستئناس فقط.

:المصادر التاريخية التي توافق شخصية ادريس

ان اقدم المصادر التاريخية بصفة عامة هي التي تعود لبداية اكتشاف الكتابة عموما، وهي المصادر السومرية، واشهر الوثائق السومرية هي ما يعرف (بقائمة الملوك) والتي نحتت باللغة المسمارية علي الواح طينية يعود تاريخها الي ٥٠٠٠ سنة ق. وهذه الالواح قد كتبت في عصر الدولة السومرية الثانية – بعد الطوفان - مما يثبت ان ادريس كان قبل ذلك بفترة طويلة تتعدي الالف سنة اذا كان عمر نوح فقط يقارب الالف سنة.

هذه الالواح تقدم اول تأريخ موثق للملوك السومريين – او شخصيات مؤثرة لديهم مع ذكر بعض القصص والاساطير التي عاصرتهم والتي تشبه كثيرا القصص القرآني للأنبياء كما سنري.

أولا: قائمة الملوك السومرية:

تنقسم قوائم الملوك السومرية الي ملوك ما قبل الطوفان وملوك ما بعد الطوفان، وفيما يخص النبي ادريس فان ما يهمنا هو الملوك قبل الطوفان، وتسمي تلك القوائم وفقا لمترجميها (ياكوبسين و بلونديل) ، ونجد في بدايتها :

-عندما هبطت الملكية من السماء صارت في (اريدو)

-واصبح (الوليم) ملكا وحكم ٢٨٠٠٠ سنة،

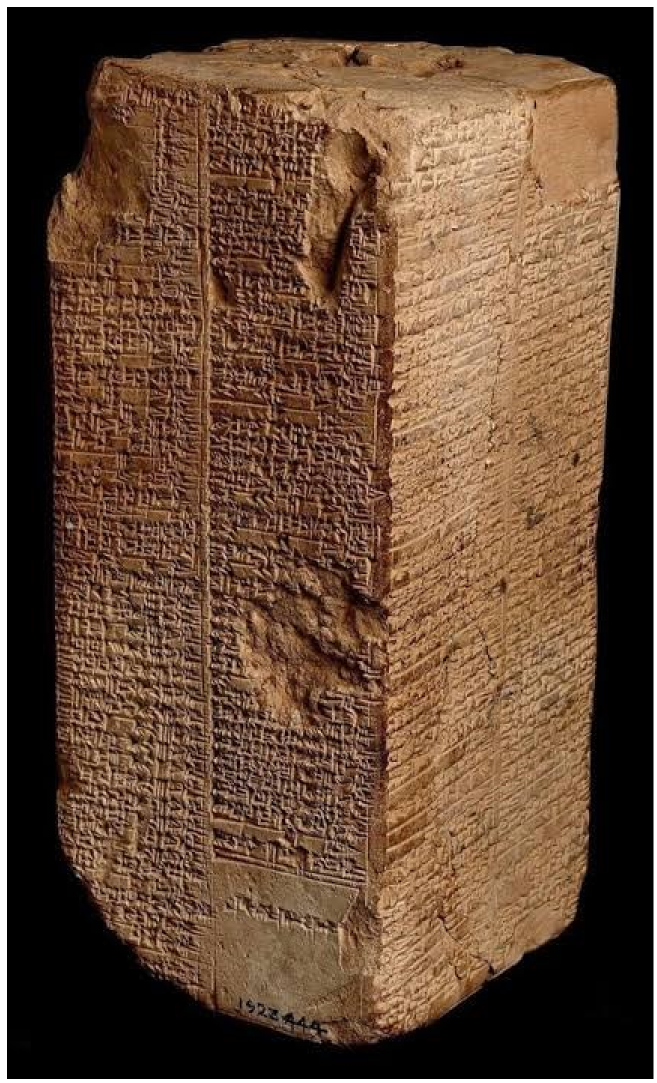
-اسقطت في (لاراك) ملوكيتها الي (سيبار)

-حملت في سيبار (ان مين دور ان انا)

- اصبح ملكا وحكم ٢١٠٠٠ سنة ..

وهكذا القوائم طويلة تتحدث عن سقوط الملكية من السماء الي كل مدينة من مدن سومر قبل الطوفان وتحديد ملك منزل من السماء (من الآلهة) ليحكم علي ارض محددة من أراضي سومر.

والحقيقة اننا يجب إعادة النظر في فهم الاساطير السومرية ، لا علي أساس انها قصص خيالية لم تحدث ، بل انها قصصا لأحداث واقعية من التاريخ القديم تمت صياغتها بشكل شعبي أسطوري مثير بوضع بعض الإضافات التي تعطيها طابع الهي مقدس وخاصة اذا أراد الراوي استعمالها لإعطاء مصداقية للآلهة المعبودة في زمنه ، ولذلك نجد القوائم البابلية تأخذ نفس الاساطير بحذافيرها وتغير الأسماء الي لغتها وربما تضيف بعض الأمور المناسبة لعصرها وثقافتها ولكن نلاحظ في النهاية ان القالب الذي جاءت منه كل الاساطير واحد والمثير انه شبه مطابق للرواية اليهودية ثم الرواية القرآنية.



شكل ٤

قائمة الملوك السومرية

من الغريب ان كاتبا معروفا مثل (خزعل الماجدي) في كتابه (أنبياء سومريون) أراد ان يقارن بين القائمة التوراتية وقوائم الملوك البابلية والسومرية لأثبات ان التوراة اقتبست الأسطورة وحولتها لنسخة يهودية ، ثم جاء القرآن ليقتبس منها بدوره ، والنتيجة ان الأنبياء لا وجود لهم ، انما مجرد نقل من ثقافة لأخري، ولكن رغم انه وضع هذا الكتاب الجيد لأثبات عدم وجود الأنبياء الا انه في الحقيقة اثبت وجودهم تاريخيا وهو امر صعب، لان تطابق الروايات لا يعني بالضرورة انها نقلت من ثقافة لأخري ، بل يعني كذلك ان كل منهم قد حكي نفس الواقعة بأسلوبه مما يعني ان الأحداث كلها مأخوذة من واقعة واحدة لاتفاق اكثر من مصدر علي نفس السرد .

اما بالنسبة لنا – كمسلمين- نجد ان تطابق الرواية مع القرآن يجعلها مؤكدة تاريخيا وهذا هو المنهج الذي سنتبعه في هذا الكتاب.

ولذلك سنبدأ في فهم مختلف للأساطير السومرية:

١) اللفظ الذي استعملته النصوص السومرية هو lugal وتعني حرفيا (رجل عظيم) ولكن رغم ذلك فان الترجمات تجعلها (ملك) وربما ان الترجمة تغيرت تدريجيا لربط الرجل العظيم بارض او مدينة معينة مما يمكن فهمها بالملك ، اذ ان (عظيم او مرسل من السماء) لا يفهمها المؤرخين المعاصرين الا هكذا ، لان المعني الديني او الروحي لا مكان له في علوم التاريخ البحت ولذلك لن نجد ترجمة (نبي) او (رسول) رغم ان هذا هو الواضح من سياق النص ، رجل ارسل من السماء وقام الآلهة بتعليمه الاسرار واختاروه من بين البشر ، ولكن هكذا هو الفهم الأقرب للأسطورة ان هذه القائمة هي قائمة رجال عظماء قدموا إنجازات للشعب السومري ولذلك نجد القائمة خليطا بين (رسل) وزعماء سياسيين وحكماء وليست قائمة ملوك فقط .

٢) الفترة الزمنية المذكورة والمرافقة لكل ملك في القائمة لا تعني قطعا بانها مدة حكمه بل هكذا يعتقد الباحثين كأقرب تفسير لها ، و كذلك فان هذا الامر قد حير الباحثين لأنه لا يمكن اعتبارها اعمارا ، فهي طويلة ومبالغ فيها ولذلك حاولوا فهم التقويم السومري في هذا الوقت ولكن لم يصلوا لحل مؤكد، ولذلك فيمكننا ان نفهم ان تلك الفترة لا تعد بالسنين ، وأيا كان الزمن المقصود فيها فهو غالبا يبين الفترة ما بين كل ملك والذي يليه اذا ليس بالضرورة ان يكون كل ملك تالي تماما لمن قبله وربما تكون هناك فترة بين كل ملك واخر، وهذا يجعل الامر اكثر منطقية.

والجزء المهم في تلك القوائم هنا هو ذلك الملك المذكور تحديدا ، (ان مين دور ان نا) ، ولنر ماذا تقول الأسطورة السومرية عنه، في نص اكادي يسمي (نص انميدورانكي – المتحف البريطاني)..

١) يقدم كشخص مختار الهيا كملك لمدينة (سيبار) .

٢) الاله (شمش) اله العدل و(ادد) اله العواصف قاما باختياره من بين البشر – أي هو بشري – وعلموه اسرار الهية خاصة – رسالة سماوية- وتلقي علما لا يعطي للبشر العاديين .

٣)اعطي علوم العرافة ومراقبة النجوم(الفلك) وطقوس الطهارة ، يعتبر مؤسس شرعية المعرفة المقدسة،

٤) الاسم (ان مين دور انا) يعني السيد الذي يربط السماء بالأرض .

٥) يعتبر اخر ملك قبل (زيوسودرا) الملك المرتبط بأسطورة الطوفان.

٦) الملك السابق له في القائمة (زوسا) لا يذكر عنه أي شيء مقدس او تلقيه علوم من الآلهة ولا الملك السابق لهما (اوركاجينا) ، والملاحظ أيضا انه (انميدورانكي) هو الوحيد الذي وصف بالحكمة وتلقي العلوم واسرار السماء من الآلهة وهذا الوصف لا يمكن فهمه الا بالنسبة لنبي.

ثانيا: قوائم الملوك البابلية:

١) الشخصية المقابلة (لان مين دورانكي) في النسخة البابلية من الأسطورة (ان مين دور انا) وواضح انهما نفس الشخص ،

٢) تعلم اسرار الآلهة مثل التنبؤ وقراءة كبد الحيوان والسحر (غالبا معجزات الأنبياء تفهم انها سحر).

٣)ينظر اليه كوسيط بين الآلهة والبشر وينقل معرفة السماء للأرض (الوحي) .

٤) ارتبط أيضا بمدينة (سيبار) ،

ومن ذلك نجد تطابق الشخصيتين في الاساطير السومرية والبابلية،

الخلاصة اذا :

رغم اننا لا يمكن ان نقطع يقينا بان الملك المذكور (ان ميدورانكي) هو نفسه النبي (ادريس) الا ان احتمال تطابقهما كبير جدا، اذ ان ذكره بهذه الصورة المختلفة عن الملوك السابقين له ووصفه بانه تلقي علوم (الفلك) و(العرافة) أي التنبؤ – وهو امر مرتبط بالأنبياء – يطابق كثيرا ما روي في الأثر عن النبي ادريس من العلم والحكمة وتعليم الفلك والكتابة وغيرها.

وبقي بعد ذلك تحديد الزمان والمكان الذي عاش فيه هذا الملك ومقارنتهما بما نعرفه عن النبي ادريس..

الجغرافيا والتاريخ

أولا: مكان ادريس عليه السلام:

من قائمة الملوك ، نجد ان هذا الملك قد نزل في مدينة (سيبار) وهي مدينة قريبة من (اوروك) بحوالي ٥٠ كم وهي مدينة مركزية دينية مهمة ، وتقع مدينة (سيبار) اليوم في موقع اثري في (تل أبو حبة) بالقرب من يوسفية بالعراق. ويحتوي الموقع علي اطلال مدينة قديمة ، ومعبد (شمش) وجسور تاريخية من الواح مسمارية، واكتشافات هائلة مثال (الالواح المسمارية المعروفة بخريطة العالم البابلية).

ثانيا: الزمان..

١) تشير الحفريات ودراسة طبقات الأرض في تلك المنطقة الي حدوث طوفان بالفعل يرجع تاريخه الي حوالي ٣٦٠٠ ق.م وهذا اقصي تقدير –كما سنشرحه بالتفصيل في الفصل القادم – اذا يمكننا – وفقا للقران – ان نضيف عمر النبي (نوح) قبل الطوفان وهو بنص القرآن (٩٥٠ سنة) الف سنة الا خمسين عاما ، فاذا اعتبرنا ان نوحا ولد بعد وفاة ادريس مباشرة او قبل وفاته بفترة قليلة فاننا سنجد الزمن الذي عاش فيه ادريس حوالي ٤٥٠٠ سنة ق.م او اكثر قليلا لأننا لا يمكننا معرفة عمره بدليل موثوق.

٢) لا يمكننا الاعتماد علي الأرقام التي تذكرها القوائم لصعوبة تحديد التقويم المقصود والذي يعطي أرقاما خيالية لفترات حكم الملوك ولذلك سنعتبر الطوفان هو الخط الأساسي الأكثر قبولا وموثوقية لتحديد زمن النبي ادريس اذا صح مطابقته مع الملك المذكور .

ثالثا: العالم في زمن ادريس عليه السلام:

اتفقنا ان اقصي زمن عاش فيه ادريس هو ٤٥٠٠ الي ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وذلك لأننا كلما ابتعدنا في الزمن زاد النطاق المتوقع لقلة الأدلة الموثقة ،

ولنستعرض المناطق المعمورة من العالم في هذه الفترة ، وفقا للمصادر التاريخية..

١) بلاد الرافدين :

تعتبر مركز العالم الحضاري وقتها ، وهي جنوب العراق الحالي ، بدأت حضارة (العبيد) المتأخر Ubaid وظهرت مدن كبيرة نسبيا مثل (اريدو) و (اوروك) في بدايتها،

الاقتصاد يعتمد علي الزراعة المروية و قنوات المياه .

المجتمع يتكون من كهنة وحرفيين وفلاحين ، معابد مركزية دينية وبدت فكرة الاله الراعي كأساس ديني.

٢) مصر (وادي النيل) : عصر ما قبل الاسرات :

كانت عبارة عن قري كبيرة يتراسها زعماء محليين ، مع ظهور لمقابر طبقية

الزراعة مستقرة جدا بسبب فيضان النيل ، التجارة مستمرة مع الشام وصلات مع النوبة .

٣)الاناضول وبلاد الشام:

عبارة عن قري كبيرة محصنة ومجتمع زراعي رعوي مع تبادل تجاري من احجار ونحاس ، لا يوجد أي مدن مشابهة للرافدين.

٤) أيران (الهضبة الإيرانية):

مستوطنات زراعية ، مع تعدين للنحاس ،

اتصال قوي ببلاد الرافدين .

٤)وادي السند(الهند /باكستان):

قري زراعية مبكرة ، وبدآيات تنظيم حضاري .

٥)أوروبا: العصر الحجري النحاسي ، مجتمعات زراعية وأدوات حجرية ونحاسية ولا توجد مدن

مدينة (سيبار) الاثرية





الفصل الثاني

نوح

هل يوجد مقابل في قوائم الملوك

هل كان الطوفان عالميا

هل ركبت جميع الأنواع الحية في السفينة

كيف يمكن ان يعيش انسان ألف سنة

يعتبر البحث عن نوح في التاريخ من اكثر الأمور التي تمت الكتابة عنها ، لان اسطورة الطوفان قد ثبتت في جميع الثقافات الشرقية بشكل يكاد يكون متطابقا،

وتحديد زمن الطوفان هو امر مهم جدا في دراسة الأنبياء لأنه يعتبر خط أساسي ومرجع موثوق لتحديد الزمن الذي عاش فيه أنبياء ما قبل الطوفان وما بعد الطوفان مثل نوح ومن بعده هود وصالح ، والاهم هو تحديد الفترة التي عاصرت ابراهيم عليه السلام، وهو النقطة المرجعية التالية ، للأنبياء التاليين له.

في البداية سنستعرض اهم الروايات التي اثبتت الطوفان لنستخلص منها اهم الملامح المشتركة والمتوافقة مع الرواية القرآنية .

☐ الاساطير عن الطوفان

أولا: الأسطورة السومرية:

لم يصل الينا عن الطوفان باللغة السومرية سوي نص واحد طيني عثر عليه في مدينة (نفر) السومرية، وفيه اثر عن تلك الأسطورة وتعرف بين الباحثين (بأسطورة زيوسودرا) ،

وتروي القصة ان الآلهة (ان) و (انليل) و (انكي) قد قرروا تدمير البشرية عن طريق الطوفان بسبب غضبهم علي الانسان ، ثم تقرر الآلهة(انانا) التعاطف مع البشر وانقاذهم فتختار الملك الصالح (زيوسودرا) ليكون هو منقذ الجنس البشري ، فامرته الآلهة ببناء السفينة (جزء مبهم من النص لكن تم تخمينه) ثم تهب عاصفة الطوفان وتجرف المنازل والمدن ، وبعد ان ظل الطوفان سبع ليال وسبع أيام ، وجرفت العواصف المدمرة السفينة الضخمة وسيرتها في المياه العالية ، اشرقت الشمس واضاءت الأرض والسماء واحدث (زيوسودرا) خرقا في السفينة ودخلت اشعة الشمس الي السفينة العظيمة، وسجد علي الارض امام الاله (اوتو) ، واخرجت الحيوانات وتجمعت من الأرض ، وقد اسكناه في الأرض عبر البحار بارض (دلمون).

ثانيا: الأسطورة البابلية:

تروي القصة البابلية احداث الطوفان في ملحمة (جلجامش) والتي جاءت في شكل قصة حكاها (اوتو نبشتم) بطل القصة –المقابل (لزيوسودرا) في السومرية – ل(جلجامش) نفسه ،وقال له ان الآلهة عزمت علي احداث الطوفان في مدينة (شروباك) ولذلك امرته :

قوض البيت واصنع لك فلكا ، تخل عن مالك وانشد النجاة واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة ، وقال سمعا يا سيدي سأنقذ كل ما امرتني به ..

وفي اليوم الخامس أكملت السفينة ، وانزلت فيها جميع اهلي وذوي قرباي واركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر وضرب لي الاله (شمش) موعدا حيث قال لي ، وفي الليل انزل الموكل بالعواصف مطرا مهلكا ، فادخل في السفينة واغلق بابك.

واستقر الفلك علي جبل (نصير) وامسك بالفلك ومنعها من الحركة .

هذا اختصار للقصة الطويلة وقد اقتصرت علي الأجزاء الأساسية من القصة دون الوصف الدقيق للسفينة وتشاور الآلهة لاتخاذ قرار الطوفان وبعث الملك لحمام لينظر اذا كان الماء قد زال ام لا (قصة مقتبسة للأسف في المصادر الإسلامية واليهودية من الملحمة).

ثالثا: الأسطورة المندانية: نصوص (كنزا ربا):

عندما لم يبق من أعوام النيزك الا ٨٠٠٠ سنة وجه نداء الي نوح صاحب الفلك جاء فيه اصنع سفينة ..

راحت ينابيع الفوقية تهطل بالأمطار لمدة ٤٢ يوما و ٤٢ ليلة وجعلت ينابيع الأرض التحتية تتفجر بالمياه وغمرت الجبال وغطت المرتفعات -كنزا ربا اليمين ١٨:٤٢٨

اذا يمكن تلخيص الأسطورة البابلية والسومرية والمندانية في عدة نقاط ومقابلتها بالقصة القرآنية..

١) غضبت الآلهة علي البشر فقررت تدميرهم بالطوفان . وهو مطابق للرواية القرآنية.

٢) اختيارهم (زيوسودرا) او (اوتونبشتم) ليكون رسولهم بين السماء والبشر.

٣) امرهم له ببناء الفلك . بمواصفات معينة "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا- سورة هود"

٤) امرهم له بإنفاذ اهله كلهم وبعض الحيوانات والدواب." فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك - المؤمنون ٢٧ "

٥) الاله اعطي (زيوسودرا) معاد محدد للطوفان . "حتي اذا جاء امرنا وفار التنور – المؤمنون"

٦) عندما انتهي الطوفان رست السفينة علي جبل . "وغيض الماء وقضي الامر واستوت علي الجودي-هود"



اسطورة الطوفان السومرية – رسم يصور (زيوسودرا) يحمل علي السفينة حيوانات واناس بينما يغرق العالم من حوله

التوثيق الجيولوجي للطوفان (هل كان الطوفان عالميا)

المقصود هنا هو اثبات حدوث الطوفان فعليا وتحديد زمان ومكان حدوثه ومقارنته مع الروايات السومرية والقرآنية.

وقبل ذلك فان هناك نقطة هامة جدا يجب إيضاحها أولا، وهي إزالة الخرافة المأخوذة من نصوص التوراة والاساطير عن كون الطوفان المقصود هو طوفان عالمي بمعني انه أزال الحياة كاملة من علي وجه الأرض ، وكون نوح هو بداية الحياة من الصفر، وسنبين ذلك لاحقا عند الحديث عن صفة السفينة وما حمل عليها ، فالطوفان العالمي لم يحدث قط ولا يوجد أي دليل من القرآن عليه ، وما حدث هو عقاب جماعي لقوم نوح خاصة ،ولا يعقل ان يعاقب العالم كله علي خطا مدينة او مدن قليلة بين الرافدين،

ومن ناحية اخري فان الثابت قطعا بالحفريات هو ان العالم كان مأهولا بالسكان ولو بأعداد صغيرة كما وضحنا في وصف الحضارات التي عاشت في زمن ادريس المرجح ولم يكن محصورا في منطقة دعوة نوح عليه السلام..

أولا: الأدلة الجيولوجية والاثارية في بلاد الرافدين:

١)طبقات فيضان محلية في مواقع اثرية : ان الحفريات في مواقع مثل مدينة (اور) و (شروباك) و (كيش) كشفت عن طبقات من الرواسب الطينية والرملية التي توحي بفيضانات قديمة ناتجة عن ارتفاعات مفاجئة في مجاري المياه.

٢) في (شروباك) المكان الذي تذكره الاسطورة السومرية ، وجدت طبقة طينية ورملية تفصل بين طبقات عمرانية تعود لحوالي ٢٩٠٠ ق.م تقريبا ويعتقد كثير من الباحثين ان فيضانا كبيرا قد شكل أساسا للأسطورة في تلك المنطقة.

كما ان زيادات الترسبات في أماكن اخري تشير الي فيضانات متكررة في هذه المنطقة تظهر في طبقات ترسيب مختلفة بين نهري دجلة والفرات.

٣) السجل الجيولوجي لتلك المنطقة يؤكد ان السيول الشديدة والفيضانات الكبرى كانت تحدث في تلك المنطقة بشكل شائع .

ثانيا: الزمن المرجح علميا لحدوث طوفان او اكثر :

١)مدينة (شروباك) موقع تل الفارة علي ضفاف الفرات في جنوب العراق، الترسيب الفيضاني الأهم الذي اكتشفت فيه طبقة التربة يرجع الي حوالي ٢٩٥٩ الي ٢٨٥٠ ق.م ، هذه الطبقة تمثل فيضانا واسعا للأنهار في تلك الحقبة ومرتبطة بالأثار التي تفصل بين فترتي ما قبل الطوفان بداية عصر الاسرات القديمة ، وكثير من الباحثين يعتقدون انه الحدث المقصود في الاسطورة السومرية.

٢) مدينة (اور) اقدم طبقة فيضان كبيرة في اور التي اكتشفها عالم الاثار (ليونارد وولي) تقدر بحوالي ٣٥٠٠ قبل الميلاد وهي طبقة سميكة جدا تفصل بين ثقافات ما قبل التاريخ والعصر البروتويتري .

٣) مدينة (كيش) في شمال سومر في وسط العراق، تم اكتشاف اكثر من طبقة فيضان تعود الي ٢٩٠٠ الي ٣٠٠ ق.م .

□تحديد مكان وزمان الطوفان

بعد ان حددنا الأماكن والازمنة المؤكدة علميا للطوفان علي الخريطة الجيولوجية بقي ان نطابقها بالأساطير ثم بالرواية القرآنية..

أولا: تحديد مكان الطوفان:

١) النص السومري: يذكر مدينة (شروباك) الموجودة بتل فارة بجنوب العراق تقع علي فرع قديم من نهر الفرات بين نيبور واوروك ، ولكن الملاحظ ان تلك المدينة تقع ضمن اطار حوض النهرين مع مدن اخري كانت موجودة قبل الطوفان مثل (اريدو) و (سيبار) و (لاراك) وغيرها وليس بالضرورة ان يشمل الطوفان مدينة واحدة خاص اذا فهمنا ان المدن في هذا الوقت لم تكن كبيرة بالمعني الحالي بل هي اقرب للقري المتفرقة واذا كنا نتحدث عن طوفان عنيف فانه قطعا سيغرقها جميعا .

٢)ان ذكر مدينة شروباك في الأسطورة غالبا مرتبط بكونها مدينة مركزية او مكان الذي ينتمي اليه البطل او ربما هذا هو الاسم الذي عرف به السومريون هذه الأرض قبل الطوفان ، علما بان النصوص السومرية كتبت بعد الطوفان بمدة ليست قريبة.

٣) ان القصة القرآنية تبين ان العقاب كان جماعيا للشعب السومرية قبل الطوفان والذي كانت دعوة نوح موجهة اليه ، وبالطبع خلال ٩٥٠ سنة عمر الدعوة كانت ستشمل كل المدن المعروفة في هذا الوقت في حوض الرافدين ولذلك فان العقاب سينال المنطقة كلها.

٤) من ذلك يمكننا ان نقبل كون أي من تلك المدن الواقعة في حوض النهرين هي مركز الطوفان مع التأكيد انها كلها قد غرقت وليس مدينة واحدة .

٥) اذا نستنتج ان عدة مدن قد غرقت مرة واحدة :

-(شروباك) : طبقة طمي واضحة جدا ومؤرخة في قلب السهل الفيضي

-((أبو صلبيخ) قريبة جدا من (شروباك) ولابد ان تغرق اذا غرقت ،

-(نيبور): منطقة منخفضة ومتصلة بقنوات فراتية ولها سجلات فيضان متكررة .

-(اوروك) قريبة من مجاري قديمى للفرات وارتفاعها قليل نسبيا

-(لارسا) تقع جنوب (اوروك) علي سهل مفتوح ومتصلة بشبكة قنوات ومرشحة للغمر اذا كان طوفانا واسعا

-(اور) تتأثر بارتفاع منسوب المياه والمد ولها سجلات فيضان اقدم وقد تكون ضمن نفس الطوفان او فيضان ملازم له.

ثانيا: زمن حدوث الطوفان:

١) اذا اعتمدنا علي الاثار الجيولوجية المرتبطة بمدينة (اور) فان الطوفان سيرجح بحوالي ٣٥٠٠ ق.م

٢)اما اذا التزمنا بمدينة (شروباك) المذكورة في النصوص السومرية فان الطوفان سيكون قد حدث حوالي ٢٩٠٠ ق.م

٣) ولذلك فان الفترة التقديرية للطوفان الذي اغرق المنطقة كلها سيكون في المتوسط حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد بهامش ٢٠٠ سنة قبل او بعد ذلك التاريخ ولا يمكن ان نكون اكثر تحديدا لأننا نتحدث عن فترة غير مؤرخة ولا توجد مصادر معاصرة او سابقة للطوفان يمكن الاستناد اليها.

□وصف الطوفان

أولا لنستعرض ملامح الرواية القرآنية اكثر المصادر مصداقية وبعدا عن الزيادات..

١) قوله تعالي: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - القمر) ، والمتفق عليه في هذا التفسير هو المطر الشديد – أي السيول الغزيرة

٢) قوله تعالي(وفجرنا الأرض عيونا – القمر١١):

التفجير هو الشق الواسع ، ويقال فجر الماء أي شق الأرض فاخرج الماء منها ، والتفجير الأرض بالماء في لغة العرب هو خروج الماء بقوة مع الكثرة والاستمرار لا مجرد نبع ضعيف،

اما العيون : فهي جمع عين وهو منبع الماء من الأرض واستعمال الجمع يفيد التعدد والانتشار - لسان العرب لابن منظور

اما في التفاسير : (الطبري) شق الله الأرض فاخرج منها عيون الماء في كل موضع (القرطبي)لم يقل الله تعالي انبتنا او اخرجنا بل فجرنا أي بقوة وكثرة واتساع .

والخلاصة ان المقصود هو انفجارات شديدة من الأرض بشلالات من المياه متدفقة ومستمرة ومنابع كثيرة متفرقة في نطاق واسع.

٣) قوله تعالي (والتقي الماء علي امر قد قدر – القمر ١٢). اذا من جمع الآيات نفهم ان ما حدث هو هبوط سيول شديدة جدا علي انحاء المنطقة في حوض النهرين متزامنة مع انفجارات من الأرض شديدة ومتفرقة،

ولكن هل يدعم التفسير الجيولوجي هذه الاوصاف؟

الحقيقة ان الطبيعة الجيولوجية لحوض الرافدين تتميز ، أولا : بانها رسوبية عميقة جدا تراكمت فيها طبقات طمي وطين لملايين السنين وهذه الطبقات تحتجز مياة جوفية ضخمة ، ثانيا: هي قريبة من نطاق تصادمي نشط بين الصفيحة العربية مع الأيرانية (جبال زاغروس) وهذا يولد صدوعا وضغوطا تكتونية وإعادة تنشيط لقنوات المياه الجوفية، وثالثا: منسوب ماء جوفي مرتفع بسبب دجلة والفرات معا وفروعهما القديمة مع قابلية عالية لحدوث ضغط ارتوازي .

وبالنظر للمقصود بانفجار الماء من الأرض ، فان ما يحدث هو احد السيناريوهات الاتية:

- الينابيع الارتوازية المفاجئة: عندما يكون الماء الجوفي محصورا تحت ضغط عالي فان صدعا او نقطة ضعف تنفتح ويندفع الماء بقوة الي السطح دون ضخ ،

- سيولة التربة: أي امطار شديدة جدا او نشاط زلزالي يجعل التربة الطميية المشبعة بالماء تفقد تماسكها فيندفع الماء والرمل والطين للأعلى فجاة .

الخلاصة اذا يمكننا تصوير ما حدث فعلا كالتالي:

١) سيول شديدة جدا علي نطاق واسع في منطقة حوض النهرين وفي حالتنا فإننا نتوقع سيولا غير مسبوقة من حيث الشدة والاستمرارية.

٢) انفجارات هائلة من المياه الجوفية في مئات او آلاف النقاط في انحاء الحوض تزامنت مع السيول او كانت بسببها بحيث لا يمكن للأرض ابتلاع المياه مرة اخري قبل أسابيع .

٣) من المتوقع نشاط زلزالي مصاحب يكون سببا او احد أسباب اندفاع المياه من تحت الأرض ويبطئ أيضا من امتصاص المياه مرة اخري،

٤) بالنظر للسجل الجيولوجي للمنطقة فان فيضانات متزامنة مع تلك الأحداث متوقعة بشدة خصوصا اننا نتحدث عن منطقة محصورة بين النهرين وفروعها القديمة فان فيضان النهرين معا سيزيد من حدة الكارثة ويدعم إمكانية ارتفاع منسوب المياه لمسافات اعلي فوق سطح الأرض .

٥) ان المدة المتوقعة لاستمرار تدفق المياه الجوفية في حوض الرافدين اذا استمر المطر بالهبوط فإنها قد تستمر حتي ثلاثة الي أربعة أسابيع بكمية ضخمة ثم يتوقف التدفق تدريجيا بعد انتهاء التغذية المباشرة ولن تتوقف فجأة أي عدة أيام إضافية قبل ان يتوقف التدفق من الأرض والسيول .

اما بالنسبة للسيول: فإنها في منطقة جبال زاغروس فتقدر بحوالي ١٠٠٠ الي ٥٠٠٠ متر مكعب/ثانية . وقد تستمر لأسابيع أيضا دون توقف.

التقدير العلمي لارتفاع المياه عند ذروتها:

اذا تضافرت جميع العوامل السابقة (سيول شديدة + انفجار مياه جوفية في مئات النقاط+ فيضانات من النهرين+ ذوبان الجليد من الجبال الشاهقة) فان الارتفاع المتوقع قد يتجاوز ١٢ متر وهذا يكفي لغمر التلال القديمة مثل (شروباك) و(اور) و(نيبور) ودفن المدن تماما تحت المياه .

وفي هذا الشأن يجب ان نتحدث عن نقطة هامة وهي، هل غمرت المياه الجبال بالفعل وما المقصود بالجبال في الآيات القرآنية (وهي تجري بهم في موج كالجبال – هود) وفي قوله تعالي (واستوت علي الجودي- هود) وقوله تعالي (قال ساوي الي جبل يعصمني من الماء – هود)..

أولا: في لغة العرب الجبل هو ما ارتفع عن الأرض ارتفاعا ظاهرا وامتد فيه الصخر او التراب – لسان العرب

وقيل الجبل هو ارتفاع عن سائر الأرض المحيطة بها سواء كان مرتفعا شديدا او قليلا – الفيروزابادي – القاموس المحيط

اذا لا يشترط في الجبل ان يكون شاهقا جدا ويمكن ان يقال في لغة العرب (جبلا) علي مرتفع ملحوظ عن سطح الأرض كالتل والهضبة،

اما بالتطبيق علي طبيعة منطقة بين النهرين فإننا نلاحظ السهل الرسوبي الجنوبي منخفض جدا فأي تل او هضبة بارتفاع ١٢ متر ستكون مقارنة بالسهل – جبلا، ومثال ذلك (تل شروباك) و(تل اور) ارتفاعها ١٢ متر ومقارنة بالسهل المحيط فانه يري جبلا صغيرا .

ولذلك فإننا نستبعد فكرة ان المياه تتجاوز ارتفاع الجبال العالية (٥٠٠ الي ١٠٠٠) متر لان ذلك مستحيل منطقيا بالإضافة الي ان هذا من شانه ان تتسع المنطقة المشمولة بالطوفان لتشمل طوفان قاري او عالمي وهذا غير مقبول.

والقصد ان وصف القرآن للأمواج (كالجبال) يمكن فهمه علي ارتفاع من ٥ الي ١٢ متر وهو امر عظيم جدا ومرعب، ورغم ذلك لا يوجد ما يمنع ان تصل ارتفاع الامواج الي اضعاف هذا الرقم ، فقد سجل اقصي ارتفاع للأمواج في عام ٢٠١٣ في المحيط الأطلسي بحوالي ١٩ متر، وفي ١٩٩٥ سجلت اعلي موجة فجائية وصلت ل ٢٥ متر ، اما في الكوارث المائية مثل تسونامي فقد سجلن في خليج (ليتونيا) - الاسكا- تسونامي هائل وصل

ارتفاعه الي ٥٢٤ متر ، اذا وصول ارتفاع الموج الي هذا الحد ليس مستحيلا وان كنا نرجح انه قد تجاوز ١٥ متر الي ٢٠ متر نظرا لطبيعة المنطقة .

ولكن لم يرد دليل من القرآن ان منسوب المياه نفسه قد وصل لان يغطي الجبال وانما يمكن أيجاد هذا في النصوص التوراتية والاساطير السومرية والهندية والبابلية.

اما عن ارتفاع منسوب المياه فانه سيصل كحد أقصى الي ١٢ الي ١٥ متر إذا كنا نتحدث عن حدث استثنائي غير مسبوق وهذا الارتفاع يتسق مع وصف الجبل في استعمال العرب.

الناجي من الطوفان (من هو نوح)

وصلنا الي بطل الأسطورة، (زيوسودرا) في النص السومري ، و(انوبشتيم) في الرواية البابلية ، و (نوا) في اليهودية..

السؤال اذا هل كل هذه الشخصيات المتشابهة هي نفسها (نوح) التاريخي ؟

١) (زيوسودرا) السومري:

الاسم السومري يكتب : (زي) وتعني بالسومرية النفس او الحياة

(يو) تعني (زمن) ، (سود را) تعني يمتد او يطول،

ولذلك سمي هذا الشخص (زيوسودرا) بمعني (طويل الزمن او طويل العمر الممتد للابد) .

هذا المعني ثابت في الدراسات في اللغة والاساطير السومرية وليس اجتهادا حديثا.

اما بالنسبة للاسطورة: فهو الناجي من الطوفان ومذكور أيضا في قائمة الملوك السومرية كآخر ملك معاصر للطوفان ثم ظهر بعد الطوفان مباشرة ، ومن الأسطورة يمكن استقاء صفاته كالتالي:

١-هو ملك بشري وليس رمز او اله ، مختار من الاله (انكي) – اله الحكمة – وهو الذي حذره من الطوفان.

٢-باني السفينة ، اما النصوص التي تصف السفينة فهي مفقودة والنص الموثق هو انه هو الذي امر ببناء السفينة من الاله انكي وتحت اشرافه.

٣- الناجي من الطوفان، فالنص يذكر صراحة ان الملوكية تنزل من السماء من جديد بعد الطوفان في مدن اخري .

٤- الصفة الأهم في النص السومري هو انه قد منح الخلود (حياة طويله) من الالهه وهذا سبب تسميته بهذا الاسم .

٢) (انوبشتم) الاكادي – ملحة (جلجامش) :

الاسم اكادي ويعني (الذي نال الحياة) ، فكلمة(اوتا) تعني وجد او نال ،

كلمة(نابشتم) تعني الحياة او النفس، وهذا المعني ثابت في القواميس الاكادية،

ونجد تشابه شديد بين معني الاسم الاكادي والسومري مما يؤكد تطابقهما،

اما صفاته في الأسطورة البابلية ..

١- انسان بشري ليس الها ،كان يسكن مدينة (شروباك) قبل الطوفان ولا يمنح صفة الالوهية في أي موضع.

٢-مختار من الاله (أيا) وهو (انكي) السومري، وهو الذي حذره من الطوفان- مذكور في اللوح الحادي عشر من الملحمة

٣-هو الذي بني السفينة ، ويظهر في النص وصف دقيق لها بإشراف من الاله نفسه

٤-حمل الحياه معه ، النص يذكر انه حمل معه اهله والحرفيين والحيوانات وبذور الحياة.

٥-الرسو علي الجبل (نصير) ونيل الخلود ، ويمنح الاله له الخلود أي حياة لا تماثل البشر .

٣) الرواية القرآنية (نوح):

(نوح) في معاجم اللغة هو اسم علم اعجمي غير مشتق عربيا ، اذا هو تعريب للاسم الاصلي وهو العبري لوجوده قبل الإسلام ، وهو (نوح) ومعناه في العبرية : استراح او سكن وهدأ وهذا نص توراتي صريح في تفسير الاسم،

وطالما ان القرآن استخدم هذا اللفظ تحديدا اذا من الجائز انه الاسم الأصلي او تعريب له الذي كان مستخدم من النبي صلي الله عليه وسلم (نوح) بلغته ولا يوجد أي تأكيد.

٤) لننتقل الان الي مقارنة شخصية النبي (نوح) بالشخصيات السومرية والبابلية..

١) اتفقت الاسطورتان علي ان البطل بشري مختار من الآلهة (نبي من الله) لإنقاذ البشرية من الطوفان وهو ما يطابق الرواية القرآنية عن (نوح) وتتفق أيضا في انه قد اخذ معه اهله وبعض الناس والحيوانات وهو مطابق لقوله تعالي : (فاذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا قليل – هود) .

٢) ذكرت النصوص انه قام ببناء السفينة بناء علي امر الاله (انكي) وبمواصفات معينة وهو مطابق لقوله تعالي (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في اللذين ظلموا – هود) .

٣) العمر الطويل : ذكرت الأسطورة السومرية ان الآلهة منحته عمرا مديدا ويظهر أيضا في اسم (زيوسودرا) والذي يعني حرفيا صاحب العمر المديد، ونري ذلك أيضا في الأسطورة البابلية بان الآلهة منحته عمرا خالدا فوق البشر مع اختلاف ان ذلك حدث بعد الطوفان، إضافة الي الاسم (اوتونبشتم) الذي يعني حرفيا من وجد الحياة وهو نفس المعني، اما في القرآن فهذا ثابت بقوله تعالي (وارسلنا نوحا الي قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما – العنكبوت) وهو ما اتفق عليه الجمهور .

وفي هذا الشأن سنحاول بإيجاز تفسير إمكانية حدوث هذه الحالة الاستثنائية في تاريخ البشرية من الناحية العلمية..

٤) هل يمكن علميا ان يعيش انسان الف سنة؟

ما الذي يحدد عمر أي انسان؟ فالعمر ليس رقما اعتباطيا بل نتيجة لأربعة أنظمة بيولوجية رئيسية:

أولا: الشيخوخة الخلوية وهي قدرة خلايا الانسان علي الانقسام مع تكرار عملية الانقسام علي مر العمر تفقد قدرتها علي المتابعة وتبدا في الموت بدون تعويض ،

ثانيا: تراكم التلف الجيني ، فالإشعاع والأكسدة والاخطاء اثناء عملية الانقسام تتراكم بعد عشرات السنين مما يسبب فشل في الاعداد بعد فترة معينة،

ثالثا: الأيض: فكلما كان الأيض اسرع يكون العمر اقصر

ورابعا: الجهاز المناعي : يضعف مع التقدم في العمر وبالتالي يفشل في قتل الخلأيا السرطانية ومحاربة العدوي وهي نقطة انهيار حاسمة بعد عمر معين.

ولكن هل يمكن التغلب علي هذه الأربعة أسباب للشيخوخة؟

الحقيقة العلمية تقول نعم، بالفعل هناك كائنات تغلبت علي ذلك مثل : (قنديل البحر الخالد) وهو نوع من القناديل يستطيع إعادة نفسه الي مرحلة الطفولة بإعادة برمجة خلأياه بالكامل فهو اذا ل يشيخ بيولوجيا،

(الهيدرا) لا تشيخ ابدا فخلاياها الجذعية تنقسم بلا توقف ولا يتراكم تلف جيني تقريبا.

اذا هل يمكن لإنسان ان يعيش الف سنة؟ نظريا نعم، يمكن علي النحو التالي:

يجب ان يمتلك (نظام إعادة اغشية الحمض النووي الي حجمها الطبيعي) وبالتالي لا تفقد الاحماض (dna قدرتها علي الانقسام لمدة أطول، ومن ناحية اخري القدرة علي اصلاح شبه كامل للحمض النووي وأيقاف تراكم الجزور الحرة ، بالإضافة الي مناعة لا تضعف لمدة طويلة جدا و خلايا جزعيه تتجدد بلا حدود،

هذا الفرض يتطلب (طفرة جينية) أي بمعني اخر يمكن حدوث ذلك بنسبة واحد في التاريخ تقريبا وهي بالضبط النسبة التي تنطبق علي حالتنا هذه ، انه واحد فقط في تاريخ البشر الذي اعطي تلك القدرات البيولوجية والتي لا يوجد فيها أي شيء خرافي بل انها حالة مفسرة علميا ولكن لا تتكرر ابدا..

اذا عاش (نوح) الف سنة ثم بدات خلاياه تتلف بالتدريج وشاخ ومات ربما بعد الطوفان والاستقرار لان الغرض من عمره الطويل قد انتهي بانتهاء دعوته وحان الوقت له لكي يشيخ ويموت مثل أي انسان عادي، ونفهم من ذلك انه عاش طوال حياته متمتعا بشباب او رجولة طويلة الأمد لم تظهر عليه اعراض الشيخوخة مدة تسعمائة سنة تقريبا وهو بالطبع امر ل يمكن لاحد الا يلاحظه فكان معروفا بالطبع عبر الأجيال بانه الرجل الخالد

ورغم ذلك ورغم المعجزات التي راوها لم يؤمنوا به ابدا ، جيل بعد جيل كذبوه رغم المعجزة الخارجة عن طبيعة البشر .

اذا يمكن القول بعد كل هذه المطابقات بان الشخصية المذكورة في النصوص السومرية والبابلية وغيرها من النصوص المقتبسة منهما هي نفسها (نوح) التاريخي المذكور بالقرآن أيا كان الاسم الأصلي المستخدم في زمنه فمن الواضح ان الأسماء المذكورة ما هي الا صفات تميزه عن غيره وهذا هو الأسلوب المتبع في الاساطير القديمة .

السفينة (هل حمل معه جميع الأنواع)

حتي تكتمل معالم القصة ، فان علينا ان نتطرق الي وصف سريع للسفينة التي هي جوهر القصة وإيضاح بعض الأمور المقتبسة من الروايات اليهودية والتي تنطوي علي الكثير والكثير من المبالغات الغير معقولة والتي لا يوجد عليها دليل، وفي هذا الموضع لن نستقي معلوماتنا من النصوص السومرية والبابلية واليهودية لان الكتب التراثية مليئة بها وسنكتفي بالإشارة الي المبالغات في موضعها، وسيكون الاعتماد الأساسي علي ما ثبت بالقرآن ..

أولا: ركاب السفينة:

النص القرآني :

قوله تعالي: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ – هود ٤٠)
قوله تعالي: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ – المؤمنون٢٧)

قوله تعالي(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ - التحريم ١٠)
قوله تعالي: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ، قال ساوي الي جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين – المؤمنون)

١)ومن الآيات السابقة نفهم ان من ركب السفينة هم : نوح عليه السلام وأهله الا (امراته) و (ابنه) أي احد ابناءه ولا نعلم كم زوجة كانت له وقتها،

٢)ومن الآيات انه حمل معه عدد قليل جدا من المؤمنين ، وكلمة (قليل) في لغة العرب تعني ما هو اقل من المتوقع ، فمثلا في (لسان العرب) قليل من الناس يعني عدد محدود من ٢-١٠ ، وفي (القاموس المحيط) بضعة اشخاص والبضعة في اللغة هي من ٢-٩،ولا يمكن الجزم بشان العدد الذي ركب في السفينة الا بتقدير فقط وهو لا يصل الي عشرين شخصا كما سنفهم من وصف مساحة السفينة.

٣) الدواب: من المبالغات الغير مقبولة القول بان نوحا قد حمل معه زوجين (أربعة افراد) من كل أنواع الحيوانات الموجودة علي الأرض وقتها، ولا اعرف كيف يمكن لعقل ان يسيغ هذا التلفيق الكارثي ، فاذا علمنا ان عدد أنواع الثدييات الموجودة حوالي ٥٠٠٠ ق.م كانت حوالي ١٠٠ نوع ، ومن الطيور ٢٠٠ نوع والزواحف والبرمائيات ٥٠ ، ولم نذكر الحشرات لاستحالة جمعها والتي تبلغ وحدها حوالي مليون نوع او اكثر، أي اننا نتحدث عن حوالي ٤٠٠ نوع من الدواب غير الحشرات سيجمع من كل منها زوجين أي (أربعة افراد) اذا نحن نتكلم عن ١٦٠٠ فرد من الحيوانات يجب جمعهم ، نصفهم علي الأقل من الحيوانات المفترسة التي يستحيل القبض عليها حية مثل الثعابين والعقارب والتماسيح، ويجب ن نضع في الاعتبار ان ٧٠% من تلك الأنواع كانت متفرقة في العالم ولا يمكن لأهل الرافدين (عشرة افراد فقط) ان يسافروا حول العالم لإحضارها، والعجيب ان انصار هذا الرأي يحاولون تبريره بأي شكل اذ يقولون ان الله تعالي سخر الملائكة لاحضار الحيوانات وادخالها في السفينة طواعية وهو امر مبالغ فيه ، اذا علمنا انه لا يوجد أي دليل نصي من القرن او الحديث يؤكد ذلك من قريب او من بعيد ، والصحيح هو الالتزام بما جاء بالقرآن علي النحو التالي:

قوله تعالي (من كل زوجين اثنين) لا يعني من كل الأشياء لان ذلك أيضا سيتضمن البذور والنباتات لان الطوفان سيدمر العالم – وفقا للنظرية الفاسدة- ولكن الاصح والاقرب للعقل هو ان الله تعالي امر نوح باخذ قائمة محددة من الأشياء معه مثل الماشية والغنم والبقر والاحصنة والماعز والدواجن وهي اللازمة لبدء الحياة بعد الطوفان وللغذاء اثناء الرحلة وبعدها، وعليه فقد امره تعالي ان يأخذ من كل (أي كل الأنواع التي حددها له) زوجين اثنين ، و(اثنين) هنا للتاكيد علي العدد القليل لعدم اتساع السفينة لاكثر من ذلك ، ومن ناحية اخري فان زوجين كافين جدا للتزاوج وإعادة التكاثر بعد ذلك ، كما ان البقر والغنم مفيد لحلب اللبن والدواجن للبيض، وغيرها ، ولا حاجة للطيور الأخرى التي حتما ستظل في السماء الي انتهاء الطوفان وبالطبع فان الأسماء لن تتضرر من الطوفان وسيمكن صيدها بعد ذلك،

ومن ناحية اخري فان الطريق الذي ستعبره السفينة ليس طويلا حيث ان البقعة التي اغرقها الطوفان – كما بينا – ليست واسعة جدا اذا ان باقي الحيوانات ستهاجر حتما من الأراضي المحيطة الي مكان الطوفان بعد جفاف الماء عبر الشهور والسنين وستبدا الحياه من جديد.

□صفات السفينة

تذكر التوراة ان السفينة كانت بطول ٣٠٠ ذراعا (٢١٠ متر) وعرض ٥٠ ذراعا وارتفاع ٣٠ ذراعا ، أي اننا ننظر الي سفينة حربية أمريكية ، و التوراة في هذا الموضع لم تأخذ هذه الاطوال من اقوال رسل بل ان كتبة التوراة نقلوا من ملحمة جلجامش ثم قاموا بتعديل بعض الأرقام لتتفق مع الاعتقاد بانه جمع كل الأنواع الحية في السفينة وعلي ذلك لابد ان تكون ضخمة بهذه الصورة وهو الامر الذي لا يمكن قبوله، وعلي ذلك سنحاول تخيل ابعاد السفينة بما يتسق مع هذه العصر وبالشكل المعقول..

١) اذا افترضنا ان السفينة ستكون مخصصة لحمل عدد من الأفراد يقل عن ٢٠ شخصا ، بالإضافة الي أربعة من كل نوع من الحيوانات اللازمة والضرورية (غنم +ماعز+بقر+دواجن) أي ما يقارب عشرين حيوانا بأحجام مختلفة، بالاضافة الي بعض المؤن والغذاء للتخزين كالقمح والشعير وطعام مؤقت للحيوانات، فان المساحة الاجمالية لسكن التي نحتاجها حوالي ١٧٠ متر مكعب.

٢)الطول المناسب للسفينة يمكن ان يكون حوالي ٢٥ مترا والعرض ١٠ متر لتوفير الاستقرار والارتفاع الداخلي (المسافة الراسية من الأرض للسقف) ٣ امتار كمتوسط وهذا يسمح للإنسان بالوقوف بحرية ويوفر مساحة كافية للحيوانات الكبيرة واقفاص الطيور مع بقاء مساحة للممرات والطعام.

٣)الطابق الواحد كاف ولا يحتاج لطابق اخر خاصة اذا كانت السفينة مبنية بتقنيات بدائية وبعمالة قليلة جدا ، والخشب المتوفر والذي يمكن الحصول عليه في هذا الوقت والأدوات المتاحة أيضا،

٤) الوصف القرآني للسفينة اقتصر علي قوله تعالي: (وحملناه علي ذات الواح ودسر – القمر) ومن هذا الوصف نفهم التالي:

الدسر : في لغة العرب هي ما يشد به الالواح فيقال كل ما شد به شيء فقد دسر – لسان العرب لابن منظور، ويستعمل اللفظ خصوصا في السفينة والقصد انه (المسمار) او أداة ربط وتثبيت الالواح مع بعضها، ولكن هل كانت المسامير معروفة قبل ٥٠٠٠ سنة في بلاد الرافدين،

الحقيقة ان هناك اكتشافات بالفعل في بلاد سومر لقطع مسامير من سبائك نحاسية عثر عليها في تل العبيد (جنوب العراق) تعود تقريبا لحوالي ٢٥٠٠ ق.م وهو دليل قوي انها كانت موجودة قبل ذلك ربما بشكل اكثر بدائية ، والحقيقة انها كانت مختلفة عن شكلها الحالي فكانت اقرب للاوتاد سميكة وقصيرة نسبيا وذات ساق مربعة او مستطيلة وكانت غالبا تصنع من النحاس او القصدير (برونز بدائي) .

اذا يمكن تخيل شكل الوصف القرآني بذات الواح ودسر بانها سفينة بدائية جدا عبارة عن الواح خشبية ضخمة غالبا خشب النخيل والقصب لأنهما فقط ما كان متاحا في حوض النهرين وهو ضعيف ولكن سيؤدي الغرض- مربوطة بالمسامير السومرية القديمة بشكل شبه احترافي ، ولم تكن تحتوي علي تفاصيل كثيرة الا الجوانب المهمة لأداء الهدف منها ، أي طابق واحد ضخم بطول ٢٥ متر يغطيه سقف خشبي للحماية من الامطار وللسكن ، ومقسم من الداخل لحجرات واقفاص للحيوانات وأجزاء لتخزين الغذاء والمؤن وجزء لسكن الأفراد ، ولا توجد أي دفات او منصات قيادة حيث ان السفينة لم تكن مفترض ان تقاد يدويا بل ستعتمد علي الرياح والمياه لتحملها الي حيث أراد الله تعالي لها ان تستقر، ولم تكن هناك شراع وهذا التزام تام بالوصف القرآني ولا حاجة للزيادة عليه.

شكل تخيلي للسفينة من الداخل يوضح أماكن لسكن الحيوانات وأماكن لتخزين الغذاء ، المؤن الضرورية ومـ ـاحات لسكن آلافراد وتحتوي فقط علي التفاصيل الأساسية والمهمة.



مسار السفينة ومكان الهبوط

لتحديد مكان الهبوط لا بد أولا من معرفة مكان الإقلاع واتجاه الحركة وسرعتها ، وزمن الرحلة ،ثم ترجيح الأماكن المطابقة للمواصفات في منطقة الهبوط المرجحة..

أولا: مكان الإقلاع:

لم يعطنا القرآن وصف لمكان الإقلاع ، ولكن بالاعتماد علي النصوص السومرية يمكن تحديد دائرة صغيره لمنطقة التي حدث فيها الطوفان وهي غالبا (جنوب) بلاد الرافدين ، وهي الواقعة بين السهل الرسوبي الأردني بين (شروباك واوروك و لجش) قرب مصب دجلة والفرات القديم، لان هذه هي ادني نقطة ارتفاع وبالتالي ستكون اول منطقة تغمر بالمياه وتجتمع بها المياه الجوفية ومياة الأنهار وتوجد بها مصادر الخشب (القصب) والخبرة النهرية وتطابق أيضا النصوص السومرية .

ثانيا: اتجاه السير: هو غالبا اتجاه الرياح التي ستتكفل بحمل السفينة علي مسارها وهي معروفة جغرافيا في تلك المنطقة بانها (رياح شمالية او شمالية غربية) تهب من الاناضول شمالا نحو الخليج وهي قوية وثابتة نسبيا ،

اذا لو انطلقت السفينة بعد غمر المنطقة بالمياه تماما ، وهي غير موجهة بدفة او شراع ، متروكة بالكامل للرياح والتيار، فإنها ستندفع جنوبا / جنوب شرق،

ولكن لماذا نستبعد اتجاهها نحو الخليج؟

لان الخليج وقتها لم يكن مفتوحا كما هو اليوم ، مستوي البحر كان اقل وساحله ابعد جنوبا ومع الفيضان المياه تنتشر جانبيا وتتصادم مع مرتفعات زاغروس شرقا والهضبة العربية غربا والنتيجة هي حركة المياه تصبح دوامية والسفينة ستبدا بالتحرك شمالا تدريجيا مع انحسار المياه .

اذا الاتجاه المنطقي النهائي هو : ان السفينة تساق نحو المرتفعات (مطابق للقران والنصوص) الي الشمال او الشمال الشرقي نحو سفوح زاغروس – او شمال الرافدين

بالنسبة لزاغروس : هو احتمال منطقي جدا ، لأنه اول ارض ترتفع بسهولة ويقع خارج السهل الرسوبي وتستقبل المياه المنسحبة ، كما انه قريب نسبيا من موضع الإقلاع ، وليست بحاجة لعبور بحار مفتوحة ، أي لا داعي لرحلة طويلة .

ثالثا: مكان الرسو:

هذه تعتبر جوهر البحث في قصة (نوح) وهي النقطة التي لاقت بحثا كثيرا ..

١)القرآن ذكر المكان الذي استقرت فيه السفينة قوله تعالي (واستوت علي الجودي) ولذلك علينا ان نفصل الوصف القرآني:

أولا الفعل (استوت) : استوي أي اعتدل واستقر واستقام ، واستوي علي الشيء أي علا عليه واستقر – تاج العروس ، واستوت السفينة أي وقفت بعد الجريان ويفيد الاستقرار بعد الحركة، وفي تفسيرهم استوت علي الجودي أي استقرت علي موضع مرتفع.

ثانيا: الجودي: كثيرا من الباحثين اعتمدوا علي ان (الجودي) هو اسم الجبل الذي استوت عليه السفينة ، ولكن الجودي في العربية من جذر ج و د ويعني الكثرة والسعة والعطاء وبعض اهل اللغة أشاروا الي ان الجودي يدل علي موضع كثير الماء او الخير من المرتفعات ، واذا اعتمدنا علي الاسم كعلم وليس صفة فهو امر محير جدا لان هناك اكثر من جبل سمي بهذا الاسم ، ولكن بغض النظر عن الاسم سنحاول أولا تحديد المواقع المنطقية للرسو وفقا للاتجاه الذي حددناه للسفينة والمسافة التي ستقطعها..

١) المسافة التي قطعتها السفينة:

ان تحديد المسافة مرتبط بعدد الأيام التي سارت فيها وسرعة الرياح،

من ناحية نفهم من القرآن ان السفينة بدأت في الاستقرار بعد ان جفت المياه او بدا منسوبها يقل وينخفض وذلك من قوله تعالي (وقلنا يا ارض ابلعي ماؤك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت علي الجودي) ، أي استقرت بعد ان انخفض منسوبها وبالتالي انخفضت السفينة العائمة علي السطح مع نزول السطح لأسفل ، ثم وصلت لمرتفع او هضبة واستقرت عليه، اذا فان السفينة ظلت تسبح طوال مدة الطوفان ، وقد قلنا سابقا ان الطوفان قد يستمر أسبوعين الي ثلاثة اسابيع قبل ان تبدا الارض في امتصاص المياه بعد توقف السيول والمياه المتفجرة من الارض، واسبوع علي الاقل حتي ينخفض منسوب المياه وتستقر السفينة ، ولكن الي أين قد تصل السفينة التي ظلت تبحر اربعة اسابيع تقريبا؟

السرعة المعتادة للرياح (شمالية شرقية) هي ٥ الي ١٠ كم/ساعة ، بالإضافة الي ان مياة الفيضان ستتجه جنوبا – جنوب شرق بانحراف بسيط نحو السهل الرسوبي، بمتوسط سرعة ٣ كم/ساعة ،

وبالنظر الي نوع السفينة التقليدية الخشبية والغير موجهة بدفة او شراع، فيمكن حساب السرعة تقريبيا ٢ الي ٤ كم/ساعة ، وبحساب هذه المعطيات ٢٤ ساعة ضرب السرعة ٣كم ، أي انها ستقطع حوالي ٧٢ كم يوميا، أي خلال شهر ستكون قد سارت ٢١٦٠ كم ولكن يجب الوضع في الاعتبار الانحرافات بسبب المياه والامواج والتي ستجعل الخط الذي ستقطعه السفينة متعرج وغير مستقيم وبالتالي ستكون المسافة اقل قليلا ،

٢) اذا أين ستتوقف السفينة؟

كما عرفنا انها يجب ان تستقر علي هضبة ثابتة فوق مستوي الفيضان ، وهذا مناسب جدا لان يكون احد الاختيارات التالية:

اذا كان مكان منخفض نسبيا (ليس قمم شاهقة ١٠٠ متر) : فان جنوب ووسط العراق بين دجلة والفرات سيكون مناسب، وبالتالي فان الهضبة المرجحة للرسو:

١- هضبة جبل (الجودي) : وهي بالفعل معروفة بهذا الاسم، وهي تقع تقريبا عند سفوح زاغروس الجنوبية قرب محافظة (شرناق) شمال تركيا الحالية وترتفع حوالي ٥٠٠ متر فوق سطح البحر . وتمتد الهضبة عدة كيلومترات مع انحدار لطيف نحو السهل الرسوبي ،

٢- هضبة جبل (سيران) – هضبة ابيل الغربية) : شمال العراق ، ترتفع ٥٠٠ متر فوق سطح البحر وممكن جدا ان تكون اول ارتفاع يظهر بعد انحسار المياه.

٣-هضبة (جبل كرد) – حدود العراق وجنوب شرق تركيا: كردستان . وترتفع حوالي ٥٥٠ م

هذه المواقع ترجيحية فقط وبقي ان نذكر ان الباحثين قاموا بترجيح عدة هضاب لتكون المقصودة بالجودي وأشاروا الي اثار حقيقية يعتقد انها تعود لسفينة نوح ولكن يبقي السؤال. هل يمكن لهذه السفينة ان تبقي حتي اليوم؟

سنحاول الرد علي السؤال في عدة نقاط:

١- طبيعة الاخشاب التي كانت متاحة في الرافدين والتي يجب ان تكون هي المستخدمة في بناء السفينة ، تحدد اذا كانت قابلة للبقاء ٥٠٠٠ سنة بعد الرسو، والمعروف ان الاخشاب المحلية التي كانت متاحة وقتها تنحصر في :

-نخيل : قوي نسبيا للالواح الصغيرة لكن اليافه ضعيفة بالمقارنة بالارز او العرعر .

-قصب(بوص): يستخدم للقوارب الصغيرة او التدعيم وهو غير متين للبقاء آلاف السنين .

-اخشاب مستوردة: ارز من لبنان وسرو/عرر من زاغروس والاناضول ، وهي متينة نسبيا ومقاومة للماء واكثر احتمالا للبقاء، ولكن امر مستبعد جدا ان يكون (نوح) قد اشتري اخشابا بكميات ضخمة وهو امر متعذر جدا في هذا الوقت ان يجد كل هذه الكمية من اخشاب مستوردة وخاصة انه يحتاج أموالا طائلة او سلع للاستبدال بالخشب، إضافة الي انه كان منبوذا من قومه ومن الصعب تخيل انه سيتم بيعه تلك الاخشاب الفاخرة.

اذا نستخلص ان الاخشاب المحلية هي التي كانت مستخدمة اذ انه لم يكن ينوي بناء سفينة تبقي عقودا كسفن التجارة والسفر كما ان مسالة السفن الضخمة لم تكن معهودة في هذا الوقت اذ كانت السفن قاصرة علي قوارب تسير في الأنهار فقط.

٢- طبيعة المناخ الذي بقيت فيه السفينة : سهل رسوبي بين دجلة والفرات وتربته طينية وغنية بالرواسب ورطوبة عالية ، ودرجات حرارة عالية صيفا وباردة معتدلة شتاء، هي أمور لا تدعم إمكانية البقاء ، فالرطوبة لا تساعد علي التحنيط المؤقت – مثل السفن النهرية الباقية في المستنقعات – والحرارة العالية تؤدي لسرعة تحلل الخشب الضعيف المستخدم ،كما ان التربة الرسوبية المتحركة والفيضانات المستمرة تدمر أي هيكل خشبي مع مرور الوقت،

الخلاصة اذا : انه امر غير محتمل بشكل كبير ان تبقي السفينة قائمة لمدة ٥٠٠٠ سنة وكل ما يمكن أيجاده مجرد اثار قليلة فقط اذا علمنا موقع الرسو بالتحديد الدقيق وهو امر صعب جدا.

□العالم وقت الطوفان (حوالي ٣٠٠٠ ق.م)

سبق ان تحدثنا عن بطلان نظرية الطوفان العالمي واغراق العالم بأكمله والذ يعني ان جميع الحضارات القديمة قد بدأت من الصفر بعد الطوفان ، والأكثر عجبا ف النظرية هو الادعاء بان العالم كله قد بدا من العشرين فردا الذين نجو من الطوفان ، مكذبين كل التاريخ الموثق والذي يقطع بان الحضارات في هذا الوقت كانت قد بدأت في الازدهار وان سكان العالم بعد الطوفان مباشرة كانوا قد وضعوا أسس دولا قوية ومعروفة واثارها تملا العالم منذ هذا الوقت ولنستعرض شكل العالم وقت حدوث الطوفان والذي استمر في السير في خط واحد وصولا الي يومنا هذا..

١) عيلام (جنوب غرب أيران) :

مملكة قائمة عاصمتها (سوسة) ولها لغة وثقافة مستقلة عن سومر وتفاعل تجاري مع العالم وصراعات عسكرية.

٢)مصر المبكرة بداية عصر الاسرات:

تم توحيد مصر علي يد الملك (مينا/نارمر) حوالي ٣١٠٠ ق.م أي قبل الطوفان بشكل قاطع وتم إقامة دولة موحدة وحضارة ظاهرة الملامح، عاصمتها (منف) ، ونظام حدكم مركزي قوي يحوي كافة مظاهر الإدارة من ضرائب وجيش نظامي موحد ، وقد ظهرت الكتابة (الهيروغليفية) و عرف البناء المعماري المتقدم والذي استمرت اثاره متصلة حتي عصرنا الحالي ، ولا يوجد أي انقطاع في السرد التاريخي المصري حتي اليوم ولا يوجد أي إشارة الي بداية من الصفر بعد هذا التاريخ. والثابت ان الحضارة المصرية في هذا الوقت كانت اكثر استقرارا سياسيا واكثر ثباتا إداريا من بلاد الرافدين.

٣) الشام (بلاد كنعان وسوريا) :

كانت مدن محصنة لم ترتق الي الدولة والممالك حتي هذا الوقت مثل ، (اريحا) وهي من اقدم مدن العالم قاطبة و (مجدو) و (بيبلوس) ، وكلها مدن مشأيخ وزعماء محليون .

٤) الاناضول (تركيا حاليا):

مجتمعات زراعية متقدمة ولا توجد ممالك واضحة وهناك مواقع قديمة باقية كاثار من حضارات اقدم منها مثل (تشاتالهيوك) .

٥) الصين :

ثقافة لونغشان ، قري زراعية ولا توجد دول مركزية بعد ولا كتابة رسمية.

٦) أوروبا: يعتقد ان ببناء (ستونهينج) بدا في هذه الحقبة (٢٥٠٠ق.م) ولا يعرف الحضارة التي عاشت هناك.

الفصل الثالث

العرب البائدة

هود

هل كان قوم عاد عمالقة

البحث عن مدينة ارم

التصور الواقعي للعذاب

من اصعب البحوث الأثرية والتاريخية التي تمت عي محاولة تعقب حضارات بائدة قد اختفت تحت بحار من الرمال الشاسعة وطبقات متعاقبة من العصور ضاعت في صحراء الربع الخالي ، ونسجت حولها اساطير ، عن مدن عظيمة كانت قائمة وسط الصحراء ثم اختفت فجأة دون اثر...

ان من اكثر الحضارات بحثا هي حضارة (عاد) والتي لم تجد لها أي سجل تاريخي او نصوص او إشارات من الشعوب التي جاورت تلك المنطقة عبر العصور ، والاسم الذي لدينا ليس له ذكر الا في القرآن الكريم وكان الله تعالي يخبرنا عن حضارة عاشت هنا وازدهرت ثم اختفت فجأة دون اثر، خصوصا ان أنبياء هذه الفترة لم يتم ذكرهم في التوراة.

ان أنبياء العرب البائدة (هود ، صالح ، شعيب) جاءوا بتتابع ، مع شعوب كانت احداها اسلافا للأخرى، فالقرآن يخبرنا عن شعوب عاد التي سكنت منطقة تسمي (الاحقاف) والتي لا يوجد دليل اكيد علي مكانها اليوم، والتي كانت سلفا لعادا الثانية (ثمود) وهم من الواضح ليسوا ثمود المعروفين تاريخيا اليوم من سكان منطقة (الحجر) كما سنوضح انما هم احفاد ثمود التي ذكرت في القرآن..

في هذا البحث الشاق سنحاول أيجاد أي إثر في الاساطير والحفريات والسجلات التاريخية عن أقرب ما يكون لهذه الشعوب..

عـــاد الاولي

كما قلنا فانه لم يرد أي ذكر لشعوب عاشت في الربع الخالي بعد الطوفان خلال الف سنة كاملة (ما بين ٣٠٠٠ و ٢٠٠٠ ق.م) الا بالقرآن ، ولم يعرف التاريخ الموثق حضارات في تلك الفترة الا السومرية والمصرية وحضارات أيران والشام والهند الي الصين وأوروبا، ولكن لم تزل الشعوب التي سكنت صحراء شبه الجزيرة العربية مجهولة وكل ما يعرف عنها هو انها عاشت حياة بدوية متنقلة ولم تنشأ لهم ممالك او دول قوية معروفة.

ولكن الامر الذي لا يمكن انكاره تاريخيا هو ان شعوب (سومر) التي عاشت بين النهرين في المدن التي تم تأسيسها بعد الطوفان – علي نفس أسماء المدن قبل الطوفان ولو في أماكن مختلفة – والتي ارتحلت تدريجيا

وهاجرت منها اعدادا كبيرة كما هو الطابع المعروف للبشر خاصة في العصور القديمة وهو الارتحال الدائم، فقد وصلت تلك الشعب الرافدية الي صحراء الربع الخالي خلال ما يقرب من ٥٠٠ عام التالية للطوفان علي مراحل ، وعاشت هناك وتكيفت مع تلك لمناطق الصحراوية الجافة ، ثم بدأت في تكوين ثقافة خاصة بها مع الاحتفاظ ببعض ما اكتسبته من مواطنها الاصلية .

اذا ليس لدينا أي ادلة سوي القرآن لرسم ملامح هذه الشعوب ومن ثم البحث عن أي دليل يقود اليها، ولذلك سنحاول افراغ كل ذكر لعاد في القرآن الكريم في عدة نقاط..

قوله تعالي : واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح – الأعراف ٦٩)

ومنه نتأكد ان قوم عاد كانوا من ذرية ما بقي من الطوفان مع نوح عليه السلام ، فالخلف هو ما يحل محل السلف، أي انهم من باقي ذرية نوح .

قوله تعالي: أتبنون بكل ريع اية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون – الشعراء ١٩٦) :

أولا : الريع ، في لغة العرب هو الزيادة والعلو وما يعود نفعه باستمرار، ويستعمل غالبا لما يدر دخلا متكررا فيقال (ريع الأرض) لان ثمارها تنتج باستمرار ولا تنفذ - لسان العرب

ولا يستعمل اللفظ مع كل مكسب فحسب انما كما قلنا المستمر المتكرر،

ويستخدم الريع أيضا لوصف المكان المرتفع من الأرض او كل ما علا وظهر وهو استعمال عربي فصيح لكنه اقل شيوعا في الاستعمال وهو معني معروف عند اهل البادية - ابن منظور – لسان العرب ، والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروز بادي .

وفي الآية السابقة لا يمكن استخدام كلا المعنيين ، فيستقيم القول اذا كان بمعني بناء اية او نصب عالي علي كل (مكان مرتفع) ولكن اذا قلنا انهم يستخدمون الريع (الثمار) في بناء آيات ، ولا يمكن ان نفهم من الريع المكاسب المالية مقابل بيع الثمار لان السائد في ذلك الوقت – لو افترضنا تجارة مع الشعوب المجاورة – هو نظام المقايضة ولم يكن العملات النقدية معروفة بعد علي الأقل في تلك المنطقة،

ثانيا: (اية) في اللغة هي العلامة والدلالة وهو الأصل العام في المعاجم، وهي العلامة التي تعرف بها الأشياء وكل ما دل علي غيره دلالة واضحة، وهي أيضا (الامر العجيب الظاهر) والملفت للنظر ، وتستعمل كذلك للبناء او الشيء المنصوب علامة .

والخلاصة هنا ، ان الآية هي البناء العظيم الظاهر والمثير للأعجاب والدال علي قوة بانيه .

ثالثا: تعبثون: من العبث وهو الفعل بلا غاية صحيحة او بلا نظام او فائدة - لسان العرب، وهو اللعب فيما موضع الجد والخلاصة هو القدرة الموجهة في المكان الخاطئ.

والمقصود هنا هو بناء آيات (مباني شاهقة) بدون فائدة ترجي او عائد ينتفع به الناس ، وقد عايننا ذلك في عصرنا من حكام الدول الفاسدين الذين يهدرون أموال البلاد في بناء مشاريع لا تعود علي الناس بفائدة خاصة اذا كانوا يعيشون في فقر وحاجة.

قوله تعالي : واذا بطشتم بطشتم جبارين – الشعراء ١٣٠

بطشتم : من البطش وهو يدل علي الشدة والقوة والقهر والاقتدار علي الاخرين ، وهو الشدة والبطولة في القتل والجهاد والغلظة في الفعل – لسان العرب، ويدل علي الهيمنة والقوة في الفعل – تاج العروس

ولكن ما المعني المراد في الآية، هل البطش في مواجهة الشعوب المجاورة أي الغزو والتدمير ، ام البطش الداخلي بمعني الجبروت والقهر للشعب نفسه ؟ لنفهم الكلمة التالية أولا..

جبارين: الجبار في اللغة هو القوي المتغلب وقد يكون حاكما مستبدا ، وهو القاهر المسيطر الذي يفرض ارادته بالقوة ، وفي استعمال القرآن، ورد قوله تعالي (وتلك عادا جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد – هود) والمقصود هنا بعاد ليس السلطة أي النخبة المسيطرة ولكن الشعب نفسه الذي (اتبع امر) الجبارين منهم وهذا دليل علي ان البطش والتجبر مقصود به داخل الدولة أي من الحكام تجاه شعوبهم،

قوله تعالي: اتقوا الذي امدكم بما تعلمون، امدكم بأنعام وبنين ،وجنات وعيون – الشعراء ١٣٥

والمفهوم من الآية ان تلك البلاد كانت غنية بالجنات والعيون والمزارع وهو الامر الغريب في بيئة صحراوية قاحلة ، ويتبين من الآية أيضا (ما تعلمون) انهم قد تحصلوا علي معرفة بأمور ما تفوق العلم المتوفر في هذا الوقت . ولنفصل ما سبق ..

ان منطقة الاحقاف شرق اليمن – الأكثر ترجيحا لمكان قوم عاد - اليوم هي صحراء شديدة الجفاف ، كثبان رملية ضخمة ومتراكمة ، وامطار نادرة جدا ولا توجد بها انهار دائمة في غياب تام للزراعة المستقرة كذلك فالمياه الجوفية نادرة ومحدودة ، ولكن هل كانت هذه المنطقة دائما بهذا الوصف؟

حضارة قوم عاد

ان التاريخ القريب لوجود قوم عاد يتراوح ما بين ٣٠٠٠ و ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، والدراسات التاريخية الجيولوجية ترجح كون هذه المنطقة اكثر رطوبة نسبيا من اليوم ،كانت هناك امطار موسمية متقطعة وفترات مطر أطول من العصر الخالي (الفترة الرطبة العربية) ، ومن حيث توفر المياه فكانت توجد اودية موسمية وسيول دورية ، واحتمال وجود خزانات مياه جوفية اقرب للسطح ولا يوجد دليل مؤكد علي انهار دائمة كدجلة والفرات.

من حيث الغطاء النباتي فكان اكثر كثافة من اليوم وهو اقرب لمزارع موسمية واشجار متناثرة _اكاسيا ، سدر بري) مما يسمح بالرعي واستقرار بشري محدود.

الفرضية التي امامنا الان ، هي ان قوم عاد قد قاموا بعمل معجزة هندسية ومعمارية بمعطيات عصرهم في وسط الصحراء ليقوموا بتأسيس نظام ري دائم ومستقر مما يسمح لهم بعمل نظام زراعي مستقر وقنوات مائية لا تنقطع، ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك؟

١) أولا اختيار المكان المناسب والذي يدعم ولو القليل من المياه الجوفية وارض طينية او طميية متماسكة لحفظ المياه نسبيا،

٢)نظام تجميع السيول : النقطة الأهم ، عن طريق عمل سدود ترابية او حجرية وحواجز منخفضة متدرجة وقنوات حجرية مفتوحة ،

٣) السيول الموسمية – حتي لو كانت مرة او مرتين بالسنة – تحجز خلف السدود ويتم ترسيب الطمي وتشبع التربة بالمياه وتغذية المياه الجوفية ، وهذه التقنية كانت معروفة في جنوب الجزيرة واليمن القديم وفي حضارات ما قبل السدود.

٤)تحويل المياه الجوفية الي نظام دائم: هنا تكمن المعجزة، فالإبار المتصلة ' وهي ابار رأسية وحفر توصلها قناة أفقية خفيفة الميل وتنقل الماء بالجاذبية فقط بدون الات ، هذا النظام معروف في فارس لاحقا – لكن ممكن

نظريا قبلها بقرون، ومن ثم يتم التحكم في ملوحة المياه وتركيز الري علي محاصيل تتحمل الملوحة مثل (النخيل ، الشعير ، البقوليات) .

٥) زراعة مستقرة: هذه المحاصيل بالذات تكون مناسبة جدا لنوع المياه المتاحة، وسيتم اعتماد نظام الزراعة المدرجة وتدوير المحاصيل ، وترك الأراضي تستريح، وهذا يمنع انهاك التربة والتصحر السريع ،



٦) الإدارة الاجتماعية: أي نظام اداري صارم للزراعة والري يقوم علي تقسيم لللمياه واوقات الري وسلطة مركزية تتحكم في كل هذا النظام.

بقي امر اخر وهو إمكانية وجود عيون مائية في هذه المنطقة مما يدعم استقرار النظام المائي وتدعيمه، وهو امر وارد جدا في هذا الوقت اذ اننا لا يمكننا الجزم بطبيعة المنطقة قبل ٢٠٠٠ قبل الميلاد فمعروف ان منطقة الاحقاف هي كثبان رملية متحركة مما يدعم إمكانية دفن عيون ووديان كاملة خلال قرون بل وانهار أيضا، ولم تدرس هذه المناطق دراسة ميدانية جدية حتي اليوم لصعوبة الامر وتكلفته العالية وهذا يؤكد احتمال وجود عيون مائية في هذه المنطقة في الوقت الذي نتحدث عنه.

قوله تعالي: واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح وزادكم في الخلق بسطة – الأعراف ٦٩

وصف قوم عاد (هل كانوا عمالقة)

هذه من الآيات التي لاقت جدلا ومبالغات كثيرة عبر العصور وتصورات بعيدة جدا لا تستند الي دليل ولنفصل المقصود في الآية..

أولا: زادكم في الخلق: فالخلق في اللغة يستعمل لوصف الهيئة والصورة الجسدية والقدرة علي التركيب والبنية - لسان العرب ، تاج العروس ، مقاييس اللغة

ثانيا: الاستعمال عند العرب ، ان يقال فلان زائد في الخلق او فيه بسطة في الخلق يعني طول او قوة او ضخامة جسدية وسعة في الأعضاء ،

ثالثا: البسطة: في اللغة تعني السعة والامتداد في الجسم والقوة والمال والسلطان فيقال رجل بسيط الخلق أي واسع الجثة وقوي البنية ، ولكن لا يوجد معيار لتحديد مقدار الزيادة المقصودة بكلمة (بسطة) والمفهوم انها زيادة متناسقة من كل الإبعاد بحيث لا يكون طول فقط او عرض فقط بل زيادة شاملة.

رابعا: الاستعمال في القرآن: مرة واحدة وردت بنفس اللفظ عن وصف (طالوت) ملكا علي اليهود في قوله تعالي (وزاده بسطة في العلم والجسم – البقرة) وواضح من التسمية القرآنية (طالوت) انه كان اكثر طولا من باقي قومه ، وهذا أيضا ما ورد في التوراة عن وصف ذلك الملك (شاول) انه كان طويل وجسيم كما سيرد في محله.

اذا المقصود هو الضخامة الجسمية وهذا متفق عليه ، اما ما زاده الناس من اساطير لا دليل عليها من ان قوم عاد كانوا من العمالقة وان اطوالهم وصلت لعشرة امتار واكثر فلا دليل عليه ابدا وهو لا يستوي مع العلم والمنطق، اذا ان قوما بهذه الحجم لا بد ان يكونوا قد جاءوا من أصول مماثلة لهم مما يسمح بانتقال الطفرة الجينية عبر الأجيال ومن ثم تمريرها للأجيال التالية ، ومن المتفق عليه أيضا عند المفسرين ان قوم ثمود هم احفاد قوم عاد ولم يذكر ابدا انهم كانوا عمالقة وهو المر الحتمي اذا كان اجدادهم عمالقة فالصفات الجينية الوراثية لا تتلاشي عبر جيل او جيلين فقط.

والخلاصة ان قوم عاد كانوا اضخم جثمانيا من باقي الشعوب وليس بالصورة الخيالية المتوقعة لكن ربما يصل طولهم الي ما يقارب المترين او يجاوزهما بقليل مع قوة بدنية ملحوظة



عمالقة كشمير كنموذج لشعوب عاشت بهذه الطفرة الجينية

اذا هل يمكننا ان نجد نسبا معروفا لقوم عاد ؟

الحقيقة ان العرب خاصة يعرفون انسابهم بتسلسل واتصال عجيب حتي اليوم ويتوارثون ذلك عبر الأجيال ولكن لابد ان نفهم ان هناك حد يقف عنده النسابون (علماء النسب) والذي تنقطع عنده الرواية المتسلسلة وهم ما نسميهم (بالعرب البائدة) ، وهم اقوام لم يعد لهم نسب معروف ولا قبائل حية تنسب اليهم ومن اشهرهم عند العرب : عاد ، ثمود، طسم، جديس، اميم، عبيل (مع اختلاف في عدهم) ، هؤلاء معروفون بالخبر فقط ، وهناك قول معروف عند النسابة ': ان ما كان قبل (عدنان) و (قحطان) اخبار لا انساب متصلة ، ولذلك فانهم يذكرون ثمود وعاد في كتب الاخبار والتفاسير لاحقا ولكن لا تبني عليهم سلاسل نسب .

وبعد ان فهمنا طبيعة قوم عاد وقربنا الصورة قليلا لننتقل الي موضوع البحث وهو أيجادهم في الجغرافيا والتاريخ..

☐الاحقاف

لقد جاءت التسمية من قوله تعالي: واذكر اخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف – الاحقاف ٢١

هذه المنطقة التي حددها القرآن لتكون مسرح قصة قوم عاد ، والحقيقة انه توجد منطقة بالفعل اليوم تسمي (بالأحقاف) ولكنها تسمية لاحقة علي احداث القصة وأيضا لان معظم الباحثين والمفسرين اتفقوا علي كونها الأكثر احتمالا لمطابقة احقاف القرآن..

أولا: الاحقاف في اللغة: الرمال الكثيفة والمعوجة المتموجة ويخرج من ذلك المناطق الصحراوية التي تتضمن جبالا وارض صخرية وحرات بركانية .

ثانيا: الاحقاف المعروفة :

هي المنطقة التي تقع شمال شرق حضرموت ، شرقي عدن وجنوب الربع الخالي من الجزيرة العربية ، وهي اكبر تجمع كثبان رملية في العالم ، وهذه المنطقة معروفة بهذا الاسم قبل الإسلام ، وهذا يدعم ترجيحها اذا ان القرآن جاء باسم يعرفه العرب جيدا في منطقتهم.

هذا الوصف لا ينطبق علي أي مكان بالعالم الا علي هذا الموضع من الربع الخالي بالذات ، ولنلخص الأدلة علي تحديد هذا المكان بالمقارنة مع باقي الجزيرة العربية بتقسيم الصحاري الموجودة بها كالتالي:

١) صحاري صخرية وحصوية (الغالبة):

وتسمي عند العرب (بالحرات) وهي حرات بركانية صخرية، (الحماد) وهي حصي وصخر مثل (حرة خيبر) و حرة(بني سليم) و (صحراء النفود) الصخرية بالشمال .وهي صلبة وقليلة الحركة ولا ينطبق عليها وصف الاحقاف بالمرة.

٢)صحاري رملية محدودة :

مثل (النفود الكبير) و (الدهناء) وهي مناطق رملية لكنها ليست كثيفة واقل امتدادا وتعقيدا وليست معوجة او متراكمة ولا تناسب وصف الاحقاف في اللغة.

٣)الاحقاف :

هي النوع النادر والمميز والوحيد في العالم ، وتحتوي علي كثبان رملية هائلة ومتداخلة وطويلة ومعوجة وشديدة الحركة. اذا كان اللفظ القرآني دقيق جدا بحيث حدد منطقة متفردة في العالم كله بلفظ واحد لا يمكن ان نخطئه.

اذا بعد ان حددنا النطاق الجغرافي الذي عاش فيه قوم اعد بقي ان نبحث المدينة التي اسسوها..

☐البحث عن ارم

ان النص القرآني كان متفردا ولا يوجد أي اثر او دليل تاريخي يمكن اتباعه لأيجاد هذه المدينة التي شكلت لغزا للباحثين – حتي غير المسلمين – لأيجاد مدينة اسطورية بنيت في الصحراء

ولنحاول استقاء اوصاف المدينة من النص القرآني فقط ..

قوله تعالي : الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد—لبروج)

اولا: من اللغة: لا يوجد أي جزر لكلمة (ارم) معروف في العربية او الثمودية او النبطية او العبرية او حتي السومرية، وواضح انه اسم (علم) لا يعرف اليوم اشتقاقا له، ولان المعلومات في هذا الوقت لم تكن تدون خاصة عند شعوب الصحراء والعرب البائدة فان أيجاد أي تطابق للمدينة مع مدن اخري معروفة قديما في هذا المكان لهو امر شبه مستحيل.

ثانيا: العماد في اللغة، الرفع والاستناد والاساس القوي، وهو ما يعتمد عليه في البناء او الركيزة والدعامة – لسان العرب

وهو يدل علي الصلابة والارتفاع والدعم – مقاييس اللغة

وفي الاستعمال العربي القديم، في العمارة يقال للأعمدة التي تحمل السقف .

ثالثا: ماذا تحمل الاعمدة: لا يمكن الاكتفاء بان المدينة كانت عبارة عن أعمدة ضخمة كثيرة فحسب اذ لابد من وجود وظيفة لهذه الاعمدة الضخمة والكثيرة ، ولنحاول تخيل ما يمكن للأعمدة حمله وفقا لهذا العصر..

١) معابد ضخمة: وهو امر شائع في بلاد الرافدين ومصر ، ولكنه ليس معروفا في الصحراء ، وحتي لو كان هناك حضارات قد سبقتهم اليه او كانت معاصرة لهم الا انه لازال لهم السبق في انجاز ذلك في وسط الصحراء ولم يعرف ان شعبا في العالم قد فعل ذلك قبلهم،

ومفاد هذا التصور هو انهم انشئوا معابد ضخمة تحملها أعمدة طويلة وكثيرة شبيهة بالمعابد الفرعونية وظيفتها دعم الطوابق والاسقف واستقرار البناء ضد الرياح.

٢) الأبراج او المشاهد المرتفعة:

وهو مطابق للإشارة القرآنية (تبنون بكل ريع اية) وقد بينا ان (ريع) تستعمل للاماكن العالية ، وهي أبراج مراقبة او حصون عالية.

واختار التعبير القرآني لفظ (ذات العماد) للإشارة الي ما يميز المدينة عما حولها اذ من غير المألوف في شبه الجزيرة العربية وخاصة الربع الخالي ان توجد به مثل هذه البنايات والامر المميز والمرئي فيها هو الاعمدة ولو لم تكن هي نفسها الغرض من البناء ولكن مجرد داعم له لكن لطولها وارتفاعها تكون هي السمة المميزة له.

رابعا: استخدام لفظ (يخلق) بدلا من (يبني) في الآية (التي لم يخلق مثلها في البلاد):

من ناحية فان الوصف القرآني لم يكن مقصود به فقط البناء والاعمدة في تمييز المدينة ولكن أيضا الشعوب الساكنة فيها وهم كما قلنا أطول وعرض من الشعوب المجاورة ، كذلك فان القرآن يذكر انهم أعطوا علما (امدكم بما تعلمون) ربما متقدم قليلا عمن حولهم ولا يجب المبالغة هنا لإعطائهم علوم وتكنولوجيا متقدمة مثل اساطير (أطلنتس) ، ويكفي في ذلك اذا كانوا قد توصلوا لتقنية هندسية تمكنهم من إدارة المياه وتخزينها في طبيعة صحراوية قاسية كالأحقاف وندرة في المياه، ومن الوارد أيضا ان يكون لديهم علوم اخري مثل الفلك ، ومن المؤكد انهم كانت لديهم صناعات (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) من مواد ربما احتكروها وقاموا تصديرها عبر التجارة مع الشعوب المجاورة ، ومن المعروف ان التجارة كانت من اكثر الموارد اثراءا في هذا الوقت وطالما امتلكوا صناعات مختلفة (اللبان ، المر ، الحرير ، المحاصيل) فان ذلك سيحقق ثراءا كبيرا لهم ويدعم قوتهم.

اذا الخلاصة في امر مدينة (ارم) انه يمكن تصورها بالصورة التالية:

١)المدينة ليست اسطورية بالشكل الذي نجده في كتب السلف وعلي الأنترنت ، ولكنها تعتبر استثناء لم ير من قبل في وسط الصحراء في هذا العصر . وعلي ذلك يكون اصطلاح (لم يخلق مثلها في البلاد) مقصود به انها لم تكن معهودة من قبل بهذه الحضارة في هذا العصر وما قبله من العصور، ولكنها لا تعني (لن يخلق مثلها) لان الحضارة التي وصلوا اليها قد تم تجاوزها بعد ذلك علي مر العصور ، اذا التعبير موجه للماضي والحاضر وليس للمستقبل.

٢) مسالة التغلب علي نقص المياه في الصحراء في ذاتها تعتبر امرا خارقا للعادة وكفيل وحده بإعطاء المدينة وصف التفرد ، فاذا افترضنا تحصلهم علي هندسة مائية لم تكن معروفة من قبل في بيئة صحراوية كالأحقاف فان هذا يطابق قوله تعالي (امدكم بما تعلمون) .

٣)الوصف القاطع (ذات العماد) يدل علي بنايات ضخمة من الحجر مثل المعابد المصرية والسومرية وغالبا قد تم تزيينها بشكل قريب مما نراه اليوم في (البتراء) او (مدائن صالح) ذات المنظر الجمالي الخلاب، وكما قلنا فالأعمدة ليست هي البناء في حد ذاته لنها كبيرة بما فيه الكفاية لتطغي علي المنظر العالم. وهو أيضا امر لم يكن مسبوق في البيئة الصحراوية القاحلة .



٤) من المحتمل جدا وجود أبراج عالية وحصون مرتفعة حول المدينة وهي في الغالب مسورة بسور قوي وهو أيضا ما لم يكن معهودا لدي الشعوب البدوية الصحراوية ان يبنوا مدنا في وسط الصحراء، ومن المرجح انهم قد امتلكوا قوة عسكرية شديدة وتقنيات حربية واسلحة .

٥) النظام الإداري : شعوب الصحراء كانت تعرف النظام القبلي وزعماء القبيلة ولكنها لم تعرف ابدا نظام الدولة لامركزية او النظام الإداري ، فاذا كنا نري ان قوم عاد قد اسسوا مدنا وحصونا ومعابد ضخمة فان الأكيد انهم كان لديهم نظام سياسي اداري شبيه بالدول وكانت لديهم شرطة وسجون لقمع الشعب (واذا بطشتم بطشتم جبارين) ومن الجائز أيضا انهم قد كانوا يغيرون علي القبائل المجاورة .

٦) ان الزيادة الطفيفة في أجساد السكان كلهم هو امر غير معهود وربما هو جزء من المعني المقصود (بلم يخلق مثلها في البلاد) ولكن كما قلنا هم لليسوا عمالقة بالمعني الأسطوري انم من الجائز ان يتجاوز طولهم المترين بقليل وهو شائع اليوم لكن الغير شائع ان تكون مدينة كاملة بهذا الطول .

☐ عذاب قوم عاد

أولا: النصوص الدالة علي العذاب وصفات الكارثة:

قوله تعالي: واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فتري القوم فيها صرعي كأنهم اعجاز نخل خاوية – الحاقة٧

قوله تعالي: فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات – فصلت ١٦

قوله تعالي: انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر – القمر ١٩

قوله تعالي : وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم – الذاريات ٤١

قوله تعالي: تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر – القمر ٢٠

ومن الآيات نستطيع تحديد صفات هذا العذاب..

١) ريحا صرصرا: في اللغة ، الصرصر من الصر وهو شدة البرد وشدة الصوت الناتج من الرياح ويشتد باشتداد العاصفة ويعني الصفير الحاد ويشبع العواء او الزئير الناتج عن احتكاك الرياح بالأجساد والرمال والصخور ، وهذا الصرير لا يظهر الا في الرياح القوية جدا واتي تسير بسرعات عالية – اكثر من ٩٠ كم /س – وكلما زادت سرعة الرياح كان الصوت مرعبا .

٢)الريح العقيم: في اللغة ، العقيم هو ما لا ينتج ولا يترتب عليه اثر نافع ، فيقال ارض عقيم أي لا تثمر ويوم عقيم أي لا خير فيه ، اما الريح العقيم فهي ريح لا تلقح سحابا ولا تنبت زرعا ولا تحمل مطرا ولا تأتي بخير فالعرب يقولون (رياح لواقح) أي تثير سحابا وتنزل المطر وتخصب الأرض و (ريح عقيم) لا فائدة فيها من ذلك بل تجفف الأرض وتدمر المحاصيل .

٣) يوم نحس: النحس يدل علي الشؤم وسوء العاقبة وشدة الأذى والضرر ، ويعني به ما يقع خلال هذا اليوم فيقال يوم نحس اذا وقعت فيه مصيبة عظيمة وبلاء شديد ، مثل مجاعة او قتل شديد ، ويوم نحس مستمر أي أيام متتالية تحدث فيها نفس الحدث لم ينته، فالقرآن يستخدم لفظ اليوم للدلالة علي حدث معين منذ بدايته الي نهايته .

٤)مدة العاصفة سبعة أيام وثمانية ليالي من الرياح المستمرة ومن المعروف ان الرياح قد تستمر لأسابيع ولكنه امر نادر ويرتبط بقوتها وظروف جوية خاصة.

٥) اعجاز نخل : والعجز في اللغة هو اسفل الشيء ومؤخره وما يبقي عند ذهاب أعلاه ، فعجز النخلة هو جزعها الذي يبقي علي الأرض بعد اقتلاع رأسها ، فتكون بلا سعف ولا رأس قائمة او مطروحة ارضا ومتيبسة .

و(منقعر) أي منحني لأسفل ويعني أيضا المقتلع من جزوره والشجر المنقعر هو المقتلع من جزوره .

٦) خاوية: الجزر خ و ي يعني الخلو والسقوط والفناء بعد الامتلاء وهي النخلة الخاوية من داخلها او ساقطة بلا حياة.

مما سبق نستطيع ان نجمع صورة كاملة لشكل العذاب الذي حل بقوم عاد ..



أولا: ان ما نتحدث عنه هنا هو عاصفة رملية بقوة تصل الي ١٢٠ كم/س وهو كفيل بقذف الرمال لاعلي وتغطي مسافات طويلة وهو شيء مرعب بالفعل اذا تخيلناه وقد ترفع أطنان من الرمال يوميا وهذه الكمية كافية لدفن مدينة كاملة تحت الرمال .

ثانيا: تأثيرها علي المباني: رياح بهذه القوة تحمل أطنان من الرمال ستكون ثقيلة جدا ومع قوتها ستصدم المباني وتترك اثارا عليها مثل الخدوش وهذه الاطنان من الرمال ستغطي المدينة سريعا وخلال سبعة أيام فان الرمال تتجمع عند سفوح المباني والاعمدة العالية ويصل ارتفاع الرمال في اليوم السابع الي ستة امتار وهذا يعني ان المباني السكنية ستدفن بالكامل ولا يري لها اثر اما القلاع والمعابد فسيظهر فقط الأجزاء العلوية منها كأطلال.

ثالثا: التأثير علي البشر: رياح عاتية بسرعة ١٢٠ كم/س في منطقة كثيفة الرمال كالأحقاف، فان الرمال ستتحرك بجسيمات دقيقة وصخور صغيرة ، هذه قوة ميكانيكية هائلة علي أي جسم بشري ، وهذا يرتب عدة نتائج علي البشر:

الرمال والجسيمات الصغيرة تتحرك بسرعات عالية جدا عند اصطدامها بالبشر تحدث جروحا عميقة بقصف ناعم متواصل يقطع الجلد كالسوط ، والصخور الصغيرة المتطايرة او الحصي قد يكسر العظام عند سرعة ١٠٠ كم/س ويثقب الأجساد كالرصاص ويسلخ الجلد في دقائق قليلة .

أيضا فان كثافة الغبار تجعل الرئة لا تستطيع تبادل الهواء ودخول الرمال الي الفم والانف والعينين يسبب اختناق سريع وفقدان وعي خلال دقائق، واذا استمرت الرياح لعشر دقائق اخري بدون مأوي فانهم معرضون للموت بسبب نقص الاكسجين والاجهاد التنفسي.

كذلك فان الصدمة الحرارية الناتجة عن الصحراء الجافة والرياح الساخنة تؤدي الي فقدان الماء بسرعة عبر الجلد والتنفس وتؤدي الي جفاف قاتل ، كذلك فانه مع الغبار ترتفع درجة حرارة الجسم او تنخفض مما يؤدي لصدمة فسيولوجية سريعة وفقدان القدرة علي الحركة او الهروب (اعجاز نخل).

خلال نصف ساعة فقط من هبوب العاصفة سيقتل كل الناس الذين كانوا في العراء ، اما الذين بقوا في المنازل او الحصون فسوف يدفنون احياء في بيوتهم خلال أيام ، اذا لم يقتل معظمهم بسبب الغبار الذي يدخل البيوت او الجفاف الشديد او قلة الاكسجين او مع الاحتكاك المستمر ستتآكل الجدران الضعيفة من الطين وتسقط ،

كذلك فان استمرار الرياح لمدة أسبوع بدون وجود مخزون غذاء داخل المنازل سيؤدي للموت جوعا او بسبب ما قد يصيبهم من امراض .





مكان ارم اليوم

قامت العديد من البحوث في الماضي لأيجاد مدينة ارم في الاحقاف ولكن لا شيء تم اكتشافه يشير الي وجود مدينة ذات حصون واعمدة في تلك المنطقة من الربع الخالي تعود لفترة ما بين ٣٠٠٠ الي ٢٥٠٠ قبل الميلاد وهي الفترة المرجحة لوجود قوم عاد، والحقيقة ان السبب في ذلك يرجع لعدة عوامل..

١)الكارثة المدمرة التي حدثت في هذا الزمن كانت كفيلة بدفن المدينة تماما بعد سبعة أيام الي ما يقارب الستة امتار فوق الأرض، و ظلت قمم الاعمدة والحصون بارزة ربما لمئات السنين بعدها ، بحيث يمكن ان نقول بثقة ان قوم (ثمود) اذا كانوا قد مروا بتلك المنطقة لأمكنهم رؤية اثار المدينة بعد مئة او مئتي عام . اما اليوم بمرور ما يقرب ٤٥٠٠ عام علي الكارثة فان الرياح المعتادة في منطقة الاحقاف والمستمرة موسميا والمحملة باطنان من التراب السميك كافية لإكمال الدفن التام للمدينة ويمكن حساب معدل الرمال التي تضعها الرياح خلال أربعة آلاف وخمسمائة سنة ليصل الي ارتفاع ٢٠ مترا فوق الأرض في الزمن الحالي ، مما يعني انه حتي الأبراج العالية والاعمدة الضخمة ستكون الان مدفونة تحت الرمال.

والحقيقة ان الأقمار الصناعية والرادارات العادية التي فحصت المنطقة لم تجد شيء مفيد وهذا منطقي لان تلك الأقمار لا تستطيع تحديد بالضبط ما هو تحت الرمال لمسافات بعيدة بدقة خصوصا تحت الرمال الكثيفة ولكن يمكن ذلك باستخدام الرادارات الفائقة والعميقة التي تخترق تحت الأرض لأعماق بعيدة وهذا ما لم يتم اختباره بعد..

الخلاصة اذا ان المدينة موجودة تحت رمال الاحقاف تنتظر من يكشف عنها – فقط بالصورة – اما إزالة الرمال فهو امر صعب جدا ويحتاج تكاليف لا تريد أي دولة تحملها اليوم.



العالم في زمن هود

بقي ان نتكلم عن شكل العالم الذي عاصر قوم عاد ، أي حوالي ٢٥٠٠ ق.م وهو تاريخ تقريبي لا يمكن الجزم به ولكن هناك هامش خطا حوالي ٢٠٠ عام قبله او بعده..

١)بلاد ما بين النهرين :

أولا: حضارة سومر:

جنوب العراق الحالي (اوروك ، لارسا ،اور) أي الدولة السومرية الثانية وقد كتبت قائمة الملوك بالفعل ، وتحوي مدنا كبيرة مدرجة ومعابد ضخمة (زاقوت) ونظام ري متقدم وكتابة مسمارية بدأت تترسخ ، أي كانت في اوج قوتها وتطورها . ووجود هذه التقنيات يدعم نقل قوم عاد لها وتطبيقها في مدنهم.

ثانيا: الحضارة الاكادية:

في مراحلها المبكرة ولكنها لم تكن تضاهي المدن السومرية.

٢)وادي النيل (مصر القديمة) :

الدولة القديمة – المملكة المصرية الثالثة، ومن المرجح ان الاهرامات قد تم بناءها او في مراحل التشييد مما يدل علي تقدم وحضارة قوية وكان هناك بلالطبع نظام اداري مركزي واقتصاد متقدم علي ضفاف النيل.

٣)وادي السند (حضارة الهند المبكرة):

حضارة (هارابا) في باكستان وشمال غرب الهند الحالي ، مدن مخططة مثل (هارابا) و(موهنجو) وشبكات صرف صحي متقدمة ومبان من الطوب الطيني المجفف ، أي ذروة الحضارة ومركز تجاري نشط وزراعي مزدهر.

٤) بلاد الشام (سوريا – فلسطين – لبنان):

المدن الكنعانية المبكرة ومدن صغيرة مثل (اريحا وبصري) ، ةتم استخدام الطوب اللبن والزراعة والحرف اليدوية والتجارة مع الرفدين ومصر بدات تتطور.

٥) حضارات الخليج العربي (أواسط الخليج):

مدن مبنية جزئيا من الطين والحجر ومتاثرة بالتجارة مع الرافدين ومصر.

الفصل الرابع

العرب البائدة

صالح

قوم ثمود

مدائن صالح

الناقة

العذاب

ان البحث عن ثمود قوم النبي صلي الله عليه وسلم صالح لهو أيسر قليلا من أيجاد قوم عاد الذين تم دفنهم جميعا تحت الرمال ، والحقيقة ان هناك إشارات في الكتابات والحضارات القديمة الي قوم بهذا الاسم وتوجد اليوم بعض الاثار التي تنسب لهم، ولكن قبل ان نبحث عن الشعب سنحاول أولا أيجاد المكان المطابق للوصف القرآني ..

□الحجر

قوله تعالي: ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين – الحجر ٨٠

قوله تعالي: وثمود الذين جبوا الصخر بالواد - البروج

قوله تعالي: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ – الأعراف ٧٤

قوله تعالي: وتنحتون الجبال بيوتا فارهين.

مما تقدم وصف المكان الذي عاشت به قوم ثمود ، وقد سماه القرآن (بالحجر) ولنحاول فهم صفاته كما يلي..

١)الحجر : في اللغة المنع والتحصين والاحاطة واخذ منه معني الصلابة ولهذا يقال (حجر عليه القاضي) أي منعه ، وفي المعاجم الحجر هو مكان محاط او منعزل او محصن تحجز فيه الأشياء الناس ويطلق علي مكان بين جبال او واد محجور لا يوصل اليه بسهولة ،

اذا القرآن بلفظ واحد قد اعطانا وصف شامل لمنطقة كاملة .

٢) تنحتون من الجبال بيوتا: اذا لم تكن اثار الحجر المعروفة اليوم (بمدائن صالح) موجودة ومعروفة لدي العرب قبل الإسلام لكنا نبحث الان عن جبال مفرغة من الداخل بشكل معجز، والله تعالي اختار العلامة الأكثر تميزا لوصف مكان الحجر وصفا نافيا للجهالة، ولا يوجد بالعالم كله مثل هذا المكان الذي يحتوي علي اكثر من ٩٠ جبلا منحوتا ومفرغا من الداخل وبه حجرات وأماكن للجلوس ونقوش بديعة علي الواجهات، وهو امر صعب جدا .

مما يجعل منطقة الحجر المعروفة اليوم هي مكان واحد فقط بالعالم ينطبق عليه تلك الصفات.

٣)هذه المنطقة محاطة بعدة جبال وهي وصف دقيق يطابق الحجر المفهوم في استعمال العرب.

٤) منطقة الحجر ومدائن صالح تقع علي مسار رحلات العرب التجارية وهي معروفة كاثار من قبل الاالم وهو ما يطابق قوله تعالي (وقد تبين لكم من مساكنهم) مما يدل علي ان العرب قد رأوا مساكن ثمود وعرفوها جيدا.

الحجر : مدائن صالح:

أولا :هو موقع اثري عالمي مدرج في قائمة التراث العالمي لليونسكو منذ عام ٢٠٠٨ وهو اول موقع في المملكة العربية السعودية يدرج في القائمة لقيمته التاريخية والحضارية الفائقة.

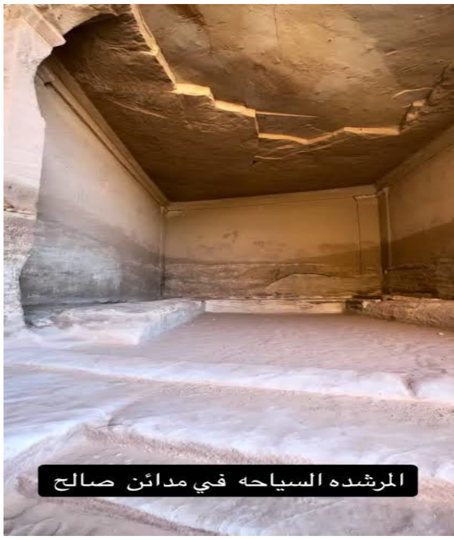
وهو يقع في منطقة (العلا) شمال غرب السعودية وهو اكبر المواقع الاثرية في شمال الجزيرة العربية من حيث الحفاظ علي المعالم القديمة. ويحتوي الموقع اكثر من ١١١ مقبرة حجرية ضخمة منحوتة في الصخور منها ٩٤ مقبرة مزينة بواجهات معقدة ونقوش ورسوم صخرية قديمة بلغات متعددة . ويعد الموقع شاهدا علي الحضارة التعي سكنت المنطقة وعلي مهارت في النحت المعماري والهيدروليك(تقنيات المياه).

ثانيا: عمر الموقع :

١) النقوش (النبطية) علي الصخور في الموقع ربما تعود للقرن الأول قبل الميلاد مما يدل علي إعادة استخدام الموقع من شعوب لاحقة علي ثمود (البناة الأصليين) وهذا واضح من انهم اعادوا استعمال الجبال المنحوتة كقبور بدلا من الاستخدام الأصلي كمساكن.

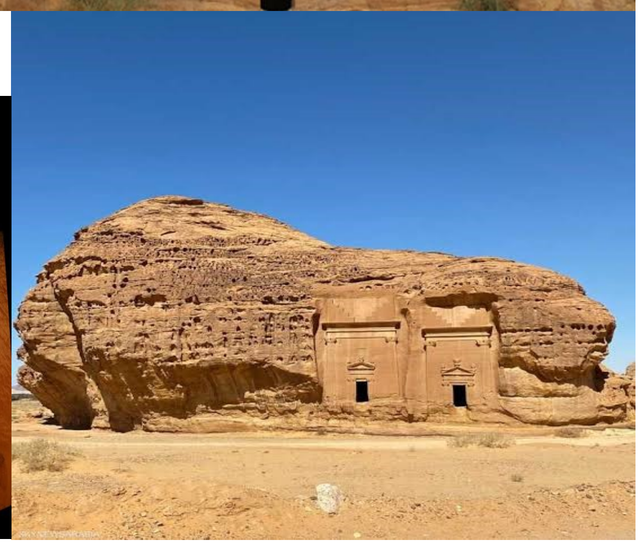
٢)نقوش عربية شمالية قديمة علي الصخور لأغراض شخصية (ذكر أسماء اشخاص) او دينية تعود لحوالي ١١٠٠ ق.م وهو أيضا إعادة استخدام للموقع من حضارات سابقة للنبطية.

٣) تفريغ الجبال وحفرها يرجع تاريخه تقريبا من ٢٠٠٠ الي ٢٢٠٠ ق.م وهو يخص نحت الجبال وتفريغها، اما النقوش والواجهات فغالبا تمت اضافتها من الشعوب التي سكنت المنطقة بعد ذلك بقرون. اقدم نقوش وجدت في الموقع هي نقوش تعود لشعوب (ثمود) التاريخية وهذا الاسم مستوحى من القرآن ولكن بدائية اللغة وعدم انتماءها لشعوب لاحقة اكدت انتمائها لحضارة قديمة ربطت بعد ذلك باسم ثمود لان القرآن اكد انهم سكنوا تلك المنطقة وانهم هم من نحتوا الجبال ولا يوجد أي دليل اثري يمنع نسبتها اليهم.


المرشده السياحه في مدائن صالح









عدة صور حقيقية من موقع (مدائن صالح) بالعلا – لمملكة الربية السعودية

تبين كيفية نحت صخور جبلية متوسطة وتفريغها من الداخل وتقسيم التجاويف الي ماكن صالحة للسكن وحجرات واسقف وأماكن للجلوس وعلي الأ جح كانت مفروشة بسجاد وفرش للنوم والج وس وارائك

ثمود في التاريخ

بعد ان حددنا مكان الحجر المقصود في القرآن بقي ان نحدد من هم قوم ثمود في التاريخ وكيف كانت حياتهم..

أولا: المصادر التاريخية:

١) من النقوش التي تعود لثمود في الموقع نجد ورود هذا اللفظ صراحة ست مرات فقد وردت مرة واحدة في صيغة (نعت) النخبة وفي مرات اخري ظهرت كاسم وفي نص ظهرت بصيغة (ست ثمود) وربما دلت الكلمة علي اسرة او شعب او ارض ثمود وفي اكثر المواضع تأتي بصيغة مقترنة باله او ارض او شخص مثل (اسم +ثمود) – تاريخ ثمود – البير فان دين براندن

تماما كما هو سائد في تلك العصور فنري في الثقافة الاشورية اقتران اسم الملوك بلفظ (اشور) مثل (اشور نيراري ، اشوربانيبال) وهذا التقليد موجود أيضا في حضارة سبأ ،

٢) من المفهوم من النقوش الثمودية انهم كانوا – مثل باقي العرب الي اليوم – عبارة عن قبائل عديدة ولكنهم جميعا ينتمون الي نفس الثقافة – اللغة والعادات والدين وطريقة الحياة ، ويمكن ان نطبق عليهم نمط الحياة في شبه الجزيرة قبل الإسلام من تفاخر قبلي وتناحر أحيانا بينهم ، وواضح أيضا الطبقية من البوت والاثار التي وجدت لمساكن مبنية بالطين مقارنة بالمساكن الفارهة (وتنحتون الجبال بيوتا فارهين) التي تحتاج تكلفة وجهد ووقت كبير مما يدل علي انها لم تكن متاحة لكافة الفئات ولكن العلية فقط والاسياد او الأغنياء . وهذا أيضا يطابق قوله تعالي عن اثر ظهور الدعوة في ثمود وهو قوله تعالي (فاذا هم فريقان يختصمون) أي فريق السادة والنبلاء الذين يرفضون استبدال نظام الطبقية والذين منهم الكهنة المهيمنين علي الحكم باسم الدين وفريق البسطاء من العامة الذين وجدوا في دعوة النبي صلي الله عليه وسلم (صالح) املا في الخلاص من الاستعباد الطبقي والعبودية بسبب فقرهم او نسبهم. فقد كان معروفا نظام العبودية وقتها وهذا ثابت بالنقوش فهناك نقش يقول (داد اصبح عبدا) ويوجد نصوص تفيد بيع عبد من سيد لاخر وكذلك إمكانية تحرر العبيد .

٣) أيضا من الرسوم الموجودة نستطيع نفي أي خرافات حول اطوالهم والتي لم يثبت أي منها حتي بالنص القرآني ، وهذا واضح من الرسوم في نسبة اطوالهم الي اطوال الحيوانات ، وكذلك لوحظ من الرسوم انهم من ذوي الجماجم المتطاولة وهي السمة السائدة الان في سكان الجزيرة العربية ، ويتضح انهم كانوا بشعر قصير ويلبسون مئزرا بسيطا يربط بالخصر بواسطة حزام ، بعضهم يحمل لحية كثيفة والبعض كان حليق اللحية،

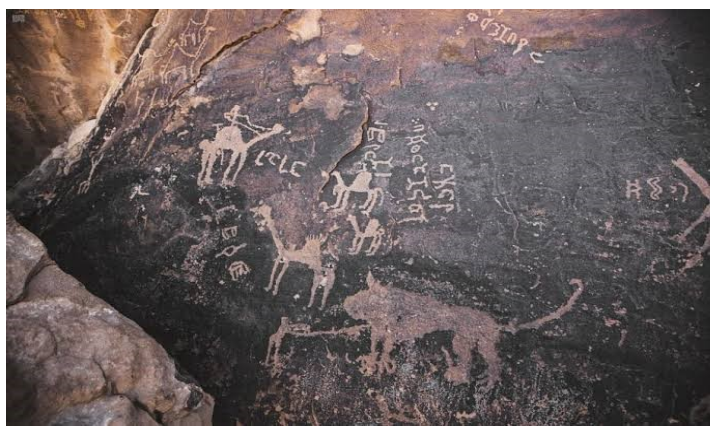
٤)كانت أسماءهم من النقوش تدل علي حال او صفة او شيء تماما مثل ما يفعل العرب لكن كانت أسماء مختلفة قليلا مثل : قبضة ، نار، حبل، سوط، حزام ، سلة وقد عرفت عندهم نظام العائلات مثل العرب فهناك نقوش تقول (ال) فلان وقد وجدت أسماء للقبائل أيضا في النصوص مثل (داز ، هاد ، وائل ، مطات).

٥) ان الدلائل تؤكد ان الثموديين لم يكونوا رحالة مثل البدو بدليل النقوش وكذلك بدليل إقامة بيوت في قلب الجبال والتي يحتاج الواحد منها لشهور عديدة لإنجازه ولا يعقل ان يبذل مثل هذا الجهد والتكلفة لبناء مسكن سيضطر صاحبه لتركه والرحيل بعد ذلك، وهذا دليل أيضا علي انهم كانوا مجتمع حضري له زراعة وري واستقرار في مكان وبالتالي بناء مدينة او قرية ثابتة، والنصوص تشير أيضا الي اعمال حراثة الأرض وتوجد نقوش لنخيل واشارات الي ان شخصا قد وهب مزرعته للألهة ، وتشير احد النقوش الي زراعة القطن والعنب

، وكذلك أسماء الناس باللغة العربية القديمة هي نفسها أسماء الثمار مثل التمر والعنب والقمح ، وكانت هناك مصادر ابار وخزانات للمياه وكانت هناك نزاعات قبلية حول امتلاكها – تاريخ ثمود – المصدر السابق

٦)الدين: الآلهة عند الثموديين – من خلال النصوص- هي الهة متعددة من ذكور واناث ، ويتم عبادتها فيما يسمي (بيت) وهو غالبا معبد بدائي ،ومنها الآلهة الاقدم (اللات) ولا يعرف يقينا طقوس العبادة الا ان النقوش تشير لأشخاص يبدو كأنهم يمارسون طقوسا سحرية

كثير من النقوش تبين نساء عاريات يرقصن وهو من ناحية دليل علي الحانات او النوادي التي يشرب فيها الخمر وتضاجع فيها النساء ، مما يتوافق مع الوصف القرآني لهم بممارسة المنكرات ومن ناحية اخري لا يستبعد انها نوع من طقوس العبادة لان هناك نقوش توضح رجل وامرأه عاريين يرفعان أيديهما الي السماء حاملين وعاء ما ويمكن ان يكون هناك نوع من الجنس المقدس او التقرب بطرق جنسية وهو موجود اليوم في كثير من الديانات المتطرفة. كما يصور نقش وجود طفل في هذه الطقوس ولا نعرف اذا كان يمارس عندهم طقس التضحية بالأطفال لإرضاء الآلهة - نفس المصدر



نقوش ثمود المكتشفة في الحجر



النبي (صالح) والدعوة:

قد عرفنا الكثير عن تصور حياة الثموديين وطقوسهم ومن الواضح انهم كانوا متطرفين في الشرك والكفر وكانوا غارين في الفجر الديني من طقوس جنسية وتضحية بالقرابين البشرية واستعباد بعضهم بعضا والمجتمع الطبقي المتفاوت كثيرا بين طبقة اسياد اغنياء وطبقة فقراء جدا او عبيد ، ولذلك ارسل الله الي واحد منهم اسماه القرآن (صالح) ولكن بما اننا نعرف القليل عن لغتهم واسماءهم ، هل يمكن تطابق الاسم مع لغتهم ، بمعني اخر هل الاسم (صالح) هو اسم النبي صلي الله عليه وسلم الثمودي ام هو تعريب قراني ام اسم صفة ؟

١) صالح في اللغة العربية : يعني الطيب او المستقيم او الصالح للفعل ، والاسم من حيث النمط يتفق مع لغة ثمود وأسلوب الأسماء في الجزيرة العربية والتي غالبا تحمل صفات او نزعة دينية (هلال ، عدي) ولذلك لا يوجد ما يمنع انه نفس الاسم الذي كان يستعمله النبي (صالح) بين قومه .

٢) من الرواية القرآنية انه قد دعا قومه لعبادة الله وحده ومن ثم ترك اسلوب تعدد الاله والطقوس الوثنية المبالغ فيها وأيضا ما تتسم به ديانات التوحيد من مساواة وسلام بين الناس مما يعارض نظام العبودية والطبقية والتسلط من زعماء القبائل والحكام، وبالطبع قد رفضت دعوته، وكما سبق ان قلنا ان المجتمع انقسم اكثر بظهور الدعوة والتفاف الضعفاء حول النبي صلي الله عليه وسلم كقائد للثورة ضد الأثرياء والسادة والذين اصبحوا قسما اخر يقوم باضطهاد وقتل وتعذيب المؤمنين – تماما كما حدث في دعوة النبي صلي الله عليه وسلم لأهل مكة.

وتصل بنا الرواية القرآنية الي نقطة الغليان اذ اتفق (تسعة) رهط في المدينة ، و(رهط) تعني مجموعة متوافقة او عصبة تتفق علي هدف واحد وهو إزالة راس الفتنة (صالح) بقوله تعالي (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِقُونَ - النمل ٤٩) وهذا يدل علي اتفاقهم علي قتله واهله غدرا (تصفية جسدية) ولكن لم يسعفهم الوقت قبل نزول العذاب .
٣) يشير القرآن انه قبل الوصول لهذه النقطة فان هناك معجزة هي التي اكدت نبوة (صالح) واقتناع الناس به وهي ارسال (الناقة) وهي النقطة الثانية المميزة في قصة ثمود ولذلك سنحاول الوقوف علي أي معلومة بشأنها..

ناقة ثمود

١): الناقة لغة هي انثي الابل والذكر يسمي جمل ، ولا يوجد أي تأويل ممكن للفظ في القرآن فالناقة المقصودة هي نفس الحيوان المعروف عربيا،
٢) من الرواية القرآنية يمكن ان نحدد صفات الناقة ، بانها (مبصرة) والكلمة تعني في اللغة المكان الذي يري منه والقصد انها واضحة للعيان لا يخطئها شخص ولا يوجد دليل انها كانت عملاقة مثل ما نجد في الروايات المتداولة .
وكل ما نعرفه عنها ان (صالح) قد حدد لهم أيام للشرب من الماء وأيام للناقة لا ينازعونها فيها ، ولا نعرف اذا كانت مصادر المياه محدودة وقت ارسال الناقة تحديدا بحيث يجب ان يتقاسمها الناس مع الناقة وهي من لفظ القرآن واحدة وليس قطيع.
٣)النياق كانت منتشرة ومعروفة في الحجر وواضح ذلك من الرسوم والنقوش لمجموعات من الجمال ، ولكن ما الذي يميز هذه الناقة بالذات. ربما انها كانت اكبر حجما قليلا عن النياق الأخرى او كان لها لون نادر (الأسود نادر جدا في الابل) وربما كانت تدر لبنا اكثر من غيرها ، ومن الواضح من الآيات انها كانت منعزلة عن باقي الابل لديهم لأنها كانت تشرب وحدها ولولا ان القرآن أشار الي ذلك لقلنا انها كانت تشرب مما يشرب منه باقي الابل

، وربما حجمها او لونها او أي اختلاف خلقي جعل باقي الابل تبتعد عنها وتكون منفردة وتشرب اكثر مما يشربون.

٤) المؤكد ان الله ربط سلامة الناقة وحياتها بوقوع العذاب عليهم وهو نوع من الفتنة لان الفتنة تقوم علي اختبار فئة معينة من الناس ليري هل يلتزمون بالأوامر ام يعصونها من باب التمرد او العناد او رفض الاخر ، وهو ما حدث فالمترفين في المدينة (تسعة رهط) من السادة او غالبا من أبناء النبلاء والحكام الذين اتفقوا علي ذبح الناقة التي اعتبرت دليل علي نبوة (صالح) والسبب في اجتماع الناس حوله وتحدي لأثبات انه كاذب لأنهم اذا قتلوا الناقة لا شيء سيحدث مما انذرهم به وبذلك تعود لهم الزعامة.

العذاب

بذبح الناقة اصبح العقاب لازما من الله ، وقد بدا بقوله تعالي :فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب – هود ٦٥

اذا امهلهم صالح ثلاثة أيام قبل بدء العذاب وبالطبع كانوا يسخرون منه وينكرون اعذاب ولكن خلال ثلاثة أيام كان هذا العذاب يتخمر في الطبيعة استعدادا للانطلاق بالكيفية التي سنبينها..

في قوله تعالي: فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود – فصلت ١٣

وقوله تعالي: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ- فصلت ١٧

قوله تعالي: فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين – الأعراف ٧٨

قوله تعالي: انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر - القمر

قوله تعالي: فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية – الحاقة ٥

قوله تعالي: فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ - الذاريات ٤٤

ومن ذلك يمكننا ان نستخلص ماذا حدث لثمود:

١)الصاعقة لغة : نار تنزل من السماء – لسان العرب، ويقال صعق الرجل أي اغشي عليه ، وهي شدة الصوت او النار ويقال صعق أي غشي عليه. والمفهوم انها غالبا صواعق برق شديدة متعددة.

٢)الرجفة :الاضطراب الشديد ويراد بها الزلزلة – تاج العروس ، ويقال رجف أي اضطرب بقوة وتحرك وهي الزلزلة ، والمقصود زلزال او ارتجاج بسبب ما .

٣) الصيحة: الصوت الشديد والمفزع - تاج العروس للزبيدي، والمقصود بكون الصيحة مهلكة اما لشدة الصوت او الرعب الذي يحدثه وسنفصل ذلك بعد قليل.

٤) الطاغية: الداهية العظيمة والمهلكة ويقال للعذاب اذا جاوز الحد طاغية وهي التعدي والزيادة. وغالبا هي وصف عام للعذاب الغير مسبوق ودليل علي مجاوزة مفردات هذه الكارثة للحد الطبيعي والمألوف.

اذا يمكننا من خلال الآيات ان نرسم صورة حية لما حدث..

١) ان العذاب الأساسي قائم علي كارثة طبيعية غير مسبوقة وهي الصواعق لبرقية من السماء ، وطالما ان الله تعالي عظم امر الكارثة (الطاغية) فإننا يمكن ان نتصور ان ظاهرة الصواعق كانت مبالغة من حيث الشدة والمساحة والعدد ، اذا لنفهم كيف يمكن ان تكون الصواعق شديدة ومتعددة..

الصاعقة هي تفريغ كهربائي هائل يحدث بين سحابة واخري او بينها وبين الأرض بسبب تراكم فروق الجهد الكهربائي داخل السحب الرعدية، وقد يصل قوة الصاعقة الي ١٠٠ الف امبير واقصي صاعقة مسجلة وصلت ٣٠٠ الف امبير (البرق الفائق) ، وهو امر رهيب اذا عرفنا ان ٠,١ امبير فقط كافي لقتل انسان. وتصل درجة حرارة البرق الي حوالي ٣٠ الف درجة مئوية – اعلي من حرارة الشمس بخمس مرات.

اثره علي الأرض: يسبب اصطدام الصاعقة البرقية الفائقة بسطح الارض حرائق كبيرة ويترك حفرا بالأرض ، كما يسبب اهتزازا شديدا (رجفة) خصوصا اذا اصطدم بارض جافة (صحراء) او رجة أرضية صغيرة .

اثره علي الانسان: البرق العادي يمكن ان يقتل انسانا او يسبب حروقا شديدة او اضرار قلبية وعصبية ، اما البرق الفائق super bolt فيقتل فورا اذا اصاب شخصا مباشرة ، وحتي اذا لم تصبه بشكل مباشر فأنها كافية لأحداث تلف للأعضاء الداخلية او فقدان للسمع بسبب تفريغ الكهرباء الضخم. ويشمل التأثير اضطراب في القلب او صدمة عصبية بسبب التيار القوي .

٢) الرعد الفائق : supersonic thunder

اذا كانت الصيحة المذكورة في القرآن هي شكل من اشكال العذاب فانها غالبا ستكون مطابقة لتاثير الرعد الفائق، وهو ظاهرة مصاحبة وملازمة لظاهرة البرق الفائق ، وهو اعلي من الرعد العادي فيمكن سماعه لعشرات الكيلومترات ،

تأثيره علي البشر: صوت الصيحة يكون مفاجئا ويمكن ان يسبب فقدان للسمع اذا كان قريب ، ودوخة او صدمة نفسية شديدة ، واهتزاز داخلي للأعضاء بسبب قوة الصوت العالية خصوصا الرئتين والاذن الوسطي ، بالإضافة الي لتأثير النفسي الذي سيسبب (هلع جماعي) وخوف شديد سيؤدي حتما لتوقف القلب بالنسبة للضعاف مثل المسنين والأطفال والنساء.

ويمكن تخيل ذلك اذ ان الرعد العادي الذي نسمعه يسبب قلقا ورجفة بسيطة ورهبة لدي الناس حتي أقوياء القلوب فما بالنا برعد فائق استثنائي خصوصا لو كان بالفعل مصاحب لموجة من مئات الصواعق البرقية .

٣) مما سبق يمكننا ا نجمع أجزاء العذاب معا ونتخيل المشهد المهيب لما حدث..

لقد كانت مدة الثلاثة أيام التي امهلها صالح لقومه هي الهدوء الذي يسبق العاصفة حرفيا،، فقد هبت عاصفة وسحابة ضخمة تحمل تشاحنات كهربية هائلة أدت لهبوط مئات من الصواعق المتفاوتة في الشدة منها الشديدة ومنها الفائقة والتي كانت تشمل منطقة الحجر بكاملها وكان المشهد دمويا فكان الناس يهرعون جريا هنا وهناك بينما كانت الصواعق تصطادهم وهي تضرب بالعشرات في نفس اللحظة مسببا حرائق و حفر أرضية وتطاير التراب مع رماد الأشياء المحترقة من اللحم البشري مع الملابس ، وتتعالي صرخات الناس المذعورين و المصعوقين ، بينما تدوي صيحات الرعد الفائق الذي يصم الاذان ويوقف القلب من الرعب.

في حين يموت الآلاف الذين كانوا بالشوارع والطرقات والذين لم يتمكنوا من الوصول للبيوت الطينية البسيطة، فان الصواعق الفائقة كانت كفيلة بان تهدم تلك المساكن الضعيفة علي رؤوس ساكنيها او تحرقها مباشرة او تنالها

الحرائق المشتعلة في كل مكان' استطاع بعض الأغنياء – سبب الكارثة – ان يصلوا الي بيوتهم الفارهة المنحوتة في الجبال وقد نجوا من الموت صعقا ، لكن المسنين والأطفال والنساء الخائفات لازالوا عرضة للموت خوفا بسبب المشهد والصراخ وصوت الرعد القاتل ، والرماد والغبار اللذان يملآن الأجواء مما يمنع التنفس بحرية ويؤثر علي الجهاز التنفسي وكذلك الحرائق المشتعلة ستجعلهم يموتون اختناقا داخل حصونهم المنيعة.





مشهد تخيلي لوقوع الكارثة

□العالم في زمن ثمود ٢٢٠٠ الي ٢١٠٠ ق.م

١) بلاد الرافدين :

امبراطورية اكاد :

التي بدات عام ٢٣٣٤ ق.م وتوسع نفوذها في معظم بلاد الرافدين ومناطق مجاورة

السلالة الثالثة لاور: بعد سقوط اكاد نجحت هذه السلالة في توحيد جنوب الرافدين ٢١١٢ق.م وأصبحت قوة مهمة قبل ان تنهار ٢٠٠٤ ق.م

مدن مستقلة: مثل لاكش و اور و أيسن و لارسا قبل ان يتشكل بعدها نظام الممالك.

٢) مصر – نهاية العصر القديم:

٢٢٠٠ ق.م كانت نهاية الدولة القديمة مما ادي لضعف سياسي واقتصادي في الفترة الانتقالية الاولي مع صراعات داخلية .

٣) حضارة وادي السند:

طكانت في اوجها منذ الفترة مابين ٢٦٠٠ الي ١٩٠٠ ق.م وتشمل مراكز حضارية مثل (هرابا) و (وموهينجودارو) في ما يعرف اليوم (بباكستان) وشمال غرب الهند.

الفصل الخامس

ابراهيم عليه السلام

نقطة رجوع لتحديد زمن إبراهيم

اين ولد إبراهيم

الملك الذي حاجه في ربه

زوجة إبراهيم ومن هو الذبيح

بناء الكعبة

البشارة بإسحق

☐ مقدمة

يمكن ان نعتبر هذا الفصل محور أساسي في البحث ، أولا لان الأنبياء قبل ابراهيم عليه السلام كانوا في عصور قديمة جدا ولا يوجد مصادر تاريخية معروفة تضع حدودا زمنية مؤكدة ولذلك كان جل ما فعلناه هو تحديد نطاق زمني واسع الي حد ما للفترة التي عاشوا فيها وذلك ان هذه الفترة لن يترتب علي احتمال الخطأ فيها أي نتائج مؤثرة علي الأنبياء التاليين، ثانيا ان تحديد زمن ابراهيم عليه السلام عليه السلام هو امر حساس جدا ولا يمكننا الاكتفاء بتحديد نطاق زمني – كما فعل جميع الباحثين – واسع غالبا يصل الي حد ٢٠٠ الي ٣٠٠ سنة ، لان ابراهيم عليه السلام هو سلالة متتابعة من الأنبياء كلهم متصلين ولا يوجد أي فراغ زمني بينهم ، وتحديد زمنه سيترتب عليه تحديد زمن خمسة أنبياء اخرين هم (لوط ، اسماعيل عليه السلام ، اسحق، يعقوب ، يوسف) فاذا اخطأنا في تحديد زمن ابراهيم عليه السلام بقرن واحد فان كل الأحداث والثوابت في قصص باقي الأنبياء ستختلف تماما ، واهم هذه الثوابت هو زمن سيدنا (يوسف) الذي – في سياق بحثنا – سنكون ملزمين بتحديد الاسرة المصرية التي عاصرها والملك (صاحب الحلم الشهير) ، وذلك لان تلك الفترة الواسعة لحسن الحظ لدينا معلومات موثقة عن أسماء الملوك الذين عاصروها.

ومن ناحية اخري فان تحديد زمن ابراهيم عليه السلام مهم في سياق قصته ، لأننا نأمل في تحديد الملك الذي جادله (الذي حاج ابراهيم عليه السلام في ربه) والدولة التي ولد فيها ، والملك المصري الذي عاصر زيارته لمصر واهداءه زوجة مصرية هي والدة النبي (اسماعيل عليه السلام) ومن ناحية ثالثة فان تحديد زمن اسماعيل عليه السلام سيترتب عليه تحديد زمن بداية سكن منطقة الحرم وبداية العرب المستعربة ووقت بناء الكعبة ، واخيرا تحديد زمن كارثة قوم لوط المسماة (سدوم وعمورة) .

والمشكلة التي لدينا في قصة ابراهيم عليه السلام عليه السلام هي انها تتراوح زمنيا ما بين أواخر القرن العشرين وبدايات القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهو نطاق كبير جدا اذا اردنا تحديد شخصيات بعينهم ولذلك فاننا نامل – من خلال عدة محاور في تحديد اقرب دائرة زمنية لزمن ابراهيم عليه السلام ،

أولا : محاولة تحديد زمن يوسف عليه السلام بشكل مبدئي بتحديد قرن واحد فقط كنطاق زمني وعليه اتباع الأجيال صعودا الي ابراهيم عليه السلام .

ثانيا: محاولة تحديد بداية ظهور العرب المستعربة بشكل عام استنادا علي كون اسماعيل عليه السلام اصل متفق عليه لهم.

ثالثا: استقاء الملامح الأساسية لقصة ابراهيم عليه السلام والأمور المؤكدة للمساعدة في تضييق الدائرة علي قرن محدد من خلال الرواية القرآنية .

□ النطاق الزمني لإبراهيم عليه السلام

سنحاول في أيجاز تحديد مبدئي وسريع للنطاق الزمني الذي عاش فيه يوسف واسماعيل عليه السلام وتحديد قرن بعينه كنقطة ثابتة للمساعدة في تحديد زمن ابراهيم عليه السلام أولا ثم بعد ذلك سنقوم علي هذا الأساس بمناقشة تفاصيل زمن ابراهيم عليه السلام وتحديده بشكل اكثر دقة..

أولا: النطاق الزمني لبداية العرب المستعربة (اسماعيل عليه السلام):

ان المتفق عليه عند نسابين العرب وكتب الانساب العربية ان العرب ينقسمون بعد العرب البائدة الي قسمين ، عرب عاربة وعرب مستعربة، وما يهمنا هنا هو العرب المستعربة والتي يعتبر جميع النسابون جدهم اسماعيل عليه السلام عليه السلام ، ورغم انه لا يوجد ادلة مؤكدة علي جميع الأجيال الموجودة في سلسلة النسب العربية التي تصل الي اسماعيل عليه السلام ، الا اننا يمكننا ان نستند أولا الي الأجيال المؤكدة تاريخيا والمتفق عليها ، وهي التي تصل الي (عدنان) وهو يعتبر الجد الأكثر موثوقية حتي الان، اما فيما بعد عدنان صعودا الي اسماعيل عليه السلام ففيه اختلاف ..

١) و من السلاسل الأكثر مصداقية من عدة مصادر متفق عليها هو النسب المعروف للنبي صلي الله عليه وسلم ، وهو الذي ينتهي (بمضر بن نزار بن معد بن عدنان) والي هنا يتفق جميع النسابون علي صحة الأجيال في

السلسلة من عبد الله بن عبد المطلب الي عدنان وهو كما قلنا اخر جد مؤكد ومتفق عليه،ومن الوارد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه اذا بلغ عدنان امسك وقال (كذب النسابون) ولذلك فما بعد عدنان ليس موثوقا.

ولكن غالبا تكون هناك أسماء ناقصة او مختصرة ، بمعني انه أحيانا يذكر اسم الزعيم او الجد الأشهر في كل جيل وبذلك يكون عندنا احتمال اندماج جيلين او ثلاثة في اسم واحد ، ولذلك فاذا حسبنا زمن عدنان من نسب الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم سيعطسنا ١٦٥ ق.م رغم ان المؤكد تاريخيا انه عاش قبل ذلك بقرون عديدة.

٢)للوصول الي زمن (عدنان) الدقيق يجب وضع عدة نقاط ارتكازية علي الطريق بتحديد تاريخ مؤكد لعدد من الأسماء في السلسلة..

أولا: (قصي بن كلاب) : ثابت تاريخيا ويرجع زمنه ٤٠٠ الي ٤٣٠ م وهو مؤسس السيادة القرشية في مكة ، وعدد الأجيال – المحفوظة عرفا فقط- بينه وبين (عدنان) ١٦ جيلا تبدا (بمرة) الي (معد) بن (عدنان) ، ويجب حساب السقوط في الأجيال بينهم (جيل واحد بين كل ٣ او ٤ أجيال) وهذا ثابت مع المقارنة بالسلاسل العربية الأخرى الموثقة ، اذا يكون لدينا ٢٨ جيل تقريبا بين قصي وعدنان ، وبحساب عمر الجيل الواحد ٤٠ الي ٤٥ جيل عند العرب يكون زمن عدنان بحد اقصي ٨٤٠ ق.م .

ثانيا: ما فوق (عدنان) : الراجح عند الباحثين والعرب ان أي عدد من الأجيال بين عدنان واسماعيل عليه السلام لا يمكن ان يقل عن عشرة ولا يزيد عن ثلاثين ولذلك فالمتوسط المعقول هو عشرين جيلا بينهما ، ولذلك فنجد ان اقوي السلاسل فوق عدنان عي الأشهر والأقوى تداولا والتي تبدا من (أد بن أدد) الي(معد) بن (اسماعيل عليه السلام) ، وهذه السلسلة وردت عند ابن اسحق والطبري وابن هشام ، كما ان عددها معقول زمنيا ولكنها لازالت غير جازمة .

وباتباع تلك السلسلة وبحساب السقوط وعمر كل جيل يكون زمن اسماعيل عليه السلام بحد اقصي الي حوالي ١٨٣٠ق.م وليس قبل ذلك بأي حال.

ثالثا: لقد تعمدنا تجاهل الرواية التوراتية تماما عند حساب الأجيال ولكن لا مانع من مقارنتها مع تلك النتيجة: فنجد ان التوراة أعطت نطاق واسع لإبراهيم عليه السلام وهو ١٨٠٠ الي ٢٠٠٠ ق.م وهو متوافق مع ما وصلنا اليه نسبيا ولا داعي للتعويل علي ما اقروه.

ثانيا: زمن يوسف (عليه السلام) :

يعتمد حساب زمن يوسف عليه السلام علي عدة أسس ، فمن ناحية سنحتاج الي بحث سريع لتحديد زمن دخول بني إسرائيل الي مصر لأنه مرتبط يقينا بزمن يوسف، ومن ناحية اخري فتحديد زمن يوسف بالاعتماد علي نقاط في سياق قصته القرآنية امر صعب أولا لتشابه الأحداث في اكثر من عصر وثانيا قلة الوثائق التاريخية التي تشير الي أي منها،

١) زمن دخول بني إسرائيل لمصر:

كما قلنا لا توجد نصوص تحدد وقت دخولهم الي مصر ولكن التوراة تجعل مدة بقاؤهم في مصر حوالي ٤٣٠ عام - سفر الخروج ١٢:٤٠ – في عهد موسي عليه السلام عليه السلام، وه امر اكثر توثيقا من الناحية التاريخية بحوالي ١٣٠٠ الي ١٢٠٠ ق.م كما سنفصل في وقته ، اذا وفقا للرواية اليهودية يكون دخولهم الي مصر حوالي ١٦٠٠ الي ١٧٠٠ ق.م أي غالبا في زمن احتلال (الهكسوس) لمصر، وهو بالمناسبة م يذهب اليه عدد من الباحثين لتحديد زمن يوسف.

١) ان الباحثين عموما انقسموا في شان فترة يوسف الي فرضين تحديدا ، الأول هو عصر الاسرة ١٢ الي ١٣ المصرية وتحديدا في عهد (امنمحات الثالث) – ١٨٣٠ – ١٨٧٠ ق.م لتوافق كثير من النقاط في قصة يوسف مع هذا العصر تحديدا، والقسم الثاني هو الذي يذهب الي زمن الهكسوس(١٥٥٠ – ١٧٠٠) ق.م ، الأمر الذي يصعب من مهمتنا لان النطاق الزمني واسع ، فاذا اخذنا بالرأي الأول سيكون زمن ابراهيم عليه السلام مقارب لعام ٢٠٠٠ ق.م وهو ما سيؤثر علي سلسلة الانساب التي ذكرناها بفارق كبير اكثر من هامش الخطأ المحتمل.

اما اذا كان يوسف زمن الهكسوس فان ذلك سيجعل النطاق اقرب لمطابقة سلسلة النسب التي تنتهي باسماعيل عليه السلام،

من ناحية اخري فان عدد الأجيال من يوسف الي موسي عليه السلام سيكون كبير جدا اذا كان يوسف في عهد الاسرة الثانية عشر ١٨٠٠ تقريبا . ولن نتعرض للأسباب المرجحة لوجوده في عهد الهكسوس الان وسندعه في الفصل الخاص به.

ثالثا: من موقع قري لوط :

من الثابت نصا ان لوطا كان معاصرا لإبراهيم عليه السلام عليهما السلام ، وكما سنري في الفصل التالي، فان قري لوط كانت في الموقع قرب البحر الميت وهي الأكثر ترجيحا ، وان دراسة الموقع اكدت وجود اثار مدن قوية ترجع للفترة ما بين ١٨٠٠ الي ٢٠٠٠ ق.م وتوجد اثار لسكني بعد هذا الزمن لكنها بدائية وغير حضارية ولا تطابق وصف قوم لوط ، وهذا يرجح أيضا كون ابراهيم عليه السلام قد عاش في الفترة التي ذكرناها.

رابعا: من قصة ابراهيم عليه السلام عليه السلام:

يمكننا ان نلقي نظرة سريعة علي اهم النقاط الأساسية في قصة ابراهيم عليه السلام نفسه ولنري هل يتفق مع النطاق الذي حددناه.

١) اعتبار وجود اسماعيل عليه السلام في ١٨٠٠ق.م يجعل ابراهيم عليه السلام قبل ذلك بحوالي ٥٠ عام أي ١٨٥٠ وما حولها ، وهذا يخلق مشكلة ، لأننا لن نجد الملك الذي تحدث عنه القرآن بسهولة حيث ان تلك الفترة كانت فترة غير مستقرة في بلاد الرافدين ولا توجد مملكة موحدة ، ولكن القرآن يخبرنا صراحة (الذي حاج ابراهيم عليه السلام في ربه ان اتاه الله الملك) أي ان القرآن يقطع بانه ملك ولكن هل يمكن ان يتعدي ذلك اللفظ الي ملوك المدن المستقلة قبل التوحيد في عهد حمورابي؟

أولا: الملك في اللغة : الشخص الذي له السيادة والقوة والولاية ويشمل السلطان والحاكم المستقل واصلها من السيطرة والتمكن - لسان العرب ، وهو كل من له السلطة في دولة او في قوم – المعجم الوسيط،

ثانيا: في اللغة الاكادية :كان حكام المدن قبل التوحيد يطلق عليهم (sarru ويعني الحاكم الاعلي ويقابلها في السومرية (lugal ويطلق نفس الاسم علي حكام الدول الموحدة كما اطلق علي (سرجون الاكادي) وهو حاكم امبراطورية وليس فقط مدينة مستقلة وهذا يعني ان كلمة ملك (الملك) كانت تشمل حكام المدن المستقلة مما يعني عدم اشتراط ان يكون الملك المذكور في القرآن في قصة ابراهيم عليه السلام ملكا علي دولة كاملة.

ثالثا: شكل المنطقة في عام ١٨٥٠ ق.م تقريبا: كانت مدن رئيسية مثل (اور) – التي يذكرها التوراة – (اوروك) (لكش) ، (نيبور) كلها مدن مستقلة محاطة باسوار لكل منها حاكم وجيش

ومن كل ماا تقدم يمكننا ان نكون اكثر ترجيحا لزمن ابراهيم عليه السلام بحدود العالم ١٨٥٠ ق.م بهامش خطأ بسيط (٣٠ سنة) قبل او بعد هذا التاريخ، وعلي ذلك سنبدأ البحث عن ابراهيم عليه السلام في التاريخ و الجغرافيا..

□ابراهيم عليه السلام في الجغرافيا

١)التوراة: انها تذكر مولد ابراهيم عليه السلام في (اور الكلدانيين) حسب وصف التوراة ، و(اور) بالطبع من اكبر مدن العالم القديم بين النهرين ، الا اننا تعودنا علي عدم دقة التوراة لكتابتها بعد قرون طويلة من الأحداث خاصة فيما يتعلق بإبراهيم عليه السلام فاننا نتحدث عن الف سنة او اكثر ولذلك فلا نعلم مصدر معلومات التوراة ومدي مصداقيتها ، ومن ناحية اخري فان (اور) في لغة بلاد الرافدين تعني : ارض او مدينة وهو الذي يزيد من الشك حول الاسم لأننا اذا افترضنا ان اور المذكورة يقصد بها المعني لا الاسم اذا لن يكون امامنا مدينة محددة .

٢) علي ذلك لا يمكننا الاعتماد علي التوراة في اسم المدينة التي ولد فيها ابراهيم عليه السلام ، ولذلك فاننا سنعتمد علي الترجيح التاريخي في تلك الفترة للمدن الأكثر ازدهارا في هذا الوقت من بلاد مابين النهرين .

٣)ان ترجيح منطقة الرافدين يرجع أولا لكونها المكان الوحيد حول ارض فلسطين (مكان ارتحال ووفاة ابراهيم عليه السلام) الذي كان مزدهرا ومتحضرا ومؤكد انه كانت به ممالك موحدة ومدن مستقلة ، لان ارض كنعان(فلسطين) في هذا الوقت لم تكن بالتحضر الكافي بل كانت قبائل متنقلة ولا يوجد مملكة او نظام حكم مستقل، مما يمنع وجود نظام ديني وملك وقوانين تدعم قصة ابراهيم عليه السلام كما سنري.

٤) بالنظر الي تاريخ المنطقة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ،كانت اقوي المدن مثل (بابل) و(اور) مراكز دينية قوية واقتصادية مزدهرة وملوك أقوياء وقوانين معروفة للجرائم خاصة جرائم تدنيس المعابد والجرائم الدينية، لذلك فإننا نرجح واحدة منهما لتكون مولد ابراهيم عليه السلام ومسرح للأحداث في بداية قصته من تكسير الاصنام والمجابهة مع الملك والحرق.

٥)اسم (ابراهيم عليه السلام) في لغات الرافدين هو تعريب لاسم (ابرام) في الامورية والاكادية ، فنجد ان المقطع (اب) يعني اب، و (رام) يعني رفيع او عالي ، والمعني (الاب العالي او الرفيع) والاسم دارج وقتها بمشتقات مثل (ابوم) والبنية اللغوية للاسم مألوفة جدا في الرافدين قديما مما يؤكد انتماءه الي تلك البيئة،

اما اسم ابيه المذكور بالقرآن (ازر) فوجدنا له جزر أيضا في لغاتهم وهو (ازارو) و (ازار) مثل الأسماء (أبا ازارا) أي الاب النصير و (ازار الو) أي النصر من الاله ، والكلمة تعني المساعدة والدعم والنصر ، ولذلك نعتقد ان الاسمين كانا موجودين كما هما أي اسم (ابرام) و (ازار) وانهما اسما علم لا صفة.

بعد تحديد القرن الذي عاش فيه ابراهيم عليه السلام والنطاق المكاني بالتقريب بقي ان نكون اركان القصة لنحدد بالضبط الزمان والمكان..

□الملك – الذي حاج ابراهيم عليه السلام في ربه

ان أهمية تحديد هذه الشخصية في نطاق بحثنا هي انها من ناحية ستحدد المدينة التي كان بها تحديدا اكثر ومن ناحية اخري فإنها تربط باقي أجزاء القصة من احداث النصف الأول من حياة ابراهيم عليه السلام .

أولا: الملوك المرجحين في تلك الفترة :

(اور): في القرن الثامن عشر قبل الميلاد لم تعد اور عاصمة المملكة القوية كما سبق فقد انحلي الدولة وتفككت الي مدن مستقلة مرة اخري قبل ان تتوحد علي يد (حمورابي) بعد قرن تقريبا ، وكانت اور لاتزال مدينة قوية دينيا واقتصاديا ، ولكن لا توجد معلومات عن حكامها في تلك الفترة والغالب انهم كانوا ضعفاء وغير مؤثرين مثل حكام بابل ، مما يجعل بابل المكان الأكثر ترجيحا لإبراهيم عليه السلام لان الأنبياء غالبا يبعثون في المدن الأكثر تاثيرا في حضاراتهم وليس قري او مدن غير مؤثرة، كما اننا نبحث عن ملك قوي عاصر ابراهيم عليه السلام.

(بابل) :

١) (سومو-ابوم) ١٨٨١ – ١٨٩٤ ق.م هو مؤسس السلالة وسيطر علي بابل سياسيا لكنه لم يجعلها عاصمة قوية بعد

٢) (سومو-لا-أيل) ١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م) المؤسس الحقيقي لقوة بابل قام بتحصينها وبني الاسوار ووسع نفوذها.

٣)سابيوم (سابي-أيل) ١٨٣١-١٨٤٤: واصل سياسة التوسع والدفاع مع صراعات مستمرة مع المدن المجاورة

٤) (ابيل-سين)١٨٣٠ – ١٨١٣ ق.م : واجه ضغوطا قوية من لارسا واشور وبدأ ضعف نسبي في نفو بابل.

٥) (سين-موبالط) ١٧٩٣-١٨١٨: والد حمورابي أعاد قدرا من الاستقرار ومهد الطريق لصعود ابنه.

ثانيا :القوة الدينية للمدينة:

في الرواية القرآنية جلس إبراهيم يتأمل معبودات القوم واعتقاداتهم فنظر أولا للكواكب والنجوم ثم للقمر ثم للشمس ، ليفهم هل هؤلاء الهة فعلا كما يقولون، وهذا دليل واضح علي الاعتقاد الديني للمدينة التي كان فيها ، ولنري ماذا كانت معبودات المدن حينها..

١) اور: ارتبطت بعبادة القمر بشدة (سين/نانا) وهي اقوي مراكز عبادته وتوجد (زاقورات) مقدسة ومكرسة لعبادة اله القمر وهو أساس التقويم عندهم وله كهنة ونفوذ سياسي واقتصادي وتعتبر اور العاصمة الدينية لعبادة القمر.

٢) حران : مركز شديد الأهمية واشتهرت أيضا بعبادة القمر حتي العصور الاشورية ولكن ليس مثل اور.

٣)بابل :كانت مركزا لعبادة كلها ، وهم الكواكب السبعة (القمر والشمس والزهرة والمريخ والمشتري وزحل) ولم يكن كوكب معين ه المهيمن في بابل .

٤) اوروك: الزهرة (عشتار) هي الأقوى والمدينة هي الاقدم في عبادتها واقوي مركز لها.

٥) نيبور : مركز ديني لا كوكبي مرتبط بعبادة انليل واقل ارتباطا بالكواكب .

اذا نفهم ان الأكثر قربا للقصة هي (بابل) لأنها تجمع عدة كواكب وليس كوكب معين ولذلك فقد نظر ابراهيم عليه السلام في الشمس والقمر وباقي الكواكب وهو دليل علي ان اهل بلده كانوا يعبدونهم جميعا. كما انه أشار الي ان الشمس (اكبر) من الباقين واذا كان في اور لاهتم بالقمر بدلا منه ولا يقصد بانه اكبر أي اكبر حجما حيث ان القمر والشمس يظهران في السماء بنفس الحجم ولم يكن معروفا وقتها الحجم الحقيقي لكل منهما.

ثالثا: حمورابي : ١٧٩٢-١٧٥٠

لابد ان نتطرق الي مسالة كون حمورابي هو الملك المعاصر لإبراهيم عليه السلام وهو ما ذهب اليه كثير من الباحثين ولذلك سنري نقاط القوة والضعف في هذا الملك:

١)معلوم ان حمورابي هو احد اقوي ملوك بابل وهو موحد المملكة واقوي ممن كانوا قبله من الملوك ومن حيث الزمن فاننا نجد حمورابي بعد الفترة المرجحة بخمسين عاما – بداية حكمه) ونصل لثمانين عاما اذا اصبح ابراهيم عليه السلام شابا بافتراض انه ولد في عهده او قبل عهده مباشرة ، اما كونه ولد في منتصف او اخر عهده فذلك سيزيح الفترة الي حوالي مئة عام من التاريخ الذي رجحناه من قبل وهو منتصف القرن الثامن عشر ،

٢) قوة الديانة الكوكبية في عهد حمورابي ربما تؤيد ترجيحه ولكن هذا لن يحدث فارقا فلا يوجد ما يدل علي ضرورة ان يكون الاعتقاد قويا او متوسط فيكفي ان يكون الدين كوكبي متعدد فحسب لتعصب الناس والحاكم ضد ابراهيم عليه السلام .

٣) ان الفرض بان ابراهيم عليه السلام ولد في عهد حمورابي سيؤدي بنا الي إزاحة عصر يوسف الي أواخر عهد الهكسوس او بعدهم مباشرة وهو ما يجعله في فترة غير مرجحة من أي من الباحثين لان نهاية عصر الهكسوس تعتبر فترة تدهور بعكس الاستقرار والرخاء الذي ساد في حكم يوسف عليه السلام ، كما انه من المستحيل يكون في فترة حروب التي سبقت سقوط الهكسوس وصعود اسرة مصرية جديدة بداية بالملك (احمس) الذي كان ، وباقي المصريين حانقين علي الأجانب ومنهم يوسف وأهله الامر الذي سيؤدي بهم الي اضطهاده وأهله الذين دخلوا مصر في عهده وهو من المستحيل أيضا ان يحدث في عصر ما بعد الهكسوس.

٤) بعض الباحثين يقترح ان حمورابي قد اقتبس من (صحف ابراهيم عليه السلام) في قوانينه ، وهو ما لا يمكن اثباته او انكاره ولكن اذا كان هذا صحيحا فان اعتبار ابراهيم عليه السلام في زمن حمورابي سيكون صعبا لأننا نحتاج وقت لكي تصل تلك التعاليم الي بابل خاصة ان الصحف لن تنزل عليه الا بعد بعثته أي بعد الأربعين من عمره ، مما يجعل نزول الصحف قبل انتشارها بعد موت حمورابي نفسه، اما اذا كان ابراهيم عليه السلام قبل حمورابي بقرن فهذا يتلاءم جدا مع كونه قد اقتبس من صحف ابراهيم عليه السلام.

رابعا: الخلاصة:

لا بد اذا ان يكون ملك ابراهيم عليه السلام احد الملوك الخمسة البابليين ولا يمكن استبعاد ان ابراهيم عليه السلام قد عاصر اثنين منهم بانه ولد في عهد ملك وحاج ملك اخر ثم خرج في عهده الي فلسطين ، ونرجح ان الملك الخامس لبابل والسابق لحمورابي (يسن موبالط) ان يكون مستبعدا لنفس الاسباب التي استبعدنا حمورابي من اجلها وخاصة قرب المدة ،

اما الرابع (ابيل –سين) فهو يعتبر قريب نسبيا حيث اذا افترضنا مولد ابراهيم عليه السلام في عهده يكون عمره عند بداية التمرد علي الآلهة عشرين عاما أي في بداية عهد الملك التالي يكون هذا الملك حديث العهد وليس ثابتا متمكنا ومسيطرا في المدينة وهو ما يستبعد كونه الملك الذي ناظره ولذلك فاذا كان ابراهيم عليه السلام ولد في عهد الملك الاول(سومو-ابوم) ١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م

اما الملك الثالث (سابيوم) اذا ولد ابراهيم عليه السلام في بداية حكمه يكون في العشرين – زمن المحاجاة والحرق- عام ١٨٥١ أي في عهد الملك التالي وهو أيضا ما يجعله مستبعدا كما ان هذان الملكان واجها فترة عدم استقرار وضعف سياسي .

أخيرا فأن الملك الأول (سومو ابوم) بعيد العهد كثيرا واذا حسبنا زمن دخول يوسف مصر اذا ولد ابراهيم عليه السلام في اول عهده فانه يصل الي عام ١٧٥٠ تقريبا أي قبل دخول الهكسوس لمصر وفي اخر الاسرة الثالثة عشر وهو زمن تدهور شديد اتبعه غزو الهكسوس مما يتعارض مع الوضع الهادئ الذي كان معاصرا ليوسف عليه السلام كما ان ابراهيم عليه السلام يصبح في العشرين من عمره في عهد الملك التالي وهو ما استبعدنا الملوك الاخرين بسببه.

وبالتالي يكون الملك الثاني (سومو-لا-أيل) والمؤسس الحقيقي لقوة بابل واقوى ملوكها في هذا القرن وحكمه متصل الي ما بعد زمن المحاجاة وخروج ابراهيم عليه السلام ، هو الأنسب .

والذي بدا عهده في ١٨٨٠ ليكون ابراهيم عليه السلام في العشرين من عمره عام ١٨٦٠ لبداية التفكير في ديانة القوم لان القرآن صرح انه عندما قام بتكسير التماثيل وبدا الكهنة يبحثون عن الفاعل قالوا (سمعنا فتا يذكرهم) والفتوة هي عمر القوة والشباب وهو بأقصى حد ٢٥ عاما والمتوسط يكون ٢٠ عاما وهو المعقول، وهو السن الذي حطم فيه الاصنام وقدم للمحاكمة ، ومن الواضح ان حكم هذا الملك يستغرق كل ذلك ويكون معقولا ان يكون هو الذي حاجه وناظره بعد ذلك وقد اصبح ملكا كبيرا في العمر وفي مدة الحكم (١٥ عام) وهي مدة كافية لتوطيد حكمه وسطوته وبداية الجبروت وادعاء الالوهية (انا احيي واميت) .

من الاسرائيليات ان هذا الملك قد مات بطريقة درامية حيث سلط عليه حشرة دخلت في راسه وكان يطلب ان يضرب علي راسه ليستريح من الألم حتي مات ، ولكن لا يوجد أي دليل غير التوراة علي ذلك ولا نعرف كيف مات (سومو-ابوم) وعل ذلك يكون ابراهيم عليه السلام قد خرج في عهده . وهذا الافتراض يجعل عمر

ابراهيم عليه السلام وقت ولادة اسحق _ ٩٠ عاما تقريبا في عام ١٧٩٠ تقريبا بفرض انه ولد في بداية عهد (سومو-ابوم) ويكون عمره وقت ولادة اسماعيل عليه السلام قبل ذلك بفترة وهي تواريخ منطقية حتي الان.

اما اذا افترضنا انه الملك الثاني (سومو-ليبوم)١٨٤٥-١٨٣٠ ، فهو صعب لأنه متأخر كثيرا ويجعل تاريخ المناظرة لاحق له أي حدث مع الملك التالي لان عمر ابراهيم عليه السلام وقت موت هذا الملك ١٥ سنة فقط، والحل الوحيد ان يكون ابراهيم عليه السلام ولد في عهد الملك السابق وحدثت المناظرة مع هذا الملك .كذلك من نقاط الضعف فيه انه يجعل العصر متأخر كثيرا ويؤخر عصر يوسف بالتالي الي منتصف ونهاية عهد الهكسوس وهو اقل ترجيحا كما قلنا.

والانسب ان يكون ابراهيم عليه السلام ولد وهاجر في عهد الملك الأول (سومو ابوم).

□بداية القصة

كما قلنا ان هذا البحث لا يعني بسرد قصص الأنبياء الا في التفاصيل التي تفيد في موضوع البحث، ولذلك لن نقوم برواية قصة ابراهيم عليه السلام منذ مولده وسنكتفي بالنقاط التي تفيد في سياق التحديد الجغرافي والتاريخي لحياة ابراهيم عليه السلام عليه السلام..

١) مكان ولادته:

قلنا ان ولادته وشبابه كان حول نصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، في بيئة بابل – علي الاغلب

مدينة بابل (١٨٠٠ – ١٧٠٠):

تقع بابل علي نهر الفرات جنوب العراق الحالي وهي منطقة سهول خصبة منخفضة ، وتعتبر الزراعة أساسية تعتمد علي القمح والشعير والتمر والخضروات الأخرى.

تكون البيوت من الطين اللبن (غالبا طين وقش) مسطحة السقف ، وتوجد بها قنوات ري لتصريف مياه الفرات ، ونجد معابد وزقورات كمراكز دينية واقتصادية.

كانت التماثيل الدينية تصنع غالبا من الطين المشوي/الفخار وهو الأكثر يشوعا للتماثيل الصغيرة، او من الخشب المغطى بالذهب او الطلاء للتماثيل الكبيرة في المعابد ، او من الحجر الجيري او الرملي للتماثيل الرسمية .

يوجد بالمعابد تماثيل تمثل الكواكب السبعة وتمثال رئيسي (كبير) واحد .

كانت العبادة الرئيسية للألهة (مردوخ) ، (شمش) ، (عشتار) ، (سين) ، وتعتبر الكواكب رمزا للألهة ، ويكون المعبد مركز للعبادة وإدارة الموارد المدينة ، ويقام به الأنشطة الدينية من دعوات للألهة من اجل الخصوبة او الفيضان او كمحاكم للعدالة (شمش) او الاستفتاء والاستخارة للحروب (عشتار/نيرجال).

الحرف الأساسية في بابل كانت تقتصر علي: صناعة الفخار والتماثيل – يقال انها مهنة والد ابراهيم عليه السلام ولكن لا دليل علي ذلك- النسيج ، المعادن ، التجارة.

لم نجد نصوصا مكتوبة للقوانين في بابل قبل حمورابي الا ان الأدلة الاثرية تؤكد وجود قوانين صارمة للجرائم في بابل ، ويوجد ادلة اثرية علي استعمال عقوبة (الحرق) علي بعض الجرائم الكبرى لديهم منها : جريمة الزنا و التجديف ضد الآلهة والتعدي علي الكهنة والتمرد او القتل المتعمد ، وهي من اشد العقوبات لديهم كعقوبة رادعة وتقام أحيانا امام المعبد لدلالتها الرمزية

كانت في اوروك وبابل المبكرة أماكن خاصة للحرق كعقوبة عادة بجانب الزقورة او المعبد او في ساحة عامة او منصة خاصة ، ويتم بناء هيكل خشبي يربط فيه المحكوم عليه ثم يشد بجبال لينصب عمودية ليكون عاليا حتي يشاهده الناس ثم يتم اشعال النار في الخشب من اسفل لينتشر في البناء كله وهو مطابق لقوله تعالي (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم – الصافات).

٢) ابراهيم عليه السلام الفتي:

في تلك البيئة نشأ ابراهيم عليه السلام عليه السلام ، وعندما بدأ يكبر كان يفكر في كل ما حوله ، ولد فيلسوفا من أوائل من تفكروا في الكون يسأل عن أسباب كل شيء، من أين اتي هذا والي أين يذهب، كيف خلقت الكواكب والنجوم التي يدعون انها الهة وكانت تلك الفكرة المسيطرة علي عقله بينما كان يكبر شيئا فشيئا ، كل من حوله منسجمون ومرتاحين الي الهتهم وعقائدهم وطقوسهم وتماثيلهم الا ابراهيم عليه السلام لم يكن مرتاحا، انه من القلائل الذين استعملوا عقولهم في تلك الفترة وتلك المنطقة ، ان درجة ابراهيم عليه السلام الدينية والتاريخية التي اكتسبها ، ترجع الي انه من القلائل الذين وصلوا الي الخالق قبل ان يرسل اليهم، وكذلك كان الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم عندما كان يتعبد ويتأمل في (حراء) يريد ان يصل الي الاله الحقيقي غير مقتنع بالهة قومه.

بدأ ابراهيم عليه السلام يتامل في الكواكب والنجوم والقمر والشمس ولكنه استنبط منطقا خاصا به في وصف الاله ، انه دائم الوجود لا يتحرك وليس له أوقات او مواسم ، كون ابراهيم عليه السلام عقيدة خاصة به واخذ يطبقها علي الآلهة والتماثيل، التي تاكد انها لا تمثل أي الهة ولا تحل الآلهة فيها ، فكان ينفرد بهم في المعبد ويتحدث اليهم ويختبرهم، يناولهم طعاما فلا ياكلون، يحدثهم فلا ينطقون، ثم قرر ان يحطمهم ليري هل يعاقبونه او يلعنونه كما قيل له، ولكن لم يحدث شيء، فترك كبيرهم (انليل) او قدس الاقداس كما يسمونه ، حتي يقول لهم ان الاله الأكبر غضب علي الآلهة الصغيرة فحطمهم، ليس لهوا او لعبا بل اختبار لهم ومحاولة لأثبات بطلانهم بالمنطق ، هكذا كان ابراهيم عليه السلام الفيلسوف المتقد الذكاء، ثم كون عقيدته الكاملة بعد اختبار الآلهة، انه وجد الهه أخيرا، انه خالق الشمس والقمر والكواكب نفسه ، ثم انه لا يري، الا ان هذه صفة لابد ان تكون للألهة ، لان الله ليس كالبشر يرانا ولا نراه، لأننا لو كنا نراه لكان محدودا مثلنا ولامكننا إيذاءه، هكذا تبلورت عقيدته الحنفية في قوله تعالي (اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما انا من المشركين) كل هذا في فتوته وقبل ان يرسل اليه فعلا.

عندما وصل خبر ما فعله ابراهيم عليه السلام في المعبد الي الكهنة والناس تذكروا هذا الشخص الذي ظل يجادلهم مدة طويلة في الهتهم ويحاول نشر عقيدته المتمردة ضد الآلهة وسرعان ما وصلوا اليه وقبض عليه وارسل للمحاكمة.

كانت تلك المحاكمات غالبا ما تكون في المعبد وتتم من الكهنة انفسهم بوصفهم القائمين علي امر الآلهة ، وبدأ ابراهيم عليه السلام يفحمهم بادلته ومنطقه ، فكيف تؤمنون بالهة انتم الذين صنعتموهم ، ثم ينكر التهمة (بل فعله كبيرهم) ثم يفحمهم بان يسألوه اذا كان ينطق ليشهد ، ولماذا لم يدافعوا عن انفسهم وكيف تطلبون منهم الحماية اذا كانوا عاجزين عن حماية انفسهم ، هكذا وجدوا انفسهم في حلقة مفرغة لن يصلوا الي شيء، فقالوا ان الحل الوحيد هو تطبيق القانون وان يجعلوا له عقوبة رادعة حتي لا يتجرأ احد من الذين بداوا إعادة النظر في عقيدتهم من العامة .

النقطة التالية التي امامنا لنناقشها هي هل كان امر المناظرة بينه وبين الملك قبل ام بعد واقعة الحرق، اعتقد ان امر فتي تعدي علي الآلهة في معبد ليس امرا عظيما ليجعل الملك يهتم بمقابلته بل ومناظرته كانه ندا مساويا له ، ولماذا يناظره اذا كان هناك قانون يطبق . وما أهميته ليصل الي الملك، اعتقد ان المناظرة كانت منطقية بعد واقعة الحرق الفاشلة والتي خرج منها ابراهيم عليه السلام سليما وسط ذهول الناس ، هكذا اصبح ابراهيم عليه السلام حديث المدينة والرجل الخارق الذي يستحق مقابلة الملك ، بل ان الملك نفسه هو الذي يريد ان يقابله ويراه بنفسه ، كل ذلك كان قبل بعثته عليه السلام ، ومازال يتحدث مع الملك بنفس المنطق والفلسفة والعقل، فلا حاجة للبعث لكي يعرف كيف يناظره ويفحمه فكل شيء قد تكون في راسه بالفعل ووصل اليه وحده.

٣) المناظرة والعقاب:

اعطانا القرآن نبذة سريعة عن المناظرة ولذلك لن نفترض احداثا لم تحدث ، ان الملك المعتد بدينه – مصدر قوته امام الناس - أراد اثبات ذلك امام حاشيته ورعيته وكهنته ، فسأل ابراهيم عليه السلام اذا لم تكن تؤمن بآلهتنا فمن اذا الاله الصحيح ؟

اجابه ابراهيم عليه السلام ان ربي هو الذي يحي ويميت ، لقد فهم ابراهيم عليه السلام ان الاله هو الذي يعطي سر الحياة وهو الذي يأخذها عند الموت وهو الذي يحيي جميع الكائنات ، فقال الملك : انا احيي واميت، شارة منه الي انه قادر علي الامر بقتل شخص واعفاء محكوم من الموت ، انه يعلم انه كاذب ويفهم جيدا مقصد ابراهيم عليه السلام الا انه أراد ان ينتصر بأي طريقة امام قومه لان انهزامه يعني سقوطه كملك مدافع عن الدين، وهنا

لم يجادل ابراهيم عليه السلام وجاءه بالدليل الفاصل الذي لا يستطيع التملص منه بذكاء، فقال له، اذا الله يأتي بالشمس من المشرق فهل تستطيع ان تأتي بها من المغرب، من هنا نفهم ان الملك عندهم كان له سلطات خارقة مستمدة من الله ولذلك فقد امن الناس بألوهيته ، او هكذا افهمهم الكهنة ، وامام هذه العقلية الفلسفية القوية لم يستطع الملك الجدال اكثر لأنه سيحرج نفسه امام كهنته وحاشيته وشعبه.

لقد رأي الناس والكهنة انهم امام شخص مميز ، لقد حاولوا بالفعل قتله ولكنه لم يمت، لقد فتن الناس بهذا الشاب الذي تحميه الآلهة ولا يمكن قتله وقد افحم الملك أيضا، لقد اصبح ابراهيم عليه السلام تهديدا شديدا لسلطة الكهنة وسلطن الملك الذي ظل طوال هذه السنين بلا منازع وقد خشوا ان يحاولوا قتله مرة اخري فينجو كما نجا من الحرق فيزداد قوة وشعبية وربما يطيحهم جميعا من سلطانهم، اذا الحل الوحيد هو ان يخرج من البلاد بعيدا بفتنته وسحره ، وهذا ما حدث ابعد ابراهيم عليه السلام وزوجته وابن أخيه – فقط في قول التوراة – (لوط) وهاجرا الي خارج (بابل) ومروا بعدة مدن اخري الي ان استقروا بعد ذلك في ارض فلسطين – أيضا علي حد قول التوراة ولا توجد ادلة تنفيه او تثبته ولا باس بقبوله اذ انه لن يترتب عليه تغيير في الأحداث التالية.

☐ هجرة ابراهيم عليه السلام

ان خط سير ابراهيم عليه السلام خروجا من مسقط راسه لا يوجد معلومات عنه الا في التوراة وكما قلنا فاننا لن نأخذ منها الا ما لا يتعارض مع المنطق او سير القصة بشكل مساعد فقط ولا نأخذ أي حقائق ثابتة،

فالمعلوم ان ابراهيم عليه السلام وصل الي مكة بعد بعثته ولا نعرف الطريق الذي سلكه وأين استقر قبلها ثم انه ارتحل من مكة وترك زوجته وابنه اسماعيل عليه السلام وقد كان نبيا ، ثم عاد وقد كان اسماعيل عليه السلام في سن تمكنه من مساعدته في بناء الكعبة وقد كان عاقلا حينها ليفهم ان ابوه نبي مكلف .

حسنا لنرتب الأحداث ونرسم خط سير ابراهيم عليه السلام بعد خروجه من مسقط رأسه..

١) البداية في التوراة كانت من (اور الكلدانيين) وكما قلنا لا دليل علي كونها اور المعروفة ، ولذلك رجحنا انها (بابل) كما سبق، ولذلك سيبدأ ابراهيم عليه السلام رحلته خارج بابل .

٢) من بابل (جنوب الرافدين) المسار الطبيعي ان يمر بمدن (ماري) علي الفرات ثم (حران) – الهلال الخصيب- وهو الطريق المعتاد للهجرات السامية والتجارة وقتها، ثم يستقر وقتا في (حران) ويموت والده هناك – هذه رواية التوراة ولا مشكلة فيها الا ان ابوه كان غير مؤمن ولا دليل انه تبرأ منه او قاطعه فمن المعقول ان يخرج معه .

٣) القرآن لا يخبرنا بهجرة ابراهيم عليه السلام الي ارض فلسطين قبل مكة ولا يوجد أي دليل يثبت او ينفي ذلك، ولكن طبيعة الجغرافيا في هذا الوقت تفترض ان يمر بارض كنعان في طريقه الي مكة حيث كان هناك طريقتين للوصول اليها ، الاولي عبر وسط الجزيرة العربية فالحجاز لكنها صحراء قاسية ولا توجد طرق تجارية مستقرة ولا مدن ولا مياة كافية في هذا الزمن ، لذلك فالأرجح انه اتجه نحو كنعان.

٤) كنعان هنا ليست مجرد طريق بل ارض إقامة طويلة ومركز ثقل بشري واقتصادي لإبراهيم عليه السلام، وهي عقدة الطرق بين الرافدين ومصر والحجاز وارض صالحة للرعي والاستقرار وبيئة مناسبة وسامية معروفة وفيها شبكة تحالفات قبلية ومدن محصنة ،

من المنطقي ان يستقر ابراهيم عليه السلام في كنعان قليلا ليس بالضرورة في نقطة واحدة بل عدة أماكن علي مدار زمن والتوراة تذكر اسماء مثل (شكيم) و (بيت أيل) و (النقب) و (حبرون) والحقيقة انها مدنا تقع علي محور واحد منطقي ضمن مناطق الرعي الخصبة والطرق التجارية

٥) هل دخل ابراهيم عليه السلام الي مصر؟

الحقيقة انه لا توجد أي ادلة من التاريخ المصري تدل علي ذلك الا التوراة التي تذكر دخوله لمصر وقت المجاعة في كنعان، ولا نملك الا المنطق لبحث هذه المسألة..

أولا: هل كانت هناك مجاعة في كنعان في القرن الثامن عشر قبل الميلاد؟

الجواب نعم لقد كانت المجاعات متكررة في هذه الفترة في ارض فلسطين وبالطبع في هذا الوقت .

ثانيا: اذا كانت اخر نقطة وصل اليها ابراهيم عليه السلام كما وصفت التوراة هي (حبرون) و(النقب) فإنها تكون اقرب نقطة الي سيناء ومصر واذا افترضنا حدوث مجاعة في هذا الوقت يكون منطقي دخوله لمصر ولا يوجد مانع من قبول تلك الفكرة.

ثالثا: هناك نصوص مصرية إدارية وسجلات تصويرية تصور دخول جماعات اسيوية منهم الي مصر في هيئة عائلات مع ماشيتهم، مثل مقبرة (خنوم حتب الثاني- الاسرة ١٢) ولكنها تعود لعام ١٩٠٠ ق.م ولا يمكن الاعتماد عليها كدليل قاطع ، وهناك نصوص إدارية اخري متأخرة عن هذا العصر تشير الي السماح بدخول (العامو) وإعطاء خبز وماء للبدو ، خاصة نصوص في شرق الدلتا وفي وادي طميلات وهذه النصوص تتوافق مع دخول عائلات وليس هجرة وتناسب قصة دخول ابراهيم عليه السلام الي مصر وقت مجاعة.

٦) من المهم جدا تحديد عمر سيدنا ابراهيم عليه السلام في كل نقطة في رحلته لدراسة منطقية الرحلة وصولا الي مكة وهي النقطة المؤكدة الوحيدة لدينا..

أولا: عمر ابراهيم عليه السلام وقت خروجه من بابل ما بين عشرين الي خمسة وعشرين عاما لان ذلك كان يتبع مباشرة حادثة تحطيم التماثل والحرق والمناظرة والطرد بعد ذلك ، ويكون هذا العمر منطقيا اذا، وبمروره علي عدة مدن في الرافدين والاستقرار قليلا في كل منها مع افتراض انه كان ربما مطاردا من حكوماتهم لما عرف عنه من بابل وعدم رغبة الحكام في استضافته خشية الفتنة، فلم يمكث كثيرا في بلاد الرافدين حتي وصل الي كنعان.

ثانيا: علي ذلك يكون عمر ابراهيم عليه السلام في بداية اقامته بكنعان في الثلاثينات ، وعند وصوله لمصر يكون معقولا ان يبلغ الأربعين من عمره أي تقريبا حول عام ١٨٣٠ق.م

رابعا: **اذا كان دخوله مصر حقيقة فمن يكون الملك المصري الذي عاصره .**

علي الأرجح كان الملك (سنوسرت الثالث) لأنه غطي كل الفترة التي يحتمل وصول ابراهيم عليه السلام لمصر فيها فقد حكم من ١٨٣٩ الي ١٨٧٨ ق.م وهي تغطي احتمال الخطأ في حسابنا لتاريخ دخول ابراهيم عليه السلام لمصر ، ويعد من اقوي ملوك الاسرة الثانية عشر ، كما ان النصوص التي ذكرناها والمذكور فيها السماح بدخول عائلات (العامو) الاسيويين البدو واعطائهم خبز وماء تناسب فترة الدولة الوسطي خاصة الاسرة الثانية عشر ويمكن ربطها زمنيا بالملك (سنوسرت الثالث) ومن ناحية اخري فانها فترة استقرار في مصر مما يدعم قبول اطعام البدو في مجاعتهم.

و لا نرجح مكوثه كثيرا في مصر لان الفترة التالية كانت فترة اضطرابات وعدم استقرار لذلك فلن تجاوز اقامته سنة وعلي ذلك يكون خروجه من مصر في بداية الأربعين من عمره، ومن المنطقي ان يعود الي كنعان بعد انتهاء المجاعة وقضاءه الغرض من مصر وهذا هو المنطقي الا اذا كان ابراهيم عليه السلام قد عزم علي الذهاب لمكة

اثناء وجوده في مصر وهذا لا يحدث الا في حالة واحدة، انه قد امر ان يذهب لمكة ، أي انه اصبح نبيا وبعث اثناء وجوده بمصر.

٦) زواج ابراهيم عليه السلام الثاني:

نعرف ان ابراهيم عليه السلام كان متزوجا من زوجته الاولي منذ خروجه من بابل وهو امر مرجح ولا دليل عليه، ومن المتفق عليه عند العلماء ان ابراهيم عليه السلام قد انجب اسماعيل عليه السلام من زوجة اخري غير التي انجبت اسحق علي كبر، وهي الاولي، ولم تكن تنجب ، واذا اتبعنا رواية التوراة فتكون زوجته الثانية (ام اسماعيل عليه السلام) جارية مصرية اهديت لزوجته الاولي ثم اتخذها ابراهيم عليه السلام شريكة – ملك يمين – بغرض الانجاب فقط ، وقد منحت له من زوجته الاولي (سارة في التوراة) ثم حدث توتر بين الزوجتين بعد ذلك مما جعله يتركها في الصحراء بعد ذلك.

هذه الرواية يؤخذ منها ويرد، فلا مانع من قبول الجزء الأول من كون هاجر جارية ثم انجب منها ابراهيم عليه السلام حسب العرف في هذا الوقت ، ولا يمكن قبول ان ابراهيم عليه السلام تركها وابنها في الصحراء بسبب سارة زوجته الاولي لان القرآن يخبرنا انه كان امرا من الله كما سنبين بعد قليل.

اما مسالة كونها مصرية فلا يمكننا القطع بشأنها اذ ان هذا يتوقف علي طبيعة البيئة المصرية حينئذ في السماح للأجانب باتخاذ جارية مصرية وهو امر صعب وغير مرجح كما انه هو نفسه لاجئ في مصر فقير فكيف يمكنه شراء جارية والحل الوحيد انها اهديت اليه من شخص ذو مقام في مصر وهذا لن يحدث مع قبائل لاجئة ولكن لذوي الشأن والضيوف المهمين فقط ، ولذلك لا نرجح ان تكون زوجته الثانية مصرية بل كانت خادمة لزوجته الاولي قبل دخول مصر وهو الأكثر منطقية .

٧) بعثة ابراهيم عليه السلام:

ان المسار من مصر الي مكة غير موجود في التوراة علي الاطلاق اذ انهم لا يذكرون مهمة بناء الكعبة أصلا وهو تحريف واضح للتاريخ ، ولذلك لا يذكر في التوراة الا انه هاجر مرة اخري من مصر الي ارض كنعان . ولكن وفقا للقران فانه امر بالذهاب الي مكة وهو ما يرجح انه غادر مصر مباشرة اليها وهو أيضا ما يؤكد انه قد بعث نبيا اثناء وجوده بمصر لأنه اذا كان بعث قبل الدخول لذهب مباشرة الي مكة لان مهمته هناك – بناء الكعبة – هي المهمة الأساسية لنبوته وعلي ذلك، فلا حاجة لدخول مصر من الأساس، ويدعم ذلك اتفاق عمر ابراهيم عليه السلام في هذا الوقت وهو انه قد تجاوز الأربعين أي انه اصبح في سن النبوة .

٨) **من مصر الي مكة:** الطريق المنطقي في هذا الوقت هو من دلتا النيل الشرقية او جنوب شرق الدلتا لان الأراضي حول دلتا النيل كانت مصدرا للمياه والغذاء حتي في أوقات الجفاف النسبي وكان الوصول أي الصحراء الشرقية سهلا من هناك، ومن هنا فيكون الطريق الطبيعي من الصحراء الشرقية الي سبه جزيرة سيناء وفيها توجد عيون ونقاط رعي للماشية والطريق يمتد عبر وديان سيناء لتسهيل الحركة وعادة تسلك القوافل هذا الطريق لتجنب الصحراء الكبرى في الغرب .

بعد عبور سيناء من خليج العقبة الي وادي عربة الي شمال الحجاز (مدين) وهو ممر رئيسي للتجارة والهجرات القديمة مع محطات للماشية والمياه ، وهذه هي النقطة التي تربط بين الشام وشمال الحجاز .

ومن وادي عربة الي وادي مكة (تهامة) فان الطريق يتبع وديانا وممرات جبلية منخفضة ويعتمد علي عيون مياه ومراعي مؤقتة.

والرحلة تمتد عدة أسابيع حسب عدد الأفراد والماشية ، والمسافة من دلتا النيل الي مكة حوالي ٨٠٠ كم يمر بمحطات يومية ووقفات كثيرة للراحة ورعي الماشية. والزمن الكلي للرحلة تقريبا ٦٠ يوما .

مكة: ولادة اسماعيل عليه السلام الي بناء الكعبة

١) عندما وصل ابراهيم عليه السلام الي وادي مكة لا يعرف كم بقي هناك ، ولكن الأكيد انه كان معه زوجته الاولي والثانية فقط وربما ماشيته ، فقد ارتحل لوط منذ زمن الي اتجاه ، كما انه لم يكن معه أبناء حتي الان وقطعا كان معهم ماشية ورحال قليلة ، لان القرآن يخبرنا بانه عندما غادر مكة ترك زوجته مع ابنه الرضيع وحدهما تماما وان كان هناك خدم او اخرون لترك بعضهم مع زوجته التي وضعت لتوها وابنه الرضيع ، ولكن الاغلب انه رحل مع زوجته الاولي وبعض الماشية وهو ما يدعم انهم كانوا ثلاثة افراد فقط.

بالطبع يمكث ابراهيم عليه السلام مدة ربما شهور قليلة في مكة حتي تضع زوجته الطفل ثم يجئ الامر بالارتحال ، اذا لم يكن ابراهيم عليه السلام يعلم عندما وصل مكة انه سيترك زوجته ورضيعه ويرحل بل كان عازما علي الاستقرار وهو ما يدعم انه مكث فترة انتهت بالولادة.

٢) طبيعة وادي مكة القرن الثامن عشر ق.م :

لم تكن مدينة ولم تكن مسكونة ابدا في ذلك الوقت وهو ما يدعمه القرآن (اني تركت من ذريتي في واد غير زي ذرع عند بيتك المحرم)وهو ما يطابق الوضع المعروف تاريخيا ، لا توجد أي زراعة حيث ان الوادي غير مأهول فهو واد جاف ويعتبر فقط ممر موسمي للقوافل ، يقع الوادي بين (الصفا) و(المروة).

٢) **ولادة اسماعيل عليه السلام:**

من الثابت نصا في قوله تعالي: (ربنا اني اسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك المحرم- ابراهيم عليه السلام ٣٧) ، انه امر ان يترك زوجته وابنه بمجرد الولادة ويرحل مع زوجته الاولي، وهو امر قاس جدا لكنه اختبار علي قدر النبي صلي الله عليه وسلم المختبر وابراهيم عليه السلام عليه السلام ليس نبيا عاديا بل من اولي العزم من الرسل. ومن الآية تأكيد علي الطبيعة القاسية للمكان فلا يوجد به أي من مصادر الحياة ، لا توجد ابار مياه ولا عيون ولا توجد زراعة او ثمار يأكلوا منها ، والفكرة في الأيمان بان الله سيخلفه في اهله .

ما حدث بعد ذلك منصوص عليه في الحديث الصحيح في رواية ابن عباس :

اول ما اتخذ الناس من المناطق عن ام اسماعيل عليه السلام اخذ ابراهيم عليه السلام بإسماعيل عليه السلام وامه حتي وضعها بمكة ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم فقي ابراهيم عليه السلام منطلقا..

فجعت ام اسماعيل عليه السلام تتبعه فقالت :يا ابراهيم عليه السلام أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء. ..قالت الله امرك بهذا ، قال نعم ، قالت اذا لا يضيعنا ..فنفذ ما في السقاء فعطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوي...فقامت فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات.. فاذا الملك عند موضع زمزم فحفر ، او قال : بجناحه حتي ظهر الماء ... فقال النبي صلي الله عليه وسلم : يرحم الله ام اسماعيل عليه السلام لو تركت زمزم لكانت زمزم عينا معينا.

المصدر : صحيح البخاري –كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالي (واتخذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا).

من الحديث نفهم ان ابراهيم عليه السلام تركهم وغادر بأمر من الله وهو في اشد العذاب اذ ابنه الذي انتظر زمنا ليراه اذا هو تاركه وراحل، ولكن الأنبياء يعلمون انه خلقوا لطاعة أوامر الله وتنفيذ الرسالة، وهكذا أصبحت ام اسماعيل عليه السلام وحيدة في مكان موحش لا يوجد به بشر ظلت تسعي بين الصفا والمروة باحثة عن أي زرع او ماء او بشر يساعدونها بلا جدوي ، وقد تركت رضيعها يبكي حيث تركته ثم عادت لتجد ملاك – بالطبع متجسد في صورة انسان ، جرت اليه وهي تحسبه بشر ، فحفر الملك بئر زمزم بجوار الطفل

ولا داعي للمبالغة في طريقة الحفر لاختلاف الروايات ويكفي ان هذا الملاك كان معرف من الله بالموضع الصحيح لحفر البئر الخالد فحفره وربما انه كان قريب من السطح ولا يحتاج جهد كبير لحفره.

٣) بئر زمزم:

بئر زمزم من الناحية العلمية والتاريخية هو بئر متفرد من حيث الخصائص ولا يوجد له مثيل في العالم، فالبئر لم ينضب منذ الالفية الثانية قبل الميلاد (حوالي ٤ آلاف سنة) وهذا امر متفرد علميا، والتفسير الهيدروجيولوجي المحتمل (غير قطعي) ، هو انه متصل بشبكة شقوق صخرية عميقة في صخور نارية متحولة تتغذي من امطار موسمية بعيدة ليست من مكة نفسها ، ولذلك لا تنتهي مصادر المياه التي تمده حيث يجمع تقريبا من العالم له .

ان ماء زمزم له خواص فيزيائية مميزة ، حيث انه صاف ومائل للقلوية قليلا وغني ببعض المعادن، ولا زالت مسالة استمراريته غير مفسرة بشكل قاطع.

اذا ، لو كانت حساباتنا للتاريخ صحيحة يكون زمن حفر البئر حوالي ١٨٤٠ ق.م وهو ما يتفق مع بداية السكن والاستقرار في وادي مكة .

كما قلنا ان المنطقة غير مأهولة ولكنها ممر للقوافل التجارية وبالطبع كل من يمر سيلاحظ الوادي ، ولذلك فان وجود بئر يغير المقاييس والظروف تماما للواد من مكان قفر لا يجذب اهتمام المارة الي كنز وموضع للاستقرار، وهو قوله تعالي (فاجعل افئدة من الناس تأوي اليه) وهذا ما حدث ، بداة القوافل تلاحظ البئر وتغير مسارها في البداية لتسقي وتستريح ثم تكمل رحلتها ، ومع الوقت بدأ الناس يستقرون في الوادي حتي تنفذ البئر فيرتحلون كعادة البدو ، ولكن الغريب ان البئر لا ينفذ وبالتالي يستقر الناس وبعد ان اصبح خلود البئر حقيقة لا شك فيها قرر الناس الاستقرار للابد وهو ما يعني الزراعة وبناء المساكن الدائمة بدلا من الخيام المؤقتة ، وهكذا وجد اسماعيل عليه السلام وامه حياة كاملة وناس ليرعوهم.

ان البئر عن العرب يعتبر كنز ومصدر لسيادة وفخر صاحبه، وكان العرب يحترمون هذه القاعدة جيدا، ولما كان اول من وجد عند البئر هو اسماعيل عليه السلام وامه اذا تكون هي اول مالكة للبئر وهذا في لغة العرب يعني سيادة وثروة، وهكذا أصبحت ام اسماعيل عليه السلام واسماعيل عليه السلام سادة ومكرمين واصبح الناس يبجلونهم ويخدمونهم ويحمونهم .

بالطبع ان امرأه مؤمنة مثلها لن تتواني عن تعريف الناس بقصتها وانها زوجة النبي ابراهيم عليه السلام ، وتعرفهم بدينه الحنيف وهو ما يتفق عليه العلماء اذ كان سكان مكة الأوائل مؤمنين خاصة ان اسماعيل عليه السلام عندما بلغ سن النبوة بعثه الله فيهم نبيا.

٤) نعود الي ابراهيم عليه السلام الذي ترك اهله ولا يعلم ما حدث لهما ، ولا نعرف يقينا الي أين ذهب حتي التوراة لا تعترف بقصة ذهابه الي مكة وتقول انه غادر مصر عائدا الي كنعان، ولكن لا يوجد مكان اخر يمكن اثبات وجود ابراهيم عليه السلام فيه غير ارض فلسطين ، لذلك فالمرجح انه عاد مع زوجته اليها ومكث هناك بضع سنين ثم امره الله بالعودة الي مكة.

كان عمر ابراهيم عليه السلام عندما غادر مكة لازال فوق الأربعين ربما قارب الخمسين من عمره ، وعندما عاد اليها كان اسماعيل عليه السلام بالغا عاقلا ليفهم ماذا يعني ان اباه نبي ويؤمر فيطيع ، ولذلك فعلي الأرجح كان عمر اسماعيل عليه السلام وقتها خمسة عشر عاما لا اقل ، وهو متوسط معقول ومنطقي يسمح له بمعاونة ابيه في بناء الكعبة وفهم طبيعة النبوة ، وعلي ذلك نضيف خمسة عشر عاما الي يعمر ابراهيم عليه السلام ليكون علي اقل تقدير في الخامسة والخمسين من عمره عندما وصل الي مكة في المرة الثانية.

٥) الرؤيا والذبح:

هذه القصة مؤكدة بنص القرآن ، قوله تعالي: ولما بلغ معه السعي قال يابني ان اري في المنام اني اذبحك فانظر ماذا تري، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين – الصافات) ، ان الأنبياء لهم قواعد مختلفة ، فالرؤيا للنبي تعتبر امر الهي ، وهكذا فهم ابراهيم عليه السلام بعد خمسة عشر سنة من النبوة، وعرف ان الله يبتليه مرة اخري بعد ان اجتمع شمله بابنه بعدما تركه رضيعا، فيأمره بذبحه ، وهكذا شرح ابراهيم عليه السلام الامر لابنه الذي كان اشد الناس فرحا بابيه الذي طالما حكت له امه عنه ، ولكن الله أراد ان يعد اسماعيل عليه السلام للنبوة بهذا الابتلاء وهو ما نجح فيه وسلم امره لله واطاع الامر وقال لوالده ان يفعل ما يؤمر، فانطلقا الي اعلي هضبة لينفذا امر الله ، ويخبرنا القرآن بعد ذلك (وفديناه بذبح عظيم) ، وبدون الحاجة الي مؤثرات خيالية فقط.. جاءه ملك علي هيئة بشر مرة اخري بذبيحة (ربما خروف كبير) او انه وجده علي مقربة منه حيث لم يفترض ان يكون موجودا وأيا كان ما حدث فقد ظهر بطريقة يفهمها ابراهيم عليه السلام كنبي بان الله قد اختبره وعفاه من الذبح.

٦) بناء الكعبة:

لا يعرف بالتحديد شكل الكعبة قبل رفع القواعد ولا توجد أي نصوص او ادلة تاريخية بالطبع ، وليس عندنا الا اية واحدة سنحاول ان نفهم منها باذا أضاف ابراهيم عليه السلام وماذا كان موجودا قبله..

قوله تعالي: واذا يرفع ابراهيم عليه السلام القواعد من البيت واسماعيل عليه السلام - البقرة)

قوله تعالي: ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود – البقرة)

من الآية الاولي نفهم ان عمل ابراهيم عليه السلام هو (رفع القواعد) ولنفهم ماذا يعني..

أولا: لغة القاعدة هي أساس البناء ويقال قواعد البيت أي اسسه اتي يقوم عليها وهي الجزء الثابت السفلي الذي يبني عليه وليس فيه جدار او سقف

والرفع في اللغة هو اعلاء الشئ المنخفض فيقال رفع الحائط أي بناه لأخره والرفع لا يعني البناء من العدم بل يفترض وجود القاعدة .

ثانيا: رفع القواعد في استعمال العرب هو اعلاء الجدران والسقف ويفترض وجود القاعدة قبل الرفع.

ثالثا: اذا ماذا كان موجودا قبل رفع ابراهيم عليه السلام القواعد:

لا يوجد نص يخبرنا بشكل مؤكد ولكن ما نفهمه من الآيات انه علي الأقل كان هناك تحديد لموقع البناء مع وجود الحجر الأسود في ركن منها ، ثم قام ابراهيم عليه السلام باعلاء الجدران الأربعة والأرجح انه لم يبني سقف ، ثم وصع الحجر الأسود في مكانه ، وغالبا قام اسماعيل عليه السلام علي مدار السنوات التالية بمساعدة الناس الذين سكنوا المنطقة سريعا فقاموا بوضع السقف وربما كسوة قماش بسيطة وعظموا البيت بعد ذلك الي اليوم.

رابعا: كيفية البناء :

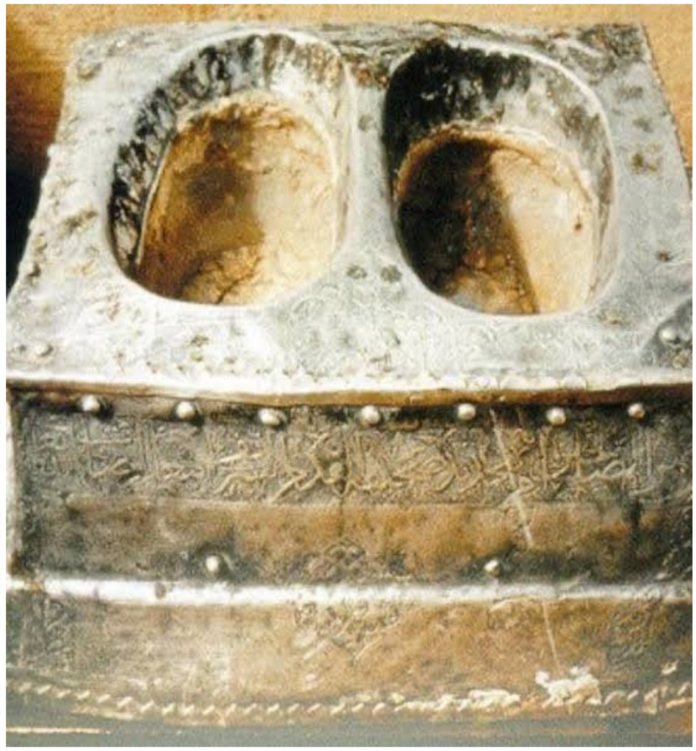
الطوب الوحيد المتاح الحصول عليه في وادي مكة هو من الحجر الطبيعي من جبال مكة ، فكان علي ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام ان يجمعا حجارة سطحية مكسورة طبيعيا من سفوح الجبال ومجري الوادي وهو أسلوب معروف حتي الان في البناء البدوي القديم،

ما حدث ان ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام اقاما صفان من الحجارة بارتفاع منخفض يحددان البيت (مستطيل اقرب للمربع) بتجميع الحجارة ووضعها فوق بعضها بعد اختيار الحجارة المسطحة ولا يرجح استخدام مواد لاصقة كالطين وهو غير متاح، اذا الغرض هو رفع القواعد وبناء سور حول الموقع بحجارة ثقيلة تتشابك بالوزن ونعتقد ان مهمة البناء الصحيح والتام كانت علي اسماعيل عليه السلام بعد بعثته بمساعدة الناس في مكة.

غالبا استغرق البناء أسابيع وربما شهر او اكثر قليلا ولذلك يرجح ان ابراهيم عليه السلام مكث في مكة عدة شهور قبل ان يغادر مرة اخري.

مقام ابراهيم عليه السلام:

هو حجر كان يقف عليه ابراهيم عليه السلام عليه السلام اثناء بناء الكعبة ، ويوجد في المسجد الحرام بمكة قريبا من الكعبة ويري من خلال غلاف زجاجي واق، وهو عبارة عن حجر صلب عليه ما يعتقد انه اثر قدميه اثناء رفع البناء وهو من الروايات المشهورة فقط ولا يوجد نص نبوي يثبت ذلك، وما نراه غائرا في الحجر هو دائرتين بيضاويتين وليستا اثر قدم واضح وهما غائرتان كثيرا مما يعارض الامكانية الفيزيائية لطباعة اثر قدم كما ان الحجر جيري صلب لا يصبح طريا او طينيا عند البلل ولا يمكن ان يطبع عليه اثر قدم ، اما نسبة الحجر لسيدنا ابراهيم عليه السلام فهي ثابتة بالنص (واتخذوا من مقام ابراهيم عليه السلام مصلي) وثابت بالسنة اذ ان النبي صلي الله عليه وسلم علمنا ان نبدأ الطواف وينتهي عند هذا المقام وتقام الصلاة من هذا المركز ، ولهذا يكون المؤكد هو نسبة الحجر كمقام يقف عليه ابراهيم عليه السلام عند البناء ولا يوجد دليل علي ان الحفرتين فيه هما لقدمه عليه السلام.

البشارة بإسحاق

بعد بناء الكعبة غادر ابراهيم عليه السلام علي الأرجح الي ارض فلسطين مرة اخري ومن المعقول انه كان يعود لمكة مرات عديدة ،ومن المرجح أيضا ان البيت كان يعتبر قبلة للحج من ابراهيم عليه السلام والمؤمنين بدينه الحنيف ولا نعرف علي وجه اليقين اذا ما كانت صحف ابراهيم عليه السلام تتضمن شيئا عن ذلك ، الا ان الآية الثانية (وطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) تدل علي ان البيت كان يقصد للتعبد في زمن ابراهيم عليه السلام ولذلك اتم اسماعيل عليه السلام بناءه بعد ذلك .

كما قلنا فان ابراهيم عليه السلام لم ينجب من زوجته الاولي ولذلك تزوج من ام اسماعيل عليه السلام، وظل ابراهيم عليه السلام في كنعان حتي بلغ من العمر الكبر وهو اللفظ المستخدم في القرآن وقت البشارة ، فجاءته الملائكة لتبشره بولادة اسحق..

١) سن ابراهيم عليه السلام وقت البشارة : القرآن استعمل لفظ الكبر ، وفي اللغة الكبر هو التقدم في السن ، وكانت العرب تقسم مراحل العمر الي، الأشد : تمام القوة (فلما بلغ اشده وبلغ أربعين عاما) وهي مابين ٣٠-٤٠ سنة والكهولة: ما بعد الأشد مع بقاء القوة ، ثم الكبر هو الضعف بعد القوة وتغير البدن وتوقع العجز وخاصة انقطاع النسل ، وهو عادة ما بين السبعين والثمانين.

ولكن ماذا عن ابراهيم عليه السلام، نعلم ان ابراهيم عليه السلام عليه السلام كان قوي البنية اذ اعده الله لاعمال شاقة طيلة حياته وكثرة الترحال في ظروف صعبة والأنبياء عامة كانوا اقوي قليلا من حيث البنية الجسمية والعقلية وهذا منطقي ، ولذلك فمن المرجح ان تتاخر سن الكبر عند ابراهيم عليه السلام قليلا اذ ان الرجل العادي لا ينجب بعد سن التسعين عادة واكبر حالة مسجلة في العصر الحديث لرجل انجب في سن التسعين اذا كان في بيئة جيدة وغذاء صحي ، وهذا متوفر عند ابراهيم عليه السلام ، ولكن اذا كنا بصدد معجزة الهية فلابد ان يكون السن اكبر قليلا من التسعين وهو المعقول.

٢)سن زوجته : القرآن يستعمل لفظ (عجوز عقيم) بالنسبة لزوجة ابراهيم عليه السلام وقت البشارة، وفي اللغة العجوز للمراة يبدأ من ٥٥ سنة وهو سن اليأس ، وربما تكون اكبر من ذلك اذا طبقنا الظروف البيئية انذاك والتي قد تساعد علي الاحتفاظ بالصحة لوقت ابعد ، فمن المعقول ان تكون في السبعين من عمرها اذ يكون الفارق بينها وبين ابراهيم عليه السلام عشرين عاما ، علي اعتبار انه كان متزوجا قبل خروجه من بابل وهو

بسن الثلاثين او اقل قليلا فتكون سنها عند ازواج حوالي خمسة عشر سنة او ربما اقل وهو المعتاد قديما في الرافدين (١٢-١٤ سنة في قانون حمورابي)،

٣) زوجة ابراهيم عليه السلام كانت عاقر ، والمقصود العقم وهو عدم القدرة علي الانجاب وفي تاج العروس – العقم هو امرأه التي تنجب مرة واحدة فقط او لا تنجب ابدا ، ومن الناحية البيولوجية فان بعض النساء المصنفات بالعقم قد يحدث حمل لديهم وهو امر نادر جدا ولكنه ليس مستحيلا وغير مألوف في العصور القديمة خاصة مع تقدم السن.

٤) رسل الله الي ابراهيم عليه السلام:

ذكر القرآن قصة الرسل التي جاءت ابراهيم عليه السلام لتبشره بالإنجاب في اكثر من موضع..

قوله تعالي: ولقد جاءت رسلنا براهيم بالبشري قالوا سلاما قال سلاما فما لبث ان جاء بعجل حنيذ هود- ٦٩

قوله تعالي: فلما رأي أيديهم لا تصل اليه اوجي منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الي قوم لوط - هود

قوله تعالي: فلما ذهب عن ابراهيم عليه السلام الروع وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط – هود ٧٤

قوله تعالي: ولما جاءت رسلنا ابراهيم عليه السلام بالبشري – العنكبوت ٣١

قوله تعالي: اذ دخلوا عليه قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون – الذاريات ٢٥

قوله تعالي: وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء اسحق يعقوب – هود ٧١

قوله تعالي: وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين

قوله تعالي: قال ابشرتموني علي ان مسني الكبر فبم تبشرون – الحجر ٥٤

قوله تعالي: قالت ياويلتي ألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب – هود ٧٢

قوله تعالي: فأقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم – الذاريات ٢٩

ومن الآيات يمكن ان نفهم ما حدث..

أولا : البيئة التي كان يعيش فيها ابراهيم عليه السلام وزوجته كانت قبلية في الصحراء وهي مجموعات قليلة من الناس يعرف بعضهم بعضا ، فاذا جاء غريب مسافر او عابر بقافلة يصبح معروفا للناس انه ليس من السكان ،

وهذا ما حدث عندما جاء رسل الله في هيئة بشرية تامة ، ليس عليهم من وعثاء السفر من تراب او ارهاق او اتساخ ملابس بالرمال، انها هيئة انسان نظيف الملابس نظيف الوجه حسن الملامح ، وهنا يبدأ الامر مريبا لإبراهيم عليه السلام ، اذ ان هؤلاء واضح انهم ليسوا من اهل المنطقة ولكن لا يبدو انهم جاءوا من سفر وكأنما هبطوا من السماء الي هذا الموقع ، ولكن أيا كان فهؤلاء ضيوف علي نبي الله ابراهيم عليه السلام ولابد من اكرامهم حسب العادة واخلاق الأنبياء، فجاء ابراهيم عليه السلام بعجل وذبحه والقرآن وصف العجل (بحنيذ) ، وتعني في اللغة شدة الحرارة او الصفرة او الحرق وهو في لسان العرب اللحم المشوي علي النار الحامية او علي الفحم او الحطب وغالبا يستعمل للبقر او الجمل وهذا الاسم معروف خاصة في الصحراء.

وقوله تعالي (فلما رأي ان أيديهم لا تصل اليه) أي لا يمدون أيديهم ليأكلوا ، لان الملائكة لا تأكل وظلوا مكانهم ، وهنا توجس ابراهيم عليه السلام منهم وبدأ يتأكد من ان هناك امرا غير طبيعي ، فسألهم فأجابوه انهم رسل الله (ملائكة هم دائما رسل الله في استعمال القرآن الا اذا كان المقصود الأنبياء) وهنا يفهم ابراهيم عليه السلام الامر ، وبالطبع فان زوجته كانت تتشوق لمعرفة من هؤلاء المريبين فدخلت عليهم او ضحكت من خلف حجاب فاخبروها بالبشارة بإسحق ومن بعده يعقوب ، والمقصود هو الذرية المتصلة وان نسلهم لن ينقطع .

بعد ذلك اخبروه برسالتهم التالية ورحلتهم الي ارض لوط عليه السلام ، وهو ما يثبت تزامن البشارة مع بداية عذاب قوم لوط كما سنبين لاحقا ، ولذلك فقد دلنا القرآن علي ان ابراهيم عليه السلام خشي علي لوط من العذاب وظل يجادل املا ان يرفع العذاب عنهم (قال ان فيهم لوطا) ولكن الرسل طمأنوه ان الله سينجيه الا امراته ، وهذه الإشارة تثبت اول ان لوط كان معاصرا لإبراهيم عليه السلام عليهما السلام، وثانيا ان هناك صلة قرابة بينهما وهو ما يتفق مع التوراة.

☐ وفاة ابراهيم عليه السلام

لا يوجد أي دليل تاريخي او قراني يدلنا علي السن الذي توفي فيه ابراهيم عليه السلام والذي منه يمكن ان نحدد التاريخ ، ولا يوجد سوي الرواية التوراتية التي تجعل وفاته في عمر ١٣٦ عام، وتشير الي ان اسحق ويعقوب قد دفناه في مغارة (المكفيل) بحبرون والتي قد اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفن فيها زوجته ودفن فيها هو بعد ذلك.

هذه الرواية تقرر أولا ان زوجته (ام اسحق) توفت أولا فقام بشراء المغارة وجعلها مدفن للعائلة

وثانيا: انه قد شهد مولد وفتوة حفيده يعقوب قبل موته ، وطالما انه لا يوجد لدينا اية ادلة اخري فسيكون علينا ان نحلل منطقية الرواية التوراتية ..

١) لا يوجد دليل يثبت او ينفي وفاة زوجة ابراهيم عليه السلام أولا ولا مانع من قبول هذه الرواية اذ انها لن تؤثر علي أي حسابات او احداث اخري في قصته.

٢) لنحسب مسألة معاصرة ابراهيم عليه السلام لحفيده يعقوب وفقا لسن ولادة اسحق الذي اتفقنا عليه والذي وافق أيضا رواية التوراة وهو تجاوز التسعين بقليل ، فاذا كان اسحق تزوج في سن العشرين وانجب ابنه يعقوب ، يكون عمر ابراهيم عليه السلام حينها ١١٠ عام ، واذا افترضنا ان يعقوب كان بالغا عاقلا وقت دفن ابراهيم عليه السلام ليساعد اباه – نفترض انه كان في عمر اسماعيل عليه السلام حين ساعد اباه في الكعبة – يكون علي الأقل خمسة عشر عاما أي يكون سن ابراهيم عليه السلام وقتها ١٣٠ عام وهو منطقي وفقا لحساباتنا – ان كانت صحيحة .

٣)ان المنطق عندنا ان ابراهيم عليه السلام قد كان موجودا لتربية اسحق تربية نبوية واعداده للنبوة اذ اننا نفترض ان البشارة بإسحق ويعقوب كانت بشارة ذرية ونبوة معا وهو يوافق قوله تعالي: قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين – البقرة) وهو يدل علي علم ابراهيم عليه السلام بانه ستكون في ذريته النبوة وكذلك في آيات البشارة (وبشرناه بإسحق ومن بعد اسحق يعقوب) وهو ما يؤكد لدينا انه كان يعلم بنبوة اسحق ، اذا من ذلك ان ابراهيم عليه السلام قد ربي اسحق حتي اصبح جاهزا وقد أعطاه علمه كله وعلمه الدين الحنيف وعلمه ما انزل عليه من صحف وهذا يفترض انه عاش علي الاقل حتي بلوغ اسحق الثلاثين من عمره واذا افترضنا انه انجب يعقوب في سن لعشرين يكون يعقوب في الخامسة عشر اذا كان اسحق في الخامسة والثلاثين ، وهذا كله لا يتعارض مع السن الذي ورد بالتوراة ، والعيب الوحيد في تلك النظرية هو ان اقصي عمر معروف للبشر علميا هو ١٢٢ عام ولكن بالنسبة لنبي لا يوجد ما يمنع وصوله علي الأقل الي عمر الثلاثين وهو اقصي ما يمكن قبوله. فالأنبياء تقضي عمرها عندما تنتهي رسالتها وبالنسبة لإبراهيم عليه السلام فقد انتهت مهمته في الدنيا بعد ولادة اسحق واعداده للنبوة والله اعلم.

٤) مكان دفن ابراهيم عليه السلام: وفقا للتوراة هو (مغارة المكفيلة) بحبرون والمسمى (بالحرم الإبراهيم عليه السلامي) ، ويقع في مدينة الخليل جنوب القدس، وهي عبارة عن مغارة صخرية في باطن الارض وكلمة

(المكفيلة) معناها المزدوجة وقيل لأنها تضم مقبرتان او قبور زوجان ، والمغارة الاصلية تحت الأرض وما يري اليوم منها هو بناء ضخم أقيم فوقها وهو يرجع للعصر الهيرودي (القرن الأول قبل الميلاد)،

داخل الحرم توجد مقامات رمزية فوق مواضع القبور الاصلية اسفل الأرض ،

وبحسب سفر التكوين التوراتية وبحسب التقليد الإسلامي (ليس نص بل تواتر عرفي) ان المغارة مدفون فيها كل من :

ابراهيم عليه السلام عليه السلام ، وزوجته و اسحق وزوجته و يعقوب واحدي زوجاته.

والعلماء المسلمين يتفقون علي قدسية المكان ولا يوجد دليل اثبات قطعي انه هو قبر سيدنا ابراهيم عليه السلام ، كما لا يوجد أي دليل لنفي ذلك او استبعاده، ولا مانع من التصديق بانه مدفن ابراهيم عليه السلام عليه السلام علي الأقل، لتواتر ذلك عبر العصور حتي يظهر دليل علي موضع اخر

لدفنه ، اما بالنسبة ليعقوب واسحق فسنحقق ذلك في موضعه.

ووفقا للتقديرالمعتدل لعمر سيدنا ابراهيم عليه السلام ١٥٠الي ١٣٠ عاما يكون وفاته في حوالي العالم ١٧٥٠ ق.م



ضريح إبراهيم عليه السلام في الخليل ولكنه غير مؤكد بشكل كامل

☐العالم في زمن ابراهيم عليه السلام

١) بلاد الرافدين:

بابل كانت القوة الصاعدة وقتذاك وبعد خروج ابراهيم عليه السلام من بابل عاصر ثلاثة ملوك مستقلين قبل توحيد المدن علي يد (حمورابي) ١٧٩٢ الي ١٧٥٠ق.م مما يؤكد انه الملك الذي عاصر وفاة ابراهيم عليه السلام

٢) الشام وكنعان:

كانت كنعان التي عاش فيها ابراهيم عليه السلام اغلب حياته عبارة عن ممالك امورية ، مدن-دول مستقلة مثل : حاصور و مجدو و شكيم و اوغاريت .

وممالك صغيرة مثل : مملكة يمحاض (حلب) من اقوي ممالك الشام آنذاك

مملكة (ماري) علي الفرات (تل الحريري) ودمرت علي يد حمورابي .

٣)الاناضول (تركيا):

بداية الحيثيون لم تبدأ الإمبراطورية بعد وظلت ممالك اناضولية صغيرة .

٤) مصر: الدولة الوسطي:

نهاية الدولة الوسطي أواخر الاسرة الثانية عشر وبداية الثالثة عشر وهي فترة عف انتهت بغزو الهكسوس ١٧٠٠ق.م،

وفي تلك الفترة يمكن ان نقول ان الملك الذي حكم في زمن مولد ابراهيم عليه السلام وشبابه قد يكون (امنمحات الثالث ١٨٦٠ – ١٨١٤) والذي قدر بعض الباحثين انه الملك المعاصر لدخوله مصر وهو كما قلنا لا يتماشى كثيرا مع الحسابات التالية ، وعاصر أيضا الملك (امنمحات الرابع) كما بينا ان الملك المصري الذي عاصر دخول ابراهيم عليه السلام لمصر – ان صحت الرواية – هو (سنوسرت الثالث ١٨١٤-١٨٠٥) ثم (سوبك نفرو ١٨٠٥-١٨٠١) وهي اول امرأه تحكم مصر وتبدأ بعدها الاسرة الثالثة عشر منهم (سخم رع ١٧٩٠) و(خوتي الثالث)الي (نفر حتب الأول ١٧٨٨ – ١٧٧٧) ثم (سوبك حتب الرابع ١٧٧٥-١٧٦٥) ويرجح انه هو المعاصر لوفاة ابراهيم عليه السلام او الذي يليه .

□اسماعيل عليه السلام عليه السلام

سبق وقلنا ان سيدنا اسماعيل عليه السلام هو الجد الأكبر للعرب المستعربة (العدنانية) وقمنا بحساب الزمن التقريبي لوجوده وفقا لأجيال العرب واضعين في الاعتبار السقوط في الأجيال ليصبح القرن الثامن عشر هو الأكثر ترجيحا ويتفق مع معظم المؤرخين والباحثين لزمن اسماعيل عليه السلام عليه السلام.

ووفقا لما اوردناه في قصة ابراهيم عليه السلام فانه قد ولد اسماعيل عليه السلام في عمر جاوز الأربعين مما يجعل ولادة اسماعيل عليه السلام حول عام ١٨٣٠ ق.م تقريبا ، وهو الزمن الذي حدثت فيه بداية قصته مع امه وحفز زمزم .

ثم عرفنا بعد ذلك ان هذا البئر اصبح قبلة المارين من القوافل والذين استقروا بعد ذلك في وادي مكة بسبب الماء الدائم للبئر وبالطبع ففقد عرف الناس قصة حفر البئر المعجزة وعلموا بقدر هذا الطفل وامه وابيه النبي ابراهيم عليه السلام عليه السلام وقد وفر الله بهذا لهما الرعاية والغذاء والماء بعد ان ضمن برعاية من الله ان الوافدين من الناس سيكونون رحيمين بهما (واجعل افئدة من الناس تاوي اليهم) وافئدة تعني قلوب والمقصود هو قلوب رحيمة بهما لا طامعة فيهما فكان من الممكن ان يسيئوا معاملتهما ويستولوا علي ملكية البئر ولكن من الواضح ان اسماعيل عليه السلام وامه كانا مكرمين ومبجلين عند من سكنوا وادي مكة .

وعندما عاد ابراهيم عليه السلام بعد حوالي خمسة عشر عاما وذكرنا حادثة الزبح ، ثم مساعدة اسماعيل عليه السلام له في رفع القواعد من البيت وغالبا كان عمره وقتها علي الأقل خمسة عشر عاما.

قضي ابراهيم عليه السلام معه فترة يعلمه عقيدة التوحيد ويعده للنبوة وينشئه نشأة الشدة والصبر والأيمان ويوصيه بوصاياه ويعلمه ما نزل عليه من الصحف ثم يغادر بعد ان انهي مهمته التي كلفه بها الله.

لا يوجد أي معلومات عن حياة اسماعيل عليه السلام بعد ذلك لا من القرآن ولا حتي من التوراة ، والواضح ان اليهود قد تعاملوا مع اسماعيل عليه السلام معاملة ابن زوجة الاب حرفيا، عند كتابة التوراة فتجاهلوا قصته تماما وتجاهلوا بناء الكعبة ومعاونته أياه، فالمعروف ان ابراهيم عليه السلام عليه السلام كان له قدر وتقديس عند اليهود ولذلك فان اعترافهم بانه بني الكعبة دليل علي قدسيتها وبالتالي يكون عليهم الأيمان بانها مكان مقدس يجب الحج اليه وهو ما يجعل التقارب مع الإسلام واجب اذ انها قبلة المسلمين بعد ذلك وهو الامر الذي يرفضه اليهود اليوم ، ولا اعتقد ان كتبة التوراة قد اغفلوا ذكر الكعبة والمعقول انهم قد حذفوا اسفارا او آيات تذكر هذه القصة بعد الإسلام.

ولا يوجد لدينا سوي المنطق والسياق التاريخي لمعرفة إشارات عن حياة اسماعيل عليه السلام بعد بناء الكعبة مع لبيه، وهو ما يمكن تلخيصه في التالي:

١) عندما بلغ اسماعيل عليه السلام سن الشباب اصبح رجلا له قدره عن الناس يعلمهم ما علمه أياه ابوه ابراهيم عليه السلام من الدين الحنيف والتوحيد وربما طقوس صلاة نزلت علي ابراهيم عليه السلام ، كما انه من المؤكد ان بعثته كانت بعد الأربعين والذي ربما يوافق العام ١٧٩٠ق.م وأول ما يفترض ان يكلف به هو إتمام بناء الكعبة وتسقيفها حين يوجد من الناس الكثير الذي يضمن إتمام البناء بالشكل الصحيح والذي سيصمد فترة طويلة بعد ذلك .

٢) **بناء الكعبة:** لا نستطيع ان نجزم ان البناء الثاني كان قائما علي البناء الاول في زمن ابراهيم عليه السلام ويبقي واردا ان يكون قد أعاد البناء من جديد حسب قوة وثبات البناء الأول ونرجح انه اكمل البناء فقط دون هدم الأول، واعتقد انه قد تمكن الناس في هذا الوقت من عمل سلالم او وسائل لبلوغ علو اكثر قليلا من السور الذي بناه ابراهيم عليه السلام .

ومن المرجح ان تسقيف الكعبة في هذا الوقت كان مقتصرا علي وضع خشب او قش ولكنه ليس حجريا علي أي حال والثابت والمتفق عليه من العلماء ان التسقيف الحقيقي كان في زمن قريش (حوالي٥٦٠ م) ،

ومن المرجح ان تكون ابعادها في زمن اسماعيل عليه السلام بطول ١٢ م وعرض ١١ متر وارتفاع ٨م تقريبا وهو المناسب لهذا الزمن .

٣)لا يوجد دليل علي زمن وفاة اسماعيل عليه السلام عليه السلام ولذلك سنتبع المعقول لأهل البادية في هذا الزمن واقصي زمن يمكن للإنسان ان يبلغه في هذا الوقت هو من ٩٠ الي ١٠٠ عام ولا يمكن الجزم حول هذا الرقم ومن الجائز ان يقل عن ذلك ولا نرجح انه زاد عن المئة عام .

وعلي ذلك يكون زمن وفاة اسماعيل عليه السلام عليه السلام حول عام ١٧٠٠ ق.م

ولا يوجد قبر معروف لسيدنا اسماعيل عليه السلام حتي اليوم علي الاطلاق الا اننا نرجح بشدة انه مدفون في نطاق وادي مكة وما حولها.

الفصل السادس

لوط عليه السلام

موقع قري لوط

قوم لوط

التصور الواقعي للعذاب

وردت قصة سيدنا لوط في القرآن والتوراة علي السواء لكن بتفصيل مختلف ، ولذلك فإننا سنعتمد أولا علي القرآن كاطار أساسي للقصة لا نخرج عنه ، ثم سنستعين ببعض ما ورد بالتوراة في سياق تكميلي فقط اذا طابق المنطق التاريخي لسير الأحداث واذا كان عليه دليل علمي اما المعلومات التي لا تستند لدليل او تعارض ما توصلنا اليه من إشارات القرآن فسنطرحه جانبا..

□مولده وهجرته

لا يقول القرآن أي شيء عن سيدنا لوط قبل بداية دعوته الي وقوع العذاب ، ولا نعرف صلته بسيدنا ابراهيم عليه السلام الا اننا اكدنا وجود صلة قرابة بينهما في سياق حديثنا عن ابراهيم عليه السلام وذلك عندما فزع ابراهيم عليه السلام وسأل عن لوط لما علم من رسل الله بوقوع العذاب في قومه.

ولا مانع من الاخذ برواية التوراة ان لوط هو ابن اخي ابراهيم عليه السلام وانه خرج معه من (بابل) بعد محاجاة الملك كما شرحنا من قبل.

من المعقول ان يكون لوط اصغر سنا من ابراهيم عليه السلام ، فاذا كان ابراهيم عليه السلام قد خرج من بابل وهو في الثلاثين من عمره او قبل الثلاثين بقليل ، فلا يمكن تحديد سن لوط وقتها الا بالترجيح فقط وحتي التوراة لا تذكر أي إشارات يمكن اتباعها لتحديد عمره في أي مرحلة ، وعلي ذلك نرجح ان يكون في بداية البلوغ ليتحمل مشاقة الترحال والسفر وهو ربما يكون اعداد مبكر له من الله تعالي لتحمل مشقة أعباء النبوة بعد ذلك ، فيكون عمره وقت الخروج اول عمر البلوغ أي خمسة عشر سنة أي ان الفارق بينه وبين عمه ابراهيم عليه السلام خمسة عشر سنة وعليه يكون ولادة لوط عليه السلام بشكل تقريبي عام ١٨٦٥ ق.م .

بعد الترحال المستمر بقيادة ابراهيم عليه السلام عليه السلام وخلال فترة طويلة مرورا ببعثة ابراهيم عليه السلام وتبنيه له واعداده للنبوة – ابراهيم عليه السلام عليه السلام قام بإعداد ثلاثة أنبياء علي الأقل وهو ما لم يقم به نبي علي الاطلاق – ويكون عمر لوط عند بعثة ابراهيم عليه السلام حوالي خمسة وعشرين عاما أي عاقلا بالغا جاهزا لتعلم أصول الدين والمشاركة في الدعوة مع عمه ، وعندما اصبح جاهزا لتحمل رسالته الخاصة ومهمته الشاقة بعثه الله تعالي بالنبوة عند سن الأربعين او الخامسة والأربعين أي كان عمر ابراهيم عليه السلام وقتها ستون عاما – أي معاصرا لوقت بناء الكعبة – واري ان ذلك يتناسب مع وقت نزول رسل الله الي ابراهيم

عليه السلام واخباره بحلول وقت العذاب بقوم لوط وقد كان عمره وقتها تسعين عاما أي يكون عمر لوط وقت العذاب خمسة وسبعون عاما ، أي انه قضي في دعوة قومه عشرون عاما تقريبا وهو معقول بالنسبة لمدة مكوث الأنبياء في قومهم.

اذا بعد بعثة لوط نفترض انه قضي سنوات مع ابراهيم عليه السلام يعاونه ثم جاءه الامر الإلهي بالترحال الي حيث تبدأ دعوته للقري التي عرفت بعد ذلك (بقوم لوط). ويكون تاريخ بدء الدعوة لهم حوالي ١٨١٥ق.م

بداية الدعوة وصفة قوم لوط

من المعروف عند لعرب قبل الإسلام ان منطقة قوم لوط كان حول البحر الميت وتحديدها غير دقيق ، وسنقوم بتحديد المكان بشكل دقيق لاحقا بعد اكتمال ملامح القصة ومعرفة ماذا حدث في هذه المدن لاتباع اثارها الموجودة اليوم.

أولا : صفات قوم لوط من القرآن:

قوله تعالي: ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين – الأعراف ٨٠

قوله تعالي: انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء – الأعراف ٨١

قوله تعالي: اتاتون الذكران من العالمين – الشعراء ١٦٥

قوله تعالي: ولوط اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون – هود ٧٧

قوله تعالي: انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء – الحجر ٧٣

قوله تعالي: انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر – العنكبوت ٢٩

ولنفصل صفاتهم ..

١) الفاحشة: لغة هي ما عظم وزاد عن الحد في الخطأ او الجريمة وهو المنكر المثير للاشمئزاز وفي لسان العرب هي المنكر الذي يشمل الشذوذ الجنسي والقتل والسرقة والفساد ،

وفي استخدام العرب الجاهلية يقال فاحش القول او الفعل أي كبير المنكر وشديد القبح والخروج عن العرف ، وفي القرآن تفسر بالشذوذ الجنسي.

٢) الشذوذ الجنسي: هي السمة المشهورة عن قوم لوط وهي المثلية عند الرجال أي ممارسة الجنس بين الرجل والرجل .

٣) تقطعون السبيل: قطع السبيل في لغة العرب هو أيقاف حركة المرور او منع المارة من السير او تحطيم الطريق نفسه – لسان العرب.

او منع المارة بالقتل او الرعب او الحصار – القاموس المحيط

من ذلك يمكن تفصيل صفة قوم لوط كالتالي:

أولا: الشذوذ:

رغم ان هناك نقوشا وكتابات ترجع لقبل الالفية الثانية قبل الميلاد تشير لوجود مثل هذه الممارسات خاصة في الحضارة السومرية ثم البابلية واشارات لطقوس مماثلة عند المصريين واليونان ، الا انها قد لا تفسر بانها مثلية جنسية بالمعني المفهوم وغالبا هي تفسيرات غير مؤكدة ، حيث ان الرسوم القديمة يمكن ان تفهم بأكثر من معني، ولذلك فانه لا يمكن تأكيد انتشار هذه العادة قبل القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ومن الناحية الدينية فاننا نلتزم بقوله تعالي (ما سبقكم بها من احد) في ان قوم لوط كانوا اول من اتخذوا هذه الممارسات بشكل مقنن وواسع الانتشار.

يمكن فهم هذا الامر بشكل اذا كانت هناك قبولا عاما لهذه العادة وعدم استنكار ، فعلي الرغم من إمكانية حدوثها في الأمم السابقة كما اشرنا الا انها كانت من ناحية تمارس كنوع من الطقوس الدينية وليس اشباعا لشهوة جنسية، الا كحالات فردية ومن ناحية اخري فانها كانت – خارج نطاق الطقوس – عادة منكرة من المجتمع ومجرمة قانونا في بعض الأحيان (قانون حمورابي جرم الشذوذ) مما يجعل قوم لوط اول من يقبل هذه الممارسات ويجعلها مباحة.

ثانيا: فان قوله تعالي (تأتون في ناديكم المنكر) يمكن ان يكون امرا غامضا او غريبا بالنسبة لأهل القرون السابقة وخاصة التالية لقرن النبي صلي الله عليه وسلم لأنهم لم يروا مثل هذه الأمور في حياتهم، اما بالنسبة لنا في هذا العصر فإننا نفهم ما تعنيه الآية ، لأننا نري اليوم نوادي ليلية خاصة بالمثليين ونري دولا تقنن المثلية الجنسية

وتعترف بها ونري أفلاما تعرض المثلية كشيء عادي وطبيعي، هكذا كانت في زمن لوط، نواد ليلية تمارس فيها المثلية بكل اريحية وبدون حرج.

ثالثا: لا يمكن ان نقول بان كافة سكان القري كانوا موافقين علي هذا الامر ولكن يكفي ان يكون القائمون علي حكمها قد اتفقوا علي ذلك واباحوه ، وبالتالي فان اهل القري التي ارسل اليها لوط كانوا لما ضعفاء مستنكرين لهذه الأمور ولكن لا حيلة لهم في الامر، واقوياء من ذوي النفوذ والسيادة والمال مع أولئك الذين قبلوا ان يكونوا مثل العاهرات من اجل المال او المتعة، مع التنكيل بأي شخص يحاول الاعتراض علي شيء.

والحقيقة ان تلك المدن لم تكن معهودة قبل هذا العصر ، وبعد الإسلام لم يكن أي من المفسرين علي مر العصور يمكنه تصور الحياة في مثل هذا الجو الغريب والفريد، حتي عام ١٧٤٨ ميلادية ، عندما تم اكتشاف مدينة (بومبي) الرومانية والتي كانت تعد صدمة تاريخية غير معهودة، فقد كانت المدينة مدفونة بالكامل تحت رماد بركاني اثر انفجار بركان (فيفزوف) العنيف والذي انفجر عام ٧٩م ، وبعد كشف الغبار عن اثار وجدران المدينة ظهر انها تعد نسخة حديثة من مدن لوط التي نتحدث عنها ، ولحسن الحظ فإننا اليوم نملك صورا مشابهة لمدن قوم لوط التي دفنت هي الأخرى منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد، لقد بين البحث بعد ذلك حياة هذه المدينة فقد كان الشذوذ الجنسي مقننا ومقبولا ويتم ممارسته في نواد خاصة وحمامات عامة وتوجد لوحات جدارية تظهر ممارسات جنسية شاذة وكتابات علي الجدران تعلن عن نشاطات جنسية شاذة وتماثيل ونقوش صريحة تحمل الفاظا جنسية وأسماء لبيوت دعارة و لحسن الحظ فقد أراد الله ان يحفظ الرماد البركاني هذه المدينة لكي نراها اليوم بشكل واضح جدا.

رابعا: قطع الطريق:

من الواضح ان هذه العادة أيضا لم تكن جديدة ، فقد مارسها من قبلهم الكثير من الشعوب ، ولكن ما يهمنا هنا هو تحديد طريق محدد لان القرآن كان مفصلا في هذه النقطة في قوله تعالي (وانها لبسبيل مقيم – الحجر ٧٦)..

بسبيل : أي هو الطريق او الوسيلة وغالبا تشير الي المسار او الطريق المفتوح للسير .

مقيم: أي الذي استقر مكانه وتعني الثابت او دائم .

القرآن وصف مدن لوط بهذا الوصف وهذا يعني انها كانت علي طريق تجاري او طريق قوافل كبير ومعروف ومستمر الي زمن النبي صلي الله عليه وسلم وهذا هو المعني الذي يستفاد من الآية اذ ان الله تعالي أراد ان

يعرف الناس زمن النبي صلي الله عليه وسلم بهذا الطريق، ولكن هل يوجد طريق بهذه المواصفات من القرن الثامن عشر قبل الميلاد ومستمر الي زمن النبي صلي الله عليه وسلم ؟

الحقيقة ان أيجاد مثل هذا الطريق بشكل مؤكد امر صعب ولكن اقدم طرق معروفة في المسار ما بين مكة و جنوب البحر الميت – حيث يرجح منطقة قري لوط – وهما طريقين:

١) طريق الحجاز: شمال مكة نحو تبوك والبحر الميت كان يستعمل للتجارة والحج يمر عبر وديان وأماكن امنة للراحة .

٢)طريق اللحيانية /وادي الأردن:

من جنوب البحر الميت صاعدا نحو مناطق جرش وعمان ثم يتفرع شمالا، واستمر كمسلك منذ الالفية الثانية قبل الميلاد وحتي القرون الإسلامية الاولي. ويرجح بشدة ان يكون هو الطريق الذي كانوا يقطعونه.

المرجح ان المقصود بقطع الطريق هو السرقة او الخطف – الاخذ سبأيا – او قتل المسافرين والاستيلاء علي ما معهم مع اخذ النساء سبأيا ، ولكن في حالتنا هذه فلا نستبعد اخذ الرجال انفسهم سبأيا او عبيد لممارسة الشذوذ لديهم وهو ما نفهمه من قصة نزول رسل الله الي لوط لإبلاغه بالعذاب ومطالبة قومه له بتسليم الرسل لهم كما سيأتي بعد قليل.

□سياق الأحداث وصولا الي العذاب

يمكننا فهم سياق قصة لوط مع قومه من خلال الآيات العديدة التي وردت بشأنه ..

في البداية بعث لوط ثم امره الله بالهجرة الي هذه القري ودعوة أهلها للتوحيد علي دين ابراهيم عليه السلام الذي علمه لوط وصحف ابراهيم عليه السلام التي كانت الشريعة السماوية السائدة في هذا الوقت، ومعلوم ١)ان لوط لم يكن من اهل هذه القرية لان القرآن فرق بينه وبين أنبياء اخرين سابقين قوله تعالي (والي مدين اخاهم

شعيب) و (والي عاد اخاهم هود) و (الي نوح ان انذر قومك) اذا انتسب كل نبي الي قومه ولكن لوط لم يذكر بنفس النسب وهو دليل يدعم انه سافر مع ابراهيم عليه السلام ثم نزل بقراهم ،

ومن ذلك نفهم انه كان غريبا عنهم وليس منهم وذلك يجعله ضعيف القدر عندهم ، وطالما انه لم يكن شابا صغيرا فلم يطمعوا ان يفعلوا به مثلما يفعلون بالأجانب او ربما حاولوا ولكنه استعصي عليهم وحفظه الله تعالي منهم ، وبدأ لوط يدعوهم الي ترك هذه المعاصي وعبادة الله الواحد ، وبالطبع كانت لديهم الهتهم الخاصة ، والحقيقة ان الامر كان صعبا علي لوط فعليه ان يغير كل هذه العادات بالإضافة الي الدين الثابت فيهم ، فبالنسبة للشذوذ هو مرض نفسي واضطراب أخلاقي يلصق بالشخص فيدمنه ويصبح تركه امر صعب جدا خاصة اذا كان مصرا علي الاستمرار فيه.

٢)اذا عاش لوط معهم مدة طويلة منبوذا معاقبا منهم ولا اعلم لماذا لم يقتلوه ولكن القرآن اخبرنا انهم هددوه بالنفي أي يطردوه من ارضهم (لان لم تنته لتكونن من المخرجين) الا ان الله قد حفظه وهيأ له الأمور ليستمر في القرية ، وبالطبع كانت حياته هناك جحيما ، ونفهم ذلك من قوله تعالي (الم ننهك عن العالمين) ويفهم منه انهم عزلوه تماما ومنعوه من الاختلاط بالناس او استقبال الضيوف وغالبا منعوه من التعامل مع أي شخص بالكلام او التجارة ،

٣)كان لوط متزوجا وهذا امر مؤكد (الا امراته قدرنا انها من الغابرين) وسيأتي الحديث عنها ، كذلك نعلم ان لوطا كانت له بنات (هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) ومرجح انه كان يعيش في بيت فقير علي اطراف القرية مما سمح له بالمغادرة قبل وقوع العذاب.

٤) لا نعرف كم قضي لوطا في القرية بالتحديد ولكن الأرجح كما قلنا انه مكث حتي بلغ ابراهيم عليه السلام تسعين عاما تقريبا اذ انه البشارة باسحق كانت ملازمة لوقوع العذاب – قبله بيوم واحد – وكما قلنا ان الفارق بين ابراهيم عليه السلام واسحق حوالي عشرين عاما فيكون سن لوط عند وقوع العذاب سبعين سنة تقريبا أي انه مكث فيهم نحو عشرون عاما والله اعلم.

٥)وصول الرسل والانذار بالعذاب :

كما علمنا ان الرسل (ملائكة في صورة بشرية) جاءوا ابراهيم عليه السلام أولا ليبشروه بإسحق ثم اخبروه بمهمتهم التالية وهي ابلاغ لوط بالعذاب القادم ، ويحكي لنا القرآن تفاصيل ما حدث بين لوط وبين الرسل..

قوله تعالي : ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب، وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ، قالوا لقد علمنا مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ، قال لو ان لي بكم قوة او اوي الي ركن شديد، قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك - هود ٨٠)

أولا: سيء بهم : في استعمال العرب تعني حزن وانقبض ووقع في ضيق نفسي وخوف من العاقبة، وهو دليل علي انهم منعوه من الاتصال بالناس والا عاقبوه.

ثانيا: ضاق بهم ذرعا : الذرع في اللغة يعني القدرة والطاقة والتحمل والمعني هنا العجز عن الاحتمال والتصرف ، وهو مفهوم من القصة أي انه علم ان القوم سيعلمون بامرهم وسيحضرون اليه لتنفيذ وعيدهم وللقبض علي الضيوف كاسري ليفعلوا معهم كما يفعلون.

ثالثا: اليوم العصيب في استعمال العرب، هو اليوم الشديد والمحكم الشر ويوم ملئ بالشدائد المتتابعة، والمقصود ان لوط قد علم بالمصائب التي ستتابع عليه في هذا اليوم.

رابعا: يهرعون اليه: في لغة العرب الهرع هو الإسراع مع اضطراب ، أي سرعة غير هادئة وفيها اندفاع – لسان العرب، ويكون اما لخوف او شهوة او طمع ولهفة، وهو مفهوم اذ علموا بوجود أجانب من خارج المدينة فاشتهوا أموالهم واشتهوهم لأنفسهم لممارسة الرذيلة كما يفعلون مع القوافل المارة عليهم.

خامسا: قوله لو ان لي بكم قوة: تعني القدرة او المنعة والشدة والمقصود العشيرة او العدد او المكانة التي تمنعهم عنه وهو دليل علي انه ليس منهم وكان وحيدا منبوذا لديهم .

والخلاصة التي نفهمها من الآية ان ما حدث هوانه بمجرد وصول الرسل الي لوط حسبهم من البشر ولذلك خشي عليهم وعلي نفسه وبناته من بطش القوم الذين منعوه عن العالم واستقبال ضيوف وبمجرد وصول الخبر اليهم جاءوا اليه غاضبين وطامعين فيمن عنده .

عندما وصل الناس حاصروا بيته وقد اغلقه بالطبع خوفا منهم، واخذوا ينادونه ويكلمونه من الخارج ويهددونه بالبطش اذا لم يخرج لهم من عنده من الضيوف ويسلموهم لهم ، وقد حاول لوط ان يثنيهم عما ينوونه بأي طريقة وبالطبع فشل.

هنا اعلمه الرسل انهم من الملائكة ولن يقدروا عليهم ولن يصلوا الي لوط، وهو امر طبيعي اذ ان الملائكة اختفوا فجأ وبدخول الناس الي بيت لوط لم يجدوا عنده احد وبالتالي من المرجح انهم تركوه بعدما بحثوا في كل مكان عن الضيوف بلا نتيجة.

قبل ان يرحلوا اخبروا لوطا بخطة الله وقرار وقوع العذاب عليهم وامروه ان يخرج ليلا الي خارج الأرض وعدم النظر لخلف وسوف نفصل هذا بعد قليل..

٦) **زوجة لوط:**

هذه واحدة من اغرب المسائل في القرآن ، حيث ورد ذكرها في مواضع كثيرة في القرآن مقترنة بلفظ واحد لا يتغير ابدا (الغابرين) ورغم ان اللفظ معروف في العربية الا انه لم يرد في القرآن الا في حق زوجة لوط ،

أولا: الغابرين: من غبر وتأخر ، والغابر الباقي بعد ذهاب غيره او المتخلف عمن نجا ، والمفهوم انها بقيت من اهل لوط في الهلاك بعدما نجا الاخرين أي لم تخرج معهم .

ثانيا: التفت: لفت الشيء أي اماله وصرفه أي التحول بعد توجه وفي استعمال العرب يكون الالتفات للتعلق بالشيء والحنين والتردد والانشغال عما امر به او التوقف والرجوع

وهذا ما فعلته عند بدء احداث العذاب فقد امرها لوط بالذهاب معه وواضح انها رفضت او ذهبت ثم عادت مرة اخري لسبب ما، والقرآن يخبرنا ان زوجة لوط كانت علي دين القوم ورأيهم والاغلب انها منهم أي ان لوط قد تزوجها من اهل القرية ولم تدخلها مع لوط وهو الأقرب للمنطق ، فقد تربت هناك ورضت بما يفعلونه و لا يستبعد ان تكون هي التي اخبرتهم بامر الضيوف ولذلك كان القرآن شديد التبغيض عند ذكرها .

□عذاب قوم لوط

لقد اختلف المفسرون في تحديد طبيعة ما حدث لقوم لوط ،

اقتصرت الرواية التوراتية علي نزول (كبريت ونار) من السماء علي لقرية واهلكتها ونجا لوط واهل بيته الا زوجته التي التفتت وتحولت الي عمود ملح – سفر التكوين ١٩:٢٦

وهو قريب من الوصف القرآني الا انه مختصر مقارنة به، وسنري الوصف القرآني ونحاول تحليله

قوله تعالي: فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل – الحجر ٧٤

قوله تعالي: فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود- هود ٨٢

قوله تعالي: مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد – هود ٨٣

قوله تعالي: مسومة عند ربك للمسرفين

قوله تعالي: انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر – القمر ٣٤

١) سجيل: لغة تعني الطين المحروق او الصلصال الممزوج بالنار او المحمي عليه فيكون صلبا.

٢)منضود : لغة هو الشيء المرتب او الموضوع في صفوف او طبقات فيقال نظم شعرا منضودا أي مرتبا ، ولكن ما المفهوم هند اجتماع لفظ سجيل مع منضود.

من الحائز ان (منضود) تعود علي طبيعة الطين او تكوينه من طبقات فيكون اكثر صلابة ، وربما تعود علي طريقة القذف او المطر فيكون السجيل في صفوف منظمة . وربما تعني الكثرة والاستمرار والله اعلم.

٣)مسومة: في اللغة أي المقدرة قيمتها والمعلوم ثمنها، - لسان العرب، وتعني مقدرة او محسوبة والمعني هنا انها بمواصفات محسوبة من وزن وصلابة ومرتبة بعناية .

حسنا لنحاول ان نجمع هذه التفاصيل معا لنفهم ماذا حدث..

أولا: طبيعة الجيولوجيا في المنطقة:

منطقة حوض البحر الميت تتميز بثلاث خصائص خطيرة مجتمعة:

-صدع نشط زلزاليا (الصدع السوري الأفريقي).

-طبقات عميقة غنية بالطين الكلسي والكبريت والملح وغازات قابلة للاشتعال مثل (ميثان ، كبريتيد الهيدروجين).

-منخفض شديد (اخفض يابسة علي وجه الأرض)، وهي بيئة مثالية لكارثة غير بركانية ولكنها انفجارية.

ثانيا السيناريو الأقرب:

١)اذا حدث زلزال قوي في تلك المنطقة – وهو امر طبيعي ومتوقع نظرا لطبيعتها – فان الزلزال يكسر الطبقات الحاجزة ويحرر الغازات المضغوطة ويسمح بتفاعل الماء الجوفي مع الكبريت والطين ، مما يسبب انفجارات أرضية – ليس في فوهة واحدة بل عشرات الفوهات .

٢)تبدأ سلسلة من الانفجارات من تحت الأرض فيندفع الي اعلي بقوة ، خليط من الطين المشبع بالأملاح والكبريت وشظايا حجرية ومواد ساخنة او محروقة بالاحتكاك والضغط ،

هذا الانفجار لا يكون ناعما بل يقذف المواد بقوة عمودية مثل المدافع الطبيعية ويمكن لهذه المقذوفات ان ترتفع في الهواء مئات الامتار او اكثر ، ومن ثم تنزل من هذه المسافة بسرعة لأسفل في شكل مطابق للأمطار (وامطرنا عليهم) بكتل صغيرة من الحجارة والطين المتصلب بكميات كبيرة جدا فتكون بالنسبة للرائي امطارا من حجارة كبريتية ساخنة جدا (حجارة من سجيل) ، الجاذبية تقوم بفرز احجام الحجارة فالسقوط لا يكون فوضويا ، الثقيل يسقط أولا ثم الاخف مما يكون طبقات متراكبة فوق بعضها (منضود) .

الكبريت المقذوف مع الخليط يتساقط ويسبب احتراق وروائح خانقة وموت سريع ولهذا كان وصف التوراة (كبريت وطين من السماء) .

ثالثا: الانقلاب:

منطقة البحر الميت ليست صدعا بسيطا بل صدع انزلاقي وانهدامي ، فيه كتل ترتفع واخري تهبط وكتل تنزلق جانبيا وكتل تدور، اذا المنطقة مهيأة للانقلاب المكاني.

ولذلك فمن المحتمل جدا ان تراكم ضغط طويل الأمد يجعل طبقات الأرض مشدودة مع حبس طويل للغازات الي جانب ضعف الصخور الملحية التي تنهار بسرعة .

١)ان زلزالا قويا او سلسلة زلازل لا تكسر خطا واحدا فحسب بل تفتح شقوقا وتحرر غازات مما يضعف الأساس الصخري للمدن ، وهنا يمكن حدوث خسف ارضي وأي مدينة واقعة عليه تسقط لاسفل فجأة .

٢)في نفس اللحظة فان الكتل المجاورة ترتفع بقوة او تنزلق فوق المنطقة المنهارة بمعني اصح ، فان ما كان اسفل يصبح اعلي وما كان اعلي يدفن تحت الركام،

٣)تدوير الكتل: في بعض الصدوع الكتل ا تهبط فقط بل تدور جزئيا او كليا بمعني ان الطبقات تقلب ترتيبها فواحدة تعلو علي الأخرى - هذا مسجل علميا في (صدوع تركيا) و (صدوع كاليفورنيا) .

رابعا : السيناريو الذي حدث للعذاب:

١) بدأ الامر بزلزال او زلازل أرضية متعاقبة، مما سبب انفجارات أرضية وقذف مواد طينية كبريتية بقوة لاعلي مئات الأمتار.

هنا يبدأ الناس بالشعور بالزلازل مع سماع انفجارات مكتومة من تحت الأرض ، وانبعاث روائح خانقة من الكبريت والغازات الكريهة ، وتبدأ الأرض بالتشقق وبالتالي المنازل والبنايات – ولكن هذا مجرد بداية العذاب.

٢)يشاهد الناس الأرض تفتح فجأة في شقوق واسعة وأجزاء من الأرض تهبط مع سماع دوي شديد هذه المرة مع تكسر الصخور وانهيار مباني دفعة واحدة ، وفجأة ستندفع من باطن الأرض قذائف ضخمة من الطين والحجارة والكبريت وكتل ساخنة يرونها تندفع الي السماء بقوة ثم تختفي – لأنها صعدت مئات الأمتار.

٣) بعد ثواني قليلة تبدا المواد بالهطول كالأمطار في شكل كتل صغيرة من الحجارة المتصلبة والساخنة تقع بشكل متتابع وكثيف وهو ما يظهر كأنما السماء تمطر حجارة مشتعلة .

٤)بينما ينزل المطر فان الأرض تغوص واحياء كاملة تختفي ، وتدفن بالأمطار باطنان من الحجارة ، وترتفع الكتل المجزأة بسبب الشقوق من القشرة الأرضية تحت المدينة واحدة فوق الأخرى وتدور بعضها راسا علي عقب (عاليها سافلها) ،

هذه الظاهرة ممكنة ومؤكدة في تلك المنطقة كما قلنا ، فهذه الصفائح (الصفيحة العربية والأفريقية) تمثل صدع تحويلي فالصفيحتان تتحركان بشكل افقي مما يحدث انزياحات في القشرة ، ويجعل انقلابها خصوصا لو تجزأت بفعل زلزال امرا محتمل الحدوث.

٥) تاثير الحجارة علي البشر : تلك الامطار من الحجارة الكبريتية المشتعلة تسبب احتراق في الجسم وتكسير للعظام وغبار كثيف مخلوط بغازات أرضية خانقة يسبب حرق في الرئتين وعدم القدرة علي اتنفس واغماء سريع حتي من لم يصب بحجر سيختنق.

خامسا: الأدلة الحفرية التي تثبت وقوع هذا العذاب:

لقد كشف البحث في رواسب بحيرة (ليزان) القديمة – السابقة للبحر الميت- وجود عقد كبريت في الطبقات الرسوبية مع تحليل نظائري يشير الي تفاعلات الكبريت وتكويناته في الماضي الجيولوجي للبحيرة.

الدراسات تؤكد ان البحر الميت تكون نتيجة انهيارات أرضية وانزلاقات علي طول الصدع وبعض الباحثين يرجح ان المناطق التي كانت مأهولة قد انهارت جزئيا الي الحوض وتغطت بالرواسب الطينية والملحية .



مشهد تخيلي يوضح تصور لعذاب قوم لوط وفقا للسيناريو المرجح في هذا البحث

□أين قري لوط

أولا: التوراة: تحدد المدن التي نالها العذاب باسم (سدوم) و (عمورة) ، وهو الاسمان اللذان اشتهرا بعد ذلك ، اما سدوم في اللغة العبرية فيعني مكان طيني او منخفض طيني إشارة الي طبيعة الحوض الذ تقع فيه المدينة . واما عمورة(أمورا) تعني تكوينات مرتفعة الي جوار المناطق المنخفضة وبعض العلماء يربط الاسم بالتحجر او الانصهار وغالبا الاسمان مرتبطان بالعذاب وليس الاسم الأصلي للمدن .

ثانيا: المكان المرجح للكارثة :

من المرجح اننا لا نتكلم عن قرية واحدة بل عدة قري متجاورة وصغيرة تشكل مجتمع واحد

١) من المرجح ان جزءا من هذه المدن قد اصبح اليوم جزءا من البحرا لميت اندمج فيه عبر الزمن ومن المرجح انها كانت تقع علي السهل عند حافة البحر الميت غالبا في الجوانب الجنوبية او الجنوبية الشرقية منه وتعرف اليوم باسم (سهل المدن الخمسة) تأثرا بالتوراة.

٢) موقع (تل الحمام) : من اكثر المواقع المقترحة بحثيا ، ويقع في الأردن وهو موقع اثري في الطرف الشمالي من البحر الميت بالقرب من وادي الأردن، لوحظ فيه طبقات من الدمار واثار تعود للعصر البرونزي ويبعد حوالي ١٤ كم شمال البحر الميت.

٣) جميع المواقع المقترحة تقع في نطاق جغرافي في حوض منخفض واحد حول البحر الميت وبالتالي ممكن ان تشملهم جميعا كارثة واحدة وفق السيناريو المقترح للعذاب ومن الممكن ان يكون موقع (تل الحمام) هو مركز الكارثة ومن المحتمل ان تكون الانفجارات الأرضية قد بدأت من هناك وفقا لطبيعته الجيولوجية فهو مطابق للمواصفات .

□خروج لوط وهجرته

كما علمنا ان لوط قد خرج مسرعا بالليل وان العذاب بدأ الصبح و لذلك امره الله الا يلتفت لان الغازات المنبعثة والزلازل – بداية العذاب – من الممكن ان تطوله ، ولكن الي أين ذهب لوط ؟

من المرجح انه توجه الي ارض كنعان حيث ابراهيم عليه السلام واسرته أي عاد الي المكان الذي جاء منه الي قري لوط واذا كان هذا الفرض صحيحا فانه يكون قد توفي في ارض كنعان ويصبح قبره المعروف شعبيا في الحرم الإبراهيم عليه السلامي اكثر قربا للصحة ولكن يبقي غير مؤكد انه مدفن نبي الله لوط.

لا يعرف علي وجه اليقين متي توفي لوط عليه السلام وكما قلنا فان الاعمار التوراتية مرفوضة ولا يمكن الاعتماد عليها ولكن المحتمل انه خرج من قري لوط وهو في السبعين من عمره وربما مات في الثمانين او اكثر قليلا أي حوالي عام ١٧٨٠ ق.م والله اعلم.

الفصل السابع

نبي الله شعيب

مدين

مدائن شعيب

صفة قومه

العذاب

ان القليل هو المتاح عن حضارة مدين المذكورة في القرآن الكريم ومكان قصة النبي شعيب ، ومن خلال الآيات سنحاول ان نحدد صفات هذا المكان وهل هناك علاقة بينها وبين مدين المذكورة في سياق قصة سيدنا موسي عليه السلام..

ذكر مدين في القرآن:

قوله تعالي: وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يقوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إله غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إصلاحها ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ- الأعراف ٨٥

قوله تعالي: وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يقوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إله غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ- هود ٨٤

قوله تعالي: وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عسى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ – القصص ٢٨

قوله تعالي: وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يقوم اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ – العنكبوت ٣٦

من الآيات لا يمكن الاستدلال علي علامة جيولوجية او جغرافية محددة لمدين ، الا اننا نعرف ان ثلاثة أنبياء وثلاثة شعوب مرتبطين جميعا زمنيا وجغرافيا وهم (هود وصالح وشعيب) انهم من العرب البائدة والذين كانت مواقعهم متقاربة ، وهذا مفهوم من سياق القرآن ، حيث انهم لابد ان يذكروا متلازمين في معظم المواضع في القرآن كما ان سياق القصص الثلاثة يدلنا ان كل نبي يذكر قومه بالقوم السابقين لهم وما حدث لهم من عذاب . وفي سياق الاخبار عن شعيب عليه السلام يذكر قومه دائمًا بما حدث لعاد وثمود ونوح وقد تكرر ذلك في القرآن مما يعني اتصال الخبر بينهم من الناحية الجغرافية والزمنية وهو ما يؤكد قربهم زمانيا ومكانيا.

□مدين/مديان

لقد ذكرت مدين في سياق قصتين من قصص الأنبياء ، والمشكلة ان المسافة الزمنية بينهما كبيرة (حوالي ٧٠٠ سنة) وهو الامر الذي يجعل وحدة المكان امر غير مؤكد، ولكن لا يستحيل ذلك فمن المعروف ان الأماكن تسكن عدة مرات من شعوب متتالية كما حدث في منطقة الحجر ، ولكن قبل ان نقطع ان مدين في القصتان واحدة سنحاول أولا ان نتأكد من كون (مدين) اسم علم لمكان محدد او مجرد اسم صفة مثلما فعل القرآن بالنسبة (للأحقاف) و (الحجر)..

١) مدين : لغة لا يوجد جزر مؤكد للكلمة في العربية ولكنه جائز جدا في العربية القديمة (العرب البائدة) ، ولذلك فهو غالبا اسم علم لشخص او مكان ، والعرب قبل الإسلام يعرفون الاسم كقوم هلكوا مثل ثمود وعاد ،

٢) عرف العرب قديما مناطق بهذا الاسم خاصة منطقة واسعة شمال غرب جزيرة العرب قرب خليج العقبة وتقع علي طرق التجارة بين الحجز والشام وسيناء ومصر .

٣) مديان التوراتية: هي اسم المدينة التي هرب اليها سيدنا موسي عليه السلام بعدما فر من مصر بعد قتله لاحد المصريين ، وقد حددته التوراة بنفس المكان تقريبا .

٤) ان الصفة الوحيدة لمدين المرتبطة بقصة شعيب هي انهم كانوا اهل تجارة وانهم كانوا (قليلين فكثركم) وهذا لن يكون قاطعا في البحث عن المكان ولا يوجد امامنا الا ان نذهب مع ما اتفق عليه العلماء وهي مدين التي ذكرناها، لأنها من ناحية مرتبطة بتجارة العرب لمدة طويلة ، ومن ناحية اخري لأنها تقع في الجزيرة العربية وهو الشرط الوحيد المؤكد لدينا لقوم شعيب.

ومن ذلك فانه غالبا تكون مدين في قصتي شعيب وموسي عليه السلام واحدة وان اختلف الشعب الذي سكنها في كل زمن ، وربما استعمل القرآن نفس الاسم للإشارة الي انها نفس المكان. وأخيرا فان هذه المنطقة قريبة جدا من موقع مدائن صالح (حوالي ٤٠٠ كم) ، وقد سميت من قبل العرب هي الأخرى (بمدائن شعيب) . مما يدعم إمكانية انتقال خبر عذاب ثمود اليهم بسهولة شديدة ويكون حديث الساعة لديهم عندئذ.

٥) زمن النبي شعيب:

جاء ذكر شعيب في القران في سياق يفهم منه انه كان يستشهد بعذاب قوم نوح وهود وصالح ولوط، مما يؤكد لنا انه لاحق علي زمن لوط عليه السلام ، وقد اخطأ كثير من الباحثين عندما ربطوا اسم (شعيب) الذي اقترن خطأ بوالد البنتين التين ساعدهما موسي في مدين رغم انه لا يوجد دليل علي هذا الاسم وعليه افترضوا ان النبي شعيب كان معاصرا لموسي وهو عبث تاريخي لا يوجد ما يدعمه،

والمرجح ان شعيب قد عاش بعد عذاب قوم لوط بفترة وجيزة بدليل قوله تعالي (وما قوم لوط منكم ببعيد) ومن الآية نفهم البعد الجغرافي والزمني معا، وعلي ذلك يمكن ان نرجح ان شعيب من الجائز ان يكون قد عاصر فترة ما بعد لوط وربما في الفترة ما بين موسي ويوسف وللأسف لا توجد اي دلائل تحسم الموضوع والثابت انه كان لاحقا لنبي الله لوط.



من موقع الحجر (مدائن صالح عليه السلام)

□النبي شعيب والدعوة

لا يوجد أي مصدر لقصة شعيب ومدين الا القرآن الكريم ، وما يمكن استخلاصه من الآيات هو القليل عن هذا الشعب، وهو انهم كانوا يعتمدون علي التجارة بشكل أساسي ، ولا يمكن ان نفهم ان هناك مملكة او نظام حكم مركزي بل طبيعة قبلية مثل العرب بشكل عام قبائل متعددة بزعماء وشيوخ ونظام قبلي بالمفهوم العربي المعروف، كذلك ما نعرفه هو انهم بدأوا بجماعات قليلة جدا ثم تكاثروا بسبب الهجرات والاستقرار في مكان واحد (مدائن شعيب) ،

ومما نفهمه من القرآن أيضا انهم كانوا يمارسون عادة شاذة وهي الغش في التجارة قوله تعالي (اوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم) وهو غش مقنن او اجباري وليس غش خفي ، فواضح انهم كانوا يكيلون بمكيالين فيبيعون للبسطاء بميزان وللسادة بميزان مختلف، وقد اعتاد الناس علي ذلك – قهرا – فكانوا مجبرين علي الشراء بأثمان غالية للسلع اذا اشتروا وبميزان منقوص غير مضبوط – أي البسطاء ، ويبيعون للسادة بأثمان بخسة اذا باعوا، وواضح ان هذا النظام كان متبعا داخل المدينة فقط بين الأغنياء والبسطاء وليس في التجارة الخارجية لأنهم لو فعلوا هذا النظام في التجارة الخارجية لأعرض عنهم التجار وافلسوا تماما.

بالنسبة للدين فانه غالبا كانت تعبد الهة العرب التاريخية المتوارثة والمعروفة وغالبا كانت نفس الهة ثمود وربما بتحريف في الأسماء، ولا توجد أي نصوص وجدت في مدائن شعيب تدل علي أي طقوس عبادة او أسماء الهة. ولذلك فقد بعث الله فيهم نبيا (شعيب) ليدعوهم لنبذ عبادة الاصنام وعبادة الله الواحد وهو بالطبع ما اثار غضبهم لان مجتمع العرب الديني في كل الازمان واحد ، كهنة يسيطرون علي الآلهة والقرابين والنذور ويستأثرون مع سادة القبائل بحكم وسيادة المجتمع والتسلط علي الضعفاء والعبيد والبسطاء ويفرضون السياسات والقوانين التي تناسبهم وأي دعوة توحيدية ستهدد سلطتهم وترفهم وبالتال يتم محاربتها.

من الواضح ان النبي صلي الله عليه وسلم شهيب كان من السادة او من قبيلة او عائلة لها وزنها معروفا لديهم بالحكمة والرأي وذلك قوله تعالي (لولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز) والرهط هو الجماعة – الا انهم قد انقلبوا عليه بعد دعوته لهم زمنا حتي ضاق بهم ذرعا وهددوه بالرجم رغم كبر سنه ومكانته ، وهو بالضبط ما حدث مع الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم وكان القصة تتكرر، وكما يحدث دائما فان كل من اتبعوه من الضعفاء والبسطاء الذين لا قوة ولا وزن لهم .

ومثل باقي الأنبياء فقد كان يذكرهم بما حدث قريبا لقوم ثمود ومن قبلهم قوم عاد ، وقد كانت الاخبار تصل اليهم لقرب المسافة وللتجارة المستمرة بين العرب في ارجاء الجزيرة العربية وقطعا كانوا يتحاكون بها ويعرفونها جيدا ، وبعقل النبي صلي الله عليه وسلم الناضج وكرجل حكيم فقد تنبأ واستنبط احتمال وقوع عذاب تكرارا لسيناريو الامتين السابقتين وهو ما حدث بالفعل رغم تحذيراته لهم.

□عذاب مدين

قوله تعالي : فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين – الأعراف ٩١

قولع تعالي: واخذ الذين ظلموا الصيحة – هود

قوله تعالي: فأخذهم عذاب يوم الظلة – الشعراء ١٨٩

الرجفة : كما سبق وذكرنا هي اهتزاز شديد مفاجئ واضطراب الأرض او الجسم ، والمقصود في سياق العذاب انها زلزال مدمر

الصيحة: هي الصوت الهائل المفاجئ يفوق قدرة الانسان علي الاحتمال وقد يكون رعدا فائقا او صوت قوي وسنناقش بعد قليل الاحتمالات.

الظلة: سحابة او غمامة وربما تكون غيوم او غبار شديد يحجب الرؤية .

ولنحاول فهم العذاب من الناحية العلمية والواقعية علي النحو التالي..

١) الرجفة : زلزال شديد، من الثابت جيولوجيا ان المنطقة المرجح وقوع العذاب بها (مدين) الواقعة شمال غرب الجزيرة العربية – شرق خليج العقبة ، تقع مباشرة علي نظام (فوالق نشط جدا) فالق البحر الأحمر وفالق خليج العقبة ، وهو امتداد مباشر للصدع (التحويلي العظيم) وهو واحد من اخطر وأوضح أنظمة الفوالق النشطة في المنطقة كلها،

هذه المنطقة تمتاز بنشاط زلازل تحويلية (انزلاق جانبي) وليست تصادمية تميز بهزات قوية مفاجئة وقصيرة ، وصوت مصاحب احيانا -دوي قعقعة (الرجفة)- وتكون الزلازل عادة قوية ومحسوسة جدا وتجاوز ٦ درجات علي مقياس (ريختر) ويصل تأثيرها لمسافات.

٢) الصيحة: قلنا ان الزلزال في هذه المنطقة غالبا ما يصدر معه صوت عالي بسبب اهتزاز الصخور بسرعة عالية مما يضغط الهواء ويصدر موجة صوتية مثل صوت الدوي خصوصا اذا كانت الصخور صلبة ومفتتة يجعل الصوت اضخم، وفي بعض الحالات يسمع الصوت قبل الهزة او اثناءها او بعدها. وقد تصل شدة الصوت الي ١٢٠ ديسيبل وهو ما يماثل صوت صاعقة او رعد او انفجار شديد مثل الانفجار البركاني يمكن ان يسبب الما في الاذن او فقد سمع مؤقت ، وبالطبع يسبب الزعر الشديد بين الناس.

٣) الظلة: من الصعب تحديد الظلة كعذاب لأنها في اللغة دائما مرتبطة بالبرد او الحماية من الشمس ولكن يمكن ان نرجح انها عبارة عن غبار شديد ناتج عن الزلزال الشديد الذي حدث مما جعل الرؤية شبه معدومة خاصة في بيئة صحراوية مثل المنطقة المرجحة وتسبب أيضا صعوبة في التنفس وخلل بالجهاز التنفسي اذا علمنا ان الجو الجاف والحار في تلك المنطقة قد يفاقم من الازمة وهو الامر الأقرب للمنطق اذا كنا نتحدث عن عذاب شديد.

٤)اذا ما حدث هو عذاب رئيسي (زلزال/الرجفة) مدمر وهو امر مرجح بشدة كما عرفنا ان المنطقة تقع في مجال نشاط زلزالي نشط وهو المؤكد علميا وقد اطلق الزلزال صوت شديد جدا (الصيحة) سبب زعرا بين الناس الذين كانوا في انعدام رؤية بسبب الغبار (الظلة) الناتج عن الاهتزاز وسقوط الأبنية وتكسر بعض الجبال والصخور وهذه الكارثة من الطبيعي ان تكون قادرة علي إزالة القرية عن بكرة ابيها.

الفصل الثامن

اسحق ويعقوب ويوسف

من هو إسرائيل

تحديد زمن يوسف

الملك المصري المعاصر

اين دفن يوسف

□اسحق عليه السلام

ان ذكر سيدنا اسحق في القرآن كان في مواضع عديدة ولكن بالاسم فقط ولم يذكر أي إشارات عن حياته ولا توجد علامات مميزة في زمنه ، وكل ما نعرفه هو خبر ولادته الذي بشر به ابراهيم عليه السلام عليه السلام، وكما قلنا فان الاخذ من التوراة سيكون بحذر شديد ولن نعتمد علي احداث او اعمار الا اذا كان لها دليل تاريخي او منطقي، ولذلك فان الحديث عن اسحق عليه السلام سيكون مقتصرا عن محاولة تقريب الموقع الجغرافي الذي عاش فيه والزمن التقريبي لولادته وموته.

أولا: ولادة اسحق كما ذكرنا جاءت لإبراهيم عليه السلام في التسعين من عمره وكان ذلك تقريبا حوالي ١٧٩٠ ق.م تقريبا لأنه ليس ضروريا ان تكون الولادة بعد البشارة بشكل مباشر،

وما بين ولادته وموته لا يوجد دليل اثري او تاريخي او نص ديني مؤكد يدلنا عما حدث والغالي ان حياته لم تكن بها احداث مميزة او قصص معتبرة لذلك لم يذكر القرآن أي شيء عنها، وما نعرفه من المعقول هو ان ابراهيم عليه السلام عليه السلام قد عاش حتي بلغ اسحق الثلاثين من عمره علي الأقل ، وربما انه قد رأي يعقوب قبل ان يموت ، ومن المعلوم انه بإكمال اسحق سن الخامسة والأربعين قد بعث نبيا في قومه وفي اهل كنعان ، ولا يعلم اذا كان قد قابل لوط عليه السلام بعد عودته من القري قبل هلاكها، ولكن اذا صح الافتراض بان قبر لوط هو الذي بالحرم الإبراهيم عليه السلامي في المغارة فان هناك احتمال ان اسحق قد دفن ابن عمه لوط بجوار ابيه.

ثانيا: لا نعلم علي اليقين عدد أبناء اسحق غير يعقوب، والتوراة تفصل هذه الأمور ببعض المغالطات ، مثل ان ابراهيم عليه السلام قد حذر أسحق من الزواج من الكنعانيات وهو الامر المفهوم من اتجاه التوراة دائما للتقليل من شان اهل كنعان (فلسطين) وهو ما نراه في قصص انبياؤهم مثل شمشون النبي صلي الله عليه وسلم الذي قتل ستمائة كنعاني وحده ، ومثل داوود الذي امره الله بقتل اهل كنعان حتي الأطفال والنساء. وهذا سبب وجيه لعدم اخذنا بالقصص التوراتية مثلما يفعل كثير من الباحثين.

ثالثا: لا يوجد أي اثر يفيد اذا كان اسحق قد رأي يوسف قبل موته ام لا خصوصا ان يوسف قد ولد متأخرا أي كان يعقوب كبيرا في السن وهذا واضح اذا قارنا عمر يوسف وقت وضعه في الجب بعمر اخوته،

التوراة تجعل عمر اسحق ١١٣ عاما عند وفاته وواضح المبالغة الشديدة في اعمار الأنبياء عندهم، ولكننا سنقف عند العمر المعقول لأهل هذا الزمن وهو ثمانين عاما او اكثر قليلا وعلي ذلك تكون وفاة سيدنا اسحق ١٧٠٠ق.م او حول هذا العام.

يعقوب عليه السلام

علي العكس من النبي اسحق فان القرآن قد ذكر بعض الأحداث في حياة سيدنا يعقوب فيما يتعلق بسياق قصة يوسف عليه السلام، وفي هذا الموضع سنتكلم أولا عن يعقوب كأصل بني إسرائيل وجدهم الأكبر ومن هم بني إسرائيل ثم سنبدأ في الحديث عن حياة يعقوب..

أولا: من هو إسرائيل:

لقد جاء ذكر بني إسرائيل في القرآن في كثير من المواضع وذكر إسرائيل نفسه مرة واحدة فقط في قوله تعالي: كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل علي نفسه- ال عمران ٩٣

ولكن من هو إسرائيل المقصود..

من المعروف ان بني إسرائيل هم الاسباط الاثنا عشر والذين تم ذكرهم عدة مرات في القرآن وهم أبناء يعقوب عليه السلام بما فيهم يوسف عليه السلام ، والاسباط لغة جمع سبط وهو الابن او الحفيد وغالبا ما يشير الي

ذرية رجل مهم (ابراهيم عليه السلام) وذلك يتفق مع القرآن الذي يذكر (ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام والاسباط) بشكل متلازم في كثير من المواضع مما يفيد بانهم ذرية ابراهيم عليه السلام واحفاده ،

والاسباط عند اليهود اثنا عشر سبطا سيشكلون السلالة الباقية بعد يعقوب والتي سيستمر نسل الأنبياء فيهم الي ان ينتقل أخيرا الي فرع (اسماعيل عليه السلام) بولادة الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم ، وهم –كما تسميهم التوراة – (راوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، دن، نفتالي، جاد، اشر ،يساكر ، زبولون ،يوسف ،بنيامين (شقيق يوسف).

وهؤلاء هم بني إسرائيل الأوائل والذين ذكرت ذريتهم في القرآن الكريم .

وعلي ذلك يكون يعقوب عليه السلام هو إسرائيل المتفق عليه من القرآن والتوراة،

ثانيا: إسرائيل في العبرية تقرأ (يسرائيل) وتعني الله يصارع او صار له القوة مع الله وهي من مقطعين (يسر) بمعني الكفاح و (أيل) تعني الله ، وقد يقرأ الذي اجتهد مع الله وهذا المعني اقرب من الأول لان المعني الأول له قصة في التوراة لا يمكننا قبولها ، وهي بإيجاز ان يعقوب قد صارع ملاكا طوال الليل عند نهر يابوك ولم يستطع التغلب عليه ، بعد هذه المصارعة قال له الملاك : لن تدعي بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك صرت مصارعا مع الله ومع الناس ونجحت. ولكن طبعا هي من المبالغات اليهودية التي اعتدناها في تبجيل انبياؤهم بشكل اسطوري تأثرا بجو بابل الذي كتبت فيه معظم التوراة.

ولا يوجد أي دليل يعرفنا لماذا سمي يعقوب بهذا الاسم وربما لشدته وصموده امام ابتلاءات كثيرة في حياته كنبي ودعوته وربما سمي كذلك بعد صبره علي ابتلاء فقدان يوسف عليه السلام ومن بعده أخيه كما سنبين في قصة يوسف.

حياته ودعوته

أولا: ولادة يعقوب : لا يوجد دليل غير التوراة عن زمن ولادة يعقوب ولذلك فإننا سنتبع العمر الطبيعي للزواج والولادة في هذا الزمن والمنطقة وهو متوسط ثلاثون عاما، وعلي ذلك فيكون عمر اسحق عند ولادة يعقوب ثلاثين عاما أي حوالي ١٧٦٠ ق.م تقريبا .

وكما قلنا فانه من المحتمل انه عاصر وفاة ابراهيم عليه السلام عليه السلام واذا صحت التوراة في خبر انه دفنه مع ابيه فيكون عمره وقت وفاه ابراهيم عليه السلام خمسة عشر عاما تقريبا، أي انه من المرجح انه تعلم شيئا من جده قبل ان يموت،

ثانيا: ظل يعقوب عليه السلام في ارض كنعان ولا يوجد دليل علي موقع محدد او مدينة بعينها وغالبا فان الحياة كانت شبه مستقرة في بعض الأماكن وكانت القبائل شبه رحل يعيشون في خيام او مساكن مؤقتة ويعتمدون علي الرعي الا في بعض الأماكن التي كان بها زراعة في السهول والاودية الخصبة مثل ساحل فلسطين (غزة شمالا الي جبال لبنان جنوبا) و(وادي الأردن) و(مرتفعات نابلس والقدس وحبرون).

كانت هناك مدن محصنة مستقلة نوعا ما مثل (حبرون وشمكون ويابوس) في هذا الوقت .

وعلي الأرجح كان يعقوب وجماعته يعيشون حياة بدوية ترحاليه علي حدود تلك المدن.

ثالثا: كما عرفنا فقد ولد ليعقوب اثنا عشر ولدا غير البنات ولا نعرف عددهم وذلك من اكثر من زوجة، وذلك مؤكد بنص القرآن في بداية سورة يوسف (اني رأيت احد عشر كوكبا) وقد تم تفسيره بانهم اخوة يوسف الاحد عشر ، وفي نفس السورة قوله تعالي (اتوني باخ لكم من ابيكم) وهو دليل علي ان هناك اخ لهم من الاب فقط وليس شقيق وهو غالبا شقيق يوسف ، مما يدل علي ان هناك علي الأقل زوجتين ليعقوب، ولا يوجد دليل اذا كان العشرة الاخرين اشقاء ام من اكثر من زوجة.

يوسف عليه السلام

من الواضح ان يوسف واخيه كانوا من ام واحدة تزوجها يعقوب متأخرا عن زوجته او زوجاته الاخريات ، ومن التراث والتوراة فأنها ماتت بعد ولادتها بفترة وجيزة وهذا يفسر الاهتمام الزائد من يعقوب بيوسف واخيه وهو قوله تعالي (ليوسف واخيه احب الي ابانا منا) وهذا منطقي كونهما يتيمين وصغيرين فقدا حنان الام وربما كانت معاملة زوجات ابيهم لهم غير عادلة وهذا يتضح من الكره الدفين لهما من اخوتهم العشرة ، والذي زاد بالغيرة ، ويمكن تخيل الامر بشكل واقعي فالأب – خاصة النبي صلي الله عليه وسلم – الذي يعامل أولاده الكبار بشيء من الشدة خاصة اذا كانوا يتحملون الاعمال معه بغرض جعلهم اشداء لتحمل البيئة القاسية التي يعيشون فيها ولعلمه بان واحد منهم سيرث النبوة كما وعد الله ابراهيم عليه السلام ومن بعده اسحق ، اما الصغيرين اليتيمين فلابد ان يحيطهما ببعض الحنان والرعاية الزائدة ولا نرجح انه كان يعلم بان يوسف سيكون هو المختار من بين أولاده ليرث النبوة ، الا بعد اجتماعه به في مصر بعد فقدانه.

وعلي ذلك وباعتماد متوسط عمر الجيل المتفق عليه من الباحثين في هذا الوقت والمكان يكون ولادة الابن الأكبر ليعقوب عند سن الخامسة والثلاثين ، فاذا كان عمر اكبر الابناء وقت القاء يوسف في الجب عشرون عاما -- وهو اقصي حد لسن الفتية اذ مستبعد ان يكونوا رجالا بالغين وقت التآمر عليه لقتله --وكان عمر يوسف حين القي في الجب من عشرة الي اثنا عشر عاما --وهو عمر متوسط مناسب لأحداث القصة فلو كان اصغر من عشر سنوات يكون من الصعب لتمييز الحلم الشهير وهي اول علامات النبوة واذا كان اكبر من ذلك ليكون اقرب سنا لأخوته وهو كبير كفاية ليهرب منهم او من الجب الذي وضعوه فيه وليكون صغيرا علي ان يباع ي مصر كعبد ، ولذلك فاقصي سن ليوسف وقت القاؤه في الجب هو خمسة عشر عاما واقل سن هو عشر سنوات .

وعلي ذلك يكون الفارق بين يوسف واكبر اخوته عشر سنوات علي الأقل ، ويكون عمر يعقوب حين ولد يوسف خمسة وأربعين عاما أي في بداية النبوة ، وهو معقول اذ انه استطاع تفسير رؤيا يوسف وهو امر خاص بالأنبياء اذ يكون قد مرت عشر سنوات علي بعثته حين رأي يوسف الحلم الشهير وهذا معقول.

علي ذلك يكون ميلاد يوسف عليه السلام حوالي ١٧١٠ق.م تقريبا وهو مناسب حيث يكون شابا في عمر الخامسة والعشرين حين راودته امرأه العزيز عن نفسها ويكون في سن النبوة اثناء وجوده في السجن ويكون فوق الأربعين حين تولي منصب العزيز في مصر وهي فترة استقرار متناسبة مع التاريخ في تلك الفترة من حكم الهكسوس.

من الرؤيا الي غيابة الجب

في حديث عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الرؤيا من علامات النبوة وقد فهم يعقوب عليه السلام هذا جيدا عندما سمع رؤيا ابنه يوسف وعلم لماذا اختص الله يوسف من بين ابناءه الاثنا عشر بهذه الرؤيا ، كونه أيضا يعلم بان احد هؤلاء سيرث النبوة من بعده ، ولنقرا مضمون تلك الرؤيا بالقرآن كما جاءت..

قوله تعالي: اذ قال يوسف لأبيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين - يوسف ٤

١)ولعلم يعقوب بان ابناءه سيفهمون ان الرؤيا تعني ان العهد قد اعطي ليوسف من دونهم ، وقد يكون ذلك شيء معهود عندهم او علمه يعقوب من ابيه اسحق كعلامة أعطاها الله

لآل ابراهيم عليه السلام ليعرفوا من ابناءهم هو النبي القادم ، وأيا كان فقد علم اخوة يوسف بان الرؤيا تعني النبوة والعهد ولذلك منع يعقوب يوسف من اخبارهم بأمر هذه الرؤيا .

وهذا يدل علي انهم – او بعضهم – كان كبيرا كفاية ليفهم امر الرؤيا والعهد ليخشي منه يعقوب بان يكيد ليوسف ويدبر له امرا ،

وعلي أي حال فقد فهم يعقوب ان سجود اخوته الاحد عشر والشمس والقمر أي ابيه وامه يعني ان سيكون له سلطان وعلو شأن عليهم جميعا وهو أيضا ما يدل علي ان يعقوب في هذا الوقت كان نبيا بالفعل عالما بكل أمور النبوة وخصوصياتها ومنها تأويل الرؤيا.

لم يكن يوسف –وهو لازال ابن العشر سنوات – يفهم خطورة الرؤيا التي راها ولا يعلم تفسيرها ، لكن اخوته علموا بذلك وهو أيضا يدعم العمر الذي حددناه ليوسف وقت الرؤيا وهو عمر يكفل الجهل بمثل هذه الأمور ، وحسن النية اذ يذهب معهم وهم يدبرون له شرا .

٢) أيا كان فقد علم اخوة يسف بأمر الرؤيا ، هذه هي القشة التي قسمت ظهر البعير ، فعندما كادوا له ليتخلصوا منه كان هناك امرا قد طرأ ، فلا يكفي فقط مجرد حب اباهم له الجم ولكن امر النبوة بالنسبة لهم هو امر طير اذ كان كل منهم يطمع بها لنفسه ويحلم باليوم الذي ينال فيه العهد من بعد يعقوب ، ولكن وقد خرج الامر منهم ، اصبحوا يدا واحدا فاذا تخلصوا من يوسف سينتقل العهد بالتأكيد الي واحد اخر ، هكذا راوا انهم سيجبرون الله تعالي علي تغيير اختياره ، اجتمعوا وتناقشوا وقرروا التخلص من يوسف، واجمعوا في النهاية بعد مناقشة فكرة القتل المستبعدة فهم وان كانوا اشرارا الا انهم خافوا ان يقتلوه ، ولا نعرف اذا كانوا خافوا من الله ام خافوا من اباهم ، لكن في النهاية اتفقوا علي خطة محكمة لإبعاد يوسف من بينهم الي الابد ، يتركوه لمصيره في وسط الصحراء ، فاذا مات جوعا او قتلته الحيوانات فقد برأت أيديهم كن دماؤه فلم يقتلوه بأنفسهم ولا اثم عليهم من قتله، واذا وجده بعض السيارة الرحالة اخذوه بعيدا فهو صغير لا يعرف طريق العشيرة ليعود اليهم .

٣) غيابة الجب:

الجب في اللغة هو البئر غير المطوية أي غير المبنية بالحجارة وغالبا تكون عميقة ، وهي اما مكونة طبيعيا (حفرة عميقة بها ماء ، او محفورة يدويا ولكن غير مبنية بطوب.

الغيابة: من جزر غ ي ب والاصل ما غاب عن النظر واشتد ظلامه – لسان العرب ، ولا يعني حتما ان يكون المقصود هو قاع البئر ، فبجانب هذا الاحتمال يمكن أيضا ان يكون المقصود هو أي تجويف جانبي علي طول الطريق داخل الجب من (اشباه كهوف) او فتحات يمكن ان يدخل فيها شخص حجمه صغير مثل يوسف.

ويحتمل كذلك ان يكون داخل البئر نفسه ، ولكن كيف ينزل الي قاع البئر المليئ بالماء دون غرق، لأننا كما اتفقنا انهم لم يقصدوا قتله وبالتالي لن يقصدوا اغراقه داخل البئر انما القصد هو ان يلتقطه السيارة اذا جاءوا للشرب ، اذا الموضع الذي كان فيه يوسف لا يرجي فيه موته وفي نفس الوقت هو ظاهر للسيارة اذا جاءوا يسقون من

البئر. وهذا يدعم بشدة انه كان في تجويف داخل البئر وليس في قاعه ولان القرآن محكم الالفاظ كان من الممكن ان يقول قاع البئر ببساطة الا ان لفظ (غيابة) كان له قصد.

٤) اللفظ القرآني (اجعلوه) بدلا من (القوه) في غيابة الجب يثبت انهم لم يضعوه في قاع البئر انما في نتوء داخلي ولكن كيف انزلوه الي هناك بحيث لا يستطيع الخروج من البئر بمفرده..

هناك فرضان، الأول ان يحمله احدهم عنوة وينزل به الي حيث يريد وضعه ثم يتركه هناك

وهذا يفترض ان يكون مكبلا حتي لا يتحرك او يقاوم ويفترض أيضا ان يحمله اخاه ويمسك بالحبل ليتسلق بوزنهما معا وهو امر صعب التصور، والفرض الأقرب للمنطق ان يكونوا اقنعوه بطريقة ما وهو امر سهل بالنسبة لصبي صغير حسن النية لا يعي خبث اخوته ، بان ينزل الي البئر ليسقي لهم او كأنهم يلعبون معه فانزلوه داخل الدلو لصغر حجمه ووزنه واخبروه ان يختبئ داخل التجويف الجانبي ثم سحبوا الدلو وتركوه ورحلوا وهذا امر سهل جدا ان نتصوره بصور شتي ، وهو ما يتوافق مع خبث الاخوة الذين فعلوا مثل هذا الاستغلال لأخيهم الصغير الذي ظن ان اخوته يحبونه ويحمونه ويلعبون معه وهم في الحقيقة يتخلصون منه ويحرمونه اباه وأهله بعد ان فقد امه ليصبح يتيما الاب والام ووحيدا وسط الصحراء. ولا يعلم أي دليل كم بقي يوسف في الجب قبل ان ينقذه السيارة بعد ذلك والمعقول انه بقي يوما وبعض اليوم لان صبي صغير لا يمكنه تحمل الجوع والخوف اكثر من ذلك ولا نلتفت الي حكايات التوراة ان ملاكا قد جاءه اطعمه وسقاه وقد بقي أسابيع طويلة في البئر.

٥) الذئب: هو الذئب العربي الموجود في ارض كنعان حتي اليوم وهو اصغر حجما من الوروبي واكثر تكيفا مع الجبال والمناطق الجافة ، وفي تلك المنطقة كانت الذئاب معروفة بافتراس الغنم والاطفال أحيانا فلا تترك اثرا واضحا ورائها اذا اكلته ، ولذلك اختار الاخوة هذه القصة ليبرروا ما حدث ولان يعقوب قد حذرهم من هذا الخطر بالذات قبل ان يقنعوه بان يأخذوا يوسف معهم الي البرية للرعي . وجاؤوا علي قميصه بدم كذب ، ذبحوا أي حيوان من البرية وخلعوا قميص يوسف – احد ملابسه بعد ان اقنعوه بخلعها قبل ان ينزل للبئر كيلا تبتل – ثم وضعوا عليها الدم واخذوها لابيهم.

٦) نسي اخوة يوسف ان اباهم نبي ، ومن الجائز ان يخبره الله بامرهم ، فقصوا عليه القصة التي اتفقوا عليها انهم ذهبوا ليستبقوا وتركوه عند متاعهم – ملابسهم وطعامهم وغيره – فوجدوا ان الذئب قد اكله عندما عادوا ، واعطوه القميص الملطخ بالدماء ولكن يعقوب لم يصدق أي من هذا ، لماذا لم يصدق ؟

أولا لأنه علم ان يوسف قد اخذ العهد بالنبوة وعلم بتاويل الرؤيا وهي لم تحدث بعد اذا سيعيش يوسف حتي يتحقق تفسير رؤياه ، وثانيا لأنه نبي ويعلم من الله ان أولاده كاذبين لعلمه انهم سيتامرون عليه دائما وعلمه بانهم يكرهونه، والدليل انه كان دائما ينتظر لقاء يوسف طوال السنوات حتي لقاه بالفعل ، وكان يامرهم ان يبحثوا عنه رغم انهم اثبتوا له انه مات بدليل الدماء علي القميص، اذا المؤكد لدينا ان يعقوب علم ان يوسف لازال حيا ولذلك قال (بل سولت لكم أنفسكم امرا فصبر جميل) اذا هو سيصبر ، أي انه يعلم انه سيلقاه يوما ما.

□الي قصر العزيز

---

١) أين مكان البئر ؟

لقد علمنا من القصة القرآنية عدة خصائص لهذا المكان ..

أولا: هو في سهل مناسب للرعي وهو مكان مفتوح يدعم روايتهم (ذهبنا لنستبق) ،

ثانيا: مفترض انه يمر به طريق مستخدم وقتها للقوافل والسيارة وهو سبب اختيارهم لهذا البئر لعلمهم ان القوافل تمر به وانه يعمل وهو ما يضمن خطتهم في ن يلتقطه احد السيارة.

ثالثا: هذا الطريق يمر من ارض كنعان الي مصر وهذا امر مؤكد بنص القرآن حيث نعلم ان السيارة باعوه في مصر كعبد .

من ذلك وبتطبيق الشروط علي الطرق التجارية وقتئذ يكون هناك طريق اكثر ملائمة للقصة وهو الطريق التجاري الذي يربط كنعان بعاصمة الهكسوس وقتئذ (افاريس) والمعروف تاريخيا بطريق (حورس) والذي يمر من النقب الشمالي (محيط غزة/رفح القديمة) وهي اقرب بوابة طبيعية لمصر ، و عبر العريش والشيخ زويد ثم شرق الدلتا وهذا طريق فيه نقاط مراقبة وقوافل باستمرار وفيه ابار ، وصولا الي افاريس مباشرة – تل الضبعة حاليا – وهذا الطريق كان يستعمل كثيرا لنقل قوافل التجارة والاسري والعبيد .

اذا أين يرجح مكان البئر ؟

اذا كان مكان البئر قريب من ارض كنعان – مكان العشيرة - ويقع علي الطريق المذكور وفيه ابار تاريخية وخارج العمران – كمكان مناسب للرعي – يكون مكان البئر قبل غزة بقليل او شرقها مباشرة ويرجح ان يكون في منطقة جنوب فلسطين – شمال النقب في المنطقة الواقعة بين (دوثان) وغزة القديمة وليس داخل غزة ، هذه المنطقة هي منطقة رعي قديمة ومراعي مفتوحة وقليلة المدن ويوجد بها ابار تطابق (الجب) محفورة في الصخور وبها تجاويف جانبية وتقع علي مسار القوافل .

٢) السيارة : لغة هي القوافل التي تضم بعيرا تحمل بضاعة او متاع – اثنين علي الأقل – وربما غنم وافراد تجار او مسافرين

ما حدث اذا هو انهم توقفوا ليسقوا من البئر فانزلوا الدلو فامسك به يوسف لفطنته فعرف الناس ان هناك غلام ففرحوا به ، ليس الا لأنهم سيبيعونه عند وصولهم لمصر.

٣) لماذا اسروه بضاعة، المفهوم من القرآن انهم اخفوا الصبي في بضاعتهم ، وذلك انهم يعلمون بمجرد دخول الحدود المصرية المؤدية الي المدينة هناك نقاط مراقبة وتفتيش لمعرفة عدد افراد القافلة ونوع البضاعة وما اذا كان لديهم سلاح ومن أين جاءوا ، لذلك كان الأفضل ان يخفوه حتي يدخلوا المدينة ويبيعوه كعبد .

بدخول مصر (افاريس) عاصمة الهكسوس تبدأ قصة يوسف عليه السلام بعد ان باعوه كعبد لاحد تجار العبيد بمصر بثمن بخس، هكذا يخبرنا القرآن وهو دليل علي انهم ليسوا تجار عبيد ولا يعرفون قيمة العبد ، كذلك فان صغر السن يجعل ثمنه اقل وهو كما قال القرآن (دراهم معدودة)،

اما الدراهم فلا تعني هنا عملات نقدية مصكوكة ، ولكنها وحدة قياس للذهب او الفضة ، يتفق عليها بين التجار كوحدة (غالبا ثلاثة جرامات للدرهم الواحد) وبذلك يكونوا باعوه باقل من عشرة دراهم ، ويشير القرآن الي انهم باعوه باقل من الثمن المعروف وقتها (كانوا فيه من الزاهدين) وهو كما قلنا دليل علي انهم ليسوا تجار عبيد .

٤) الذي اشتراه من مصر : من المؤكد انه هو نفسه (العزيز) الذي تربي في بيته وكان معروفا وقتها ان السادة أحيانا يشترون العبيد بأنفسهم خصوصا اذا كانوا يبحثون عن صبيان لتدريبهم للعمل داخل القصر وليس في اعمال شاقة كالبناء وغيره، فاذا كان العبد سيكون داخل القصر سيكون علي السيد (العزيز) ان يختاره بنفسه ولذلك عندما وقعت عيناه علي يوسف بجماله الظاهر والمبهر اختاره في الحال وقال لزوجته اكرمي مثواه – أي انه سيعامل معاملة خاصة وليس كبقية العبيد،

قوله (لعله ينفعنا او نتخذه ولدا) : لا يفسر انه أراد ان يتبناه لنفسه كابنا له ، ولكن هذا التعبير يطلق علي الصبية الذين يتم تنشئتهم داخل القصر للعمل فيه فيقومون بتعليمه القراءة والكتابة والعلوم اللازمة للعمل داخل القصر في عمل اداري . وهكذا تعلم يوسف الكتابة والحساب وهو تمهيد لشأن عظيم له في مصر بعد سنوات.

٥) جمال يوسف:

أشار القرآن الي جمال يوسف في قوله تعالي (اكبرنه وقلن حاشا لله ما هذا بشر ان هذا الا ملك كريم - يوسف) وهو ما قالته النسوة عندما رأينه كما سيرد بعد قليل،

هذه مسالة محيرة فكيف يكون الرجل جميلا ، لنفهم تلك المسالة..

أولا: اكبرنه لغة أي عظمنه واعطوه قدرا عظيما أي جعلنه اكبر من غيره – لسان العرب،

ثانيا : ورد عن النبي انه قال في حديث الاسراء و المعراج (يوسف اوتي شطر الجمال) ان نصف جمال الناس، والجمال يمكن وصفه من الناحية الفنية بانه مجموع من ثلاث خصائص بنسب متفاونة:

أولها (السيمترية) وهي التماثل بين شقي الوجه في نسب كل مكوناته من جبهة وانف وعينين وحاجبين وهو معيار معتبر عند الفنانين والرسامين والفلاسفة قديما وحديثا وقد كان الرسامون يحاولون الوصول لذلك في لوحاتهم علي مر العصور (ليوناردو دافنشي و رافائيل وغيرهم) ونجدها أيضا في تماثيل الرومان والنحاتين الإيطاليين (مأيكل انجلو) ، وهذا التماثل المريح للعين عندما تنظر اليه احد اهم اركان الجمال .

وثانيا النسبة الذهبية ، وهي نسبة وضعها الرياضيين ويمكن اعتبارها وصف رياضي للجمال ويمكن تعريفها بانها العلاقة الرياضية بين قسمين من خط تكون النسبة بين الجزء الكبير والصغير مساوية لنسبة الكل الي الجزء الكبير وهي تقريبا (١,٦١٨) ويتم تطبيقها علي البنايات اذا اردنا اختبار درجة كمالها فنيا ومعماريا (كالأهرامات)و(البارثينون) واللوحات الكلاسيكية.

أخيرا، الجمال بمعيار العصر الذي نتحدث عنه وثقافة اهل المكان ، وكذلك بحسب نوع الشخص (ذكر ام انثي) ،

من ذلك كله نستطيع ان نفهم كيف كان يوسف جميلا بشكل استثنائي..

١) يمكننا فهم الجمال في زمن حكم الهكسوس من خلال الاثار والتماثيل المتروكة ، للرجال اذ كانوا ينحتون الملوك في ابهي صورهم متجاوزين العيوب الشكلية والجسمانية ويمكن وضع اطار عام للجمال عند الرجال ،،

فالطول المعتدل والعضلات المتناسقة دون ضخامة مبالغ فيها ، وعيون متوازنة وانف مستقيم وفم معتدل الحجم ، وبشرة ملساء نقية وفاتحة غالبا وشعر مصفف او محلق بعناية ، ولحية خفيفة او معدومة، مع مشية معتدلة ووقوف مستقيم.

٢)اذا اجتمعت في يوسف كل تلك الصفات مع احتمال كبير لعيون ملونة كونه اسيوي وليس افريقي كالمصريين، مع شعر مائل للنعومة ، وعيون واضحة وجذابة تعلق بها عين الناظر اليه ، ووجه كأنما يشع نورا – فهكذا هم الأنبياء – ووجه مبتسم دائما ومتناسق تظهر فيه صفتا (السيمترية والنسبة الذهبية) ربما متشرب بحمرة قليلة ، شعر اسود او بني داكن كونه كنعاني من اصل رافديني ، وجسم متناسق اقرب للطول من القصر ، وعضلات جيدة حيث يفترض انه كان يتم تدريبه رياضيا اثناء اعداده في القصر.

٣) شخصية يوسف من الواضح انها كانت أيضا مميزة جدا ، فكونه نبي متعلم وقد رباه يعقوب اباه النبي تربية صالحة انعكست بالطبع علي شخصيته فكان ذكيا متقد الذكاء – وهو ما سيظهر بعد ذلك في حكمه – لديه موهبة فريدة في الإدارة والسياسية ، أسلوبه لبق جدا وكلامه مرتب ومتناسق، صوته عذب جذاب ، مؤدب وقليل في كلامه.

٤) السمة المميزة في يوسف هي العفة، وهي من سمات الأنبياء وهي تعني القدرة الشديدة علي التحكم في الغرائز خصوصا الجنسية وذلك يتضح في قوله تعالي (همت به وهم بها) أي انه كان يريدها في نفسه الا انه استطاع السيطرة علي غريزته كرجل من اجل اخلاقه ودينه ، وهو لم يكن قد بعث نبيا بعد، وعفته حين راودته نسوة من اجمل نساء المملكة وقد اعرض أيضا عنهن. وهي شخصية قوية لابد ان تكون للأنبياء .

□التاريـــــخ والجغرافيا

سنتوقف قليلا عن سرد القصة ، لنحدد أولا العصر الذي حدثت فيه والملك الذي سيعاصر يوسف والذي حكم يوسف مصر في عهده..

أولا: التاريخ المرجح والاسر المعاصرة – عهد الهكسوس ١٧٣٠ق.م

قد علمنا ان يوسف عليه السلام قد ولد حوالي ١٧١٠ ق.م بهامش خطا عشر سنوات كحد اقصي قبل او بعد هذا التاريخ ، وعلي ذلك تكون واقعة البئر عند عمر العاشرة تقريبا أي ١٧٠٠ ق.م بهامش الخطأ ، واذا افترضنا ان يوسف كان في عمر العشرين عل الأقل عندما راودته امرأه العزيز عن نفسه ، فيكون ذلك حول عالم ١٦٨٠ق.م..

حسنا لنحدد الاسرة الحاكمة في مصر في هذا الوقت..

١) الثابت تاريخيا هو ان بداية تحكم الهكسوس في مصر في عام ١٧٣٠ق.م – مصر القديمة (سليم حسن)، وهو التاريخ المرجح لسيطرتهم كليا علي الحكم ، حتي خروجهم بقيادة الملك (احمس) عام ١٥٥٠ ق.م . وعلي ذلك فان قصة سيدنا يوسف في مصر قد بدأ وانتهت بموته في عهد الهكسوس وهو بالمناسبة الرأي الأكثر قبولا عند الباحثين والمؤرخين.

٢) اذا قسمنا عهد الهكسوس في مصر فانه كان هناك مرحلتين من الحكم، الاولي مرحلة قوة وهي الذروة والتي تراوحت من ١٦٢٠ الي ١٥٨٠ ق.م .

٣) لم يحكم الهكسوس كامل الدولة المصرية بل انقسمت مصر الي دولتين ، الشمال (الدلتا) تحت حكم الهكسوس، والجنوب (طيبة والصعيد) تحت حكم مصري مستقل (الاسرة ١٦ الي ١٧) ان اول ملك رسمي للهكسوس هو الملك (سبك-كا-رع-خيان) والبعض يسميه (خيان الأول) ، والذي امتد حكمه من ١٦٢٠ الي ١٦٥٠ وقبل ذلك لم تتوفر وثائق او اثار عن أسماء ملوك رسميين ، ولذلك لا يوجد ذكر لسيدنا يوسف لان الفترة التي عاصرها كانت قبل اول ملك معروف للهكسوس وربما في السنوات القادمة يتم الكشف عنها.

٤) ان منصب (العزيز) في القرآن يقابله (فوطيفار) في التوراة ، وهذه الكلمة الأخيرة اصلها مصري وليس عبري انما النطق محول الي العبرية والكلمة الاصلية غالبا pa-di-pa-ra وتعني الحامي او المقدم من الاله ،

اما العزيز فتعني بالعربية القوي او صاحب قوة وشدة او لا يهزم بسهولة وتعني أيضا اغالي او ذو مكانة عالية او المعظم، كلها معاني تشير الي الشخص المتحكم فعليا في البلاد.

في حكم الهكسوس كان الملك هو رمز ديني ويعتبر سلطة عليا واحيانا ممثل الاله علي الأرض، اما السيطرة الفعلية والامساك بزمام الأمور في الدولة فكانت للمسئولين الأقوياء مثل رئيس الخزانة والوزير وقادة الجيش ،

وفوق هؤلاء كان يوجد منصب المستشار الاعلي او نائب املك او الوزير الأول وهذا المنصب هو الذي يسميه القرآن بالعزيز لأنه فعلا الاقوي في البلاد.

وكان يعرف باسم (djat /tjaty) وغالبا كان هو نفسه رئيس الخزانة كونها المنصب الأهم في الدولة. وهذا أيضا سبب وجيه لعدم ذكر اسم الملك في تلك الفترة في أي اثار او وثائق او برديات لأنه لم يكن بالقوة الكافية اما في عهد (خيان) زاد نفوذ الملك وبدأ يكتب اسمه .

ولذلك فالمرجح عندنا ان يوسف قد عاصر الفترة ما قبل الملك (خيان) وربما مات في بداية عهده او قبله مباشرة .

ثانيا: المكان الذي جرت فيه الأحداث:

١) في هذا الوقت كانت العاصمة (اورأيس avaris) وهي (حوت وعرت) بالمصرية القديمة وموقعها اليوم (تل الضبعة) شرق الدلتا (محافظة الشرقية) ، وهذا موثق اثريا من حفريات(مانفريد بيتاك) و الهكسوس لم يؤسسوا هذه المدينة حيث كانت موجودة قبلهم بل حولوها الي عاصمة ومركز حكم . واذا كانت قصة يوسف قد جرت في قصر العزيز فبالطبع كانت في العاصمة ،

٢) نظام الحكم والإدارة: غالبا كان نفوذ الملك صوري وكان الحكم الفعلي لسلطة عليا مسيطرة علي الدلتا ، وكانت اواريس مركزا تجاريا دوليا وبه مخازن ومرافئ واختام وهذا واضح في الكشوفات الاثرية ، كان هناك طابع عمراني (كنعاني /شامي) وفقا لاصل الهكسوس مع غياب للمعابد الدينية الضخمة .

٣)الدين: في تلك الفترة من حكم الهكسوس كان نفوذ الكهنة ضعيف جدا بالمقارنة بالملوك المصريين قبل ذلك وكانت السيطرة الاولي عسكرية وسياسية ولم يكن الدين هو الاساس كما هو عند المصريين ، والحفريات تؤكد غياب المعابد الحجرية الضخمة والمجمعات الكهنوتية ولكن مجرد مزارات صغيرة وأماكن عبادة محلية وهو دليل علي عدم إعطاء الدين حجم كبير في عذا الوقت. كل هذا دليل إضافي علي وقوع يوسف في تلك الفترة بالذات حيث يتمكن شخص اسيوي يتبع دين توحيدي مخالف لدين الدولة ليصل الي اعلي منصب بعد الملك لا يمكن تصور حدوثه في ظل نظام ديني وكهنة ذوي نفوذ واسع وقوي.

كما ان الموثق ان النفوذ الديني بدأ في السطوع بعد الملك (خيان) حيث ظهرت القاب فرعونية ورعاية للمعابد وتم دمج الاله (ست) المصري مع (بعل) الاسيوي - تاريخ مصر (الجزء الرابع) سليم حسن .

□الطريق الي السجن

نعود الي سياق قصة يوسف بعد ان عرفنا متي وأين جرت احداثها..

١)امرأه العزيز: لابد ان نفهم ما هي طبيعة هذه الشخصية ووضعها تحديدا، ففي اللغة (امرأه) فلان تعني زوجته ولا تستعمل للجارية او المحظية او نساءه دون زواج ، ولذلك فيجب الالتزام باللفظ الدقيق للقران فامرأه العزيز هي زوجته وسيدة القصر.

٢)عندما اصبح يوسف شابا كاملا وقد تجاوز مرحلة الفتي الصغير ، من المرجح انه قد احتل منصبا إداريا داخل القصر مثل الاشراف علي موارد القصر وترتيب العمل به (مدير القصر او مساعده) وهذا سمح له بالبقاء داخل القصر والتجول فيه حسب طبيعة عمله، ولذلك كان بإمكان امرأه العزيز ان تلاحظه وتعجب به، ولا نرجح كونه كان امام عينها طوال فترة صباة ولكن ربما انتقل الي جزء رئيسي (جناح الملك) في القصر بعد تدرجه في الإدارة ولذلك فقد راته لأول مرة بعد مدة طويلة ولاحظت جاذبيته كرجل او شاب جميل بشكل استثنائي كما شرحنا من قبل .

٣) واضح انها كانت تلاحظه من فترة ربما شهور ، وهي تفكر فيه متجاهلة انها زوجة العزيز ، فقد عميت تماما بعشقه وهو الجميل الذي لا يقاوم بالنسبة لها، وقد عزمت علي ان تحظي به مهما كلف الامر ولذلك بدأت تخطط لتختلي به في القصر ولا يستبعد انها جندت بعض الخادمات في القصر لمعاونتها وعندما حانت اللحظة المناسبة استدعته الي غرفتها – وهو دليل علي وجوده في القصر دائما – وامرت الخادمات باغلاق الأبواب (وغلقت الأبواب) ثم بدأت تراوغه وتلاطفه وتحاول فتنته ، وهن نرجح انها كانت صغيرة السن ولو كانت اكبر منه (ربما في بداية الأربعين او أواخر الثلاثين) وكانت جميلة بالطبع اذ ان العزيز سيختار زوجته من اجمل النساء وبالطبع اصغر منه سنا ، وهكذا بدأت تحاول اغراءه بملابس مكشوفة او كلام معسول او نحوه.

٤) همت به وهم بها: في اللغة ، هم بالشئ أي قصده وعزم عليه وتهيا لفعله وهو فعل نفسي داخلي لم يخرج الي الفعل الحقيقي المادي ، والعرب تفرق بين درجات الهم ، فهناك الخاطر العابر ثم حديث النفس ثم العزم والقصد

الجاد ، ولذلك يمكننا ان نفرق بين (همت به) و (هم بها) فالهم بالنسبة لها كان عزما منعقدا علي الفعل مهما تكلف الامر ، اما هم يوسف فلم يصل الي مرحلة العزم الأكيد انما انحصر في مرحلة الاثارة وحديث النفس الذي لا يمكن للرجل الا يشعر به الا اذا كان به خلل نفسي ، ويوسف كأي رجل – لم يكن نبيا بعد – شاب صغير من الطبيعي ان تصارعه نفسه امام هذا الاغراء ولكن لم يتجاوز مرحلة الهم الي الفعل او حتي عقد النية عليه.

٥) برهان ربه: هذه واحدة من اكثر الأمور جدلا في قصة يوسف ، فما هو البرهان الذي راه يوسف وجعله يتحكم في غرائزه ويصمد امام الاغراء الشديد..

٦)البرهان في اللغة هو الوضوح والبيان والانكشاف بعد الخفاء ، وفي استعمال العرب هو الدليل القاطع او الحجة الواضحة وهو اعلي مراتب الاستدلال ، وفي سياق القصة قيل ان ملاك ظهر له او شيء خارق كمعجزة منعه من ان يستجيب لها ولكن نري ان ذلك يقلل من عفة يوسف الخلقية وهي السمة التي كانت فيه بداءة ولا يحتاج لمحفز او وازع خارجي ليوقفه ومعني ذلك أيضا انه لولا ان رأي هذا الملاك او غيره لطاوعها ووقع في الفاحشة ، ولكن الاصح ان يكون هذا التحكم في النفس نابع منه داخليا خوفا من الله وليس بسبب رؤيته لملاك او شيء خارق،

ولذلك فاننا نستبعد هذا التفسير ونري ان البرهان الذي راه ليس مقصود انه حدث في تلك اللحظة بعينها بل هو امر من الماضي علي ان تكون الجملة اصلها (لولا انه قد رأي برهان ربه – أي من قبل وهو يذكره) ولكن ما طبيعة هذا البرهان؟

كما قلنا فان يوسف لم يكن قد بعث بالنبوة بعد ولذلك فلم ير جبريل مثلا او أي ملاك اخر ليخبره بما سيحدث، ولكن هذا البرهان لا يجب ان يكون فقط ماديا مرئيا ويكفي البرهان الداخلي ، واقترانه (بربه) هو المفتاح لحل اللغز ،

كلمة (رب) في العربية ليس محصورا علي الاله ، ولكن اصله اعتني و ادار او قوي وهو الذي يربي ، والرب أيضا هو السيد او المالك او المسئول عن الشئ وله السلطة عليه فيقال رب ادار ورب الاسرة ورب المال ، وللك لا يستبعد ان يكون ربه في الآية يعني سيده وهو العزيز بدليل ان القرآن لم يكن (برهان الله) وقد جاء هذا اللفظ بالضبط في عدة مواضع في القرآن .

وعلي ذلك امامنا فرضان : الأول هو ان (ربه) مقصود بها الله تعالي وعليه فيكون البرهان الذي راه هو اليقين بوجود الله تعالي في قلبه كونه سليل الأنبياء وقد رباه ابوه يعقوب ورسخ ذلك في قلبه ولذلك فانه يخاف منه ويعلم يقينا بان الله يحاسب ويسمع ويري .

وثانيا: ان يكون المقصود هو العزيز أي سيده، ويكون البرهان هو علمه ان العزيز قد وصل الي القصر او ربما سمع صوته بدليل قوله تعالي (والفيا سيدها لدي الباب).

٧)لقد اعرض عنها يوسف ورفض اغراءاتها الشديدة واراد ان ينهي هذا الموقف العصيب فادار ظهره لها وانصرف نحو الباب فامسكت بقميصه (هكذا تسمي الملابس في استخدام القرآن) وربما قطعته او خرقت فيه خرق، وعندما فتح الباب (ربما من الخارج لأنها غلقت الأبواب) لقي العزيز خلفه واصبح الامر مريبا .

ان القصة تبدو واقعية تماما اذا مارست المراة كيدها وكذبها وقلبها للحقائق كما نراه في الأفلام اليوم، فقد ادعت انه هو الذي راودها عن نفسها – أي حاول اغوائها – لان هذا هو الوضع المنطقي ، وبالطبع صدقها العزيز ، وربما تم احتجاز يوسف في غرفة بالقصر لمحاكمته محاكمة ضيق في نطاق عائلي، فجاءوا بحكم من أهلها غالبا كان له منصب في القصر ، والذي حكم بان ينظر الي قميصه ، ان كان القطع من الخلف فهذا دليل علي انه ادار ظهره لها وهي لاحقته وامسكت بقميصه لتمنعه من الخروج ويكون هو صادق وهي كاذبة . وان كان القميص ممزق من الامام فهذا دليل علي انه كان يحاول اجتذابها او التحرش بها وهي تقاوم وتدفع ولذلك قد تمزق القميص مع المقاومة. ثم ثبت لهم انها هي الكاذبة.

٨)يبدو ان يوسف شخص مهم بالنسبة للعزيز لذكائه واخلاصه في العمل وبراعته فيه ، لذلك قد عفا عنه واعاده لأي عمله وهو امر ليس متوقع في هذا الجو اذ من الطبيعي ان يتخلص منه العزيز بعدما علم انه فتنه وان وجوده في القصر اصبح قنبلة موقوتة كما ان الخبر كان من الممكن ان يتسرب خارج الدائرة الضيقة للشهود لهذه الواقعة ولكنه فضل ان يتركه .

٩) رغم ذلك ، تسرب الخبر بالفعل فهناك خادمات كن يعلمن بالتدبير وبالطبع بدأن يتكلمن ويسربن الاخبار ليس في المدينة ولكن علي الاقل بين دائرة النساء ، ولكن من هن هؤلاء النسوة..

في اللغة نجد ان (امرأه) تجمع (نساء) وهو لفظ عام و(نسوة) يقصد مجموعة من النساء أي تخصيص من العام (نساء) والمقصود في السياق هنا ان هناك مجموعة من النسوة في المدينة (افاريس) هم الذين تكلموا عن فضيحة امرأه العزيز، وليس كل نساء المدينة ولذلك فاننا نرجح ان يكون المقصود اما نساء القصر – أي نساء العزيز

إضافة الي نساء الوزراء وقادة الجيش (الطبقة الارستقراطية) والذين كانوا يجتمعون دائما للحديث فيما بينهم وكما هي عادة النساء فان مثل هذه القصة تكون مادة مفضلة للحديث فيما بينهن .

ولا نرجح ان يكون النسوة المقصودين من الخادمات او الجواري لأنهن لا يتجرأن علي الحديث علي امرأه العزيز- اقوي رجل في مصر – خشية البطش العقاب الشديد ، ومن ناحية اخري فان رد فعل امرأه العزيز كما سنري كان غريبا اذا ما افترضنا انهن كانوا خادمات او قليلي الشأن .

لقد وصل الخبر اليهن غالبا من الخدم الذين شاركوا في المؤامرة مع امرأه العزيز ، ثم بدأن يتكلمن ، ربما كن يلمزنها بالكلام والاشارة والسخرية ، وربما علمت من عيونها وخادماتها – الذين سربن الخبر – ولنقرا آيات القرآن التي تحكي لنا ماذا حدث ..

قال تعالي : فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشر ان هذا الا ملك كريم، قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين – يوسف ٣٢

اذا ماذا حدث..

لقد دعتهن امرأه العزيز الي حفل او وليمة تضم جميع النسوة ، واعطيت كل واحدة سكينا ، وهو امر معروف عند الطبقة الارستقراطية في هذا الوقت وكانت السكاكين تستخدم لتقطيع اللحم في الغالب اذ كان يقدم قطعة كبيرة لكل فرد ، ومن المهم ان نفهم ان سكاكين الطعام في هذا الوقت لم تكن بنفس قوة وحدة السكاكين اليوم ، وكان التقطيع بطيئا ويجب التكرار ، وكانت السكاكين اما تصنع من العاج تو الخشب او البرونز .

كانت الخطة ان يبدا النسوة في تناول الطعام وفي الغالب امرت بتقديم اللحم قطعة كبيرة تحتاج الي تقطيع متكرر حتي تضمن امساكهن بالسكين لمدة أطول وعندما كانوا مشغولين بالتقطيع أدخلت عليهن يوسف – والذي لم يكن يفهم لماذا دعته ، وعندما دخل الي قاعة الطعام نظرت النساء اليه اثناء تقطيعهن المتكرر للحم الشديد ..

ان ما حدث يسمي في علم النفس بظاهرة الانتباه المنصرف، أي ان الانسان اذا انشغل عقله فجأة بمثير قوي جدا يستمر جسمه في الحركة دون ادراك حقيقي لما يفعل أي ان الجسم في عالم والعقل في عالم اخر ، وربما لا يشعر بالألم لحظيا، وهذا يرتبط أيضا بما يسمي (الصدمة الجمالية) وهي ما وصفها القرآن بلفظ (اكبرنه) أي يدل

علي الانبهار الشديد والمفاجئ لمدة لحظات او ثوان معدودة لحظة دخوله عليهن وكانت أيديهن تستمر في اخر عمل لها وهو التقطيع المستمر فتشتت انتباههم وقطعن أيديهن..

ونوضح هنا ان النسوة لم تقطع أيديهن بمعني البتر ، ولكن القطع او المرحلة التالية للجرح والمقصود هو الجرح المتكرر ، لأننا كما قلنا ان السكاكين لم تكن بقوة اليوم كما ان شرائح اللحم كانت متماسكة وتحتاج لتقطيع مستمر حتي تفصل الي قطع ولذلك فأنهن ظللن يمررن السكاكين علي أيديهن عدة مرات قبل ان ينتبهن .

هكذا اثبتت امرأه العزيز للنساء انها كانت علي حق في عشقها ليوسف ، ثم انتقلت للمرحلة الأخيرة من الجنون اذ أعلنت صراحة انها راودته عن نفسه وهددته اذا لم يطعها ان تسجنه او تعذبه، ولم تخش ان يصل الخبر الي العزيز ،

اما من ناحية يوسف فقد وجد نفسه العوبة في أيدي النساء بعضهن يراودنه – بالطبع بعض النسوة حاولن معه في هذه الواقعة بدليل قوله (اصب اليهن) وبعضهن يهددنه بالعقاب، وهو العفيف الذي يخاف الله، وحتي اذا لم يكن رادعه هو الخوف من الله فان العزيز وازواج هؤلاء سيعملون علي التنكيل به خوفا علي انفسهم وسمعتهم، وهو ما حدث..

١٠) السجن :

قال تعالي : قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ، ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتي حين – يوسف ٣٤

من ذلك يمكننا ان نتوقع ان (بدا لهم) مقصود بها العزيز وازواج النساء من كبار رجال الدولة والوزراء وقادة الجيش وغيرهم ، وقد عرفوا وتثبتوا من ان يوسف اصبح خطر يهدد ازواجهم ومناصبهم بالفضيحة المدوية واجمعوا جميعا ضد يوسف وقرروا ان يضعوه في السجن بأي تهمة ملفقة وهو امر سهل جدا في هذا الوقت او يمكن وضعه بالسجن بدون تهمة محددة بدليل قوله تعالي (لنسجننه حتي حين) أي لمدة غير معلومة وهو دليل علي عدم وجود تهمة ولا محاكمة ولا عقوبة محددة.

دخل يوسف الي السجن في عمر ما بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، وعلي اقصي تقدير كان في عام ١٦٧٠ ق.م ، ولنعرف بالتحديد شكل او نظام السجون في عهد الهكسوس..

١)أولا من المهم ان نفهم ان السجون في مصر القديمة لم تكن عقوبة في حد ذاتها فلم يكن معروفا نظام السجون كإصلاح ولا توجد عقوبات تحكم بالسجن فقط كما هو الحال اليوم، ولكن العقوبات كانت فورية مثل الإعدام او البتر او الغرامة او الاسترقاق او النفي او العمل القسري، اما السجن فكان وسيلة لا غاية ،

كان الحبس يستخدم كمكان للتحقيق او انتظار العقوبة او التأديب المؤقت او عزل شخص خطر او احتجاز سياسي،

٢) الحبس طويل المدة كان معروفا – ليس كعقوبة – وانما له صور اخري ، مثل النسيان الإداري (كما في حالة يوسف) بان يوضع الشخص في السجن كوضع مؤقت او لكونه خطر ثم يتم نسيانه تماما غالبا بسبب تغير الحكام او لعدم ادراجه في سجلات الحبس ، وهذا متصور بشدة عند الهكسوس خاصة في الفترة التي عاصرها يوسف قبل الملك الرسمي والإدارة المحكمة فلا يوجد جهاز قضائي منظم وكان السجن والأفراج بسلطة مطلقة من الحكام .

والدليل علي ذلك ان الملك لم يكن يعرف بيوسف ولا بحكم سجنه انما كان بقرار مباشر من العزيز وكبار الرجال في القصر وهو ما سنعرفه بعد قليل..

٣)كما قلنا فلم يكن هناك سجن كمنظومة عقابية انما مبان اعيد استخدامها كمخازن قديمة او أجزاء ملحقة بالقصر ، غالبا كان الانفاق عليه ضعيف جدا فمن الجائز ان يكون ظلاما طول الوقت مع اشعال بسيط لإضاءة ضعيفة جدا ، مع زنازين صغيرة عبارة عن اقفاص ، لا يوجد نوافذ للتهوية ربما شقوق في السقف لا فراش ولا اسرة ، الطعام بسيط جدا جدا خبز وماء ولا يوجد جدول ثابت انما الاعتماد الكامل علي الحراس.

٤) نكمل الأحداث كما يروي لنا القرآن.. فقد دخل معه السجن بعد فترة طويلة من بقاؤه هناك رجلان ، كانا قد دخلا في انتظار المحاكمة وكليهما متهمين في قضية واحدة وهي السرقة من القصر ، ومن سياق القصة يبدو انهما يعملان في قصر الملك ، احدهما ساقي – مسئول عن سقاية الملك ، والتأخر خباز الملك الخاص..

لان السجن كما قلنا صغير الحجم وليس نظام عقابي فمن المرجح ان يوسف هو الوحيد الذي كان باقي في السجن بشكل مستمر وقد مر عليه الكثير من الأشخاص الذين يمكثون أياما ثم يرحلون، وكان بالطبع يتبادل معهم الحديث لقضاء الوقت اللانهائي في السجن، وهكذا عرف قصتها ..

ويخبرنا القرآن بعد ذلك انكل منهم قد رأي رؤيا خاصة حكاها ليوسف في سيق الحديث ، ولان يوسف قد اوتي قدرة وعلم اما كونه نبي واما مما علمه يعقوب من تاويل الرؤيا ، فقد فسر لهما رؤياهما ، وقد فهم يوسف من رؤيا احدهما انه سيحكم ببراءته من التهمة بينما سيعدم الاخر وهكذا علم يوسف من منهما الذي سرق، فاستغل الفرصة ليصل صوته الي الملك متجاوزا هؤلاء الذين القوا به في السجن لعلمه ان الملك نفسه قادر علي اصدار قرار باخراجه بعدما نسوه ،وهكذا اخبر الشي علم ببراءته بتاويل رؤياه وبشره بالبراءة وطلب منه ان يذكر امره عند الملك كونه قريب منه .ثم دعاهما الي عبادة الله الواحد .

و يخبرنا القرآن بعد ذلك بان هذا الرجل قد خرج من السجن كما تنبأ له يوسف ولكنه نسي اخبار الملك عن يوسف ومكث يوسف مدة طويلة في السجن .

□حلم الملك

---

١)اذا كان يوسف قد دخل الي السجن كما قلنا في عمر الثلاثين او قبل ذلك بقليل ، وعندما خرج طلب ان يكون مسئولا كبيرا في مصر – غالبا منصب العزيز – فقد بدأت مهمته في انقاذ مصر والعالم القريب منها من المجاعة وهي احد مهماته الذي ارسل لها، فلابد ان يكون يوسف قد بعث بالنبوة قبل وقوع حلم الملك ، أي بعد الأربعين ، وعلي ذلك ستكون بعثة يوسف قد حدثت خلال وجوده في السجن ، أي ان يوسف قد قضي في السجن –علي الأقل – خمسة عشر عاما ليصل الي سن الخامسة والأربعين او علي الأقل بعد الأربعين ،

٢) يخبرنا القرآن بان الملك رأي رؤيا لم يستطع المنجمون والكهنة وقتها أيجاد تفسير مقنع ، ولكن كيف كان يفعل الكهنة ذلك..

استخدم القرآن في تفسير الرؤيا لفظ (تعبرون) وهي في اللغة تعني العبور او الاجتياز وهو لفظ دقيق في تفسير الرؤي لأنه يقصد العبور من ظاهر الرؤيا الي باطنها لفهم ما وراءها وما المقصود منها.

في مصر القديمة وبلاد الشام كان هناك أيمان شديد بان رؤيا الملك ليست امرا شخصيا خاص به انما رسالة من الآلهة او انذار يمس الدولة فقد يصور رضاء او غضب الآلهة وهو امر موجود بقوة في مصر وبابل واشور ،

وفي مصر وجدت برديات خاصة بتفسير الاحلام معروفة عند الباحثين باسم (قوائم الاحلام) وكانوا يعرفون بالممارسة والتكرار والرموز تشير الي احداث معينة او تدل علي الخير والشر مثل حيوان او نبات معين او رمز كالشمس او القمر،

ولكن لماذا فشل معبروا الملك هنا، ربما ان الرموز كانت مركبة (سبع بقرات كبيرة وسبع عجاف) وهي أمور ربما لم يجدوا عندهم سوابق بها او لم يتمكنوا من تركيب المعني لفهم ما سيحدث، وواضح ان الامر كان خطير جدا لان الرؤيا لم تكن تبشر بخير ، وكانت الدولة كلها في امس الحاجة الي أي شخص يعطيهم أي تفسير ولكن لا احد يجرؤ علي التأليف او الخداع لأنه ببساطة سيعدم اذا اتضح كذبه او تلفيقه بعد ذلك، ولهذا اتفق المعبرون علي ان يحاولوا التبرير للملك بانها ليست الا أحلام شخصية للملك (اضغاث أحلام) ..

واضغاث في اللغة ، تعني الشئ الغير مرتب فيقال ضعث من حطب او من نبات فهو مجموعة من وحدات غير مرتبه او غير متناظرة في الحجم، والمقصود هنا انه من صور مختلطة في الاحلام ولا تعني شيء محدد وهو امر علميا معروف لان الذاكرة تقوم بالتخلص من الصور الغير هامة في شكل أحلام عشوائية .

٣) وهنا يخبرنا القرآن ان الرجل الذي قد خرج ونجا من السجن قد تذكر يوسف ذلك الرجل المسجون الذي عنده قدرة عجيبة علي تفسير الاحلام وقد صدق تفسيره عندما تنبأ ببراءته وبثبوت التهمة علي الاخر ثم تنبأ بالطريقة التي سيعدم بها أيضا، وقد كان ينبئهم باشياء اخري (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتكم بتاويله) ولذلك طلب من الملك السماح له بلقاء يوسف في السجن واستشارته في امر هذه الرؤيا المعضلة.

وعندما اتاه قال له (يوسف أيها الصديق) وهو اعتراف بانه رجل مصدق لا يتنبأ بشئ الا ويحدث كما ذكره ، ثم حكا له حلم الملك ، ففسر له الحلم بلا تردد..

٤) لنقف هنا لنفهم ما حقيقة الحلم وهل ذلك مطابق للتاريخ المعروف ..

لقد بين لنا القرآن ان تفسير الحلم هو ان مصر والمنطقة ستدخل في سبع سنوات من الجفاف ، انقطاع فيضان النيل وقلة المطر وبالتالي تدهور الزراعة ودخول البلاد في مجاعة كبري..

ولكن هل حدث ذلك في مصر من قبل؟

أولا : تاريخ المجاعات في مصر القديمة حسب التوثيق:

-الحدث المناخي الكبير kiloyear event 2200 ق.م وقد استمر لعقود طويلة ويعتقد انه ساهم في انهيار الدولة المصرية القديمة وانخفاض فيضانات النيل إضافة الي تأثيره علي سوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية،

- وقد علمنا حدوث مجاعة في كنعان وقت ابراهيم عليه السلام عليه السلام اذا كان قد دخل مصر بالفعل

ثانيا: المجاعة في زمن الهكسوس:

لا توجد نصوص من عصر الهكسوس توثق حدوث مجاعة طويلة في هذا الوقت ولكن ذلك يرجع لقلة التوثيق عند الهكسوس مقارنة بالمصريين خصوصا وقد علمنا ان احداث القصة كانت قبل الملك الرسمي والمنظم أي في فترة فوضي سياسية وإدارية ومن المعقول الا يكون هناك اهتمام بالتدوين وكان المهم فقط هو السيطرة علي الوضع،

وللأسف فان كثير من الباحثين قد حركوا زمن وجود يوسف الي قرون كاملة قبل هذا الوقت – فقط لتزامن أوقات المجاعات الموثقة في البرديات، ولكن عدم وجود وثائق اليوم من عصر الهكسوس لا يعني ان المجاعة لم تحدث من الأصل بل ربما في السنوات القادمة يتم الكشف عن دلائل اخري تعرفنا اكثر عن هذا الوقت..

نعود لأحداث القصة، فقد فسر يوسف حلم الملك بمجاعة او تحديدا قلة في منسوب النيل والامطار ستؤثر سلبا وبشدة علي الإنتاج الزراعي مما يؤدي لنقص في الغذاء ، وقد فسر يوسف النصف الثاني من الحلم بانه ستتبع السنوات السبع ، سبع سنوات اخريات يكون فيهما انتاج غزير، ولم يكتف يوسف بتأويل الحلم بل أعطاه حلا معجزا للازمة في برنامج وخطة طويلة الأمد.

عندما رجع الساقي للملك واخبره عن التفسير الوحيد والجريء للرؤيا ، فعلم الملك انه امام رجل يعرف ما يقول وان لديه رؤية مختلفة ، فطلب الملك رؤيته شخصيا .

٥) عندما رجع الرجل الي يوسف يبشره بان الملك يريد مقابلته ، وهو الامر الذي من الممكن ان يمنحه عفوا ملكيا للخروج من السجن ، الا ان يوسف لم يرد العفو فحسب انما أراد البراءة واراد ان يدفع الظالمون عاقبة ظلمهم له ، فقال له (ارجع الي ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) اذا أراد يوسف من الملك ان يحقق في الامر الذي مر عليه اكثر من عقد ، لأنه أراد تحقيق العدالة ولان الملك اصبح يعلم ان يوسف هو المخلص الوحيد من الكارثة المقبلة علي البلاد فسوف يفعل ما أراده .

ويخبرنا القرآن بما حدث..

قوله تعالي: قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأه العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين – يوسف

ربما ان الامر لم يتأت بهذه السهولة ولكن الملك له سطوة وقوة ضغط اجبرتهم علي الاعتراف والنتيجة ان الحق ظهر وعلم الملك بالتدبير والظلم الذي وقع علي يوسف ، وليس هذا هو المهم عنده بل المهم انه يحتاج يوسف في تلك الفترة بأي ثمن .

□يوسف علي خزائن الأرض

عندما قابل الملك يوسف وهو صاحب رؤية وخطة محكمة للخلاص ، من المنطقي ان يساله الملك عن السلطات والامكانيات التي يحتاجها ليضع خطته قيد التنفيذ، فقال له يوسف (اجعلني علي خزائن الأرض) ولنتوقف قليلا ند تلك النقطة لنفهم أولا ما المنصب الذي احتله يوسف في مصر ، وما الخطة التي نفذها ..

لولا: خزائن الرض مقصود بها كل ما يدار من خيرات الأرض كالمحاصيل والأموال والثروات وما تعتمد عليه الدولة في إدارة الشئون ، وهي مواضع حفظ الأموال والثروات ، والمقصود هنا هو السلطة والسيطرة علي كافة مصادر الانفاق وتجميع الثروات والغذاء والتحكم في الداخل والخارج بشكل تام وهو ما أراده يوسف لتكون جميع الخزائن تحت يده لإدارة الازمة وفقا لخطته.

ثانيا: في عصر الهكسوس ، يكون هذا المنصب مطابقا للمشرف علي مخازن الدولة او المسئول عن الغلال والتموين وإدارة الضرائب العينية (حبوب ، ماشية) وتخزين الغلال وتوزيعها، وهو غالبا المنصب الذي يشار اليه في القرآن (بالعزيز) والدليل ان هذا اللقب اطلق علي يوسف عندما خاطبه اخوته بعد ذلك كما سنري.

اذا كان يوسف هو العزيز ، وهو الشخص الذي يلي الملك مباشرة ويكون متحكم في كل ما سبق ولا يمنع ذلك ان يكون تحت يده مسئولين كبار (وزراء) ويكون هو الرئيس المجمع لهم، ففي تلك الفترة كانت الوزارات قليلة جدا مقارنة باليوم فالعزيز يكون مسئولا عن الداخل والخارج وكل شيء ما عدا الامن والجيش الذين يتولاهما قائد الجيش.

ثالثا: الخطة :

تكونت خطة يوسف من ثلاث مراحل ..

١)مرحلة الاستعداد للازمة: (تزرعون سبع سنين دأبا) والدأب هو العمل بلا توقف فيقال (دؤوب) أي كثير العمل والمقصود هنا هو عدم اخذ فترة راحة بين الحصاد والزراعة التالية ، وهو تكثيف الزراعة.

٢)سياسة التخزين الذكي : (فما حصدتم فذروه في سنبله) وهذه فكرة عبقرية ، فالتخزين في السنابل يحمي الحبوب من السوس والرطوبة والتلف طويل الامد وهذا التخزين لا يصلح مع كل المحاصيل (القمح ، الشعير ، الذر ، الارز في قشره) ،

ثم قال (الا قليلا مما تأكلون) : والمقصود هو تقنين الاستهلاك ومنع الاسراف وفرض اقتصاد صارم في سنوات الرخاء،

٣)إدارة المجاعة (السبع الشداد) : المجاعة تستهلك كل المخزون لذلك يجب التوزيع المدار للمحاصيل فلا يفتح المخزون الا دفعة واحدة ، وبمصطلح اليوم يمكن تسمية ذلك (بسياسة التقشف) التي تتبعها الدول في الفترات الحرجة اقتصاديا.

رابعا: التطبيق العملي:

هل تدار الازمة بنظام الحصص الغذائية للأفراد ام بنظام السوق؟

ان المنطق التاريخي يقول ان الامر خليط بينهما ، علي النحو التالي..

١)الطعام الأساسي (الحبوب): لا يمكن تركه للعرض والطلب والا سيموت الفقراء ويحتكر الأغنياء الغذاء ، لذلك نرجح بشدة انه كان يتبع توزيع مقنن بحدود قصوي للفرد والاسرة وجبات مناسبة تحت اشراف الدولة ،

٢)البيع والشراء لم يمنع تماما بل كان موجودا بأسعار محددة وتحت رقابة الدولة ومن المخازن المركزية ، بالطبع هذا ينطبق فقط علي السلع الغذائية والمواد الأساسية اما باقي السلع التي لا تتأثر بالمجاعة فستسير بشكل طبيعي مع ضبط الأسعار.

٣)التجارة الخارجية : لقد حسب يوسف حساب المناطق المجاورة أيضا في خطته فكان الفائض يكفي السبع سنوات داخل مصر وخارجها أيضا، ولذلك كان يمكن بيع المحاصيل لسكان المناطق المجاورة لمصر وخاصة كنعان والبدو، ولكن ليس بنظام الحصص بل بنظام البيع والمقايضة ، وهو أيضا تصرف مفيد للدولة التي يقوم عليها اذ

يجلب الكثير من الثروات ثناء فترة الازمة، فيتم بيع الغذاء مقابل الذهب والفضة والماشية والعبيد ويمنح مصر نفوذا سياسيا بدون استنزاف المخزون – أي بنسب محسوبة.

٥) ان التاريخ التقريبي لبدء صعود يوسف علي الحكم كما قلنا بعد خروجه من السجن وهو تقريبا بعد خمسة عشر عام علي الأقل من وضعه بالسجن ، أي كان عمره يجاوز الأربعين ، وهو حوالي العام ١٦٥٠ق.م تقريبا ، ولا يفترض ن السبع سنوات الاولي قد بدأت مباشرة بعد اعتلاءه الحكم ، وربما بعد شهور او سنة مثلا ، ثم بدأت سنوات من الزراعة المتواصلة تحت حكمه أي نصل الي العام ١٦٤٢ق.م قبل بدء المجاعة ويكون عمر يوسف وقتها قد تجاوز الخمسين ، وننتقل الي النقطة التالية من قصة يوسف عليه السلام..

□يوسف واخوته مرة اخري

نكمل قصة يوسف من القرآن حيث يقول تعالي:

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ، ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين ،فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون، قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون ، وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الي اهلهم لعلهم يرجعون، فلما رجعوا الي ابيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون، قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم علي اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين – يوسف ٦٤

١) لم يكن يوسف يقابل كل فرد من الوافدين من الخارج بل كان يشرف بضفة عامة علي سير الأمور ، ولما ضربت المجاعة الأراضي المحيطة بمصر وكما قلنا ارض كنعان قرب سيناء وهي مكان يعقوب وأولاده، بامتناع المطر وجفاف الأرض اضطروا للشراء من مصر وهي اقرب مكان لهم وقتئذ، فلما رآهم يوسف بالصدفة عرفهم ، فطلب ان يحضروا اليه شخصيا ولكنهم لم يميزوه لأنه بالطبع تغير كثيرا عما تركوه وهو في العاشرة من عمره وقد اصبح رجلا الان ، ولكنهم لم يتغيروا كثيرا ، بالإضافة الي نبوة يوسف فسيعرفه حتي لو تغيرت اشكالهم.

٢)كما قلنا كانت التجارة بنسب محسوبة بالنسبة للغذاء ، فقد كانت تصرف للعائلة بحسب عدد افردها ، وكان علي الأرجح يعتبر الشاب الذي تجاوز سن الزواج بأربعة افراد (هو وزوجته واثنان من الأولاد) وواضح ان

الاخوة الذين جاؤوا لمصر كانوا العشرة الذين القوا بيوسف في الجب من قبل دون أخيه الشقيق الذي كان رضيعا وقتها علي الأرجح ،ولذلك لا يوجد ما يثبت ان هناك اخ لهؤلاء العشرة ، ولذلك طلب يوسف ان يأتوا باخيهم اذ انهم اخبروهم بان لهم اخ ليأخذوا حصة إضافية، ولكن طالما لم يكن هذا الشخص موجود فلن تصرف له حصته .

الحقيقة ان الاخوة العشرة لا يبالون بحصة اخيهم ولكنهم يخافون غضب والدهم خاصة انهم اصبحوا حذرين منه بعد ما فعلوا بيوسف ويعلمون انه لا يصدق قصة الذئب.

٣) امر يوسف بوضع بضاعتهم – والمقصود هنا البضاعة التي جاءوا ليقايضون بها الطعام وهي غالبا من الفضة (دراهم) – ان توضع في رحالهم مع الحبوب لأنه يعلم انهم طماعين وسيعودون حتما مرة اخري اذا كان معهم فضتهم اما اذا اخذها منهم فلن يرجعوا اليه خاصة انه يعلم ان ابوه سيرفض ارسال اخوهم معهم انما اذا اعطاهم ما يطمعهم فسيلحون عليه ليعودوا مرة اخري. وهكذا خرج اخوة يوسف الي ابيهم بحصة ناقصة .

٤) عاد الاخوة الي يعقوب وافهموه انهم منعوا من الكيل -ليس مطلقا بل بحصة ناقصة – وان العزيز نفسه طلب منهم احضار اخيهم معهم ليصدقهم ويعطيهم حصته، وبالطبع رفض يعقوب رفضا قاطعا لعلمه بانهم يكرهونه كما يكرهون يوسف ومن الواضح انهم طوال هذه السنوات كانوا يظهرون هذا الكره وكان يعقوب ينتظر منهم فعل غادر في أي وقت تجاه اخيهم ،ولكن ما يكون عمر هذا الأخ (بنيامين في التوراة) وقتئذ..

اذا افترضنا انه كان رضيعا وقت وضع يوسف في الجب – أي اصغر منه بعشر سنوات وهو المنطقي – يكون عمره الان أربعين عاما، ولكن هل هذا سن يخشي فيه علي رجل بالغ؟

الحقيقة ان يعقوب لم يكن يخش عليه مثل ما حدث ليوسف بل في هذه الحالة يكون الامر اخطر لان عشرة رجال بالغين سيكون مكرهم اشد وربما يقتلوه صراحة .

٥) وجد الاخوة بضاعتهم – فضتهم – في الرحال وحدث ما توقعه يوسف وهو الطمع الذي جعلهم يلحون علي ابيهم باستمرار حتي وافق وهو كاره ، وقال لهم انه لن يرسله معهم الا اذا اتوه موثقا من الله وهو امر كبير عند الأنبياء وفي شريعتهم، ان ياتوا به مرة اخري الا ان يحاط بهم – والمقصود قاطعوا الطريق من المسلحين – وقد اعطوه موثقا وقد صدقوه هذه المرة.

٦)قال تعالي: وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة - يوسف ٦٧

وهو قرار ذكي اذ ان يعقوب – كنبي- قد احس بوقوع امر ما فاراد ان يضمن اذا وقع الامر لا يصيبهم جميعا ولكن اذا تفرقوا أصاب بعضهم دون البعض وهو تفكير ذكي .

٧) يخبرنا القرآن بباقي الأحداث،، فعندما جاؤوه باخيهم اعطاهم حصصهم كاملة خصوصا وان بضاعتهم موجودة – أي اكتالوا مرة ثانية مجانا – ثم ان سياق الأحداث بعد ذلك يطابق الرواية في التوراة بان يوسف دعاهم لوليمة في قصره جميعا ثم اكلوا واخذوا بضاعتهم من الحبوب وهموا بالخروج من البوابة ، ثم بعد ذلك اوقفهم الحراس بحجة ان هناك شيئا قد تمت سرقته ويجب تفتيش الجميع.

وفي هذا الموضع نوضح بان الأنبياء لا تقاس افعالهم علي باقي البشر اذ ان حياة الأنبياء كلها موهوبة لله تعالي لا يفعلون الا ما يأمرون وذلك قوله تعالي (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين – الانعام ١٦٢

فاذا كان يوسف قد دبر كل هذه الأحداث فان ذلك كله بأمر من الله ولا ننسي ان يوسف في تلك الفترة كان نبيا بالفعل .

ما حدث هو ان الحراس قاموا بتفتيش الاخوة الاحد عشر ثم استخرجوا الشيء المفقود (صواع الملك) والصواع لغة هو المكيال او الكأس الذي يكال به وربما المقصود انهم سرقوه اثناء وجودهم بالقصر للغذاء – حسب التوراة – والقصد انهم وجدوه في البعير الخاص باخوهم الأصغر والذي كانت المكيدة كلها من اجله. ثم برر الاخوة بانه اذا كان قد سرق فهو امر مصدق لان اخا له من قبل (شقيقه) قد سرق فهو داء في هذه البطن – يقصدون امه وابنيها- فاسر ذلك يوسف وكتم نفسه حتي حين.

حسب القانون في ذلك الوقت فان المفترض القبض علي السارق (اخيهم) ووضعه في الحبس لمحاكمته، وقد استفسر اخوة يوسف عن العقوبة المنتظره فقيل لهم انه سيؤخذ في دين الملك وهو ما كان متبعا في البلاد هذا الوقت – أي يعتبر عبد مملوك للدولة اذ لا توجد عقوبة السجن كما عرفنا، وطلب الاخوة ان ياخذوا احدهم مكانه لعلمهم بالميثاق الذي اعطوه ليعقوب من قبل وانه لن يصدقهم مهما فعلوا ، ولكن يوسف رفض .

٨) اصبح الاخوة الان في مأزق كيف سيرجعون لأبيهم بدون الأخ الذي عاهدوه ان يرجعوا به اليه ،ولذلك قرر اكبرهم ان يبقي في مصر حتي يجد مخرجا وان يعود الباقين لأبيهم يخبروه بما حدث ويقسموا له علي ذلك.

بالطبع لم يصدقهم يعقوب رغم انهم استشهدوا بالقافلة التي جاءوا فيها من مصر ولكن يعقوب علم انه قد وقع عليه ابتلاء من الله بفقدانه الابن الثاني ، وبالطبع فانه لا يستطيع ان يجمح حزنه وبكاءه علي فقدان ولديه المقربين

وهو الذي لم ييأس من لقاء يوسف بعد كل هذه السنوات من الفراق، ويخبرنا القرآن با يعقوب ابيضت عيناه من الحزن ولنفهم ما يعني ذلك علميا..

أولا: لغة ابيضت عيناه أي غلب عليها البياض أي ضعف الابصار،

ثانيا: من الناحية الطبية، فان ذلك له عدة افتراضات، فقد يظهر علي شكل بياض او غشاوة مما يسبب ضعفا شديدا في الرؤية ،

وقد يحدث (عاتمة القرنية) وهو جفاف شديد والتهابات مزمنة بسبب كثرة البكاء مع اهمال العين مما يؤدي الي مظهر ابيض او ضبابي،

كذلك قد يكون فقدان وظيفي مؤقت للبصر وهو نادر ويحدث بسبب صدمة نفسية شديدة يتحسن بزوال سبب الصدمة او الحزن، وهذا هو المرجح في حالة يعقوب.

بعد ذلك امرهم يعقوب ان يذهبوا ليتحسسوا (يراقبوا في سرية) ليعرفوا ماذا حدث لأخيهم ويبحثوا عن يوسف مرة اخري. إذا لا يزال يعقوب يعلم وهو نبي بان يوسف حيا في مكان ما، بل انه يشعر بانه في مصر لذلك طلب منهم البحث عنه اثناء وجودهم في مصر لاستقاء الاخبار عن أخيه.

٩) عندما رجعوا الي يوسف ليطلوا منه العفو عن أخيه ويطلبوا أيضا الموافقة علي مقأيضة بضاعتهم الرخيصة – ما بقي معهم بعد التصرف في الفضة – والتي رفض العمال مقأيضتها بالحبوب، وهنا عرف يوسف عن نفسه امامهم وذكرهم بما فعلوه معه في الماضي، وطلب منهم احضار عشيرتهم من البدو الي مصر ليستوطنوا فيها .

هذه هي بداية دخول بني إسرائيل لمصر في عهد يوسف عليه السلام وتحت حكم الهكسوس وفقا لحساباتنا واتفاق كثير من الباحثين، وهو الامر الذي لم يتم تحديده ابدا بشكل حاسم ، وعلي ذلك يكون دخول بني إسرائيل خلال السبع العجاف أي بعد سبع سنوات علي الأقل من استلام يوسف زمام الأمور في مصر ١٦٥٠ق.م ولنفترض ان دخولهم مصر كان في السنة الثانية او الثالثة من السبع العجاف(المجاعة) فيكون ذلك حوالي ١٦٤٠ ق.م ، وعلي ذلك يكون خروجهم من مصر مع موسي عليه السلام بعد حوالي ٣٠٠ سنة أي اقل من الرواية اليهودية التي تبالغ دائما في الأرقام والمدد والتي جعلت مدة وجودهم في مصر ٤٢٠ عاما والأرجح ان يكون ٣٠٠ حتي يكون عدد الأجيال معقولا بين يوسف وموسي عليه السلام وحتي يتناسب مع العصر الذي عاش فيه موسي عليه السلام عليه السلام كما سنبين في الفصل التالي.

□وفاة يعقوب ويوسف

١) اذا كان دخول يعقوب مصر كان في العام ١٦٤٠ق.م تقريبا فيكون عمره حينها ١٢٠ عام ، ولا يمكن ان يكون يعقوب قد توفي قبل دخولهم مصر لان القرآن يؤكد لقاءه بيوسف ، فقد دخلوا عليه جميعا وسجدوا له (احد عشر اخا ويعقوب وزوجته) وهو تحقيق الحلم الذي حلم به يوسف في بداية القصة ،

ان التوراة تجعل وفاة يعقوب في عمر ١٤٧ سنة ، وهو مبالغ فيه واذا كنا قد قبلنا ان يكون قد وصل لسن ١٢٠ عند دخوله لمصر فإننا نرجح انه مات بعدها بمدة قليلة ولم يصل للسن الكبير في التوراة، أي علي الأكثر انع عاش ١٢٥ سنة وقد انتهت نبوته الي هذا الحد ولم يعد هناك ما يقدمه، وحسب التوراة فان يعقوب قد دفن في مقبرة (المكفيلة) المغارة بجوار ابواه ابراهيم عليه السلام واسحق ، ولكن المسافة من افاريس الي المغارة تبلغ حوالي ٤٥٠ كم وهي رحلة شاقة جدا بمعايير هذا الزمن وامر صعب جدا ان يمشوا أسابيع بجسد يعقوب في الصحراء وهو النبي الذي من المفترض دفنه وتكريمه ، اما وفقا للتوراة فقد ادعوا ان يوسف امر عبيده ليحنطوا جسد يعقوب ، وهو الامر الذي لا يكن ان نقبله من نبي الي نبي اخر وهو غير محتمل حدوثه ، فإضافة الي ان أجساد الأنبياء يحفظها الله تعالي من البلاء وهو متفق عليه من علماء المسلمين فأجساد الأنبياء والشهداء لا تبلي وقد عايننا ذلك في زماننا ، اذا لا حاجة لتحنيط الجسد ،كما ان عملية التحنيط لم تكن معروفة عند الهكسوس ، ومن ناحية ثالثة فان يوسف لن يقوم بالعبث بجسد ابوه يعقوب نبي الله ابدا ، وهذا الرواية الكاذبة من التوراة تجعلنا نستبعد النص بأكمله .

وعلي ذلك يكون يعقوب قد مات و دفن في مصر اما في افاريس او في ارض خصبة حولها

٢)كان عمر يوسف عند دخول بني إسرائيل لمصر حوالي ٦٥ الي ٧٠ عاما ، وبالطبع بالغت الرواية التوراتية في عمره الا اننا سنتبع المعقول اذ لا توجد احداث تدل علي انه عاش الي ما يجاوز المائة عام ، وعلي ذلك سنتوقف عند العمر الأقصى من المعقول وفقا لأحداث التاريخ والتي تؤكد بان بدء انهيار حكم الهكسوس في مصر بدءا بالملك المصري (سقنن –رع) ومن بعده (احمس) والذي بدأ حوالي ١٦٠٠ ق.م وانتهي بخروج الهكسوس نهائيا في ١٥٨٠ ق.م والمرجح بشدة هو ان يوسف قد مات قبل بدء الصراع العسكري بين الهكسوس ومملكة الجنوب والذي ترتب عليه وعاصره انهيار تدريجي في الحكم والاقتصاد في مملكة الهكسوس

وهو يتنافى مع فترة وجود يوسف في الحكم ، ولذلك فلا يجب ان يصل عمر يوسف عليه السلام الي العام ١٦٠٠ ولذلك فنقدر تاريخ موته حوالي ١٦٢٠ ق.م بحد اقصي ويكون قد توفي عن عمر ٨٠-٩٠ عاما .

٣) من المؤكد ان يكون يوسف قد دفن في مصر بجنازة رسمية ولكن غالبا وفقا لشريعة بني إسرائيل كما دفن ابوه وجده ويرجح انه دفن في نفس المدينة (افاريس) كمسئول كبير .

٤) من اكثر الأمور جدلا هو مكان دفن يوسف خاصة وان كثيرا من الباحثين يحبون اسقاط يوسف علي عدة شخصيات تاريخية وللأسف فقد ذهب بعضهم الي اقصي حدود التخريف ونذكر اشهر هذه الشخصيات لإكمال سياق البحث:

أولا: يوسف هو اخناتون :

واحدة من اكبر التخاريف التاريخية هي اسقاط يوسف علي شخصية اخناتون وهو الذي تولي الحكم بعد ابيه (امنحتب الثالث) حوالي ١٣٦٧ق.م أي ان الأقرب ان نعتبره موسي عليه السلام وليس يوسف اذا كان الاسقاط ممكنا ، ال اننا نتحدث عن عصر مختلف تماما عن عصر يوسف ولو صح ذلك الاسقاط لكان هناك جيل واحد او جيلين بين موسي عليه السلام ويوسف وهو افتراض لا يحتاج للتفنيد أصلا.

ثانيا: يويا

واحد من اكثر الافتراضات جدلا ان يكون يوسف هو يويا ولنعرف من هو يويا أولا:

يويا هو رجل نبيل مصري وعالي المنصب في عهد الملك (امنحتب الثالث) الاسرة ١٨، كان قائد جيش وزوجته (تويا) وهو معروف أيضا بمقبرته الفخمة وجسده الذي لم يتعفن بشكل كامل تقريبا . وهذا اول سبب للاعتقاد بانه يوسف حيث ان جسده لم يبل ولكن تم فحص المومياء وتبين بالتأكيد انها محنطة وفقا للطقوس المصرية.

عاش يويا في العام ١٣٩٠ الي ١٣٥٢ ق.م قبل اخناتون مباشرة، وواضح بعد الزمن بينه وبين ابراهيم عليه السلام الامر الذي سيضع ابراهيم عليه السلام متأخرا لكثر من ٣٠٠ سنة وهو تدمير للثوابت التاريخية كما شرحنا في تحديد زمن ابراهيم عليه السلام .

كما انه لا توجد أي دلائل قوية علي ربطه بيوسف غير تلك العلامات التي نجدها في اكثر من شخصية علي مر التاريخ المصري.

مكان دفن يوسف عليه السلام:

لقد أجمعت الكتب في التراث الإسلامي علي النقل من رواية التوراة بدون مراجعة ، والرواية تقول بان يوسف قبل موته قد اوصي ان تنقل جثمانه عند خروجهم من مصر ليدفن في جوار يعقوب واسحق وابراهيم عليه السلام في المغارة، ولنفند ذلك الادعاء ..

١) الرواية تدعي ان يوسف يعرف انهم سيخرجون من مصر وهذا لا دليل نصي عليه اذ ان خروجهم كان بأمر مفاجئ من الله لموسي عليه السلام وقد عارضه بني إسرائيل عندما عرضه عليهم ، ولم يكن هناك اعتقاد ديني عندهم طوال فترة بقاءهم في مصر انهم سيخرجون ، كما ان فكرة الأرض الموعودة لم تكن قد بدأت بعد اذ كان اول طرح لها بعد نبوة موسي عليه السلام عليه السلام اذا ما الذي يبرر طلب يوسف اخذ جثمانه عند الخروج اذ لم يكن هناك علم لأي شخص بخروجهم اذ انهم دخلوا مصر لتوهم وبدأوا في التنعم فيها بعد حياة البدو القاسية.

٢) ان خروج بني إسرائيل من مصر كان خلسة وقد علموا ان جيش فرعون يطاردهم وما هي يوم او يومان حتي يدركهم وهو ما يؤكده القرآن بقوله تعالي (فلما تراءي الجمعان قال أصحاب موسي عليه السلام انا لمدركون – الشعراء ٦١) ،

ولذلك فمن الصعب جدا تخيل انهم سيذهبون الي مكان دفن يوسف (افاريس) من مدينة اقامتهم (بي-رعمسيس) ويحفرون قبر يوسف – فرضا انهم يعرفونه بعد ثلاثة قرون من إعادة تشكيل البلاد – ويخرجون جثمانه ويحملونه رغم ثقله ، ثم يعودون الي مسار خروجهم الأصلي ويجتازون به البحر رغم الاحمال لاتي اخذوها معهم من متاع وحاجيات ترحالهم ، وبعد ذلك يعبرون به الي سيناء حيث يمكثون .

٣) النص التوراتي يدعي ان يوسف طلب نقل جثمانه عند الخروج ، والنص أيضا يقول انهم نقلوا عظامه ورفاته ، وهو مخالف لما استقر عليه العلماء المسلمين وحديث الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم الذي يفيد بان أجساد الأنبياء لا تبلي :

حديث اوس بن اوس الثقفي : ان الله حرم علي الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء – صححه ابن خزيمة وابن حبان والنووي و الالباني وهو صحيح عند الجمهور.

والقصد ان الحديث يكذب نص التوراة اذا كان مقصودا عظام يوسف وليس جسده ، واري انهم ذكروا العظام لسهولة حملها اما اذا كان الجسد كاملا محمولا في تابوت فمن المستحيل تصديق انهم اخذوه معهم .

٤) ان تقدير قبور لأنبياء عند اليهود وتحريم نقلها وفتحها يمنع تصديق هذا الادعاء .

والخلاصة هي ان جسد سيدنا يوسف لازال مدفونا في مصر ، ولا يشترط مع ذلك ان يكون في مقبرة ملكية او فخمة اذ ان الأنبياء كانوا يوصون بدفن متواضع وفقا للطقوس الإبراهيم عليه السلامية المتبعة ولذلك فان مدفن يوسف لازال قابعا تحت صحراء افاريس بتل الضبعة بالشرقية في صندوق متواضع وليس مقبرة فرعونية .

□العالم في زمن يوسف حتي ١٦٢٠ ق.م

١) بلاد الرافدين: العصر البابلي القديم:

سلالة (كودورو-سلالة أيسيليدية) .

٢)بلاد الشام وكنعان:

ممالك كنعانية صغيرة

٣) الاناضول (تركيا):

حضارة الهتيون ، مجموعة قبائل متفرقة تتجمع لتكوين مملكة ، مع بداية استخدام الكتابة المسمارية.

٤) الهند – وادي السند:

حضارة هارابا تتراجع .

٥)الصين :

السلالات المبكرة (شيا/شانغ) ، ممالك صغيرة وولآيات زراعية .

الفصل التاسع

موسي عليه السلام عليه السلام

تحديد فرعون موسي

مكان مدين

مكان الشجرة والبعثة

مكان انشقاق البحر

هل غرق فرعون

مسار الخروج

تكليم الله لموسي

مجمع البحرين

ان تاريخ موسي عليه السلام عليه السلام واحد من اكثر القصص الدينية التي لاقت بحثا خاصة من اليهود علي مر العصور، وبالطبع كانت معظم الأبحاث سواء من اليهود او المسلمين مقتبسة من التوراة ولا اعرف بحثا واحدا تتبع تاريخ موسي عليه السلام عليه السلام بدون ان يعتمد ولو جزئيا علي التوراة ، والمشكلة في التوراة انها تضع تواريخ غير منطقية ومتناقضة بين الأنبياء ، واعتقد ان واحدا من المفاتيح الحاسمة في تحديد زمن موسي عليه السلام عليه السلام هو معرفة المدة التي قضاها بني إسرائيل في مصر وتحديد العام الذي خرجوا فيه .

في هذا الفصل الذي يعد الأكبر في هذا الكتاب سنحاول أولا تحديد الملك الذي عاصر موسي عليه السلام عليه السلام ، بعد ان نحسم الخلاف بين الرواية التوراتية والإسلامية حول كون هذا الملك (فرعون) شخص واحد عاصر ولادة ونشأة موسي عليه السلام وعاصر الخروج معا ام كانوا ملكين حسب الباحثين اليهود.

ومن ثم نبدأ السير مع قصة موسي عليه السلام ، التي احتلت الاهتمام الأكبر في القرآن الكريم ، ومع رحلة موسي عليه السلام من الولادة الي الوفاه سنتوقف عند الكثير من النقاط التي تحتاج تحديد جغرافي دقيق .

ومرة اخري فان اعتمادنا الأول والأخير سيكون علي موافقة نصوص القرآن مع الحقائق التاريخية الموثقة ولن نأخذ أي معلومات من التوراة الا اذا توافقت وتطابقت مع الحقائق التي توصلنا اليها..

فرعون موسي عليه السلام

أولا يجب ان نفهم لماذا لا يوجد أي ذكر لموسي عليه السلام او الأحداث التي وقعت في حياته – وهي كثيرة وعظيمة – في الوثائق والنصوص المصرية القديمة ..

ان الكتابة والتدوين في الحضارات القديمة كان امرا قاصرا علي السلطة اما الإدارة التي تدون السجلات الإدارية والاقتصادية والقوانين ، واما الكهنة الذين يكتبون ما يحلو لهم ، واما الملك الذي يكتفي بتدوين انتصاراته وانجازاته فقط. في تلك الفترة لم يظهر المؤرخون ولم تكن هناك كتب تاريخ ، اما العامة فغالبيتهم لا يعرفون القراءة والكتابة والتي كانت حكرا علي أولئك الذين يحكمون، ولذلك فان ما سنقرأه في نصوصهم اليوم هو فقط إنجازات وانتصارات يكتبها الملك نفسه و ابنه من بعده الذي لن يذكر أي شيء يسئ لوالده.

اما الأعداء – موسي عليه السلام ومن معه- فلن تجد لهم ذكر بالاسم وهو أسلوب اتبعه القدماء لاحتقار اعداءهم بمحو اساميهم –كما فعلوا مع اخناتون – وسيتم تزوير التاريخ لقلب الهزيمة الي نصر –كما سنري بعد قليل . ولذلك فان غياب ذكر موسي عليه السلام والأحداث التي عاصرته لا يعني ان القصة كلها لم تحدث ، انما فقط قد تم تزوير التاريخ الذي كتبه من بقي بعد رحيل موسي عليه السلام عن مصر.

وقبل ان نعرض اهم النظريات في تحديد الفرعون ، يجب ان نحسم أولا مسألة فرعون الخروج وفرعون التسخير..

ان كثير من الباحثين ذهبوا الي ان فرعون موسي عليه السلام في الحقيقة اثنان وليس ملك واحد ، أولهما هو الذي عاصر ولادة موسي عليه السلام وتسخير بني إسرائيل وتربي في قصره موسي عليه السلام ، والثاني هو الذي عاصر التحدي وحادثة يوم الزينة وشق البحر والخروج ، وهذا الرأي يخالف القرن والتاريخ من عدة نواحي..

١) القرآن الكريم استخدم لفظ فرعون قاصرا لوصف الملك المعاصر لموسي عليه السلام عليه السلام ، ونجد في سورة يوسف انه استخدم لفظ (ملك) رغم ان الأحداث أيضا وقعت في مصر ، اذا كان القرآن دقيق في اختيار الالفاظ للتفرقة بين ملك موسي عليه السلام وملك يوسف .

٢)الرواية القرآنية دائما تتحدث عن شخص واحد سخر بني إسرائيل واستعبدهم ووصفته بالتعالي وادعاء الالوهية ثم انتهي بالهلاك في البحر وهذا في السياق التالي:

قوله تعالي : إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ – القصص ٤
قوله تعالي: وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ – القصص٦
قوله تعالي: وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ - –افر ٢٦
قوله تعالي: أَسْبَٰبَ السَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ – غافر ٣٧
قوله تعالي: وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ
اذا واضح من السياق المتصل في آيات القرآن تسلسل القصة المنطقي ، ففرعون ملك طاغية ادعي الالوهية وتجبر في الرض واستعبد بني اسرائيل وقتل ابناءهم ثم تحدي الله وكذب موسي عليه السلام وسعي لقتله ، ثم

تكون النهاية العادلة من الله بهلاكه وجنوده في اليم ، اما اذا افترضنا اننا نتحدث عن ملكان – فرعونان واحد ادعي الالوهية واستعبد بني إسرائيل وفعل كل هذه الجرائم ثم مات موتة طبيعية ، اما الاخر الذي طارد موسي عليه السلام وقومه فهلك في البحر ، ولا يبدو هذا الفرض منطقيا ابدا،

٣)الفرض بانهما فرعونين لا يعطينا حدا فاصلا مؤكدا بين الشخصيتين فمتي يبدأ عهد الفرعون الثاني في قصة موسي عليه السلام،

ا بداية القصة في القرآن بقوله تعالي (فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) تتفق مع النهاية بعد سياق طويل من التجبر والتحدي والاستكبار ومرورا بمعايرته لموسي عليه السلام (الم نربك فينا وليدا) وانتهاءا بقوله تعالي (اليوم ننجيك ببدنك) لهو الأقرب للمنطق،

اما من يدعون بان فرعون هما ملكين مختلفين فاعتمادهم الأساسي علي التوراة التي ذكرت انهم عند الخروج قد سمعوا بان فرعون قد مات وان ابنه يجهز الجيش، وكما قلنا فان رواية التوراة ليس لها مصداقية عندنا ، أولا لأنها كتبن حوالي ٦٠٠ ق.م أي بعد حوالي ٧٠٠ سنة من الأحداث ولم تكن وحيا سماويا ، اما القرآن فهو وحي من الله موثوق لدينا ولذلك سنجنب التوراة تماما .

ثانيا: صفات فرعون موسي عليه السلام حسب القرآن :

١) تسخير واستعباد بني إسرائيل، وهو ثابت بالقرآن والاستعباد يعني الاستعمال بالسخرة لأداء لعمال شاقة بدون اجر ، وكذلك يعني ال يمنح العبد المواطنة ولا يساوي بالمصري ولنري كيف كانت العبودية والسخرة في مصر في الاسرة الثامنة عشر وما بعدها..

أولا: ذكر العبيد صراحة في عهد الدولة الوسطي وخاصة في نصوص مقابر بني حسن والبرشا ، وظهرت في بردية (بروكلين) وتحوي أسماء خدم تابعين لبيت مصري واغلب الأسماء سامية او نوبية .

ثانيا: من الواضح ان العبيد كانوا يملكون اسما ووظيفة وبعضهم يتزوج ويمتلك أشياء بسيطة ، ويعملون في البيوت والزراعة والورش والقصور ،

ثالثا: اعمال السخرة ، لم تكن بالضرورة مقترنة بالعبيد بل كتان من الممكن أحيانا ان يعمل مصريون وحرفيون بالسخرة – بدون اجر – واسري حرب ، والعبرة بالنظام الحاكم ومدي استجباره وطغيانه، ومن الاعمال التي اجبروا عليها ، حفر القنوات وتنظيف الترع وبناء السدود ونقل الأحجار والعمل في المشاريع الملكية والمعابد والتحصينات .

رابعا: المصطلحات التي استخدمت للدلالة علي السخرة مثل (بك = عامل) و (مروت=خدمة مفروضة) .

خامسا: في الاسرة العشرين خاصة دولة الرعامسة نجد اكثر استخداما وحدة للسخرة من الدولة الوسطي وما قبلها، فالدولة كانت عسكرية ومركزية وعندها مشاريع حجرية ضخمة

وكانت تستخدم اسري حرب وهم اقرب للعبيد وقتها وكانوا من الليبيين او النوبيين او الاسيويين ، الي جانب المصريين بالطبع ، ومن المعروف ان اكثر الملوك استخداما للسخرة كان (رمسيس الثاني) وتشير النقوش والبرديات في المعابد الي ان اسري من شعوب مختلفة قد سخروا للعمل في المحاجر والنقل والبناء لإنجاز اثاره العملاقة . ويأتي بعده رمسيس الثالث ، والذي ظهر اعتماده اكثر علي النوبيين والليبيين وشعوب بحرية .

وبمقارنة ملوك مصر القديمة الذين استعملوا السخرة سيكون (رمسيس الثاني) هو الأكثر استعمالا علي الاطلاق نظرا لسلطته المركزية العسكرية ومشاريعه الضخمة والكثيرة .

٢) الصفة الإلهية : السياق القرآني يؤكد ادعاء فرعون الالوهية ، ليس بالمعني الذي كان سائدا في معظم ملوك المصريين القدماء ، اذ كان الملك دائما يعتبر اما ابن الاله او ممثله في الأرض ،

وفي ذلك نجد ان هناك ملوك يظهر جيدا من النقوش والنصوص القديمة انهم اعتبروا الهة

منهم: رمسيس الثاني :"

كثير من النقوش والمعابد تصوره كاله حي خاصة في معبد (أبو سمبل) كان له تماثيل وطقوس تكريمية اثناء حياته ، مثال معبد أبو سمبل الكبير تصور الملك بنفسه بجانب الآلهة (رع وامون وحورس) وغالبا يظهر بحجم مماثل لهم او اكبر من الجنود مما يوحي بقوة الهية ، كما ان بعض اللوحات تصور رهبان وموظفين يقدمون القرابين له اثناء حياته وهذا نوع من تكريم الآلهة ، كذلك في (معبد الكرنك) نصوص تصف رمسيس الثاني بانه ابن الاله العظيم أي ابن امون رع ، وبعض النقوش تقول انه يحقق إرادة الله علي الأرض وهي صياغة تقترب من التجسد الإلهي. وهناك نقش علي معبد كارنق يصفه بانه (المحسن للعالم كله) وهو الذي يجعل الآلهة ترضي عن الناس ،ومن

ناحية اخري كانت هناك طقوس تقام لتمجيده اثناء حياته خصوصا في احتفالات عيد الفتح وعيد الوادي حيث يرفع ذكره مثل ذكر الآلهة .

تحتمس الثالث: نفس الشيء ولكن اقل حدة من رمسيس الثاني واقل وضوحا من النصوص.

٣) ذبح الذكور واستحياء النساء:

هذه النقطة بالذات لا يمكن الوقوف عليها من الناحية التاريخية ابدا، لأننا لا نملك نصوص ا نقوش تعطينا تحديد لممارسة تلك الظاهرة من قتل الأبناء الذكور لأي جنس كان موجودا في مصر وقتها، ولا عن وجود نبوءة بميلاد ولد من بني إسرائيل سيزول علي يده حكم فرعون ،

والحقيقة ان العرافة والكهانة كانت موجودة بقوة في عهد الرعامسة علي وجه الخصوص ، الا انه لا يوجد أي تسجيل لنبوءة معينة ، ولذلك فيكون الاعتماد الكامل في مسألة قتل الأولاد واستحياء البنات علي الرواية الدينية فقط وطالما ان الران قد سجلها فسيكون علينا تصديقها كما جاءت لحين ظهور ادلة اثرية .

٤) لفظ فرعون : اذا حاولنا مطابقة لفظ (فرعون) في المصرية القديمة او أيجاد تشابه صوتي له ، فأننا سنجد اقرب كلمة هي ، (بر) وتنطق أحيانا (بر-عا) ومعناها (البيت العظيم) او القصر الملكي، وبعد الاسرة الثامنة عشر أصبحت تنطق (بر – رع) وتقرن بالملك عادة وتعني الحاكم الأعلى ، والكلمة تظهر في السجلات الإدارية كإشارة للملك وقد تقترن باسمه او تذكر منفردة ولكنها دائما تشير اليه. اذا الكلمة الاصلية في المصرية القديمة هي (بر عا) .

في التوراة تم استخدام نفس الكلمة ولكن بعد تحويرها وفقا للعبرية فقلبت العين المصرية الي النطق العبري (عوه) . وهذا هو النص العبري: (وبعد ذلك جاء موسي عليه السلام وهارون وقال لفرعون هكذا يقول الرب اله إسرائيل اطلق شعبي ليعبدوني في البرية – سفر الخروج ١:٥).والنطق العبري للكلمة هو) paroh فا-رعو) .

القرآن كن اول نص عربي يذكر الاسم ولذلك نجد نفس الكلمة معربة من العبرية ، ونجد العين أصبحت ظاهرة ثم دخلت الواو للاشباع الصوتي ، ومن ثم تدخل النون كزيادة صرفية عربية مثل (فرعون ، هامان، قارون) كما سنري بعد قليل. اذا النون ليست اصلية في الكلمة المصرية

رمسيس الثاني

١)ان مجرد التأكيد علي ان فرعون موسي عليه السلام هو ملك واحد ، أي فرعون التسخير هو فرعون الخروج ، يحصر دائرة البحث في رمسيس الثاني وحده، الا اذا كنا سنطيح بالأحداث بعيدا عن العصر المفترض وجود موسي عليه السلام فيه ،لان الملك الوحيد الذي يمكن ان يستغرق عمره ومدة حكمه لأحداث ولادة وبعثة ومناظرة موسي عليه السلام الي الخروج ، هو رمسيس الثاني ، والذي نعرف بالتحديد انه حكم منذ عام ١٢٧٩ ق.م الي ان توفي عام ١٢١٣ ق.م وهو ما اتفق عليه في علم المصريات ، أي ان مدة حكمه حوالي ٦٦ عام ، وقد مات عن عمر ٩١ عاما من خلال تشريح جثمانه.

وما نعرفه ان رمسيس الثاني قد تولي الحكم في عمر ٢٤ عام ، ويمكن حساب عمره وقت ولادة موسي عليه السلام اذا عرفنا ان موسي عليه السلام قد بعث بعد الاربعين أي كان عمر موسي عليه السلام وقت الخروج وانشقاق البحر حوالي ٤٥ عاما ، وكان عمر رمسيس عند الخروج – وقت وفاته حسب القرآن – ٩٠ عاما أي يكون عمره وقت ولادة موسي عليه السلام حوالي ٤٠ سنة، وهو ما يجعل معاصرته لكامل الأحداث وكونه فرعون التسخير والخروج معا هو امر مقبول منطقيا وتاريخيا، كما ان مكوثه في الحكم قبل ولادة موسي عليه السلام حوالي عشرون عاما كفاية لممارسة الاستعباد والتسخير مدة طويلة وتثبيت حكمه وقسوته وطغيانه قبل ان يولد المخلص ، وهو الامر الذي يفترض مضي مدة من المعاناة قبل ولادة موسي عليه السلام.

٢) الادعاء الأكثر تداولا هو الخاص بالملك (مرنبتاح) ابن رمسيس الثاني وبالتحديد بسبب اللوح الشهير الذي ظهر فيه إشارة واضحة لإسرائيل ومحاربة الملك لهم ، والذي يرجع تاريخه الي ١٢٠٨ ق.م واللوح يسجل تحديدا حملة عسكرية في ليبيا ثم فقرة قصيرة عن كنعان ، وقد ورد اسم إسرائيل مرة واحدة في اخر اللوح ويقول نصا (إسرائيل خربت وليس لها بذر) والحقيقة ان مجرد ذكر إسرائيل صراحة لا يعني قطعا ان مرنبتاح هو نفسه فرعون، ويجب الإشارة الي ان مرنبتاح –كونه ابن رمسيس الثاني – يعني انه بالقطع قد عاصر معظم احداث القصة – او علي الأقل انه عاصر التحدي والحرب والصراع بين الدولة وبين موسي عليه السلام وقومه ، من ناحية ، ومن ناحية اخري فانه قد شهد كيف تم هزيمة والده واذلاله من موسي عليه السلام والهه ، ولا يمكن تصور ابدا ان يقوم بنقش هذه الهزيمة المخزية امام شعبه وهو الملك القادم والذي يستمد قوته من الوهية وقوة ابيه

، وكعادة النظم المستبدة حتي اليوم ، يتم إخفاء الحقيقة عن الشعوب وتضليلهم وتحويل الهزيمة الي نصر وتزوير الأحداث ، فبدلا من السكوت وانتظار انتشار خبر موت والده بهذه الطريقة المهينة وهو الذي عاش امام الشعب تسعين عاما كاله مخلد ، وقد تم وصف موسي عليه السلام ومن معه مرارا بانهم مخربون وكفرة بالآلهة ، لذلك سيكتب التاريخ مجددا بشكل يليق به –كاله قادم – وبوالده الذي صعد الي جوار الآلهة وعن حملة مرنبتاح العسكرية ضد أعداء الدولة وهزيمتهم هزيمة نكراء .

اذا اللوح لا يثبت الا القصة التي أراد كاتبها ان تثبت وليس ما حدث فعلا ، ونرجح ان يكون اللوح قد كتب بعد وفاة رمسيس الثاني بفترة .

والخلاصة اذا ان فرعون موسي عليه السلام واحد فقط هو رمسيس الثاني ، استنادا علي تطبيق الصفات التي ذكرناها منذ قليل والتي نفهمها من القرآن ، والتي تنطبق بشكل صحيح علي هذا الملك بالتحديد .

٣) بقي ان نشير الي اشهر العلماء والباحثين الذين اكدوا علي ان رمسيس الثاني يطابق لشخصية الملك المعاصر لموسي عليه السلام ..

- (كيهيت كيتشن) من اشهر علماء المصريات البريطانيين ويؤيد رمسيس الثاني كونه فرعون الخروج بناء علي نقش في طيبة.

-(أيمانويل توبياس) أيضا اقترح رمسيس الثاني لكنه يختلف في التواريخ مع الاخرين

-(جيمس هاريسون) باحث متخصص في تاريخ الشرق الأدني القديم ويري ان فترة رمسيس الثاني تتوافق مع فترة نشاط بني إسرائيل في مصر.

٤)أخيرا نذكر ان التوراة نصت صراحة علي اسم مدينة (رعمسيس) في سفر الخروج ١:١١ والتي يعتقد بشدة انها بنيت في عهد رمسيس الثاني .



موسي عليه السلام – الجغرافيا والتاريخ

في هذا البحث سنقسم مراحل حياة موسي عليه السلام عليه السلام الي عدة اقسام ، حسب سياق الأحداث التاريخية والدينية أولا، ووفقا للترتيب الجغرافي ثانيا ، وسنتوقف عند عدة نقاط لتحديد الأماكن بدقة قدر الإمكان .

□من الميلاد الي قصر فرعون

١)ان تحديد تاريخ ولادة موسي عليه السلام اصبح امرا يسيرا بعد تحديد الفرعون وتحديد زمن الخروج الذي اقترن – لحسن الحظ – بتاريخ وفاة رمسيس الثاني المعروف لدينا بشكل مؤكد ،

فاذا كان رمسيس قد مات بعد بعثة موسي عليه السلام عليه السلام بعدة سنوات استغرقت احداث الآيات التسع التي حدثت في مصر والتي من الجائز ان تستغرق حوالي خمس سنوات، يكون عمر موسي عليه السلام وقت الخروج حوالي خمسين عاما علي اقصي تقدير ، أي ان موسي عليه السلام قد ولد قبل الخروج بخمسين عاما أي اننا سنحذف خمسين عاما من تاريخ وفاة رمسيس الثاني ١٢١٣ ق.م ليكون ميلاد موسي عليه السلام حول عام ١٢٦٠ ق.م بهامش خطأ عدة سنوات قبل او بعد هذا التاريخ.

٢) ان التوراة تذكر قصة انتشار نبوءة بين الناس قبل مولد موسي عليه السلام بعدة أعوام تفيد بانه سيولد ولد من بني إسرائيل سيكون هلاك ملك فرعون علي يده، ولذلك سيقرر ان يقتل كل ذكور المواليد من بني إسرائيل ، ثم عدل عن قراره ال قتل الذكور عاما وتركهم عاما حتي يستطيع الاستفادة من العمالة المسخرة دون ان يفني شعب إسرائيل بعد سنوات ، وقد ولد موسي عليه السلام في واحدة من سنوات القتل، ونقول ان الجزء الأول من القصة – النبوءة – لا يمكن تأكيده او نفيه ولا يوجد أي دليل عليه تاريخي او ديني – من القرآن – ولكن مسألة قتل الذكور مؤكدة بنصوص القرآن ولذلك لن نتطرق الي تلك المألة وسنتركها الي الدليل النصي فقط.

٣)تبدأ قصة موسي عليه السلام حين ولد في عام قتل لذكور ، وقد خافت عليه امه من القتل فتفتق ذهنها عن فكرة وضعه في صندوق خشبي مغلق والقاءه في اليم ليسير به في رعاية الله لان ذلك سيمنحه علي الأقل فرصة لو صغيرة للنجاة ، عما لو احتفظت به لان الحراس سيطرقون بابها في أي لحظة ويقتلوه.

وقبل ان نستعرض مفردات تلك الحادثة ،اردت ان اتطرق أولا الي ادعاء من البعض بان هذه القصة مستوحاه ومنقولة في التوراة ومن بعدها القرآن، من قصص اخري حدثت في الماضي اشهرها قصة (سرجون الاكادي) التي رويت منذ قرون من ولادة موسي عليه السلام وبنفس التفاصيل بالضبط..

- قصة (سيتوس) في مصر القديمة : اسطورة عن وضع طفل في صندوق خشبي للحماية من خطر وهي قصة رمزية للعبرة.
- اسطورة (رومولوس) الشهير وهو مؤسس روما ، تقول انه بعد ولادة التوأم القي الطفلان في النهر خوفا من قتلهما من قبل عمهما.
- (كريشنا) في الملاحم الهندية: الملك الشرير أراد قتل الأطفال المولودين في فترة معينة فتم انقاذ كريشنا بوضعه في صندوق والقاءه بالبحر
- (سرجون) : الأكثر مطابقة لقصة موسي عليه السلام وقد حدثت قبل موسي عليه السلام بنحو الف سنة فالملك أراد قتل الذكور المولودين فقامت امه بوضعه في سلة من القصب والقاره في النهر ليصل الي رجل بسيط والذي رباه حتي صار ملكا

اما القول بان الروايات الدينية نقلت من القصص والاساطير القديمة فهو وارد، ولكنه ليس التفسير الوحيد لتطابق القصة، فمن الجائز أيضا ان تكون القصص المشهورة والمنتشرة (كفلكلور) شعبي – وسواء كان بعضها حدث بالفعل ام مجرد حكايات رمزية – فمن المعقول ان ام موسي عليه السلام عرفت تلك القصص جيدا من الطفولة ولذلك استوحت هذا الحل منها ،كام يائسة متيقنة من دخول احد الحراس في أي لحظة ليأخذوا طفلها ويقتلوه ، فهي محاولة يائسة من امرأه مؤمنة بدين توحيدي ربما لأيمانها بالله وربما كان تصرف وليد اللحظة او كان بتفكير وتدبير مسبق اثناء الحمل، الا ان احتمال استيحاءها الفكرة من القصص والاساطير لازال قائما لا يمكن نفيه ، اما بالنسبة لنا فورود القصة في القرآن يعتبر دليل دامغ علي حدوثها .

القاء موسي عليه السلام في اليم:

نأخذ القصة من القرآن وردت اكثر من مرة :

قوله تعالي: أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي - ـه ٣٩

قوله تعالي: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ – القصص ٧

أولا: اليم في اللغة: هو الماء الكثير العميق المتحرك ويطلق علي البحر والنهر العظيم وكل ماء واسع لا يدرك قعره – مقاييس اللغة

وفي استعمال العرب، يقال للبحر والنهر العظيم – أي ليس مجرد فرع من النهر، فيقال لدجلة والفرات يم ولا يقال للجداول والترع .

ثانيا: ما ذا يطابقه في مصر؟ بالط

بع نهرا لنيل يطابق اليم لغة ، ولكن هل يطابقه فرع من فروع النيل، حيث كانت موجودة ومتعددة في مصر القديمة ..

والحقيقة ان اللفظ يمكن ان يتسع ليشمل فروع النهر اذا كانت واسعة وعميقة ،

والحقيقة ان القرآن قد استخدم الكلمات الثلاثة (نهر، بحر ، يم) ما يعني ان هناك فرق واضح في الاستخدام والدلالة،

فكلمة (نهر) تدل علي الشق و الاتساع والجريان المستمر وسواء كان عذبا او مالحا ، وفي تاج العروس : النهر هو الماء الجاري في مجراه المعروف صغيرا او كبيرا، اما (اليم) فيدل الجزر (ي م م) علي القصد والتوجه والماء المتدفق الكثير ويفترض الماء الكثير العميق وليس الصغير فهو وصف وليس اسم ، وزلا يشترط مجري ثابت او واضح.

وعلي ذلك يمكن اطلاق (اليم) علي البحر اذا كان عميقا وواسعا واذا عظم ماؤه واشتد اضطرابه – الازهري ، تاج العروس

ثالثا: اذا ما المكان المطابق لليم في هذا الموضع من القصة..

ما نعرفه من النص القرآني ان اليم الذي وضع فيه موسي عليه السلام اخذه في مساره الي قصر رمسيس الثاني ، وهذا دليل مفيد حيث اننا الان نبحث عن مجري مائي بني عليه – يطل عليه – قصر من قصور رمسيس الثاني، ولنبحث في القصور المعروفة له..

كما اتفقنا فان المدينة التي كان يعيش فيها بني إسرائيل ، حسب التوراة وما يوافق الحقائق التاريخية هي غالبا (بيرعمسيس) في شمال الدلتا، لأنها العاصمة الجديدة التي أسسها رمسيس الثاني ومن المعقول انه كان يحتفظ بالعمالة المسخرة قرب المدينة او داخلها لحين الانتهاء من كافة المنشآت والمعابد والتماثيل فيها ، وبما ان رمسيس وقت ولادة موسي عليه السلام كان قد قضي علي الأقل عشرين عاما في الحكم فيكون من المعقول انه قد انتهي

من بناء قصره واستقر فيه في تلك العاصمة، وتوجد عدة قصور له ليس من بينها أي قصر يطل علي البحر مما يرجح كون (اليم) مقصود به النيل او احد فروعه حينذاك،

-قصر رمسيس الثاني: عرف باسم قصر (بي رمسيس) وكان مركز الحكم في الدلتا ويقع بالقرب من فرع (بلس) من النيل ، ويحتوي علي مساكن ملكية ومجمعات ادارية وخزائن قبل الانتقال الي العاصمة.

-القصر الأساسي في بي رمسيس (قصر قنتير) شمال شرق الدلتا قرب تل الضبعة وهذا الامر محسوم اثريا منذ حفريات (مانفريد بيتاك) ثم (ادغار يوشلر) وغيرهم.

وهذا القصر تحديدا كان مجمعا ضخما من المباني وبعض أجزاء القصر كانت ملاصقة للمياه او متصلة بقنوات صناعية . وكان القصر يقع علي فرع (بيلوزي) ومعه قنوات مائية داخلية لأنه كان يستخدم لنقل البضائع الي القصر مباشرة ، وموقعه اليوم (قنتير) شمال شرق الدلتا .

رابعا: هل القصة منطقية:

المنطقة التي يسكنها بني إسرائيل قريبة من تل الضبعة وهي تكاد تكون لصيقة بالعاصمة الجديدة ولذلك لا يستبعد ان تكون قريبة من فرع النيل مما يدعم إمكانية وضع الصندوق في الماء لينتقل باتجاه الجريان والذي يقع علي طريقه قصر رمسيس المذكور ويمكن التقاطه بسهولة من امام القصر.

خامسا: أقذفيه في اليم: القذف هو الرمي غير المتحكم فيه والترك والاعتماد علي ما بعد الرمي ، والقصد هنا هو الاعتماد علي حركة الرياح ومجري النهر بدون معرفة النتيجة او المسار الذي سيمشي فيه الصندوق.

٤) من السياق القرآني نفهم ان ام موسي عليه السلام قد امرت اخته ان تتابع حركة الصندوق علي طول المسر لتري أين سيستقر وما سيكون مصيره ففعلت، حتي تأكدت ان من التقطه من قصر الملك ، وهو امر مروع بالنسبة لها حيث كانت قد وضعته في النهر باءة لتنقذه من الملك تحديدا ولكن الله كان له تدبير اخر.

ان القرآن يخبرنا ان امرأه فرعون هي التي التقطت الصندوق من النهر، ولكن أي من زوجاته المعروفات..

أولا: زوجات رمسيس الثاني كن كثيرات منهن الرئيسيات والفرعيات، واذا كنا سنفترض ان التي التقطت موسي عليه السلام قد ترجته ليبقي عليه ويربي معهم في القصر فلابد ان تكون واحدة من القريبات الي قلبه لتجعله يتنازل عن ذبحه ، لذلك نرجح ان تكون واحدة من النساء الرئيسيات لديه وهي احدي ثلاث:

(نفرتاري): الزوجة الرئيسية والمعشوقة لرمسيس الثاني وهي التي بني من اجلها مقبرة وكتب نقوشا وصورا تمجدها وكتب فيها قصائد (هي التي من اجلها تشرق الشمس)، ولكنها قد انجبت له عدة أطفال بالفعل ولا يعتقد انها ستحتاج الي طفل جديد لا يعرف اصله.

-(أيزيس نفرت) والدة مرنبتاح ولي العهد وانجبت غيره من الأطفال كثيرا وكلهم ماتوا وبقي مرنبتاح

-(باتا نفرت) ليس هناك دلائل انها ولدت له أي اولاد

اذا لا يمكننا ان نؤكد اسم امرأه فرعون التي التقطت موسي عليه السلام علي وجه اليقين ولكن يمكننا فقط ان نرجح ان تكون غير معروفة بالاسم وغالبا لم تدفن في مقبرة كبيرة ونرجح ان احتفاظها بموسي عليه السلام كان لعدة اسباب، اولا لأنها كانت قريبة الي قلب رمسيس ولا يتصور انه سيرفض طلبه بالإبقاء علي اطفل ، وثانيا لأنها كانت تلد كثيرا ولكن الذكور لم يكونوا يعيشون بل يموتون في سن مبكرة وثالثا، ويدعم كونها لم تنجب الكثير من الذين ماتوا ومن المرجح انها التقطته بعد وفاه احد أولادها في فترة قبل ان تنجب غيره أي كانت يائسة من انجاب الذكور مما يجعلها موضع تمر من زوجات فرعون الاخرين.

اما عن عدم دفنها في مقبرة ملكية لائقة فهو مجرد افتراض بسبب ما نعرفه من القرآن بانها من الذين امنوا بموسي عليه السلام ودينه وهو الامر الذي يستتبع غضب فرعون ، وحتي ابنه من بعده اذا افترضنا انها ماتت بعد فرعون وربما انها قد قتلت او اعدمت في أي مرحلة . ولذلك لا يجب ان نجد لها ذكر .

موسي عليه السلام الاسم والوصف

أولا: ان اسم (موسي عليه السلام) عبري الأصل وينطق بقلب السين شين، وهو غالبا مأخوذ من الفعل (مشاش) ويعني الاخذ او الاستخراج، ويعني المستخلص ،

وفي المصرية القديمة ، يقترح بعض الباحثين ان تكون الاسم مرتبط بكلمة (موس) التي تعني مولود من /ابن، او مولود من شخص ما غير معروف اذا اطلقت (موس) بدون اقترانها باسم الوالد كما هو العادة. واذا كان هذا صحيحا يكون اسم موسي عليه السلام (او موس) قد اطلق عليه من المصريين عند التقاطه من زوجة الملك أي هو اسمه المصري، ثم سمي به بعد ذلك بالترجمة العبرية (موشي).

ثانيا: لا يوجد وصف اكيد لسيدنا موسي عليه السلام في النصوص التاريخية او الدينية ، الا احاديث قليلة ولذلك فان ما نعرفه علي وجه التأكيد هو القليل، منه انه كان لديه مشكلة في الكلام ، بدليل قوله تعالي (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) ولنري ما هو صحيح من الاخبار عن صفات موسي عليه السلام:

١)حديث النبي صلي الله عليه وسلم :كان موسي عليه السلام رجلا حييا ستيرا لا يري من جلده شيء استحياء منه – البخاري برقم ٣٤٠٤ كتاب الأنبياء ومتفق علي صحته من جهة البخاري،

ويدل علي صفات شخصية موسي عليه السلام من الحياء والادب وسنري ذلك في قصته مع الفتاتين في مدين.

٢) حديث : رأيت موسي عليه السلام عليه السلام فاذ هو رجل ادم طويل جعد– صحيح مسلم ١٦٧ كتاب الأيمان – حديث الاسراء والمعراج.

ويدل علي طول الجسد ، وادم أي مائل للسمرة - لسان العرب

والجعد هو الشعر الذي فيه تقبض غير المسترسل الناعم المفرود – لسان العرب

٣)حديث: رأيت موسي عليه السلام عليه السلام فاذا هو رجل ادم جعد كأنه من رجال شنوءة – البخاري ، كتاب احاديث الأنبياء باب ذكر موسي عليه السلام صحيح متفق عليه ورواه مسلم.

ورجال شنوءة قبيلة عربية مشهورة قديما كانوا معروفين ، بالسمرة والقوة والشعر الجعد والبنية الصلبة والطول البين (يصل الي ١٨٠ سم).

٤) قوله تعالي (واحلل عقدة من لساني):

و عقدة اللسان في لغة العرب هي ثقل او بطء او صعوبة في البيان –لسان العرب.

والمقصود هو عدم انسياب في الكلام ليس عضوي بسبب خلل في اللسان (عيب خلقي او تشوه) ويختلف عن اللثغة كعيب خلقي محدد مثل ابدال حرف باخر وهي صفة متلازمة غالبا، اما العقدة فهي عدم انسياب في انطلاق الكلام موصولا ومرتبا ، في مواقف معينة كالمواقف الرسمية او الرهبة وقد يختفي في الكلام العادي، أي لا يحسن ترتيب الكلام وهو امر نفسي لا عضوي ولذلك ننفي قصة التوراتية التي تقول ان موسي عليه السلام التقط جمرة فوضعها في فمه فأحرقت لسانه لان الحرق عيب عضوي لا يطابق الوصف القرآني (عقدة) والتي

تنسجم مع إمكانية الشفاء السريع بدعوة موسي عليه السلام لله (واحلل عقدة من لساني) فالعيب النفسي يمكن إصلاحه في لحظة انما العيب العضوي كالحرق لا يزول.

ثالثا: شكل الوجه: لا يوجد أي دليل علي الملامح ولكن يمكن افتراض الهيئة ، اذا كان قد تربي في قصر الملك فحتما سيكون مظهره مماثل لهيئة الابناء والحاشية واهل القصر وغالبا سيكون حليق اللحية والشارب او خفيف جدا في شبابه ، وذلك مؤكد حتي يخرج من مصر فمن المرجح حينئذ ان يبدأ في اطلاق لحيته ، اما الشعر فحليق تماما او قصير ..

□موسي عليه السلام من القصر الي مدين

هذه الأحداث مصدرها الوحيد اما القرآن واما التوراة، ولكننا سنوجز فقط ما جاء بالقرآن ..

١) قوله تعالي: فلما بلغ اشده واستوي اتيناه حكما وعلما – القصص

أولا: الأشد في اللغة يعني القوة والصلابة والتمام فيقال بلغ الغلام اشده أي اكتملت قوته الجسدية والعقلية ، وفي استعمال العرب يعني طور النشأة وبداية الرجولة ، ويقدره البعض بتجاوز الثلاثين بثلاث سنوات علي الأكثر وهو سن الرشد والتمام .

ثانيا: استوي من الاعتدال والتمام والاستقامة ويقال استوي الشيء أي تم وكمل ولم يبق فيه نقص ، ويعني اكتمال العقل ونضجه .

والخلاصة ان المقصود هو ان السن المقصود ما بين الثلاثين والأربعين وسنأخذ المتوسط وهو خمسة وثلاثين عاما ، وهو يتوافق مع قضاءه عشرة سنوات في مدين قبل ان يبلغ سن النبوة وهو الخامسة والأربعين فور خروجه من مدين .

ثالثا: الحكم: اصله المنع والضبط والاحكام ويستعمل أيضا في الدلالة علي العقل الراجح وحسن التمييز والاصابة في الرأي والقدرة علي الفصل بين الأمور ،

رابعا: العلم هو ادراك الشئ علي ما هو عليه ويشمل المعرفة والفهم والادراك ويكون علم شرع او علم واقع او علم تجربة ، والمفهوم من الآية هو رجاحة عقله وذكاءه وعلمه الذي تعلمه في قصر فرعون كما رأينا وهو علما يختلف عما يتعلمه عامة الناس وقد بينا جوانبه .

٢) مسألة قتله للمصري، وناخذها من القرآن بعيدا عن تفاصيل كثيرة ترد في التوراة لا يمكن التأكد من صحتها..

قوله تعالي: ودخل المدينة علي حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلان يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي هو عدو لهما فوكزه موسي عليه السلام فقتله - القصص

أولا: الغفلة في اللغة ، ذهاب الانتباه عن الشئ مع امكان الانتباه فليست جهلا ، وقولنا علي حين غفلة أي في وقت كان الناس فيه غير منتبهين او غير متوقعين ، والاقرب لقصتنا ان يكون الناس منشغلين بمناسبة ما كاحتفال او عيد وعلي ذلك يتكون المدينة شبه فارغة .

ثانيا: المدينة : لا تعني مدينة اخري غير التي فيها موسي عليه السلام انما يجب ان نعرف طبيعة العاصمة (بي رمسيس) فهناك جزء خاص بالقصور الملكية وتوابعها ومساكن كبار الدولة (الحي الملكي) وهناك (حي اداري) به الدواوين والمخازن والورش العسكرية ، والحي العسكري ، والاحياء السكنية لكل من المصريين والأجانب حي خاص بهم ، وهناك (الأسواق) وتحتوي الأسواق والطرق الرئيسية ومنطق العبور والموانئ والقنوات وتكون اكثر ازدحاما واختلاطا وهذه هي المقصودة بقوله (دخل المدينة) .

ثالثا: العداء بين المصريين وبني إسرائيل : في عصر الرعامسة بالتحديد كان التوتر بينهما موجود بسبب الحروب المستمرة بين مصر والليبيين والحيثيين وشعوب الشام ، فبني إسرائيل يعتبرون من نفس جنسهم الاسيوي ويعاملون علي انهم أعداء مقيمين في مصر ولكن الدولة أبقت عليهم لاداء اعمال بالسخرة والا لتخلصت منهم بالنفي او بالقتل، والشعب المصر كان ينظر اليهم بدونية وترقب وشك في ان بعضهم جواسيس وعملاء للاعداء – لا يستبعد ذلك فقد عهدناهم هكذا علي مر العصور – وهذا يولد احتكاك بينهم وبين العامة من المصريين،

ومن ناحية اخري فهم في اعين الحرس والدولة دائما في موضع شك وقد تلفق لهم التهم طوال الوقت ويحاسبون علي اتفه الأخطاء كما انه متصور جدا ان يعاملهم الحراس بأسلوب قاسي –كما كان يفعل النازيين مع اليهود – وهذا يخلق لنا احتمالات كثيرة للصراع بين المصري والإسرائيلي الذي تدخل موسي عليه السلام فيه.

رابعا: قد عرفنا ان موسي عليه السلام في مرحلة معينة علم انه من بني إسرائيل ، وربما عرف الامر وانتشر بعد ذلك واصبح غير مرغوب فيه داخل القصر ومستهدف من عدة جهات في المحيط الملكي الا ان فرعون نفسه لم يصدر امرا بابعاده ربما بسبب زوجته التي اعتبرته ابنا لها، ولهذا ظل موسي عليه السلام في منصبه الإداري كابن متبني للملك ولكن في وسط كره شديد ومؤامرات تحاك من رجال القصر وربما باقي زوجات الملك. وخاصة ، وفق حساباتنا لتاريخ ميلاد موسي عليه السلام يكون (مرنبتاح) شابا بالغا وقت خروج موسي عليه السلام هاربا من مصر.

اذا نرجح ان يكون هناك رجل من بني إسرائيل كان يقاوم او يقاتل احد الحراس المصريين ، فلما رأي موسي عليه السلام قادما وهو يعلم ان له قدرا من السلطة استغاث به لينقذه ، ولما رفض الحارس الانصياع لكلام موسي عليه السلام ربما دبت بينهما قتال فوكزه موسي عليه السلام فقتله.

خامسا: الوكز لغة هو الضرب بجمع الكف او بطرف اليد ويكون سريعا ولكن غير معد للقتل أي اقرب للدفع او النخس ، او للمنع والابتعاد ، والقصد ان موسي عليه السلام دفع الرجل بقبضة يده بقوة ، وبالطبع ليس بنيه القتل ، والآية تبين ان موسي عليه السلام قتل الرجل بوكزه فهناك اذا فرضان اولهما انه دفعه دفعة قوية فسقط علي شيء فقتل ، او ان موسي عليه السلام ضربه في مكان ما في جسمه سبب القتل مثل الصدر او الرقبة خاصة اذا كان موسي عليه السلام قوي البنية ، ونرجح الاحتمال لأول لمنطقيته بعيدا عن مبالغات التوراة.

سادسا: القرآن يبين لنا أيضا ان موسي عليه السلام اصبح خائفا بعد ذلك يترقب، لأنه يعلم ان الخبر سيصل الي القصر خاصة انه ربما شهده بعض من الناس ولذلك فانه يترقب رد فعل القصر هل سيحاكم ام سيعفو الملك عنه ، وهل سيستغل اعداءه في القصر هذا الحادث ..

سابعا: قوله تعالي: واصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ، قال له موسي عليه السلام انك لغوي مبين، فلما أراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال اتريد ان تكون جبارا في الأرض وما تريد ان تكون من المصلحين – القصص

يستصرخ: أي يصرخ طالبا المساعدة والنصرة وهو دليل علي ان الشخص لم يكن في صراع مع مصري من العامة بل غالبا هو مطلوب للقبض عليه خاصة بعد اشتراكه في قتل المصري ونرجح ان القتال الثاني معه لهذا السبب ، فاراد موسي عليه السلام ان ينقذه من الحراس الذين يحاولون القبض عليه بعد ان قال له (انك لغوي

مبين) ظن هذا الغبي ان موسي عليه السلام يريد ان يضربه معهم – لعلمه انه من القصر – فاراد ان يورطه معه ففضح امره امام الحرس واعترف بان موسي عليه السلام قتل رجلا بالأمس .

هنا أصبحت التهمة ثابتة علي موسي عليه السلام بقتل المصري ، وهو امر خطير وقتئذ فمن اللوحات القانونية والدساتير التي وصلتنا من هذا العصر نفهم انه كان هناك تمييز في العقوبات بين المصري والاجنبي ، فاذا كان القاتل اجنبيا والمقتول مصري فغالبا يحكم بالاعدام او السجن الطويل . ونرجح ان موسي عليه السلام لم يرجع للقصر بعدها وغالبا كان يختبئ في مساكن بني إسرائيل او بيت اهله ، بينما تحاك ضده المؤامرات من رجال القصر الذين وجدوا فرصتهم الذهبية للتخلص منه وإقناع الملك بإصدار حكم ضده ، ولا نستبعد ان هذا حدث بالفعل.

ثامنا: قوله تعالي : وجاء من اقصي المدينة رجل يسعي قال ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج منها – القصص

غالبا هو احد رجال القصر المتعاطفين مع موسي عليه السلام او علي صلة قريبة منه وربما احد معلميه الذين ربوه منذ الصغر، ولابد انه قريب من دائرة رجال السلطة ليطلع علي المؤامرة ، وقد تيقن ان قرار الملك بالعقوبة قد اوشك علي الصدور وانهم علي وشك اصدار الامر بالقبض عليه ولذلك نصحه بالخروج من مصر بسرعة قبل ان يصلوا اليه.

٣) خرج موسي عليه السلام من مصر متوجه الي مدين ، ويمكننا ان نستنتج ما فعله الجنود ببني إسرائيل بعد خروجه من مصر لإجبارهم علي الإفشاء بمكانه ظنا انه يختبئ بينهم.



من مدين الي النبوة

١)قوله تعالي: فلما توجه تلقاء مدين قال عسي ربي ان يهديني سواء السبيل، فلما ورد ماء مدين وجد عليه امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتي تصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقي لهما ثم تولي الي الظل قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير- القصص ٢٤

أولا: مدين ، كما وضحنا في قصة شعيب هي منطقة واسعة شمال غرب جزيرة العرب قرب خليج العقبة وتقع علي طرق التجارة بين الحجز والشام وسيناء ومصر ، وقد ورد ذكر شعوب تعيش في تلك المنطقة في النصوص المصرية في زن رمسيس باسم (الشاسو وهم قبائل بدوية حول خليج العقبة وما جاوره ويعتقد كثير من الباحثين ان مدين كانت جزء من عالم الشاسو .وفي النصوص العبرية يسمون (بمديان) ويحددون نفس المنطقة أيضا،

ولذلك فهي تتفق تماما مع المسار الجغرافي من مصر ومعقولية المسافة التي سيمشيها موسي عليه السلام من (بي رمسيس) الي مدين وهي حوالي ٢٥٠ كم تقريبا يمكن اجتيازها خلال ١٤ يوما تقريبا مع الاخذ في الاعتبار التضاريس والصحراء،

ثانيا: ماء مدين: لا يوجد دليل علي انه كان بئرا بالتحديد فلفظ الماء في اللغة واستعمال العرب قد يعني البئر او العين او حتي بحيرة ، ويقال الماء لأي موضع يسقي منه .

ثالثا: الرعاء ، جمع راعي وهو الشخص الذي يعتني بالماشية والابل والمفهوم ان الماء المقصود لسقي الماشية وعليه فانه لا يكون بئرا مشيد ، ويكون اما بئر محفور في الأرض واما عين او نبع طبيعي واما وادي موسمي – تجمع مياه الامطار

رابعا: يصدر، أي يفسح المجال وينتهي مما يفعله.

٢) اذا نستطيع تجميع أجزاء القصة كالتالي، ان موسي عليه السلام خرج من مصر عبر سيناء ليصل الي منطقة العقبة المعرفة تاريخيا باسم (مدين) وهي نفسها المنطقة الجغرافيا التي جرت فيها احداث قصة شعيب عليه السلام– ليست مدائن شعيب بالتحديد ولكن حولها - ونرجح انه كان يعرف منذ البداية الي أين يتجه وان كان غير واثق من الطريق الذي يسلكه (عسي ان يهديني ربي سواء السبيل) ، ومن المنطقي بعد هذا السفر اول ما يقصده في المدينة هو مصدر الماء (ورد ماء مدين) للشرب ، ومن المرجح ان يكون هناك مكان واحد للسقاية في مدين اذ انها منطقة صغيرة وليست مدينة مسورة ولذلك قال القرآن (ماء مدين) وهو يوحي بانه مكان واحد في مدين كلها ، وزكما قلنا لا يوجد ما يقطع بانه بئر بل يمكن ان يكون أيضا نبع او تجمع للمياه الامطار يشرب منه الغنم .

٣)وجد موسي عليه السلام فتأتين تريدان ان تسقي وتتزود بالماء ولكن هناك نظام عند البدو هو الدور والاولوية في سقيي الماء حسب القبائل او المكانة ، وكذلك الرجال يسقون قبل النساء ، ولذلك ساعدهما موسي عليه السلام كونه رجل قوي يمكنه المزاحمة والحصول علي الماء، فسقي لهما ثم تولي الي الظل لا يعرف ما مصيره في هذا البلد .

٤)بعد مدة عادت احدي الفتيات تخبره ان اباها يريد لقاءه، فذهب معها ولقي هذا الشيخ ، وفي هذا المقام وجدنا اختلاقات في كتب التراث وانتشرت افتراضات لا يوجد لها أساس ولا سند اشهرها ان هذا الشيخ

اسمه شعيب ، وعليه فقد ذهب اخرون الي افتراضات غير معقولة بقول انه هو نفسه النبي شعيب وقد قاموا بمحو اكثر من الف سنة بينهما .

والخلاصة انه رجل من اهل مدين رأي ان يستفيد من وضع موسي عليه السلام بعد ان حكا له قصته في مصر ، فاقترح عليه ان يعمل لديه اذ انه شيخ كبير وكما رأي ان بناته لا يقدرون علي العمل في وسط الرجال ، ولكي يضمن ولاءه وبقاؤه اقترح ان يزوجه من احدي بناته فيكون وجوده بينهم وجودا شرعيا يحفظ سمعتهم بين الناس. ومن الرواية القرآنية ، انهم اتفقا ان يكون مهر ابنته هو ان يعمل موسي عليه السلام لديه ثمان حجج ثم يكون حرا بعد ذلك يبقي في مدين او يرحل.

ومن المهم تحديد المدة التي قضاها موسي عليه السلام في مدين لأنها تحدد لنا تقريبا وقت خروجه وبعثته وما صاحبها من احداث.

الحجة في اللغة واستعمال العرب هي السنة القمرية الكاملة ، ومن قوله تعالي (فلما اتم موسي عليه السلام الاجل) وهو باتفاق العلماء الاجل الابعد – أي عشر حجج – فيكون موسي عليه السلام قد مكث في مدين عشر سنوات او اقل قليلا ،

اذا كان عمر موسي عليه السلام كما قلنا وقت خروجه من مصر في الخامسة والثلاثين ، أي حوالي ١٢٢٥ ق.م ، إضافة عشر سنوات قضاها في مدين يكون عمره وقت عودته الي مصر حوالي ٤٥ سنة (سن النبوة) يكون ذلك ١٢١٥ ق.م تقريبا هو وقت بعثة النبي موسي عليه السلام عليه السلام.

□النبوة والعودة الي مصر

بعدما قضي موسي عليه السلام عشر سنوات وقد تزوج وانجب – علي الأرجح – قر العودة الي مصر املا ان يكون امر قتله للمصري قد اصبح منسيا ، وقد اخذ اهله ومتعه وغنمه وسار الي مصر وسنحاول تحديد الطريق المنطقي الذي سلكه ..

المرحلة الاولي : التحرك من مدين (علي الاغلب الساحل الشرقي لخليج العقبة شمال غرب السعودية الحالية منطقة تبوك /البدع وما حولها ، باتجاه الشمال الغربي ثم الغرب ، فالطريق الطبيعي هو التحرك بمحاذاة الجبال

الشرقية لخليج العقبة ثم العبور الي جنوب سيناء عند اضيق منطقة قريبة من رأس خليج العقبة (شرم الشيخ تقريبا)لان هذا الطريق الصحراوي القديم الذي كانت تسلكه القوافل بين الحجاز وسيناء.

المرحلة الثانية: دخول سيناء والتوجه غربا : بعد دخول جنوب سيناء يكون الاتجاه من الجنوب (منطقة الطور /دهب) صعودا شمالا ثم ميلا غربا عبر وسط سيناء الصحراوي ، مرورا بمناطق جبلية قريبة من طور سيناء ووادي (فيران) وهنا يرجح ان موسي عليه السلام كان يسلك مسارات بدوية قديمة تربط خليج العقبة بوادي النيل.

المرحلة الثالثة: الوصول الي دلتا النيل: بعد اجتياز وسط سيناء يتجه المسار شمالا غرب سيناء فيعبر ناحية الفرع (البيلوزي) القديم للنيل (قرب بورسعيد الحالية/تل الفرما).

المرحلة الأخيرة: الدخول الي بر رمسيس : من شرق الدلتا يسير جنوب غرب داخل الدلتا الشرقية الي العاصمة (تل قنتير في الشرقية اليوم) .

اذا هذا هو مسار رحلة موسي عليه السلام وبقي ان نحدد مكان الشجرة حيث تلقي البعثة بالنبوة .

قال تعالي : فلما قضي موسي عليه السلام الاجل و سار بأهله انس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني انست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جزوة من النار لعلكم تصطلون – القصص ٢٩

قال تعالي: فَلَمَّا أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ الْوَادِ الأَيمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَٰرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰ إِنِّيٓ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ- القصص ٣٠

قوله تعالي: اذ رأي نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد علي النار هدي ، فلما اتاها نودي ياموسي انا انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوي، وانا اخترتك فاستمع لما يوحي – طه

قوله تعالي: وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا لموسي الامر

١) من الآيات نفهم سياق الأحداث : فقد توقف موسي عليه السلام للراحة ، ولما حل الليل كان ظلاما دامسا فلا يستطيع الاستمرار في المشي بلا هدي (رؤية الطريق) ، ثم رأي نارا ظاهرة وقوية من بعيد فقال لأهله ان ينتظروا حتي يتفقد هذه النار املا ان يأخذ منها شعله (جزوة/قبس) يضئ بها المكان ويشعل بها حطبا للطبخ (لعلكم تصطلون) ،

ونتوقف هنا لنعرف مكان هذه الشجرة ،

أولا: القرآن حدد المنطقة باسم الوادي المقدس (طوي) ، والحقيقة ان الاسم (طوي) ليس موجودا في العربية وواضح انه اسم علم لا معني ، ويوجد في المصرية القديمة اسم (تاوا) وهو اسم لواد مقدس عندهم.

ثانيا: وصفه بالواد المقدس يفيد بان المكان كان مقدسا قبل هذه الحادثة اذ ان موسي عليه السلام كان يعرف ان هذ هو مكان مقدس قبل ذلك ، والحقيقة ان المصريين كان عندهم عدة امكن مقدسة دينيا في سيناء منها:

-وادي سرابيط الخادم :كان مركزا لعبادة الإلهة حتحور سيدة الفيروز ، ويقع في غرب وسط سيناء جنوب غرب جبل (التيه) وشمال غرب طور سيناء.

-وادي المغارة: منطقة مقدسة مرتبطة بالآلهة الحارسة لسيناء ، ابعد من الطور ولذلك مستبعد كونه الوادي (طوي).

-وادي (سبدو) حارس الحدود الشرقية، تيضا بعيد عن الطور

ثالثا: من وصف مكان الشجرة: قال تعالي (نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) لنحلل ذلك:

شاطئ الوادي : الشاطئ لغة هو الحافة او الجانب من الأرض الذي يلاصق الماء ، وشاطئ الوادي هو طرف الوادي الذي يلامس مجري الماء ، والمقصود هنا هو حافة قاع الوادي أي الحد الفاصل بين مجري الماء (ارض الوادي المنخفضة)، حيث كان معتاد ان نجد مجري ماء يتكون عند سقوط الامطار وليس مقصود نهر او بحيرة ويظل طرفه شاطئ حتي لو لم يكن هناك ماء فعلي في تلك اللحظة، وبين الأرض المرتفعة علي الجانبين، ومن ذلك نفهم ان الشجرة كانت علي حافة الوادي – طرفه الأيمن – بالنسبة لاتجاه موسي عليه السلام

جانب الغربي: لا نعرف تحديدا الأساس الذي سننظر غربه ، ولكن الأشهر في التفاسير انه جبل الطور ، أي (جانب الغربي) للطور، ولا تعارض حسب قول المفسرين بين (الغربي) و(الجانب الأيمن) فالغربي هو موقع موسي عليه السلام بالنسبة للطور واما الجانب الأيمن فهو مكان الشجرة من موسي عليه السلام – حيث يمكث هو وأهله.

الخلاصة اننا يمكن ان نرجح مكانا اقرب للوصف القرآني ويتسق مع مسار موسي عليه السلام من مدين الي مصر ، ليكون الجزء الغربي من (وادي الراحة) عند السفح الشمالي-الغربي لجبل الطور، أي حافة ال(شاطئ) وادي الراحة من جهته الغربية عند سفح جبل الطور ، وهذا الوادي مرتبط تاريخيا بالقداسة عند المصريين ، وله قاع واضح وحافتان واضحتان ، فلو افترضنا ان موسي عليه السلام قادم من ناحية خليج العقبة(مدين) فسيكون الجانب الأيمن من الوادي = حافته الغربية، (شاطئ الوادي الأيمن)، واذا كان موسي عليه السلام اقفا في نطاق وادي الراحة فالجهة التي يقع فيها الجبل والوادي ناحية الغرب منه تسمي (الجانب الغربي) للمشهد .وهنا تكون الشجرة علي الأيمن (الغربي للوادي) .

الشجرة: لا يمكن ان نحدد شجرة بعينها مجودة اليوم لنقول انها شجرة موسي عليه السلام، فالنباتات تتغير عبر آلاف السنين في المنطقة ،ولكن يمكننا ان نرجح من خلالا معرفة الأشجار التي تمو في تلك المنطقة وفقا للطبيعة والمناخ. وغالبا هي (طلح) او (اكاسيا).

النقطة التالية هي كيفية اشتعال الشجرة ، والحقيقة ان القرآن لم يخبرنا ان الشجرة احترقت والسياق يفيد انها كانت مشتعلة بدون احتراق ، وهو ما استقر عليه المفسرون ، ويمكن ذلك علميا في بعض أنواع الأشجار الموجودة في امكان (اكاسيا) و (طلح) والتي تحتوي علي (راتنج) نباتي قابل للاشتعال بسهولة ، وهو يشتعل عند حرارة منخفضة نسبيا ويعطي شعلة ظاهرية وبريق نار علي سطح الاغصان والفروع ولا ينتشر بسرعة الي الجزور الرطبة فلا تحترق الشجرة بالكامل، وهذه ظاهرة طبيعية وواقعية جدا لبعض أنواع الأشجار في الصحاري،

وهذا التفسير نطابق لقوله تعالي (وشجرة في طور سيناء تنبت بالدهن) فشجر (اكاسيا) مطابق لهذا الوصف .

٢) عندما وصل موسي عليه السلام الي الشجرة المشتعلة سمع صوتا يناديه ، ونرجح ان يكون الصوت بعيد ، غالبا بصدي صوت عالي لان هذه المنطقة تحديدا تدعم صدي الصوت كونه محاطة بجبال مثل جبل الطور اللصيق بالوادي الذي كان واقفا فيه ، ولا يذكر القرآن بالتحديد ما اذا كان هذا الصوت من الله مباشرة او صوت ملاك مرسل ، الا اننا نرجح ان يكون ملاك(جبريل) لتطابق القصة مع حادث بعثة النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، عندما سمع صوتا يكلمه ولا يري مصدره وقد كان (جبريل) ولذلك فعلي الأرجح كان المتحدث جبريل ، ورغم ان بعض الباحثين ذهب الي انه صوت الله تعالي الا اننا نري انه خلط بين هذه الواقعة وبين واقعة مخاطبة موسي عليه السلام لله علي جبل الطور بعد الخروج من مصر كما سيأتي بيانه..

٣) من القرآن نفهم ان هذا المتكلم (بلسان الله) اخبره باختياره ليكون نبيا من بني إسرائيل ، ثم اخبره بأول رسالة او مهمة له وهي ان يذهب الي الملك ويطلب منه ان يعطيه بني إسرائيل – أي يحررهم اذ كانوا عبيدا – ليخرج بهم من مصر ، وقبل ذلك سيخبره بانه نبي من عند الله وانه امره بذلك.

بداية فمن الطبيعي ان يكون موسي عليه السلام في اول الامر مرتعدا ، ا لم يكن معهودا ان يسمع الشخص صوتا عاليا مدويا يكلمه في صحراء قاحلة ليس فيها احد ، إضافة الي الشجرة المشتعلة بدون سبب او مصدر اشتعال، ولذلك فقد احتاج موسي عليه السلام لعة دقائق علي الأقل ليهدأ واخذ يستمع الي الصوت وهو غير متيقن من كونه لا يتخيل او يهذي بسبب التعب وبسبب الصحراء،

ولكنه كانسان ذكي قرر ان يتجاوب مع المتكلم ، وأول ما ذكره هو انهم لن يصدقوا نبوته فضلا عن كونه مطلوب عندهم لقتله المصري ، فجاءه الرد بان هناك دليل علي نبوته اليهم (وفي نفس الوقت دليل اله ليقتنع)، فطلب منه ان يلقي بعصاه (عصا خشبيه يستخدمها الرعاة لترويض الغنم والاتكاء عليها في رمال الصحراء واستخدامات

اخري) فالقاها موسي عليه السلام فاذا هي حية . وان يضع يده في جيبه ثم يخرجها فاذا هي بيضاء . ولنتوقف قليلا عند الآيتين..

أولا: قوله تعالي: قال القها يا موسي عليه السلام، فالقاها فاذا هي حية تسعي ، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولي – طه ٢١

قوله تعالي: والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولي مدبرا ولم يعقب – النمل ١٠

قوله تعالي: فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين – الأعراف ١٠٧

الثعبان: في اللغة هو اسم عام للافاعي كبيرة الحجم ، **اما الحية** ، أيضا اسم عام للافاعي وغالبا تستخدم للأفعى السامة جدا ، وفي الاستعمال يطلق الثعبان علي الأفعى الكبيرة الضخمة او الطويلة جدا ، اما الحية فتستخدم للصغيرة او المتوسطة ، والخلاصة ان كل ثعبان حية ، وليست كل حية ثعبان .

تسعي: أي تمشي بسرعة مع قصد او طلب وليس مجرد مشي عادي ، وقولنا (حية تسعي) أي تتحرك بنشاط ظاهر للدلالة علي انه لا يتوهم ذلك،

كانها جان: لان العرب كانت تطلق هذا اللفظ علي الحية السريعة .

والحقيقة ان هذه الآية صعبة التفسير بشكل علمي ، وهل كانت العصا تتحول بالفعل الي ثعبان بشكل حقيقي ، ولكن الأرجح هو ذلك ، لان موسي عليه السلام الذي نشأ في قصر الملك وعرف السحرة ورأي الاعيبهم في تحويل العصا الي حية ، فكيف له ان يخاف عند رؤية نفس الحيلة امامه. ولذلك نرجح انه قد رأي ان العصا تحولت الي ثعبان بالفعل وهو ما جعله يهرب،

ثانيا: قوله ولي مدبرا ولم يعقب: أي يجري هربا في الاتجاه الاخر (مدبرا) أي أعطاها ظهره وهرب ، ولم يعقب أي لم يلتفت الي الوراء من الخوف، وهو ما يثبت قوة الصدمة فبالاضافة الي صدمته وخوفه أصلا من سماع صوت يكلمه ولا يراه فقد صدم أيضا من رؤية عصاه تتحول الي ثعبان حقيقي وليس مثل خدع السحرة التي عهدها ، وهنا ناداه الصوت ان يقبل مرة اخري ولا يخاف لان هذه اية علي نبوته ، ثم امره ان يأخذها مرة اخري ، ولنا ان نتخيل انه كان يحاول ان يأخذها مقاوما خوفه ولم ياخذها مرة واحدة بل بعد تردد طويل ، فاخذها وامسك بها فاذا هي عصاه كما اعتادها .

ثالثا: قوله تعالي: واضمم يدك الي جناحك تخرج بيضاء من غير سوء – طه ٢٢

قوله تعالي : واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، واضمم اليك جناحك من الرهب – القصص ٢٢

اضمم : من الضم وتعني جمع الشئ وقربه الي شيء اخر والصقه به، واضمم يدك تعني قربها الي صدرك .

جناحك: وهو الجانب من الجسم ويقصد به جانب الصدر او الابط

اسلك يدك: السلك هو ادخال الشئ وتمريره من طريق او فتحة حتي سنفذ فيه .

الجيب: في استعمال العرب هو الفتحة في الثوب عند الصدر (فتحة القميص من اعلي)
والمعني هو ان يدخل يده وهي مضمومة في فتحة ثوبه حتي تصل الي الابط ، ثم يخرجها .
بيضاء من غير سوء: أي تشبه البرص ولكن بدون مرض، والقصد انها تتحول الي اللون الأبيض المضئ النقي .
ثم بعد ذلك يكرر الفعل فتخرج كما كانت بلونها الأصلي ،ولا يوجد تفسير علمي حتي الان للأيتين.
٤)هنا تأكد موسي عليه السلام انه لا يهزي وانه قد اختير من الله رب بني إسرائيل الذي عرفه ، وانه قد ارسل اليه ومطلوب منه تنفيذ مهمة تكاد تكون مستحيلة ولذلك بدأ يجمع أفكاره لإزالة الصعوبات التي امامه ، فاول صعوبة لديه هي انهم لن يصدقوا انه نبي خاصة وانه ذاهب الي ملك معبود لدي المصريين بالاكراه او بالأيمان ، كما انه واحد من اقوي ملوك مصر واكثرهم سطوة ، وقد اجيبت هذه المسألة بأيتين من الله كما رأينا،
والمشكلة الثانية هي في علته عند الكلام خصوصا وقت الرهبة او التوتر وهي كما اشرنا من قبل ان لسانه لا ينطلق بالكلام ويتقطع ، ولذلك طلب من الله ان يحلل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وهي ان يزيل الله الرهبة النفسية من قلبه لينطلق لسانه، ثم طلب من الله ان يرسل الي هارون اخوه ولنفصل تلك المسألة ..

أولا: من هو هارون:

الاسم ليس عربيا وغالبا هو تعريب للاسم الوارد بالتوراة (Aharon ولا يوجد له معني معروف وربما يعني في العبرية (المضيء) وأيا كان فان الاسم مشابه للاسم الحقيقي له.
وهارون هو اخ موسي عليه السلام بنص القرآن ، قوله تعالي (سنشد عضدك بأخيك) ولا توجد أي دلائل عن كونه اخ شقيق ام لا .
ثانيا: ان الإشارة الي النبي هارون قليلة جدا في التوراة او القرآن ، وكلها تصوره كنائب او مساعد لموسي عليه السلام ، ولا يعرف تحديدا زمن ولادته الا ان العلماء يعتقدون انه اكبر سنا من موسي عليه السلام ، ونرجح انه ولد قبله بزمن قصير اذ ان المعروف انه قد مات بعد موسي عليه السلام كما سنري .
ثالثا: لقد طلب موسي عليه السلام من الله ان يرسل الي هارون ، ولم يخبرنا القرآن كيفية بعثته والأكيد انه كان نبي وليس مجرد تابع للنبي وذلك في عدة مواضع من القرآن كقوله تعالي (سلام علي موسي عليه السلام وهارون) وقوله تعالي (وان ارسل الي هارون) .
٥) بعد تلك الحادثة اكمل موسي عليه السلام طريقه الي مصر مع اهله وقد اصبح همه اثقل مما كان فبالاضافة الي خوفه من الملك والملأ ووقد صدر ضده قرار بالعقاب علي القتل ، فان عليه ان يذهب بنفسه الي فرعون الامر الذي سيقبض عليه فور ظهوره ، ويطلب منه طلبا هو يعرف جيدا انه من المستحيل ان يستجيب له. فكيف يوافق الملك ان يتخلي عن هذا العدد الكبير من العمالة الرخيصة والمسخرة لمجرد ان موسي عليه السلام

طلب ذلك ، وكيف سيصدق انه نبي مرسل من اله غيره ، مما سيحدث اضطراب وسط الشعب الذي كان يعبد رمسيس بالفعل ويقدم القرابين لاسمه .

عندما وصل موسي عليه السلام غالبا دخل متسللا الي مساكن بني إسرائيل ليجد اخاه هارون في انتظاره وقد ارسل اليه قبل ذلك وامره الله بمساعدة موسي عليه السلام ، اذا هو يعرف المهمة ويعرف ان موسي عليه السلام قد ارسل اليه هو الاخر وبدأ في اعداد العدة للمواجهة مع الملك، استقبلوا موسي عليه السلام واخفوه عندهم ولا نعرف بالتحديد ما اذا كان موسي عليه السلام وهارون قد بادرا بالذهاب الي الملك من نفسهم ام ان الحرس قبضوا عليه بعدما وصل الخبر بدخول موسي عليه السلام، الا اننا نرجح الفرض الأول انهما ذهبا الي الملك اولا.



مشهد تخيلي لمنظر الشجرة المحترقة في طريق العودة

☐ المناظرة مع فرعون

لقد تكرر ذكر هذه الحادثة في القرآن عدة مرات مما يؤكد علي أهميتها ، ولذلك سنحاول رسم الصورة كاملة بالاستعانة بالآيات..

١) خرج موسي عليه السلام الي قصر الملك يؤازره اخاه هارون ويدعمه، وسط دهشة واستنكار الحراس والملأ من رجال القصر، ووصل الي مجلس الملك والذي بدأ بتذكيره بانه مطلوب بتهمة قتل وسؤاله عن سبب عودته وعدم خشيته من القبض عليه وتنفيذ العقوبة. وكذلك اختار فرعون ان يعيره بتربيته له منذ الصغر وتنشئته في قصره (الم نربك فينا وليدا).

قال موسي عليه السلام انه جاء بصفة مختلفة عن التي خرج بها، فقد ارسل اليه من الله وهو الان نبي مكلف بمهمة عليه تنفيذها.

٢) عقيدة المصريين في عصر الرعامسة: لابد من فهم الدين والعقيدة عند رمسيس الثاني تحديدا حتي نفهم كيفية تلقيه هذا الكلام :

فالرعامسة ورثوا نظاما متعدد الآلهة لكن داخل هذا التعدد كان الميل لإعلاء اله اعلي ينظر اليه بوصفه المصدر الاسمي لكل القوي الإلهية ، وهو في الغالب (امون-رع) ويصور بانه الخفي الذي لا يري ونفهم بقية الآلهة بوصفها تجليات لهذا الاله – لا كإلهة مستقلة ، أي توحيدا هرميا كما يسميه الباحثون ، وهو كما نري يبدو كانه الأصل الذي اقتبست منه عقيدة التثليث في المسيحية الحديثة، ويعتبر الفرعون كوسيط بين الله والناس فهو ابن الاله – ليس الها بذاته – ولكنه حلقة وصل وحيدة ضرورية بين البشر والآلهة ولذلك فهو يحكم لأنهم اختاروه لذلك .

اذا نستطيع ان نتصور كيف كان وقع ادعاء موسي عليه السلام بانه رسول من الله الي الناس كالتالي:

أولا: في مصر القديمة كان هناك متنبئون او رجال دين يزعمون انهم مرسلون من عند احد الآلهة كلمهم في حلم او رؤيا ليكلفهم بمهمة معينة وهو امر كان من الممكن تقبله لو كان موسي عليه السلام رجل من الحاشية او الكهنة الذين يعملون تحت يد الملك وتحت عباءته ، وهذا يمكن ان يفهمه عامة الناس. اما الملك فقد عرف منذ ولادته انه مختار من الاله لحطكم هذا الشعب وانه ابن الله ،. حتي لو كان يعلم انها كذبة فانه بعد سنوات طويلة من الحكم والتقديس وتقديم القرابين له فانه سيصدق ويعيش في هذا الوهم ،

ثانيا: بالنسبة للملك نفسه فان الامر مختلف لان عقله لن يفهم ادعاء موسي عليه السلام وهارون الا في صورة تحدي للشرعية ، أي ان الامر سياسي اكثر منه ديني، فمن الناحية الدينية لو صح هذا الادعاء فان ذلك معناه ان الآلهة اختارت شخصا غيره ليكون الوسيط ، ومعناه أيضا ان الاله الاعلي قد تجاوزه وخاطب موسي عليه السلام ، وكيف سيكون وقع ذلك علي العامة هل سيفهموا ان شرعية فرعون الدينية قد انتهت.

ومن الناحية السياسية فان ذلك معناه ان شخصا كاذبا مدعيا يريد ان يزيحه من علي عرش مصر الذي استمر فيه حتي الان اكثر من ستين عاما وهي مدة كفيلة ان تجعله يؤمن بانه لن يغادره ابدا. وكل ذلك يفهم من قوله تعالي (ما علمت لكم من اله غيري) .

ثم طلب منه موسي عليه السلام ان يسمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر معه واجلائهم ولكن فرعون رفض ، من ناحية بسبب التعالي والعناد ومن ناحية اخري لان ذلك خسارة كبيرة للعمالة المجانية المسخرة .

٣) رد موسي عليه السلام عليه بان لديه اثبات علي نبوته ثم اراه الأيتان ، العصا التي تحولت الي ثعبان واليد التي تتحول للابيض، وكان متوقعا رد فرعون علي ذلك بانه لا يعدو ان يكون سحر مثل الذي يقوم به السحرة في العروض في الأعياد والمناسبات ، ولكن موسي عليه السلام اصر عي ان ما راه حقيقة وطلب من الملك ان يرتب لتحدي علني امام الشعب بينه وبين امهر سحرته في نفس الحيلة ، العصا والثعبان.

نرجح ان موسي عليه السلام قد تم حجزه في حبس هو واخيه لعدة أيام قام فيها فرعون باستشارة حاشيته وكهنته في امر موسي عليه السلام وخطره خاصة وانه بالفعل قد نشر خبر نبوته بين بني إسرائيل والذين بالتأكيد اوصلوا الخبر للمصريين ، اذا الامر انتشر بالفعل واصبح الناس يتساءلون بامر النبي الجديد.

٤)في النهاية قرر الملك ان يقبل هذا التحدي ليسكت دعوته للابد ، امام الناس باحضار امهر السحرة لكشف خداع موسي عليه السلام ، وحتي هذه اللحظة نرجح ان فرعون لم يكن مؤمنا بصدق موسي عليه السلام وكان يعتبره كاذبا طامعا في السلطة او علي الأقل يحاول الخداع للتملص من جريمته القديمة.

تم الاعداد للعرض امام الناس في يوم الزينة وهو المسمى القرآني ولنفهم ماذا يطابق في أعياد المصريين..

اغلب الباحثين يرو ن ان يوم الزينة يقابل عيد (الاوبت) في زمن رمسيس الثاني ، وبعضهم يربطه بعيد (امون) في طيبة ، اما عيد الاوبت، فهو عيد ضخم للاله امون في طيبة وينقل فيه تمثال امون من معبد الكرنك الي معبد الأقصر في موكب مهيب ، ويتم تزيين الشوارع والنأي تحتشد والكهنة والجنود يشاركون فيه ، ونعتقد ان اختيار موسي عليه السلام لهذا اليوم لارتباطه بتقديس رمسيس كممثل الاله وستكون مناسبة قوية لهزيمته في اليوم المخصص له.

٥) قبل ان ننتقل الي حادثة تحدي السحرة لنفهم أولا كيف كانوا ينفذون الحيلة في هذا الوقت

فقد كانت تستخدم حبالا تصنع من الياف تشبه قشور الثعبان ومع الاهتزاز السريع او حركة معينة تبدو كانها تتحرك كالثعابين (خداع بصري) وهو مطابق لقوله تعالي (سحروا اعين الناس واسترهبوهم) ، وخاصة ان هذه العروض كانت تمارس علي منصات عالية وليس في وسط الحشود مما يسمح بمسافة بينهم وبين الناس وهو ما يصعب كشف الخدعة اذا مورست عن قرب، تماما كما يفعل السحرة في عروض الخدع السحرية وخفة اليد علي المسارح المجهزة اليوم (كريس انجل) ، (ديفيد كوبرفيلد) .

والحقيقة ان هذه الخدع موجودة اليوم علي لوحات مصرية قديمة تصور سحرة يمسكون ثعابين واشخاص يتعاملون مع الكوبرا وعصي سحرية عليها ثعابين محفورة مما يربط بينهما .

٦) في يوم الزينة ، اجتمع الناس كعادتهم لمشاهدة العروض السحرية وقد اختلي الملك بالسحرة قبل العرض يمنيهم بالهدايا والتقرب منه وارضاء الآلهة اذا ما هم اثبتوا كذب موسي عليه السلام وهارون امام الناس، ثم ادخل موسي عليه السلام الي المنصة يحمل عصاه ، وسألوه اذا كان سيبدأ هو ام يبدأوا ، فاشار اليهم ان يبدأوا ، فقاموا بعملهم كما احترفوه وبهروا الناس بحبال وعصي وخداع بصري عظيم..

وجاء دور موسي عليه السلام ليلقي عصاه وهو متوجس ، فالقي عصاه لتتحول الي ثعبان وقد استخدم القرآن لفظ (تلقف) ، وهي في اللغة تعني ، تلتهم او تخطف بسرعة ، بشكل يشبه السمكة التي تلقف الطعم، وهو ما يعني ان الثعبان الكبير كان يلتقط عصيهم وحبالهم ويعطينا دليل علي كبر حجم الثعبان ، وغالبا سيكون في حجم العصا علي الأقل والتي كانت – حسب العرف – بطول رجل أي اكثر من متر ونصف، وغالبا يكون طوله متر ونصف الي مترين حتي يرهب السحرة ويجعلهم يخروا ساجدين. ونرجح ان الثعبان كان اقرب لنوع (الكوبرا) المصرية وهي تصل الي ثلاثة امتار تقريبا وتنقض بسرعة علي الفريسة ولم يعهد استخدامها في العروض لصعوبة التحكم فيها ، كما انها واحدة من الأنواع القليلة التي تأكل الثعابين الصغيرة .

٦) عندما رأي السحرة هذا المشهد خروا ساجدين امام موسي عليه السلام لأنهم اكثر الناس فهما بالفرق بين السحر والخداع وبين المعجزة الحقيقية ، وحسب اعتقادهم فقد ظنوا ان موسي عليه السلام شخص مقدس من الآلهة وغالبا اقوي من الملك نفسه ، اذ انهم عرفوا بمسألة تحديه للملك ، ونرجح ان يكون فهمهم قبل ذلك عن طبيعة موسي عليه السلام انه مرس من اله اجنبي عن الهة المصريين واراد ان يتحدي الههم ، وهذا يدعم قوله تعالي (قالوا امنا برب موسي عليه السلام) ،

وهنا تمكن الاستكبار من فرعون الذي رفض الأيمان بان ما راه معجزة واية من الله ، رغم ان السحرة قد صعقوا امامه ، الا انه اصر علي ان ما يراه مجرد خدعة وان موسي عليه السلام متامر مع السحرة من قبل وانه هو كبيرهم الذي علمهم السحر ، رغم ان فرعون قد ربي موسي عليه السلام في قصره ويعلم انه لم يكن له علاقة بالسحر من قبل ، ولكنها طبيعة الطغاه ان ينكروا كل الحقائق من حولهم اذا تعلق الامر بسلطانهم وملكهم .

٧) نرجح انهم ظلوا محتجزين موسي عليه السلام وهارون بعد هذا العرض، واطلقوا التهم الإعلامية تشوه من صورته وتعطي للناس تبريرا لما حدث ، بدلا من تركهم يعتقدون ان موسي عليه السلام مرسل من الله وانه هزم فرعون الذي كانوا يعتقدون انه لا يهزم لأنه اله، ومثلما يفعل الطغاه علي مر العصور روجوا بانه متامر وساحر يريد ان يخرج المصريين م ارضهم بسحره – إرهابي ويحرض علي قلب نظام الحكم وزعزعة الاستقرار – ثم زادت حدة التحريض الي طلب التفويض بقتله، قوله تعالي (ذروني اقتل موسي عليه السلام ومن معه) وهو امر غريب اذ ان الملك يملك سلطة لفعل أي شيء فلماذا يحتاج لتفويض من الناس.

٨) ان القرآن ظل يقرن اسما اخر باسم فرعون في جميع مؤامراته ضد موسي عليه السلام وبني إسرائيل وهو اسم (هامان) مما يجعل البحث عن هذا الشخص تحديدا امر هام في نطاق موضوع البحث..

□:هـــــامان

أولا: هذا الاسم انفرد به القرآن ، وبعض الباحثين يرجحون ان الكلمة لها اصل في المصرية القديمة، وهي ha m – n) وتشير الي وزير كبير او موظف رفيع غالبا مسئول عن البناء والمخازن ' او رئيس العمل في البلاط الملكي، اذا هو وزير مختص بأحد او اكثر من هذه المهام،

ثانيا: النظام الإداري والسياسي في زمن رمسيس كان كالتالي:

-الملك وهو الحاكم الاعلي والقائد العسكري الأول والكاهن الاكبر والقاضي الأكبر.

-القائد العسكري يدير الجيوش ويصدر الأوامر العسكرية (جنودهما)

-القائد الديني وهو المختص بالطقوس الدينية وبناء المعابد.

- المسئول عن المشاريع الكبرى

-القاضي الاعلي: يصدر الاحكام النهائية ويدير الشئون الإدارية العليا.

-رئيس الوزراء: اعلي مسئول مدني يدير الإدارة والديوان الملكي والمحاكم وخزائن الدولة

والحقيقة اننا نحتاج لشخص يكون له سلطة علي الأمور العسكرية والبناء – علي الأقل – معا لان القرآن كان يكرر قوله تعالي (فرعون وهامان وجنودهما) أي هامان كان له سلطة علي الجيش ، او علي القل جنود (شرطة) وكان معروفا وقتها وجود قوات نظامية مستقلة عن الجيش تقوم بحماية العاصمة داخليا وفرض الامن وكانت تتبع الملك او الوزير، وغالبا هم المقصودين (بجنودهما).

٩) اذا بق موسي عليه السلام وهارون في الحبس ورهن الاحتجاز طوال فترة الترويج الإعلامي لقتلهما والصاق التهم التي تبرره ، وفي تلك الفترة تجرأ موسي عليه السلام ليطلب من فرعون مرة ثانية ان يخلي سبيله ويدع بني إسرائيل تهاجر الي خارج مصر ولكنه اصر علي الرفض.

وهنا بدأ موسي عليه السلام يهدد فرعون في تصعيد للأمور الي المرحلة التالية بانه اذا لم يستجب ويطلق سراحه ومعه بني إسرائيل فان ربه سينزل بمصر عذاب شديد ، ولكن بالطبع هذا الطلب مستحيل ان يقبله الملك.

☐ تسع آيات

أولا: قال تعالي : وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْءَلْ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا – الاسراء ١٠١
وقال تعالي: وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ – النمل ١٢
اذا نفهم من ذلك ان الآيات التي حدثت علي يد موسي عليه السلام الي فرعون هي تسعة ، ولكن رغم ذلك لا يظهر في القرآن الا خمسة ، بالإضافة الي أيتين هما الثعبان واليد التي تخرج بيضاء، اذا يكون لدينا سبع آيات مذكورة بالقرآن فقط ، وتزيد التوراة عليهم أيتان هما الظلام وموت الابكار ، ولذلك فسوف نناقش الآيات

.. الخمس المذكورة بالقرآن بعد مناقشة الأيتين الاول بالفعل
ثانيا: قال تعالي: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ.

ولا نعرف ترتيبا مؤكدا للآيات ولذلك سنلتزم بالترتيب اللفظي في القرآن لعله يكون الترتيب التاريخي الحقيقي للأحداث..

١) الطوفان: لغة هو من فعل طفن ويعني غطي الشئ بالماء وارتفع الماء حتي غمر المكان ، ويمكن ربطه بفيضان النيل وهو امر معتاد عند المصرين ولكنه قد يكون كارثيا اذا زاد عن حده او حدث بشكل مفاجئ، وفي سياقنا فان المتوقع هو فيضان شديد اغرق المزارع والبيوت بشكل عنيف ، وعلي الرغم من اتباع المصريين الطقوس الدينية وارضاء الآلهة حسب معتقداتهم فان الطوفان الشديد المفاجئ يدل علي عدم رضاء الآلهة ، وبالطبع سيربطه الناس بأمر موسي عليه السلام وتهديده خاصة الحاشية ورجال القصر الذين بدأوا بالفعل بالشك في قوة فرعون ورضاء الآلهة عن حكمه .

وفي هذه النقطة عندما استمر الفيضان لأيام اجتمع الكهنة والحاشية واجمعوا علي ان ما حدث ليس من أوقات الفيضانات المعروفة عندهم وان اله موسي عليه السلام قد غضب عليهم والحل هو ان يطلبوا منه استرضاء الهته لرفع هذا الغضب ، واقتنع الملك واحضر موسي عليه السلام من الحبس وطلب منه رفع البلاء ووافق موسي عليه السلام بشرط ان يرسل معه بني إسرائيل وتركهم يخرجون من البلاد ، وقد وافق الملك ولكن بعد ان يتأكد ان البلاء قد رفع.

وبعد ذلك دعا موسي عليه السلام ربه ان يرفع العذاب فحدث.

وبعد ان رفع البلاء نكث فرعون بكلمته بعد ان فكر انه لا يمكن ان يترك هذا المحتال وعشيرته المسخرين لخدمته ينتصرون عليه خاصة وانه ربما يكون قد تصادف توقف الفيضان مع دعاء موسي عليه السلام ، فهكذا يفكر الطغاه .

٢) الجراد: في اللغة حشرات مجمعة علي شكل اسراب تأكل النبات والمحاصيل ، وهي الحشرة المعروفة الان ومعروف خطرها علي الزراعة خاصة انها تهجم باسراب مكونة من آلاف تقضي علي الأخضر واليابس، بالإضافة الي الذعر الذي تسببه بدخولها الي الشوارع والبيوت .

نرجح ان موجة الجراد كانت غير مسبوقة من حيث العدد والعنف والدمار . وكذلك لابد انها حدثت بعد ثلاثة أشهر علي الأقل من الحادثة الاولي حتي يبدأ الناس في زراعة وإصلاح الدمار الذي سببه الطوفان ولكي يكون هجوم الجراد ضارا بالمحاصيل ، اذا لابد ان يكون هناك محاصيل جديدة نمت لكي يدمرها الجراد.

وقد حدث ذلك ولازال موسي عليه السلام وهارون مسجونان لدي فرعون يرفض اطلاقهما ، مع الشدة التي تزايدت في اتعامل مع بني إسرائيل من الحراس ومن الناس الذين كانوا يلقون عليهم سبب العذاب الذي طال المصريين ، واصبح المصريين يكرهون وجودهم ولكن فرعون يرفض ان يطلقهم.

جاء الجراد ليهلك ما نما من المحاصيل ليدخل المصريين في مجاعة ثانية بعد دمار الزراعة بسبب الطوفان، ويجتمع الكهنة مرة اخري ليطلبوا من فرعون احضار موسي عليه السلام وتكرار ما سبق.
وهذا ما حدث، وتوقف الجراد ورحل .
٣)القمل: او البراغيث: حشرات صغيرة تمتص دم الانسان والحيوان ، وتسبب حكة وامراض جلدية وقرح ويمكن ان تتفاقم بسبب العدوي وكثرة الهرش اذا تخيلنا انها تملأ الجسد فلا يقدر الشخص علي النوم او الاستلقاء او ممارسة امو حياته بشكل مريح وهي بالنسبة للمصابين بها تعتبر عذاب شديد، ولكن امرا كهذا لا يقلق الملك والكهنة ليطلب من موسي عليه السلام ويتوسل اليه مثل المرات السابقة الا اذا كان المرض قد اصابهم وأصاب فرعون شخصيا ولذلك سيحضر موسي عليه السلام من سجنه ويطلب للمرة الثالثة رفع البلاء ، ولان الأنبياء لا يفعلون الا ما يؤمرون فقد دعا موسي عليه السلام ربه مرة ثالثة ورفع البلاء.
٤) الضفادع: وهو حيوان برمائي صغير يعيش في الماء وعلي الرطبة ، وظهور الضفادع خاصة بعد الفيضانات امر طبيعي لزيادة المياه والبرك الصغيرة ، والامر المزعج يكون في كثرة العدد بشكل كارثي اذا افترضنا انهم قد غزوا الطرق والبيوت والمزارع بكميات لا يمكن تحملها بالإضافة الي الزعر الذي تسببه خاصة ان الضفادع الزراعية في مصر ليست ملونة كضفادع الغابات ولكنها غالبا رمادية ومنظرها مقزز جدا، ومثل الآية السابقة فان الملك لن يطلب من موسي عليه السلام مرة رابعة الا اذا كان قد عاني شخصيا من تلك الآية وهو ما نرجحه، ثم رفع البلاء.
٥) الدم: التوراة تشرح هذه الآية بان مياة النيل قد تحولت الي دم، وهذا تفسير منطقي لا يناقض القرآن علي أي حال، والدم المقصود هنا هو موت جماعي للاسماك والكائنات التي تسكن نهر النيل بحيث ان ماؤها يجعل النهر ملونا بالاحمر بالإضافة الي الرائحة النتنة للاسماك الميتة التي قد تنطلق الي مئات الأمتار بعيدا عن النهر وتسبب امراض شديدة وتجلب حشرات وبكتيريا ، بالإضافة الي فقدان مصدر المياه للشرب والري مما يجعل الكارثة اكبر من الكوارث السابقة فلا يوجد طعام ولا شراب، واري انها اكثر الآيات بشاعة وشدة وبالطبع نتوقع موت اعداد كبيرة جدا في هذه الكارثة من المصريين ولذلك وللمرة الخامسة يلجأ فرعون الي موسي عليه السلام ليرفع البلاء.
في هذه النقطة لابد ان فرعون قد أيقن داخليا ان موسي عليه السلام بالفعل نبي مرسل من الله ، لأنه قد رأي كيف يرتبط نزول البلاء ورفعه بدعوات موسي عليه السلام وانها ليست صدفة ان يحدث ذلك خمس مرات ، ولذلك هذه المرة وافق فرعون علي ان يطلق موسي عليه السلام وبني إسرائيل ليتخلص من وجودهم الذي اصبح نذير شؤم عليه وعلي مصر.

وأخيرا خرج موسي عليه السلام وزهارون من الحبس وانطلقا الي بني إسرائيل ليجمعوا متاعهم ويغادروا ، وفي هذه اللحظات قرر فرعون مرة اخري ان يحنث في كلمته بعد ان هدأ عنه الروع وفكر في ان هذا القرار سيقلل من شأنه امام شعبه وسيظهره بمظهر المهزوم امام بني اسرائيل ونبيهم المزعوم. فقرر ارسال شرطته للقبض علي موسي عليه السلام ومن معه ، وعندما وصل الخبر الي موسي عليه السلام قرر التعجيل بالرحيل ليلا قبل ان يصل اليهم الجنود.

ماذا كان يبني فرعون

قبل ان ننتقل الي الخروج سنبحث امرا أخيرا ورد بالقرآن ، في قوله تعالي:
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَٰذِبِينَ – القصص ٣٨
وقال تعالي: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَٰبَ --غافر ٣٦
قال تعالي : وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ – الأعراف ١٣٧
هذه الآيات تتحدث عن بناء محدد له صفات واهداف معينة وقد تم تدميرها بعد ذلك ربما قبل ان تكتمل، ولنبحث هذه الآيات بالتفصيل..

١)الصرح : لغة هو من جزر ص-ر-ح وهو البناء العظيم الضخم العالي ، او ذو الهيكل القوي ويستخدم للدلالة علي العظمة والفخامة،

٢)الأسباب: السبب هو ما يوصل الي الشيء ويحقق الهدف، وأسباب السماوات يمكن ان تستخدم في الدلالة علي حركة الكواكب والنجوم والقوانين الكونية ،

ويمكن ان نفهم تفكير فرعون في هذا الوقت بعقلية وعقيدة المصريين القدماء في ربط الآلهة بخريطة السماء والنجوم والكواكب، ويمكننا ان نفهم ذلك من مثال ، كمعبد (أبو سمبل) والذي صمم بواجهات ضخمة تواجه الشمس في أيام معينة لتتطابق الظلال مع تماثيل الآلهة ، فالشمس تدخل غرفة التابوت مرتين في السنة (٢١ فبراير و ٢١ أكتوبر) وتضئ تماثيل الآلهة في الداخل باستثناء الاله أبو ، وفي معبد (الكرنك) فان الاعمدة والمسلات موجهة وفق المواقع الفلكية للشمس والنجوم المهمة وهناك علاقة بين محور المعبد والنجوم او الكواكب الظاهرة في أوقات معينة .

وقد كانت النجوم والكواكب مرتبطة بطقوس وعقائد المصريين ، فقد كان نجم (الشعري اليمانية) مثلا مرتبط بفيضان النيل ، وكان لديهم تقسيمات سماوية مرتبطة بالأجسام السماوية المهمة والمجموعات النجمية كانت رموز للآلهة او القوي الكونية وتحديد أيام الاحتفالات والطقوس.

٣) نفهم م ذلك انه كان يبني معبد من نوع خاص ربما مخصص لمحاذاة نجم اخر او ناحية اخري من السماء ، لأنه قال (لعلي اطلع الي اله موسي عليه السلام) ولنحاول ان ندخل في عقل رمسيس الثاني لنعرف ما هو مفهومه عن هذا الاله الاخر – اله موسي عليه السلام- لنفهم ماذا كان يبني..

لقد كانت الاجرام السماوية بالنسبة للمصريين مظاهر للالة او أماكن سكناها، فالاله (رع) قرص الشمس في الافق، و(حورس) النجم او السماء المرتفعة ، و(امون) مرتبط بمحور سماوي محدد . وكانت عبادة رع عموما تجعل المعابد تتجه شرقا (شروق الشمس) وهو مجال سيادته،- اما الغرب، فهو عندهم افق الموتي ، فهناك تسكن قوي مختلفة عن رع ، مثل (اوزوريس) سيد العالم الاخر ، ولذلك فان مقابر وادي الملوك كلها الي الغرب، اما الجنوب ، فهو ارض النيل الاعلي (تا-نتر = اله الأرض) ، وبعض الآلهة المحلية ارتبطت بالجنوب، ولكنه سيظل مكملا لنفوذ رع وليس معاديا له، والشمال عندهم مرتبط بقوي الفوضى واغزو.

وقد كان لدي المصريين اعتقاد في الآلهة المعادية لالههم (امون-رع) ، مثل (ابوفيس) العدو الكوني الأول ويقيم الكهنة طقوسا لطرده من البلاد كل يوم ،

والخلاصة اذا اردنا فهم منظور رمسيس وكهنته عن اله موسي عليه السلام فسيفهمون انه غالبا (ابوفيس) او اله اخر قوي واتجاه وجوده هو الغرب – عكس (امون-رع) ولذلك فان الصرح الذي يبنيه فرعون سيكون لرصد هذا الاله في اتجاه الغرب.

٤) الطين : لقد حدد لنا القرآن الطريقة التي صنع بها الصرح – المعبد ، وهو الطين الموقد ، والحقيقة انه لامر محير حيث لم تكن المعابد والصروح تبني بالطين ابدا بل بالحجارة والجرانيت ، فلماذا بني هذا الصرح تحديدا بالطين الموقد ولا نري الا انه كان يبني صرحا هو يعلم انه مؤقت وسيتم هدمه بعد ذلك او تركه لأنه لم يكن مخصص لالهه (امون رع) وأيضا لأنه سيبني علي استعجال ، كما انه لا يمكن ان يحشد عمالا وتكاليف باهظة لانشاء معبد مخصص لاله اخر غير معبود ، بيد ان الهدف الأساسي منه ليس العبادة وانما الرصد فقط فالطين الموقد هو مثالي في حالة الاستعجال والسرعة .

٥) قوله تعالي : ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون: العديد من الباحثين فسروا الآية انها تدمير لكافة اثار الملك فلا يبقي منها اليوم أي اثر، ولكن حتي الملوك الذين قاموا بترجيحهم لشخصية فرعون قد بقيت اثارهم اليوم، ونرجح ان المقصود تحديدا هو ذلك الصرح الذي كان يصنعه وليس كل اثاره ، ولا نعتقد ان بناء قد شيد بالطين سيظل باقيا منه شيء بعد اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، مثل الصروح الحجرية الصلبة، الا

من اثار للأساسات اذا لم تكن قد تعرضت لعوامل مدمرة عبر العصور، وفيما يلي امثلة للصروح والمعابد الباقية اساساتها فقط من عهد رمسيس الثاني والمبنية من الطين اللبن..

أولا: معبد رمسيس الثاني في أبو صير (جنوب الجيزة):اساسات من الطوب اللبن لاحد صروحه وفناء خارجي يؤدي الي صالة أعمدة حجرية ولكنه مكرس للاله امون لرع وفقا للنقوش والاثار علي الجدران.

ثانيا: معبد وادي السبوع في النوبة: أيضا مبني من الطوب اللبن وكان مخصصا لحورس وتم تغييره لاحقا الي امون خلال فترة العمارنة.

ثالثا: معبد ام الرخم في مرسي مطروح: أيضا شيد بالطوب اللبن وبقاياه لا تزال قائمة

هذه امثلة علي انه كانت تستخدم طريقة الطوب اللبن في عصر الرعامسة ولكننا لا نرجح أي منها ان يكون البناء المقصود في الآية والأكثر منطقية هو ان البناء قد زال ولم يبق له اثر اليوم.

☐ قارون

قبل ان نشرع في الخروج من مصر ، سنتطرق اتلي مسألة (قارون) المذكور في القرآن ، والحقيقة انه لا يوجد أي مصدر اخر لقصة قارون او ذكر له في التاريخ الموثق ، او المصادر المصرية القديمة . ولكن ينحصر ذكره في القرآن ، كما امكننا مطابقة رواية التوراة لاحد الشخصيات التي عاشت في هذا الوقت مع الشخصية القرآنية كما يلي..

١) التوراة: ذكرت التوراة شخصية واحدة مقاربة للرواية القرآنية ولكن ليس في كل التفاصيل، وهي شخصية (قورح) وبعض الباحثين يقارب بينه وبين قارون لاشتراكهما في طريقة الهلاك وهي الخسف بداره وبيوت اعوانه، وكل ما تذكره التوراة عنه هو انه عارض هو وجماعته قادة موسي عليه السلام وهارون الدينية لبني إسرائيل وشكك في نبوتهما او علي الأقل أراد المساواة بينهما وبين باقي الناس فلا يكون لهما سلطان خاص ولا يذكر أي شيء عن عمله او ماله .

☐الخروج

من اكثر المسائل دراسة واختلافا عند الباحثين هو تحديد مسار خروج بني إسرائيل من مصر والمسطح المائي المقصود في القرآن والذ حدث فيه واقعة الانشقاق، وما يترتب عليه بعد ذلك من تحديد المناطق الجغرافية

المرتبطة بباقي الأحداث بعد الخروج مثل مكان عيون موسي عليه السلام موثقا من الناحية ال تاريخية وليس المتعارف عليه شعبيا ، وتحديد مناطق قري بني إسرائيل ومنطقة (التيه) وغيرها من الأحداث الواردة بالقرآن..
فيما يلي سنبين الخصائص المطلوب انطباقها علي المسارات المفترضة للرحلة ومن ثم سنحاول أيجاد المسار الأكثر ملائمة ..

١)نقطة الانطلاق غالبا من مكان سكن بني إسرائيل قرب (بر رمسيس) شرقي الدلتا قرب تل الضبعة/صان الحجر.

٢) الوجهة النهائية : حسب الرواية الدينية فان موسي عليه السلام قد امر ان يأخذ بني إسرائيل الي ارض الميعاد وهي القدس – باتفاق المفسرين .

٣) الطريق الذي سلكوه ليس طريقا بريا بل كان يتحتم عليهم عبور مسطح مائي لا يمكن الالتفاف حوله .

٤) بعد العبور سيمكثون في منطقة عند سفح جبل الطور حيث نتق الله الجبل ليظلهم وفقا للقران كما سيلي.

٥) لابد ان تكون عيون موسي عليه السلام في هذا المكان قرب او عند جبل الطور.

ولنطبق هذه الشروط علي المسارت المتاحة من شرق الدلتا وصولا الي القدس..
أولا: المسارات الممكنة من شرق الدلتا الي القدس:

١-الطريق الساحلي الشمالي :طريق حورس: شرق الدلتا ثم رفح ثم غزة ثم عسقلان ثم يافا الي القدس وهو الطريق الذي جاء منه بنس إسرائيل في زمن يوسف من قبل ، ولكن هذا الطريق لا يحتاج لعبور مسطح مائي وهو بري بمحاذاة المتوسط عبر شمال سيناء وفلسطين ، كما ان الطريق ملئ بنقاط الحرس والمراقبة ولا يمكن العبور منه ابدا بدون ان يتم الإمساك بهم.

٢-الطريق الأوسط عبر شمال سيناء/طريق البر الداخلي: شرقي الدلتا الي القنطرة ثم بئر العبد ثم العريش ثم رفح ، غزة ، القدس، وهو أيضا كالسابق لا يفترض وجود مسطح مائي للعبور،

٣- الطريق الجنوبي نحو سيناء ثم الي القدس: (المسار المطابق للشروط):

وهو الطريق الوحيد الذي يطابق الشروط ، ويفترض انهم سيسلكون اتجاها جنوب شرقي بدلا من التوجه مباشرة نحو كنعان ، فيكون المسار كالتالي: شرق الدلتا الي جنوب بحيرة التمساح باتجاه خليج السويس (رأس الخليج) ،

لماذا هذا الطريق الغير مباشر ؟

من المهم ان نفهم ان موسي عليه السلام كان يعلم ان الجنود قد تلقوا الامر بملاحقتهم ولذلك حتي الحراس في الحاميات سيقبضون عليهم او يقتلوهم اذا ظهرت بوادرهم، ولذلك فكان من المنطقي ان يختار طريق غير متوقع

وغير لاطرق التجارية الطبيعية والمعهودة من مصر الي القدس، والتي لا يتوقع وجود حاميات عسكرية عليها، والموجودة أساسا في شمال سيناء، ولذلك اختار المسار نحو الجنوب،

ثانيا: المرحلة الثانية: عبور البحر

وهنا يظهر المسطح المائي، فهذا الطريق يصل بهم الي نهاية مسدودة وهي خليج السويس ، ويكون عليهم اختيار احد امرين: اما الالتفاف حول خليج السويس جنوبا ، وهذا مستحيل عمليا لكثرتهم والمتاع الشديد الذي يحملونه ، واما عبور المسطح المائي عند رأس خليج السويس – او احد البحيرات المتصلة به قديما ، ولنحدد سويا المسطح المائي..

الاحتمال الأول: عبور خليج السويس نفسه:

ويكون عند منطقة (جنوب البحيرات المرة) او قرب مدينة السويس الحالية ، وهنا ينطبق شرط انحصارهم بين البحر من الامام وجنود الملك من الخلف والجبال والمستنقعات علي الجانبين ولا يوجد سبيل الا عبور البحر.

الاحتمال الثاني : عبور احد المسطحات القديمة المرتبطة بالخليج:

مثل البحيرات المرة (كانت أوسع قديما) او امتداد مائي بين البحيرات والخليج ، ولكن هذه البحيرات لا تطابق وصف (اليم) الذي فصلناه من قبل والذي اقترن أيضا بواقعة الانشقاق واغراق الجنود وه و ان يكون عميقا وذا مجري ثابت ولذلك فالبحر اكثر تطابقا مع اللفظ.

والخلاصة ان النقطة التي عبروا خلالها كانت عبر خليج السويس تقع شمال مدينة السويس الحالية بين رأس الخليج والبحيرات المرة ، بين منطقة (عيون موسي عليه السلام) غربا وامتداد الشاطئ الشرقي لسيناء، والسبب في تحديد تلك النقطة بالذات ، انها اضيق موضع للعبور عمليا من الخليج خاصة انه كان اضيق تاريخيا مما هو عليه اليوم وذلك يمكن منطقيا لجماعة بني إسرائيل العبور جميعا في ليلة واحدة ، ومن ناحية اخري فان وجود مناطق ضحلة ممتدة قديما (لسان رملي/طيني) في الخرائط الجيولوجية يبين ان الطرف الجنوبي للبحيرات المرة كان متصلا بالخليج أحيانا وكانت توجد السنة ضحلة ومناطق طينية تمتد داخل الماء .

وأخيرا فان عمق المياه عموما في الخليج حوالي ٤٠ متر مما يدعم فرضية تكوين شقين بالوصف القرآني (كالطود العظيم) وهو ارتفاع لا يمكن تحقيقه الا بإزاحة كمية كبيرة من المياه والتي تتطلب عمقا كبيرا، وعرض الخليج (المسافة التي يجب عبورها – من ١٩ الي ٣٢ كيلومتر ويمكن اجتيازها في يوم واحد ،

ويمكن تخيل خريطة المكان من الاعلي لتطبيق باقي الشروط كالتالي:

الغرب: البر المصري منطقة تعرف اليوم (بعيون موسي عليه السلام) علي ساحلا لسويس شمال مدينة السويس مباشرة،

الوسط: رأس خليج السويس (الجزء الاضيق من الخليج)

الشرق: بر سيناء بعد العبور: شاطئ غرب سيناء وخلفه علي مسافة عشرات الكيلومترات جنوبا تبدأ مرتفعات جنوب سيناء التي ينتمي اليها جبل الطور، وهو الذي يدعم توقفهم عند سفح الطور بعد العبور والمشي قليلا .

☐انشقاق البحر

أولا : من الناحية التاريخية : لا يمكن اثبات حدوث انشقاق في مكان ما في البحر حتي اذا كان محددا بدقة وذلك ان الحدث مفترض حدوثه قبل ثلاثة آلاف سنة الامر الذي لا يدعم بقاء أي اثر ممكن تتبعه لإزاحة كمية من المياه علي الجانبين ثم عودتها للوضع الطبيعي وهو ما لا يترك أي اثر جيولوجي يمكن دراسته حتي ولو بعد عام واحد، وسنكتفي بالتحليل التاريخي لسياق القصة وفقا لموثوقية المصدر وهو القرآن الكريم..

١) عندما علم موسي عليه السلام بقدوم جنود فرعون بعد ان قرر ملاحقتهم ومنهم من الخروج وفي تلك المرة قر الملك ان يكون علي رأس الجنود بنفسه لأنها أصبحت مسألة شخصية ولابد ان يظهر قوته كممثل لاله الحامي للبلاد فتحتم ان يقود بنفسه الحملة ، ومن ناحية اخري ليتم تسجيلها في لوحات الانتصار بعد ذلك كونه البطل الذي انقذ البلاد بنفسه ، كما هي العادة عند ملوك المصريين القدماء.

٢) تحرك موسي عليه السلام وقومه باتجاه الجنوب نحو خليج السويس ، والمهم هنا ان نفهم ان موسي عليه السلام نفسه لم يكن علي علم بالمسار او الخطة ولم يكن يعلم بانهم سيعبرون البحر بل كما قلنا سابقا انما يتبع أوامر الله بحذافيرها وبأيمان وثقة ان الله لن يضيعهم، ووسط اعتراضات من بني إسرائيل كعادتهم واتهامهم له بالجنون والسفه حيث ان هذا الطريق ينتهي بالبحر ولا يوجد معبر خلاله الا ان موسي عليه السلام اصر علي اتباع المسار المأمور به وتبعه الناس.

٣) عندما وصلوا الي البحر عند رأس الخليج بالسويس وقف موسي عليه السلام وتعالت الاعتراضات والاتهامات بالجنون وصيحات الندم علي اتباعهم له والرعب من الجنود الذين باتوا علي بعد ساعات منهم ، انتظر موسي عليه السلام كثيرا لامر الله وقد طالت المدة حتي يتم اختبار أيمان موسي عليه السلام وأيمان الناس ، ثم جاءه الامر بان يرفع عصاه ويضرب البحر ، ففعل موسي عليه السلام مرات عديدة وسط تأكيد الناس باتهامه بالجنون وفقدان العقل، ثم انشق البحر..

٤) يصف القرآن هذا الحدث العظيم في عدة آيات :

قوله تعالي: فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ -الشعراء ٦٣

أولا: انفلق : في اللغة أي انشق او انفصل بعد الاتصال وظهور فاصل بين الشقين، فيقال انفلق الحجر ان نفصل الي نصفين ، ويقال انفلق الصبح أي ظهر وانشق الظلام ويختلف الفلق عن الشطر في ان الشطر ربما يعني تصدعا وليس انشقاقا كاملا اما الانفلاق فيعني الابتعاد بين الشقين.
ثانيا: الطود في اللغة هو الجبل العظيم المرتفع ويستعمله العرب لوصف الجبال العالية جدا والشامخة. ومن خلال العمق التقريبي لراس خليج السويس سيكون ارتفاع شقي المياه ما يقرب ٨٠ متر فوق سطح الماء وهو بالنسبة للناظر من اسفل الجدار المائي يعتبر ارتفاع عظيم جدا مطابق للفظ الطود

ثالثا: التصور الواقعي للحدث ، هو انه تمت إزاحة المياه بكميات ضخمة الي الجانبين بسرعة شديدة بحيث تكون جدارين من الماء بشكل رأسي علي طول الطريق بين ضفتي الخليج ولعمق المياه المذكور اصبح هناك جدارين بارتفاع ٨٠ متر علي الاقل . وبالتالي يظهر بين الشقين طريق يصل الي الضفة الأخرى بعرض مناسب لمرور جميع الهاربين مع موسي عليه السلام ، ونقدر عددهم بحوالي ٢٠ الف الي ٥٠ الف وهو متوسط للتقديرات التي ذهب اليها الباحثين بعيدا عن رواية التوراة المبالغة بشدة (٣ ملايين وفقا للتوراة علما بان سكان مصر في هذا الوقت كانوا حوالي ٢ مليون فقط) وعلي ذلك نقدر عرض الطريق بحوالي ١٠ امتار وهو ما يدعم إمكانية عبور الجميع في ليلة واحدة.
رابعا: الفرضيات العلمية لحدوث الانشقاق:
الحقيقة ان تفسير الحدث علميا لهو امر صعب ، ورغم عقيدتنا بان المعجزات تحدث وفقا لاطار فيزيائي ولو نادر الحدوث الا انه لا يزال هناك بعض الأحداث التي لم يتم اكتشاف تفسير لها حتي الان ، وفيما يلي اشهر ما قيل من تفسيرات علمية من الباحثين ..
١)فرصية الرياح القوية: تفترض هبوب رياح شديدة وثابتة تدفع الماء بعيدا عن منطقة ضحلة فتنشئ ممرا جافا نسبيا بينما يتراكم الماء علي الجانبين ، ولكن هذا التفسير لا يدعم إمكانية ارتفاع الجانبين الي الحجم الذي يصفه القرآن وانما اقصي ارتفاع سيكون حوالي ٥ امتار ، بالإضافة الي ان رياح بهذه القوة التي تحرك المياه من المستحيل لافراد ان يصمدوا امامها فضلا عن انهم سيعبرون محملين بمتاعهم خلالها.
٢)فرضية الزلزال: انسحاب مفاجئ للمياه (تسونامي) أي زلزال بحري يسبب موجة تسونامي يحدث انسحاب مفاجئ للمياه من الساحل ويترك القاع مكشوفا، ولكن هذا الفرض لا يخلق جدارين ثابتين من الماء .
٣)فرضية الأنهيار الأرضي تحت الماء : مما يزيح كمية هائلة من المياه ويخلق تجويفا مؤقتا في المنتصف ويرفع الماء علي الأطراف، وهو أيضا يعجز عن تفسير الجدارين الثابتين.
٤) فرضية الحاجز المائي المؤقت (فرض نظري فقط):

هذا الافتراض نظري فقط بمعني انه لم يحدث ولم يتم رصده من قبل ولكن القوانين الفيزيائية لا تجعله مستحيلا .
ويفترض ان قوة خارجية (رياح ، ضغط جوي ، حركة أرضية) تعمل نعا وتثبت المياه لحظيا علي شكل جدارين شبه عموديين ويبقي الممر مستقرا فترة قصيرة .
وأيا كان فهناك قوي طبيعية سخرت من اجل العمل علي تحقيق هذا الحدث بشكل لن يتكرر مرة اخري وهذا هو مفهوم المعجزة، انها تحدث لمرة واحدة ولا يمكن محاكاتها حتي لو كان لها تفسير علمي .

☐غرق فرعون

---

١)كما قلنا فان رمسيس قد انطلق على رأس قوة من الجنود للحاق بموسى ومن معه اما لإرجاعهم للسخرة واما ابادتهم عن بكرة ابيهم، والسياق القرآني يدلنا على ان وصول الجنود الي موقع الانشقاق كان مزامنا لعبور اخر بني إسرائيل او كان قد بقي منهم القليل جدا ونظرا لعرض البحر عند راس الخليج ، فان العبور الكامل مشيا ، خاصة في ارض رملية رطبة تبطئ الحركة فمن المتوقع ان يستغرق عدة ساعات، وكان فرعون بالتأكيد يري اخرهم وهذا ما جعله متأكدا من إمكانية اللحاق بهم خاصة انه وجنوده كانوا راكبين لعربات حربية واحصنة .
٢)القرآن يوضح لنا ان البحر قد التحم مرة اخري وبشكل مفاجئ عندما اصبح الجنود في منتصف الطريق وقد تم اغراقهم جميعا بأسلحتهم وعرباتهم بشكل مأسوي ، ولكن هناك نقطة مهمة يثيرها قوله تعالي (اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية – يونس) **فهل غرق فرعون بالفعل مع الجنود ثم أخرج جسده بعد ذلك نجا ومات خارج المياه ؟**
الفرض الأول: غرق فرعون مع الجنود :
يفترض هذا الاحتمال ان فرعن وكان يتقدم جنوده عندما اصبحوا في منتصف الطريق انغلق جانبي البحر فجأة والتحما وغرق الجميع حيث ان ارتفاع المياه كما قلنا يصل الي ٨٠ متر في راس الخليج ، ثم لفظ البحر او حرك التيار بعد ساعات جسد فرعون الي الشاطئ حيث اخذه من نجا من الجنود وقاموا بمعالجة الجسد واعداده للتحنيط.
وهو أيضا تفسير يتماشي مع وصف الآية اذا كان المقصود بالنجاه هو النجاة من الغرق ، فالروح قد زهقت اما الجسد فنجا لأنه لو لم يخرج من المياه سيتحلل مع الوقت ولا يبقي نمنه اثر وما نجا اذا هو الجسد الذي لازال موجودا حتي اليوم يشاهده آلاف الناس من حول العالم كل يوم .
اما الفرض الثاني : ان فرعون لم يدخل الي الطريق بين الشقين مع الجنود او كان متأخرا او تردد من الخوف حتي اذا رأي ما حدث للجنود أصيب بسكتة او مات لتوه ، فاخذ جسده وتم تحنيطه ودفنه بعد ذلك .

والحقيقة ان ترجيح احد الفرضان يعتمد علي فهمنا الدقيق للاية السابقة ، وكذلك لقوله تعالي: حتي اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو إسرائيل وانا من المسلمين – يونس ٩٠
أولا: نجي: في اللغة من اصل نجا وهي الإفلات من الهلاك – لسان العرب ومقاييس اللغة.
ثانيا: ادركه: أي لحق به وبلغه ، وقوله ادركه الغرق، وفي استعمال العرب يقال ادركه الموت أي مات بالفعل وادركه الليل أي وقع عليه وبلغه وادركه البلاء أي حدث بالفعل واذا لم نجد في الجملة ما يدل علي ان الفعل لم يحدث ب اوشك فقط مثل (ادركه الغرق لولا ..) فان الادراك يفيد الحدوث الفعلي للحدث، وعلي ذلك فادركه الغرق تعني انه غرق بالفعل ولكن استخدم هذا اللفظ في الآية ليعني انه قبل ان يلفظ أنفاسه قال هذه الجملة (امنت بانه لا اله الا الذي امنت به بنو إسرائيل) .
ثالثا: بدنك : أي جسدك والبدن هو الجسد فقط بدون الروح .
اذا الخلاصة ان الفرض الأول هو المطابق للآيات وان فرعون قد غرق بالفعل ثم اخذ ما بقي من الجنود جسده لإتمام مراسم التحنيط والدفن برعاية ابنه (مرنبتاح) الذي اصبح الملك بموت ابيه.
ومن المنطقي ان يكون غرق رمسيس الثاني قرب الشاطئ وانه لم يبق تحت الماء مدة طويلة بل عدة دقائق قبل ان يقذفه اندفاع شقي المياه العنيف الي اليابسة وتكفي لحظات قليلة لقتل رجل في التسعين من عمره وهو يري جبلان من المياه ينطبقان عليه فان هناك احتمال الا يكون سبب الموت لمباشر هو الغرق ، بل ان هول الحادث كفيل بإيقاف قلبه من الرعب او الصدمة العنيفة لنزول الجبلين المائيين علي عربيته الحربية ليموت بالسكتة قبل لحظات من دخول المياه الي جوفه ، وهو امر نرجحه بشدة لان مومياء رمسيس الثاني المعروضة في المتحف المصري اليوم والتي تم فحصها جيدا في فرنسا بواسطة فريق طبي بقيادة الدكتور (موريس بوكاي) قد اثبت انها بحالة مثالية ، ولو كان الجسد بقي تحت الماء ساعات لكان اثره سيكون واضحا علي المومياء اليوم. كما ان افتراضنا هذا يتوافق مع قوله تعالي (ننجيك ببدنك) اذ ان النجاة تعني ان البدن بحالة جيدة جدا وهو ما لا يمكن تحقيقه اذا بقيت الجثة تحت الماء لساعة واحدة. اما الاثار الطفيفة التي ستظهر علي الجسد قبل تحنيطه اما انه امكنن ازالتها اثناء التحنيط واما ان ثلاثة آلاف عام قد كانت كفيلة بازالتها ولذلك لا يظهر أي دليل علي انه قد مات غرقا.



المسار المرجح لخروج موسي
بي رعسيس
ترفن
أنام
قناة السويس
بيثوم
راس خليج السويس
خط بارلف
المسار المرجح العبور
المنطقة المرجحة لعبور موسي
سيناء
خليج السويس
جزيرة شدوان
المسار المرجح للعبور
المنطقة المرجحة لعبور موسي
جبل موسى
جبل سانت كاترين
البحر الأحمر



مشهد تخيلي لانشقاق البحر وهو أقرب تصور للمعجزة مولد بالذكاء الصناعي

☐ تحديد تاريخ الخروج

١)ان التاريخ المؤكد لموت الملمك رمسيس الثاني هو العام ١٢١٣ ق.م ، في التسعين من عمره ووفقا لسياق القصة وربطنا لفرعون موسي عليه السلام برمسيس الثاني فان تحديد زمن الخروج سيكون واضحا وسهلا بهذا العام تحديدا ، وكما قلنا ان لوحة مرنبتاح التي يفتخر فيها بالنصر علي إسرائيل والتي كما سبق ان وضحنا انها تزوير وتجميل للتاريخ أمام الشعب الذي يري رمسيس وابنه الهة لا يموتون بهذه الطريقة ابدا ولا يمكن هزيمتهم من شعب كانوا عبيدا لديهم ،

ولكن تحديد الشهر او اليوم يعتبر امرا محيرا ، فلا يمكننا ان نؤكد علي صحة اليوم الذي حددته النصوص المصرية لوفاة الملك لأننا لا نعلم علي وجه اليقين اذا كان هذا مقصود به يوم الوفاه ام يوم الدفن ام هو يوم تم تحديده علي اساس سياسي او ديني اخر ،

٢) **يوم عاشوراء:** من الثابت في الصحيحين واقعة تحديد النبي صلي الله عليه وسلم ليوم عاشوراء وهو العاشر من شعبان بالتقويم الهجري، حيث ان اليهود كانوا يصومونه وقد بينوا للنبي انه يوم خروجهم من مصر ونجاتهم من جنود فرعون، وقد اقر النبي صلي الله عليه وسلم هذه المعلومة ثم امر أصحابه بصومه وصوت تاسوعاء معه وقال (انا اولي بموسي عليه السلام منهم) ، مما يعطي إشارة لتصديقه علي يوم خروج موسي عليه السلام من مصر.

وهذا الامر يثير تساؤلات عدة، فهل كان تصديق النبي صلي الله عليه وسلم علي هذا التاريخ عن علم من الله ام مجرد عدم تكذيب لليهود فيه حيث ان صيامهم لهذا اليوم يعتبر واحد من اكبر أيام الصيام عندهم ،

ومن ناحية اخري فاننا لا نستطيع مزامنة هذا التاريخ مع التقويم اليهودي الا اذا افترضنا انه قد تطابق الشهر اليهودي مع العربي في هذا العام تحديدا ، ورغم ذلك لا يمكننا ان نجد المقابل الميلادي لهذا اليوم في هذا العام بالتحديد ولذلك فان تحديد اليوم او الشهر الذي حدث فيه الخروج لامر صعب جدا وكل ما نستطيع تأكيده هو العام لأننا نملك ادلة تاريخية وعلمية .

٣) من ذلك نستطيع تحديد عمر موسي عليه السلام عليه السلام وقت الخروج بحوالي ٤٧ عام تقريبا .

□ القسم الثاني

□موسي عليه السلام بعد الخروج

يمكن اعتبار حياة موسي عليه السلام مع بني إسرائيل بعد الخروج مرحلة ثانية مختلفة تماما عما سبق وفي هذا الجزء سيكون علينا بحث الجغرافيا بشكل اكثر من البحث التاريخي..

١) علمنا ان موسي عليه السلام قد خرج مع قومه عبر خليج السويس ، وبعد ذلك يكون المسار الطبيعي لهم اذا أرادوا الوصول للقدس هو شمال غربي عبر صحراء سيناء الشمالية وهي منطقة جبلية وصخرية في اغلبها، وقليلة المياه جدا ومعروف ان المنطقة قد يظهر فيها بعض العيون في الشتاء ، ولكن القرآن يقرر بانهم طلبوا من موسي عليه السلام السقاية وهذا ربما يرجح كون الخروج حدث صيفا ، وهو ما يدعم عدم وجود أي مصدر للماء،

٢) بعد ذلك فان المسار الطبيعي يأخذهم الي جنوب الطور قبل ان يكون عليهم الاتجاه شمالا نحو القدس ولكن السياق القرآني يخبرنا انهم بقوا فترة طويلة نسبيا ما عند الجبل.

ومن الثابت ان المسافة من خليج السويس الي بداية جبل الطور تبلغ حوالي ١٠٠ الي ١٢٠ كم ، اذا فبقطع مسافة ٢٠-٢٥ كم يوميا سيرا علي الاقدام مع الحيوانات والأطفال والشيوخ فانهم سيحتاجون حوالي ستة أيام للوصول الي جبل الطور وبحساب أوقات التوقف والراحة فنصل الي ثمانية أيام تقريبا،

٣) جبل الطور: الجبل يقف بارتفاع ٢٣٠٠-٢٦٠٠ متر تقريبا (جبل الحوريب بسيناء) وهو جبل صخري مائل للأحمر وعالي قمته مقسمة الي صخور حادة ومنحدرات شديدة ،

المنطقة المحيطة بها أراضي صخرية قليلة النباتات وبعض الأعشاب في الشقوق الصخرية – لذلك طلبوا منه الماء والغذاء – وهو مكان مناسب للتخييم بسبب الارتفاع الذي يعطي مصدات من الرياح العاتية .

٤) اول ما طلبه بني إسرائيل من موسي عليه السلام بعد التوقف هو ساترا من الشمس الحارقة في سيناء خاصة اذا كان الخروج صيفا، وقد ذكر القرآن ان الله تعالي نتق الجبل فوقهم لتكوين ظلة كبيرة تكفيهم، وذلك قولع تعالي: وإذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم – الأعراف ١٧١

وقوله تعالي : وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة - البقرة

أولا: نتقنا : من فعل نتق، وتعني ارتفع او برز عن محيطه بشكل واضح مثل قولهم عن العين ناتقه ، والقصد ان الجبل ارتفع وبرز فوقهم ليشكل ظل كبير.
ثانيا: ظلة : من الظل وهي ما يقي من الشمس وغالبا تشير الي ظل كبير يشمل مساحة واسعة من الأرض .
ثالثا: المفهوم ان ما حدث هو تحرك محدود في قمة الجبل كانه سيقع او ينهار ثم يثبت بعد ذلك علي وضع يغطي مساحة واسعة من الأرض وهذا ممكن جيولوجيا، فالجبال تتكون من صخور صلبة او طبقات صخرية ، مع الزمن والتعرية والتصدعات يمكن ان تجعل جزءا من الجبل يبرز او يختلف عن باقي الجبل ، وهذا الجزء البارز يمكن ان يظهر كنتوء او قمة صغيرة فوق الجبل الرئيسي.
أحيانا يكون هناك كتلة صخرية ضخمة معلقة او علي منحدر حاد وكأنها علي وشك الانهيار ولكنها ثابتة لفترة طويلة بسبب وزنها وتوازنها مع الصخر السفلي
رابعا: هناك كثير من المواضع علي جبل الطور تشابه هذا الوصف ، ويمكن ان نرجح عدة مناطق تطابق الوصف..
-جنوب سيناء: في نطاق جبال سانت كاترين وجبل موسي عليه السلام والمنطقة المحيطة بهم.
فهذا الجزء من جنوب سيناء هو اعلي واوعر التضاريس في شبه الجزيرة ويضم قمما شاهقة واعلي القمم بروزا بشكل طبيعي هو جبل (موسي عليه السلام) او جبل سيناء بارتفاع ٢٢٨٥ مترا عن سطح البحر ، وجبل (سانت كاترين) بالقرب منه هو اعلي قمة في سيناء ٢٦٤١ متر ، وفي تل المنطقة توجد قمم صخرية بارزة وواجهات شديدة الانحدار تنتج ظلالا كبيرة عند ميل الشمس صباحا او عصرا ، وكذلك المناطق المحيطة بوادي (فيران) .
كل هذه المناطق منطقية وفقا للمسار الذي حددناه للرحلة بعد عبور البحر.

٥) اذا استقروا تحت الجبل عند وحدة من النقاط المرجحة وهي جميعا في نطاق جغرافي قريب جدا، ثم بدأت طلبات وشكاوي بني إسرائيل تتوالي..
الطلب الثاني كان المياه، فقد علمنا ان المنطقة لا يوجد بها أي مصدر للمياه خاصة في الصيف ولذلك فقد احتاجوا الي معجزة اخري ..

عيون موسي عليه السلام:
يخبرنا القرآن بتلك المعجزة في قوله تعالي:
وإذ استسقي موسي عليه السلام قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم – البقرة

وقوله تعالي: وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ – الأعراف ١٦٠

أولا: الحجر في اللغة : هو الصخر الصلب واحيانا يعني به الكتل الصخرية الكبيرة وقد يشمل الجبال أيضا في استعمال العرب ، اذا قد يقال الحجر علي جسم الجبل ، وقد يقال للأرض الصخرية شديدة الصلابة .

ثانيا: انبجست من الجزر ب-ج-س وتعني اندفع بشدة وتفجر من شق او ثقب صغير وليس تدفقا واسعا مثل النهر، والفرق بين (انبجست و انفجرت) هو الترتيب في الحدث، فالانبجاس هو اول الامر وهو تدفق الماء من كسر صغير في الحجر ثم بعد ذلك يبدأ بالاتساع مع شدة تدفق المياه فيصبح متفجرا.

ثالثا: أين مكان العيون :

منطقة عيون موسي عليه السلام تقع شرق محافظة السويس بالقرب من مدينة رأس سدر في جنوب سيناء وكانت في الأصل اثنا عشر عينا ولكن مع الوقت والإهمال طمرت معظمها وحاليا لا يوجد سوي خمس عيون ظاهرة منها عين واحدة فقط (بئر الشيخ) مازالت تتدفق بالمياه بينما جفت الاخريات او طمرت تحت الرمال. المياه التي كانت تتدفق من العيون عذبة وصالحة للشرب وقد أظهرت تحاليل المياه الجوفية في المنطقة ان المياه صالحة للاستخدام الادمي والزراعي حيث كانت تستخدم من قبل السكان المحليين للشرب قبل مشاريع الترميم .

تقع عيون موسي عليه السلام في منطقة ذات طبيعة جيولوجية مميزة حيث تتكون الأرض من صخور جيرية ورملية تنتمي الي تكوينات الميوسين وتتراوح ملوحة الأرض الجوفية في المنطقة بين ٧٦٠٠ جزء في المليون مما يشير الي وجود مياه عزبة نسبيا مقارنة بالمناطق المجاورة .

رابعا: هل ممكن تفجر الأرض الصخرية في المنطقة وخروج الماء منها:

من الناحية العلمية هذا ممكن ، فالمنطقة ليست صخرية تماما بل مزيج من صخور كربوناتية وطبقات رملية متماسكة ومناطق فيها شقوق طبيعية غير مرئية ومسام داخل الحجر الجيري وهذا النوع يسمح بتخزين المياه الجوفية تحت ضغط ، فالماء اذا يجد اضعف نقطة في الصخر مثل شق صغير او فاصل بين صخرتين ويبدأ بالانبجاس الاولي ثم ينفجر ، ويمكن بالتأكيد للإنسان اذا عرف موضع محدد ان يضرب عليه ليسرع عملية الانفجار

٦) اذا فقد علم موسي عليه السلام بوحي من الله أين يضرب في كل موضع لينفجر ، ومن الواقع الجيولوجي لمنطقة العيون الاثنا عشر فأنها تمتد علي مساحة حوالي نصف كيلومتر أي انه كان عليه ان يضرب في عدة مواقع لينفجر اثن اعشر موضعا موزعين علي المنطقة وليسوا متجاورين وعلي ذلك فان موسي عليه السلام قد ضرب عدة مواضع وليس موضع واحد بتحديد دقيق من الله تعالي لأضعف منطقة لكل عين .

والحكمة من عدد العيون هو ان يكون هناك عينا خاصة بكل سبط (سلالة من اسباط إسرائيل الاثنا عشر المنحدرين من ذرية يعقوب وهم يوسف واخوته الاحد عشر) وهذه يشير الي مدي التشاحن والتنافر بين اسباط بني إسرائيل رغم اتحادهم في الأصل (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي) .
٧) بعد ان حظوا بالظل والماء بدأوا يطلبون الطعام ، وذلك قوله تعالي : وانزلنا عليهم المن والسلوي – البقرة
ولنفصل ما نوع الطعام المذكور..
أولا: السلوي : طائر يؤكل – لسان العرب، وفي تاج العروس هو السماني عند جمهور اهل اللغة وهو طائر صغير لذيذ اللحم كان يأتيهم بكثرة ، وفي استعمال العرب قبل الإسلام يعرف طائر السماني (السمان) ويعتبر طعاما فخما .
ثانيا: المن: في معظم كتب اللغة يشار الي المن في الاستعمال القرآني بمادة حلوة تتكون علي الأشجار والصخور في جنوب سيناء وهي مادة سكرية تتكون علي اغصان واوراق أشجار الطرطر المنتشرة في جنوب سيناء وتتكون نتيجة لتغزيه حشرات صغيرة (الحشرات القشرية) علي عصارة الأشجار وتفرز مادة سكرية لزجة تعرف (بالندي العسلي) وتتبلور بسرعة في البيئة الصحراوية الجافة مكونة قشورا بيضاء او صفراء فاتحة علي الاغصان والصخور، وتوجد بكثرة في وديان سانت كاترين ومناطق منخفضة الارتفاع وتتجمع في الصباح الباكر قبل ان تذوب بفعل الحرارة .
ثالثا: كان عليهم ان يجمعوا المن من علي الصخور والاغصان صباحا قبل ان تذوب من الشمس ، وان ينصبوا فخوخا لاصطياد السمان (السلوي) او كان يقع بشكل طبيعي بفعل الشمس او أي سبب اخر.
٨)ولكن بني إسرائيل لم يكتفوا بهذا الطعام واصبحوا يطوقون الي حياتهم المزرية في مصر ولم يتذكروا منها سوي انهم كانوا يأكلون أنواعا متعددة من الطعام ونسوا عبوديتهم وقتلهم وتعذيبهم علي يد فرعون فطلبوا من موسي عليه السلام المزيد ، في قوله تعالي: قالوا لن نصبر علي طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقاها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله – البقرة
أولا:اختلف المفسرين في لفظ (مصرا) هل مقصود به اسم علم ام المعني اللغوي لمصر وهو : الأرض ، والحد والاقليم او البلد الذي له حدود معلومة – لسان العرب ، فيقال (امصار) أي بلاد .
اما عن صرف الكلمة (مصرا) فالأصل ان أسماء الدول ممنوعة من الصرف ولا يمكن ان تصرف مصر الا اذا قصد بها المعني وليس اسم العلم (الدولة) فطالما انها صرفت يكون المقصود بلدا او مدينة وليست دولة مصر ، والمنطقي ان موسي عليه السلام لن يأمرهم بدخول مصر التي حاربوا ونجوا منها لتوهم .
ثانيا: قوله اهبطوا ، يفيد النزول من مكان مرتفع الي مكان اقل ارتفاعا ، ولو كانوا في نطاق جغرافي حو منطقة (سانت كاترين) وجبل موسي عليه السلام ، فان اقرب منطقة بها ماء وزراعة واستقرار بشري ومحاصيل

متنوعة كما طلبوا ، هي (وادي فيران) وهو المرجح عند كثير من الباحثين ، لأنه قرب مكان استقرار بني إسرائيل ومنخفض نسبيا بالمقارنة بمكانهم ، وهو اكبر واد خصب في جنوب سيناء ومركز تاريخي للاستقرار وفيه واحات واشجار ونخيل .

ولا يشترط ان تكون المنطقة مأهولة بالسكان عند امر موسي عليه السلام لهم بالهبوط اليها بل يكفي انها منطقة خصبة تصلح للاستقرار والزراعة وبناء مدي سكنية لهم هناك وهو تحليل منطقي حيث طلبوا محاصيل متنوعة فكان عليهم ان يزرعوا ويعملوا ليحصلوا عليها،

واما قوله (ذربت عليهم الذلة والمسكنة) فالمقصود هو رفضهم في البداية لان ذلك سيتطلب منهم العمل والتعب بعد ان تعودوا ان موسي عليه السلام سيوفر لهم الطعام والشراب بدون تعب.

ويقع وادي فيران يقع جنوب غرب جبل موسي عليه السلام ويعتبر هبوطا طبيعيا من منطقة الجبل الي المناطق المنخفضة، ويبعد حوالي ٨-١٢ كم من مكانهم الأول عند سفح الجبل، ويحتوي الوادي علي عيون صغيرة وجداول موسمية تتغذي بمياه الامطار وذوبان الثلوج في جبال سانت كاترين .

٩)ونرجح انهم لم يرحلوا جميعا من عند سفح الطور الي وادي فيران بل مع الوقت بدأوا يسكنون كامل المنطقة ويبنون قري قد وصل بعضها الي البحر (القرية حاضرة البحر) والامر احتاج سنوات طويلة لتدعيم قري تصل الي البحر ، واقرب بحر هو (خليج العقبة) – اذا استثنينا إمكانية العودة الي الوراء الي خليج السويس – يبعد حوالي ٤٥ كم .





لقاء الله وتلقي الوحي

من المرجح جدا ان يكون صعود موسي عليه السلام للقاء ربه وتلقي الالواح وعودته قد حدثت في بداية الاستقرار أي خلال السنوات الاولي من الخروج ، وبعد ان استقر بني إسرائيل في وادي فيران وعرف كل انسان مكانه ومسكنه ، حيث يكون قد انهي موسي عليه السلام مهمته الاولي بإخراج بني إسرائيل وتوفير اساسيات الحياة ووضعهم في مكان حيث يقيمون حياتهم بشكل طبيعي ، ثم يأتي مهمته الثانية وهي تلقي الشريعة اليهودية من الله ، واعتقد انه من المعقول ان يكون ذلك حدث خلال ثلاث سنوات من الخروج كمتوسط منطقي، ويكون عمر موسي عليه السلام وقتها تقريبا خمسين عاما او يزيد قليلا.

١) عين موسي عليه السلام اخاه هارون راعيا وخليفة علي بني إسرائيل واخبرهم انه سيغيب مدة طويلة قد تتجاوز الشهر فوق جبل الطور للقاء الله وتلقي الشريعة ، ومن المنطقي ان يكون هناك مساعد واحد علي

الأقل يصاحبه في هذه المهمة الشاقة حيث يحمل معه المتاع ويساعده في التخييم والاستقرار فوق الجبل لمدة طويلة ويساعده في كتابة الالواح وحملها ، ونرجح ان هذا المساعد هو المقصود في قوله تعالي (وإذ قال موسي لفتاه) وهو تابع موسي عليه السلام المخلص وتلميذه كما سيرد تفصيله بعد ذلك.

٢) من المتعارف عليه ان الجبل الذي صعده موسي عليه السلام هو الهضبة المسماة (جبل موسي عليه السلام) وهي جزء من جبل الطور وقد استقر الباحثين المسيحيين علي هذا الجبل ويعرف بدير سانت كاترين الذي يعتقد انه مكان الاستقرار فوق الجبل ولا نجد دليل اثبات او نفي لهذا الاعتقاد ونرجح انه الأقرب للصحة ولذلك لا بأس ان يكون هو نفسه المكان الذي صعد موسي عليه السلام عليه لتلقي الوحي.

والجبل يرتفع حوالي ٢٢٠٠ متر ويمكن تسلقه اذ انه ليس عموديا بالكامل ويمكن تسلقه بعناء بدون أدوات تسلق وسيرا علي الاقدام.

٣) صعد موسي عليه السلام وفتاه الي الجبل وخيموا هناك واعدوا العدة للبقاء مدة طويلة ، ولا نعرف كم انتظر موسي عليه السلام قبل بدأ الوحي السماوي والاتصال ولا نعرف اذا كانت واقعة التكليم استمرت أيام ام أسابيع ام شهر ، ولكن ما نعرفه من القرآن هو ان هناك كلاما بطريقة ما دار مع موسي عليه السلام من الله مختلفة عن الطريقة التي يتلقى بها سائر الأنبياء وحيهم من الله ، وهذه المسألة غاية في الصعوبة والتعقيد ولذلك سنحاول التعمق والتفصيل الفلسفي والعلمي في تلك النقطة..

أولا: من العلم والمنطق:

نعلم ان الله تعالي لا يحده الزمان ولا المكان ولذلك فالله ليس كائنا في الوجود الذي نعيش فيه والذي يشمل الكون الفسيح بسماواته السبع وما فوقها وما بينها ، لان الكون كله متحرك والحركة تخلق الزمان والمكان (الزمكان) وهما مرتبطان لا ينفصلان ، فاذا فرضنا ان الله تعالي يدخل الي الكون فهذا يعني ان الزمان والمكان قد انطبقا عليه وهو ما يتعارض مع ازليته ويهو إقرار خاطئ بان الله محدود لأنه اذا كان غير محدود فلا يمكن ان يدخل في نطاق الكون المحدود ، وينطبق ذلك أيضا علي الأفعال التي تنتج عنه فاذا قلنا بان الله يتكلم فان ذلك يعني اننا افترضنا ان له الية يتكلم بها ، فالإنسان والحيوان مثلا يتكلمون بإصدار أصوات تحدث بسبب اهتزاز (حركة) الاحبال الصوتية وكذلك أي صوت هو ناتج تحرك او اهتزاز ما في المحيط المادي، اما الله فلا يمكن ان نثبت له الحركة بأي من اشكالها ، ولذلك فان فعل الكلام بالشكل الذي نعرفه (اللغة الصوتية) لا يمكن اثباته علي الله تعالي . والحل هو ان يكون الكلام المقصود ليس فعلا مباشرة صادرا من اله في وقت معين لان الوقت (الزمن) لا ينطبق عليه فليس عنده ماضي ولا حاضر ولا مستقبل ولا يكن ان نقول انه انتظر حتي العام الذي صعد فيه موسي عليه السلام علي الجبل ثم صدر عنه فعل الكلام ، ولكن الأقرب والاصح ان يكون قد برمج الكون ليحدث إشارات محددة تتكاتف معا بميكانيكية لتحدث اثرا خاصا يفهمه موسي عليه السلام.

ثانيا: من القرآن:

القرآن أيضا ينفي ان يكلم الله انسانا بشكل مباشر وذلك قوله تعالي:
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم – الشوري ٥١

والحقيقة ان هناك تعارض ظاهري فقط بين تلك الآية وبين الآية التي تثبت كلام الله لموسي عليه السلام وهي قوله تعالي: وكلم الله موسي عليه السلام تكليما – النساء ١٦٤

ولفض هذا اللبس سنفصل معاني الالفاظ لنفهم المقصود منهما..

الكلام: في لغة العرب : هو أصوات يعبر بها عن المعاني والمخاطبة بين اثنين ، وإيصال لمعني بالكلام – مقاييس اللغة، والمقصود د هو أيصال المعني المطلوب، لان الكلام قد يكون مجازا مثل الكلام بالإشارة الوضحة او الفهم القاطع لأنه يوصل المعني . ويجوز ان يكون الكلام تم بطريقة غير مسموعة كسماع الصوت في عقله مترجما بلغة الإشارات العصبية دون ان يمر علي الاذن التي ترسل الإشارات الصوتية للمخ ليترجمه الي إشارات يفهمها فقد تجاوز الله هذه المراحل واوصل الكلام الي العقل مباشرة .

لأننا اذا قلنا ان الكلام بين الله وموسي عليه السلام كان مسموعا لفرضنا ان الفتي الذي كان يصاحبه قد سمع أيضا كلام الله وهذا يتعارض من الخصوصية التي تميز بها موسي عليه السلام عن باقي البشر ، اذا من المؤكد ان كلام الله لموسي عليه السلام لم يكن بصوت مسموع مثل كلامنا العادي والا لسمعه جميع المخلوقات الموجودة من طير او حيوانات او أي كائن يمكنه ان يسمع .

وحيا: هو الإشارة السريعة الخفية من غير تصريح ظاهر من الناس ويكون بالإشارة اوز الكتابة او رسالة او الهام في القلب او كلام غير معتاد للناس والقصد ان الكلام لا يسمعه الا من قصد به وهذا يتفق مع ما ذكرناه مسبقا من خصوصية موسي عليه السلام بالكلام فلا يسمعه غيره ومتفق أيضا مع الآية في سورة الشوري، ولكن اذا قلنا ان ما حدث هو وحي فقط ، فان ذلك أيضا يتعارض مع خصوصية موسي عليه السلام بالكلام مع الله لان سائر الأنبياء قد اوحي اليهم باشكال مختلفة ، ونذكر حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم عن عائشة انها قالت : سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال - صحيح البخاري (٢) ومسلم ٢٣٣٣

ولكن كيف كان الكلام لموسي عليه السلام بشكل لم يتكرر مع باقي الأنبياء؟

الحقيقة اننا بعد ان استثنينا الكلام المسموع العادي – وهو ما يقر به المسيحيين استنادا للتوراه ان الله كلم موسي عليه السلام كما يكلم الصديق صديقه وهو ما لا يمكن قبوله لجلال الله .

الحجاب في اللغة: هو ما يستتر به الشئ ويمنعه وهو كل ما يحول دون الرؤية او الوصول المباشر . وقولنا (من وراء حجاب) أي يوجد سماع للكلام دون رؤية المصدر والغرض هو انه من المستحيل لأي بشر ان ينظر الي الله .

ثالثا: الاحتمالات المطروحة لطريقة الكلام:

لابد ان يكون كلام الله لموسي عليه السلام قد تم بلا وسيط – ملاك رسول – وهذا يمكن ان يكون امرا خاصا بموسي عليه السلام حيث ان أوامر الله تصل الي الأنبياء اما بواسطة رسول (جبريل عليه السلام) او إشارات في رؤيا (مثل ابراهيم عليه السلام وذبح اسماعيل عليه السلام) او إشارات يفهمها من البيئة المحيطة ، ولكن اذا كان موسي عليه السلام قد تلقي كلاما مباشرة من الله فلا يمكننا ان نفترض انه كلمه بلغة دون اخري لان ذلك أيضا يقيد الله بطريقة كلام صوتية وهو ما نفيناه ، والحل ان يكون الكلام مباشرا الي المخ يسمعه موسي عليه السلام في عقله يتردد ، تماما كما يمكننا نحن ان نستعيد جملا صوتية في عقولنا ونسمعها جيدا بصوت قائلها ونبرته دون ان يمر صوتا من خلال الاذن ، وكما سمع النبي صلي الله عليه وسلم جرسا وصليلا داخل عقله لم يسمعه من حوله من لناس، وهذا لا يتعارض أيضا مع قوله تعالي (وكلم الله موسي عليه السلام تكليما) لان الكلام وصل الي العقل وفهمه . والله تعالي اعلم.

٤)اما كلام موسي عليه السلام لله فمن الجائز ان يكون بصوت مسموع لان هذه هي قدراته البشرية علي الكلام، ويتلقي الإجابة بالطريقة التي شرحناها ، وقد استغل موسي عليه السلام هذه الفرصة التي لا تسنح لبشر ابدا ، فسأل الله ما هو اكثر من الكلام ، سأله الرؤية ، وموسي عليه السلام مثله مثل أي انسان لا يعرف ما هو الله انما يعلم يقينا انه هو خالق كل شيء وهو الأول والأخر وهو المستحق للعبادة والخضوع ، ولكنه لم يفهم ان الله لا يري ، ولا ينبغي ان يري .

وهذا ينقلنا الي معضلة اصعب من تلك الاولي المتعلقة بالكلام، وهي كيفية التجلي..

قال تعالي: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ – الأعراف ١٤٣

كيف تجلي الله :

أولا: التجلي في اللغة :هو البروز بعد الخفاء وهو الانكشاف والظهور ، فيقال تجلت الشمس من وراء السحاب وتجلت الحقيقة ، والتجلي لا يعني بالضرورة الحضور والحلول فمهما ضربنا امثلة مادية لتسير التجلي فلا يجب ان تنطبق علي الله ، لان تجلي الأشياء ليس كتجلي الله واري ان كل من يعتقد ان الله قد حل علي الجبل او ان (جزء منه) او (نوره الذاتي) او أي من تلك المفاهيم فهو اقرب للشرك، لان هذا هو اعتقاد المسيحيين الذين يقرون إمكانية حلول الله في الكون كحلوله في عيسي عليه السلام ويقول اباء الكنيسة ان حلوله مثل حلول نور الشمس علي الأرض مع بقاء الشمس في السماء وكل هذا موفوض تماما .

اذا التجلي هو الانكشاف فقط دون حلول .

ثانيا: ما الذي ظهر واثر بقوته علي الجبل؟
الحقيقة ان قولنا ان الله تجلي لا يعني الله نفسه بل صفة من صفاته او اثر من اثاره لان الصفة تدل علي صاحبها ولا احد غيره ، واعني بصفاته أي قدرته ، فاذا افترضنا ان ما حدث هو رجفة (زلزال موضعي) تحت الجبل جعله يهتز بشدة وسقط منه أجزاء صغيرة (جعله دكا) فان ذلك لا يتعارض مع المعني المراد أيصاله لموسي عليه السلام ، وهو ان ما رأه هو اصغر صورة لقوة الله وهو انه قادر علي ان يسوي هذا الجبل بالأرض وهو جبل ضخم جدا، ولذلك فهم موسي عليه السلام قدر الانسان الضئيل مقارنة بالله الغير محدود و تعلم الدرس الذي أراده الله وهو ان الكون المحدود لا يمكنه ان يتسع للامحدود وهو الله، ولذلك قال انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني، وهي ليست جملة شرطية تفهم منها ان هناك احتمالين اما ان يستقر الجبل او لا يستقر، ولكن المقصود هو الاستحالة ، تماما مثل قوله تعالي (يا معشر الانس والجن ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والأرض فانفذوا – الرحمن) وهو لا يعني إمكانية ذلك بل هو استنكار وتعجيز ، اذا المقصود ان الجبل لو استقر – وهذا مستحيل – فسوف تراني وبالتالي يريد الله ان يقول لموسي عليه السلام انك لن تراني طالما انت في حدود الكون المادي المحدود
والخلاصة اذا : ان التجلي ليس ظهورا استثنائيا لله ولا حلولا ماديا ولا نور خاص جاء من خارج الكون من عند الله وحل علي الجبل ، بل هو مجرد اظهار لقدرة الله الشديدة القادرة علي نسف الجبل بالكامل ولكن الله اكتفي بانهيار لجزء صغير منه – جبل الطور لازال موجودا ولم يتم دكه بالكامل – حتي يفهم موسي عليه السلام مدي صغر الجبل بالنسبة لله وان الانسان لن يتمكن ن رؤية الله .
٦) من الواضح ان الرجفة التي حدثت كانت شديدة علي موسي عليه السلام فصعق وفقد وعيه ثم افاق وقد فهم الرسالة و واستغفر الله علي طلبه الغير ممكن التحقيق.
ثم بدأ يتلقى من الله الوحي بالوصايا التي تشكل بداية الشريعة الموسوية ، ولنفهم ما هي الالواح وماذا كانت تحوي وأين هي الان..
أولا: قوله تعالي: قال يا موسي عليه السلام اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي وكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء وموعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين – الأعراف ١٤٥
قوله تعالي (وكتبنا) لا يجب ان يفهم بالضرورة انه الله كتب الالواح والقاها الي موسي عليه السلام جاهزة ، فنسبة الفعل لنفسه لا تعني بالضرورة انه فعل مباشر من الله ، ويجوز ان نفهم ان الله املي الالواح وموسي عليه السلام كتبها ويكون اصل الفعل راجعا اليه ، كقوله تعالي (ونبذناه بالعراء وهو سقيم) لا يعني ان الله هو الذي لفظ يونس علي الشاطئ بل الحوت هو الذي فعل ولكن كان بتدبير من الله فنسب الفعل الي نفسه،

وقولنا ان فلانا قتل اخر حتي لو كان قد استخدم قاتلا مأجورا ليقتل بدلا منه. وقوله تعالي (انا نحن نزلنا الذكر) وقوله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) والمقصود القرآن الذي نزل بوحي.

اذا تلقي موسي عليه السلام الكلام من الله ثم قام بكتابته علي الالواح ، وقد عرفنا ان موسي عليه السلام قد تعلم الكتابة في قصر فرعون من قبل.

ثانيا: الالواح: لا يوجد دليل مؤكد علي المادة التي صنعت منها، ولكن نرجح انها من الحجارة المقطوعة او المتناثرة علي الجبل وهي كثيرة ، لان القرآن يخبرنا ان موسي عليه السلام قد القي الالواح علي الأرض بقوة ثم اضطر لنسخها ، مما يقطع بانها قد تكسرت ، وهو ما يدعم كونها من الحجارة

اما عن مضمون تلك الالواح ، فان القرآن لم ينص صراحة علي مضمونها الا انه فقط أشار الي انها موعظة وتفصيلا لكل شيء، اما الموعظة فمن المرجح ان تكون الوصايا العشر ، وفقا للرواية التوراتية فقد أعطيت لموسي عليه السلام علي جبل سيناء وكتبت علي لوحين من حجر بأصبع الله ، وبغض النظر عن (اصبع الله) فان الوصايا العشر تتضمن اقساما تحوي عظات عن تحريم الشرك بالله وعبادة التماثيل وتقديس ليوم العبادة وما يتعلق بحقوق البشر (من ٥ الي ١٠) كبر الوالدين وتحريم القتل وتحريم الزنا والسرقة والطمع وهذا ثابت بنص القرآن مما يدعم كونها علي الأقل جزءا من مضمون الالواح وذلك قوله تعالي: وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا الله والوالدين احسانا وذي القربي واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الذكاة ثم توليتم الا قليلا منكم واتم معرضون، وإذ اخذ ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم اقررتم واتم تشهدون – البقرة

واما عن قوله تعالي (وتفصيلا لكل شيء) فمن المرجح انه كان صفة للصلاة وطقوسها وشئ عن الزواج والطلاق والمواريث وغيرها من احكام الشريعة الموسوية (لم تكن تسمي يهودية بعد كما سيرد تفصيله).

اما عن اللغة التي كتبت بها اللواح فهناك امرين:

الأول هو اللغة نسها وهي العبرية القديمة المنطوقة وهي لغة كنعانية – نسبة الي لغة يعقوب ويوسف والاسباط الذين عاشوا في كنعان.

والثاني هي الحروف التي نحتت بها وهي ليست حروفا عبرية كما يعتقد ، اذ ان اللغة العبرية لم تكن قد ظهرت كلغة مكتوبة بعد ، ومن المرجح ان تكون حروفا بالأبجدية الكنعانية السينائية الأولية وهي تشبه العبرية الحالية وحروفها بدائية (رسوم) تطورت بعد ذلك لتكون اللغة الفينيقية ثم العبرية الحديثة ، ولا نرجح انها كانت بالهيروغليفية – رغم علم موسي عليه السلام بها جيدا – لان بني إسرائيل لم يكونوا يعرفون الكتابة الهيروغليفية رغم اقامتهم بمصر لأنها كانت لغة مقصورة علي الكهنة والملوك وبعض المصريين ولا يوجد طريقة للعبيد لتعلمها في مدارس المصريين .

التوراة تقول ان الالواح كانوا اثنين، وكان الواحد طوله متر ونصف وعرضه نصف متر ، وهو امر معقول بالنسبة لإبعاد لوح حجري يمكن لرجل واحد حمله ، فاذا افترضنا ان الالواح حوت الوصايا العشر وبعض طقوس الصلاة والزواج والطلاق والمواريث وبعض الأمور الأخرى بالحروف السينائية القديمة ، فان لوحا بهذه الإبعاد قد يحمل حوالي ٦٠٠ حرف أي ١٢٠٠ حرف اذا كانا لوحان وهو ما يكفي جدا لشمول جميع النصوص ، ولذلك فلا مانع من قبول رواية التوراة فيكون موسي عليه السلام حمل لوحا وفتاه لوحا ثان ويتفق أيضا مع إمكانية القاء موسي عليه السلام للألواح مرة واحدة .



جبل موسي (الطور) وقمة مرجحة ان تكون موضع الدك

عودة موسي عليه السلام وعبادة العجل

ننتقل الي واحدة اخري من النقاط الجدلية في قصة سيدنا موسي عليه السلام ، وهي قصة العجل والسامري..
١) ان القرآن يقطع بالمدة التي قضاها موسي عليه السلام في رحلته الي جبل الطور وهي أربعين يوما ، وفي موضع (ثلاثين يوما واتممناها بعشر) وهو أيضا ما تتفق نعه رواية التوراة ، والحقيقة ان موسي عليه السلام لم يكن يعرف المدة مسبقا ولم يخبر قومه ولا هارون بالمدة التي سيغيب فيها ، ولذلك اصبح بني إسرائيل

متوجسين بعد ان طالت المدة ثم بدأ أئمة الكفر يعملون عملهم بتضليل الناس ونشر الأكاذيب فانتشر اعتقاد بان موسي عليه السلام قد مات او ان الله اخذه الي السماء وانه لن يعود ، او سيمكث امدا طويلا ، واصبح عليهم ان يتدبروا امرهم علي هذا الأساس .

٢) كان هارون هو خليفة موسي عليه السلام في بني إسرائيل ولكنه لم يكن قادرا علي صد هذا الكم من الضلال والكفر الذي اصبح طابعا في بني إسرائيل ، وقد أشار القرآن الي هذه الطبيعة فيهم في كثير من المواضع ، فكلما جاءهم نبي ليخرجهم من الظلمات الي النور ، فانهم يميلون الي الظلام دائما كانه نزعة أساسية فيهم، لم يقدر هارون علي السيطرة عليهم فنأي بمجموعة من الذين بقا علي أيمانهم وظلوا تابعين للنبي واصبح الغالبية من بني إسرائيل تحت امرة أئمة الضلال وعلي رأسهم ذلك (السامري).

٣) **السامري:** هو شخصية لاقت جدلا كبيرا عبر العصور وتم التهويل منها حتي وصل الامر بالادعاء انه هو نفسه المسيح الدجال ، وبعيدا عن هذه الخرافات المبالغ فيها والتي يميل اليها محبوا الخيال والاساطير، فان السامري اسم قراني لم يذكر في التوراة ، وحتي قصة صنع العجل نسبوها لي سيدنا هارون نفسه ، ولكن القرآن نثبت براءته واظهر الفاعل الحقيقي.

السامري ليس له معني في العربية او العبرية ، ولذلك فنرجح انه اما ان يكون اسم علم او اسم انتساب ، اما اذا افترضنا انه انتساب الي مدينة او قبيلة فيجب ان نجد هذه المدينة في القرن لثالث عشر قبل الميلاد ، والحقيقة ان ذلك متعذر جدا، اما مدينة (السامرة) التي أصبحت عاصمة إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد ، فهي متأخرة جدا ،

واما الفرض بانه اسم علم فهو الأقرب للمنطق ، والحقيقة ان كلمة سامر تقابها في العبرية (شومر) وتعني الحارس او المحروس، ولذلك نرجح ان يكون السامري هو تعريب لاسم عبري (شومر ، شامر ، شمر) ولا يوجد أي مصادر اخري لأثبات او نفي ذلك.

ونرجح ان يكون السامري احد زعماء الاسباط الاثنا عشر والذي لديه قدر من العلم والحنكة والذكاء والقدرة علي الاقناع حيث استطاع ان يتزعم بنو إسرائيل بسرعة في فترة غياب موسي عليه السلام بل ويتفوق علي سلطة هارون النبي الذي عينه موسي عليه السلام نفسه علي بني إسرائيل، والقرآن يقر هذا الفرض (واضلهم السامري) ولذلك فقد اصبح السامري هو صاحب السلطة المؤثرة وقائد بني إسرائيل في غياب موسي عليه السلام وهو غالبا الذي اقنعهم بموت موسي عليه السلام عليه السلام.

٤) لكي يثبت السامري من سلطته علي عقول بني إسرائيل عرف ان السبيل الي ذلك هو بإرضائهم واعطائهم مما رفض موسي عليه السلام ان يعطيه لهم من قبل ، فقد سالوا موسي عليه السلام ان يصنع لهم اله (تمثال) ولكن موسي عليه السلام رفض ونهرهم علي ذلك ، والان قد غاب موسي عليه السلام ، فقرر ان يصنع لهم

تمثالا لأله موسي عليه السلام فصنع لهم تمثال العجل وقال لهم هذا اله موسي عليه السلام وبالطبع قبلوا الفكرة لأنها كانت نائمة بداخلهم من قبل وتنتظر إيقاظها.

٥) العجل:

قال تعالي: وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ --الاعراف ١٤٨

وقال تعالي: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ – طه ٨٨

اولا: لماذا العجل ؟

غالبا بسببين ، أولهما ان اقامتهم في مصر جعلتهم يتأثرون بعبادة (ابيس) وهو عجل (ثور) وكان مقدس بشدة في هذا الوقت وله معابد وطقوس ورمز للقوة والتجدد فترسخ ذلك في عقولهم كصورة للاله ،

وثانيهما تاثرهم قديما بالاله (بعل) الكنعاني منذ حياتهم في كنعان وتوارثوا ذلك عبر الأجيال – فلا يمكن ان نجزم ان بني إسرائيل كانوا جميعا متدينين ومؤمنين بالله الواحد طوال مدة وجودهم في مصر وحتي قبل ذلك – والاله بعل وجد في البيئة المحيطة بسيناء وبلاد الشام وكان يصور غالبا واقفا فق ثور او ممثلا برمز ثور وكذلك بسبب ما يحمله الثور في العقيدة المصرية والكنعانية من معاني كالخصوبة والخير والقوة وغيرها مما يحتاج اليه بني إسرائيل.

ثانيا: المادة التي صنع منها:

الرواية التوراتية تقول انهم قاموا بإذابة الحلي الذهبية التي كانت معهم وصنعوا منها العجل، والحقيقة انه لا يوجد مادة اخري في هذه المنطقة الجبلية والصحراوية لصناعة تمثال من الحديد او البرونز لأنه بالطبع من المستبعد ان يقوموا بأعمال تعدين للحصول علي هذه المعادن فضلا عن عدم توفرها بتلك المنطقة، وبالتالي فان التمثال سيكون اما من الذهب الذي بحوزتهم بالفعل ولا يحتاج الا للصهر واما ان يكون حجريا وهو ما يصعب فكرة التجويف الذي سيجعله يصدر الخوار كما سنشرح بع قليل ، وبالتالي فاحتمال الذهب هو الأقرب للمنطق.

اذا قاموا بانشاء افران صهر صغيرة في الأرض وهي تقنية غالبا تعلموها اثناء وجودهم في مصر لفترة طويلة ، ولا تحتاج الي إمكانيات كبيرة فهي حفر في الأرض محفوفة بالحجارة يوضع بها مواد كوقود مثل الفحم النباتي واستخدام هواء منفوخ باليد (المنافيخ وهي قرب من الجلد) ووعاء مقاوم للحرارة (فخار) وينفخ فيه حتي تصل الحرارة الي ١١٠٠ درجة وهي درجة يزوب فيها الذهب، ثم يعاد تشكيله في الصورة المطلوبة .

ثالثا: الخوار: وهو صوت العجل او البقر ، ولكن كيف يمكن ان نجعل للتمثال صوت خوار ؟

الحقيقة ان افتراض ان السامري ساحر قد قبض قبضة من اثر الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم ليصنع بها سحرا يجعل للعجل صوت هي فكرة ساذجة بعض الشئ اذ يمكن بسهولة ان نجعل صوت الخوار باستخدام تجاويف بشكل معين داخل جسد التمثال بحيث يدخل الهواء من ناحية ويخرج من الفم فيخرج

الصوت المطلوب، وهي تقنية ليست جديدة في هذا الزمن وقد فعل المصريين ذلك وكذلك السومريون وانتجوا الات موسيقية تصدر أصواتا متنوعة بالنفخ الهواء بواسطة التجاويف المتباينة .

وهذا يظهر في قول السامري في القرآن (بصرت بما لم يبصروا به) وهو علمه بتلك الخدع فقد صنع العجل بشكل محدد (انظر الشكل المصاحب) يدعم خروج صوت يشبه الخوار ويمكن عمل ذلك اليوم بدون أي سحر.

٦) عندما انتهي موسي عليه السلام من مهمته اخبره الله تعالي بما حدث في غيابه ونبأة بأمر العجل فرجع مسرعا غاضبا مع فتاه الي بني إسرائيل فوجد هذه الكارثة ، ولا نعلم اذا كان القاءه للألواح قبل ان يصل اليهم ام بعد ان دخل ورأي بنفسه واشتد غضبه وهو المرجح غالبا.

اول ما فعله موسي عليه السلام هو ان توجه الي اخاه هارون ، وامسك بشعر راسه وشعر لحيته وهو في قمة غضبه ،كانه يلوم هارون علي تركه لهذه المهزلة دون ان يمنعها ، ولكن هارون اخبره ان لا يشمت بهم الأعداء (السامري واتباعه) بما يقطع ان بني إسرائيل قد انقسموا الي فرقتين واحدة مؤمنة مع هارون والأخرى الغالبية بقيادة السامري، ثم شرح له ان القوم استضعفوه (لان فرقته قليلة وضعيفة) انه لم يرد ان يقاتلهم حتي لا تحدث فتنة كبيرة وانتظر حتي يعود موسي عليه السلام – هارون نبي ويعلم ان موسي عليه السلام لم يمت كما قالوا – ولما هدأ موسي عليه السلام وسكت عنه الغضب ترك اخاه وعلم انه نبي ولن يخطئ ، والان انتهت سلطة السامري علي بني إسرائيل بعودة موسي عليه السلام الذي فرح به الغالبية وعندما رأوه علموا ان السامري قد اضلهم لأنه قال ان موسي عليه السلام قد مات ، والان تم احضار السامري للتحقيق معه.

٧)قال تعالي: قال ما خطبك يا سامري، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول صلي الله عليه وسلم فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي – طه ٩٦

أولا: بصرت في اللغة قد تعني الابصار أي رؤية الشئ ، وقد تستخدم للعلم ، فيقال بصر بالامر علمه وفهمه – تاج العروس، وبصر تدل علي الوضوح والرؤية والظهور والانكشاف ومنه انتقل الاستعمال الي العلم – لسان العرب.

اذا المقصود هو انه علم أمورا لم يعلمها الناس ، وكما قلنا كان يعلم كيفية صنع التجاويف التي تخرج صوتا كصوت الخوار.

ثانيا: قبضة: الاخذ باليد او الجمع بالكف .

اثر الرسول صلي الله عليه وسلم : هناك اختلاف علي المقصود بالرسول صلي الله عليه وسلم ، فأولئك الذين ذهبوا الي ان السامري قد صنع سحرا في العجل قالوا بانه رسول الملائكة (جبريل عليه السلام) وان السامري قد راه وهو يكلم موسي عليه السلام ، فقبض قبضة من اثر ارجل فرسه ، ولكن هذه الرواية فيها كثير من الافتراضات التي لا يوجد عليها دليل فضلا عن المبالغة التي تعطي للسامري قدرا يساوي قدر وخصوصيات الأنبياء، فلا يجوز ان نقول بان رجل عادي استطاع رؤية جبريل وتمييزه ، اذا كان الرسول صلي الله عليه وسلم

صلي الله عليه وسلم لم يره الا مرة واحدة علي هيئته وكان يري غير ذلك في صورة انسان. ولم يثبت بالدليل ان نبيا قد رأي جبريل علي صورته ، واذا كان علي صورة انسان فلا يوجد دليل علي امتطاءه فرسا او غيره وهذا القول مرفوض تماما اذ فيه ادعاء بصفة من صفات الملائكة لم ينزل بها نص او دليل شرعي.

والاصوب ان يكون هذا الرسول صلي الله عليه وسلم هو موسي عليه السلام عليه السلام لأنه من الرسل وليس هارون فهو نبي فقط .

ثالثا: نبذتها: أي القيتها وتخلصت منها ، ونبذ الشئ أي لفظه ابعده وليس وضعه او ادخله ، فاذا فرضنا انه اخذ القبضة من اثر الرسول صلي الله عليه وسلم فوضعها في اناء او في العجل فلا يكون قد نبذها لأنه استخدمها واحتفظ بها ، اما النبذ فهو الالقاء بغرض التخلص ، ونفهم ذلك في قوله تعالي: ونبذناه بالعراء وهو سقيم – الصافات، والقصد هو ان الحوت لفظ يونس خارج بطنه .وقوله تعالي (اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) أي تخلص منه وانكره ، وقوله (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم – البقرة). والاصح ان نقول نبذها أي تخلص منها او اخفاها .

رابعا: نأتي الي السؤال الصعب، ما القبضة التي قبضها من اثر موسي عليه السلام؟

اول شيء يجب ان نتفق انه لا يوجد اعمال سحرية في القصة ، فالسامري رجل لديه علم بالحيل والخداع وليده ذكاء شديد ، وقد حاك مؤامرة وخطة بهدف اعتلاء السلطة والسيطرة علي بني إسرائيل بالتضليل والتدليس ، أولا بإعلان موت موسي عليه السلام وعدم رجوعه مرة اخري، وثانيا ببنائه للعجل كاله ، وهو ما يخالف صراحة ما قرره موسي عليه السلام من قبل ، ولكن ما الذي جعل الناس تقره علي مخالفته لأمر موسي عليه السلام وخاصة اننا نفهم قوة وهيبة موسي عليه السلام عليه السلام في قلوبهم ، وهناك فرض ان يكون السامري قد ادعي النبوة فقال ان موسي عليه السلام اعطي اليه العهد والخلافة ولذلك فان النبي يمكن ان يتلقى وحيا بإلغاء ما قرره نبي سابق عليه ، وهذا مطابق للفظ (اضلهم السامري) وهذا ما جعلهم يتبعوه ويؤمنوا به الا أولئك الذين ظلوا مع هارون عليه السلام ، وبعودة موسي عليه السلام ظهر بطلان نبوته التي اعتمدت أساسا علي ان موسي عليه السلام قد مات او ذهب للابد، وهناك فرضان للمقصود باثر الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم :

فرض رمزي: يعني ان الأثر المتبقي من الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم هو كلامه وتعليماته وسنته فقد نبذها أي وضعها وراء ظهره وهو المعني الذي استعمله القرآن ، وفي القرآن أيضا يأتي (الأثر) بمعني القوانين والعقائد الباقية من أناس ذهبوا او ماتوا وهذا قوله تعالي (قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ) والاثر هنا هو عقائد اباءهم في عبادة الاصنام وليست اثار مادية، اما القبضة فاذا كان المعني مجازيا فسيتكون اخذ جزء من كلام موسي عليه السلام ونبذه وراء ظهره أي اهماله ونسخه وقطعه من السياق وهي قاعدة تحريم اتخاذ الاصنام .

المعني المادي: وهو انه اخذ قبضة بالفعل من شيء يخص موسي عليه السلام عليه السلام وليس من اثر قدميه من التراب وربما جزء من ملابسه ، والاثر هو ما يبقي من الشخص بعد ذهابه او موته ، واما نبذها

٨) المعضلة الثانية في قصة السامري هو الجزاء الذي قرره موسي عليه السلام ، في قوله تعالي (قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول الا مساس وان لك موعدا لن تخلفه – طه ٩٧

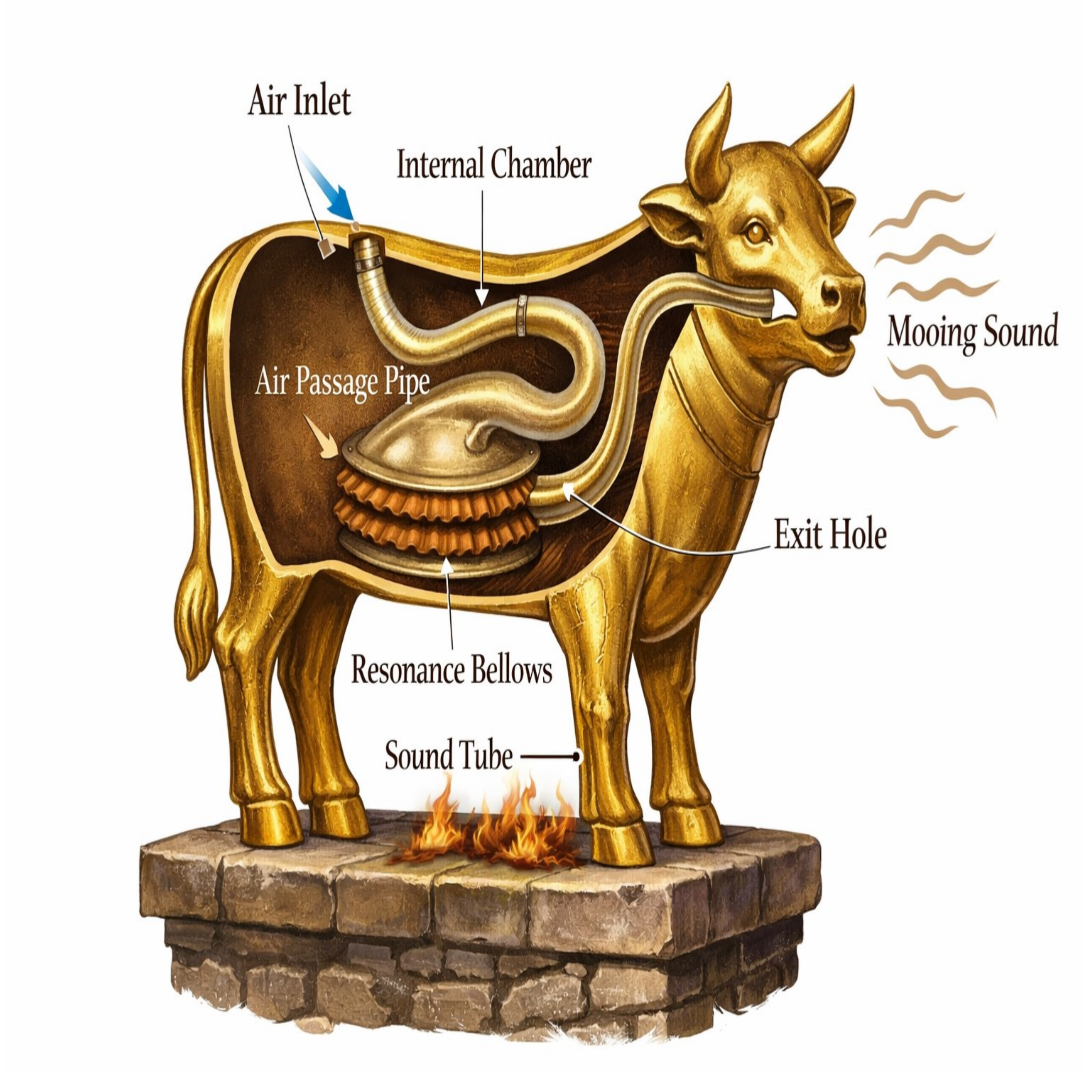
أولا: لا مساس : هناك فرق في الاستعمال اللغوي لكلمة (مساس) و كلمة (لمس) ، اما اللمس في اللغة فيعني اتصال اليد بالشئ اتصالا ماديا خفيفا ولا يشترط الضغط ويكون غالبا غير مضر، اما المساس فله محمل مادي ومعنوي، اما المادي فيعني اللمس المقترن بفعل وليس مجرد الصاق اليد بالشئ ، مثل قوله تعالي (ولم يمسسني بشر) والمعني هو النكاح والمضاجعة أي لبس مجرد لمس خفيف بل مقترن بفعل كامل ، وقوله تعالي (لا يمسه الا المطهرون) ، اما المعني الرمزي نراه في قوله تعالي: (وان يمسسك الله بضر) وقوله تعالي (لم يمسسهم سوء) وقوله (وليمسنكم منا عذاب اليم) .

والمساس في استعمال العرب يعني به الاختلاط والاتصال بالشيء ليس فقط باللمس بل بالتفاعل والتعامل الكامل ، وقولنا (لا مساس) أي الاعتزال والترك والامتناع عن التعامل مع الشئ فقوله تعالي في سياق قصة ناقة ثمود حيث قال هود لقومه (لا تمسوها بسوء) أي انه استثني التعامل معها بالسوء واجاز لهم المساس بالخير كالإطعام او حلب اللبن ، وفي قصة السامري ، قال (لا مساس) أي حرم الاتصال بالخير او بالشر ، والمفهوم من ذلك هو النبذ او الاعتزال الكامل والانقطاع عن الناس ، فيحرم عليه التعامل مع الناس ويحرم عليهم معاملته.

ثانيا: قوله (ان لك في الحياة) : بعض الباحثين ذهب الي ان (لك) تعني بالضرورة شيئا في صالحه أي ميزة ، وعليه فان موسي عليه السلام قد علق عنه العقوبة في الحياة وتركه لعقاب الاخرة فقط، وهو امر غير مقبول حيث ان أي شريعة سماوية تقتضي العقاب الرادع علي الخطيئة وكانت خطيئة السامري هي الكفر والتضليل والتحريض علي الشرك وهي اقصي درجات الخطأ فكيف لا يعاقب في الدنيا امام الناس ،

ولكن قوله (ان لك) لا تعني في استعمال العرب دائما شيئا جيدا بحيث نقول (لك) أي في صالحك و(عليك) أي ضدك، ولكن تعني انه المسموح لك او المتاح وقد يرد بالنفي مثل قوله تعالي (ليس لك ام تتكبر فيها) وبالإيجاب مثل قوله (ان لك الا تجوع فيها ولا تعري) والمقصود في قصتنا هو ان هذا هو المتاح فيما تبقي له من عمر وهو ان يبقي وحيدا منبوذا منقطعا عن العالم وهذا هو جزاءك في الدنيا (ان لك في الحياة) وله جزاء اصعب في الاخرة .

اما عن قولهم ان موسي عليه السلام لم يسلط عليه في الدنيا لأنه هو نفسه المسيح الدجال فهو قول لا دليل عليه بالمرة .



تصور لكيفية تصميم العجل بحيث يكون له خوار بطريقة هندسية ذكية

قصة البقرة

١) قلنا ان صعود موسي عليه السلام لجبل الطور كان خلال ثلاث سنوات من الخروج تقريبا وربما اقل ، ويكون ذلك حوالي ١٢١٠ ق.م وقد تجاوز الخمسين عاما بقليل، وبعد رجوعه وعبادة قومه للعجل ومعاقبة

السامري، وقد القي موسي عليه السلام الالواح وقت الغضب ، ثم بعد ذلك قام بإعادة نسخها في الواح جديدة ، وبدأ بعد ذلك في تعليمهم الشريعة الجديدة ووضع أسس الدين وتعليمهم الصلاة وكتابة القوانين في الزواج والطلاق والمواريث والعقوبات والمحرمات، وعاش موسي عليه السلام زمنا يؤسس لهذا الدين ، وهو اول شريعة سماوية متكاملة ، وباستمرار نزول الوحي كان موسي عليه السلام يدعم اركان هذا الناموس ، ومع مضي السنين كان بنو إسرائيل يتوسعون جغرافيا ببطء محو خليج العقبة وقد أنشئت قري صغيرة متباعدة نسبيا ، ويمكن ان نقدر المدة التي احتاجوها ليصلوا الي اقرب نقطة من خليج العقبة (البحر) حوالي عشر سنوات وهي المدة المنطقية وفقا لحسابات الموثقة لتزايد السكان وتتابع الأجيال في بيئة صحراوية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . خلال تلك الفترة يخبرنا القرآن بوقوع حادثة البقرة والتي سميت باسمها اكبر سور القرآن.

٢) ان الرواية في القرآن تتلخص في ان رجل من بني اسرائيل قد قتل وبعد تحريات كثيرة لم يعرف قاتله ، وطلب الناس من موسي عليه السلام ان يسأل ربه عن القاتل ، فاراد الله ان يحدث معجزة تعيد لبني إسرائيل أيمانهم الذي كان يقل مع مرور الوقت كعادتهم.

اخبر الله موسي عليه السلام بطريق الوحي او الرؤيا او الإشارة ان المطلوب ان يتكبد بني إسرائيل بعض العناء من اجل الحصول علي مرادهم ، فكان المطلوب هو احضار بقرة .

ان السياق القرآني مقصود بدقة، فكان من الممكن ان يخبرنا انه طلب منهم احضار بقرة بمواصفات محددة في اية واحدة ولكن القرآن جعل ذلك علي مراحل في ك مرحلة يطلب موسي عليه السلام امرا ثم يجادل قومه ليعسروا الامر علي انفسهم فيعسره الله عليهم.

٣) نقرأ القة في قوله تعالي: وإذ قال موسي عليه السلام لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ٠ البقرة

اذا كان الامر في البداية بسيط وهو مجرد بقرة ولكن استكبار الناس وجدالهم صعب الامر عليهم ، حيث طلبوا من موسي عليه السلام تحديد صفات البقرة ولكن الله لم يطلب صفات محددة في البداية .

قال تعالي : قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك – البقرة٦٨

أولا: الفارض: أي الكبيرة المسنة من البقر وهي التي كثر ولدها وانقطع لبنها.

ثانيا: البكر هي التي لم تتزوج ولم تنجب،

والمقصود هو بقرة تزوجت وانجبت مرة واحدة او اكثر ولازالت صغيرة في السن .

ولكنهم لم يكتفوا بهذا الوصف السهل بل طلبوا توضيح وتفصيل للون البقرة.

قال تعالي: قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها – البقرة

أولا: هل يوجد بقر بهذا اللون؟

الحقيقة ان ذلك موجود لكن نادرا جدا ، ومثال ذلك :

-ابقار (جيرسي) لونها يتراوح بين اصفر الذهبي الي بني فاتح .
-ابقار(غيرنسي) لونها ذهبي مائل للاصفر مع بقع بيضاء أحيانا.
ولكن رغم ندرة هذا اللون في صحراء سيناء الا ان الله تعالي عندما طلب بقرة محددة فان هذا يعني انها موجودة ، وان مثل هذا التحدي يعني بالضرورة وجود عدد لا بأس به من الابقار في هذا الوقت مع بني إسرائيل في سيناء مما يدعم قولنا بان مدة طويلة قد مرت بعد الخروج والتي خلالها يتوقع تكاثر الابقار وزيادة عددها عن العدد القليل الذي خرجوا معه .
٣)لم يكتف بني إسرائيل بهذا الوصف الصعب بل طلبوا المزيد من التفاصيل وهذا ما حصلوا عليه ، المزيد من التعقيد.
قال تعالي(قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها – البقرة ٧٠
أولا: لا ذلول أي مرفهة لا تشارك في العمل بل تأكل وتنام وترتع ، وهو طبيعي بالنسبة لبقرة لازالت صغيرة في السن .
ثانيا: تثير الأرض : أي تقلبها وتحرك ترابها والمقصود البقر الذي يشد المحراث فيشق الأرض ويقلب طبقتها السطحية وهذه الطريقة معروفة من قديم الاذل في مصر القديمة منذ الدولة المبكرة وقبل التوحيد فهو محراث خشبي بسيط يجره زوج من البقر وهي من الأسس الكبرى للزراعة.
ثالثا: تسقي الحرث: أي تجر الساقية وهو أسلوب معروف في مصر القديمة مشابه للساقية الموجودة اليوم ولكن بشكل بدائي وهناك مناظر علي جدران المعابد المصرية تصور ثيران يجرون الساقية في شكل دائري.
رابعا: مسلمة لا شية فيها: أي صحيحة بدنيا ولا عيب فيها ، والشية العيب او العلامة او الأثر المخالف وقد يشمل البقعة علي اللون الصافي، والقصد انهم وجدوا البقرة المطلوبة بصعوبة شديدة.
٤) قال تعالي: قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتي ويريكم آياته - البقرة
أولا : اضربوه : الضرب لغة هو احداث اثر في لاشئ بحركة او تماس او مواجهة والضرب قد يكون بالإيقاع باليد او الأداة ، وقد يكون بمعني الالقاء او الوضع مثل قولنا (ضرب عليه الذل) و(ضرب الحصار) والمعني المقصود هنا هو الضرب بمعناه الأول أي احداث الأثر المباشر بالاحتكاك.
ثانيا : بعضها : أي جزء محدد من البقرة بعد ذبحها .
ولا توجد أي دلائل اخري عن كيفية استعمال البقرة بالتحديد ولكن المؤكد هو ان المقتول قد افاق واخبر عن قاتله ثم مات، ومثل الكثير من المعجزات في قصة موسي عليه السلام بالذات ، فانه لا يوجد تفسير علمي للحدث ، كما انه لا توجد لدينا معلومات كافية عن تفاصيله يمكن تتبع الأحداث ومن ثم أيجاد فهم منطقي وعلمي.

□أصحاب السبت

تعتبر قصة أصحاب السبت واحدة من اكثر القصص القرآنية جدلا ، أولا بسبب غرابتها وصعوبة تفسيرها وثانيا بسبب عدم ذكرها في التوراة، وكل ما تذكره النصوص اليهودية هو فقط ما يتعلق بحرمة السبت في شريعتهم..

١) هذه الحادثة غالبا وقعت في الفترة الأخيرة من المرحلة الاولي لرحلة بني إسرائيل ، وقبل الهجرة الثانية من وادي فيران وما حوله من قري ، والتي وصلت اتساعها الي قرب خليج العقبة (القرية حاضرة البحر) ، وقبل ان يؤمروا بالنزوح نحو الأرض المقدسة والسكن الثاني في ارض التيه –كما سيأتي – اذا يمكن تاريخ هذه الواقعة بحوالي عشر سنوات من الخروج من مصر او اكثر قليلا ، وهو الوقت المعقول للتوسع الطبيعي حتي يصلوا الي اقرب نقطة من البحر.

٢) يمكن جمع تفاصيل القصة من آيات القرآن كالتالي:

قوله تعالي: وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسئين – البقرة ٦٥

قوله تعالي: وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بميثاقهم وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا – النساء

قوله تعالي: وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تأتيهم حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تأتيهم كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ – الأعراف ١٦٣

قوله تعالي: إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ – النحل ١٢٤

قوله تعالي: فلما نسوا ماذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون – الأعراف ١٦٥

قوله تعالي: فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين – الأعراف ١٦٦

أولا: المفهوم من الآيات ان شريعة موسي عليه السلام قد وضعت لهم قاعدة ، تحرم عليهم العمل يوم السبت ربما للتفرغ لعبادة ، اما الذين يعملون بالرعي فربما لديهم لحوم او طعام مخزن يمكنهم استخدامه يوم الراحة ، واما المزارعين فلديهم مخزون من الحبوب او الثمار ، اما المشكلة فكانت بالنسبة للقرية بعينها، وهي (القرية حاضرة البحر) وهي التي كان يعتمد أهلها علي الصيد اليومي ، فاذا استراحوا في هذا اليوم لا يجدون طعاما يأكلونه، ولذلك فقد اعطاهم الله ميزة وهي ان البحر يلفظ اسماكا علي الشاطئ فلا يكون عليهم الا جمعه واكله ، وكل المطلوب اذا هو الأيمان بان الله سيطعمهم يوم السبت بدون عمل ، ولكنهم لم يفعلوا وكان بعضهم يخرجون يوم

السبت من الصباح ليصطادوا دون ان ينتظروا ان يلفظ البحر بالسمك ، شكا منهم انه اذا كان قد فعلها مرات فربما يخلف وعده مرات اخري.

ثانيا: حاضرة البحر: لا يعني قرية ساحلية تماما بل يكفي ان يكون هناك مسافة بينها وبين البحر ربما عدة كيلومترات يمشونها لبلوغ البحر والعودة الي مساكنهم.

ثالثا: حيتانهم: الحوت في لغة العرب هو السمك كبير الحجم الذي يمكن اكله وفي خليج العقبة كثير من الأسماك الكبيرة الحجم التي يمكن ان تسمي حوتا كما سيأتي ذكره في المسألة التالية.

رابعا : شرعا: جمع (شرعة) وهي الطريق الواضح والمنهج او المورد الذي يتوصل به للماء (لكل قوم شرعة ومنهاجا) ، والقصد في الآية حسب المفسرين ، ان الحيتان(الأسماك) تأتيهم ظاهرة علي وجه الماء وقريبة من الشاطئ بارزة وسهلة التناول ، وقيل مقبلة ومتتالية .

خامسا: حرمة السبت عند اليهود:

هذه الحرمة اصلها من الوصايا العشر وهو ما يدعم انها كانت اول ظهورها وتشريعها علي عهد موسي عليه السلام وقد وردت في سفر الخروج كالتالي:

اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع فيه عملا ما - سفر الخروج ٢٠:١١-٨

فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم من دنسه فانه يقتل قتلا ام كل من عمل فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ، - الخروج ٣١:١٤-١٥

سادسا: المسخ :

الآيات القرآنية تؤكد واقعة المسخ ولكن ليس بلفظ صريح ، فاستخدم (كونوا قردة) و (جعلنا منهم القردة) ، اذا هل ما حدث هو تحول كامل من الانسان الي القرد ام هو تحول ظاهري في الشكل؟

المسخ لغة هو تشوه وتغير في الهيئة والخلقة الي صورة اقبح ويقال مسخ وجهه من المرض او الضرب،

كونوا ، أي اصبحوا كقوله تعالي (كونوا هودا او نصاري) وقوله (كونوا عبادا لي)و قوله (كونوا قوامين بالقسط) وهي الصيرورة علي حال معين.

والقصد من ذلك هو ان يصيروا من حال لحال اخر ليس بالضرورة التحول الجسدي ، ولكن في سياق الآيات لابد ان يكون هناك عقاب (بئيس) ولذلك لا داعي لافتراض حدوث خرق او تحول كامل ويكفي ان يكون المسخ ظاهري وشكلي فقط بان تتغير بعض صفات الانسان الشكلية الي صفات مشابهة للقرود.

٣) يمكن ان نفهم من ذلك ان ما حدث هو تحول شكلي فقط الي بعض الخصائص الظاهرية للقرود واولها الشعر الكثيف الذي يغطي الجسم كله والحقيقة ان هناك امراض بالفعل يمكنها تحقيق هذا الوصف منها:

- فرط الشعر الخلقي المعمم : اضطراب وراثي نادر جدا حيث يولد الطفل بشعر كثيف يغطي الوجه والجسم واليدين وحتي الراحتين وباطن القدمين ويعرف (بمتلازمة الرجل الذئب) ورغم انه مرض يولد به الشخص وليس طارئا الا اننا نتحدث عن وضع استثنائي يمكن ان يحدث بشكل طارئ ولا يوجد مانع علمي من ذلك.

-متلازمة (امبراس) : نوع خاص من فرط الشعر الخلقي يغطي الوجه خصوصا الجبهة والخدين والاذنين ، ولا يمنع ان يكون المقصود بالقردة هو التشابه في الوجه فقط.

-فرط الشعر المكتسب المعمم : يظهر فجأة بعد ان كان الشخص طبيعي وقد يرتبط ببعض الأورام الداخلية النادرة او امراض مزمنة شديدة مع اضطراب شديد في التمثيل الغذائي .

- بعض المتلازمات الجينية المركبة ترتبط بعيوب في الكروموسومات.

اذا يوجد أسباب علمية نادرة لحدوث فرط مفاجئ في نمو الشعر في أجزاء غير معتادة

ثانيا: هل توجد امراض قادرة علي عمل بروز في الفكين:

-ضخامة النهايات: يسبب زيادة هرمون النمو عند البالغين (غالبا ورم في الغدة النخامية) يسبب بروز الفك للأمام ، وكبر اليدين والقدمين وغلظ ملامح الوجه واتساع الانف والشفتين وخشونة الصوت أحيانا.

-العملقة الفكية : تضخم مفرط في الفك السفلي تحديدا وقد يكون مرض مكتسب ، ويؤدي الي تشوه في اطباق الفكين .

-خلل التنسج التليفي للعظام: هو اضطراب في تكو العزام قد يصيب عظام الوجه والفكين ويسبب تضخما وبروزا غير متناسق

-مرض (باجت) للعظام: يسبب إعادة تشكيل غير طبيعية للعظام وقد يحدث بروز الوجه والفكين اذا أصاب عظام الوجه.

ثالثا: امراض تسبب انحناء الظهر:

-حداب شويرمان: يظهر غالبا في المراهقين بسبب تشوه اسفيني في فقرات الصدر ويسبب انحناءا ثابتا لا يختفي عند الوقوف مستقيما .

-التهاب الفقار المقسط: مرض التهابي مزمن يصيب العمود الفقري ويسبب تيبسا وانحناءا اماميا بالتدريج

-اورام العمود الفقري : قد تسبب انحناء.

اذا يوجد لدينا عدة أسباب تؤدي الي كل من الخصائص الشكلية للقردة ونرجح ان ما حدث هو اجتماع واحد او اكثر منه بشكل مأسوي لبعض هؤلاء الأشخاص الواقع عليهم العقاب وبالتالي اصبحوا منبوذين من الناس

بسبب الجهل بالمرض والأيمان بان هذا عقاب من الله وبالطبع لم يحاول احد أيجاد علاج لهم بل نبذوا من اهل القرية وهذا هو العذاب البئيس.

رحلة موسي عليه السلام الي مجمع البحرين

هذه القصة أيضا مصدرها الوحيد هو النص القراني ولا توجد في التوراة ، وهي أيضا من القصص التي يحب البعض الصاق البدع والتخيلات بها وفي هذا الموضع سنفند اركان القصة وفقا للنص القرآني..

١) قوله تعالي : وإذ قال موسي عليه السلام لفتاه لا ابرح حتي ابلع مجمع البحرين او امضي حقبا - الكهف

تحديد المقصود بمجمع البحرين

أولا: مجمع : أي نقطة التقاء واجتماع او منبع لشيئين ، وفي سياق القصة يكون مجمع البحرين هو نقطة يلتقي عندها بحرين .

ثانيا: البحرين : مثني بحر والمعني في الاصطلاح القرآني هو نفسه المعني اللغوي للبحر وهو المسطح المائي العميق الجاري والذي له مسار محدد ،

ثالثا: مجمع البحرين: ان المقصود بالبحرين هنا لا يخرج عن فرضين اثنين:

الأول ان يكون احدهما مالح والأخر عذب ، وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن في عدة مواضع مثل قوله تعالي(مرج البحرين يلتقيان) وقوله (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج) ،

والثاني ان يكونا بحران متماثلان ولكن مسارهما مختلف او يحد بينهما حد فاصل كاليابسة ليفصل بينهما بحيث يبدوان بالنسبة للناظر من نقطة ما انهما بحران وليس بحر واحد.

و من الجائز ان يكون البحران احدهما بحيرة اذا كانت كبيرة ولها مسار جريان ثابت.

حسنا لنوجز جميع المسطحات المائية التي ينطبق عليها لفظ البحر والمحيطة بشبه جزيرة سيناء لنحدد أي الفرضين اولي بالتطبيق..

-البحر الأبيض المتوسط: يقع علي الجانب الشمالي من سيناء ولا يتصل بالبحر الأحمر ولا بحيرات اخري في هذه المنطقة في هذا القرن.

-بحيرة الطور وبحيرات صغيرة علي خليج السويس ولا تسمي احدها بحرا.

-البحر الأحمر ويقع علي الجانب الشرقي والجنوب الشرقي من سيناء ومنه فرعان (بحران) كبيران يحدان سيناء ويشكلان مه ضلع البحر المتوسط مثلثا مقلوبا، وهما خليج العقبة وخليج السويس ، واللذان يجتمعان عند راس المثلث اقصي جنوب سيناء عند منطقة (راس محمد).

ولا يوجد بحران يتقاطعان حول سيناء كلها الا خليجي السويس والعقبة ، وكلاهما مالح ، ويعتبر للواقف في شبه جزيرة سيناء بحران ، حيث احدهما يقع علي اقصي الشرق من الجزيرة والأخر عند اقصي الغرب منها ،

وحتي اذا لم يكن هذا الموضع هو نقطة التقاءهما حقيقة فان الوصف القرآني المبسط يسمح بان يكون نقطة التقاء بالنسبة للمراقب من المنتصف أي في سيناء، والمقصود ان راس المثلث يعتبر مجمع البحرين ولو مجازا او ظاهريا علي الأقل وهي الطريقة المبسطة الوحيدة لوصف هذا المكان .

ومن ناحية اخري ، فان هذا المكان يعتبر منطقي بالنسبة لموقع موسي عليه السلام وقومه في جنوب سيناء وبعده عن هذا المكان معقول ويمكن اجتيازه مشيا كما سنري.

المسافة بين وادي فيران ومنطقة راس محمد (مجمع البحرين) حوالي ٩٠ الي ١٠٠ كم مشيا علي القدام اذا وضعنا في لاعتبار التضاريس الصعبة والجبلية طوال الرحلة .

هذه المسافة تحتاج من ٥ الي عشرة أيام باعتبار نقاط التوقف للراحة والطعام وهي رحلة صعبة وطويلة نسبيا .

ويدعم طول المسافة بين مكان موسي عليه السلام (نقطة الانطلاق) وبين مجمع البحرين قوله تعالي (او امضي حقبا) وهو ما يدل علي علم موسي عليه السلام بطول المسافة وانها ستحتاج الي وقت .

٢) من هو الفتي: كثير من المفسرين قالوا بانه هو نفسه النبي صلي الله عليه وسلم التالي لموسي عليه السلام عليه السلام والذي سيفتح الله علي يديه المدينة المقدسة بعد سنوات التيه –كما سيأتي – والمسمى في التقاليد اليهودية (يوشع بن نون) ، ولا يوجد أي دليل ينفي او يثبت ذلك والمعقول انه هو الذي رافقه في لقاء ربه علي جبل الطور ومن المعقول أيضا ان يكون هو النبي التالي ليكون قد تتلمذ علي يدي موسي عليه السلام وعلمه ما يحتاج كتمهيد للنبوة والله اعلم.

٣) قال تعالي: فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فب البحر سربا ، فلما جاوزا قال اتنا غذاءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، قال أرأيت اذ اوينا الي الصخرة فاني نسيت الحوت– الكهف

أولا: الحوت : كما قلنا ان العرب تطلق لفظ الحوت علي الاسماك كبيرة الحجم ، وهي متوفرة ومتنوعة في البحر الأحمر ، ومعظمها يستخدم في الاكل ، ويدعم كون الحوت من السمك الصالح للأكل قوله تعالي (اتنا غذاءنا - اني نسيت الحوت) مما يدل علي ان الحوت هو غذائهما ، ولا ينطبق الحوت بمعناه المعروف اليوم وهو اكبر الثدييات ، لأنه لا يوجد الا في عمق المحيطات ولا مكان له في هذه المنطقة بل في مصر كلها .

٤) يفهم من ذلك انهما كانا لديهما سمكة كبيرة يحملانها لوقت الغذاء في نقطة التوقف التالية ، فلما توقفا للراحة عند صخرة كبيرة ثم قاما وغادرا ونسيا متاعهما او ما كانا يحملان فيه السمكة (الحوت) ثم جاوزا – أي قطعا مسافة بعيدا عن هذه الصخرة .

هنا نبدأ الرحلة من عند مجمع البحرين (راس محمد) حيث فقدا الحوت والمرجح انهما كانا قد اصطاداه لتوهما ، فبينما هم نائمين امتد البحر ليسحبه فما ان نزل الي الماء هرب وهذا امر طبيعي ويحدث حيث لم تكن السمكة قد ماتت بعد وعندما تدخل الماء تستعيد عافيتها وتسبح .

ومن الواضح ان فقدان السمكة كان إشارة وعلامة يعلمها موسي عليه السلام ليتحدد بها المكان الذي كان ذاهبا اليه . دليل قوله تعالي (قال هذا ما كنا نبغ فارتدا علي اثارهما قصصا – الكهف) وارتدا أي عادا الي الوراء ، علي اثارهما قصصا أي يتفقدا الطريق الذي جاءوا منه بالتحديد ، قاصدين العودة الي تلك الصخرة بالذات .

٥) السؤال الأهم هو ما الغرض من تلك الرحلة اذا؟

أولا : الأنبياء كما قلنا لا يتصرفون الا بأمر من الله ، فموسي عليه السلام عليه السلام لن يترك قومه ودعوته ورسالته التي بعثه الله من اجلها ليجري وراء امر شخصي او فضول يساوره، ولكنه امر من الله بالذهاب في تلك الرحلة العسيرة ولان موسي عليه السلام لا يخالف امر الله قال (لا ابرح حتي ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا) وهو إصرار علي الامتثال لأمر الله مهما تكلف الامر، ومن الجائز ان يكون موسي عليه السلام جاهلا بالغرض من الوصول لهذا المكان قبل ان يصل اليه بالفعل،

ثانيا: في هذا الموضع من السياق القرآني نفهم الغرض من الرحلة في قوله تعالي: فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما – الكهف

ومن ذلك نفهم ان الغرض كشخص محدد وصف بانه (عبدا من عبادنا) ولم يرد نص او إشارة انه نبي، وان كان هذا اللفظ يطلق أحيانا علي الأنبياء في القرآن قوله تعالي (واذكر عبدنا أيوب) قوله تعالي (واذكر عبدنا داوود) وقوله تعالي (واذكر عبدنا ابراهيم عليه السلام واسحق ويعقوب)، ولكن هذا ليس دليل كافي علي نبوته ، كما ان هناك نبيان بالفعل (موسي عليه السلام وهارون) في تلك المنطقة الجغرافية فأي شعب ارسل اليه هذا النبي الثالث اذ ان سيناء لم تكن مأهولة كثيرا في هذا الوقت ، ولا نستطيع نفي او اثبات كونه نبي ولا يوجد حديث صحيح واحد يثبت ذلك.

اما عن تسميته بالخضر فقد ورد ذلك بالأثر ولم يعرف حديث مرفوع للنبي يذكر ذلك صراحة وكلها اجتهادات من المفسرين.

وسنلتزم في هذا الموضع اذا بالوصف القرآني انه عبد من عباد الله من الجائز ان يكون نبيا ومن الجائز أيضا ان يكون فقط رجل صالح. ولا يوجد ما يجزم بانه كان وحده ومن الجائز ان يكون معه اخرين تابعين له ، وفي نفس السورة ذكر (ذي القرنين) وحده رغم ان السياق اثبت انه كان علي راس جيش .

والأكيد اذا انه كان مؤمنا موحدا ، ولا نعرف الي أي امة من أمم الأنبياء ينتمي هذا العبد او من أين اتي ، حيث اقرب مكان لهذا الموضع – باستثناء سيناء – سيكون علي الجانب الاخر من البحر الأحمر من الجنوب ولنستعرض معا المدن والقري المأهولة القريبة لهذه النقطة بالتحديد:

١-الجانب العربي القريب: مباشرة قبالة راس محمد (مجمع البحرين) تقع عدة أماكن مأهولة:

-جزر تيران وصنافير بين سيناء والسعودية وكانت نقطة تحكم بحرية هامة عند مدخل خليج العقبة ويرجح وجود مراسي موسمية للصيادين والبحارة هناك (مكان مرجح للسفينة في القصة كما سيلي).

- ساحل شمال غرب الجزيرة العربية (مدين التاريخية)، وهذا هو اقرب مكان حضري ماهول بشدة لمنطقة مجمع البحرين.

٢-شمالا علي خليج العقبة : وخارج سيناء :

-إقليم عربة بين العقبة والبحر الميت اليوم، وهو ليس مدينة ساحلية بالمعني الصحيح بل كان هناك استيطان داخلي.

٣-جنوبا علي الضفة العربية للبحر الأحمر:

-ممالك جنوب الجزيرة العربية (اليمن لاحقا): وهي بدايات تكون سبا ومعين وقتبان ، لكنها بعيدة نسبيا عن المنطقة التي جرت فيها الأحداث

والمرجح بشدة ان تكون الرحلة بعد لقاء العبد الصالح حول منطقة تيران وصنافير .

٦) يكمل القرآن الأحداث كالتالي:

يصحب موسي عليه السلام هذا العبد في رحلة الغرض منها الاستفادة من العلم الخاص الذي منحه الله أياه ، فيطلب منه هذا العبد الا يسأل عن أي مما يلاقيه حتي يخبره هو .

يقول تعالي: فانطلقا حتي اذا وجدا غلاما فقتله – الكهف

والغلام في لغة العرب هو ما بين الصبا والشباب وهو غالبا الذي تجاوز لتوه مرحلة الصبا ويبدأ بسبع سنوات الي خمسة عشر عاما أي قبل البلوغ بقليل،

وما حدث انه قتل الغلام بدون أي سبب واضح وهو ما استنكره موسي عليه السلام علي الفور اذ انه متاثر بشريعته التي تحرم القتل الا قصاصا (اقتلت نفسا ذكية بغير نفس) أي لأنه لم يكن قاتلا فيستحق القتل (نفس بنفس) فهكذا شريعة موسي عليه السلام، ولكنه ذكره بالقاعدة التي اتفقا عليها وهي عدم الاعتراض الا بعد انتهاء الرحلة.

وهذه الحادثة غالبا كانت في نطاق المكان الذي تقابلا عنده أي في محيط راس محمد ،

والنقطة التالية ، هي في قوله تعالي (حتي اذا ركبا في السفينة خرقها) والمفهوم انهما ركبا سفينة من هذا الموضع وهو ما يدل علي انهم كانوا يتحركون علي طول الساحل عند راس محمد ولم يدخلوا الي عمق الصحراء ،

انطلق: في اللغة أي ذهب ومضي مسرعا او بلا تردد .
السفينة: في لسان العرب ومعاجم اللغة: كل ما يركب في البحر او النهر ويسافر عليه سواء كانت كبيرة او متوسطة او قوارب بحرية ، وفي هذا السياق فإننا نتكلم تحديدا عن سفينة صيد صغيرة او متوسطة وذلك لقله تعالي (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) ولا يوجد عمل في البحر في هذا الزمن الا للصيد ، وطالما كانوا (مساكين) فاننا نفهم انها كانت سفينة متواضعة الحجم وربما متهالكة او قديمة للدلالة علي فقر أصحابها .
ووفقا للسياق القرآني ، فانهما ركبا السفينة بغرض عبور البحر الي نقطة قريبة حيث ان سفينة متواضعة لن تسافر لمسافة بعيدة ويكون من المنطقي ان تكون قد اخذتهم الي موقع جزيرتي (نيران) و(صنافير) فكما قلنا انهما كانا نقطة مهمة جدا في هذا الموقع من خليج العقبة ومن المرجح بشدة ان السفن والقوارب كانت تتخذها نقطة مرور دائمة ومن المرجح أيضا انها كانت مأهولة بالسكان الذين كانوا يؤدون خدمات للسفن ويعملون بالصيد ، ويدعم ذلك كون هذه الجزر تبعد حوالي ٣ الي ٥ كم فقط من نقطة الالتقاء (راس محمد) وهو منطقي بالنسبة لرحلة صغيرة بتلك المركب البسيطة.
اثناء الرحلة قام الرجل بعمل كسر او خرق في جسم السفينة ، وواضح انه كان خرقا كبيرا قد يؤدي الي غرق السفينة او عدم قدرتها علي الإبحار وهو امر هين اذا كانت سفينة متهالكة كما قلنا ، ومرة اخري اعترض موسي عليه السلام لان الخرق سيؤدي للغرق (اخرقتها لتغرق أهلها) ومرة اخري ذكره الرجل بالقاعدة التي اتفقا عليها.
النقطة الثالثة في الرحلة بعد ان نزلا من السفينة وكما رجحنا ان يكون مكان نزولهم في تيران او صنافير ، اكثر المناطق ترجيحا ان تكون مأهولة في هذا المكان ، وهناك طلبوا من اهل المدينة ان يمدوهما بالطعام ولكن الجميع رفض ،
بعد ساعات او ربما يوم وجدوا جدار أيل للسقوط والجدار هو ما يقام من بناء ليكون حائلا او فاصلا ، وغالبا انه ان احد اركان بناء صغير مثل الغرفة، فقام الرجل بإقامته وبناءه ، فاعترض موسي عليه السلام مرة اخري ، لان اهل القرية كانوا بخلاء وغير مرحبين بهما ورفضوا ان يطعموهما بلا مقابل ، فكان الأحرى ان يطلب الرجل اجر إقامة الجدار ، وهنا اخبره الرجل ان رحلتهما قد انتهت وحان الوقت ليعلم موسي عليه السلام الحكمة من الأفعال السابقة.
٧) قال تعالي(اما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ، فاراد ربك ان يبدلهما خيرا منه ذكاة واقرب رحما)، ومن الواضح ان هذا الرجل كان يعمل بامر من الله وليس اعتمادا علي حكمته الشخصية لان علم الغيب عند الله ليعلم ان الغلام كان سيكبر ليصبح فاجرا او كافرا ويؤذي اهله فتقرر انهاء حياته ، وهو امر الهي وهذا يدعم الفرض الذي يرجح كون الرجل نبي.
قال تعالي(اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)،

أولا: الأصل اللغوي لكلمة (ملك) هو أتمكن والسلطان والقدرة علي التصرف ، وليس شرط ان يكون صاحب دولة بل يكفي ان يكون له سلطة مطاعة علي جماعة ما ، ويسمي ملوك زعماء القبائل والقري مثل (ملك الحيرة) وكانت مدينة وليست دولة ، وعلبه فيمكن ان يشمل المعني زعيم جماعة او عصابة إجرامية ، وفي سياق قصتنا فالمقصود هو (قرصان) بحري يتزعم عصابة قرصنة يقول بالاستيلاء علي السفن وحمولتها ،

ثانيا: الخرق في اللغة: هو الشق او الفتح في الشئ والثقب او التمزق ، وخرق السفينة أي احدث ثقب فيها او تلف عارض بحيث اخل بسلامتها والمقصود هنا هو عيب جزئي يمكن إصلاحه والهدف منه هو اظهار السفينة بمظهر متردي لا يغري القراصنة للاستيلاء عليها وبالتالي فلن يغامر باخذ سفينة متهالكة أيلة للغرق او تحتاج لاصلاح بل يفضل السفينة السليمة الصالحة للابحار ، وهذا يعني أيضا ان العبد الصالح كان يعلم الغيب من الله وهو ما يدعم كونه نبي .

قوله تعالي: واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك، وما فعلته عن امري – الكهف

اذا كان الجدار يحمي كنز او مال مدفون واراد ان يقيم الجدار ليخفيه فاذا كبر اليتيمين أبناء صاحب الجدار عثرا علي الكنز، وما يهم قوله (وما فعلته عن امري) وهو دليل أيضا علي ان هذا العبد متصل بالله تعالي وهو امر غالبا خاص بالأنبياء .



خريطة سيناء واضحة تبين كل من هضبة موسي عليه السلام(جبل الراحة)وعيون موسي عليه السلام ومحيطها حيث سكن بنو إسرائيل بعد الخروج ويظهر بالاسفل موقع) مجمع البحرين (عند) راس محمد (حيث يجتمع فرعي البحر الأحمر

من السكن الاول الي التيه

لا يوجد الكثير من الدلائل علي القصة بشكل محدد وبسرد تاريخي. الا ان هناك إشارات قليلة في القرآن يمكن ان نفهم منها السياق التاريخي الذي اوصلهم الي هضبة التيه والتي ظلوا فيها أربعين سنة قبل ان يدخلوا ارض كنعان..

١) المسار الطبيعي من جنوب سيناء (وادي فيران وما حوله) الي فلسطين:

من وادي فيران قرب سانت كاترين اليوم ، يتجه موسي عليه السلام وقومه نحو الشمال الشرقي صعودا الي قلب سيناء لان التوجه غربا نحو خليج السويس او شرقا نحو خليج العقبة لا يقود الي كنعان، والاتجاه الطبيعي اذا عبر الاودية الجافة المتجهة شمالا مثل روافد وادي فيران ووادي عربة ،

ومن ثم العبور نحو هضبة التيه وهي كتلة صخرية مرتفعة نسبيا تمتد في وسط سيناء ويكون الدخول اليها عبر الجنوب الي شمال – شمال شرق مستفيدين من الوديان الطبيعية التي تخترق الهضبة بدل الصعود علي قممها ، وجغرافيا هذا المسار يتجه نحو منطقة نخل في وسط سيناء كمعبر طبيعي بين جنوب ووسط سيناء وهو المسار الطبيعي حيث يتوفر لهم مصادر الماء وغير ذلك سيؤدي الي هلاكهم في الصحراء.

بعد النزول من الهضبة يبدأ النزول التدريجي نحو السهل الساحلي الشمالي لسيناء شمالا او شمال شرق نحو منطقة العريش وما حولها ثم باتجاه رفح وغزة (بداية ارض كنعان) .

عندما وصلوا الي هضبة التيه وما بعدها (العريش) توقفوا فترة للسكن الثاني ، وهي فترة ربما استمرت شهورا او سنة ، ولنتبين بالتحديد المدة التي استغرقتها رحلتهم والمدة التي كان عليهم منطقيا ان ينتظروها في هذا المكان لابد أولا ان نقدر عدد بني إسرائيل في هذا الوقت – أي بعد الخروج من وادي فيران والتوجه نحو ارض كنعان.

٢) اذا افترضنا ان عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر مع موسي عليه السلام كانوا خمسين الفا ، فان مدة التي نرجح بقائهم فيها حول وادي فيران وهي حوالي خمسة عشر سنة ، وبحساب معدل النمو المنطقي علي اقل تقدير في هذا الزمن والجغرافيا فانه من المرجح ان يصل عددهم عندما تحركوا الي هضبة التيه حوالي سبعين الفا علي اقل تقدير.

ما بين الشيوخ والنساء والأطفال والمتاع والماشية والحيوانات التي معهم ، ومع حساب التوقفات للراحة والشرب فان متوسط السير سيكون حوالي ١٠ الي ١٥ كم يوميا ، فاذا كانت المسافة من وادي فيران الي هضبة التيه حوالي ٢٠٠ كم فانهم سيحتاجون علي الأقل الي شهر الي شهر ونصف للوصول الي الهضبة .

٣) هضبة التيه هي المكان الأكثر ترجيحا لدي الباحثين ليكون مكان التيه المذكور بالقرآن (أربعين سنة يتيهون في الأرض) فهي ارض ممتدة وواسعة وفقيرة نسبيا بالمقارنة بالواحات المجاورة ، والحقيقة ان معالمها متشابهة جدا – خاصة في الزمن الذي نتحدث عنه – ومن المستحيل ان يعرف اتجاه ارض كنعان او غيرها من هذا المكان او المسار الصحيح الا بناء علي معرفة مسبقة بالمسار اما من شخص متخصص او بتعليمات مسبقة كنبي مؤيد بوحي من الله، ولذلك فانها المكان القياسي للتيه مدة طويلة حتي تأتي تعليمات بالمسار الصحيح وغير ذلك سيظل بنو إسرائيل يرتحلون جول المكان في حلقات مفرغة الي مالا نهاية.

والهضبة تعد واحدة من اكبر الهضاب في سيناء علي مساحة ٥٠ الف كيلومتر مربع – نحو ثلث مساحة سيناء – وتقع في وسط سيناء وتضاريسها متنوعة تشمل اودية جافة ومرتفعات تصل الي ٦٠٠ متر فوق سطح البحر ويوجد بها ابار وعيون ونباتات رعوية تتحسن بعد ومواسم للمطر وهذا يسمح بحياة بدوية متنقلة من الرعي وجمع الماء من نقاط متفرقة والتنقل بين المواقع الأفضل موسميا وهي مناسبة لجماعة كبيرة للتنقل خلال أربعين سنة.

٤) ننتقل الي النقطة التالية من القصة، فاذا كان القوم قد وصلوا الي هضبة التيه حوالي خمسة عشرة عام من خروجهم من مصر علي الأقل ، فاننا سنكون الان في العام ١١٩٥ ق.م تقريبا او بعد ذلك بقليل ، وهنا توقف القوم لراحة طويلة وتوقف موسي عليه السلام لحين وصول تعليمات الهية اخري للخطوة التالية.

كان من المفترض ان يعبروا هضبة التية الي ارض كنعان والتي تبدأ باولي المدن الكنعانية المحصنة وكانت مدن مستقلة لكل مدينة سور وحاميات وجيش للدفاع ، وحاكم وأول المدن التي علي طريقهم بعد الخروج من الهضبة مباشرة هي (غزة) التاريخية ، وكانت المدينة تحت الحماية المصرية في عهد مرنبتاح ورمسيس الثاني وغالبا استمرت الحماية بعده ، ولا نعرف اذا كانت هي نفسها المدينة التي امر موسي عليه السلام بني إسرائيل بقتالها ام لا ، الا ان التوراة تذكر ان المدينة التي تمت محاربتها هي (اريحا) وهي التالية بعد عبور غزة، وهو امر منطقي كما سنرد لاحقا،

اذا نحن امام فرضين :

الأول: انه كان عليهم ان يلتفوا حول غزة وهذا ممكن بدون الاحتكاك بالحاميات او اثارة غضب المدينة وأهلها، شاقين طريقهم الي المدينة التالية (اريحا) لمحاولة العبور الي القدس سلميا، الا ان هذا متعذر بالنسبة لضيق الطريق حول (اريحا) والذي سيضعهم في مواجهة حتمية مع الجيش خاصة ان عددهم الكبير كما رأينا سيجعل اهل اريحا يشعرون بالتهديد وكانوا غالبا سيقطعون عليهم الطريق – اذا لم يقوموا بسبيهم واخذ ما لديهم. وعلي ذلك كان من المنطقي ان يتسلح بني إسرائيل ويستعدوا للقتال المحتمل ، اذا لزم الأرض.

الثاني: انهم كانوا سيفتحون غزة أولا لتامين الطريق او لتهديد وجدوه من المدينة او انهم استاذنوا بالمرور حولها سلميا ورفض حكام غزة السماح بالمرور فامرهم موسي عليه السلام بالقتال .

والمرجح عندنا هو الفرض الثاني لان عصيان الامر بالقتال كان في هضبة التيه ولذلك عوقبوا بالبقاء فيها ولو كان الامر بالقتال مقصود به اريحا بعد اجتياز غزة سلميا لكان مكانهم وقت الحكم بالتيه بين غزة واريحا وهو ليس بمكان التيه ، ولذلك فالمرجح ان الامر بالقتال كان قبل التحرك من الهضبة أصلا لأنه كان يستوجب شهورا من التدريب والحصول علي السلاح وكان منطقي ان يكون ذلك في مكان يسكنوا فيه وليس بين مدينتين.

٥) من القرآن نفهم من قوله تعالي: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علي ادباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا يا موسي عليه السلام ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتي يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون – المائدة ٢٢

أولا: الدخل لغة : هو ولوج الشيء في الشيء، وفي سياق الآية الدخول المقصود هو ارض كنعان ، فاذا كان دخول الأرض يحتم دخول المدن التي عليها فيكون المقصود هو دخول هذه المدن،

ثانيا: هل يعني ذلك القتال: الحقيقة ان سياق الآيات يشير الي وجوب القتال بدليل قوله تعالي(اذهب انت وربك فقاتلا) ولذلك فان العبور كان يحتم وجود قتال بينهم وبين الجيش الذي علي هذه المدن ومن المرجح انهم طلبوا المرور السلمي ورفض ، وعليه امرهم موسي عليه السلام بالاستعداد لقتال الحامية علي غزة وهو ما يستوجب شهورا من التدريب وصناعة السلاح ، ولكنهم رفضوا الفكرة من الأساس متعللين بان الجيش علي المدينة جيش نظامي وقوي ومدرب (جبارين) وان نتيجة القتال محسومة لصالحهم ، وقد اعتبر موسي عليه السلام هذا كفرا بالله وقدرته علي النصر اذا شاء .

قوله تعالي: قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلي الله توكلوا ان كنتم مؤمنين، قالوا يا موسي عليه السلام انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون – المائدة ٢٤

أولا: القصد من ذلك هو الدخول الي المدينة ، فدخول الباب يقصد به الدخول منه وهو مجاز عن دخول المدينة من بابها ، بعد هزيمة الجيش خارج الاسوار، ولكن بني إسرائيل رفضوا القتال تماما وتطاولوا علي موسي عليه السلام اذ انهم أرادوا نصرا بدون جهد .

ثانيا: هذا العصيان والتمرد علي الله ورسوله اغضب موسي عليه السلام ، وواضح ان موسي عليه السلام في هذا الوقت لم يكن له نفس الأثر والرهبة والطاعة علي بني إسرائيل كما كان في الماضي حيث ظهرت احيالا جديدة لم تشهد الخروج معه من مصر ولا معجزاته ، وقد اصبح الغالب في بني إسرائيل هي الكفر والتمرد والعصيان ولذلك قال موسي عليه السلام (رب اني لا املك الا نفسي واخي) مما يدل علي انه لم يعد له التاثير السابق علي بني إسرائيل ولم تعد كلمته مسموعة لديهم، وعلي ذلك تقرر وقوع العقاب..

٦)قوله تعالي: قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تاس علي القوم الفاسقين – المائدة.

لقد تقرر ان يظلوا في هضبة التيه أربعين سنة لا يعرفون طريق الخروج وهو الذي كان يأتي بمعلومات من الله الي نبيه ، والان سيعيش بني إسرائيل هناك في ترحال دائم حياة البدو القاسية يتنقلون ولا يستقرون ابدا فقد كانت حياتهم في وادي فيران حياة مستقرة يزرعون ويرعن ويصطادون ويأكلون أنواع الطعام المختلفة كما طلبوا ويبنون بيوتا دائمة ، اما الان سيسيحون في صحراء مترامية الأركان لا يعرف فيها شرقا من غرب ، حياة ترحال دائم وراء مصادر المياه لا يبنون بيوتا ولا ياكلون الا ما يتاح لهم في مواسم معينة ، وهكذا ستموت هناك الأجيال التي عبرت مع موسي عليه السلام وتهرم الأجيال التي رفضت القتال وتنشأ اجيالا جديدة مستعدة لتنفيذ امر الله.

□ وفاة موسي عليه السلام وهارون

١)لا نعرف أي منهم توفي أولا، ولكن التوراة تذكر وفاه هارون عليه اسلام في حياة موسي عليه السلام وهو امر لا يمكن نفيه او اثباته ، ولا توجد أي معلومة من القرآن عن وفاتهما، وقد رجحنا من قبل ان هارون هو الأخ الأكبر لموسي عليه السلام ، ومنطقي علي ذلك ان يكون وفاته أولا، ولا يمكننا للأسف تحديد عمره عند الوفاة او تاريخ وفاته الا ان الشئ المؤكد ان كلاهما قد توفي اثناء التيه.

٢) اذا كان عمر موسي عليه السلام عليه السلام عند الخروج من مصر كان خمسين عاما او اقل بسنوات قليلة ، فيمكن حساب عمره عند وفاته اذا افترضنا انه بقي حتي قرب نهاية سنوات التيه ، فيكون عمره عند الوفاة = ٥٥عند الخروج + ١٥ سنة في وادي فيران + ٤٠ سنة في التيه =١١٠ سنة ، علي فرض انه مات في اخر سنوات التيه وهو ما نستبعده والاقرب ان يكون مات عند منتصف سنوات التيه الاربعون أي عند عمر يقارب ٩٠ عاما وهو المعقول اذ انه قد انهي رسالته الطويلة واداها علي اكمل وجه، والحقيقة ان حياة الأنبياء تنتهي بعد اتمامهم المهام التي حوتها رسالتهم ونبوتهم ، ونذكر عندما وقف الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع وذكر قوله تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فعلم الصحابة انه قد قارب علي الموت رغم انه لم يكن طاعنا في السن لان انهاء الرسالة علامة علي اقتراب نهاية الحياة فالأنبياء كما اخبرنا النبي يخيرون بين الحياة وبين لقاء الله عند قبض ارواحهم فيختارون لقاء الله .

وبقي ان ننفي الرواية المشهورة عن وفاة سيدنا موسي عليه السلام ، حيث جاءه ملك الموت ففزع موتي منه ففقأ عينه فرجع ملك الموت الي الله يشتكيه فأعادها عليه ، وهي رواية لا اصل لها من الاسرائيليات او الروايات الشعبية اليهودية .

٣) اذا مات موسي عليه السلام عليه السلام في عمر التسعين تقريبا وهو المتوسط المنطقي، أي حوالي عام ١١٦٠ ق.م – ١١٧٠ق.م ، اثناء فترة التيه ، وبالتأكيد تم دفنه في مكان ما في هضبة التيه الشاسعة والحقيقة ان قبر موسي عليه السلام لا يعرف حتي اليوم ، ولا يوجد أي شاهد للقبر اذ ان بني إسرائيل لم تكن تسكن مكان ثابت في التيه بل يتنقلون باستمرار فأيا كان الموقع الذي دفنوه فيه فمن الصعب ان يعرف له شواهد او علامات في الصحراء وحتي الذين دفنوه لن يكونوا قادرين علي تحديد مكانه بعد رحيلهم الاجباري بسبب البحث عن الماء والمرعي والتنقل المستمر في التيه لان ذلك كان عقابهم ، أربعين سنة ، تعاقبت الأجيال ونسوا أين وضعوا قبره، اذا فان جسد موسي عليه السلام قابعا تحت صحراء وسط سيناء حتي اليوم محتفظا بكامل هيئته لم يتحلل ولا نعرف اذا ما كان سيخرج او يتم اكتشافه يوما ما ، وهو امر غير مرجح بالنسبة لنا اذ ان قبور الأنبياء محفوظة من الله لن يزعجهم احد ، كما ان هذه المنطقة لا نعتقد انها ستخضع

للتنقيب يوما ما من الحكومة المصرية أولا لكثرة التكاليف وقلة الاثار المتوقع أيجادها ثانيا لعدم الاهتمام بهذه البقعة الواسعة من سيناء بشكل عام.

اما عن قبر هارون عليه السلام فأما انه قد دفن خلال الرحلة من وادي فيران الي الهضبة حيث يتوقع انه مات، واما انه مدفون أيضا في هضبة التيه ولا يتوقع أيجاد قبره ، واما أي قبر مزعوم لهما فهو غير مرجح ولا يوجد أي دليل علي صحته ولا يمكن قبول الادعاء بان بني إسرائيل قد حملوا جسد موسي عليه السلام وهارون بعد أربعين سنة وبعد دخولهم الأرض المقدسة لعدم معقوليته الواضحة .

□العالم في زمن موسي عليه السلام عليه السلام

بقي ان نستعرض الحضارات والممالك التي عاصرها موسي عليه السلام عليه السلام خلال حياته..

١) أولا : مصر (الاسرة ١٩ – ٢٠)الدولة الحديثة:

-رمسيس الثاني (١٢٧٩ – ١٢١٣ ق.م) كما سبق ورجحنا انه فرعون موسي عليه السلام.

-مرنبتاح(١٢١٣-١٢٠٣ق.م) ابن رمسيس الثاني والذي دزن انتصاره علي إسرائيل في لوحته الشهيرة والتي ذكر فيها اسم إسرائيل لأول مرة وقد عاش ومات في حياة موسي عليه السلام

-سيتي الثاني (١١٩٧-١٢٠٣ ق.م)

-رمسيس الثالث(١١٨٦-١١٥٥ق.م) من ملوك الاسرة ٢٠ يعد اخر الفراعنة الأقوياء في الدولة الحديثة ويرجح وفاة موسي عليه السلام في عهده.

٢) ثانيا: الدولة الحيثية (الاناضول /تركيا الحالية):

-حتوشيلي الثالث(١٢٣٧ – ١٢٦٧ ق.م)عقد معاهدة سلام مع رمسيس الثالث بعد معركة قادش

-تودخاليا الرابع (١٢٣٧ – ١٢٠٩) الإمبراطورية الحيثية انهارت تقريبا حوالي ١٢٠٠ق.م

٣)ثالثا: اشور (شمال العراق):

-شلمنصر الأول: (١٢٦٣ – ١٢٣٤ق.م)

-توكولتي نينورتا الأول (١٢٠٧ – ١٢٤٣ ق.م) توسع بقوة في بلاد بابل

٤)رابعا: بابل :

كانت في مرحلة ضعف نسبي وخضعت أحيانا لنفوذ اشوري في أواخر القرن الثالث عشر .

٥) خامسا كنعان (فلسطين وبلاد الشام) :

كانت مدنا مستقلة تحت النفوذ المصري وتدفه جزية للحكومة المصرية من اشهرها (حاصور ، مجدو ، غزة، اريحا، صيدا ، صورا ، دمشق، اورسالم /بيت المقدس)، وبحسب علم الاثار في تلك الفترة بدأت تظهر مجموعات لإسرائيل في المرتفعات وهو ما يطابق حساباتنا التاريخية والجغرافية.

الفصل العاشر

داود عليه السلام

طالوت وجالوت

داود ملكا

توحيد إسرائيل

افتراءات التوراة علي النبي داود

قبل الحديث عن داوود عليه السلام يجب أولا ان نتتبع قصة بني إسرائيل من حيث تركناهم في هضبة التيه ودخولهم الأرض المقدسة علي يد النبي التالي لموسي عليه السلام ووضعهم هناك ثم الوصول الي الزمن المرجح لميلاد النبي داوود ومن ثم البدء في قصته..

من التيه الي الأرض المقدسة

١) قلنا ان سنوات التيه بدأت حوالي عام ١١٩٠ ق.م واستمرت أربعين سنة الي ١١٥٠ ق.م تقريبا ولا يوجد دليل علي انهم تحركوا نحو الأرض المقدسة مباشرة بعد انتهاء سنوات التيه ، والمرجح انهم قد ادركوا خطأهم في نهاية التيه وبدأوا يستعدون للقتال وسنحاول تقدير كيفية الاستعداد والحصول علي السلاح ونوعيته في النقاط التالية.

٢) من المتفق عليه بين المفسرين ان دخولهم الأرض المقدسة بعد التيه كان بقيادة نبي لهم ، نرجح انه نفسه المذكور بالقرآن في قصة موسي عليه السلام ومجمع البحرين وهو فتي موسي عليه السلام ، كونه اقرب التلاميذ التابعين والملازمين لموسي عليه السلام وهو ما يدعم انه اكثرهم تعلما منه وتم اعداده للمهمة المستقبلية واعداده لتحمل النبوة اذ تحمل مع موسي عليه السلام رحلات وتعلم دروسا كثيرة خاصة في رحلته مع العبد الصالح في مجمع البحرين واختياره من موسي عليه السلام في تلك الرحلة غالبا يعني مكانة خاصة وقصد خاص لاعداده للنبوة والله اعلم.

في التوراة يذكر هذا النبي باسم (يشوع بن نون) في سفر يشوع وذكر في سفر الخروج والعدد والتثنية ، وتصفه التوراة بانه تلميذ موسي عليه السلام الملازم له ، وهذا يتفق مع رأينا، اما الاسم فلا يوجد دليل اخر ولا مشكلة من الاخذ بالاسم الوارد في التوراة .

٣) رواية التوراة عن دخول الأرض:

أولا: التوراة تذكر عبورهم نه الأردن مع يوشع الي الأرض المقدسة ثم سقوط اريحا ، والحقيقة ان الواقع الجغرافي المنطقي ينفي عبور نهر الأردن ، حيث ان المسار الطبيعي من هضبة التيه يكون كالتالي:

الفرض الأول: ان يكون الهدف هو الوصول الي اريحا منذ البداية : يكون المسار من الهضبة الي شمال شرق سيناء الي صحراء النقب ومنها التوجه شمال شرق بمحاذاة وادي عربة ثم الوصول الي جنوب البحر الميت والصعود شمالا في غور الأردن ثم الي اريحا ولا حاجة لعبور نهر الأردن اذا.

الفرض الثاني: اذا كانت القدس هي الهدف الأساسي وليست اريحا فيكون المسار المنطقي: من هضبة التيه الي شمال شرق سيناء ثم صحراء النقب ثم التوجه شمالا داخل النقب ثم الصعود عبر جبال الخليل ومنها الي القدس ولا حاجة أيضا لعبور نهر الأردن.

الفرض الثالث: الطريق الساحلي: وهو الذي ذكرناه كافتراض اولي عند شرح التيه والذي يمر أولا بغزة ثم اريحا.

الرواية التوراتية : من هضبة التيه الالتفاف شرق البحر الميت لتجنب المرور عبر النقب او الساحل ويوفر مسار معتمد علي موارد مياه محدودة ، ثم عبور نهر الأردن قرب مدينة اريحا وعلي ذلك يقتحمون اريحا أولا ثم عوج وهي المدينة التالية.

والمشكلة ان اريحا تعتبر مستبعدة لعدة أسباب :

أولا: كانت اريحا تحت النفوذ والحماية المصرية مما يجعل احتلالها استفزاز للجيش المصري الذي سيصل الي اسوارها خلال أيام ليبيد بني إسرائيل عن بكرة ابيهم.

ثانيا: فان الحقائق الاثرية تؤكد ان اسوار اريحا والتي تعتبر من اقدم اثار البشرية وتعود لما يزيد عن عشرة آلاف عام . قد اثبتت الدراسات ان التهدم الموجود فيه يعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد أي قبل ثلاثمائة عام م وصول بني إسرائيل اليها ، كما ان التوراة تذكر انهم قاموا بهدم اسوار اريحا بالكامل وحرقها وهو ما يخالف الواقع اليوم اذ ان الاسوار لازالت موجودة - انظر الشكل في الفصل التمهيدي – حتي اليوم .

ثالثا: اثبتت الدراسات الاثرية والتاريخية أيضا ان المدينة لم تكن مأهولة تقريبا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وكانت شبه خربة بسبب الهجمات المتتالية من شعوب البحر .

رابعا : وهي النقطة الأهم ، ان القرآن وصف المدينة المنشودة (بالأرض المقدسة) ولكن اريحا لم يكن بها أي شيء مقدس بالنسبة لليهود ، بل علي العكس نجد ان (حبرون) التي رجحناها هي اقدس مكان علي وجه الأرض في ذلك الوقت بالنسبة لبني إسرائيل بسبب قربها من مغارة المكفيلة التي – حسب التوراة – تحوي أجساد

الأنبياء ابراهيم عليه السلام واسحق وزوجاتهما –كما ان التوراة زعمت انهم حملوا جسد يوسف ويعقوب عند الخروج من مصر لدفنهما بجوار ابائهما وهو ما يجعل رواية دخول اريحا مخالفة للتوراة.

الخلاصة : نحن امام فرضين ، الأول هو اتباع الطريق الساحلي ويكون علي ذلك المدينة المطلوب اقتحامها هي غزة وتبعد حوالي ١٨٠ كم من التيه ويليها مدينة (اريحا) وهذا الطريق يوفر مصادر مياة جيدة وهو قصير الي القدس ولكنه يقع تحت الحماية المصرية كما اننا استبعدنا اريحا كما رأينا.

الثاني هو الطريق البري عبر النقب الي مرتفعات الخليل وتكون مدينة (حبرون) هي التي عليهم اقتحامها وتبعد حوالي ٢٠٠ كم من التيه وهي المدينة المرجحة لاسباب عديدة علي راسها كونها مطابقة للوصف القرآني (الأرض المقدسة).

والمرجح اذا هو المسار الذي يمر عبر الخليل لان المدن الساحلية تخضع للنفوذ المصري واقتحام أي منها سيؤدي لصدام مع الجيش المصري ، ولكن الخليل لا تخضع للنفوذ المصري واقتحامها لن يشكل ازعاج لاحد .



خريطة توضح المسافة من سيناء الي كل من) اريحا (و) الجليل/حبرون (وواضح عدم معقولية السير الي اريحا بينما) حبرون (اقرب كثيرا واكثر منطقية

٤) الاستعداد للقتال:

أولا: من المؤكد ان النبي يوشع قسم الرجال القادرين علي القتال تقسيم عشائري (اسباط) اكثر منه تقسيم عسكري، فكل سبط يحارب في مجموعة مستقلة عليها قائد غالبا هو نقيبهم،

ثانيا: الأسلحة المستخدمة وفقا لطبيعة الهضبة التيه والموارد المتاحة وقتئذ فغالبا هي خليط من الرماح والقصبات او العصي الثقيلة والاقواس والسهام والحجارة والخناجر والسيوف قليلة جدا وغالبا موجودة منذ البداية لم تصنع ، اما الدروع فستكون من الحصير وبدائية جدا .

ثالثا: عددهم ، اذا كنا قد رجحنا عدد بني إسرائيل في وقت التيه بسبعين الفا فان أربعين سنة في التيه قد يصل عددهم الي المئة الف من شيوخ وأطفال ونساء وشباب ورجال ، فيكون الصالحين للقتال منهم حوالي ٣٥ % أي ما يقرب ٣٠ الف رجل وشاب وفتي من عمر ١٥ حتي ٥٠ سنة قادرين علي القتال وهو اقصي تقدير وغالبا سيكون العدد اقل من ذلك ، اذا علمنا ان سكان مدينة (حبرون) او (غزة) لا يتجاوز سبعة آلاف نسمة فيكون الجيش في الحامية حوالي الف علي الأكثر وهو ما يضمن نجاح الغزو.

٥) السمار الي حبرون: كما قلنا من هضبة التيه الي شمال شرق سيناء فصحراء النقب ثم الي مرتفعات جنوب فلسطين الي الخليل (حبرون).

يمر الطريق ببابار النقب لتامين المياه ومناطق جبلية للراحة ثم الصعود التدريجي الي جبال الخليل ، والمسافة التقريبية حوالي ٢٠٠ الي ٢٥٠ كم من التيه ، وهو ما يمكن تقديره بحوالي ١٦ الي ٢٠ يوما من المسير مع الشيوخ والنساء والمواشي .

٦) مراحل دخول المدينة:

أولا: الاستطلاع والتجسس بارسال الكشافين لتحديد نقاط الضعف في الاسوار والممرات الجبلية .

ثانيا: الخطة القتالية كما ذكرها القرآن قوله تعالي (ادخلوا عليهم الباب) وقوله تعالي (ادخلوا الباب سجدا) وهو يعني اقتحام باب المدينة ، وهو عادة ما يكون باب خشبي سميك ، يتم كسره او دفعه باستخدام عواميد خشبية طويلة بضربات مستمرة وتغطية من السهام والنبال والحجارة علي الأبراج حتي يتم فتح باب المدينة.

ثالثا: تمكن الجيش اليهودي من فتح الأبواب والسيطرة علي الاسوار ،وبعد ذلك كان امر الله لهم ان يدخلوا الباب سجدا ولنفصل ذلك الامر ، لا ن الرواية التوراتية تحتوي علي مغالطات كبيرة ولحين الحظ فان الآيات القرآنية كشفت كذب التوراة وتحريفها يفي هذا الموضع ..

الرواية التوراتية: الرواية التوراتية أولا تفترض ان المدينة المقتحمة هي اريحا ، وسنتجاوز ذلك الي ما حدث بعد الاقتحام ،

تذكر التوراة أولا هدم الاسوار بشكل كامل وهي قصة شعبية منتشرة بهدم اسوار اريحا العالية ،

ثم قاموا بنهب المدينة واخذ الممتلكات والغنائم والحيوانات والأسلحة ،واعتبرت النساء والأطفال ضمن الحرم فتم قتلهم واخذ بعضهم عبيدا او اسري ويظهر ذلك من النصوص كالتالي:

-فحرمت المدينة بكل ما فيها من رجال ونساء وأطفال وبقر وغنم وحمل – يشوع ٦:٢١

-المدينة سلبت الرجال قتلوا الاسوار حرقت البقية تم اسرهم او قتلهم – يشوع ٢٨-٨:٢٤

النص القرآني: يفضح كذب التوراة التي قد اقرت ما فعلوه بعد الدخول علي انه امر من الله ، ولكن القرآن يقول (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) وهو قوله تعالي (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) أي ان الله امرهم دخول الباب سجدا ، وسجدا تعني التواضع والخضوع لهيبة الله والدخول في سلام وطلب المغفرة من الله (حطة) ، ولا ننسي ان دخولهم كان تحت قيادة نبي الله يوشع ولان دين الله واحد فانه

قد امرهم بعدم السلب او القتل او التعرض للأطفال والنساء والشيوخ او حرق المدينة ، وهو مطابق لما عرف عن النبي صلي الله عليه وسلم عند فتح خيبر اذ اوصي جنوده (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأه ولا تهدموا بيتا ولا تحرقوا ارضا ولا تقلعوا ذرعا) فهذه هي وصية أي نبي لجيشه وهذا هو منهج الله الثابت في القرآن ، وقد اكد ذلك القرآن (ادخلوا الباب سجدا) أي في سلام وخشوع وتواضع .

والواضح ان يوشع لم يكن قادرا علي كبح جماحهم اذ انهم بمجرد الدخول مارسوا طبيعتهم الوحشية التي نراها اليوم من الجيش الإسرائيلي اذا دخل مدينة فقاموا بالقتل والسلب والحرق والتدمير واغتصاب النساء وغيرها من الأمور التي لم يجدوا حرجا ان يذكروها في التوراة .

□الملك الاول

---

١) وفقا للتوراة – سفر القضاة، وسفر صمويل – لم تكن هناك دولة مركزية بعد دخول المينة ولم يكن هناك ملك او حاكم فكل سبط كان يعيش مستقلا تقريبا ويظهر بعد ذلك قادة يسمون قضاة (شفاطيم) في وقت الازمات فقط . والنص يكرر عبارة (في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل كل واحد عمل ما حسن في عينيه ،

ظل الوضع علي هذا الشكل الي ان ظهر النبي التالي وقد اشير اليه في القرآن بدون ذكر اسمه ، الا ان التوراة تذكر اسم (صموئيل) ولا مشكلة في قبول الاسم.

٢) جالوت: يتشابه رواية القرآن مع التوراة في ان جماعات بربرية كانت تزعج المدن في هذه المنطقة وكانت تغير علي المدن وتنهبها وتقتل أهلها ، بقيادة ملك او رئيس سماه القرآن (جالوت) وفي التوراة (جليات) , Goliathوقد اشتد اذاهم علي بني إسرائيل الذين يعيشون متفرقين حول حبرون وبيت لحم وليسوا اهل قتال وكانوا دائما يرفضون ان يحملوا السلاح ، ولنفصل معا امر جالوت وجماعته لنحاول مطابقته مع الجماعات والشعوب التي سادت تلك الفترة من ارض كنعان..

أولا: شعوب البحر:

تحالفات بحرية ظهرت في أواخر القرن ١٢ ق.م وهاجمت سواحل الشام ومصر، وذكرت في نقوش رمسيس الثالث في معبد مدينة (هابو) ومنهم (الشردان و الشاكلس و الدينيين و البلست الذين يربطون لاحقا بالفلستيين) وتسببوا في انهيار مدن ساحلية كنعانية .

ثانيا: الفلستيون:

بعد موجة شعوب البحر استقر الفلستيين في الساحل الجنوبي لكنعان خاصة في (غزة وعسقلان واشدود وجت و عقرون) وتعرف بخماسي المدن الفلستية وهم القوة الأبرز في القرني ١١ و١٢ ق.م وظهروا لاحقا كخصم رئيسي لبني إسرائيل في زمن القضاة ثم زمن شاول وداوود .

وقد ظهر ذلك في نصوص التوراة التي تظهر صراعات متكررة بين بني إسرائيل والفلستيين خصوصا في معارك (شمشون) ومعارك في زمن شاول .

واظهرت الحفريات اثار معارك علي التماس بين المدن الساحلية والمدن الجبلية التي يسكنها بني إسرائيل مما يؤيد فكرة كونهم العدو المقصود في الروايات الدينية

اما عن اسم جالوت : فقد ذكر في القرآن كرئيس لهذه الجماعات خصوصا في الحرب ضد الملك طالوت (شاول) ، والحقيقة ان (جالوت) ل اصل له في العربية وهو اسم معرب من اصل اعجمي ، وغالبا هو (جليات) في العبرية ولسوء الحظ فان هذا الاسم أيضا محول من لغة اخري ، غالبا هي لغة الفلستيين اذا كانوا بالفعل هم المقصودين ، و الفلستيين شعوب مختلطة من اصل (أيجة) ولغتهم غير معروفة لنا اليوم . والخلاصة ان جالوت كان اسم احد ملوكهم او قائتهم في هذا الوقت وهو الذي كان يقودهم في المعارك التي دارت مع بني إسرائيل.

٣)كانت مهمة النبي (صمويل) هي أيجاد رجل بصفات محددة لتنصيبه ملكا علي بني إسرائيل وقد ذكر هذا في القرآن قوله تعالي (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ —البقرة)،

اذا كان المهمة الاولي أيجاد الملك والثانية هي اعداده لمحاربة جالوت وجنوده .

٤) يذكر القرآن اسم هذا الرجل (طالوت) ويعني في العربية ذو الطول او الرجل الطويل ، وواضح ان الاسم هو وصف وليس تعريب وهو أسلوب معروف في القرآن ، ويتوافق مع الرواية العبرية فنجد في صموئيل الأول ٢٣:١٠ - ولما وقف بين الشعب كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق، وفي صموئيل ٢:٩ – وكان له ابن اسمه شاول ولم يكن رجل من بني إسرائيل احسن ممنه ، من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب.

وكذلك أشار القرآن الي طوله بقوله (وزاده بسطة في العلم والجسم) .

اما (شاول) فالاسم العبري مشتق من الجذر (شال) ومعناه سأل وطلب والمعني الحرفي للاسم المطلوب او الذي طلب وهو أيضا اسم صفة وليس اسمه الحقيقي لان المقصود انه الرجل الذي طلبه الله للبحث عنه .

٥) ظل صموئيل يبحث عن الرجل حتي وجده ، وقدمه لبني إسرائيل كملك عليهم متوج من الله ، ليجمع الجيش ويقاتل الأعداء ، ولكنهم اعترضوا كعادتهم، وقد وثق القرآن ذلك بقوله تعالي(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ - البقرة
والواضح ان اعتراضهم كان علي مركزه اذ غالبا قد جاء من عائلة فقيرة وليس لها شأن او نسب بينهم .

٦)قوله تعالي: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَاية مُلْكِهِ أَن يأتيكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَاية لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ – البقرة ٢٤٨
وهنا يبين لهم صمويل ان الله اختاره وحدد علامة علي اختياره ، وهي ان يظهر تابوت العهد الذي فقدوه في التيه ولنفهم بالتحديد ما هو تابوت العهد..

أولا: من المرجح ان تابوت العهد قد صنع في زمن موسي عليه السلام عليه السلام ليحفظ فيه نسخ الالواح و ربما أشياء تخص موسي عليه السلام وهارون ومخطوطات مدون بها شريعة موسي عليه السلام وتعاليمه واشياء متعلقة بالصلاة والطقوس الدينية (بقية مما ترك ال موسي عليه السلام وال هارون)، اما سكينة فتعني في اللغة : الهدوء والاستقرار والسكون والطمأنينة والحضور الروحاني .

ثانيا: الرواية التوراتية تذكر انه صنع من خشب السنط طوله زراعان وعرضه زراع وارتفاعه ذراع ونصف ، أي ما يقارب ١١٠ -١٣٠ سم طول ،وهو ما يتوافق مع المواد المتاحة في الصحراء بسيناء، ثم تقول التوراة انه مغطي من الداخل بذهب نقي ومن الخارج تغشيه (تغطيه) ولكننا نعرف انهم قد استخدموا ذهبهم بالفعل في صناعة العجل الذي قام موسي عليه السلام بالتخلص منه كلية في البحر ليحسرهم علي ذهبهم ولا نعرف اذا كان قد تبقي لديهم من الذهب ما يكفي لعمل غطاء للتابوت ام لا .

ثالثا: مجسمان صغيران من الملائكة المجنحة (الشروبيم) اجنحتهما ممدودة ومظللة للغطاء ، وهو امر غير مستبعد ان يتم نحتهما من الخشب او تغطيتهما بالذهب ان وجد بالفعل ، والشروبيم في العبرية ملائكة علي هيئة أطفال لهمنا جناحان. ومعناها المقربون من الله .

رابعا: اذا كيف نفهم هذه العلامة . علمنا ان التابوت قد ضاع منهم في التيه وكان التابوت يعتبر فألا وعلامة علي النصر وفقدانه يعد شؤما عليهم ، ولذلك اختار الله تلك العلامة ليثبتهم علي القتال ويعلمهم انه سينصرهم ان قاتلوا، (فيه سكينة) وهي الطمأنينة والاستقرار كما رأينا، ولكن كيف تحمله الملائكة؟

هناك فرضان..

الأول ان يكون المعني ظاهري أي الملاكان علي جانبي التابوت يبدوان وكأنهما يحملأنه

والثاني : هو ان يكون بالفعل قد حمل التابوت ملاكان ربما علي هيئة بشر الي موضع محدد ليظهر لبني إسرائيل.

٧) اذا ثبتت الرؤية وتم تعيين الملك طالوت(شاول) اول ملك جامع علي بني إسرائيل وسط اعتراضات كثيرة كالعادة ، وبدأ التجهيز والاستعداد لتكوين جيش لصد هجوم الفلستيين بقيادة (جليات) او (جالوت) ، بينما كان علي النبي (صمويل) ان يتم مهمته التالية التي كلف بها وهي البحث عن داوود ، النبي والملك القادم لإسرائيل.

داوود من الميلاد الي الملك

من الصعب تحديد وقت ميلاد داوود ، فكما نري ان الروايات التوراتية لا يمكن الوثوق فيها لعدم معقوليتها ولكثرة افتراءاتها ، والحقيقة ان تاريخ داوود عليه السلام بالتحديد من اكثر ما لفق فيه من افتراءات في التوراة وحكايات لا يليق ان تنسب لنبي كما سنري ولذلك فإننا سنتجنب الرواية اليهودية تماما ..

١) ان الدراسات اليهودية تخلص الي ان ملك (شاول) كان بعد حوالي ثلاثة قرون من دخول المدينة المقدسة ، ولكن هذا التقدير فيه كثير من المبالغة والمغالطات التاريخية، حيث ان الثابت تاريخيا والمدعم بالأدلة الاثرية هو ان ظهور اول مملكة موحدة لبني إسرائيل في فلسطين كان بين القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد ، كما سنري بعد قليل، اما وفقا لحسابات التوراة يكون ملك داوود علي الأقل في القرن الثامن قبل الميلاد أي بعد قرنين علي الأقل والحقيقة انه لا يوجد أي دليل يدعم هذا الرأي الا الرواية التوراتية والتفسيرات اليهودية .

ولذلك ، كما قلنا سنتخطى التوراة الي ما يفرضه المنطق التاريخي والأدلة

الاثرية من كون مملكة إسرائيل الاولي قد قامت في القرن العاشر علي الأقل ، وهذا يجعل ملك (شاول) بعد مئة وخمسين عام علي الأكثر من دخول المدينة (حبرون) ،

٢)القرآن يثبت ان داوود حارب في جيش طالوت (شاول) أي انه كان علي الأقل في عمر الخامسة عشر وقت ملكه ، فاذا كنا قد وضعنا زمنا تقريبيا لملك شاول ، بعد ١٥٠ عام من الدخول الي حبرون وهو الذي وقع ما بين ١١٥٠ -١١٤٠ ق.م يكون ملكه حوالي ١٠٠٠ ق.م تقريبا ، ونكرر اننا هذه المرة نضع تاريخا تقريبيا يمكن ان يخطي بمقدار عشرة او عشرين سنة قبل او بعد هذا التاريخ. وعلي ذلك يكون ميلاد داوود تقريبا في بداية القرن العاشر او نهاية القرن الحادي عشر وسنأخذ المتوسط نفسه أي ١٠٠٠ ق.م

٣) حسب التوراة فان داوود ولد في (بيت لحم) وهي تبعد عن حبرون بحوالي ٢٢ كم ، وتثبت التوراة انه انتقل الي حبرون لمحاربة جالوت مع جيش شاول وانه اتخذها عاصمة له قبل الانتقال للقدس – وهو دليل جديد علي ان حبرون هي المدينة التي دخلها بني إسرائيل وليست اريحا.

وأيضا وفقا للتوراة ان داود كان من عائلة فقيرة بدوية يعملون بالرعي وعمل معهم داوود وكان اصغر اخوته ، وهذا يتفق مع ما ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم بانه ما من نبي الا وعمل بالرعي ، ولا مانع من الاخذ بهذه الرواية .

٤)تعرف النبي (صمويل) علي داوود ولا نعرف ماذا قال له ولاهله حتي يذهب معه الي حبرون وكان من المفترض ان يقوم صمويل باعداده للنبوة والملك القادمين في المستقبل ، ولا توجد تفاصيل مؤكدة ، وفي هذه المرحلة لن ناخذ من التوراة لما عهدنا عنها من مبالغات ومغالطات خصوصا في شئون الحرب، وكل ما نعرفه هو اشتراك داوود في الحرب مع شاول(طالوت) .

٥)القتال:

تخبرنا النصوص القرآنية عن بعض اللمحات من احداث الحرب، منها ما حدث خلال المسيرة الي القتال، وهو قوله تعالي: فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّبِرِينَ – البقرة ٢٤٩

أولا: حسب التوراه فان المعركة قامت في وادي (أيله) شمال غرب حبرون – دليل اخر علي صحة اختيار حبرون – وهو الوادي الذي يفصل جبال يهوذا عن السهل الفلستي ،موقع الفلستيين (جالوت وجنوده) ،

والحقيقة ان هذا الموقع منطقي جغرافيا ، وعلي ذلك يكون المهر المقصود في الآية هو نهر موسمي وليس دائم في وادي أيله وهو اقرب مجري مائي موجود في المنطقة كلها وهو مجري مهم في اتجاه (جت) احد مدن الفلستيين .

ولكن لماذا حذرهم من الشرب من النهر ؟

هناك فرضين : الأول ان يكون مياة النهر غير صالحة للشرب ولكنه احتمال مستبعد لان هذا امر معروف من البدو وسكان الصحراء فلا يقعون في مثل هذا الخطأ ولو كان غير صالح للشرب لما شربوا منه حتي لو كانوا في شدة العطش،

الفرض الثاني هو سبب تكتيكي ، فاذا صح وصف التوراة لميدان المعركة – وهو منطقي تاريخيا وجغرافيا، فيكون كل من الجيشان اعلي جبل والوادي يفصل بينهما حيث توجد المياه فلذلك منعهم شاول من النزول للشرب في هذا الوقت لأنه كان يعلم ان هناك مكيدة او مصيدة مدبرة لهم حيث ينتظرهم العدو ليشرو حتي ينقض عليهم ، ولما خالفوا امره حدث ما كان يخشاة فقتل منهم عدد كبير وهو ما دفعهم للإحساس بالضعف والهزيمة المحققة (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) ويؤكد ذلك قوله (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله).

ثانيا: قتل داوود جالوت : فكما قلنا جلوت قائد الجيش وواضح ان اسمه كان معروفا في الانحاء بجبروته وقوته وسطوته و وحشيته ، وقد تم قتله عل يد داوود نفسه بنص القرآن ولا يوجد دليل مؤكد عن كيفية القتل او السلاح المستخدم.

٧) أيضا وفقا للتوراة ، ان داوود توج ملكا علي إسرائيل بعد حكم شاول بأربعين عاما فاذا كان عمر داوود وقت تولي شاول الملك خمسة عشر عاما يكون عمره وقت الملك ٥٥ عاما وهو كثير في رأينا

والفرض الأقرب : ان يكون شاول قد استغرق حوالي خمس سنوات لإعداد الجيش ، واذا سلمنا ان عمر داوود وقت الاستعداد للمعركة كان خمسة عشر عاما فان عمره وقت تولي شاول الملك عشرة سنوات وعليه يكون عمره وقت تولي الحكم خمسين عاما وهو منطقي ، وعلي ذلك يكون تلقي النبوة قبل الملك او كان الفارق بينهما قليل.

اذا تولي داوود الملك حوالي ٩٥٠ ق.م وهو يتناسب مع الأدلة التاريخية والاثرية كما سنري.



تصور لشكل التابوت عليه ملكين ومطلي بالذهب

☐ ملك داوود

١) القيمة التاريخية للملك داوود :

يعتبر داوود عليه السلام كملك ، هو المؤسس لأول مملكة موحد في كنعان (فلسطين حاليا) بعد ان ظلت آلاف السنين ولآيات ومدن مستقلة ومتناحرة ، ويمكن اعتباره بمثابة (حمورابي) موحد بابل، او (مينا) موحد مصر ، و(رومولوس) موحد روما ، ورغم قلة المصادر التاريخية البحتة والاثرية التي تذكر هذا الملك فان المصدر الأساسي لهذه الشخصية التاريخية هو المصدر الديني ولولاه لما تمكننا من تمييز اسم (داوود) في الدلائل الاثرية.

قام الملك داوود بتوحيد مدن كنعان كلها، وبدأ بتحرير المدن الخاضعة للفلستيين واحدة تلو الأخرى ، ثم قام بتأسيس مدينة القدس (اورشليم) التاريخية وجعلها عاصمة لدولة إسرائيل الاولي بدلا من حبرون.

٢) الدلائل الاثرية علي مملكة داوود :

أولا: خربة (قيافا) : اكتشفها العالم (وليام ديفيز) في هذه المنطقة – عشرون ميلا غرب القدس – وقرر ان ما وجد فيها من تحصين وتنظيم اداري لا يمكن نسبته الي المزارعين الذين سكنوا هذه الأرض وانما افترض وجود حكم مركزي وعثر علي جرة في هذا الحصن مكتوب عليها (اش بعل) بالعبرية وهو ما يؤكد أولا استيطان بني إسرائيل في هذا المكان كما ان هذا الاسم مطابق لاسم ابن شاول فالتوراة الذي حاول ان يحكم قبل تولي داوود الحكم.

ثانيا: نقش تل دان: يعتبر اهم دليل مباشر علي وجود مملكة داوود ، وتم اكتشافه عام ١٩٩٣ ويرجع عمره الي القرن التاسع قبل الميلاد مكتوب بالارامية ويذكر عبارة (بيت داوود) ، والنقش غالبا أقامه ملك ارامي يرجح انه (حزائيل في التوراة) وقيمة هذا النقش هو انه يعني وجود سلالة ملكية معروفة باسم داوود بعد وفاته بقرن تقريبا ودليل علي وجود شخصية داوود تاريخيا.

ثالثا: نقش (ميشع) – حجر مؤاب: وهو نقش الملك ميشع ويرجع للقرن التاسع وفيه أيضا إشارة لبيت داوود.

رابعا: مدينة داوود بالقدس: حفريات كشفت تحصينات ومبان كبيرة من القرن العاشر ق.م وبعض الباحثين (مثل أيليت مزار) ربطوا بعض الأبنية بقصر داوود .

٣) الافتراءات علي داوود في التوراة :

بداية ، قبل قراءة سيرة داوود في التوراة فان هناك امرا أساسيا يجب معرفته وهو ان التوراة لا تعتبر داوود من الأنبياء، بل ملك قوي وحد إسرائيل في دولة واحدة، ولا نجد ذكر لداوود في قائمة الأنبياء اليهودية ، وبالتالي سليمان عليه السلام ليس الا وريث للعرش بعد داوود ، وان كانت بعض الطوائف تعطي لهما بعض الهالة الروحية الا انهما لا يعدوان ان يكونا ملكان فقط. ولهذا لا نجد أي ذكر لمعجزات داوود ولا قدرات خارقة له في التقاليد اليهودية ، وهذا يفسر القصص الكارثية المنسوبة اليه في التوراة كما سنري..

أولا: حادثة (بثشبع) :

من اكثر الروايات تجاوزا وتجنيا ، وردت في صموئيل الثاني ١٢-١١ ،

تحكي ان جيش إسرائيل كان يحاصر مدينة ــربة بني عمون) ولكن داوود بقي في اورشليم ، فرأي امرأه تستحم (بثشبع) فارسل واخذها وكانت زوجة (اوريا) الحثي وهو احد جنوده ، وحملت المراة من يعقوب ، فقرر ان يستدعي اوريا من ساحة القتال ويامره ان يبيت مع زوجته في بيته ليظن ان الحمل بعد ذلك حدث منه لا من يعقوب اذ انه بالضرورة سيضاجع زوجته هذه الليلة، ولما رفض اوريا بدافع التضامن مع الجنود في الميدان ارسل داوود رسالة مع اوريا الي قائد الجنود (يواب) يأمره فيها بوضعه في الصفوف الامامية في اشد القتال ثم الانسحاب من خلفه ، وعليه فقد قتل اوريا في المعركة وبعد انتهاء الحداد تزوج داوود بزوجة اوريا التي اشتهاها.

وبعد ذلك ، لان داوود كان نجسا كما رأينا، فارسل الله النبي صلي الله عليه وسلم (ناثان) ليواجه داوود بمثل الرجل الغني والفقير فاقر داوود بخطيئته ويذكر ان الطفل الذي حملت به مات .

ثانيا: زنا داخل بيت داوود: من نفس المصدر تذكر التوراة:

امنون ابن داوود اغتصب ثامار اخته، فقام (ابشالوم) بقتل امنون انتقاما منه ، ثم تمرد علي ابيه داوود واندلعت حرب داخلية بين الاسرة.

ثالثا: تسليم سبعة من نسل شاول في صموئيل الثاني ٢١ نص (سلم سبعة من نسل شاول للجبعونيين ليقتلوا كتكفير عن مجاعة ، بمعني اخر يقتل سبعة أبرياء كقرابين .

الحقيقة انه لا حاجة لتفنيد تلك الروايات واعتقد ان هذا المثال كاف لنبذ التوراة كمصدر تاريخي لقصص الأنبياء لكثرة الافتراءات التي وردت بها ، وقبل داوود ذكر قضاة مثل (شمشون) الذ حكت انه حارب الفلستيين وحده بفك حمار وقتل ستمائة منهم في معركة واحدة ثم ذهب ووجد امرأه عاهرة (هكذا جاء في النص) وبات معها الليلة .

ونجد في موضع اخر انه اخذ ثلاثمئة ثعلب وربط في اذنابهم شعلة من النار ثم اطلقهم علي القرية فاحرقها . ومن ذلك امثلة كثيرة ولا اعرف ماذا كان يدو رفي ذهن كاتب هذه الآيات.

٤) داوود في القرآن:

علي العكس من التوراة فان داوود في الرواية الإسلامية هو نبي وملك ، ولذلك فهو منزه عن هذه الضلالات التي رأيناها في التوراة ، ونذكر ما قال عنه القران ..

أولا: وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب

يؤكد القرآن ما ذكرناه عن ملك داوود القوي وقوله (شددنا ملكه) دليل علي الملك القوي الموحد والمركزي والذي يشمل جيش منظم ومجهز للدفاع ومتمرس نظرا للمعارك التي خاضها لتوحيد المملكة وضم مدن كنعان المتفرقة وهزيمة الفلستيين الذين سادوا المنطقة لزمن، والدلائل الاثرية تؤكد وجود دولة بالمعني الحقيقي من اسوار وحاميات ومباني إدارية ومناجم ،

(واتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وغالبا يقصد به امران، الأول هو الذكاء والعلم وهو ما اظهره من براعة في قيادة بني إسرائيل الي توحيد الدولة بالإضافة الي الموهبة العقلية وسرعة البديهة للحكم وفهم الأمور واستنباطها ، والثاني فصل الخطاب غالبا يعني القدرة علي تنظيم الابيات والاناشيد وهو ما عرف عنه (بمزامير داوود) وهي أناشيد تعبدية بصوته الملائكي .

ثانيا: قوله تعالي: وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب، إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَٰطِ، إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ – ص ٥٥
هذه القصة اختلفت فيها التفسيرات خاصة في تحديد هوية هذان الخصمان اهم من الانس ام من الجن..

اما قوله (تسوروا) أي تسلقوا سورا او حائطا او جدارا ، (المحراب) هو البيت او البناء الذي يسكن فيه او يبيت فيه ، والمقصود بيت داوود الذي يقيم فيه ،

السؤال الأول في تلك القصة هو هل حدثت تلك الحادثة اثناء نبوة داوود او ملكه ام حدثت قبل ذلك في شبابه او صباه؟

الحقيقة ان الإجابة هي قوله (ففزع منهم) لأنه من غير المعقول ان نبي وملك قاد حروبا واسعة وهو قد تخطي الخمسين من عمره ، يفزع لان اثنان قد دخلا محرابه بطريق غير طبيعي او خلسة أي ليس من الباب او بدون استئذان، والمنطقي ان هذا حدث في صباه كاختبار لذكاءه او اعداده للحكم عقليا ، وطبيعي ان صبي او فتي يفزع عندما يأتيه خصمان . والمشكلة في هذا الفرض هو لماذا اختار الخصمان صبي او شاب لا شان له لسؤاله ؟

والاجابة انهما كانا يعرفان بنبوته وهو ما يدعم فرضية كونهما من الجن .

والفرض الثاني هنا انه كان ملكا ونبيا ، ولكن أيضا المشكلة في صعوبة فهم سبب فزعه ، علما بان (الفزع) اقصي درجات الخوف ويفترض رؤية شيئا لا يمكن توقعه ، فكيف يفزع داوود وهو ملك ونبي كبير في السن من اثنان دخلا عليه خلسة حتي لو ظن انهما لصان، وما الحاجة للتوبة والركوع لله بعد رحيلهما اذا ؟

ويدعم هذا الفرض قوله تعالي (وظن انما فتناه) والظن في القرآن يفيد اليقين وهو ما يدعم كونه نبيا في هذا الوقت.

وورد في التفاسير عن ابن عباس انه ذهب الي ان سبب فزعه هو انهما دخلا عليه في غير يوم القضاء فظن انهما جاءا ليقتلاه ، وعن سبب توبته بعد ذلك هو التسرع في الحكم، واري ان الأنبياء لا يفزعون لهذا السبب ولا يخشون علي حياتهم مثل باقي الناس كما ان هذا ليس سببا للتوبة والانابة، وفي رواية انهما اختفيا فجاة بعد ما قضي لهما فعلم انهما ملكان من عند الله لاختباره ولذلك سجد .والحقيقة ان ترجيح احدي الفرضين امر صعب والاغلب انه كان نبيا وقت حدوث ذلك وانهما لم يكونا من البشر .

رابعا قوله : والنا له الحديد: وهي من القدرات الخاصة التي منحت لداوود عليه السلام ان يقوم بثني وتشكيل الحديد بدون تسخينه وبيده العاريتان ، والغالب انه كان يستخدم هذه القدرة اثناء الأعداد للحرب الاولي مع جالوت وجنوده وكان يصنع السيوف والدروع للجنود لان كل قدرة تعطي لنبي لابد لها من فائدة في مهمته ورسالته

خامسا: قوله تعالي: يا جبال اوبي معه والطير ، وفعل (اوب) من الأياب وهو الرجوع او العودة ويستعمل في اللغة بمعني التوبة الي الله والندم علي اخطأ وغالبا تعني الصلاة والذكر والاستغفار وقد وصف بها داوود في القرآن (انه اواب) ، اما عن الجبال فنسبة الفعل اليها يعني إعادة الصوت والاستغفار والمقصود هو الصدى الذي يردد وراءه اناشيده وغناءه في التسبيح لله والتغني به .

٥)حدود مملكة داوود :

لا يوجد اتفاق اثري وتاريخي علي حدود مملكة داوود ولكن الأرجح انها لم تكن صغيرة كما يدعي الاتجاه المحافظ من الباحثين في تاريخ كنعان ولم يكن امبراطورية كما تدعي التوراة والأرجح ان تكون قد ضمت عدة مدن المؤكد منها (القدس و حبرون وجبل الجليل ومؤاب ومنطقة يهوذا وربما غزة واريحا او ما حولهما من أراضي) ولا دليل علي ما تقوله التوراة من انها وصلت لحدود الفرات .

اما النطاق الزمني لدولة إسرائيل الموحدة (قبل الانقسام) الذي وقع بعد وفاة سليمان ، أي بداية من حكم شاول الي موت سليمان، فالتقدير التاريخي ما بين ١٠٢٠ الي ٩٢٢ق.م أي قرابة قرن واحد ، فاذا كنا قد رجحنا ولادة داوود حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد ، و المعقول ان توليه الحكم في سن الاربعين تقريبا فيكون ذلك حوالي ٩٦٠ ق.م بهامش خطا عشرين عاما ، وهو ما يتسق مع التقديرات التاريخية اذا قدرنا وقت تولي سليمان الحكم بموت داوود في سن السبعين وهو اقصي عمر للبشر في المتوسط في هذا الزمان ، فيكون ملك سليمان ٩٤٠ ق.م بنفس هامش الخطأ.

٦) وفاه داوود عليه السلام:

وفقا لما تقدم من تقدير لعمر داود وقت الوفاة بسبعين عاما يكون وفاته ٩٤٠ ق.م تقريبا ، والأرجح ان يكون مكان دفنه اما في القدس او في حبرون حيث الأرض المقدسة ومدفن الأنبياء ، و اذا كان موته في العاصمة في القدس وهو الأرجح فيكون الأقرب هو ان يدفن في القدس والله اعلم.

الفصل الحادي عشر

سليمان اعليه السلام

فتنة سليمان

ملكا لا ينبغي لاحد

الافتراءات علي سليمان

تحديد مملكة سبأ وقصة الملكة

موت سليمان

يعتبر سليمان النبي صلي الله عليه وسلم والملك من اكثر الشخصيات جدلا في التاريخ الديني علي الخصوص وفي التاريخ عموما ، لان اسم سليمان لم يذكر في أي نقوش او كتابات اثرية – حتي الان – ويثور الجدل خاصة بسبب ما عرف عنه في الروايات الدينية من قوة وتمكين في الأرض ومن قدرات او خواص غير معتادة رفضها كثير من الباحثين غير المتدينين مثل تسخير الجن والحيوانات والرياح وغيرها من الحكايات التي تخطت حدود القصص القرآني الي كثير من المبالغات والزيادات..

وفي هذا البحث سنتناول ميلاد وملك سليمان من الناحية التاريخية ، وسنبحث بتفصيل تلك الروايات الصحيح منها اعتمادا علي النص الفراني بصفة أساسية مع الالتزام بحدوده دون التطرق الي ما زاد عليه من حكايات ملأت التواصل الاجتماعي والتي لا اصل لها.

وسنفصل بحث خاص في قصة ملكة سبأ من الناحية التاريخية ..

□سليمان من الميلاد الي الملك

١)كما قلنا في ختام الفصل السابق ان سليمان تولي الحكم بعد ابيه حول العام ٩٤٠ ق.م ولا يوجد نص اكيد عن عمره وقت تولي الحكم الا ان التوراة تشير الي صغر سنه ، وهذا مقبول ومنطقي في الحكم الملكي ان يتولى الابن ولاية العهد بعد ابيه في سن صغيرة ، ووفقا للتوراة أيضا فان سليمان كان اصغر أبناء داوود ومع ذلك عهد اليه بولاية العهد مما اثار غيرة وكراهية اخوته وهو امر مرجح سنراه فيا لسياق بعد قليل، اذا يكون من المعقول تولي سليمان الحكم في سن الخامسة والعشرين الي الثلاثين ولا نرجح ان يكون اقل من ذلك، وعليه فيكون مولده قبل خمسة وعشرين الي ثلاثين عاما من توليه الحكم أي حول العام ٩٦٥ ق.م

٢) الاسم (سليمان) لا اصل له في العربية وهو علي الاغلب معرب من العبرية والاسم المستخدم في التوراة هو (شلومو) وهو مشتق من ش ل م وهو نفس الجزر لكلمة (شالوم) أي السلام او الكمال او الاستقرار، ولو كان للاسم جزر في العربية لكان (س ل م) ويعطي نفس المعني في العبرية.

٣) تولي سليمان الحكم وكانت الدولة مستقرة في عهد داوود ولا يوجد دليل علي انه كانت هناك حروبا او صراعات وقت تسلم الملك ، وهو ما تقره التوراة حيث تقول ان الرب اتراحه من الأعداء من حوله ، وهذا متسق مع السياق القرآني من ان عهد سليمان كان يتسم اكثر بالبناء والمعمار والنهضة الاقتصادية والثقافية والعلمية كما سنري، فيكون داوود هو الملك المحارب موحد الدولة ومؤسسها وسليمان هو صاحب النهضة في كل المجالات وعصره هو العصر الذهبي لإسرائيل وبلاد فلسطين. وكما قلنا في الفصل السابق ان سليمان في التوراة والتقاليد اليهودية ليس الا ملك ورث الحكم من ابيه ولا يعتبر نبيا وفقا لليهودية.

٤) فتنة سليمان :

تعتبر هذه القصة أول المشكلات في سياق قصة سليمان في القرآن ، اذ يدخل فيها تفسير قوله تعالي (**ولقد فتنا سليمان والقينا علي كرسيه جسدا ثم اناب**)، وقد اختلف في تفسيرها وسنعرض ملخص لما قيل فيها:

أولا: في كتب التفاسير ورد افتراض بان شيطانا قد حصل علي خاتم سليمان الذي يحكم به وجلس علي كرسي الحكم وظل يحكم مدة بينما كان سليمان قد أصيب بسحر او مرض جعله يفقد التمييز ويهيم بين الناس بينما يحكم هذا الشيطان بدلا منه، والحقيقة ان هذه القصة من التراث اليهودي الشعبي ولا اصل لها كما ان مسألة ان الشيطان يحكم لا تبدو منطقية والمسألة كلها تنطوي علي عبث لا سند له.

ثانيا: الفرض الثاني الذي ورد في كتب التفاسير هو ان سليمان قد أصيب بمرض جعله غير قادر علي ممارسة شئون الحكم حيث اصبح مثل الجسد بلا روح وظل هكذا لفترة ثم شفاه الله. وهذا الفرض منطقي ولا عور فيه الا ان هناك مسألة تجعلنا مترددين في قبوله وهي ملاحظة ان القرآن جاء بسياق مترابط في تلك الآيات حيث نجد الآية التالية تقول (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) اذ انه من الواضح ان الآية الثانية كانت نتيجة للأولي وسنفصل ذلك..

ثالثا: لقد وضحت آيات القرآن التي وصفت القدرات التي أعطيت لسليمان عليه السلام بانه قد منح السيطرة علي مجموعة من الجن وهي ابرز هذه الخواص التي ميز بها، وهي وفقا لإجماع المفسرين جزء من الملك الذي طلبه من الله في الآية السابقة، ولذلك فان السياق المترابط للآيات يفهم علي ان سليمان قد وقع في فتنة شديدة (فتنا سليمان) ثم زالت عنه فشكر الله وطالب منه ملكا خاصا ، وكما نعرف ان الأنبياء لا يطلبون الدنيا وملا يشتهون ملكا او مالا او سلطان، فاذا كان سليمان طلب هذا الملك من الله فان ذلك بالقطع كان لازما

للاستمرار في أداء رسالته ومهمته المأمور بها كنبي ، ولذلك فنري انه قد خشي شيئا مميزا من الفتنة التي مر بها ولذلك بمجرد ان افاق منها طلب طلبا يضمن له عدم تكرار ذلك الامر الخطير ، وهو امر يخص ملكه .

وهنا يأتي افتراض ان شيطانا قد استحوذ علي ملكه ، وهو كما قلنا مستبعد، وافترض المرض الشديد لا يبرر هذا الطلب من الله ، وما نراه هو وسط او خليط بين الامرين،

ولذلك فان الفرض الذي نذهب اليه هو ان سليمان قد أصيب بسحر – ربما من احد اخوته طمعا في الاستحواذ علي الحكم ، هذا السحر جعله مغيبا لفترة او كان كامل الادراك ولكنه لا يستطيع الكلام او الحركة وهو مطابق لقوله (جسدا) لان الجيد في اللغة يعني الجسم بلا روح ، ونري ذلك في قوله (عجلا جسدا) أي جسم العجل ولا روح فيه ، وليس المقصود ان سليمان كان ميتا لكنه كان غير قادر علي التصرف – او كان مشلولا كلية – والسبب الذي جعلنا نفترض انه كان سحرا هو اننا اردنا ادخال عامل الشياطين في الفتنة لان المرض وحده ليس فتنة تستدعي ان يطلب السيطرة علي الجن ، اما اذا كان سحرا فيكون منطقي ان يطلب هذه القوة حتي يضمن عدم تكرار الامر لان الجن اصبح غير قادر علي التعرض له بل اصبح عدوه السابق – سبب الفتنة – بعد الملك ، خادما مطيعا يخافه ويخشاه .

رابعا: النقطة الثانية في شأن الفتنة ،**هل كان سليمان نبيا وقت الفتنة ام كان ملكا فقط؟**

والحقيقة ان قولنا انه كان نبيا ، قد يعترض البعض بشانه حيث ان الأنبياء لا تسحر، الا انه من الثابت في صحيح البخاري من ان النبي صلي الله عليه وسلم قد سحر والقصة موثقة ، وعلي اية حال فان المرجح عندنا انه لم يكن قد بعث نبيا خلال الفتنة ، وهذا لسببين،

الأول ان افتراض المؤامرة من اخوته من اجل الملك من المنطقي ان تكون في بداية توليه الحكم وبعد موت داوود مباشرة او بفترة قصيرة، أي كان سليمان دون سن النبوة بكثير (٢٠ – ٣٠ عام) والثاني هو ان طلبه الملك الاستثنائي يفترض كونه نبيا ، ولذلك فنقترح ان يكون وقت الفتنة هو قبيل بعثة سليمان أي انها بدأت وانتهت قبل النبوة مباشرة ولذلك فعندما اوحي اليه بالنبوة طلب هذا الملك اذ انه كان لايزال يؤرقه امر الفتنة وتهديد الملك فعندما ارسل اليه وجاءته الأوامر بمهمته في الأرض طلب هذا الطلب ليضمن إمكانية تنفيذ مهمته ، وهو بالضبط ما فعله موسي عليه السلام من قبل اذ طلب اشراك اخاه هارون في النبوة لعونه (وارسل الي هارون) .

خامسا: قد يتساءلا لبعض لماذا يطلب سيمان عليه السلام هذا الطلب بهذه الصيغة (لا ينبغي لاحد من بعدي) بحيث يبدو كانه يطمع في ملك يقترن تاريخيا باسمه ويمنع علي الناس جميعا.

والحقيقة ان القرآن جاء بهذه الصيغة علي لسان سليمان لبيان امرين:

الأول ان هذا الملك الذي يتضمن بشكل خاص تسخير الجن والتعامل معهم في شئون الدنيا، وهو امر محرم علي الانسان منذ خلق ادم وحتي يوم القيامة وهو ما جاء في القرآن بعدة صيغ منها قوله تعالي (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو – الكهف) وقوله تعالي(وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا – الجن) وقوله تعالي(ان الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا – الاسراء) وغيره ، ولذلك جاءت الآية بهذه الصيغة لبيان ان القاعدة المطلقة هي تحريم التعامل بين الانس والجن .

والثاني: هو إمكانية التسخير من الأصل وهي غير واردة وغير ممكنة ، لان تسخير الجن هو ادعاء كاذب يدعيه السحرة والدجالين ويتوهم كثير منهم اذ ان الساحر يعتقد انه ذو سلطة علي مجموعة من الشياطين يعملون تحت امرته الا انه في الحقيقة هو تحت امرتهم يطلبون منه افعالا عظيمة ربما تزيد عما يطلب منهم تحقيقه، ويمكن اعتبار العلاقة بين الساحر والشيطان علاقة عقدية أي شيء مقابل شيء ، اما بالنسبة لسليمان عليه السلام فان العلاقة هنا هي علاقة ازعان بحيث يكون سليمان امرا عليهم لا يخلفون له امرا –كما سنبين بعد قليل بالضبط – أي علاقة تسخير حقيقي ولذلك جاءت صيغة الآية (لا ينبغي لاحد من بعدي) واصل الجملة (لم ينبغ لاحد من قبلي ولن ينبغي لاحد من بعدي) فهذا استثناء مطلق من القاعدة لم ولن يتكرر ، فقولنا (لا ينبغي) يعني التحريم بالنسبة للتعامل بين الانس والجن ، واما التسخير فهو غير ممكن عمليا وان كان الانسان يظن ذلك جهلا .

٥) اذا افاق سليمان من السحر كما افاق النبي صلي الله عليه وسلم بامر الله وقدرته ، فشكر الله ثم اوتي النبوة وطلب طلبه هذا ليضمن الا يتكرر ما حدث ، وتمكن سليمان خلال فترة قصيرة ان يبسط سيطرته هلي الدولة وينهي جميع التهديدات ويتفرغ للبناء والدعوة الي الله.

□ملك لا ينبغي لاحد

لنفهم من خلال آيات القرآن ماهية الملك الذي اعطي لسليمان ..

قوله تعالي: وَلِسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمِينَ —الأنبياء ٨١
قوله تعالي: وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ —النمل ١٦
قوله تعالي: وَحُشِرَ لِسُلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ —النمل ١٧
قوله تعالي: وَلِسُلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ —سبأ ١٢

١) **الريح:** ان مسألة التحكم بالرياح لا تعد امرا خارقا اليوم حيث يشهد العلم تقدما ملحوظا في إمكانية التوجيه المتنامية للرياح وليس التحكم الكامل، اما في القرن لا عاشر قبل الميلاد فالمسالة مختلفة تماما حيث لا يفترض ان احدا قد حصل علي هذه الامكانية ، او هكذا يعتقد ، ولكن هناك اتجاه من الباحثين يرون بان الحضارة قد بداة وانتهت عدة مرات عبر التاريخ السحيق الغير مدون والشواهد العظيمة موجودة حول العالم من اثار يقف العلماء عاجزين عن تفسير كم العلوم التي تحتويه والتي تأكد لهم انها تعود لآلاف السنين قبل ان يكون مفترضا اكتشاف أي شئ عن هذه العلوم.

ولكن بالنسبة لملك مثل ملك سليمان الاسطوري الذي يتحدث عنه القرآن ، هل ممكن ان يكون قد حاز تكنولوجيا تمكنه حقا من التحكم النسبي بالرياح ، خاصة واننا نعرف قصة نقل عرش سبا في طرفة عين حرفيا كما سيأتي..

أولا: (غدوها شهر) غدوها أي سيرها في وقت الغداه من الصباح حتي قبل الظهر.

و(رواحها) أي سيرها في وقت الرواح من بعد الظهر الي المسار. والمقصود (بالشهر) هنا المسافة والسرعة التي تسير بها لان العرب كانوا يقيسون المسافة بالمدة التي تقطع فيها، والمقصود ان سرعة الرياح في يوم واحد تعادل شهرين مما يحتاجه القوافل لتقطع نفس المسافة، فالقافلة تسير تقريبا ٤٠ كم يوميا أي ان مسيرة شهر تساوي ١٠٠٠ كم تقريبا أي وفقا للاية فان سرعة الرياح التي سخرت لسليمان تساوي١٠٠٠ كم في ستة ساعات ، أي حوالي ١٧٠ كم/الساعة تقريبا، وهذه اكبر من سرعة الرياح العادية وتقترب من سرعة طائرة صغيرة.

ثانيا: لنفهم معني الرياح في لغة العرب : في اللغة الرياح أصلا هي حركة الهواء وتستعمل في العواصف والنسيم اللطيف والهواء المتحرك ولها استعمال مجازي (القوة) فيقال ذهبت ريحهم أي ذهبت قوتهم.

ثالثا: عاصفة: من فعل عصف أي اشتد وهب بقوة وفائدتها في الآية مضاعفة القوة – أي السرعة وقوة الرياح في سرعتها فكلما زادت سرعة الرياح أصبحت اقوي فالعاصفة هي الرياح شديدة القوة والنسيم هو الريح الضعيف .

رابعا: الأرض التي باركنا فيها: يرجح المفسرين انها ارض الشام والتي كانت تضم وقتها ارض فلسطين كلها ، وهو ما يتفق مع قوله تعالي (المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) وان كان المسجد الأقصى غير موجود بعد في عهد سليمان الا ان المقصود هو البقعة التي بني عليها وما حولها ، وهو مقر ملك سيمان ، أي بيت المقدس (اورشاليم) اذا ماذا يوجد حول المسجد الأقصى جغرافيا ، غالبا محيط القدس كلها والقري المجاورة وربما ارض الشام عموما ، والمقصود اذا مملكة سليمان وخاصة مدينة القدس.

خامسا: اذا كيف نفهم ان لسليمان الريح؟

المقصود هو ان لسيمان عليه السلام قد استحوذ علي إمكانية التحرك بسرعات كبيرة ١٧٠ كم بالساعة تقريبا وهي ما تعادل الطائرات الصغيرة اليوم ، ومن المنطقي ان يكون قد حصل علي علم او تكنولوجيا تمكنه من ذلك وهذا شيء مؤكد بنص القرآن كما سنري في قصة نقل العرش من اليمن الي القدس في جزء من الثانية وسنعالج ذلك في موضعه .

وبما ان اثار هذا الملك قد محيت تماما فان أي اثر لهذه التقنية قد زال بدوره ولا نعتقد اننا سنجد اثاره قريبا وسيظل نص القرآن هو الدليل الوحيد علي امتلاك حضارة ما في القرن العاشر لمثل هذه التقنية، وسيفرح بهذا أصحاب الاتجاه المؤمن بان الحضارات القديمة قد حازت علوما مقاربة بل واحيانا متجاوزة لعلومنا المتقدمة.

٢) الجن:

ورد ذلك في عدة آيات في القرآن منها:

قوله تعالي : يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ – سبأ ١٣
قوله تعالي : وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ – ص ٣٧

أولا: محاريب: جمع محراب وهو المكان المخصص للعبادة او الوقوف او مكان مفصول ومخصص لشيء ما ، وفي القصور القديمة يكون غرفة او ركن مهم او خاص عند الملوك.

والقصد هو بناء مبان مخصصة لأغراض إدارية عديدة وقد عثر علي العديد منها يرجع تاريخه للقرن التاسع والعاشر قبل الميلاد وهي مبان يرجح ان تكون مخصصة لشئون إدارية او عسكرية.

ثانيا: جفان: في اللغة هي الوعاء الكبير يستخدم لحفظ الماء وهي اكبر من الكاس العادية .

الجواب: جمع جابية وهي الحوض الكبير او الصهريج الصغير للماء، والقصد انهم يصنعون له اوعية كبيرة جدا بحجم احواض المياه وقال المفسرون انها تستخدم لإطعام عدد كبير من الناس.

ثالثا: قدور : جمع قدر وهو وعاء للطهي عادة مصنوع من النحاس او الحديد او أي معدن يتجملا لنار ، اما (راسيات) تعنيانها مثبتة علي راس النار مباشرة او علي قاعدة مستقرة ويقال راسي أي قدر موضوع علي النار مباشرة ، والمقصود اواني كبيرة وثقيلة للطهي ومستقرة علي النار، وربما يكون المطلوب هو قدور ضخمة لاستعمالها في شيء اخر غير الطهي ربما صناعة ما تحتاج صهر او تسخين شديد.

رابعا: كل بناء وغواص، أي ينجزون له اعمال البناء الشاهقة ويستخرجون الكنوز والمعدن من قاع البحر مثل اللؤلؤ الموجود بالبحر العربي والخليج العربي والبحر الأحمر والمتوسط والذي يصعب جغرافيا علي الانسان في هذا المكان الوصول اليه.

□تسخير الجن

حسنا لنحاول ان نفهم كيفية تسخير الحن في عهد سليمان ..

بداية فان هذه الخاصية قد انفرد بها سليمان كما بينا ولكن اول نقطة تثار هنا هي كيف كان سليمان يسخر الجن بداءة، وهذا يأخذنا الي واحدة من اخطر المسائل التي اثارت جدلا خصوصا قبل نزول القرآن وكذلك بعد نزول الآية الشهيرة في سورة البقرة ، والتي اختلف حول فهمها واخذها البعض الي شطحات بعيدة تقترب لحدود الشرك والضلال ، وذلك لان القرآن يخبرنا بان الشياطين – بعد وفاه سليمان - ادعت انه قد كان يسخرهم باستخدام السحر ثم بدأوا ينشرون هذا السحر بين الناس الذين يمنون انفسهم بالحصول علي ملك مماثل لما حازه سليمان اذ توفرت لهم نفس الوسيلة ، وقد ورد في الأثر – وهو غالبا من الاسرائيليات – انهم استخرجوا من تحت كرسيه كتبا قالوا انها تحوي هذه الطلاسم التي استخدمها لتسخير الجن ، ثم تطور الامر بعد ذلك الي ان قيل ان هذه الطلاسم انزلت عليه من السماء ولذلك فهي حلال لأنها من عند الله،

ولكن كيف استطاع سليمان فعلا ان يسخر الجان اذا كان لا يستخدم السحر كما ادعت الشياطين؟

الجن كائنات نارية غير مرئية للبشر ولا يمكن الادعاء برؤيته لقوله تعالي (يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) والحقيقة ان عدم رؤية الجن يعتبر امرا فيزيائيا معقدا لأننا لا يمكن ان نجزم بانهم كائنات لها أجساد ذات ابعاد مثل ابعادنا الثلاثة ، ودون الدخول في هذه التعقيدات حول ابعاد الكون المتعددة وطبيعة خلق الجن، فان المشكلة في تسخير الجن تتمثل أولا في كونهم غير مرئيين، فكيف يمكن السيطرة علي ما لا تراه ، وما الذي يضمن لسليمان انهم سيلتزمون بالعمل دون هرب او تمرد، والمشكلة الثانية في كيفية فرض السيطرة عليهم والسيطرة تتطلب الجزاء والعقاب للمتمردين والمخالفين ، فكيف يمكن عقاب الجن، وما نوع الحراس المستخدمين للسيطرة عليهم..

أولا: لا يمكن افتراض ان سليمان كان يراهم علي هيئتهم ، لأنهم غير محجوبين بغطاء وعدم رؤيتهم لا ترجع لعيب في اعين الانسان بل لطبيعة الإبعاد التي ينتمون اليها، ولذلك فان الأقرب ان يكون سليمان قادر علي رؤيتهم متجسدين او متشكلين في هيئة بشرية او حيوانية ، وهو ما ثبت في بعض الاحاديث منها :

-حديث ابي سعيد الخدري ان الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم قال: ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم من هذه الحيات شيئا فأذنوه ثلاثا فام بدا لكم بعد فاقتلوه فانما هو شيطان – صحيح مسلم

-حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ان عفريتا تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فاردت ان اربطه الي سارية من سواري المسجد حتي تصبحوا فتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخي سليمان – صحيح البخاري ومسلم

وهو دليل علي تشكلا لجن في صورة انسان او حيوان وهذا هو الصورة التي كان يراها سليمان وربما يراها الناس الذين يعملون في مواقع عمل الجن. والله اعلم

ثانيا: الحراس: ان السيطرة علي الجن تتطلب حراسا قادرين علي رؤيتهم وإيذائهم ، وبالطبع لا يقدر البشر علي ذلك، والاقرب للصحة ان يكون الحراس ملائكة، لأنهم قادرين علي رؤية الجن كما ان الجن قادر علي رؤيتهم بدليل قوله تعالي (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ – الانفال ٤٨)

والمقصود ان الشيطان كان متشكلا مع الكفار في غزوة بدر فلما رأي ملائكة تحارب مع المسلمين قال ذلك وخاف وهرب ، وهو دليل داعهم لكون الجن تخشي قوة الملائكة ودليل علي ان الملائكة اقوي بكثير من الجن وقادرين علي إيذائهم.

اذا كان التسخير بأمر الله وبقوة من الملائكة وهي الوحيدة القادرة علي رؤيتهم والسيطرة عليهم ، فاذا قرر احدهم الهرب فان الملائكة قادرة علي احضاره وعقابه. ولا يعني ذلك ان سليمان قد سخر له ملائكة يعملون لديه كحراس انما هم تابعين لله تعالي يعملون بامره ولا يراهم سليمان انما يقومون بعملهم فحسب.

ثالثا: لم يسخر جميع الجن لخدمة سليمان بل مجموعة خاصة منهم ، والاغلب انهم ليسوا من الجن المؤمن لوصف القرآن لهم (بالشياطين) والاجماع علي ان الشيطان هو الكافر من الجن ، ولا نعلم علي أي أساس تم اختيارهم وهل كان الاختيار من قبل سليمان ام من الله تعالي .

رابعا: اما عن الافتراءات التي ادعتها بني إسرائيل بأيعاذ من الشياطين بعد موت سليمان فقد جاء في سورة البقرة آيات للرد عليها وهي آيات السحر المشهورة والتي تنفي ان يكون سليمان قد سخر الجن بالسحر وتثبت صحة فرضنا..

قال تعالي : وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُ فِي الْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ – البقرة ١٠٢

أول ما نلاحظه من الآيات، هو تقرير مبدأ حرمة التعامل مع الشياطين بالكفر ونفي الامر عن سليمان، فكما نعلم ان السحر محرم في جميع الشرائع وهذا ثابت بنص التوراة في الاسفار الخمسة ، فنجد في سفر الخروج(لا يكن فيكم عابر سحر ولا تعبدوا عرافا-٢٢:١٨) وفي سفر اللاويين (ولا تجعلوا نفسكم اشرارا بالسحر والعرافة – ١٩:٢٦-٣١) اذا السحر كان محرما في شريعة بني إسرائيل قبل سليمان وكانوا يعرفون ذلك ، ولذلك قال تعالي (وما كفر سليمان) لان الكفر المقصود في الآية هو السحر .
الامر الثاني: هو الاخبار بان الناس قد صدقوا ما قيل عن سليمان بانه استخدم السحر في تسخير الجن واتبعوه ، ونلاحظ هنا قوله تعالي (تتلو) وليس (تقول) لان المقصود ليس فقط ادعاءات بل الطلاسم التي أصبحت الشياطين تتلوها وتمليها علي الناس ليقوموا بكتابتها في كتب لتصبح مراجعا للسحر بعد ذلك، وهذا التقليد

اصبح معروفا بعد ذلك بقرون وقد وصلتنا اليوم كتبا تعتبر مراجعا عتيقة في السحر يعتقد انها امليت علي السحرة من قبل الشياطين الذين يتعاملون معهم واشهرهم علي الاطلاق الكتاب المسمى (بشمس المعارف الكبرى) الذي املي علي شخص غامض يسمي (احمد بن علي البوني) ، وغيره من كتب السحر التي وجدت باللغة العبرية ، والقصد ان الشياطين كانت تملي هذه الطلاسم علي السحرة والذين يدونوها ويقومون بتعليمها لتلامذتهم ، واري ان المقصود بما تتلو الشياطين ليس لكل الناس بل عن طريق وسطاء هم السحرة والسحر كان معروفا عند بنس إسرائيل منذ القدم وليس امرا مستحدثا.

والامر الثالث: هو اننا نرجح ان مسألة نشر تلك الأكاذيب لم بدأ بمجرد موت سليمان بل بعده بمدة ربما تكون طويلة لارتباطه في الآيات بالجزء التالي وهو ما يتعلق بهاروت وماروت.

معضلة (هاروت وماروت):

انتشرت روايات لا اعرف اصلها، تفيد بان (هاروت وماروت) ملكان من الملائكة انزلهما الله لفتنة الناس وتعليمهم السحر ، وفي رواية اخري ان الله عاقبهما وانزلهما الي الأرض، وقاما بتعليم الناس السحر ثم يقولون لمن يعلمونه ان هذه فتنة فلا تكفر، وهذه القصة انتشرت اليوم علي وسائل التواصل لاجتماعي كالنار في الهشيم لمحبين الاساطير والاثارة والسحر، الا ان هذه القصة لا يمكن لمسلم ان يقبلها كلية، فمن ناحية لا يمكن قبول ان الملائكة تخطئ وتعاقب لوصف اله تعالي لهم في عدة مواضع بالطهارة والتنزيه عن الخطأ ومن ذلك وصفهم (كرام بررة) وقوله تعالي (وانا لنحن الصافون وانا لنحن المصدقون) وقوله تعالي(يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وغيرها من الآيات التي تعصمهم عن الخطأ فهكذا خلقوا غير مخيرين بل مفطورين علي الطاعة فقط ، ومن ناحية اخري فان الله فتن الانسان بالشياطين وكفي بها فتنة ولا يعقل ان يرسل الملائكة لتفتن الناس وما فائدة ذلك فالأولي ان يكون هاروت وماروت شيطانين لا ملكين.

اذا لنفهم ما طبيعة هاروت وماروت..

نلاحظ من الآيات عدة أمور، أولها قوله تعالي(وما انزل علي الملكين) وقد ذهب جمهور المفسرين ان (ما) نافية وليست خبرية فيكون اصل الجملة (وما انزل – أي لم ينزل) وهو يتسق مع ما سبقه من تقرير لكذب الشياطين فهذه الجملة تدخل ضمن الافتراءات التي قالوها، اذا ذكر هاروت وماروت هنا ضمن الأمور التي اتبعها الناس مما يتلوه الشياطين كذبا علي ملك سليمان ، ويكون السياق الصحيح : يعلمون الناس السحر- وما انزل (أي ما انزل السحر) علي الملكين ببابل، اما ذكر الآية لهاروت وماروت مقترنا بالملكين ، فلا يجب فهمه علي انه تقرير بانهما ملكين بل هو اخبار بما يقوله الشياطين كذبا ويفهم السياق اذا: وما انزل السحر علي (ملكين) ببابل اسمهما هاروت وماروت كما تقول الشياطين ،

اذا من يكون هاروت وماروت اذا لم يكونا ملكين؟

هناك ثلاثة فروض:

الأول ان يكون امر هاروت وماروت كله كذبة ولا يوجد من يسمي بهاذين الاسمين ،

والثاني ان يكونا شيطانين تمثلا في صورة بشر ليمررا الي الناس علوم السحر.

والثالث: انهما بشرين عاديين ادعيا انهما ملائكة بأيعاذ من الشياطين لتعليم الناس السحر والحصول علي بعض التبجيل من الناس كونهما ملكين. ويدعم ذلك ان تقرا الآيات بشك ل مختلف (وما انزل علي الملكين ببابل) وتبدا جملة جديدة (هاروت وماروت يعلمان الناس السحر) أي ان الملكان ليس اسمهما هاروت وماروت فيكون هناك امر الملكين وهو كذبة وامر هاروت وماروت الذين يعلمان الناس السحر ببابل.

والحقيقة اننا نميل الي استبعاد الفرض الأول لان سياق الآيات التالي يؤكد انهما موجودين لقوله تعالي (وما يعلمان من احد حتي يقولا انما نحن فتنة) .

ولذلك فأننا امام الفرضين الاخرين ، اما عن كونهما شيطانين متشكلين فنميل الي استبعاده أيضا اذ لا حاجة لشيطانين للتشكل واغواء الناس طالما ان هناك كثير من الناس مستعد لأداء المهمة علي اكمل وجه وهم اتباعهم من السحرة المستعدين لتنفيذ المطلوب منهم في مقابل المال او السلطة او تبجيل الناس لهما او أيا ما كان الشيطان يمنيهم به، ولذلك فنري ان الاحتمال الأقوى ان يكونا رجلين من البشر .

السؤال التالي : ماذا يعني قوله تاليا (وما يعلمان من احد حتي يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر)؟

يبدو الامر مطابقا للوهلة الاولي للرواية التي ذكرناها في البداية من انهما ملكان يحذران الناس من السحر، ولكن كيف يعقل انهما ينشران الخطيئة ثم يحذران الناس منها أي ينشران الداء ثم يتحدثون عن الدواء ، و لكي نفهم ما تعنيه الآية نحتاج لترتيب الجملة بالشكل الصحيح وفهم البناء النحوي واللغوي لها..

أولا: حتي في اللغة تأتي بعدة استخدامات، فيمكن ان تأتي بمعني (الوصول) كقوله تعالي (فانطلقا حتي اذا ركبا في السفينة خرقها) أي مشيا حتي ركبا في السفينة فانتهي الفعل (المشي) وقولنا (مشيت حتي وصلت الي البيت) ،

وقد تستعمل بمعني (أيضا) كقولنا (اكلت السمكة ، حتي ذيلها) أي انني اكلت الذيل أيضا ،

وقد تأتي بمعني (الغاية) كقولنا (ضربته حتي يموت) أي ان الهدف من الفعل هـ احداث النتيجة بعد حتي، ولكن أي الاستعمالات ينطبق علي الآية ، فاذا طبقنا حتي بمعني(لكي) أي الغاية فيكون المعني (ما يعلمان من احد لكي يقولا انما نحن فتنة) والمفهوم هو انتفاء الجمع بين الجملتين فالغرض من تعليمها للناس ليس هو ان يقولا انما نحن فتنة وهذا منطقي اذا كانت القصة التي انتشرت عن هاروت وماروت وقتها تتضمن انهما ملكان جاءا ليفتنا الناس ويختبرونهم فالله ينفي هذا السياق في القرآن ، بقوله انهما لم يأتيا ليعلما الناس ثم يقولا انما نحن فتنة فناشر الشر لا يحذر الناس منه.

واما المعني الثاني (حتي) انها غائية ، يكون المعني (ما يعلمان من احد الي ان يقولا انما نحن فتنة) وهذا السياق لا يستوي في اللغة ولا يفهم منه معني والأرجح عندنا هو السياق السابق وهو نفي قصة الملكين اللذان جاءا ليفتنا الناس وهو مدعوم بنفي الملكين صراحة في اول الآية (وما انزل علي الملكين) ، اذا نحن امام ثلاثة جمل نافية في الآية ، قوله تعالي (وما كفر سليمان) وقوله (وما انزل علي الملكين) وقوله (وما يعلمان من احد..) ولذلك نرجح ان تكون الثالثة نافية . والله اعلم.

الزمان والمكان:

اذا متي وأين تقع احداث قصة هاروت وماروت ، طالما ان اية قرنتهما (ببابل) وهذا ربط واضح وصريح وبابل هي مدينة وحيدة سميت بهذا الاسم وهي عاصمة الدولة البابلية في القرن التاسع قبل الميلاد وعلي ذلك نكون امام فرضين :

الأول ان تكون احداث القصة جرت في بابل قبل زمن سليمان ومن المعروف تاريخيا ان بابل كانت مركزا للسحر في العالم القديم ،

والثاني ان تكون الأحداث جرت بعد موت سليمان وعلي ذلك فان المرجح ان احداث القصة جرت اثناء السبي البابلي لليهود طالما ان القصة ربطت في القرآن بسليمان والناس في زمنه يكون المقصود بني إسرائيل ولذلك فالربط الوحيد بينهم وبين بابل هو فترة السبي البابلي .

والحقيقة ان الربط بين تلك القصة وبين اول الآيات (ما تتلو الشياطين علي ملك سليمان) والذي حدث باتفاق العلماء بعد وفاته فان المرجح ان يكون الربط بين بني إسرائيل وبابل وما تتلو الشياطين احري ان يدل علي فترة ما بعد زمن سليمان بقليل أي كما قلنا فترة السبي وسنبين ذلك في الفصل التالي .

المسألة الأخيرة في قصة هاروت وماروت هو الاسمين ،

أولا: الاسمين ليسا عربيين وواضح انه تعريب لأسماء اعلام من لغة اخري قديمة في هذا الزمن.

ويعتقد الباحثين ان (هاروت) مرتبط بالكلما haru/harut في اللغة المسمارية والبابية القديمة فهذه الكلمة مرتبطة بالقدرة والقوة والدفاع عند البابليين،

و(ماروت) مشتق مر maru/mar وهو في الاكادية الابن الحامي او المسئول واحيانا يربط (بمردوك) الاله البابلي او بالقوة والسلطة ، وهو امر مثير اذ نصت الآية صراحة علي ارتباطهما ببابل ،وهذا يدل علي كونهما اثنين من الحضارة البابلية لان الاسمين بابليين ، والخلاصة انهما معربين من اسمين لرجلين بابليين .

٣) عين القطر: قال تعالي (واسلنا له عين القطر) ، فالقطر هو النحاس المذاب، والعين قد يقصد بها مناجم النحاس ، وفي تلك المنطقة يوجد العديد من مناجم النحاس التاريخية مثل ، خربة ام الراس ووادي فيران وصحراء النقب .

٤)منطق الطير:

أولا : منطق اللغة هو الرسالة التي يراد أيصالها من هذه اللغة ، فلا تعتمد فقط علي الكلام ، فالإشارة ولغة الجسد والاصوات والإفرازات الكيميائية وغيرها مما تستخدمه الكائنات للتواصل، كل هذا منطق ، ولكن القرآن ركز في قصة سليمان علي منطق الطير تحديدا ، ولذلك لنفهم ماذا يقول علم الاحياء عن منطق الطير..

ثانيا: في علم الاحياء يعتبر تواصل الطيور عن طريق أنظمة متميزة ومعقدة ولذلك لأيمكننا ان نسميها لغة لأنها تفتقر الي اساسيات اللغة البشرية المعروفة، فنجد ان لفظ منطق هو الاصلح لوصف طريقة تواصل الطيور.

-الأصوات: نداءات مختلفة مثل نداء التحذير والتي تختلف حسب نوع وخطورة المفترس او نوع الخطر واغاني التزاوج لجذب الاناث وتحديد الإقليم ، ونداءات التواصل للحفاظ علي تماسك السرب.

-الإشارات : حركات الجناح وفرد الريش والوان الجسم (الطاووس) ووضعية الجسد.

-النحو: من المثير اكتشاف ان ترتيب المقاطع الصوتية للطيور ليس عشوائيا بل هناك أنماط احتمالية قريبة من فكرة القواعد البسيطة وليست بالطبع مثل تعقيد لغة الانسان.

ثالثا: كيف يمكن للإنسان فهم لغة الطيور:

يستطيع العلم الحديث ان يحلل ترددات واشكال الموجات الصوتية وهناك أبحاث تستخدم الذكاء الصناعي لتحليل معاني النداءات ، ونرجح ان هذا هو جوهر موهبة سيمان في فهم لغة الطير والنمل ، تعتمد أساسا علي قدرة خاصة في ادراك الترددات الصوتية التي لا يستطيع الانسان العادي الشعور بها، ويستطيع ادراك وملاحظة أنماط سمعية لا يستطيع أي شخص ملاحظتها .

رابعا: من المرجح ان هذه الموهبة كانت لديه منذ الصغر وليست من ضمن الملك اذلي طلبه ،لأنها تعتمد علي تركيب في المخ والاذن وحساسية معينة من المفترض انه يولد بها وينميها عبر الوقت ، اذا سليمان ولد بهذه الموهبة وتعلم كيفية فهم لغة الطيور منذ الصغر وبدأ يربط الأنماط

بالتدريج حتي اصبح عالما في لغة الطيور قادر علي فهمها بسهولة بل والتواصل معها أيضا، ونرجح ان الهدهد في قصة سبا مدرب منذ زمن لاداء هذه المهات وتعلم كيف يفهم سليمان ويخاطبه.

٥) حادثة النمل:

ذكرت هذه الحادثة الصغيرة في سورة النمل ، قوله تعالي: حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ – النمل ١٨
أولا: واد النمل: غالبا هو وصف علمي وليس اسم واد محدد، ومن المعروف علميا ان النمل يعيش في مستعمرات علي مساحات كبيرة تشبه واديا كاملا وهناك مستعمرات عملاقة موجودة بالفعل .
ثانيا: النملة، جاءت بصيغة الأنثى (قالت) وهو دليل علي دقة الفاظ القرآن فمن المعروف ان قيادة المستعمرة عند النمل تكون للملكة وهي الأنثى كاملة التطور التي تكون مسئولة عن وضع البيض وافراز هرمونات تنظم سلوك المستعمرة وفي أنواع من النمل تكون اكبر حجما من باقي افراد المستعمرة .
ثالثا: تحطم النمل: التحطم لغة هو كسر الشيء اليابس الصلب الي أجزاء ويستعمل للزجاج والعظم والاشياء الصلبة الهشة المقصود تحطم النمل نفسه وليس فقط المستعمرة وهو اعجاز علمي مثير ، حيث يتكون جسم النمل من طبقة خارجية قاسية من مادة (الكيتين) وهو نفس المركب الموجود في اصداف القشريات عند الضغط عليها تتكسر وتتحطم .
رابعا: لغة النمل: تحديدا الطريقة التي تحذر الملكة بها افراد المستعمرة من خطر وتأمرهم بدخول المستعمرة.
من المكتشف حديثا ان الملكة تصدر فرمونات (مواد كيميائية تفهمها باقي النمل)، هناك فرمونات معينة خاصة بالخطر يجعل العمال يتوقفون عن نشاطهم فورا ، ثم تأتي فرمونات تالية بالأمر المطلوب تنفيذه فهناك واحدة تقرر الانسحاب وبعضها تقرر المهاجمة. وتنتقل الإشارة بالتدريج عبر عمال البريد في المستعمرة .

النمل لديه قرون استشعار بها مستقبلات كيميائية تستطيع تمييز هذه الفرمانات، ويمكن ذلك عبر مسافة قصيرة غالبا نصف متر، فاذا كان لدي سليمان حاسة قوية يمكنه ان يلتقط هذه الفرمونات في صورة رائحة مثلا فيمكنه بالتالي التعرف عليها وفهمها اذا كان عالما بوظيفة كل فرمون ولا توجد طريقة اخري تفسر هذه القدرة.

□سليمان وملكة سبأ

ننتقل الي المعضلة التالية في قصة سليمان والتي اثارت أيضا جدلا وسط المؤرخين ، وهي القصة المذكورة في سورة النمل بتفصيل احداثها والتي من الصعب أيجاد دليل تاريخي عليها وبالطبع دخلت المبالغات والافتراضات الخيالية في القصة..

وقبل ان ندخل في احداث القصة كما يرويها القرآن يجب أولا ان نبحث في التاريخ والجغرافيا عن مملكة سبأ التي عاصرت القرنين التاسع والعاشر..

مملكة سبـ – الجغرافيا والتاريخ :

١) النطاق الجغرافي المعروف لمملكة سبأ التاريخية يمتد حول المركز الأساسي في شرق المرتفعات اليمنية حول (مارب) و(صرواخ) ويشمل (وادي اذنة/وادي سبا) ومنطقة السد وقنوات الري والسهل الزراعي المحيط وهو النطاق الثابت تاريخيا واثريا منذ القرن الثامن قبل الميلاد علي الأقل.

وقد امتد نفوذ سبأ الي الجوف اليمني شمالا وأجزاء من الهضبة الشرقية عبر تحالفات قبلية (نظام مكرب) وليس احتلال مباشر . ووصلت ذروة اتساع المملكة بين القرني السابع والخامس قبل الميلاد وامتد تأثير سبا الي نجران شمالا (جنوب السعودية) ومناطق علي طريق البخور ، وقد نشأت صراعات مع ممالك مجاورة جنوبية مثل (قتبان) و(حضرموت) وفي بعض الفترات حصل تحالف واتحاد سياسي عرف باسم (سبأ وذي ريدان) لاحقا في العصر الحميري.

وهناك اثار لوجود سبئي في اثيوبيا واريتريا خاصة في موقع (يها) من القرن السابع الي الثامن قبل الميلاد، وهو وجد استيطاني تجاري وليس احتلالا .

٢) ان قدم نقش مؤكد لمملكة سبا في اليمن يرجع الي القرني التاسع والعاشر قبل الميلاد في منطقة (مأرب) ورغم ذلك يعتقد ان حضارة سبأ قد بدأت قبل ذلك ، في شكل تجمعات قبلية بدون حكم مركزي او مملكة بالمعني المعروف تاريخيا،
ومن الثابت تاريخيا ان ازدهار مملكة سبأ الكبير كان بين القرني الثامن والسادس قبل الميلاد خصوصا في الوقت الذي تم فيه بناء السد المعروف تاريخيا (سد مأرب) .
٣) الحقيقة انه لا توجد أي اثار او نقوش تشير الي اسم (بلقيس) المشهور في الكتب العربية الإسلامية ، ولم يذكر الاسم حتي في التوراة ولا اعرف مصدر هذا الاسم الذي ارتبط بالملكة السبئية من قصة سليمان في التوراة والقرآن ، والأرجح انه اجتهاد باشتقاق الاسم او اقتباسه من أسماء ملوك وزعماء السبئيين في الروايات الشعبية العربية والتي لا يوجد عليها أي دليل ، وهي تملأ كتب التراث وحتي كتب الباحثين الحاليين والذين وجدوا في هذه الروايات مادة مثيرة يملئون بها كتبهم دون بذل جهد في البحث الجاد ، لأنه لا يوجد أي دليل علي وجود هذه الأسماء رغم انها تمتد لأجيال، ومنها ان والد بلقيس المزعومة اسمه الملك (الهدهاد بن شرحبيل بن ذي سحر) ولا يوجد نقش واحد بهذا الاسم رغم انه يرجه الي القرن العاشر قبل الميلاد كما يزعم ، ومن الصعب تصور اتصال سلسلة انساب العرب السبئيين منذ القرن الثامن او التاسع الميلادي الي القرن العاشر قبل الميلاد ، اذ اننا قد رأينا من قبل انه حتي انساب العرب انفسهم تقف عند (عدنان) وهو قريب مع وجود الكثير من الفراغات في السلسلة.
٤) اذا سنتجنب ذكر اسم الملكة المعنية في قصة سليمان لعدم وجود دليل تاريخي او اثري او حتي ديني ، وسنركز علي تحديد النطاق الزماني والمكاني للمملكة المقصودة.
أولا: ذهب البعض من الباحثين الي ان الملكة المذكورة ليست الا زعيمة من زعماء القبائل او التحالفات البدوية المتنقلة وليست ملكة علي دولة ثابتة الحدود وهو قول مستبعد ، اذ ان القرآن قد كان محددا وجازما في قوله (امرأه تملكهم) وفي الإشارة الي وجود عرش وهو ما يثبت وجود مملكة بالمعني الصحيح ،
ثانيا: وجود ملكات اناث في المملكة السبئية امر معروف ومؤكد خاصة في القرون المتأخرة عن هذا الوقت وهو ما يدعم احتمال وجود ملكة في القرن التاسع والعاشر قبل الميلاد ، والحقيقة انه عدم وجود نقوش تثبت وجود هذه الشخصية لا يعني انتفاءها كلية ، ويعتقد كثير من الباحثين والأثريين ان أيجاد هذه الملكة هو امر وقتي ولازال البحث جاريا ، اذ ان هناك كثير من الباحثين الاثريين مهووسين بأيجاد الملكة المذكورة بالتوراة.
٥) ان العلامة المميزة التي نجدها في القرآن هي العقيدة الدينية المتبعة في هذا الوقت في المملكة السبئية، وهي عبادة الشمس (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) وهي إشارة من الممكن ان تساعدنا في تضييق الدائرة علي الملكة المقصودة، والمعروف تاريخيا هو ان السبئيين كانوا يعبدون الكواكب بشكل عام وفي بعض الفترات كانت عبادة القمر هي الأبرز ، ويدل علي ذلك المعابد المكتشفة والنقوش والتي غالبا تظهر تبجيل خاص لاله القمر او

توجه المعابد في مواقعها الي مواقع القمر في السماء مثلما كان المصريين القدماء يفعلون ، اما بالنسبة لتحول الي عبادة الشمس بشكل مركز فان الأدلة الموجودة من نقوش مسندية ومذابح في القرن الثامن في (مارب) و(صرواح) تذكر الهه سبئية مثل (عثتر) و (شمس) وهو اله مقتبس من الاله الرافدي المعروف شمش والمؤكد رمزيته للشمس في العقائد الدينية القديمة.

وفي محيط (مأرب) توجد منشات دينية ضخمة تعود طبقاتها الي القرن الثامن تقريبا منها معبد (اوام) المعروف باسم (محرم بلقيس) ومعبد بران ، ويوجد نقوش في هذه المواقع لنذور تقدم لاله الشمس مما يعني انها كانت عقيدة رسمية .

والواقع اننا لا يمكننا ان نجزم اذا كانت عبادة الشمس كاله مركزي كانت موجودة قبل ذلك ام لا، الا انه يكفي عندنا ان عبادة الشمس ثابتة بالدليل الاثري علي الأقل في القرن التالي للقرنين المفترض وجود سليمان فيهما، وهو ما يرجح ان هذه الآلهة كانت موجودة من قبل القرن السابع والثامن وربما كان هناك تركيز اكبر علي عبادة الشمس كما يحدث دائما في الحضارات القديمة من تبديل وتحول وابراز لاله علي الاخر ، والحقيقة ان النص القرآني لا يمنع وجود الهة اخري مع الشمس وانما يؤكد فقط جود عبادة الشمس بشكل رسمي لان الملكة نفسها كانت تسجد لها.

٦) ذكرت سبأ في القرآن بشكل منفصل عن سليمان وقد سميت السورة كلها باسم سبأ ،

قوله تعالي: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَاية جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ – سبأ ٢٥

وقوله تعالي: فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتا اكل خمط واثل وشي من سدر قليل – سبا ١٦

قوله تعالي: وجعلنا بينهم وبين القر ي التي باركنا فيها قري ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما امنين – سبا ١٨

والمرجح ان الآيات هنا تتحدث عن فترة متأخرة عن زمن سليمان ، وتحديدا عن فترة زمنية طويلة غالبا هي فترة العصر الذهب ي لسبا في ظل اكتمال بناء السد المشهور والذي بالفعل يمكن ان نقول انه جعل جنتين عن يمين وعن شمال (يمين وشمال السد) ، حتي انهياره (سيل العرم) وهو إشارة الي الفيضان الرهيب الذي حدث بعد سلسلة طويلة من التصدعات التدريجية ، والقصد من هذه الإشارة الي الآيات في سورة سبا هو ان القرآن اكد ان الحضارة السبئية قد مرت بفترة ولو قصيرة من التوحيد الديني ثم عادت الي الوثنية مرة اخري لقرون وكان انهيار السد – وفقا للقران – عقاب الهي علي الردة عن دين التوحيد، ولو صدق ذلك فانه يعد دليلا داعما علي قصة ملكة سبا التي اكد القرآن أيمانها وقومها مع سليمان بدين توحيدي استمر لفترة ولو قصيرة .

الخلاصة اذا ان الملكة المقصودة قد حكمت مملكة سبأ وليست مجرد تجمعات قبلية ، وكانت المملكة مركزية ولها عاصمة ثابتة (غالبا مأرب) وتجارة مزدهرة (بدليل الهدايا الثمينة التي أرسلتها لسليمان بنص القرآن والتوراة أيضا) .

القصة في رواية القرآن :

١) الهدهد :

تبدا قصة سبا في القرآن بالهدهد الذي يأتي سليمان بخبر عن الملكة التي تحكم مملكة سبأ، ولذلك فمن الواجب أولا – في نطاق المعالجة التاريخية والواقعية للقصص القرآني للأنبياء – ان نحاول ان نفهم كيف يمكن لطائر ان يلم بهذه المعلومات ويوصلها لسليمان ، وثانيا الهدف من اختيارا لهدهد تحديدا.

أولا: ان الصعوبة تكمن في اختيار الهدهد بشكل محدد ، رغم ان علم الاحياء لا يثبت أي قدرات استثنائية في التتبع او تحديد الأماكن لهذا الطائر ، كما ان قدراته في التواصل مع الانسان او استئناسه تعتبر قليلة مقارنة بطيور اخري مثل الببغاء او الغراب ، فهو طائر حذر لا يستأنس بسهولة ولا يعيش في مجموعات .

والهدهد عموما هو طائر واسع الانتشار فنجده في القارات جميعا، كما انه لا يميز بين الذكر والأنثى من البشر ، والحقيقة ان المسالة برمتها محيرة ، فكيف نفهم طريقة وصف الهدهد لسليمان تفاصيل دقيقة لا تتعرف عليها الحيوانات والطيور بهذا التعقيد ، من وصف للدين وتحليل الأمور كتحديد ان لهم ملكة تحكمهم وانها تسجد للشمس بالتحديد وان لها عرض كبير.

ان لغة الهدهد تتضمن أصوات قليلة وحركات بالذيل والتاج ، ويمكن لسليمان اذا كان يمتلك موهبة خاصة وتعلم علي المدي الطويل ان يفهم المنهج والنمط الذي يتكلم به خاصة اذا افترضنا انه قد درب هذا الهدهد بالتحديد لفترة كافية علي تعقب او الاستكشاف ، ان مسألة فهم سليمان للغة الهدهد ليست مشكلة، والمشكلة في كيفية المام الهدهد نفسه بهذه المعلومات الاستخباراتية المعقدة ثم شرحها لسليمان . وهو الامر الذي يتطلب حد ادني من الذكاء التحليلي ، وهو الذي لا يصل اليه ذكاء هذا الطائر عادة، والحقيقة ان القرآن لم يشر الي هدهد خاص او خارق ، فقد مهد لهذا الامر بقوله (علمنا منطق الطير) أي ان سليمان كان يفهم جميع الطيور او بعضها ومنهم الهدهد وهو دليل علي ان هذا الهدهد كان عاديا جدا ربما تلقي تدريب مكثف من سليمان .

والمؤكد انه لم يقل كل هذه المعلومات بشكل صريح ويمكن ان يعطي سليمان خطوطا عريضة ثم يستطيع سليمان تحليلها وفهم ما وراءها .

٢) (احطت بما لم تحط به) : من الواضح ان غياب الاثار الدالة علي مملكة سبا في القرن العاشر وبداية القرن التاسع قبل الميلاد يرجع الي حداثة تكون مملكة موحدة في سبا في هذا الوقت ، وهو ما يبرر جهل مملكة سليمان في كنعان والشام بمملكة قامت في اليمن وربما كانت العلاقات قبل ذلك غير قوية ، فكيف لا يعرف سليمان بوجود مملكة سبا وهي ليست بعيدة عن القدس ، فالتعبير القرآني يثبت عدم علم سليمان بهذه التفاصيل وربما كان يعلم بمملكة سبا من قبل ولكن لا يعلم طبيعة الحكم او العقيدة الدينية . لأنه من المؤكد وجود علاقات تجارية بينهم في هذا الوقت وان كانت غير رسمية .

٣) قرر سليمان ان يلقي اليهم رسالة عبر الهدهد نفسه ، وقد اخبرنا القرآن ببداية الرسالة فقط ، وبمعني ادق بترجمة هذه البداية الي العربية، (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) ،

أولا: لم تكن تلك الصيغة (البسملة) معروفة بهذا الشكل قبل الإسلام ، بل لم يكن اسم (الرحمن) معروفا عند العرب أصلا، وهو مشتق من رحم ، والغريب ان له جزر مشترك في العبرية واللفظ الأقرب له هو (راحوم) وتعني كثير الرحمة والرؤوف، ونجد لها ذكر مباشر في التوراة (الرب اله رحوم وحنون) ،اذا لم يكن القرآن يترجم فقط بل كان اللفظ نفسه مستخدم بالعبرية وهو غالبا ما كان في افتتاحية الرسالة .

لا يوجد دليل علي مضمون هذه الرسالة ولكن المهم هو الغرض منها، فهل كان سليمان يريد فرض سلطته السياسية علي سبا او اخضاعهم، ام كان فقط يريد نشر دعوة التوحيد،

ان سياق القرآن يخبرنا انه كان يهدف لنشر الدعوة في سبا بدليل ذكر سجودهم للشمس وهو الامر الذي يهم سليمان اذا ،وقوله في الرسالة (الا تعلو علي واتوني مسلمين) و رغم اللهجة الشديدة التي تحدث بها بعد ان ارسلوا اليه هدايا كما سيلي ، كما ان الأنبياء لا يريدون سلطة دنيوية ويفعلون فقط ما يؤمرون ، والخلاصة ان سليمان قد جاءه امر من الله بنشر الدعوة في سبا ، ليكون سببا في أيمان حضارة كاملة وهو الغرض من تمكينه في الغرض واعطاءه كل هذه القوة والعلم .

٤) من السياق القرآني نفهم ان الرسالة حملت عن طريق الهدهد الي حيث عرش سبأ ، وتم التقاطها ثم يصور لنا القرآن مشهد قراءة الرسالة والتشاور حولها بين الملكة وحاشيتها ، ويشير لنا القرآن عن معلومة عن شكل نظام الحكم في سبا وهو التشاور لقوله تعالي (ما كنت قاطعة امرا حتي تنظرون) ويمكننا ان نتخيل انه كان اشبه بمجلس استشاري او برلمان مصغر ولم تكن السلطة مطلقة وهو امر معروف خاصة اذا كانت ملكة وليس ملك واذا كانت قد ورثت الملك من ابيها اذ لم يكن هناك أبناء ذكور وهو مجرد تخمين.

كان الاعتقاد ان الامر لا يخرج عن فرضين ، الأول ان يكون ملك توسعي يريد اخضاع المملكة وفرض الجزية او نهب ثرواتها كما هو معروف في هذا الوقت ، ونعطي امثلة من هذا الوقت ، الملك المصري (شيشنق الأول) الذي قاد حملة عسكرية الي بلاد الشام ، والملك الاشوري (اشور ناصربال) و(شلمنصر الثالث) .

والاحتمال الثاني ان يكون غرض سليمان هو الغزو او التبعية بمعني ضم المملكة السبئية الي مملكته أي توسعا سياسيا وليس فقط اقتصاديا.
وتم الاتفاق علي حيلة ذكية لتحديد شخصية وغرض سليمان وهي ان يبعثوا اليه بهدايا كبيرة وثمينة ومغرية فاذا قبل الهدايا فقد عرفوا ان هذا هو غرضه الثروات والمال وعلي ذلك يكون التفاهم معه سهل، اما اذا رفضها فهو الاختيار الأصعب بان يكون غرضه هو الغزو العسكري والسيطرة وهو ما سيتطلب قرارات صعبة قد تصل الي الحرب.
٥)وصلت الهدايا الثمينة الي القدس وعلي راس الوفد مبعوث من سبا مهمته التفاوض مع سليمان ومعرفة نواياه ورسم صورة عن مملكته وقوته ، ولكن عندما وصلت الهدايا الي سليمان وقابل رئيس الوفد غضب بشدة لان الأنبياء لا تغريها الكنوز ولان هدفه كما قلنا هو تنفيذ امر الله ونشر الدعوة في سبأ ، وكان رده حاسما علي المبعوث حيث قال له (أتمدونن بمال فما اتان الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) ثم قال له (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون – النمل ٣٧).
اذا كان الرد عنيف ويوحي بنيه الغزو وهو ما لم تتأكد منه الملكة وقبل اللجوء لقرار عسكري كان لا بد ان تذهب بنفسها لحسم الامر وتبين نيه سليمان التي كانت اقرب للنية التوسعية وهو ما يمكن فهمه من الإشارة التي اشارها الي استخدام القوة(جنود لا قبل لهم بها)وعليه فقد قررت الذهاب بنفسها علي راس حملة سلمية وموكب يليق بها لمقابلة سليمان.
٦) علم سليمان ان ملكة سبا قادمة بنفسها ربما بواسطة الاستخبارات التي تشمل الانس والجن والطير وربما بوحي من الله كونه نبي ، وعليه فقد قرر ان يريها أمورا تجعلها تفهم الغرض من رسالته وانه نبي قبل ان يكون ملكا فاذا امنت بانه نبي ستؤمن بالله وتسلم وهنا ننتقل الي الجزء الأكثر جدلا والاصعب في قصة سليمان كلها ..

نقل عرش سبأ :

لقد حاول الكثير من الباحثين ومن قبلهم المفسرين أيجاد طريقة لفهم ما حدث ووضعت نظريات كثيرة في العصر الحديث لشرح كيفية نقل العرش من اليمن الي القدس في طرفة عين ، وعليه فسوف نضيف محاولة جديدة الي هذه المحاولات لعلنا نقترب من الوصف الدقيق لما حدث.

١) قرر سليمان ان يقوم بحيلة وان يجعلها تري امرا لا يمكن تنفيذه ابدا ، وهو ان تجد عرشها في القدس عندما تصل من سبأ وقد سبقها بسرعة غير اعتيادية.

ثم سأل سليمان بثقة وقد وجه كلامه الي الموجودين من الحاشية (قال يأيها الملا أيكم يأتيني بعرشها قبل يأتوني مسلمين) اذا كان سليمان يعلم ان إمكانية احضار العرش وهو امر مستحيل بمقاييس هذا الزمن ، وهو ما يعطينا فكرة عن العلم الذي كان موجودا في مملكة سليمان لأنه لو كان الامر معجزة الهية لما طلب تنفيذه من الانس والجن ولكان قد فعلها بنفسه ولكن أيضا القرآن يؤكد ان ما حدث ليس معجزة لقوله تعالي (قال الذي عنده علم من الكتاب) أي ان الامر تم بناء علي نظريات علمية كما سنري..

٢) أولا: العرش: لغة هو الارتفاع والبناء المسقوف والشيء المقام علي أعمدة ، وقد استخدم في لغة اعرب للدلالة علي كرسي الملك والبناء المرتفع واحيانا السرير ، وفي الشعر الجاهلي كان غالبا يدل علي سرير الملك المرتفع دي الاعمدة وهو رمز السلطة والسيادة وليس مجرد كرسي،

ثانيا: غالبا ما يكون العرش في الممالك القديمة مرتفعا علي منصة وقد يكون خلفه جدار مزخرف وتحيط به أعمدة او مظلة ويصعد اليه بدرجات ، ونجد من حضارات مصر واشور ارتفاع حوالي متر الي مترين وعرضه عدة امتار،

ثالثا: وفق اثار سبأ وجدت في معابد منصات حجرية مرتفعة وقواعد حجرية منحوتة ومن المحتمل ان يكون شكل العرش المقصود اشبه بالوصف الذي ذكرناه أعلاه، اما الأثر المعروف شعبيا بعرش بلقيس فهو لا يعدو ان يكون جزءا من المعبد المكتشف ولا دليل علي انه يعود لزمن سليمان . ووفقا لهذا الوصف التقريبي من المرجح ان يتراوح وزنه بين طن الي طن ونصف اذا حسبنا المنصة والدرجات والاعمدة والزخارف والتماثيل وغيرها .

٣)النص القرآني الذي ثار حوله الجدل ، قوله تعالي (قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ، وقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) ولنحلل الآية ..

أولا: اختلف المفسرين في تحديد من هو الذي عنده علم من الكتاب ، هل هو انسان ام من الجن، واغلب اراء المفسرين علي انه من الانس ، واستندوا في ذلك الي عدة أسباب ، أولها المقابلة مع العفريت في الآية فيكون الأول غير الثاني، وثانيا استخدام (الذي) للدلالة علي شخص معروف حاضر في السياق ولم يصفه بالجن او غيره ، وقوله (عنده علم من الكتاب) فتوحي بانه عالم بشري يعرف سرا خاصا لان الجن يعتمد علي قدرته في عبور الإبعاد اما العلم فهو سلاح الانسان الذي يقابل قدرة الجن ولم يثبت ان الجن يمتلك علما . وهذا ما عليه جمهور الفقهاء وهو الأقرب للمنطق.

ثانيا: سرعة النقل:

القرآن يحدد لنا هذه السرعة بدقة بقوله (قبل ان يرتد اليك طرفك) ، وهذا التعبير في استعمال العرب يعني ارتداد الجفن أي اللحظة التي تغمض وتفتح فيها العين فيقال (ما طرفت عيناه) ويقال (طرفة عين) للدلالة علي السرعة .

اذا يمكننا تقدير سرعة ارتداد الطرف في العين في علم وظائف الأعضاء قد تتراوح بين ٠٢، الي ٠٣، من الثانية أي تقريبا عشر ثانية .

الآية تقرر انتقال العرش من سبأ ، غالبا من العاصمة مأرب الي القدس ، وتلك مسافة ٢٠٠٠ كم تقريبا ، اذا انتقل العرش الذي يزن حوالي طن علي الأقل لمسافة ٢٠٠٠ كم في عشر ثانية ، وبالتالي نحن امام المعضلة العلمية التالية:

السرعة = المسافة /الزمن ، أي ٢٠٠٠٠٠٠متر / ٠١.ثانية = ٢٠٠٠٠كم/ثانية

وهذا يساوي تقريبا ٦,٧% من سرعة الضوء

اذا بحسابات معقدة نحتاج الي طاقة حركية تساوي ٣٠٠٠ مرة ضعف طاقة القنبلة النووية ،

نفهم من ذلك انه اذا كان النقل تم بشكل تقليدي عبر المسافة – أي ان العرش رفع وطار الي القدس – فذلك يتطلب طاقة هائلة ومدمرة بحيث سيكون من المستحيل ان يصل العرش سليما اذ ان هذه الطاقة كفيلة بمحوه تماما وتفتيت ذراته.

٤) الاحتمال الفيزيائي الممكن نظريا:

أولا: الثقوب الدودية:

هذه الفكرة مبنية علي النظرية النسبية العامة لأينشتاين ، وهي ليست مجرد فرضية علمية بل تم اثباتها رياضيا بما يعرف (بجسر أينشتاين)، وتقوم علي ان الجسم بدلا من ان يتحرك عبر المسافة الطويلة يتم انشاء نفق يربط بين نقطتين بعيدتين في الزمكان (الزمان والمكان مرتبطان في الفيزياء) وهو تماما مثلما نطوي ورقة لتتقابل نقطتين كل

منهما علي طرف الورقة بدلا من السير بطول الورقة لرسم خط بينهما ، وتطبيقا لهذه النظرية يمكن ان يتم نقل جسم بين نقطتين بينهما مسافة في جزء من الثانية ولكن بالطبع هناك صعوبات علمية تواجهنا في حالتنا ..

مشكلة الاستقرار : لكي يكون النفق قابلا للعبور يجب الا ينهار تحت تأثير الجاذبية ، كما يجب ان تبقي فتحتاه مفتوحتين مدة كافية ،

مشكلة المادة الغريبة : رياضيا وفيزيائيا نحتاج الي طاقة سالبة لابقاء القناة مفتوحة ومستقرة ، هذه الطاقة تنتج طبيعيا بكميات ضئيلة جدا وتصنيعها يحتاج طاقة هائلة وأيضا بكميات ضئيلة. وتم تقدير هذه الطاقة بان إبقاء ثقب دودي بقطر متر واحد مفتوحا يحتاج طاقة تعادل حجم كتلة كوكب المشتري ،

ثانيا: هذا التقييم مبني علي معطيات العلم المتاحة اليوم ، لان هذه المشكلات لا تزال تؤرق علماء الفيزياء حتي الان ولكن رغم ذلك فان افتراض الحاجة لمثل هذه المادة الغريبة (السالبة) يظل الطريق الوحيد المعروف حتي الان ولكنه لا يمنع وجود طرق اخري لابقاء الممر الدودي مفتوحا دون الحاجة لمثل هذه الطاقة الهائلة ، والتاريخ العلمي ملئ بمثل هذه النظريات التي ظلت تشكل معضلات علمية حتي تم اكتشاف طرق جانبية او فهم مختلف لقوانين الفيزياء ، ومات بدا مستحيلا علميا قبل قرن واحد اصبح امرا عاديا وسهلا اليوم بسبب اكتشاف او فهم قوانين الفيزياء بشكل مختلف، ومثلا قبل اقل من قرن واحد، كانت هناك في أواسط العلماء ما يسمي (بكارثة الاشعة البنفسجية) او (الكاثود) بسبب عدم فهم الاشعة التي قد تصدر عن الاجسام السوداء في الفضاء وظل العلماء عاجزين عن تفسيرها لزمن حتي توصل العالم (ماكس بلانك) الي وضع أسس فيزياء الكم والتي حولت دفة علم الفيزياء تماما الي اتجاه اخر وحلت العديد من المشاكل العلمية التي بدت مستحيلة قبل ذلك.

والقصد هو انه سواء كانت الطريقة التي نقل بها العرش هي كما نفهمه اليوم بالثقوب الدودية او انحناء الزمكان ، او كانت بطريقة اخري فان ما حدث من الناحية العلمية ليس نقلا مباشرة عبر المسافة – فوق سطح الأرض لأنه مستحيل علميا وفيزيائيا، وسواء كان بطريقة اخري باستخدام نظرية جديدة ليست معروفة لنا اليوم ، فان علينا ان نسلم بانه كان هناك علما خاصة حيز لسليمان ورجاله ولم يورث الي الأجيال التالية ، او فقد خلال السنوات التالية واثناء السبي البابلي.

ثالثا: اذا نفهم من عدة إشارات في القرآن بان سليمان بالفعل قد حصل علي علم لم يعط لاحد من قبله ولا نعرف اذا ما كان سيتاح لاحد بعد ذلك ، مثلا من قوله تعالي (ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) والملك يشمل كل

أسباب القوة بما فيها العلم ، وقوله تعالي (ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما) ، والمؤكد عندنا ان ما حدث كان تطبيق لنظريات علمية وليس معجزة او خرقا للقوانين ، وربما في السنوات القادمة يتم اكتشاف تطبيقات جديدة لفيزياء الكم التي تتحفنا كل يوم بحقائق غير متوقعة ، وربما كانت قبل سنوات غير منطقية.

٧) ننتقل الي ما حدث بعد نقل العرش بنجاح ، وهو قوله تعالي (قال نكروا لها عرشها)، وقد اتفق المفسرين علي ان المقصود هو ابدال أجزاء العرش بحيث يبدو مختلف ، ونكر في اللغة – بتشديد الكاف – تعني التغيير المادي في الهيئة وتغييره ليجهل به ، وهو ما ذهب اليه الجمهور، ولكن ما السبب وراء هذا الطلب؟

كما ذهب المفسرون ان الهدف هو اختبار الادراك عند الملكة وقاتل ابن عاشور انه اظهار لقدرة سليمان علي التحكم في المادة والإدارة ، وقال الزمخشري هو اختبار لمهارتها في التفكير والادراك .

وفي رأينا انه اظهار للقدرة العلمية ، لان تغيير شكل العرش مع بقاء نفس مواد البناء امر في غاية الصعوبة لأنه يتطلب فك اجزاءه ثم إعادة ترتيبها في هيئة مختلفة دون ان يتحطم وهو امر شبه مستحيل ، والامر كله اظهار لقدرات استثنائية لا يمكن لملك عادي الاتيان بها ودلالة قوية وقاطعة علي نبوته وقوة الهه الذي أعطاه هذه القدرة وهذا الملك.

٨) الصرح:

قوله تعالي: قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير – النمل ٤٢

أولا: الصرح لغة، هو البنيان العالي او البناء الضخم وما يري من بعيد ، والمقصود غالبا هو قصر مهيب ،

ثانيا: لجة، من جزر لجج وهو عمق المياه وهو الجزء الذي لا يري قاعه من البحر، والمقصود هنا هو المياه العميقة .

ثالثا: ممرد: يقال ممرد الخيل أي السريعة والقوية والممرد يستعمل في اللغة للدلالة علي السرعة والقوة ، والمقصود هنا هو المدعم أي العازل بين الماء والذي يمشي فوقه كما سنبين.

رابعا: قوارير: هي الاوعية الزجاجية او المصنوعة من مادة صلبة للسوائل والسمة الأساسية للقوارير هي القوة والشفافية والمقصود هو الزجاج العازل القوي الذي يشف الماء من تحته .

خامسا: الجمع بين هذه الأجزاء يعطينا صورة واضحة ، أدخلت الملكة ومن معها الي قصر عظيم – من الجائز ان يكون بني خصيصا لهذه المناسبة ومن الجائز انه كان هناك بالفعل، وعندما دخلت البهو الرئيسي كان هناك قاعة او ساحة بأرضية من الزجاج المقوي والذي يجري من تحته الماء بشكل هندسي خاص – دليل علي التقدم الهندسي وهذا الامر ليس مسبوق قبل هذا العصر – ويمكن رؤية المياه الجارية من تحت الأرضية الزجاجية شديدة الشفافية بحيث تعتقد لأول وهلة انك ستخطو مباشرة في الماء وهو سبب الحركة العفوية التي قامت بها برفع الرداء حتي لا يبتل (حسبته لجة) أي ظنت ان قدميها ستغوصان في الماء ، اما الروايات الخرافية ان سليمان أراد ان يري ساقيها ليتأكد من إشاعة ان لها ساقي ماعز وان احد ابويها من الجن فلا أساس له من الصحة ولم يرد عليه دليل .ولكن كيف يمكن انجاز هذا البهو بمقاييس ذلك العصر ؟

خامسا: تنفيذ هذا الصرح في القرن العاشر قبل الميلاد:

اول شيء هو كيفية تنفيذ أرضية من الزجاج المقوي بحيث يمكن المشي فوقه ، الزجاج معروف قبل ذلك بقرون ولكن كان الاستخدام محدود بانية او خرز او قطع زخرفية ، ولم يكن ينتج كالواح شفافة كبيرة ، اما الزجاج المقوي فيتطلب تسخين منتظم بدرجة عالية ثم تبريد سريع منضبط وتحكم دقيق في الاجهادات الداخلية ، وهي تقنية ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ، حتي صناعة الواح زجاج مسطحة كبيرة لم تظهر قبل العصر الروماني المتأخر وبجودة محدودة،

هذا يدعم كون ما انجز في عهد سليمان يعد طفرة ومعجزة هندسية بالنسبة لهذا العصر ويؤكد ان ملكة سبا لم تر شيئا مماثلا او حتي قريب من ذلك ، ولكن كون ملك سليمان استثناء علمي وحضاري من هذا العصر هو دليل علي ان ما حكاه القرآن وصوره قد حدث فعلا .

وحتي لو لم تكن الأرضية من الزجاج الفعلي فهناك بديل اخر أيسر قليلا ولكنه أيضا لم يكن له مثيل في هذا العصر، وهو ان تكون الأرضية حجرية مصقولة جدا ، فبعض أنواع الحجر الجيري و الرخام المصقول يمكن ان تعكس الضوء وتعطي إحساس بالعمق وتوهم بوجود ماء .

اما بالنسبة للماء الجاري تحت الأرضية الزجاج فمن الناحية الهندسية القديمة يمكن عمل حوض ضحل جدا ارضيته داكنة وبه ماء صاف فوقه ممر مرتفع شفاف نسبي (بلور طبيعي كالكوارتز) .

ويمكن ان يجري الماء تحت الرضية باستخدام أسلوب فر المنسوب (الانحدار) فيتحرك الماء تحت الأرض بالجاذبية فقط وعمل قنوات محكمة العزل حتي لا يتسرب الماء والتحكم بشكل ما في سرعة الاندفاع او الركود.

وجدير بالذكر ان هناك انفاق مياه منسوبة الي فترة الملوك في (القدس) تظهر قدرة هندسية عالية في توجيه الماء بالجاذبية .

اذا الخلاصة ان هذا الصرح العظيم لا يحوي خرقا او معجزة انما هندسة متطورة وعلم سابق لعصره وقدرة عمالية استثنائية من البشر او الجن لإنجازه بشكل اسرع ولتوفير المواد اللازمة .٩)اذا القرآن يخبرنا ان ملكة سبأ قد اسلمت مع سليمان لعبادة الله الواحد وقد امن قومها – علي الأقل في عهدها – وهو امر لا يمكن اثباته اليوم اثريا حتي الان ، الا ان هذه العقيدة التوحيدية لم تلبث ان تلاشت تدريجيا بعد عهد هذه الملكة ، ويذكر ان مملكة إسرائيل نفسها فقدت أيمانها تماما بعد وفاه سليمان نفسه وهذه هي طبيعة الشعوب في الحضارات القديمة علي وجه الخصوص .

☐ الهيكل ام المسجد : ماذا بني سليمان

ننتقل الي النقطة الجدلية التي لازالت تشكل ازمة اليوم في القدس المحتلة، حيث يزعم اليهود ان سليمان قد بني هيكلا مقدسا في المكان حيث يوجد اليوم المسجد الأقصي ولذلك هم يحاولون الحفر تحت المسجد لاثبات ادعاءهم ، ولكن حتي لو كان سليمان قد بني هيكلا في هذا المكان وقد تم تدميره اثر الغزو البابلي، فكم من بناء علي الارض قد تمت ازالته واستبداله ببناء اخر هذا لا يعطي احد الحق في إزالة البناء الجديد بحجة وجود اثر قديم ، ولكن هل بني فعلا سليمان هيكلا في هذا المكان وما المقصود بالمسجد الأقصي في القرآن

١) الهيكل :

أولا: الرواية الدينية :

بحسب العهد القديم – سفر الملوك واخبار الأيام – بني في عهد سليمان في القرن العش=اشر قبل الميلاد في القدس وقد احتوي علي ، قدس الاقداس، تابوت العهد ، مذبح ، ساحات كبيرة.

ثم تم تدميره بالكامل علي يد البابليين بقيادة (نبوخذنصر) عام ٥٨٦ق.م فيما يعرف بالسبي البابلي،

وعلي ذلك يفترض ان يكون موقعه الان في جبل الهيكل (الحرم الشريف اليوم) في المنطقة التي تضم قبة الصخرة والمسجد الأقصى (الحرم القدسي) .

ثانيا: من الناحية الاثرية لا يوجد أي دليل اثري مؤكد علي الهيكل فلا توجد اساسات مؤكدة او نقوش تحمل اسمه او إشارة اليه او مخلفات معمارية يمكن نسبتها مجازا للقرن الاعشر قبل الميلاد في نفس الموقع ، وحتي الاثار التي تثبت وجود ملك داوود وسلالته في تل دان لا تذكر أي شيء عن هيكل موجود .

ثالثا: موقف علماء الاثار اليوم من الهيكل يتجه الي احتمال وجود معابد صغيرة تعود لعصر سليمان – وهو شيء بديهي اذ كان الدين محور أساسي في عهده – ولكن التوراة كالعادة ضخمت من المعبد الصغير لتجعله هيكلا ضخما يشمل مساحة شاسعة ، ومن ناحية اخري فان الصخرة (قدس الاقداس) كانت تعد مكانا مقدسا قبل زمن سليمان من سكان اورشليم وكانت تبني فوقها المعابد ثم يعاد بناء معابد اخري فوقها بعد تهدمها .

رابعا: الإبعاد المزعومة في التوراة : الطول ٢٧ متر، بعرض ٩ متر وارتفاع ١٣,٥ متر اذا المبني نفسه لم يكن ضخما ليشمل مساحة المسجد الأقصي وقبة الصخرة ، بل هو متواضع بالمقارنة بالمعابد المصرية وهو اقرب لمعبد إقليمي متوسط ،

ووفقا للتوراه فالمبني مقسم الي ثلاث مناطق رئيسية ، الرواق بعرض ٢٠ ذراعا والهيكل (القاعة الرئيسية) وقدس الاقداس ويحتوي علي تابوت العهد بحسب النص. وحوض دائري ضخم ٤,٥ متر محمول علي ١٢ ثور برونزي وزخرفة داخلية وجدران مغطاه بالذهب وبخشب الأرز ونقوش للكروبيم ونخيل وزهور، وساحات داخلية للكهنة وساحة اكبر للشعب. وكل هذا يجب ان يكون داخل مساحة ٢٤٣ متر مربع تقريبا .

اذا عارفنا ان مساحة المسجد الأقصي اليوم حوالي ١٤٤ الف متر مربع (حوالي ٣٥ فدان تقريبا) اذا وفقا لنص التوراة نفسه فان مساحة الهيكل المزعوم تساوي حوالي ٠,٥٠٠ من مساحة المسجد الأقصي !!

٢) اذا من الجائز ان يكون هناك معبدا بني في عهد سليمان وهو امر طبيعي جدا ولكن م المستحيل ان يشمل مساحة المسجد الأقصي اليوم وحتي اذا تم هدم المعبد مع كل ما هدم اثناء الغزو البابلي فلا يعني ذلك إعادة بناءه مكان المسجد الأقصي كله ويمكنهم بناءه في أي مكان اذا كان هذا شرط لينالوا الخلاص وليرضي عنهم الله وهو ما لن يحدث.

٣) إعادة بناء الهيكل : تاريخيا ، تم إعادة بناء الهيكل في عهد (هيرودس) الكبير حوالي ٢٠ق.م فقام بتسوية قمة الجبل وبناء جدران استنادية ضخمة بعضها مازال قائما وانشاء ساحة مستطيلة ضخمة والجدار الغربي هو بقأيا هذا المشروع ،

في عام ٧٠ م قام (تيتس) القائد الروماني بتدمير القدس والهيكل الثاني وقد وصف المؤرخ اليهودي (يوسيفيوس فلافيوس) هذا التدمير بالتفصيل وهو المصدر الأساسي لذكر الهيكل الثاني .

بعد ١٣٥م قام الامبراطور (هادريان) بتحويل المنطقة الي مستعمرة رومانية باسم Aelia capitolina وبعض المصادر تذكر انه بني معبدا فوق الموقع .

في القرن السابع الميلادي (الفترة البيزنطية) تحولت الإمبراطورية الي المسيحية وترك الموقع خربا مهملا أي حد كبير وظل هكذا الي حين الفتح الإسلامي ٦٩١م ثم بنيت قبة الصخرة في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ثم في أوائل القرن الثامن الميلادي بني المسجد الأقصى الموجود حاليا.

٤)الصخرة : هي الموجودة داخل القبة وهي تكوين طبيعي من الحجر الجيري ، وفي التقليد اليهودي يعتقد انها موضع قدس الاقداس وتسمي حجر الأساس في الادبيات الحاخامية المتأخرة ولكن لا يوجد نص اشوري او بابلي او كنعاني معروف يذكرها تحديدا .

الخلاصة اذا ان الهيكل المزعوم الذي يغطي مساحة المسجد الأقصى تم دحضه بنصوص التوراة وبالمنطق التاريخي والاثري ، ولا يوجد أي دليل لمزاعم اليهود اليوم في وجود بناء تاريخي بهذه الضخامة مكان المسجد الأقصى وما يمكن اثباته هو بناء معبد في القدس في عهد سليمان وهو امر طبيعي ثم تم هدمه في الغزو البابلي.

□وفاة سليمان

١) وفقا للنص التوراتي فان حكم سليمان كان أربعين سنة وهو منطقي جدا ولا مشكلة في قبوله وعلي ذلك فاذا كنا قد افترضنا انه ملك في عمر ما بين ٢٥ الي ٣٠ عاما فيكون وفاته في عمر ٦٥ الي ٧٠ عاما وهو معقول جدا، وعليه يمكن ان يكون وفاته ما بين عام ٩٠٠ وعام ٨٩٠ ق.م

٢) ذكر القرآن قصة اكتشاف موته بشكل لم يرد في التوراة، وهو قوله تعالي: فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ – سبأ ١٤

أولا: المنسأة هي العصا الخشبية التي يستند عليها ، وهو ما يدعم كونه قد وصل الي عمر السبعين فيحتاج للاتكاء علي عصا بسبب بداية الشيخوخة.

ثانيا: دابة الأرض: هي غالبا ما يسميها العرب (بالارضة) او ما يعرف اليوم بالنمل الأبيض وهو نمل يأكل الخشب .

ثالثا: المدة اللازمة لاضعاف العصا بفعل الارضة ، هي غالبا ثلاثة أيام في المتوسط وهي مدة كافية لاتلاف القاعدة المستندة الي الأرض وليس بالضرورة اكلها بالكامل ويكفي اكل ٣٥ %من القاعدة ليقوم وزن الجسم المتكئ بالباقي فتنكسر القاعدة بفعل الوزن ويقع الجسد علي الأرض .

رابعا: هل يمكن لجثة ان تبقي مستندة علي عصا لمدة ثلاثة أيام؟

الجواب نعم، من الممكن اذا كان الجسد متكئ علي العصا بزاوية وتكون العصا مثبتة علي الأرض والجسم شبه متوازن خصوصا ان ما يعرف (بالتصلب الرمي) وهو تصلب نسبي للجسم الميت قد يجعله ثابتا بعض الوقت،

٣) كيف لم يمكن معرفة موته قبل ان يقع؟

هذا هو السؤال الذي تم نسج القصص حوله..

أولا: من عادة الملوك اذا دخلوا الي خلوتهم او غرف نومهم الا يتم ازعاجهم او الدخول عليهم دون استئذان فلو افترضنا ان سليمان وهو نبي وملك كان يختلي بالأيام للتعبد وهي عادة الأنبياء لان عبء العبادة يكون مضاعفا بالنسبة لهم، وقد عرفنا ان الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم كان يقوم الليل كله تقريبا في التعبد وكان يصوم صياما لا يطيقه الناس العاديين .

ثانيا: كان سليمان ملكا قويا مهيبا ، ولا يمكن تصور ان أحدا يكون لديه الجرأة ان يقطع خلوته او يفتح عليه الباب ، وعلي الاغلب كان سليمان معتادا علي الغياب بالأيام في خلواته ما لم يثر أي شكوك اذا لم تتم رؤيته لمدة طويلة.

ثالثا: كيفية اكتشاف موته كانت بسقوط الجسد ، فيمكننا ان نتصور ان سليمان - وهو في سن الشيخوخة – كان يجلس للصلاة ثم يستريح متكئا عل عصاه وينام أحيانا (كثير من المسنين ينامون علي هذا الوضع وهو امر طبيعي ومعروف) وقبضت روحه علي هذا الوضع فتصلب جيده وهو متوازن علي العصا ، التي لم تكن أصلا بحالة جيدة وغالبا كانت من خشب الصنوبر الذي يتأثر بالرطوبة ، وتم تآكلها بفعل النمل الأبيض علي مدار أيام ،

ثم سقط الجسد فجأة محدثا صوت يمكن للحراس او من بالباب سماعه ، وعليه فقد تشاوروا كثيرا قبل ان يقرروا التجرؤ علي فتح الباب ليجدوا جسد سليمان واقعا علي الأرض ويكتشفوا موته.

٤) ما يركز عليه القرآن هنا هو وضع الجن الذين كانوا مسخرين للعمل مع سليمان طالما كان حيا، فقد كانوا ينتظرون موته بفارغ الصبر لكي يتحرروا من هذه السخرة ، والغري بانهم لم يتجرأوا علي الدخول علي سليمان رغم إمكانهم ذلك ربما رهبة منه ، والنقطة المهمة هي انهم لم يتمكنوا من معرفة موته الا بعد ان انتشر الخبر رسميا او علي الاقل داخل القصر ، أي ان الجن غير قادرين علي معرفة ما لا يرونه امامهم تماما مثل الانس.

العالم في زمن سليمان وداوود (١٠٠٠ – ٩٠٠ ق.م)

١) مصر (العصر الوسيط الثالث):

هذه الفترة كانت تمثل تراجع الحكومة المركزية مقارنة بالعصور السابقة وتداخل اسرات متعددة في الحكم ولا نجد ملوكا أقوياء ونجد ملوكا مثل (سمند١٠٧٦ – ١٠٥٢ق.م)

(امنمنيسو ١٠٥١-١٠٤٧ق.م) ، (بسوسن الأول ١٠٤٧-٩٩١)

ثم الاسرة الليبية حكام مثل (شيشنق الأول) وهو يعد بداية التاثير التاريخي عام ٩٤٥ق.م ويعتقد انه معاصر لسليمان .ويربطه بعض الباحثين بحملات في الشام مذكورة في نصوص مصرية وعبرية.

٢)مملكة ميتاني وبابل واشور:

أولا اشور: ملوك اشوريون مثل (اداد نيراري الثاني ٩١١-٨٩١ق.م) وبداية توسع اشور في شمال العراق وسوريا.و (اشور دان الثاني ٩٣٤-٩١٢ق.م)

ثانيا: بابل: عدة ملوك ضعفاء مثل (نابو كودورو) لكن السيطرة كانت محدودة غالبا تحت ضغط اشور.

٣)فينيقيا:،

حكتم المدن المستقلة مثل (صور) و(صيدا) ولا توجد أسماء كثيرة عنهم

٤)الصين:

الملك (كانج من تشو) ، الملك(تشاو من تشو) ، الملك(مو من تشو) ،

٥) الأميركتين : حضارة (الاولمك) بدأت في التشكل ولا توجد أسماء ملوك محفوظة حتي الان.

الفصل الثاني عشر

إلياس

زمن الياس

عبادة بعل

اين كان الياس

لا يوجد في القرآن دليل يؤكد الزمن او المكان الزي عاش فيه النبي الياس ، وكل ما لدينا هو الرواية التوراتية التي لحسن الحظ تتفق مع السياق التاريخي المؤكد اثريا ومع المعلومات القرآنية في هذا الشأن، ولذلك سنذهب مع التاريخ التقريبي الذي حددته التوراة دون الالتزام الدقيق ومع مراعاة المنطق التاريخي والاتفاق مع الاثار..

ان الرواية التوراتية تجعل زمن الياس(أيليا) فيما قبل السبي البابلي بمدة قليلة جدا ، حتي يكاد يكون السبي هو عقاب الله الذي نزل ببني إسرائيل الذين كذبوا الياس (الكرب العظيم) .

وقبل البدء في تأريخ عصر الياس عليه السلام سنستأنف من حيث توقفنا بعد موت سليمان عليه السلام وصولا الي الياس عليه السلام..

☐انقسام مملكة سليمان

بعد وفاة سليمان عليه السلام ، لا يوجد دليل مؤكد عما حدث ولكن الواضح ان هناك صراعات داخلية علي الحكم بين ابناءه انتهت بانقسام المملكة الي مملكتين ، شمالية تسمي(إسرائيل)و جنوبية تسمي (يهوذا)، ولحسن الحظ فان هذه الفترة تاريخيا هي بداية الخروج من الاعتماد الكامل علي التوراة الي وجود ذكر لملوك هذه المنطقة في نقوش خارجية ولذلك فإننا سنترك الأسماء التوراتية كلية الي الأسماء المؤكدة تاريخيا في منطقة فلسطين من المملكتين..

أولا: مملكة إسرائيل (الشمالية):

شمال فلسطين الحلية وأجزاء من الضفة الغربية وامتداد نحو الجليل ومرج بن عامر، وعاصمتها (ترصة) ثم (السامرة) التي أسسها الملك (عمري)٨٨٠ق.م وتحدها شمالا ارام دمشق وشرقا (الأردن) وجنوبا مملكة يهوذا.

المؤكد اثريا من أسماء الملوك هم :

اخاب : مذكور في نقش معركة قرقر ٨٥٣ق.م ضد الملك الاشوري شلمنصر الثالث .

ياهو: مذكور ومصور في المسلة السوداء وهو ساجد امام شلمنصر الثالث وهي اول صورة تقريبية لملك من إسرائيل في التاريخ.

ثانيا: المملكة الجنوبية (يهوذا) القرن التاسع قبل الميلاد:

جنوب فلسطين الحالية وتشمل القدس والخليل وعاصمتها (اورشليم) وهي اصغر مساحة من إسرائيل واقل قوة في القرن التاسع قبل الميلاد.

اهم نقش اثري يذكر بيت داود (تل دان) وهو الدليل علي وجود تلك المملكة

□الياس عليه السلام

السياق التوراتي والتاريخي يضع الياس في القرن التاسع قبل الميلاد ، فالتوراة تذكر انه عاش في عهد الملك (اخاب) الذي حكم حوالي ٨٧٤-٨٥٣ق.م وللأسف لا يوجد دليل للنفي او الاثبات .

والتوراة كذلك تقرر بانه ولد في (تشبه) بجلعاد وهي منطقة شرق نهر الأردن كانت تنتمي للمملكة الشمالية (إسرائيل) ، والحقيقة ان الدلائل الاثرية والتاريخية تؤكد وجود عبادة الاله (بعل) الذي ربطه القرآن بإلياس ، في تلك المنطقة بقوة وخاصة في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وتصرح التوراة ان الملك (اخاب) هو الذي ادخل عبادة البعل رسميا الي الدولة ، مما يجعل الرواية التوراتية حتي الان منطقية ومتماشية مع التاريخ والاثار..

١)اذا ولد الياس عليه السلام في منطقة (تشبه) في جلعاد شرق نهرا الاردن وهي اليوم شمال الأردن (محافظة اربد وعجلون) وكانت ضمن نفوذ مملكة إسرائيل قديما ، والمنطقي انه مارس دعوته داخل مملكة إسرائيل الشمالية حيث كانت العاصمة (السامرة) وهي اليوم في الضفة الغربية .

٢) تحديد الزمن الذي عاش فيه الياس يعتبر امر صعب، اذا اخترنا عدم الاعتماد الكامل علي رواية التوراة،

أولا: التوراة تقول انه عاش في زمن الملك (اخاب) وهو مثبت تاريخيا في نش (معركة قرقر) الاشوري حيث يذكر ان الملك الاشوري شلمنصر الثالث قد حارب تحالفا سوريا فلسطينيا مذكور فيه اخاب، ويؤرخ فترة حكمه بالعام ٨٥٣ ق.م ،

ثانيا: من المرجح ان عبادة الاله بعل اعتنقت رسميا في إسرائيل وفقا للاكتشافات الاثرية التي وجد فيها نقوشا لأسماء تحتوي علي عنصر (بعل) مضافا اليها مثل (بعلياه) و (بعلازر) الي جانب اسم بعل الاله وترجع لقرن التاسع قبل الميلاد .

ثالثا: من المؤكد ان النبي الياس كان من أنبياء ما قبل السبي الأول الذي اسقط مملكة إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م علي يد الملك الاشوري (شلمنصر) ثم الملك (سرجون الثاني) ، وهو ما يجعل زمن الياس قبل هذا الوقت .

رابعا: اذا يمكننا ان نقول ان الياس عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الي النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد ولذلك يمكننا قبول التاريخ الذي تذكره التوراة (زمن اخاب) او ربما الملك التالي له (يورام) حتي تكون عبادة بعل ترسخت اكثر في الدولة .حيث ان التوراة تقول ان اخاب تزوج امرأه فينيقية حيث عبادة بعل رسمية هناك ، ثم من اجلها قرر اعتناق هذه العقيدة رسميا في الدولة . فاذا صحت الرواية يكون عهده هو البداية فقط ولا يمكن الجزم ان الشعب كله قد قبل واندمج وعتاد علي هذه العقيدة .

خامسا : هناك حدث خر ربما يساعدنا في حصر الدائرة الزمنية، وهو (انقلاب ياهو) عام ٨٤١ق.م تقريبا، حيث قام (ياهو) بانقلاب دموي علي سلالة اخاب ،وقيامه بتدمير معبد بعل وقتل أبناء اخاب وقتل كهنة البعل، هذا الملك مذكور في مسلة (شلمنصر الثالث) وهو اول ملك إسرائيلي يصور في نقش اشوري ويشير النقش الي خضوعه لأشور.

سادسا : لابد ان نضع في اعتبارنا احتمال خطأ الرواية في التوراة فكثيرا ما تخطئ التواريخ والازمان لديهم ، لأننا لسنا متيقنين من ان عبادة بعل بدأت فعلا في عهد اخاب وليس قلب ذلك، فلدينا نصا في التوراة يصف حكم ابيه (عمري) مؤسس السامرة الذي حكم تقريبا ٨٨٥ الي ٨٧٤، انه (عمل الشر امام الرب وسار في خطايا يربعام) وهو م قد يفسر علي نبذه عقيدة التوحيد التي أسسها سليمان وداوود ، ومن ناحية اخري فان الافتراض ان الياس قد ولد في عهد اخاب يكون اذا في عمر النبوة في نهاية حكم السلالة كلها حيث انقلاب ياهو ونهاية عبادة بعل تقريبا، وهو ما يؤكد انه ولد قبل ذلك بكثير ، ولذلك نرجح ان يكون الياس قد ولد في

زمن (عمري) ليكون قد بعث في منتصف او اخر حكم اخاب أي انه ولد قبل زمن اخاب (٨٧٤-٨٥٣ق.م) عشرين عاما علي الأقل أي حول العام ٨٩٠ق.م أي ربما في زمن الملك (بقع) او (أيلا) السابقين (لعمري) .

ويكون عمره ٤٥ سنة في العام ٨٤٥ ق.م تقريبا ليبدأ ممارسة الدعوة في منتصف حكم اخاب حيث تصبح عبادة بعل في ذروتها.

٣) لا يذكر القرآن الكثير عن حياة الياس عليه السلام ، وكان كافيا الإشارة لبعل حتي نتوصل منها الي تحديد الزمان والمكان تقريبا ، اما التوراة فتورد احداث كثيرة لا دليل عليها ولا يمكننا حتي ان نزنها من حيث المنطق التاريخي ، لذلك سندع تلك الرواية بدون تحليل ونلتزم بما اعطانا القرآن .

٤) وفاة الياس : أيضا لا تذكر التوراة عمرا محددا لإلياس ، وان كانت تذكر تجلي الرب له علي جبل – اقتباس من قصة موسي عليه السلام – وفي روايات اخري انه رفع الي السماء، ولكن هذه الأحداث الخطيرة لا يفوتها القرآن عادة ولذلك فسنختار ان الياس قد مات ميتة طبيعية – ان لم يكن قتله قومه (وقتلهم الأنبياء بغير حق) – عن متوسط العمر الطبيعي وهو سبعين الي ثمانين عاما ، فيكون موته حول العام ٨٢٠ق.م ، وحسب التوراة فان عدة أنبياء جاءوا بين الياس وبين السبي ٧٢٠ق.م مما يدع فترة كافية قبل وقوع السبي.



الاله بعل في نقوش قديمة

الفصل الثالث عشر

يونس عليه السلام

مكان ولادته

البعثة الاولي والثانية

مسار الرحلة البحرية

الحوت

الحقيقة ان لدينا مشكلة حقيقية في تحديد موقع يونس عليه السلام من التاريخ والجغرافيا أيضا، وهذه المشكلات تتلخص فيما يلي:

أولا: خلت الإشارات القرآنية من تحديد زمن يونس او أي خيط يدل علي هذا الزمن

ثانيا: الرواية التوراتية كالعادة مليئة بالأخطاء التي يجب تنقيحها للوصول الي اقرب ما يكون للحقيقة التاريخية

ثالثا: ان المشكلة الأكبر هي في أيجاد موقع ركوب البحر الذي يمكن ان يدعم قصة ابتلاع الحوت له حيث لا توجد حيتان الا في البحار المفتوحة مما يلغي أي احتمال للأنهار تماما.

ولذلك فسنضطر للاسترشاد بالرواية التوراتية في حدود ضيقة جدا فيما يتعلق بالزمان، وسنعتمد علي القرآن في اتباع الخيوط التي سترشدنا الي اقرب نطاق جغرافي للأحداث..

□الزمان والمكان

أولا الرواية التوراتية:

ذكر يونس (يونان) في سفر الملوك الثاني ، علي انه كان في زمن الملك (يربعام الثاني) ملك إسرائيل الشمالية، والذي حكم تقريبا من ٧٩٣ – ٧٥٣ ق.م بحسب المتفق عليه بين الباحثين ما يجعل حياة يونس بين ٨٠٠ و ٧٠٠ ق.م تقريبا ،

وحسب التوراة فقد ولد في مدينة (جت حافر)

تحدد التوراة مدينة (نينوي) الاشورية – غالبا كانت العاصمة – المدينة التي ارسل اليها يونس او هكذا جاء الامر السماوي له ، الا انه رفض الخضوع للأمر وهرب الي البحر (يافا) وركب سفينة متجهة الي (ترشيش) ولا يعرف ما هي تحديدا، حيث واقعة ابتلاع الحوت له ثم نجاته وارساله الي نينوي حيث اطاع الامر هذه المرة وذهب الي هناك ودعا قومها الذين استجابوا وامنوا فرفع عنهم العذاب.

والحقيقة ان المسافة بين (يافا) حيث ركب السفينة وابتلعه الحوت، وبين (نينوي) تبلغ حوالي ٩٠٠ كم وتصل الي ١١٠٠ كم عبر الطرق البرية القديمة (الشام ثم وادي الفرات) وهذه الرحلة تستغرق حوالي ٤٥ الي ٦٠ يوما باعتبار الطقس والصعوبات ونقاط التوقف للراحة،

ثانيا: تحديد الزمان و المكان :

١) لا يوجد لدينا دليل قراني يحدد زمن يونس عليه السلام ولذلك فلا مانع بالأخذ بالرواية التوراتية والي تجعل زمنه ما بين ٨٠٠ – ٧٠٠ ق.م وهو ما يتوافق مع عدم معاصرته للنبي الياس خصوصا انهما كانا – وفقا للتوراه – في نفس المملكة الشمالية إسرائيل، ولذلك فيكون الأقرب منطقيا ان ميلاد يونس عليه السلم بعد عام ٨٢٠ ق.م بفترة كافية ليزول اثر النبي السابق الياس من نفوس الناس وعليه فيكون مولد يونس حول العام ٨٠٠ ق.م فيكون بعثته في عام ٧٥٥ تقريبا وهو يتفق مع الرواية التوراتية من معاصرته لحكم (يربعام الثاني) – ان صحت – ويتفق مع وضع نينوي في هذا الوقت كما سيلي..

٢) المكان: سنحاول الربط بين عدة خيوط من القرآن والتوراة والمنطق التاريخي للوصول الي مسار يونس عليه السلام..

أولا : مكان الولادة:

لا يوجد دليل يؤكد او ينفي كون يونس من أنبياء بني إسرائيل ، الا التوراة والسياق التاريخي للأنبياء في تلك الفترة والذي كان يركز علي بني إسرائيل بصفة خاصة، والذي يرجح بالفعل كون جميع الأنبياء- خصوصا منذ زمن موسي عليه السلام عليه السلام الي بعثة عيسي- من بني إسرائيل ، ولذلك فسنختار ان يونس كانت ولادته داخل حدود مملكة إسرائيل ، ولكن أي المملكتين؟ الأقرب للمنطق والسياق التاريخي هو ان يكون في مملكة إسرائيل الشمالية لأنها تقع علي البحر المتوسط وهو البحر الوحيد المفتوح في هذه المنطقة بالكامل.

ثانيا: وفقا للتوراة فقد ولد في (جت حافر) وهي غالبا تقع قرب الناصرة بالجليل (شمال فلسطين حاليا) وتبعد عن البحر حوالي ٤٠ كم ، وهو امر منطقي حيث قضي ٤٥ عاما تقريبا قبل ان يبعث نبيا ولا نعرف اذا كان انتقل من مكان ولادته الي مدن اخري كما اننا لا نعرف بالتحديد أين بعث وأين بدأت دعوته قبل ركوب البحر.

ثالثا: وفقا للسياق القرآني فان يونس امر بالدعوة في مكانين مختلفين ، اذا من المنطقي ان يكون الأول هو مسقط راسه – أي إسرائيل – ثم ركوبه البحر حيث لم يؤمر بعد بالذهاب الي المكان الثاني وهذا ما يؤكده

السياق القرآني حيث يقول تعالي (ونبذناه بالعراء وهو سقيم) ثم (وارسلناه الي مئة الف او يزيدون) أي ان الامر بالذهاب الي هذا المكان الثاني كان بعد واقعة الحوت وليس كما تذكر التوراة انه امر بداءة ان يذهب الي (نينوي) أي المكان الثني وانه هرب الي البحر ، وهو بالطبع ما لا يمكن قبوله بأي شكل فالأنبياء لا تهرب من رسالاتها.

رابعا: لا يوجد أي إشارة قرانيه للمكان الذي ذهب اليه بعد الحوت الا انهم (مائة الف او يزيدون) وهو ما يتوافق مع رواية التوراة التي تحدد عدد سكان نينوي بمائة وعشرين الفا، الا ان القرآن لم يذكر نينوي صراحة.

ورغم بعد هذه المدينة عن البحر المتوسط (حوالي ٧٠٠ كم) الا ان السفر اليها لا يعتبر مستحيلا في هذا الوقت ،

والحقيقة ان السياق المنطقي للأحداث يحتم ان يكون المكان الثاني (المائة الف نسمة) خارج إسرائيل تماما ، لان الارسال يكون من مكان الي مكان اخر خارج حدود الأول ، فلا يمكن ان يكون ولد في إسرائيل ثم يقول القرآن (ارسلناه) الي إسرائيل ، والمنطق اللغوي يجعل المكان الثاني خارج حدود المكان الأول.

ومن ناحية اخري فان التاريخ لا يدعم وصول أي من مدن إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد الي مائة الف نسمة ، اما عن مدن اشور فكانت حاضرة العالم وقتها والأكثر ازدهارا ، وهي الحضارة الأقرب جغرافيا لإسرائيل حيث تبعد نينوي عن حدود إسرائيل حوالي ٧٠٠ كم ،

اذا لو افترضنا ان يونس ارسل الي اشور فستكون نينوي هي وجهته كونها العاصمة في هذا الوقت كما سنعالج الأمور بالتفصيل فيما يلي..

□القصة في القرآن

---

١) علمانا ان يونس عليه السلام قد بدأ دعوته في إسرائيل الشمالية – السامرة وفقا للتوراه – ومن المرجح ان عبادة بعل كانت لازالت موجودا اثرها ، ومن الجائز أيضا ان يكون هناك تأثر بالدين الاشوري حيث تحالف (يهوا) مع (شلمنصر) ولكن هذا غير مؤكد والغالب ان إسرائيل لم تعد الي دين سليمان وداوود وظلت علي وثنيتها ، مما استدعي بعثة نبي جديد لإعادة الناس الي دينهم .

٢) اذا من المرجح ان يكون بعثة يونس حول العام ٧٧٥ ق.م ، حيث مكث مدة يدعو قومه في إسرائيل بلا فائدة ، ولاقي ما لاقاه غيره من الأنبياء علي يد بني إسرائيل من عناد وكفر .

والحقيقة ان رواية التوراة التي تدعي هروب ينس من امر الله له بالذهاب الي نينوي وكذلك الروايات التي وردت في الأثر بلا دليل واضح من ان يونس دعا قومه فترة ثم يئس منهم كما انتظر وقوع عذاب من الله ولما لم يأت ذهب غاضبا وقرر الهجرة فعاقبه الله بابتلاعه في بطن الحوت، هذه الروايات لا اصل لها وتحتاج الي تفصيل..

أولا: قوله تعالي (ذهب مغاضبا) : لوصف سبب خروجه وركوبه البحر قبل ابتلاع الحوت له ، هل هذا الوصف القرآني يعني العصيان والتمرد والخروج عن امر الله؟

ان لفظ (مغاضبا) في استعمال العرب يختلف قليلا عن قولنا (غاضبا)، فالأول اشتقاق من الفعل (غضب) ويعني الامتلاء بالغضب وهو وصف فقط للحالة النفسية الداخلية دون الانصراف الي اثر ا فعل ناتج عنه، اما (مغاضبا) فهي صيغة مفاعلة وهي في اللغة تعني دائما وجود طرف ثاني او نوع من المواجهة ،او للمبالغة في الفعل، وقد اتفق كثير من المفسرين علي انه خرج غاضبا من قومه (الطبري – ابن كثير – القرطبي) ،

ثانيا: لا يمكن قبول فكرة ان نبي يعصي امر ربه ويخرج قبل ان يؤذن له ، ولا نعتقد ان ابتلاء الحوت هو عقاب من الله علي عصيان يونس له ، انما هو بلاء ابتلي به كما يبتلي الأنبياء بالامور الشديدة التي لا يتحملها البشر العاديين ، حتي ان استغفاره في بطن الحوت كان عن أيمان بان الله سينجيه والأنبياء يستغفرون الله في الشدة وفي الفرج ولا يجب ان يفهم ذلك انه ندم علي الذنب.

ثالثا: قوله تعالي (فظن ان لن نقدر عليه) : أي تأكد ان الله لن يضيعه ولن يتركه ولن يناله سوء سواء كان المقصود محنته في بطن الحوت ام المحنة التي جعلته يخرج بداءة.

اذا نرجح ان خروجه كان اضطراريا وليس اراديا ومن الجائز انه اصبح مطاردا او مضطهدا

رابعا: أي كان سبب خروجه فان المشكلة الحقيقية في وجهته ، ووفقا للتوراه فانه ذهب أولا الي (يافا) وهي مدينة ساحلية تعتبر الأقرب الي السامرة – لو صح وجوده فيها – وهذا منطقي من الناحية الجغرافية ، ولكن نقطة الخلاف في وجهته النهائية وهي مدينة (ترشيش) وهو اسم محل خلاف تاريخيا ولا يعرف علي وجه

التحديد ما هي، وقد رجح الباحثين عدة مدن منها (طرطيسوس) في اسبانيا وهي بعيدة جدا عن نينوي (الوجهة التالية) و قيل انها موضع في شمال افريقيا او المتوسط الأوسط في سواحل تونس او سردينيا،

والحقيقة اننا لا نعرف سببا لكي يسافر الي هذه الواضع البعيدة جدا، واذا كان قصد مدينة عن طريق البحر فالأقرب للمنطق هو اختيار اقرب مكان جغرافيا حيث اننا لا نفترض ان يونس وهو من إسرائيل يعرف خريطة العالم جيدا ويعرف المدن الساحلية البعيدة ويختار ابعدها ولكن المنطق هو اختيار اقرب نقطة للساحل الإسرائيلي – يافا لو صحت الرواية

ولذلك لتحديد الوجهة لابد من وضع في الاعتبار مسالة الحوت كما سنعالجها ..

٣)موقع الحوت تاريخيا وجغرافيا:

أولا: من المعروف علميا ان الحيتان لا تتواجد في مياه بعمق اقل من ١٠٠٠ متر تحت سطح البحر ولذلك فمن المستبعد ان تتواجد قرب السواحل ، ولذلك فعلينا اختيار وجهة تفترض المرور حتميا في المياه العميقة وليس فقط متاخمة للساحل او يمكن الوصول اليها دون الدخول في المياه العميقة.

ثانيا: ان البحر الذي نحن امامه الان هو البحر المتوسط قبالة سواحل إسرائيل تحديدا يافا، وفي هذه المنطقة يتوقع وجود الحيتان بأنواعها في عدة مناطق تحديدا:

-بحر أيجة العميق

-جنوب اليونان

-جنوب إيطاليا

-غرب المتوسط قرب اسبانيا

ثالثا: وعلي ذلك يكون الاحتمال الأقرب منطقيا هو (قبرص) ذلك اذا كان يونس لديه وجهة محددة أصلا ، فمن الجائز ان يركب البحر ويعتمد علي الله فقط دون ا يعرف الي أين هو ذاهب ، وهناك احتمال اخر لم يناقشه أي من المفسرين وهو ان ذهاب يونس الي البحر كان بامر من الله أصلا اذ ان الأنبياء لا يتحركون الا بامره وعلي ذلك يكون ركوبه البحر قرار من الله لاختباره بمسألة الحوت والله اعلم.

٤) السفينة والاقتراع: تتفق رواية التوراة مع ما اثبته القرآن في مسالة الاقتراع لاخراج احد الركاب من السفينة اذ هبت عليها عواصف شديدة اجتاحت لتخفيف الحمولة وهو امر منطقي ويحدث كثيرا مع البحارة اذا امتلات السفينة بالماء او كان هناك كسر في البدن مما يوجب القاء البضائع في البحر وهو امر معترف به دوليا عبر التاريخ ، وفي سياق قصتنا ، ان ما حدث انهم القوا البضائع ولكن من الواضح ان الوزن لازال يحتاج لتخفيف فقرروا الاقتراع علي اخراج احد الركاب الي البحر ، وهو أيضا شائع خصوصا في القرون القديمة ، والقرآن يثبت واقعة الاقتراع في سورة الصافات ، قوله تعالي (فساهم فكان من المدحضين) .

الاستهام : في استعمال العرب هو طريقة لاجراء القرعة بحيث يؤخذ اسهم (اسهم النبال او اعواد خشب رفيعة) متماثلة في الشكل والحجم ، بعدد المقترعين، ثم يتم كسر واحد فقط منها ، ثم يأخذ كل مقترع سهم ، ويكون صاحب السهم المكسور هو الذي وقعت عليه القرعة، ورغم ان القرآن لا يخبرنا بالتفصيل ماذا دث الا انه قرر في النهاية ان يونس هو من وقع عليه القرعة ، فعلم انه امر الله فخرج من السفينة الي عرض البحر طوعا.

٥)نزل يونس الي البحر وظل عائما لساعات ربما متمسكا بشيء ما ، حتي جاءت اللحظة التي ابتلعه الحوت ، و سنحتاج لتفصيل طويل في هذه النقطة تحديدا ..

أولا: اللفظ القرآني الذي وصف واقعة الابتلاع جاء بقوله تعالي (فالتقمه الحوت وهو مليم – الصافات) ، والتقمه من فعل (لقم) ولقم الشئ أي ابتلعه واخذه في فمه بسرعة والقصد هو الابتلاع المباشر بدون مضغ او هضم وهو لفظ دقيق يفيد بقاء يونس في فم الحوت ولم يدخلا لي المعدة.

ثانيا: الحوت:

هناك عدة أنواع للحيتان في تلك المنطقة ولكن نرجح نوع واحد منها فقط هو الأقرب للمنطق بحيث يمكن ليونس ان يبقي في فمه مدة دون ان يتم ابتلاعه او مضغه ، وهي الحيتان (البالينية) وذلك لعدة أسباب:

أولا لا تمتلك اسنانا حادة بل تتغذي بالترشيح (صفائح البالين) التي تصفي الماء وتحجز فقط الأسماك الصغيرة ، وثانيا لان فمها واسع جدا مقارنة بباقي الأنواع، وهذا النوع من الحيتان يندرج تحته عدة أصناف:

-الحوت الأزرق

-الحوت الاحدب

-حوت الزعنفة

ومن ببين تلك الأنواع فان المرجح هو الحوت الأزرق اكبر الكائنات الحية علي الاطلاق وهو الاوسع فما بينهم ولا يمتلك اسنان،

ثالثا: إمكانية البقاء داخل فم الحوت:

اذا بقي الحوت تحت سطح البحر فان احتمال بقاء يونس حيا يعد ضئيل جدا لنقص الاكسجين وتزايد ضغط الماء وسوء الرائحة ، ولذلك نرجح ان الحوت قد بقي علي السطح

ويتميز الحوت الأزرق بسلوك الاندفاع السريع من اسفل لا علي وفمه مفتوح تماما ويشاهد مفتوح الفم كثيرا علي السطح مما يدعم إمكانية دخولا لهواء الي الفم اثناء وجود يونس ، ورغم ان الحوت لا يتنفس عن طريق الفم الا ان كمية الهواء التي يمكن ان تدخل كافية لأنسان لكي يتنفس ، ولكن تبقي المشكلة في حركة أجزاء الفم واللسان المستمرة ،

رابعا: السيناريو الوحيد :

اندفع الحوت نحو السطح وفمه مفتوح فيدخل يونس الي الفم دون ان يغمره الماء تماما ،

لابد ان نفترض ان الحوت لم يكن طبيعيا بالكامل بحيث ان هناك خللا ما في يجعل الفم لا ينغلق تماما مثل إصابة او ارتباك في عضلة الفك او مرض الحوت او انهاكه او كبر سنه ، وهذ يدعم ان الحوت لا يغوص الي الأعماق ويبقي علي السطح ،

يتكون جيب هوائي مؤقت بحيث ان الجزء العلوي للفم يبقي علي السطح فوق مستوي الماء والراس مائل قليلا فيتكون جيب هوائي محدود قرب سقف الفم بحيث يمكن ليونس التنفس بإبقاء راسه في هذا الجيب،

هذا الحوت المريض المحتضر غالبا، يبقي علي السطح لأنه لا يستطيع الغوص تحت الماء بسبب ضعفه ومعروف ان الحيتان المريضة والضعيفة تميل الي المياه الضحلة ، ثم تتكفل الأمواج بتحريكه الي اقرب ساحل .

اذا افترضنا انه كان في مكان ما في البحر قرب قبرص من ناحية (يافا) حيث انطلق، فحسب اتجاه الرياح في هذه المنطقة (شمالية شرقية) تدفع الأشياء نحو الجنوب الغربي باتجاه الساحل الفلسطيني بسرعة ٢٠ كم/س ليصل الي سواحل يافا او تل ابيب خلال ثلاث أيام في المتوسط، وهو مطابق لرواية التوراة التي تقول انه بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ،

٦) حسب القرآن ، قوله تعالي (ونبذناه بالعراء وهو سقيم ، وانبتنا عليه شجرة من يقطين).

أولا: نبذناه : أي تركناه ، وهو متوافق مع فرضية الحوت الميت الذي وصلت جثته الي الشاطئ او كان مريضا ولم يمت بعد عندما وصل قرب الشاطئ وهو الأقرب ليدعم إبقاء فمه مفتوح حتي يخرج يونس ، وهذا يفترض ان يكون جسم الحوت مائلا علي الشاطئ ولسانه مرتخ قليلا مما يسمح ليونس بالانزلاق خارجا بعناء شديد خصوصا انه بالفعل في حالة يرثي لها.

ثانيا: وهو سقيم : أي مريض لا يقوي علي الحركة ، وتستخدم أيضا للدلالة علي الفساد او الضعف الشديد، ولنر كيف يمكن لشخص خرج لتوه من فم حوت بعد ثلاثة أيام ..

من الناحية البدنية: ارهاق شديد جدا بسبب القيود الميكانيكية داخل الفم والجهد البدني لمحاولة التنفس او الدفع للخروج ، ونقص الاكسجين الشديد فمن المرجح انه كان يعاني التنفس بصعوبة بالغة للبقاء علي قيد الحياة طوال المدة ، ورطوبة المكان وبرودته،

الحالة الصحية بعد الخروج: من الطبيعي ان يكون التنفس سريع وقصير فالجسم يحاول تعويض النقص في الاكسجين ، وارتباك ودوخة نتيجة نقص الاكسجين والجهد الشديد، واحتمال صدمة ميكانيكية بسيطة بسبب اضغط او الاحتكاك مع اللسان او جدران فم الحوت ،

الحالة النفسية: صدمة نفسية بسبب الظلام داخل الفم والخوف من الموت او الغرق او الضغط وشعور بالارتباك والصدمة بعد الخروج مباشرة

ويجب ان نضع في الاعتبار سن يونس في هذا الوقت اذ يفترض ان يكون علي الأقل في سن الخمسين وهو ما يزيد من الاعراض النفسية والبدنية عليه بالمقارنة بشاب في الثلاثين .

٧) وانبتنا عليه شجرة من يقطين:

أولا: اليقطين لغة هو كل نبات يمتد علي وجه الأرض ولا يقوم علي ساق خشبية وله ثمر كبير نسبيا هذا التعريف ذكره أئمة اللغة كابن منظور في لسان العرب ، واختلف المفسرون ي تحديد المقصود في الآية، وقيل انه (القرع) وهو الغالب عند المفسرين وهو مثل البطيخ ونحوهما ، او القرع العسلي،

ثانيا: المقصود بشجرة من يقطين أولا مصدر للظل فاليقطين أوراقه كبيرة تظلل وتحمي الجلد ، وثانيا الغذاء فثماره كبيرة ومغذية وسهلة الهضم لأنها الياف ،

ثالثا: هذا النوع من الأشجار يتطلب ارضا رطبة ومعلوم ان ساحل فلسطين قرب يافا وتل ابيب تنمو فيه هذه الأشجار ، وهذا النوع من الفاكهة مثالي في حالة يونس حيث يحتوي علي مواد غذائية كافية تماما للغذاء خاصة لمثل حالته، فمن ناحية هو غني بالماء وفيه الياف تساعد علي الهضم ويحتوي فيتامينات مناسبة.

٨)من المعقول ان يحتاج يونس عدة أيام للتعافي والوقوف علي قدميه واستعادة عافيته، ولا نعلم اذا كان قضي هذه المدة وحده علي الشاطئ ام ان هناك من وجده واعتني به – وهو المرجح – الا انه بعد ان استعاد عافيته (ربما شهر) جاءه الامر من الله بالمهمة التالية .

٩) الرسالة الثانية:

كما سبق ان قلنا ان المكان الذي بعث فيه يونس عليه السلام لا يمكن ان يكون هو نفسه مكان الارسال الثاني في قوله (وبعثناه الي مئة الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم الي حين) وليس هو المقصود أيضا بقوله تعالي (فلولا كانت قرية امنت فنفعها أيمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي – يونس ٦٦) وذلك لعدة أسباب:

أولا ان الارسال يفترض اختلاف المكان المرسل اليه عن موضع الارسال الأول ،

والثاني ان سكان مملكة إسرائيل ليسوا مئة الف بل اكثر بكثير ولا توجد مدينة واحدة في إسرائيل تبلغ نصف هذا العدد في ذلك الوقت،

والثالث: هو انهم امنوا ومعروف ان بني إسرائيل يعرفون الله من الأساس ولو طرأت عليهم عقائد وثنية مثل بعل ، والأحرى ان يكون بعث الي قوم لم يعبدوا الله وتوارثوا عبادات وثنية .

ولذلك فاننا نرجح انه ارسل خارج ممالك إسرائيل تماما ولكن أي مكان هو الأقرب للمنطق التاريخي والجغرافي؟

أولا: الدول والممالك التي تقع علي الحدود الإسرائيلية في هذا الوقت تقتصر علي اشور ومصر واما الشام وباقي كنعان فلم تنشأ ممالك او مدن بالمعني المعروف لاحقا ولا يمكن ان نقول ان هناك مدينة او مكان واحد يبلغ سكانه مائة الف فهي قري متفرقة ومدن صغيرة.

واما مصر فمن المستبعد ان يبعث الله نبي من بني إسرائيل بعد ان اخرجهم منها منذ ما يقرب ثلاثة قرون ، كما انها تعتبر مسافة طويلة جدا خاصة اذا كان يونس قرب الساحل الفلسطيني، والأرجح هو المملكة الاشورية ، فهي الأقرب جغرافيا الي إسرائيل بحدود مشتركة وخاصة ان (ياهو) الملك المنقلب والذي يرجح انه حكم إسرائيل في تلك الفترة وسلالته من بعده قد اقام علاقات مع اشور وهذا ثابت اثريا بالنقش الاشوري في عهد الملك (شلمنصر) .

ثانيا: الرواية التوراتية تقول انه ارسل الي (نينوي) والسجلات التاريخية تدعم بشدة ان يصل تعداد سكان المدينة والقري التابعة لها الي اكثر من مائة الف نسمة في منتصف القرن الثامن قبلا لميلاد وهو ما يطابق الوصف القرآني ، ولا توجد مدينة اشورية اخري يمكنها ان تصل الي هذا العدد .

والحقيقة ان التوراة ذكرت (نينوي العظمي) وهو الامر الذي يجعلنا نعتقد ان المدينة المقصودة ليست مدينة واحدة في الواقع بل عدة مدن اشير اليها مجازا بمدينة واحدة لأنها كانت الأكبر مساحة ، وهذا ثابت تاريخيا فمدينة نينوي كانت اكبر مساحة من العاصمة (اشور) والحقيقة اننا نرجح ان يونس قد نزل أولا في اشور وبدأ دعوته – حيث ان الطريق الي نينوي لابد ان يمر عبر اشور ثم كالح ثم نينوي وبهذا يعتبر امرا طبيعيا ان يكون مجموع سكان المدن التي نشر فيها دعوته يزيد عن مائة الف وهو ما يطابق الرواية القرآنية والتوراتية معا.

١٠) المسار المنطقي من شمال إسرائيل الي نينوي:

تبلغ المسافة من منطقة حوالي ١١٧٠ كم تقريبا عبر الطرق البرية المعروفة والرسمية آنذاك،

والمسار البري الأقصر يكون عبر سهل مرج بن عامر ثم وادي الأردن صعودا باتجاه دمشق وهو طريق تجاري معروف ومأهول ، ثم من دمشق يتجه شمال شرق نحو تدمر وهي واحة مهمة ثم الي كركميش علي نهر الفرات ، وبعد عبور الفرات يسير طريق شرقا بمحاذاة الأنهار عبر مدن اشورية داخلية حتي الوصول لدجلة ثم شمالا الي نينوي، وهذا اقصر طريق معروف في هذا الزمن وقد يستغرق شهر الي ٤٥ يوما بالوسائل المتاحة حينذاك.

١١) من المهم معرفة التاريخ التقريبي لوصول يونس الي نينوي لتحديد أي الفترات في الدولة الاشورية نتحدث عنها، فاذا افترضنا انه بعث حول العام ٧٥٠ ق.م تقريبا مع حساب مدة دعوته الاولي وحادثة الحوت فهذا لا يقل عن عشر سنوات كمتوسط فيكون وصوله لنينوي في العام ٧٤٠ ق.م تقريبا ،

أولا: حكام اشور في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد :

شور دان الثالث (٧٧٣-٧٥٥ق.م) شهد عهده اوبئة وكسوف شمسي ينة ٧٦٣ ق.م وثورات داهلية في عدة مدن وضعف السلطة المركزية.

اشور نيراري الخامس (٧٥٥-٧٤٥ق.م): استمرار الضعف ونفوذ القادة الجيش والولاة يزداد

تغلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ق.م) استولي علي الحكم سنة ٧٤٥ق.م يرجح بانقلاب ، وأعاد بناء الدولة بقوة وتوسع غربا حتي الشام وهو الذي بدأ مرحلة الإمبراطورية الاشورية العظمي

ثانيا: ان الملك الأكثر ترجيحا من بين هؤلاء عندنا هو (اشور نيراري الخامس) وذلك لعدة أسباب:

أولها معاصرته للفترة الزمنية التي يعتقد وصول يونس فيها الي اشور.

وثانيها ان فترة حكمه اتسمت بالغموض الي حد ما ، فنلاحظ السجلات قد تعمدت حذف تاريخه والأحداث المعاصرة له بالمقارنة بباقي الملوك السابقين والتاليين له مما يثير الشك في احتمال التغيير العقائدي الذي قد يكون تبناه (أيمان بدين يونس) وهو امر معروف عند الحضارات القديمة خصوصا ان حكمه انتهي بانقلاب (تيغلات بلاصر) والذي قام بالطبع بمحو كل ما كتب عنه وإعادة الأمور خاصة الدينية الي ما كانت عليه واستعادة الدين الاشوري الأصلي .

كذلك نلاحظ اشارة في السجلات علي ضعف نفوذ الكهنة في عهده ،وضعف السلطة المركزية وتوقف الحملات التوسعية.

وثالثها ما يعرف بالتوبة الجماعية اثر حدوث ظواهر مثل كسوف الشمس وهو ما كان يفسر حينها بغضب من الآلهة مما يمنح فرصة لاعتناق دين جديد او الأيمان بنبي مرسل من الآلهة مثل يونس والتشبث بأي حبل يمكنه اخراجهم من الفترة الصعبة والاضطرابات.

والخلاصة ان الفترات التي تسمح تاريخيا باعتناق دين توحيدي في حضارة راسخة فيها العقائد الوثنية لزمن طويل هي فقط فترات الضعف السياسي حيث تكون قبضة الدولة علي الدين اخف ونفوذ الكهنة اضعف ويكون الناس لديهم استعداد لقبول دين جديد كطوق نجاة من الفترات الصعبة ولذلك لا يوجد ملك اشوري في تلك الفترة يطابق هذه الصفات غير (اشور نيراري الخامس الذي حكم من ٧٥٥ – ٧٤٥ق.م وهو الزمن الذي يطابق حساباتنا لوصول يونس الي اشور.

١٢)كما تتفق التوراة مع القرآن في ان اهل هذه المدن – ثلاثة مدن او اكثر وليس كل اشور – قد امنوا بدين يونس فان التاريخ يؤكد ان هذا الدين لم يظل رسميا لفترة طويلة ، فرغم ان الملك امن به الا انه من الجائز ان يكون هناك اضطرابات واعتراضات داخل دائرة الحكم ، وهو ما نستدل عليه بحقيقة ان قائد الجيش (شمشي أيلو) وكبار القادة تظهر أسمائهم في السجلات مكان الملك وكذلك كبار الكهنة مما يعني وجود بوادر للانقلاب علي الملك الضعيف الذي كفر بالهتهم وغير الدين وهو ما انتهي بانقلاب (تغلات بلاصر) عام ٧٤٥ق.م، ولا توجد سجلات تحكي ما حدث الا اننا نجد اسمه يظهر فجأة، ولا يعرف ماذا حدث لاشور نيراري ، وبهذا الانقلاب تبدا مرحلة فارقة في الدولة الاشورية ببدء تأسيس الامبراطورية العظمي التي ستجرف معها دولة اسرائيل الشمالية فيما يعرف بالسبي الاشوري.

١٣)لا يوجد ذكر لوفاة يونس في التوراة ولذلك سنلتزم بالسن المتوسط للوفاه وهو السبعين الي الثمانين ، فاذا كانت دعوته في اشور بدأت عام ٧٤٠ق.م تقريبا وكان عمره حوالي ٦٠ عاما فيكون وفاته بعد عشرة الي عشرين عاما أي حول العامي ٧٣٠ ق.م

ومن المرجح انه توفي قبل ذلك ولا نعرف اذا كان عاصر بداية الحملات علي إسرائيل (السبي) التي بدأت عام ٧٣٢ق.مام انها بدأت بعد وفاته .

□العالم في زمن يونس

أولا : اشور:

١)ادد نيراري الثالث (توفي ٧٨٣ق.م)

٢)شلمنصر الرابع(٧٨٣-٧٧٣ق.م)

٣)اشور دان الثالث(٧٧٣-٧٥٥ق.م)

٤)اشور نيراري الخامس(٧٥٥-٧٤٥ق.م)

٥)تغلات بلاصر الثالث(٧٤٥ تولي الحكم بانقلاب)

ثانيا: مملكة إسرائيل الشمالية:

١)يربعام الثاني(٧٩٣-٧٥٣ق.م) وهذا هو المؤكد تاريخيا .

٢)هوشع (اخر ملوك إسرائيل حتي سقوط السامرة ٧٢٢ق.م)

ثالثا: مملكة يهوذا:

حسب التوراة فقط (عزيا – يوثام – احاز – حزقيا)

رابعا: مصر (الاسرتان ٢٥-٢٢):

-اوسركون الثالث

-تاكيلوت الثالث

-شيشنق الخامس

خامسا: بابل:

١)نابوناصر (٧٤٧-٧٣٤ق.م)

٢)نبو نادين زيزي

سادسا: اورارتو (شمال العراق وشرق الاناضول):

ارغيشتي الأول

سردوري الثاني

روسا الأول، كانت قوة خطيرة علي اشور حتي سحقها سرجون الثاني.

سابعا: الاناضول:

ميداس (الملك الأشهر والذي ارتبط بعدها بلمسة الذهب).

ثامنا: فينيقيا:

مدن مستقلة مثل (صيدا و ارواد وصور) ومن ملوك صور حيرام الثاني وأتبعل الثاني.

تاسعا:اليونان: الفترة الهندسية:

لم تكن مملكة موحدة بعد وكانت مدن دول مثل (أثينا،اسبرطة).

عاشرا : الصين

اسرة ملك زوان من تشو ثم ملوك اسرة (تشو) الشرقية .

الفصل الرابع عشر

أنبياء السبي

السبي الاشوري

السبي البابلي

ان تلك الفترة للأسف لا يوجد أي دليل تاريخي او قراني عليها ولكن كان من الواجب ذكرها لعدم قطع التسلسل التاريخي في الكتاب بين الأنبياء ولإجماع المفسرين علي وجود أنبياء لبني اسرائيل لم يتم ذكرهم في القرآن وفي هذا الفصل سنستعين بالأسماء الواردة في التوراة دون ذكر احداث متعلقة بهم مع محاولة التفرقة بين الأنبياء والملوك لان الرواية في التوراة تخلط بينهم أحيانا ، وسنحاول البحث عن أي إشارات تاريخية قد تذكر اسم أي من الأنبياء المذكورين في تلك الفترة ..

□أولا: السبي الاشوري

السبي الاشوري كان سياسية رسمية في الإمبراطورية الاشورية الجديدة (العصر الممتد بين ٩٠٠ و ٦٠٠ ق.م) يقوم علي غزو دولة او مملكة بنقل سكانها قسرا من أراضيهم الي أجزاء اخري من الإمبراطورية ، والمقصود بالسبي هنا هو ترحيل جماعي للسكان كاسري ونقلهم الي أماكن بعيدة عن موطنهم الأصلي .

١) السبي الاشوري لمملكة إسرائيل الشمالية (مملكة السامرة) :

عام ٧٢٢ق.م تقريبا غزا الاشوريون مملكة إسرائيل الشمالية بعد حصار طويل لمدينة السامرة وتم تدمير المملكة وضم أراضيها كإقليم تابع للإمبراطورية ونقل العديد من سكانها من أماكنهم الاصلية.

٢)المصادر التاريخية (النقوش الاشورية والوثائق الاثرية) تفيد بان الملك الاشوري (سرجون الثاني) اعلن انه نقل حوالي ٢٧,٢٨٠ شخصا من مملكة إسرائيل الي أماكن مختلفة في قلب الإمبراطورية واسيا الوسطي، وكان ذلك جزءا من سياسة دمج الشعوب ومنع التمرد في المناطق المحتلة. هؤلاء السكان تم نقلهم الي أراض جديدة مع عائلاتهم وامتعتهم وفي نفس الوقت تم نقل شعوب اخري من مناطق مختلفة الي ارض إسرائيل التي تم تفريغها .

٣)مراحل السيطرة علي إسرائيل:

أولا: معركة (قرقر)٨٥٣ق.م : واجه الملك(شلمنصر الثالث) تحالفا من ملوك الشام من بينهم ملك إسرائيل (اخاب) ضد الاشوريين وكانت نتيجتها غير حاسمة لكنها أظهرت قوة الاشوريين واندماج الممالك في مقاومة الغزو.

ثانيا: مرحلة الهيمنة العسكرية : في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد بدأ الاشوريين يحكمون المنطقة بالقوة العسكرية المباشرة وكانت إسرائيل الهدف الأساسي بين ٧٤٥ – ٧٢٢ق.م

وكانت البداية بالملك (تغلات بلاصر الثالث) الذي اعتلي الحكم بانقلاب علي (اشور نيراري) المعاصر ليونس كما قلنا، وقام بعد ذلك بإعادة تنظيم الجيش الاشوري وانهاء مرحلة الاضطرابات والضعف وغالبا قضي علي الدين التوحيدي ، ثم اخضع مناطق الشام لهيمنة اشور،

ثم في عهد (شلمنصر الخامس ٧٢٧-٧٢٢ق.م) بدأت الحملة علي إسرائيل الشمالية

واكتمل الامر بعده في عهد (سرجون الثاني ٧٢٢-٧٠٥ق.م) ونجح في احتلال السامرة عاصمة إسرائيل وبدأ السبي .

٤) ملوك إسرائيل :

أولا: تعاقب علي حكم إسرائيل في تلك الفترة عدة ملوك منهم (مناحيم) و (بكاه) اثناء الضغط الاشوري، ثم (هوشع ٧٣٢-٧٢٣ق.م)) اخر ملوك إسرائيل الذي سقطت في عهده أخيرا.

ثانيا: سقوط المملكة الشمالية وإعلان (الابيلا) ٧٢٢-٧٢١ق.م):

هذا الحدث هو نهاية التاريخية لمملكة إسرائيل الشمالية بعد حصار شلمنصر الطويل للسامرة ثم سقوطها علي يد سرجون الثاني سقطت السامرة وتم سبي عشرات الآلاف من سكان إسرائيل ووزعوهم علي مناطق بعيدة في الإمبراطورية ، مثل (حلب وخابور والمناطق القريبة من قلب اشور).

٥) بعد السبي فرض الاشوريون حكاما تابعين لهم علي المناطق المحتلة تشير بعض المصادر الاثرية انهم من (بابل وكوث و كثاح و حماة وسفروأيم) ومع الوقت تزاوج هؤلاء مع المواطنين الذين بقوا في ارض إسرائيل ولم يهجروا واسسوا مجتمعات مختلطة في المنطقة عرفت تاريخيا (باهل السامرة) وسميت هذه الشعوب بعد ذلك (بالسامريين) تطوروا كمجتمع ثقافي مميز علي مدار القرون التالية.

وهناك اخرون هربوا من السبي ولم يبقوا في أراضيهم من بني إسرائيل ، الي مملكة يهوذا الجنوبية.

٦)وضع المملكة الجنوبية (يهوذا) قبل واثناء السبي:

أولا: قبل سقوط إسرائيل كانت مملكة يهوذا في الجنوب قائمة مستقلة عن إسرائيل وعاصمتها (اورشليم/القدس) وتحتفظ بالحكم الملكي لبيت داوود وفي بعض الأحيان كانت خاضعة للضغوط من الجيران لكنها بقيت في كثير من الفترات قوية نسبيا مقارنة بالشمال.

ثانيا: خلال وبعد سقوط إسرائيل (الشمالية)، أي بعد عام ٧٢٢ق.م بقيت المملكة مستقلة لفترة اخري تقارب ١٥٠ عام إضافية تقريبا ، وأصبحت خلال تلك الفترة تابعة او حليفة للإمبراطورية الاشورية في فترات متعددة دفعت فيها الجزية للحفاظ علي استقلالها الداخلي.

وعلي الرغم من خسارة الشمال ظلت يهوذا قائمة ككيان سياسي منفصل حتي وقوع السبي البابلي ٥٨٦ق.م

ثالثا: ان الطبيعة الجغرافية لمملكة يهوذا المحاطة بالجبال جعلتها محصنة طبيعيا من امتداد الغزو اليها كما ان التفكير في غزوها كان يتطلب جيشا اكبر من الاشوريين وموارد اكبر وهذا أيضا كان في صالح يهوذا،

٧) القبائل العشرة المفقودين: وهو مصطلح يهودي غالبا يقصد به القبائل التي تم سبيها بالفعل ودمجها في مجتمعات اخري مما جعلها تذوب وتختفي وتفقد هويتها في مناطق مثل (حوض نهري حماة وخابور) ولذلك لم يعد لهم وجود مستقل بعد عدة قرون .

٨) استمر الاحتلال الاشوري لأرض إسرائيل الي حوالي ٦٠٩ق.م حين انهارت اشور بعد هجوم البابليين والميديين علي نينوي اخر عواصم اشور،

بعد سقوط اشور دخلت ارض إسرائيل تحت السيطرة البابلية لفترة قصيرة ثم تحكمت الإمبراطورية الفارسية بعد سقوط بابل (٥٣٩ق.م).

□أنبياء السبي الاشوري

سنحاول الاستناد للرواية التاريخية اثر من الرواية الدينية اليهودية قدر الإمكان..

١) هوشع : تذكره التوراة كأخر الملوك لإسرائيل الشمالية قبل السبي وللأسف الرواية تخلط بين الملك والنبي ولا يوجد دليل قاطع علي كونه نبي

٢) باقي الأنبياء/الملوك المذكورين في التوراة يظهرون في المملكة الجنوبية :

أولا: اشعيا : نشط في يهوذا خلال غزو اشور لمنطقة وحذر الملوك من التهديد الاشوري

ثانيا: ميخا: معاصر لاشعيا ركز علي العدالة الاجتماعية والتحذير من العقاب الإلهي علي فساد الملوك .

ثالثا: ارميا: ظهر في مرحلة لاحقة قرب السبي البابلي وشهد سقوط اورشليم ونبوخذ نصر الثاني كما سيلي.

رابعا: حزقيال: نقل مع السبي الي بابل وكتب وتنبأ بالسبي نفسه.

السبي البابلي

١) لم تكن اشور وبابل كيان واحد تاريخيا فكل منهما كانت مملكة ودولة مستقلة رغم التماس الجغرافي، (اشور كانت في شمال الرافدين) وكانت بابل في الجنوب ، وقبل القرن السابع قبل الميلاد كانت اشور تسيطر علي بابل في كثير من الأحيان او تدفعها كدولة تابعة،

في القرون التي سبقت السبي البابلي كانت اشور القوة الأكبر في المنطقة حتي بدأ ضعفها في القرن السابع قبل الميلاد .

٢) صعود الإمبراطورية الاشورية الحديثة (٩١٢-٦١٢ق.م) : وقد وصلت كما ذكرنا الي ذروتها في عهد (سرجون الثاني ٧٢٢ق.م) ومن بعده (سنحاريب ٦٨١ق.م) وصولا الي (اشوربانيبال ٦٣١ق.م) الي اخر حاكم رمزي قبل السقوط (اشور اوباليت الثاني ٦١٢ق.م)

٣) صعود الإمبراطورية البابلية الحديثة ٦٢٦-٥٣٩ق.م) :

بعد سنوات من سيطرة اشور بدات بابل كقوة مستقلة تتحدي اشور في القرن السابع قبلا لميلاد وتؤسس ما يعرف باسم الإمبراطورية البابلية الحديثة (الكلدانية).

مع صعود (نبوبولاسر) وحلفه من الميديين ضعفت اشور تدريجيا وبدا الصراع مع بابل ودول اخري، وفي ٦١٢ق.م سقطت نينوي العاصمة الاشورية علي يد تحالف البابليين والميديين مما انهي فعليا هيمنة اشور الكبرى في عهد الملك الاشوري (اشور اوباليط الثاني) بهزيمته عام ٦٠٩ق.م وبذلك انتهت الإمبراطورية الاشورية تماما.

٤)الصراع مع يهوذا:

أولا:بعد سيطرة بابل علي المنطقة استمرت في توسيع نفوذها نحو الشام وفلسطين بعد سقوط اشور

وخصوصا بعد هزيمة مصر في معركة (كركميش ٦٠٥ق.م) امام باب أصبحت تسيطر علي الشام تماما بما فيها مملكة يهوذا التي أصبحت تابعة لها تدفع الجزية للملك(نبوخذنصر الثاني) البابلي.

ثانيا: الثورة الاولي ضد بابل:

بدأت بالملك (يهوياقيم) ملك يهوذا الذي تراجع عن دفع الجزية لبابل وتحالف مع مصر ضدها مما اجبر (نبوخذنصر الثاني) علي التحرك عسكريا ضد يهوذا ، وقام بحصار اورشليم التي سقطت عام ٥٩٧ق.م، وجلب الملك (يهوياقيم) واسرته ونبلاء يهوذا الي بابل وقام بتعيين (ذدكيا) ملكا تابعا له علي يهوذا. وكانت تلك اول موجة للسبي البابلي اعقبها موجة من تدفق القبائل والاثرياء والقادة الي بابل.

ثالثا: الانتفاضة الثانية حتي السبي النهائي (٥٨٦ق.م):

تحت حكم (ذدكيا) قررت يهوذا التمرد علي السيطرة البابلية رغم التحذيرات وتحالفت مع مصر لمحاولة لمواجهة بابل بداية من عام ٥٨٩ق.م تقريبا، والذي انتهي بالحصار النهائي من (نبوخذنصر الثاني) لاورشليم والذي استمر ٣٠ شهرا حتي سقطت اورشليم ٥٨٧-٥٨٦ق.م حسب المصادر التاريخية.

وانتهت بعدها مملكة يهوذا وأصبحت مقاطعة بابلية .

٤)السبي البابلي النهائي:

بعد سقوط اورشليم ومملكة يهوذا ، تم تدمير كل شيء تقريبا من معابد (الهيكل الصغير) واثار وتماثيل كانت باقية منذ عهد سليمان، وتم نقل معظم سكان يهوذا الي بابل وبقي كثير من السكان في ارض يهوذا وفر كثير الي مصر، وهذا السبي موثق بادلة اثرية بما فيها سجلات الملك (نبوخذ نصر الثاني)،

□أنبياء السبي البابلي

فقط لدينا الأسماء التي وردت في التوراة ولا يوجد دليل اثري عليها وسنوردها كما هي :

١)ارميا: عاصر بداية السبي حتي نهايته وكتب نبوءاته اثناء الحصار وبعده.

٢)حزقيال: نقل مع السبي الي بابل وكتب نبوءاته هناك.

٣) دانيال: لا يمكن الجزم بالزمن الذي عاش فيه الا ان التوراة تجعله من الأنبياء الذين عاصروا السبي في بدايته وعاشوا في بابل بعد ذلك ، ويحتل النبي دانيال مرتبة مهمة بين أنبياء بني إسرائيل حسب التوراة وتذكر التوراة مواقف عدة له مع (نبوخذ نصر الثاني) نفسه وابتلاءات حدثت له وتفسيره لحلم الملك (مشابهة لقصة يوسف) وللأسف لا يمكن اثبات ذلك او نفيه حيث تقتصر المصادر هنا علي رواية التوراة المليئة بالمبالغات والافتراءات التي لا يمكن استخلاص الحقائق منها ابدا.

اما عن القصة الإسلامية المشهورة عند فتح المدائن بعد هزيمة الفرس امام المسلمين، انهم وجدوا جثمان النبي دانيال في خزانة في قصر كسري واعادوا دفنه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، والرواية للأسف متداولة ولا يوجد دليل علي صحتها . والثابت تاريخيا هو وفاته في بابل ويوجد قبر مشهور له الان في العراق لا يمكن التأكد من صحة نسبته اليه.

٤) نهاية الحكم البابلي:

افلت شمس الإمبراطورية البابلية بفتح الملك الفارسي (قورش الكبير) لبابل عالم ٥٣٩ق.م وانتصار الإمبراطورية الفارسية الاخمينية علي البابلية وبداية امبراطورية الفرس التي استمرت لحين الفتح الإسلامي أي ما يقارب الف سنة .

□العالم في القرن السادي قبل الميلاد

١) الإمبراطورية البابلية الحديثة:

-نبوخذ نصر الثاني ٦٠٥ – ٥٦٢ق.م

-اويل مردوخ ٥٦٢-٥٦٠ق.م

-نرجل شراصر ٥٦٠ – ٥٦٥ق.م

-نابونيدوس ٥٥٦ – ٥٣٩ق.م

-بلشاصر : سقطت بابل في عهده ٥٣٩ق.م

يعتقد بناء (حدائق بابل المعلقة) في ٦٠٠ق.م اذا كانت موجودة بالفعل

٢)الإمبراطورية الفارسية الاخمينية:

-كورش الكبير ٥٥٩ – ٥٣٠ق.م : اسقط الإمبراطورية البابلية واسس امبراطورية الفرس.

- قمبيز الثاني ٥٣٠ – ٥٢٢ق.م فتح مصر سنة ٥٢٥ق.م

-داريوس الأول ٥٢٢ – ٤٨٦ق.م أعاد تنظيم الإمبراطورية إداريا.

٣) مصر (الاسرة ٢٦) الساوية:

-نخاو الثاني ٦١٠ – ٥٩٥ق.م خاض معارك ضد بابل والشام

- بسماتيك الثاني ٥٩٥ – ٥٨٩ق.م

-واح أيب رع ٥٨٩ – ٥٧٠

-احمس الثاني ٥٧٠ – ٥٢٦ق.م

ثم سقطت مصر علي يد (قمبيز الثاني) تحت الاحتلال الفارسي ٥٢٥ق.م

٤) ليديا(غرب الاناضول):

- اليأتيس ٦١٩ – ٥٦٠ق.م

-كرويسوس ٥٦٠ – ٥٤٦ق.م

٥)اليونان: لم تكن دولة موحدة بعد بل مدن مستقلة :

-أثينا(سولون ٥٩٤ق.م)

-اسبرطة كانت تحت نظام حكم ملكي مزدوج.

يعتقد بناء (معبد ارتيموس) حوالي ٥٥٠ ق.م

بناء (تمثال زيوس) ٤٣٥ق.م

٦) الصين: فترة الربيع والخريف: الحكم اسمي لملوك اسرة(زو) .

بدأ بناء سور الصين العظيم في عهد الامبراطور (تشين شي هوانغ) حوالي ٧٠٠ق.م

٧) جنوب اسيا : يعتقد ان (سيدهارتا غوتاما) المعروف (بوذا) قد عاش تقريبا ٥٦٣-٤٣٨ ق.م واسس البوذية

٨) شرق اسيا: يعتقد ان (كونغ فو تزي) المعروف (كونفوشيوس) قد عاش ٥٥١ – ٤٧٩ق.م واسس الديانة الكونفوشيوسية

الفصل الخامس عشر

ذكريا ويحيي وال عمران

من هم ال عمران

ذكريا نبي ام رجل صالح

ولادة مريم

يحيي عليه السلام

نعود الي الأنبياء المذكورين بالقرآن لنحاول تتبع هذه الشخصيات من الناحية التاريخية وبدون الاستعانة بالتوراة قدر الإمكان ولكن لابد أولا من اتصال الأحداث من حيث توقفنا عند سقوط الإمبراطورية البابلية ودخول أراضي فلسطين تحت الحكم الفارسي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد..

□فلسطين من القرن السادس الي القرن الأول ق.م

١) بعد سقوط بابل علي يد (كورش الكبير) ٥٣٩ق.م صدر مرسوم كورش بالسماح لليهود بالعودة الي يهوذا (فلسطين) وتأسيس مقاطعة فارسية اسمها (يهود) عاصمتها (اورشليم) ويعتقد انها المرجع الذي ينسب اليه مسمي (اليهود) بدلا من بني إسرائيل الذين اندمجوا خلال السبيين وزالت معالمهم كشعب مميز عرقيا.

٢) سمح لليهود بإعادة بناء الهيكل الذي اكتمل عام ٥١٦ق.م في عهد (داريوس الأول) وسمح لهم بحكم ذاتي ديني محدود ، فالكهنة يقودون المجتمع ولا توجد ممالك مستقلة بل مقاطعة فارسية .

٣) العهد اليوناني (٣٣٢ – ٣٠١ق.م) :

ظلت فلسطين مقاطعة فارسية حتي دخول (الاسكندر الأكبر) اليها وسقوط الحكم الفارسي هناك عام ٣٣٢ق.م وظلت تحت الحكم اليوناني اللي وفاة الاسكندر وانقسام الإمبراطورية اليونانية .

٤)الصراع البطلمي السلوقي ٣٠١- ١٦٧ق.م :

أولا: عام ٣٠١ق.م أصبحت فلسطين تحت حكم البطالمة (مصر) في ظل الملك:

-بطليموس الأول ٣٠٥ – ٢٨٢ق.م

-بطليموس الثاني ٢٨٢ – ٢٤٦ق.م

-بطليموس الخامس ٢٠١ – ١٨٠ق.م

والذين حكموا فلسطين من الإسكندرية العاصمة الجديدة للبطالمة وقد فرضوا ضرائب مرتفعة علي اليهود وأصبحت القدس مركزا دينيا فقط وليست عاصمة سياسية.

ثانيا: عام ٢٠٠ق.م قامت معركة (بنياس) حيث انتزع السلوقيون فلسطين من البطالمة (انطيوخوس الثالث و الرابع) الذين دنسوا الهيكل ومنعوا الشريعة ثم اندلاع الثورة المكابية.

ثالثا: الثورة المكابية: ١٦٧ق.م بداية الثورة بقيادة (متتيا) الكاهن ويهوذا المكابي ويوناثان وسمعان، حتي عام ١٤١ق.م اعترف باستقلال فلسطين الفعلي وقيام الدولة الحشمونية .

التي استمرت بملوك يهود بداية من (سمعان ١٣٤ق.م) الي (هيركانوس٦٧ – ٦٣ق.م).وخلال هذه المدة توسعت دولتهم لتشمل السامرة والجليل وادوم وهو اول استقلال سياسي يهودي منذ ٥٨٦ق.م

٥) التدخل الروماني ٦٣ق.م :

دخل الامبراطور (بومبيوس الكبير) القدس ٦٣ق.م وانتهي بهذا الوقت الاستقلال الحشموني مرة اخري.

وفي ٤٠ق.م مجلس الشيوخ الروماني يعين (هيرودس الكبير) ملكا علي اليهودية

و في ٣٧ ق.م يفرض سيطرته فعليا علي القدس ووضعها تحت حكمه (٣٧ – ٤ق.م) وفي عهده تمت إعادة بناء وتوسيع الهيكل وعمل مشاريع عمرانية ضخمة وأصبحت تبعيتها كاملة لروما .

آل عمران

---

١)من الصعب جدا الوصول الي رابط بين التوراة والقرآن في تحديد شخصية عمران ، فحين ان القرآن ذكر صراحة ان امرأه عمران هي والدة مريم فالأغلب ان عمران هو والدها ويؤكد ذلك قوله تعالي (ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها – التحريم).

والحقيقة ان عمران لم يرد في التوراة في سياق قصة مريم ولكن الذكر الوحيد لهذا الاسم كان يصف والد موسي عليه السلام وهارون (عمرام) وهو الاسم العبري لعمران في القرآن ، والخلط يتضح كذلك كون التوراة تذكر اسم اخت موسي عليه السلام وهارون (مريم) بنفس الاسم وهو ما سبب خلطا بين الباحثين.

٢)التوراة لا تذكر اسم والد مريم ، ولا الاناجيل الأربعة الرسمية كذلك ، ويظهر اسم في انجيل غير قانوني يرجع للقرن الثامن الميلادي ب وهو (يواكيم) ولا يوجد دليل علي صحته.

اذا الاسم المؤكد لدينا لوالد مريم هو (عمران) ويقلب في العبرية الي (عمرام) وطالما انه كان مستخدم بين بني إسرائيل منذ عهد موسي عليه السلام ومذكور في التوراة فمن المنطقي إعادة استخدامه مرارا بين اتباع التوراة تبركا بهذا الاسم ، كذلك اسم (مريم) الذي اختارته أمها ربما كان تبركا باسم اخت هارون.

٣)من المرجح ان يكون المقصود (بآل عمران) عمران نفسه وامراته وبنته (مريم) وكذلك ذكريا وزوجته و(يحيي) المعمدان ولا يوجد نسب محدد لهما (من الاسباط) في التوراة او الاناجيل ولكن قوله تعالي (ان الله اصطفي ادم ونوحا وال ابراهيم عليه السلام وال عمران علي العالمين) يمكن ان يشمل كل هؤلاء ، فأولا عمران نفسه وزوجته ، ثم ابنته مريم التي بوركت وقدست في القرآن ، ثم ذكريا النبي وابنه يحيي الذي اثني عليه القرآن كما لم يثن علي احد ،

٤) هناك اية ربما تشير الي نسب ال عمران وهي قوله تعالي (يا اخت هارون) وفي اللغة واستعمال العرب ليس من الضروري قولنا (اخ) او (اخت) يفيد حرفيا الاخوة المباشرة ، فهذا التعبير يستعمل لبيان النسب الي قبيلة او عائلة او سلالة او عرق فيقال (اخا العرب) نسبة الي العرب ، وفي الآية إشارة الي نسبة مريم الي (هارون) ، ولكن من هارون المقصود؟

اولا: لا يوجد لدينا أي إشارة في التوراة او الانجيل او القرآن لهارون سوي النبي هارون اخو موسي عليه السلام عليهما السلام، وهو من المرجح ان يكون مريم وبالتالي احد ابويها علي الأقل من نسل هارون ، ولحسن الحظ نجد ذكر هذا النسب فيما يتعلق بامرأه النبي (ذكريا) واسمها في (انجيل لوقا) (اليصابات) انها كانت من بنات اللاوي وزوجها ذكريا الكاهن وابنها يوحنا المعمدان، هكذا ذكر انجيل لوقا، ولكن ما علاقتها بمريم.

ثانيا: انجيل لوقا يصرح انها نسبية لمريم (قريبة لها) لكن ل يحدد القرابة من جهة الاب ام الام وسبط لاوي وهو السبط الذي ينتمي اليه هارون عليه السلام ، وفي العادات اليهودية يعتبر سبط (لاوي) سبطا كهنوتيا أي يتوارث الكهنوت وخدمة الدين عبر الاب ،

ثالثا: طريقة النسب عند اليهود : السبط ينسب عبر الاب فقط فالانتماء الكهنوتي لا ينسب عبر الام فاذا كانت (اليصابات) من نسل هارون فهذا يعني ان اباها من نسل لاوي الكهنوتي، وهذا يعني انه اذا كانت مريم من نسل هارون فيكون هذا النسل أيضا عبر الاب (عمران) ويكون بالتالي قرابتها ب(اليصابات) زوجة ذكريا

من جهة الاب ولتكون من ال عمران كذلك فيكون علي الاغلب عمران هو عم اليصابات وهي بالتالي ابنة عم مريم،

رابعا: الانجيل يصرح ان ذكريا كاهنا وكما عرفنا ان الكهنوت كان ينتقل عبر الاب ولذلك فمن المرجح ان يكون هو أيضا من نسل لاوي ومن المعقول اذا كان من ال عمران ان تكون هناك قرابة مباشرة بينه وبين زوجته (أبناء عم مباشرين او غير مباشرين) .

□ذكريا

ورد اسم ذكريا في اكثر من سياق في التوراة لعدة شخصيات وهو ما يدعم ان الاسم كان مستعملا علي مر العصور بين بني إسرائيل، وذكريا الذي نقصده هنا هو الوارد في انجيل لوقا باسم (ذكريا من فرقة ابيا) وهي واحدة من ٢٤ فرقة كهنوتية ، وزوجته (اليصابات) كانت عاقرا كما سنري،

و قبل ان نبدأ في قصته لا بد ان نفصل أولا كونه نبي ام كاهن ام مجرد رجل صالح..

أولا: انجيل لوقا (اصحاح١):

يجعله كاهنا من فرقة ابيا المنظمة لخدمة الهيكل ، عاش في أيام هيرودس ملك اليهودية وزوجته وكلاهما كانا باران ، ثم اثناء خدمته في الهيكل ظهر له الملاك جبرائيل وبشره بولد اسمه يوحنا، وبعد الولادة انشد نشيدا نبويا يعرف (ببركة ذكريا)، ولا يصرح الانجيل اذا كان نبيا ام مجرد كاهن ،

ولكن هل يمكن للكهنة او غير الأنبياء ان يروا ملائكة ؟

في اليهودية هذا الامر مقتصر علي الأنبياء ولا يذكر ان كاهنا قد رأي نبيا في التوراة،

اما في المسيحية فهذا جائز بدليل ظهور الملاك لمريم ، ثم ظهوره للرعاه بعد ولادة يسوع وظهوره للنسوة عند قبر يسوع المزعوم (النهاية المحذوفة) ولذلك يعتبر في المسيحية كاهنا فقط.

ثانيا: في الإسلام :

اتفاق المفسرين علي انه نبي وهناك إشارات دالة علي ذلك مثل قوله تعالي : (وذكريا ويحيي والياس كل من الصالحين – الانعام ٨٥) فلا يمكن ان يجمع القرآن ذكريا مع أنبياء اخرين الا اذا كان منهم ، وقد ذهب الي نبوته من العلماء (الطبري وابن كثير) وكثير أيضا اتفقوا علي ذلك.

١) لا توجد إشارة في القرآن علي زمن ولادة ذكريا ويمكننا ان نستعين بالعهد الجديد لتماشيه مع سياق التاريخ ومعقوليته ،

أولا: فحسب الانجيل ان ذكريا عاصر عهد (هيرودس الكبير) الذي حكم من ٣٧ – ٤ ق.م وان ذكريا كان طاعنا في السن عند ولادة يوحنا (يحيي)

ثانيا: بحسب انجيل لوقا ،ان يوحنا يكبر يسوع بستة اشهر – لا يمكن اثبات او نفي هذا - وعليه تكون ولادة يوحنا المعمدان حوالي ٥-٧ ق.م ، كما انه يذكر كذلك ان يحيي عاصر هيرودس الكبير أيضا.

ثالثا: اذا كان ذكريا ولد يحيي في أواخر أيام هيرودس الكبير وكان طاعنا في السن (سبعين علي الأقل) يكون ميلاده قبل ميلاد يحيي بسبعين سنة علي الأقل أي حول العام ٧٥ ق.م تقريبا ، أي انه ولد في اخر عهد الدولة (الحشمونية) قبل فقدان اليهود استقلالهم للرومان مباشرة ، أي في حكم (هيركانوس الأول) تقريبا ، مما يعني انه ولد أيضا في عهد الامبراطور الروماني (جانوس/يوليوس قيصر ١٠٠-٤٤ق.م) ثم عاصر بعد ذلك (اوغسطس قيصر/اوكتافيوس ٣٦-١٤ق.م) ثم (مارك انطوني٨٣ – ٣٠ق.م)

٢) لا يذكر انجيل لوقا مكان ميلاد ذكريا ، الا ان كونه من كهنة (ابيا) يجعل الأرجح ان يكون مكانه في القدس او المنطقة المحيطة –كونه من خدام الهيكل ، بحسب التقاليد المسيحية.

٣) قد كانت إسرائيل مقسمة في حياة ذكريا الي عدة اقسام، فيوجد أولا (الفريسيون) وهم فرقة التزمت بالتوراة +التلمود الشفهي و بالشريعة اليهودية والوحدانية والطهارة والعبادات وهم شريحة كبيرة من الشعب اليهودي .

وثانيا (الصدوقيون) وكانوا كهنة ارستقراطيين مرتبطين بالهيكل ورفضوا التلمود الشفهي واعتمدوا فقط علي التوراة المكتوبة.

وثالثا: (الحاسديم /الحركيون/الجماعات الصوفية) وهي جماعات صغيرة ملتزمة بالتصوف الديني والالتزام الشديد بالطهارة ويبتعدون عن السياسة.

رابعا: الجماهير العادية وكثير منهم ملتزمين بالعبادة والطقوس لكن مع خليط من المعتقدات الشعبية مثل التضرع للأولياء وخرافات محلية وطقوس وثنية متبقية في القري النائية.

وقد انتمي ذكريا الي الفرقة الثانية .

٤) التضرع من اجل الانجاب:

١)تتفق الرواية المسيحية مع القرآن في انه لم ينجب بسبب عقر زوجته وقد ورد في ثلاث مواضع في القرآن :

قوله تعالي : قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا – مريم ٨
قوله تعالي: وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا – مريم٥
قوله تعالي: قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ – ال عمران ٤٠

عاقر :لغة تعني المرأة التي لا تلد او غير قادرة علي الانجاب وهي من العقر ويقال عقر الفرس أي منعها من الانجاب- لسان العرب.
٢) استجاب الله لدعواته المتواصلة علي مدار عقود ’ عندما وصل الي سن كبير (غالبا سبعين) لتكون معجزة واية ، وتتفق أيضا الرواية المسيحية مع القرآن في ظهور ملاك له عند صلاته ليبشره بالانجاب وبان الله تقبل دعواته.
قوله تعالي: فَنَادَتْهُ الملائكة وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بيحيى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصلحين – ال عمران ٣٩
والمحراب هو غالبا يستعمل لوصف مكان التعبد ،
أولا: تختلف الرواية المسيحية عن القرآن في ان الملائكة لم تظهر له صراحة حيث (نادته) ومعني ذلك انه سمع صوتا يكلمه ولم ير مصدره ،
ثانيا: قوله تعالي: قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَاية قَالَ ءَايتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أيامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ --ال عمران ٤١
اذا نفهم من ذلك ان ذكريا عندما ادرك ان الصوت حقيقي وانه من رسل الله وانه لم يكن يهزي، بدأ يتجاوب مع الصوت فيسأل : كيف لي ان انجب وانا شيخا وزوجتي عاقر ، فأجابوه انه كذلك امر الله ، ثم يسأل عن اية ..
ولكن ما فائدة هذه الآية ؟

الآية في اللغة هي العلامة ، وفي رأينا ان ذكري – مثل أي انسان عاقل ممن الصعب ان يصدق ما حدث له انه حقيقي بالكامل اذ انه ليس امرا معتادا ان يسمه كلاما من شخص غير مرئي ، كما ان ما يقوله هذا الصوت أيضا غير معقول، ولذلك نرجح ان ذكريا تصرف بذكاء اذ طلب منهم علامة او دليل علي ان هذه البشارة حقيقية – ليس طعنا في كلامهم – بل حتي يتأكد من ان الامر كله حقيقي وعليه ، فاذا تحقت هذه العلامة يكون فعلا قد تكم الي ملائكة وتكون بالتالي البشارة حقيقية ، اما لو لم يتحقق العلامة فالامر كله كن مجرد هذيان او ربما حلم.

ثالثا: الآية او العلامة التي اعطوها له هي (الا يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) ولنفهم ذلك اذا..

الآية لا تكون اية او دليل او علامة الا اذا لم يكن له يد في احداثها ، والا فكيف سيتأكد منها، وعليه فمن المرجح ان يكون المقصود هو فقدانه القدرة علي الكلام لمدة ثلاثة أيام ولذلك من الطبيعي ان يكلم الناس بالرمز – أي بالإشارة – واذا حدث ذلك فسيعتكف ثلاثة أيام يصلي ويسبح فيهم صباحا ومساءا وهو المعقول والله اعلم.

٣) لا يوجد ذكر لوفاة ذكريا في أي من المصادر الدينية والمعقول انه توفي بعد ولاد ة يحيي بفترة قصيرة نسبيا ، فيكون علي الأقل قام بتربيته واعداده اعدادا دينيا مناسبا ليكون نبي ، ولأننا عرفنا ان ابن الكاهن يكون مرتبطا بالكهنوت فيكون اباه هو الذي قام بتربيته علي الأقل الي سن العاشرة ويكون عمر ذكريا وقتها حوالي ثمانين عاما وهو متوسط العمر المعقول للوفاة وعليه تكون وفاه ذكريا عليه السلام حول العام الخامس الميلادي.

يحيى عليه السلام

١) يحيي اسم علم وهو تعريب للاسم العبري (يوحنا)وهو مركب من اسمين :

يو /يهو : اختصار لاسم الله في العبرية (يهوه) ،

حنن : فعل بمعني انعم و تفضل او رحم ، والمعني الحرفي للاسم هو الله انعم او الله تفضل .

والحقيقة ان هذا الاسم كان مستعملا في العبرية كثيرا قبله ، وظهر في نصوص العهد القديم وفي وثائق يهودية من العصر الفارسي بلفظ (يوحانان) وهذا يؤكد ان قوله تعالي (لم نجعل له من قبل سميا) لا يعني الاسم ، وسنفصل ذلك..

أولا: سميا: من الجزر (س مي) والسمي يعني المشارك له في الاسم وقد يأتي أيضا بمعني النظير والمثيل عموما (في الشأن والقدر) وفي لسان العرب السمي هو المماثل وفي مقاييس اللغة يدل علي الارتفاع والسمو ومنه الاسم لأنه يرفع به المسمى ويعرفه

ثانيا: في التفسير : بعض المفسرين قالوا ان المقصود عدم التماثل في الشأن

والراجح ان المقصود هو الشن والمكانة لان القرآن لم يمدح أحدا كما مدح يحيي ولأنه كما رأينا ان الاسم كان مستخدما قبله ولا يمكن للقران ان يخطئ لذلك فالمؤكد ان المقصود هو الرفعة والشأن كما سنري.

٢) ولادته:

أولا: لا يوجد نص يذكر التاريخ المؤكد لولادته لكننا نعرف الاطار الزمني من انجيل لوقا الذي يؤكد ولادته في أواخر حكم هيرودس الكبير الذي توفي سنة ٤ق.م – لوقا ١:٥

مما يرجح ولادة يحيي قبل عام ٥-٦ ق.م .

ثانيا: التقليد المسيحي يحدد مكان الميلاد في (عين كارم) غرب القدس ولكن هذا المكان ليس منصوص عليه صراحة في الانجيل انما جاء في تقليد كنسي مبكر ولا يمكن الاعتماد عليه بدقة، وكل ما يمكننا تأكيده هو ولادته في نفس مكان ذكريا – أي في القدس او حولها. وحسب الانجيل فقد عاش قرب نهر الاردن حيث كان يعمد هناك.

٣) صفات النبي يحيى :

قوله تعالي: مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين – ال عمران ٣٩

أولا: مصدقا بكلمة م الله: وفقا لجمهور المفسرين المقصود بالتصديق هنا هو الإقرار ، والفعل منصرف الي نبوة عيسي من بعده أي مصدقا بنبوة عيسي (كلمة من الله) .

ثانيا: سيدا ، من جزر سود، والسيد في اللغة هو الحليم الكريم المتحمل لأذي قومه ، وفي استعمال العرب كانوا يطلقون السيد علي من اجتمعت فيه صفات الشرف والرئاسة خلقا لا قهرا، والمقصود انه صاحب شرف وفضل وقيادة في الخير.

ثالثا: حصورا: من الجزر (حصر) والحصر المنع والتضييق والحصور الذي يمنع نفسه ويحصرها ، وفي لغة العرب يقال رجل حصور اذا كان ممتنعا عن النساء مع القدرة وقد يستعمل لمن ضيق علي نفسه في الشهوات عموما (الذهد) وغابا المقصود ان حصر نفسه ووهبها لله وهو قريب من الكهنوت عند المسيحيين .وفي النص الإنجيلي نجد انه كان يلبس وبر الابل ومنطقه من جلد – مرقس ١:٦

رابعا: قوله تعالي (واتيناه الحكم صبيا) – مريم ١٥

الحكم من الجزر : حكم، والاصل فيه هو المنع ومنه الحكمة لأنها تمنع الجهل ، والحكم أيضا هو القضاء والفهم والفقه ويستعمل عند العرب فيقال حكيم أي متقن للامور ومانع للفساد ، والمعني هو العلم والرشد وهو صغير في السن

خامسا: قوله تعالي: وحنانا من لدنا : الحنان الرحمة والشفقة وفي استعمال العرب يقال حن عليه اذا رق له وعطف والمعني هو رقة القلب ،

سادسا: ذكاه ، أي نماء وطهارة ويقال نفس ذكية أي طاهرة وربما يقصد الطهارة الجسدية بالإضافة الي الطهارة الروحية وغالبا تعني الطهارة في شريعة اليهود بعدم ارتكاب المحرمات او اكل ما حرم ، والطهارة في اليهودية تشمل الاغتسال (الميكفاه) او تقديم ذبيحة وترك المعاصي وحفظ الوصايا .

سابعا: تقيا: من (وقي) وهو الحفظ والمنع والتقوي ان تجعل بينك وبين ما تخاف منه وقاية وفي الاستعمال يقال اتقي الشيء أي تحفظ منه والمقصود هو انه شديد التحر بين الحرام والحلال وفقا لشريعتهم .

ثامنا: وبرا بوالديه: البر الصدق والطاعة وهو ضد العقوق و المراد هو الإحسان الي الوالدين، خاصة اذا كنا نعرف انهما طاعنان في السن وهو امر منطقي بالنسبة لشخص بكل هذه الصفات الأخلاقية الاستثنائية.

٤) من الواضح انه بدأ في وعظ الناس مبكرا ، وهو تفسير أوسع لقوله تعالي (اتيناه الحكم صبيا) لأنه بحسب الانجيل انه قتل في عمر ٣٣ او ٣٥ تقريبا مما يوضح معني الآية انه قد بعث بالنبوة قبل سن الأربعين مثل باقي الأنبياء ، ولا يعني ذلك انه بعث في صباه ولكن علي الأقل في سن الثلاثين حيث يكتمل نضجه العقلي .

٥) المعمدان:

كان الغسل بالماء والتطهير معروفا قبل ذلك عند اليهود ومذكورة بالتوراة (سفر اللاويين – سفر العدد) وكانت تستخدم للطهارة من النحاسة والدخول للهيكل في احواض تسمي (الميكفاة) ، اما التعميد فقد كان معروفا أيضا واشهر الأمثلة في طائفة (الاسينيون) قرب قمران (مخطوطات البحر الميت) تذكر الاغتسال بالماء كجزء من التطهير الروحي.

اما يوحنا (يحيي) فقد اختلف أسلوبه في التعميد قليلا ، فالتعميد يتم مرة واحدة علامة علي التوبة وكان ذلك – بحسب الانجيل – في نهر الأردن وليس في احواض الميكفاة ، وكان التعميد يتم علنيا فقد كان الناس يأتون اليه من القدس واليهودية ليتعمدوا ، وقد ذكر (فلافيوس يوسيفوس) المؤرخ اليهودي المعاصر ذلك في كتبه ، وقد اعتمد تعميد اليهود من قبل يحي علي ان الماء وحده يطهر الذنوب والنفس اما يوحنا فقد افهمهم ان الماء ليس وحده ما يطهر بل لابد من التوبة .

٦)يحيى مع المسيح:

ان العلاقة بين يحيي وعيسي تذكر في الاناجيل في عدة احداث أساسية ، وللأسف لا يوجد لدينا مصدر اخر للتاريخ في هذه النقطة تحديدا،

ان الحدث الأهم بينهما هو تعميد يحيي لعيسي في نهر الأردن وسنكتفي بهذه الواقعة فقط لتطابقها مع الرواية الإسلامية ، رغم ان الانجيل يضيف بعض الأمور الأخرى مثل نزول روح القدس وسماع صوت من السماح برضا الله ..

ويذكر الانجيل ان يحيي قال (يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي) أي ان مهمته هي التمهيد لمجئ شخص اعظم منه.

ويثار تساؤل هنا، اذ ان الانجيل يذكر ان الفارق في السن بينهما ستة اشهر أي ان عيسي كان موجودا اثناء تعميد يوحنا للناس وقوله هذا الكلام فكيف يتنبأ بمجئ شخص في المستقبل اذا كان هذا الشخص موجود

بالفعل ؟ والحقيقة انه اذا صحت الرواية الانجيلية فالجواب هو ان عيسي لم يكن بعث بعد نبيا وان يحيي لم يكن يعرف اذا كان عيسي هو نفسه الشخص القادم لأنه لم يتلق وحي بذلك بعد،

وبحسب الانجيل أيضا انه عندما كان يحيي في السجن ارسل تلاميذه ليسألوا عيسي اذا كان هو نفسه الاتي ام ننتظر اخر ، أي (هل اتاه الوحي بالنبوة ام لا) فربما كان يحيي يشك في ان عيسي هو نفسه المسيح.

٧) المؤامرة والقتل:

لم يذكر القرآن أي شيء عن قتل يحيي او نهايته انما أشار في عدة مواضع عن تسبب اليهود في قتل أنبياء عدة ولا نستبعد ان يكون واحد منهم، كما ان هناك رواية تاريخية تؤيد ذلك وهي شهادة المؤرخ (يوسيفوس) كما سنري..

أولا: رواية (يوسيفوس فلافيوس) كتاب اثار اليهود (الكتاب ١٨):

يكتب فلافيوس هذه الأحداث بعد وقوعها بحوالي ٦٠ سنة تقريبا، فيذكر سيرة يوحنا أولا كرجل صالح يدعو الناس الي الفضيلة والعدل والتقوي ويطالب بتعميدهم وتطهير نفوسهم، وقد اجتمع الناس حوله بأعداد كبيرة يتبعونه ويتأثرون بكلامه بشدة وهنا يبدأ القلق السياسي

الحاكم (هيرودس انتيباس) حاكم الجليل و بيريه خاف ان يؤدي نفوذ يوحنا الي تمرد شعبي ضد السلطة لان الناس كانوا مستعدين ان يفعلوا أيا كان ما يأمرهم به يوحنا ، ولذلك امر باعتقاله ثم قتله حتي يمنع التمرد قبل ان يبدأ.

يذكر يوسيفوس انه اوضع بسجن في قلعة (مكاور) وهي حصن كبير شرق البحر الميت ثم تم قتله هناك، ثم يذكر امرا مثيرا، حيث بعد قتل يوحنا خسر هيرودس حربا ضد ملك مملكة الانباط ، وقال اليهود انه عقاب الهي لقتله يوحنا،

ثانيا: رواية الانجيل(مرقس٦ – متي١٤) :

سبب العداء ليس سياسيا بل أخلاقيا، فتقول ان يوحنا انتقد زواج هيرودس انتيباس من (هيروديا) وهي زوجة أخيه وقال انه غير جائز شرعا بحسب الشريعة اليهودية وعلي ذلك فتم اعتقاله وغضبت هيروديا منه وامر بسجنه وقتله، وفي حفل أقامه جاءت ابنتها ورقصت امامه فاعجب بها ووعد ان يعطيها أي شيء تطلبه فذهبت الفتاة الي أمها التي طلبت منها رأس يوحنا علي طبق فامر هيرودس بقطع راسه ثم قدم علي طبق واعطي للفتاه ثم اعطته لامها .

ثالثا: بالطبع يتضح أي الروايتين اجدر بالتصديق ، فكما نعهد ان الرواية الانجيلية مثل العهد القديم لابد ان تحتوي علي بعض الأحداث الدرامية التي لا يمكن اثباتها ،اما الرواية التاريخية فهي منطقية الي حد بعيد ومطابقة للمنطق التاريخي لعصر الرومان وسياستهم في مواجهة أي بادرة تمرد او تجمع حول زعيم ديني او سياسي وهو ما حدث لاحقا مرة اخري من المسيح كما سنري، ومن ناحية اخري فرواية يوسيفوس تعطينا تصورا واقعيا عما حدث كاننا نراه لأنه حادث يتكرر اتلاف المرات عبر العصور في كل نظام حاكم مستبد،

كذلك فان القلعة التي ذكرها هي حقيقية (قلعة مكارو) وقد وجدت اثارها مع القصر في بعثة استكشافية عام ١٩٦٨م .

٨) بعد مقتل يوحنا ، وبحسب الانجيل – قام يسوع بترك المكان الذي كان فيه وذهب الي مكان منعزل ، حذرا من السلطة بعد اعدام يوحنا وحزنا عليه ، وبحسب الانجيل أيضا ان الناس تبعوه حيث اعتبروه خليفة ليوحنا ليعلمهم وهنا بدأت تظهر معجزاته مثل معجزة اطعام الجموع من الآلاف بخمسة خبزات وسمكتين وسنفصل ذلك في الفصل القادم.

وبعد مقتل يوحنا قلق هيرودس من يسوع بعد اجتماع الناس حوله .

٩) اذا صحت الرواية فان مقتل يحيي كان في عمر الخامسة والثلاثين أي تقريبا عام ٤٠م .

مريم

تعتبر شخصية مريم العذراء من الشخصيات الجدلية في التاريخ ، كونها والدة المسيح عليه السلام، وقد كرمت مريم في القرآن بشكل خاص ، فمن ناحية نجد انها الأنثى الوحيدة التي ذكرت باسمها صراحة ، حتي انها تفردت بسورة باسمها تحكي ولادتها ، ومن ناحية اخري فانها قد مدحت بشدة وجعلت في مرتبة اعلي من نساء العالمين.

وفي هذا المبحث سنحاول الوقوف علي اصح الروايات التاريخية بشان ولادتها وحملها وزواجها..

١) الميلاد:

كما ذكرنا ان مريم ابنه عمران وزوجته (امرأه عمران في القرآن وحنة في التقاليد المسيحية)، وكانا مسنين لا يرزقان باولاد وصليا كثيرا حتي رزقا بها أخيرا.

حسب الرواية المسيحية فان خطبتها كانت في سن الثانية عشر الي الرابعة عشر ، وقد حملت بعيسي قبل إتمام الزواج (وجدت حبلي) ومن المعقول ان يكون قد مضي علي الخطبة وقبل مراسم الزواج النهائية بسنتين علي الأقل مما يعني انها كانت في السادسة عشر تقريبا عند ولادة المسيح ٤-٥ق.م ، أي انها ولدت تقريبا ٢٠ق.م

وكان ميلادها في القدس او منطقة (بيت لحم) والأكيد هو قربها ن القدس والهيكل.

٢) هبتها للهيكل:

حسب القرآن وهو ما يتفق مع الانجيل فقد وهبتها أمها للهيكل ، وهو ما يشير الي احتمال ان يكون والدها توفي قبل ذلك، ونجد في انجيل الطفولة انها وهبت للهيكل بعد سن الثالثة فذهبت أمها الي اورشليم ورافقها هناك سبعة كهنة كبار واعتبرت خادمة لله.

٣) كفالتها: حسب التقليد كان الكاهن ذكريا احد الكهنة المسئولين عن الهيك واستلم مريم عند تقديمها للهيكل ، وبحسب القرآن فان اختياره لتربيتها في الهيكل كان بالاقتراع بين الكهنة لاختيار الكفيل /المشرف، وهو طقس معروف في اليهودية حيث يتم الاقتراع عن طريق استخدام حبات او قطع عظام او عصي (أقلام) والهدف هو اعتقادهم ان الاختيار هنا سيكون الهي وليس بشري، ووقع الاختيار علي النبي ذكريا بحسب القرآن.

زواجها :

وفق انجيل الطفولة ليعقوب فإنها ببلوغ سن الزواج ١٢-١٤ في الشريعة اليهودية وجب اختيار زوجها ، وارادوها ان تتزوج من نسل داود الملك لاستمرار السلالة فجمعوا عصي الرجال من نسل داود وضعوها امام الهيكل والعصا التي تزهر تكون هي المختارة – لا يمكننا ان نؤكد ذلك – وكانت عصا يوسف النجار.

٤) يوسف النجار:

يظهر اهتمام بهذه الشخصية في الانجيل حتي ان انجيل متي يذكر نسبه كامل في بدأيته.

حسب انجيل متي هو رجل بار صالح ملتزم ومتدين ، وكان يعمل نجارا عاش في (نصرة) في الجليل . وبحسب انجيل متي فان نسبه يمتد الي الملك داود وهو سبب اختيار الكهنة له،

ويذكر في الاناجيل انه تزوجها بعد ان حملت بالمسيح بعدما رأي رؤيا ان الحمل من روح الله وانها ليست زانية. وبعد ذلك (لم يعرفها) حتي ولدت يسوع وفي اللغة الكتابية (لم يعرفها) أي لم يعاشرها معاشرة زوجية.

ولنفهم وضه يوسف من مريم قبل الحمل، ففي الشريعة اليهودية آنذاك هناك مرحلة اولي للزواج هي الخطبة القانونية وفيها تصبح المراة زوجة قانونية للرجل لكن لا يعيشان معا بعد ولا تبدأ الحياة الزوجية ومع ذلك لا يمكن انهاءها الا بطلاق رسمي ، وبعد اشهر يأخذ الرجل زوجته الي بيته وتبدأ الحياة الزوجية الكاملة ولذلك عندما حملت في فترة الخطبة كان الوضع حساسا امام الناس وامام يوسف .

٥) الحمل والولادة:

حسب الاناجيل(لوقا):

ارسل الملاك (جبرائيل) الي مريم وكانت مخطوبة ليوسف وقال لها انها ستلد ابنا اسمه المسيح يسوع ، وسألته مريم كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا (لم تعاشر رجلا)، فقال لها ان الروح القدس يحل عليها وقوة الله تظللها وبسبب ذلك سيولد رجل يسمي ابن الله ،

وبعد البشارة ذهبت مريم الي (اليصابات) زوجة ذكريا، وكانت هي أيضا حاملا بيوحنا لتخبرها.

القرآن: الرواية في القرآن مشابهة قليلا لكن ليس بالتفصيل..

+

أولا: انتبذت من أهلها مكانا شرقيا: المقصود غالبا للتعبد في عزلة ورغم ان هذا الطقس لم يكن معروفا للنساء في الشريعة اليهودية كالرهبنة في المسيحية الا اننا يمكن ان نفترض ان مريم خاصة كانت تفعل ذلك فتنفرد بنفسها في مكان لا يراها فيه احد وتتعبد وتصلي . اما عن (مكانا شرقيا) فعلي الأرجح مقصود به اتجاه القبلة عندهم ولا يوجد إشارة الي مكان مريم وقت البشارة في الانجيل ولا التقاليد المسيحية.
ثانيا: ظهر لها الملاك في صورة بشر ، ولذلك قالت (اعوذ منك بالرحمن ان كنت تقيا) لان الانطباع الأول هو انه رجل دخل عليها ليعتدي عليها او يسرقها او غير ذلك وهذا ما جعلها تذكره بالتقوي ، اذا هي لم تتخيل انه ملاك.

حسب الانجيل هو الملاك (جبرائيل) وهو متوافق مع وصف القرآن (روحنا) لان المتفق عليه عند علماء الإسلام ان (جبريل) عليه السلام هو الملقب (بروح الله) في القرآن ومنه قوله تعالي (تنزل الملائكة و الروح بإذنه) فالروح هو جبريل حسب الفقهاء والله اعلم.

ثالثا: هنا افهمها الملاك انه ليس بشر ولم يقصد سوء وانما هو رسول من الله جاء ليبشرها بانها ستحمل وتلد غلاما طاهرا (ذكيا) .وطبيعي ان تتوجس وتخاف مريم في البداية ثم تسأل الملاك كيف لها ان تلد وهي لم تجتمع مع زوجها بعد ولم يمسها بشر (يعاشرها) وتوضح انها ليست (بغيا) أي تعمل في البغاء او تزني بدون زواج ، ومن الجائز انها لم تكن تصدق ما يحدث حتي الان وربما كانت تجاريه فقط وهي لازالت تعتقد انه بشر فان مسألة ظهور ملاك وتكلمه مع الناس ليس امرا معتادا يمكن قبوله بسهولة خاصة وانها لازالت صغيرة ومثل هذا الامر يعد صدمة بالنسبة لها .

اجابها الملاك ان الله قرر هذا الامر وانه ليس صعبا بالنسبة له وهو خالق كل شيء.

رابعا: في البداية لم تكنن تصدق ما حدث ولا امر الملاك وظلت تصلي وتتعبد وهي مرتعدة في داخلها ان يكون هذا الامر صحيح لان مسألة حملها تعد كارثة في مجتمع محافظ خاصة انها تربت بين الكهنة ووالديها من كبار رجال الدين ومن عائلة متدينة فكيف يمكن ان يكون رد فعل الناس اذا حملت دون زواج،

وبعد فترة قصيرة احست بعلامات الحمل ولأنها لازالت صغيرة ولا تعرف عن الحمل شيئا ولم تحمل من قبل فنرجح انها سألت أحدا عما تحس وبحسب الانجيل كانت قريبتها زوجة ذكريا ، وهو امر معقول، وربما حكت لها امر الملاك ، وقد اكدت لها ن ما تشعر به هو حمل خصوصا انها كانت حامل في يحيي وقد سبقتها الي الحمل وتعرفه وتميزه،

وعليه فقد قررت مريم ان تهرب وتختفي وتنعزل بعيدا عن الناس (مكانا قصيا) ولا يوجد دليل علي هذا المكان في النصوص .

خامسا: لا نعرف علي وجه التأكيد اذا قضت فترة الحمل وحدها ام كان معها زوجها يوسف، فحسب الانجيل كان معها وبعد الولادة هربا الي مصر (العائلة المقدسة) ولكن القرآن لا يذكر أي شخص معها اثناء الولادة ، فمثلا يقول (انتبذت به مكانا قصيا) ويقول (هزي اليك بجزع النخلة) فكيف لمريم وهي صغيرة وضعيفة بعد الولادة والألمها الشديدة بان تضطر لان تهز النخلة لتساقط عليها رطب لتأكل الا اذا كانت وحدها فلو كان معها زوجها لكان تكفل بامر الطعام .

ومن ناحية اخري لو كان معها في الحمل والولادة لما اضطرت أصلا للهروب فكان ممكن ان يقال انها حملت منه فخطيئة المعاشرة قبل إتمام الزواج واثناء الخطوبة (هو زوجها وفقا للشريعة) اخف بكثير من تهمة الزنا ، ولو كان معها لما صحت رواية القرآن ان الناس اتهموها بالزنا بعدما راوها تحمل طفلها.

والأرجح انها قضت الشهور الاولي مع أهلها تخفي حملها حيث لم يكن يظهر بوضوح ، ومن الممكن كذلك ان تنعزل معظم ساعات النهار للعبادة او غيرها، فلا يراها كثير من الناس ولا يستبعد ان تكون قد اعلمت أمها بالامر فمريم التقية التي تربت علي التدين والأخلاق ما كانت لتكذب او تخفي عن أمها هذا الامر وهي تعرف انها لم ترتكب خطيئة . وعندما اقترب موعد الولادة قررت ان تلد بعيدا عن الناس ولا يوجد دليل علي مكان الولادة .

سادسا: الولادة:

وفقا للقران ، فان الولادة تمت في مكان به نخل (رطب) وهو يزرع في فلسطين من آلاف السنين لكن غالبا في الوديان والأماكن المنخفضة والمناطق الحارة مثل (وادي القديسين) (وادي بيت حنانيا)قرب القدس ، (وادي الحصين/بيت لحم) ووديان الخليل وبيت لحم .

اما في رواية الانجيل بحسب رواية لوقا، فقد ولد في مذود وهو مكان اطعام الحيوانات بجانب الاسطبل ، وقد اتضح الان كذب هذه الرواية تماما.

اما عن وقت الولادة فهو مرتبط بوقت نضج البلح في فلسطين وهو غالبا في أكتوبر او نوفمبر أي في أواخر الصيف واوائل الخريف.

اذا وفقا للقران فقد وضعته بجانب جزع نخلة في احد الأماكن التي رجحناها، واوحي اليها ان تهز جزع النخلة فيتساقط الرطب الناضج الذي اصبح يابسا وقابل للسقوط لتأكل منه حتي تستطيع ارضاع صغيرها.

٦)وفاة مريم:

يتوقف النص القرآني والانجيلي في قصة مريم عندما تحمل ابنها وتعود به الي القرية ويتهمها الناس بالزنا ، وسنفصل ذلك في الفصل التالي ، ولكن خاصة في الاناجيل نجد صمتا عن وقت ومكان وفاة السيدة مريم بل انها لا تذكر في حياة المسيح ال قليلا جدا .

ولا يوجد لدينا الا ان نتوقع ان تكون وفاتها في متوسط العمر الطبيعي وبعد رفع المسيح بمدة قصيرة ، فاذا كان رفع المسي تم في عمر الثالثة والثلاثين – حسب الاناجيل ان صحت – يكون عمر مريم وقتها خمسين عاما تقريبا اذا كانت ولادته في عمر السادسة عشر، وعليه يمكن ان تكون قد عاشت بعد وفاته بحد اقصي عشر سنوات او اقل من ذلك ولا نعرف ما اذا كانت قد عاصرت ظهور بولس وانقلاب المسيحية رأسا علي عقب وهل كان لها اثر في الناس او كانت تعلمهم دين المسيح الحقيقي وكانت تدفع عنه الضلالات التي الصقت به بعد رفعه وغالبا انها لم تعاصر هذه الضلالات لان وجودها لا زال يشكل قوة للمسيحية الاصلية لاجتماع الناس حولها وتعلمهم منها والحقيقة ان بداية دعوة بولس كانت حوالي ٤١ م .

وعلي ذلك من المرجح انها توفت في عمر الستين أي حول العام ٤٠م أي في عهد الامبراطور (كاليجولا) .

□الحضارات المعاصرة لذكريا ويحيي وعيسي

١)الإمبراطورية الرومانية :

-يوليوس قيصر (٤٩-٤٤ق.م) حكم كديكتاتور .

-أغسطس قيصر(٣١ق.م – ١٤م) اول امبراطور روماني

-تيبيريوس (٣٧م – ١٤م)

-كاليجولا (٣٧م – ٤١م) يعتقد انه الامبراطور المعاصر لقتل يحيي.

٢) مصر(البطالمة/الرومان):

- كليوباترا السابعة (٥١-٣٠ق.م) اخر البطالمة .

-بطليموس الخامس عشر (ابن كليوباترا)٣٠ق.م فصاعدا تحت حكم الرومان

٣) الإمبراطورية الفارسية (البارثية):

-فرهاد الرابع ٣٧-٢ق.م

-فرهاد الخامس ٧-٤م

-تريداتس الثالث ٣٦-٣٥م

٤)إسرائيل (يهودا):

-هيرودس الكبير ٣٧-٤ق.م بني الهيكل وعاصر ميلاد يحيي والمسيح ،بعد موته قسمت يهودا الي مقاطعتين.

-هيرودس ارخيلاوس م٤-٦ق.م حكم يهودا والسامرة

-هيرودس انتيباس(حاكم الجليل وبيريه) ٤-٣٩م غالبا هو الذي امر بقتل يحيي

-هيرودس فيليبيس الأول حاكم شمال الشرقي ٤-٣٤م

بونتيوس بيلاطس(٢٦ – ٣٦م) الحاكم الروماني علي كل يهودا (فوق هيرودس).

٥)مملكة الانباط (البتراء):قوة عربية مهمة في جنوب الشام :

-الحارث الرابع ٩ق.م-٤٠م وكان من اقوي ملوك الانباط وخاض حربا مع هيرودس انتيباس بعد مقتل يحيي.

بنيت مدينة البتراء الأسطورية حوالي ٣١٢ ق.م

٦)الصين (سلالة هان):

-الامبراطور هان يوان

-الامبراطور هان تشنج

-وانغ مانغ (سلالة شين ٩-٢٣م)

-امبراطور غوانغوو من هان (٢٥م).

٧)الهند :

-مملكة الكوشان(كوجولا كدفيسس ٣٠م).

الفصل السادس عشر

المسيح

الميلاد المعجز للمسيح

حقيقة رحلة العائلة المقدسة الي مصر معجزاته

تعاليمه

البعثة

من وضع علي الصليب

ان الإحصاءات التي تقوم بها بعض المجلات العالمية مثل (نيويورك تايمز) لأشهر الشخصيات في التاريخ ، تعطي نتائج مختلفة في كل عام الا انها تتفق دائما علي كون (المسيح) هو الشخصية الأشهر خلال الف سنة علي الأقل،

ولا يوجد خلاف علي كونه الشخصية الأكثر جدلا في التاريخ كله ، بين منكر لوجوده التاريخي من الأصل وبين اكثر من مليارين انسان يعتقدون انه هو الله و بين اتباع الدين الإسلامي وحدهم الذين يؤمنون بنبوته وبشريته ،

في هذا الفصل سنتناول قصة السيد المسيح من الناحية التاريخية البحتة باعتباره انسان بعث بالنبوة مثل سائر الأنبياء السابقين ومن خلال الأدلة التاريخية الموثوقة ونصوص القرآن الكريم حصرا مع الاستعانة ببعض ما ورد بالإنجيل مما يتوافق مع المصادر السابقة وما يمكن قبولا في سياق المنطق والثوابت التاريخية فقط.

وخلال البحث سنتعرض لعدة مسائل جدلية في حياة المسيح بداية من مولده الي رفعه وقضية صلبه وموته وقيامته المزعومة من ناحية فلسفية وتاريخية، ومرة اخري فان هذا البحث تاريخي بالمقام الأول وليس بحثا دينيا وعليه فلا يوجد في السياق التاريخي مكانا لقبول الوهية انسان عاش علي الأرض .

□ميلاد السيد المسيح

١)كما سبق ان اشرنا في الفصل السابق ان السيد المسيح قد ولد فيما بين عامي ٥-٤ ق.م في وادي ما حول القدس حيث يوجد نخل (بلح) في نهاية الصيف او في بداية الخريف.

ولكن يتبادر الي الذهن اول المفارقات التي لازالت تمثل لبسا حتي اليوم ، وهو كيف يبدأ التقويم الميلادي بعد ميلاد المسيح بأربعة أعوام تقريبا حين انه من المفترض ارتباطه بميلاد المسيح الفعلي؟ وكيف يتم الاحتفال بعيد الميلاد في الطوائف المسيحية في أوقات مختلفة؟

أولا: ان المشكلة ترجع الي الخطأ الحسابي الذي ارتكبه واضع التقويم الميلادي الراهب (ديوهيشيوس الصغير) في القرن السادي الميلادي (٥٢٥م) لتحديد سنة عيد الفصح وعلاقتها بالميلاد المسيحي ، فقد اعتمد علي تواريخ حكم الامبراطور كمرجع كما اعتمد علي الأحداث المذكورة بالانجيل مثل حكم (هيرودس الكبير) وقت ولادة المسيح وسجلات الكنيسة لحساب السنوات ،

والمشكلة ان الاناجيل تقول ان المسيح ولد في عهد هيرودس الكبير بينما المصادر التاريخية تقول ان هيرودس توفي عام ٤ق.م فقام (ديونيشيوس) بافتراض ان ولادة المسيح كانت سنة ١م تقريبا دون مراعاة لسنة وفاة هيرودس والنتيجة ان ميلاد المسيح يكون قبل العام المفترض بأربع أعوام الي ست أعوام ،

ولم يتم تعديل التقويم بعد ذلك وحتي اليوم رسميا لأنه اصبح تقويما عالميا بالفعل واعتمدت عليه سجلات تاريخية عالمية لمدة الفي عام ولا يمكن تغييره ابدا، وقد استخدم علماء الفلك اليوم الوسائل العلمية والفلكية المتاحة لتقريب زمن المسيح الا انه لازال ضمن نطاق ٤-٦ ق.م

ثانيا: وقت ميلاد المسيح مختلف عليه حتي الان بين طائف المسيحية :

الكاثوليك والبروتستانت (الكنيسة الغربية): يعتمدون تاريخ ٢٥ ديسمبر وهو مرتبط بالتقويم (الغريجوري) ليصادف يوم الانقلاب الشتوي الشمسي كرمز للنور الجديد.

الكنيسة الارثوذكسية الشرقية: ٧ يناير حسب التقويم اليوناني القديم وهو نفسه ٢٥ ديسمبر بحسب التقويم القديم.

الطوائف الأخرى: ٦ يناير او أيام اخري وهو مرتبط بعيد الغطاس او التقاليد المحلية مثل الكنيسة الأرمنية.

والخلاصة انه وفقا للرواية القرآنية يمكننا ان نؤكد خطأ كل هذه التواريخ ، وواضح انها كلها قد اختيرت وفقا لاعتبارات رمزية وليست تاريخية ، ووفقا للرواية القرآنية يكون مولد المسيح في أغسطس او سبتمبر .

٢) مغالطة اخري في الانجيل حول وقت الولادة حيث يقول انه ولد في وقت تعداد السكان الذي قامت به الرومان في عهد هيرودس الكبير وحددت الاعم ٦ ق.م بينما من المؤكد تاريخيا وفاة هيرودس الكبير عام ٤ ق.م مما اثار اشكالا واضحا بين الباحثين حتي الان وبعض الباحثين يري ان رواية (لوقا و متي) تستخدمان هذا التاريخ بل وربما الخبر كله لأغراض سردية (إضفاء بعض الحبكة الدرامية علي القصة كما تعودوا) .

٣) الميلاد المعجز :

الحقيقة اننا اذا كنا سنتناول المسألة من الناحية التاريخية فان مسألة الميلاد بدون ذكر لا تشكل خرقا للقوانين من الناحية العلمية فهناك الكثير من المخلوقات قد فعلت ذلك حتي قبل ظهور الانسان، ولازالت تفعل ، ولا يوجد علميا – نظريا علي الأقل – ما يمنع حدوث ذلك ،رغم ان السجلات العلمية المعروفة لم تسجل حالة واحدة لأنسان ولد بدون تزاوج بين ذكر وانثي ،الا ان علم الاحياء في الواقع يسمح بهذا علي المستوي النظري فقط ، واذا افترضنا إمكانية حدوث هذا الاستثناء لمرة واحدة في التاريخ سيكون هذا كافيا لأثبات ولادة المسيح من امرأه بدون تدخل ذكري علي الاطلاق.

أولا: تسمي هذه الحالة في علم الاحياء (بالتكاثر العذري) وهي الحالة التي تتطور فيها البويضة الي جنين بدون تلقيح من حيوان منوي وهذا يحدث طبيعيا في بعض الحشرات والزواحف والاسماك .

وقد امكن احداث ذلك معمليا (بتدخل بشري) في تجارب نادرة جدا باستخدام الهندسة الجينية في عام ٢٠٠٤ قد تمكن علماء يابانيون من انتاج فأر حي باستخدام مادتين وراثيين من انثيين بعد تعديل جينات معينة مرتبطة بالبصمة الجينية .

ثانيا: لا يحتاج الامر تدخل بشري لتغيير الجينات اذا كان يمكن ان تولد امرأه بتسلسل من الطفرات الجينية خلال عدة أجيال سابقة من الأمهات حتي ينتهي بمريم التي تصبح جاهزة بتكوين جيني نادر جدا يسمح من خلال ترتيب مختلف وفريد من الشفرات الوراثية يجعل ما قام به العلماء اليابانيون متاحا بشكل طبيعي وربما بدقة اكبر مما قاموا به فنكون امام حالة فريدة (واحد في التاريخ) قادرة علي تطوير بويضة بدون اخصاب وهو ما عبر عنه القرآن (كذلك قال ربك هو علي هين) وربما في السنوات القادمة يمكن التوصل لفهم أوضح لما حدث.

ثالثا: ان مسألة الحالة (واحد في التاريخ) ليست خرقا للطبيعة و السجلات التاريخية مليئة بحالات طبية وطبيعية تمثل هذه النسبة الاستثنائية ، ونورد امثلة سريعة لذلك:

- (ليديا فيرشيلد) حالة اكتشفت عام ٢٠٠٢ في الولايات المتحدة حيث اتضح ان الحمض النووي في دمها لا يطابق اطفالها ثم تبين ان جسمها يحتوي علِ dna مختلف في الانسجة التناسلية عن الدم(اندماج جنينين).

□طفولة المسيح

١) **الكلام في المهد :** ان مسألة كلامه في المهد قد انفرد بها القرآن ولم تسجلها أي من الاناجيل حتي انجيل الطفولة ، وهو امر محير حقيقة حيث انها تمثل معجزة يمكن اضافتها الي سجل المعجزات التي من الممكن استخدامهم لها لأثبات الوهيته ، اذا كانوا يعتمدون علي الميلاد المعجز في هذا السياق، ولكن الاناجيل خلت من أي إشارة الي ذلك وهو دليل علي عدم دقة السرد الإنجيلي لقصة المسيح كمصدر تاريخي ولا يجب الاعتماد الكلي عليها –كما يفعل غالبية الباحثين .

ووفقا للقران فان كلام المسيح في المهد – وهو لغة يستخدم لوصف الطفل منذ الولادة الي بلوغه عدة أسابيع او شهرين علي الأكثر واثناء الرضاعة – وهو امر محير من الناحية العلمية حقيقة وذلك علي النحو التالي:

أولا: الكلام حدث مرة واحدة فقط علي سبيل المعجزة لرد الشبهة عن مريم اذ اتهمها الناس بالزنا ولا يعني انه كان يستطيع الكلام طوال فترة المهد أي انه حدث وقتي فقط انتهي بانتهاء زمنه وعاد طبيعيا مرة اخري طوال فترة المهد.

ثانيا: الكلام لا يعني بالضرورة انه كان يعي ما يقول أي ان مستوي ذكاءه لم يتخط ذكاء طفل لازال بعمر أيام او أسابيع قليلة وانما احدث الله علي لسانه الكلام بطريقة ما لها أساس علمي غير مفهوم حاليا وهذا الحدث لا يغير من كونه انسان طبيعي ، والامر مماثل تماما لعصا موسي عليه السلام التي تحولت الي ثعبان في لحظات معدودة ثم اعادها الله (الي سيرتها الاولي) ولم يكن موسي عليه السلام يقوم بهذه الحيلة طوال الوقت كذلك مسألة انشقاق البحر بضربة من العصا فاذا ضرب موسي عليه السلام البحر مرة اخري بعد ذلك فلن ينشق لان الحدث هو خارجي عن العصا وعن موسي عليه السلام ، كذلك تكلم المسيح ليس لقدرة خاصة في لسانه او عقله وهكذا باقي معجزاته وهذا ما أكده القرآن علي لسان عيسي نفسه انه لا يفعل أي شيء من نفسه بل باذن الله وهذا أيضا ما جاء في نص الانجيل نفسه كما سنري.

٢) الاسم الأصلي للمسيح :

أولا: الاسم المستخدم بالقرآن هو (عيسي) وهو التعريب للاسم العبري(جيسوس) وهو شكل مختصر للاسم الارامي (يشوع) ويعني الله المخلص او الله هو الخلاص ، اذا الاسم الأصلي الذي كان مستخدما في حياته هو (يشوع) ،

ثانيا: هذ الاسم كان شائعا بين اليهود في فترة الهيكل الثاني (القرون الأخيرة قبل الميلاد) يوجد سجل لعدة اشخاص في اليهودية يحملون اسم (يشوع) في المخطوطات والكتابات اليهودية مثل : (يشوع بن نون)قائد بني إسرائيل بعد موسي عليه السلام ، و(يشوع الكاهن) في سفر عزرا ونحميا.

ثالثا: لا يوجد دليل علي من قام بتسميته وعلي الاغلب هي امه لان الاسم واضح انه ذا طابع ديني .

٣) مسألة الهروب الي مصر:

الحقيقة ان تلك واحدة من الأمور الأكثر جدلية من الناحية التاريخية في طفولة المسيح ، لأنها لا توجد الا في الرواية الانجيلية التي تذكر ان مريم وابنها وزوجها قد هربوا الي مصر خوفا من بطش هيرودس

ولا توجد من الناحية التاريخية والاثرية أي ادلة او إشارات الي وجودهم في مصر رغم الادعاءات الموجودة في الانجيل بإحداث معجزات ، وللأسف فان بعض الباحثين الإسلاميين قد اعتمدوا تلك الرواية وقاموا بتصديرها في كتبهم بل واسقطوا عليها اية قرآنية لا تمت لها بصلة وهي قوله تعالي (واويناهما الي ربوة ذات قرار ومعين) وقد فسرها البعض ان المقصود هي ارض مصر ، وسنفصل ذلك الامر ..

أولا: الرواية الانجيلية :

تحكي ان (هيرودس الكبير) قرر ان يقتل جميع أطفال اليهود في بيت لحم لأنه رأي رؤيا انه سيولد منهم ولد يهدد ملكه ، ولذلك فقد هربت مريم وابنها وزوجها الي مصر ، والحقيقة ان هذه القصة هي الركيزة الأساسية لفكرة الهروب الي مصر ، وللأسف فان جميع من تكلموا في القصة قد اهمتهم القصة نفسها واحداث المعجزات التي قام بها المسيح في مصر ولم يهتموا بالسبب الذي دفعهم للهروب .

ان الأدلة التاريخية لا تدعم حقيقة قصة هيرودس الكبير ولا يوجد دليل علي قتله للأطفال في بيت لحم او أي مكان داخل سلطته ، ومن ناحية اخري فان المؤكد تاريخيا هو وفاة هيرودس الكبير عام ٤ ق.م بل ان معاصرته لميلاد المسيح لا يزال امرا مشكوك في صحته من الأساس ، واذا افترضنا انه عاصر ميلاد المسيح وفقا لحسابات الانجيل فان يموت في نفس العام بسبب كبر سنه ولا يوجد أي منطق يقول انه كان يخشي علي حياته من هذا الطفل، وفي رأينا انها قصة تم اسقاطها ربما من قصة موسي عليه السلام وفرعون وكما قلنا في انها قد تكررت قبل موسي عليه السلام في التاريخ كثيرا ومن المعقول جدا ان يتم إعادة استخدامها في الانجيل –

كعادتهم – اما لأسباب رمزية او لإضفاء حبكة علي القصة كما هو معروف اليوم بين النقاد المسيحيين عن الزيادات الكثيرة جدا في قصة المسيح.

ثانيا: القرآن لا يذكر هروبا الي مصر والغريب ان المؤيدين لهذه الفكرة والذين تأثروا برواية الانجيل و المعجبين بفكرة رحلة المسيح الي مصر خاصة من المصريين ، قد اسقطوا الآية القرآنية السابقة علي مصر بشكل غير منطقي ،

فمن ناحية عند تفسير الآية بشكل حرفي لا نجد انها تشير الي مصر بشكل محدد بل اها لا تعني بلد او مدينة ، بل هو وصف عام يمكن ان ينطبق علي مئات الأماكن حول القدس ، فقوله (ربوة) يعني لغة الأرض المرتفعة كالتل او الهضبة الصغيرة ، (قرار) أي الثبات والاستقرار وهو المكان المستقر الصالح للسكن والإقامة ، (معين) من جزر ع ي ن ، وتعني الماء الجار الظاهر للعين مثل عين ماء او نهر - لسان العرب

ومن ناحية اخري نجد ان المفسرين لم يجتمعوا علي مكان محدد فقد ذهب عبد الله بن عباس وقتادة ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره الي انها في بيت المقدس (بيت لحم) وهي ارجح الاقوال لأنها تطابق المكان الذي فيه المسيح وينطبق عليها وصف القرآن فهي مرتفعة نسبيا وفيها عيون ماء وصالحة للسكن .

٤)للأسف لا يوجد الكثير من المعلومات عن الفترة الاولي من حياة المسيح خصوصا في طفولته ، ولا يوجد سوي انجيل الطفولة الذي يذكر القليل من القصص الغير مؤكدة مثل انه كان يجلس مع الكهنة والكبار يناقشهم في أمور الدين وهو لازال صبيا،

ظهور المعجزات والتعميد

١) ان معجزات المسيح امرا مثبتا بنص القرآن وكذلك الانجيل، مع اختلاف في السرد بينهما ، والمؤكد ان تلك الكرامات قد بدأت في الظهور من صغره فهكذا معظم الرسل خاصة من اولي العزم ، ومنها البركة التي تحل أينما ذهبوا وكثرة الخير في الطعام القليل وهي أيضا كرامات ثبتت عن النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، ولا يمكن ان ننكرها علي المسيح عليه السلام، ولكن القرآن خص المسيح ببعض الكرامات نصا سنفصلها فيما يلي..

قوله تعالي: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أيدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْءَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ – المائدة ١١٠
قوله تعالي: وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِءَاية مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْءَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَاية لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ – ال عمران ٤٩
أولا: شفاء المرضي: من المرجح انه كان يشفي كثير من الامراض الا ان القرآن تحدث عن مرضين علي الأخص:

البرص: وهو مرض جلدي يغير لون الجلد الي الأبيض ويشوه الجلد وفي العصور الوسطي كان يعد مرضا صعب العلاج وغالبا يقصد به ما يعرف اليوم بالجذام او مرض مشابه.

الاكمه: وهو الاعمي الذي ولد اعمي أي ليس بسبب مرضي لاحق وهو ما يجعل علاجه امر شبه مستحيل خاصة بمعأيير هذا الزمن .

والحقيقة اننا لا توجد لدينا معلومات عن كيفية فعله ذلك فهل كان يضع يده علي المريض فيشفي او كان يدعو او يصلي له ، او يعطيه ماء مبارك مثلا ليشربه فيتم الشفاء ، مما يمكن ان نستخدمه من معلومات تعطينا خيطا لتفسير ما حدث – وان كنا لا نخرجه من اطار المعجزات الخاصة بالأنبياء. اما عن رواية الانجيل فتقول انه وضع يده علي البرص فشفا لتوه، وانه جاء الي الاعمي فصنع طين من التراب ووضعه علي عينه وامره ان يغتسل فعاد اليه بصره ولا يوجد أي ادلة عما حدث.

ثانيا: احياء الموتي:

وردت في الانجيل قصة احياء المسيح للموتي في ثلاث حوادث:

الاولي: ابنة (يأيرس)وردت في انجيل (مرقص ، متي ، لوقا) ، وتتلخص في ان ابنة رجل اسمه يأيرس قد ماتت فاخذ يسوع بيدها وقال طليثا قومي (أي يا صبية قومي) فقامت فورا.

الثانية: ابن ارملة نأيين : وردت في لوقا ، وهي انه كان شابا يحمل الي الدفن فاوقف يسوع الجنازة وقال ، أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وبدأ يتكلم .

الثالثة : لعازر، وهي اشهر حادثة وردت في (يوحنا) ،

فقد كان لعازر صديق ليسوع وكان مريضا فارسلت اخته الي يسوع لتخبره بمرضه لكنه عندما وصل اليه كان قد مات ودفن ، وحسب الانجيل بقي أربعة أيام في القبر ، فبكي يسوع عندما رأي حزن مريم والناس (يوحنا ١١:٣٥) وقال اليهود نظروا كيف كان يحبه، وجلس يسوع عند القبر ورفع نظره الي السماء وقال دعاء موجه الي الله حسب النص: أيها الاب اشكرك لانك سمعت لي وانا علمت انك في كل حين تسمع لي ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني .

بعد الدعاء نادي بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا ، فخرج لعازر من القبر وهو ملفوف باكفان الدفن ، وكثير من اليهود امنوا بعد هذه الواقعة وبعضهم ذهب الي قادة اليهود مما زاد التوتر معه.

والحقيقة اننا ل نملك ان نثبت او ننفي أي من هذه الوقائع لثبوت المعجزة بالقرآن الا انه يمكن التعليق علي الحوادث الاولي والثانية حيث لم يذكر الانجيل تفاصيل كثيرة ولا يذكر استعانته بالله في احياء الموتي مثل حادثة العازر وهي الوحيدة التي تطابق الرواية في القرآن (واحيي الموتي باذن الله) و (تخرج الموتي باذني) ، واعتقد ان الحادثين زيادة في الانجيل لاثبات الوهيته بدليل عدم ذكر الاستعانة بالله ،

ومن ناحية اخري فلا نجد أي مبرر لإحيائه الميت في الجنازة وهو لا يعرفه أصلا ، وكما قلنا ان الأنبياء لا يستخدمون قدرات خاصة في أي وقت ولا تتاح لهم أصلا تلك القدرات الا في أوقات محددة لأنهم لا يمتلكونها ولا يفعلونها من انفسهم بل الله هو الفاعل ولا يعقل ان المسيح كان يمشي في المدن وكلما قابل ميتا احياه بدون سبب او مبرر كما يفهمنا الانجيل.

ثالثا: من الطين يخلق طيرا:

هذه الحادثة وردت في انجيل الطفولة ، انه كان في صباه يصنع تماثيل من الطين علي شكل طيور ثم يجعلها تطير وتكون حية ، وهو مطابق لرواية القرآن ، (يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذني) ولا يخبرنا القرآن اذا كان يفعل ذلك في صباه او كان كبيرا والاقرب انه كان صغيرا بالفعل والله اعلم .

٢) التعميد :

أولا: حسب الانجيل ، فان يحيي عليه السلام كما عمد الناس في نهر الأردن فقد طلب من عيسي ان يعمده هو الاخر حتي يطهره ، وبحسب الانجيل أيضا كما سبق انه لم يكن يعلم اذا ما كان عيسي هو النبي (السيد)

القادم الذي كان يمهد ويبشر بقدومه، ولكن الأرجح انه كان يعلم ذلك ، من وجهة النظر الإسلامية ، فمن ناحية كيف يمكن ان يكون ممهدا ومبشرا بقدومه وهو لا يعلم شخصيته ، ومن ناحية اخري ان المسيح قد اظهر بالفعل معجزاته وكراماته في حياة يحيي – كذلك يعترف الانجيل- وليس من الصعب عليه ، اذا لم يكن قد اخبر بوحي – ان المسيح هو النبي القادم .

ونجد تناقضا في الانجيل ، حيث يرسل يوحنا الناس من محبسه الي عيسي ليسألوه (انت هو الاتي ام ننتظر اخر – متي ١١:٣) بينما نجد في انجيل يوحنا (١:٣٣) يقول : هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم ، أي انه عرفه من العلامة الإلهية عند معموديته.

ثانيا: بعد تعميد يحيي له سمي مسيحا ، ولكن ماذا تعني كلمة المسيح ؟

الأصل اللغوي: كلمة المسيح في العربية تقابل (مشيح) في العبرية ومعناها الممسوح بالزيت المقدس وفي اليهودية هذه علامة علي اختيار الشخص لمنصب عالي ديني او ملكي ، كما تم مسح الملك شاول (طالوت) قبل تنصيبه.

٣) النبوة : لا نعرف علي وجه القين متي بدأت المعجزات في الظهور ولكن الغالب انها بدأت منذ الصغر – بخلاف معجزة الكلام في المهد – والحقيقة ان وضع السيد المسيح فريد بين باقي الأنبياء الذين تنقسم حياتهم الي مرحلتين الاولي قبل البعثة والثانية بعدها ، اما السيد المسيح فلا يمكن ان نحدد يقينا متي اصبح نبيا ومتي اوحي اليه وهل كان ذلك بنفس الطريقة التي بعث بها باقي الأنبياء والمرسلين.

وبحسب الانجيل: ان يوحنا سأل يسوع (انا محتاج ان اتعمد منك وانت تأتي الي – متي ٣:١٤) فاجابه يسوع (اسمع الان لأنه هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر – متي ٣:١٥) ويفسر المسيحيين ها النص بان المعمودية كانت بداية رسالته العلنية امام الناس .

وبغض النظر عن تناقضات الانجيل ، فالمعقول ان عيسي كان ضمن اتباع يحيي اذ ظهرت نبوته أولا ولم تظهر نبوة عيسي بعد ، وقد علم يحيي بانه القادم عندما امره الله بتعميده ومسحه وفقا للطقوس اليهودية لاعداد الشخصيات المهمة ، فمسحه بالزيت المقدس ، وعلي ذلك يكون بعثة عيسي اما عند او بعيد المسح ، او بعد مقتل يحيي ، وهو الأرجح لدينا ،

وعلي ذلك فاذا افترضنا ان بعثته كانت بعد مقتل يحيي – اذ ينتهي دور يحيي عليه السلام ويبدأ مهمة عيسي من بعده – وقد قدر الباحثين المسيحيين مقتل يحيي في عمر ٣٠ – ٣٥ عاما أي حوالي ٢٧-٢٩ م ، وعليه يكون

ارسل الي عيسي بعد هذا التاريخ ربما بعام واحد او اكثر قليلا ، وهو – بحسب رواية الانجيل – في نفس سن يحيي ولا يوجد دليل يثبت او ينفي ذلك.

اذا كان عيسي عليه السلام ويحيي استثناء من العمر المفترض لبعثة الأنبياء ٤٠ – ٤٥ عاما والله اعلم.

□رسالة المسيح

انه من المتفق عليه عند علماء المسلمين ان عيسي من الرسل ، وقد جاء بشرائع جديدة تعدل وتكمل الشريعة اليهودية ، وهو من اهم أسباب رفض اليهود له ، والحقيقة ان تلك المسألة ن المسائل الأكثر جدلية حتي اليوم بين المسلمين والمسيحيين وحتي اليهود ، وفي هذا المبحث سنعالج أولا وبأيجاز مسألة نبوة المسيح في الشرائع الثلاثة ، ثم سنفصل الرسالة التي جاء بها..

١) الحقيقة ان مسألة الفرق بين الدين والشريعة لازالت تشكل لبسا بين اهل الشرائع السماوية حتي اليوم ، فالدين هو النظام العام الكامل الذي يحوي الشرائع ، وهو الذي يتميز بعقيدة في الالة – او الآلهة ، وفكرة الخلق والحياة بعد الموت وغيرها، اما الشرائع فهي الاحكام والقوانين والطقوس التي تحكم اتباع هذا الدين ، فنجد البوذية والهندوسية اديان كما ان ديننا – دين التوحيد الذي يشمل الشرائع السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام ، واذا نظرنا الي تلك الشرائع ، سنجد انها ليست مختلفة بل بعضها يكمل الاخر فكانت الشريعة الموسوية التي نزلت علي موسي عليه السلام الرسول صلي الله عليه وسلم والتي بقيت حتي جاء الرسول صلي الله عليه وسلم التالي (عيسي) الذي اكملها فاضاف اليها ونسخ بعض احكامها ، ثم جاء الرسول صلي الله عليه وسلم التالي (محمد) ليتمم ويختم الشريعة السماوية كلها بالإسلام ، ولا يملك اتباع المسيح ان يدعوا ان المسيحية دينا مختلف عن اليهودية لان المسيح يقول بنفسه – حسب الانجيل : لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس (اليهودية) او الأنبياء ما جئت لانقض بل لاكمل – متي ١٧:٥.

وعلي ذلك فان ما جاء به المسيح هو تكملة رسالة الله التي أرادها للخلق ومرحلة جديدة من البناء في الدين الكلي الذي وضعه الله تعالي للناس واتمه رسوله محمد ، فلا موسي عليه السلام نبي لليهودية ولا المسيح نبي للمسيحية ولا محمد نبي للمسلمين بل كلهم تحت مظلة واحدة ودين واحد وشريعة واحدة ، وان الله لم ينزل شرائع متعددة لان المنطق يقتضي انه اذا كان المصدر واحد فان ما ينتج عنه هو دين واحد.

٢) الشريعة المسيحية: كما قلنا فان المسيح صرح في الانجيل انه جاء ، لا لينقض الناموس بل ليكمله ، وهو ما حدث ، لننظر اذا ماذا أضاف المسيح الي اليهودية وماذا حذف منها..

أولا: تشديد احكام الزنا: ففي اليهودية الزنا هو الفعل الفاحش نفسه ، ولم يلغ ذلك بل أضاف اليه قائلا: كل من ينظر الي امرأه ليشتهيها فقد زني بها في قلبه – متي ٢٨:٥ أي جعل النية نفسها خطيئة.

ثانيا: تخفيف احكام السبت: فقال : السبت انما جعل لاجل الانسان لا الانسان لاجل السبت – مرقس ٢٧:٢ وهو تخفيف لحكم السبت المشدد عند اليهود بمنع العمل تماما في السبت وهو ما نسخ في الشريعة المسيحية اليوم.

ويجب ان نقول في النهاية بان الشريعة التي جاء بها المسيح – أيا كانت – قد اخفيت او نسخت تماما بعد ظهور تعاليم بولس الذي كان يقول تماما عكس ما يقرر المسيح والواضح ان الذين اعادوا كتابة الانجيل مرارا ومرارا كانوا دائما ينسون حذف الآيات التي تثبت التضاد والتناقض بين ما جاء به بولس وما نزل علي المسيح .

٣) كيف كان الناس يرون المسيح في حياته:

أولا: للرد علي هذا السؤال ، وفي نطاق البحث التاريخي البحت ، يمكننا ان نرجع الي المؤرخين الذين عاصروا المسيح واشهرهم المؤرخ اليهودي الروماني (يوسيفوس فلافيوس) الذي ذكره في كتابه الأشهر (اثار اليهود) ، ولننظر ماذا قال عنه:

- النص الأول : في ذلك الزمان ظهر يسوع رجل حكيم ان كان يصح ان ندعوه رجلا لأنه كان صانع اعمال عجيبة ومعلما للناس الذين يقبلون الحق بسرور وقد اجتذب اليه كثيرين من اليهود وكثيرين من اليونانيين – اثار اليهود ١٨,٣,٣

ويلاحظ كثير من الباحثين ان هذا النص قد تم الإضافة اليه من المسيحيين في الترجمة بعض العبارات التي تخدم كونه الها مثل (وظهر لهم حيا في اليوم الثالث) وقد لوحظ ان أسلوب تلك الجمل مغأير لاسلوب يوسيفوس في الكتابة وهذا بشهادة الباحثين المسيحيين المتأخرين.

وبغض النظر عن الإضافات يلاحظ من سياق الكلام ان المسيح عرف رجلا ذا معجزات وهو الوصف النموذجي للأنبياء فهم رجال عاديين يشبهون باقي البشر وتجري علي أيديهم معجزات،

ثانيا: ماذا يقول الانجيل نفسه:

- اني اصعد الي ابي وابيكم والهي والهكم – يوحنا ٢٠:١٧ المسيح يصرح ان الله اباه وابا الناس أيضا وهو الهه واله الناس أي لا فرق بينه وبينهم

- ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وبين اقربائه و في بيته – مرقس٦:٤ في هذه الآية المسيح يتحدث عن نفسه بصفته نبيا ويشتكي اهل الناصرة الذين لم يقبلوه رغم انه نبي مرسل من الله

- انا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئا ..بل كما اسمع ادين ودينونتي عادلة لاني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي ارسلني – يوحنا ٥:٣٠

هذه فقط امثلة لما يقول المسيح عن نفسه في الانجيل وكلها دالة علي طبيعته البشرية وانه لا يختلف عن باقي الأنبياء .

ومن الشهادة التاريخية وشهادة الانجيل نفسه نتيقن من ان المسيح كان ينظر اليه في حياته كنبي ورجل مبارك ومعلم وجاء بشريعة مكملة لليهودية .

المؤامرة، المحاكمة، والصلب

---

١) لم يكن ما جاء به المسيح من شريعة معدلة لشريعة اليهود ومهددة لسلطان الكهنة الذين اصبحوا قريبين من السلطة واصبح لديهم نفوذ في اليهودية .فلماذا رفض اليهود السيد المسيح بأي صفة كانت نبيا او الها؟

أولا: ان اليهود قد اعتادوا منذ عهد موسي عليه السلام – اخر رسول – علي شريعتهم التي دونوها وحفظوها وأضافوا اليها ما أرادوا اضافته من اجل دعم مصالحهم ، وكتبوا قصص الأنبياء كما يحلو لهم فيما يسمي بالعهد القديم ، بكل ما رأينا فيها من افتراءات وضلالات ، وقد امن العامة بها كما صاغوها ، وكما يخبرنا القرآن انهم اخفوا المخطوطات الاصلية لبعضها وابقوا علي بعضها، ثم يجئ هذا المسيح ليهدم ما بنوه خلال اكثر خمسة قرون منذ ان دونت التوراة لأول مرة بين القرن الخامس والسادس قبل الميلاد ،

انهم لا ينتظرون رسولا جديدا ، بل كما اعتادوا ان يأتي أنبياء كثر لا يضيفون جديدا الي الشريعة ، يدعون الناس ويكذبون ، ويقتل بعضهم ثم يموتون وتستمر الضلالات علي أيدي الكهنة .

ثانيا: ان السب الأساسي لرفضهم المسيح هو نفسه السبب في رفضهم لنبي الإسلام محمد ، وهو ان كتبهم ونبوءات أنبياءهم تخبرهم بقدوم المخلص ، وهو النبي الأخير الذي يقيم الملكوت ويرفعهم فوق العالم ويدين الأمم امامهم ، وقد وردت صفاته في كتبهم التي لن نطلع عليها ابدا ، ولن نعرف أين هي .

وهو ما أكده القرآن في قوله (وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) والمقصود محمد ، لكنهم اضافوا وعدلوا صفات نبيهم المنتظر – او ربما فسروا النبوءات بشكل محرف – ليجعلوها تنطبق ، او لا تنطبق ، علي شخص بعينه، ولما كان عيسي هو رسول اخر جاء ليكمل ما بدأه موسي عليه السلام ، ولم يكن هو النبي الأخير والمخلص المنتظر وبالتالي لم تنطبق عليه نبوءاتهم ، رفضوه واعلنوا العداء له . وسنفصل الصفات التي عندهم للمخلص عند الحديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم محمد صلي الله عليه وسلم .

٢) من الواضح ان علاقة ذوي النفوذ من اليهود بالحاكم كانت متوطدة في هذا الوقت ، (فهيرودس انتيباس) الذي كان يتلون تارة علي دين اليهود وتارة علي دين الرومان ، ولم يعرف له انتماء ثابت في التاريخ ، كان تربطه علاقات قوية مع كبار رجال الدين اليهودي وذوي النفوذ وأصحاب المال – كعادتهم في جميع العصور – والذي استشعر الخطر من نفوذ المسيح المتزأيد ، فجميع الطغاه والفاسدين علي مر العصور يخشون تجمع الناس حول زعيم ديني او سياسي وقد رأوا ذلك منذ سنوات قليلة في يحيي الذي تامروا عليه وقتلوه ، واليوم سيفعلون الامر نفسه مع المسيح.

لقد اوغر ذوي النفوذ اليهودي صدر هيرودس ضد المسيح وقد نجحوا ونسجوا حوله المؤامرة ، ولا نعرف اذا كان هيرودس قد صدقهم بالفعل ام انه تامر معهم علي علم بحقيقة المسيح ، وأيا كان فقد اصدر أوامره بالقبض عليه ومحاكمته بتهمة التآمر ضد السلطة الرومانية والعمل علي نشر التمرد بين الناس وقائمة التهم المعروفة لكل الطغاة علي مر العصور.

٣) القبض علي المسيح:

ان قصة الصلب في الرواية المسيحية تتلخص في ثلاث مشاهد رئيسية بحسب الانجيل ، مشهد القبض عليه ، ومشهد المحاكمة ، ومشهد الصلب، وبتحليل كل منهم يمكننا اذا ان نقف علي حقيقة السؤال التاريخي الأكثر جدلا حتي اليوم وهو ، هل صلب المسيح؟

ان اول المشاهد واهمها في القصة هو مشهد القبض علي المسيح ، وهو الأكثر موثوقية من حيث السياق التاريخي البحت لوجود شهود عدة علي الموقف – بحسب الانجيل – ولنقرأ الانجيل لنفهم ماذا حدث وفقا لهذه الرواية..

أولا: حسب نص الانجيل:

-جاء الجنود برفقة (يهوذا) الخائن ولم يكن الجنود يعرفون يسوع ولذلك قال لهم يهوذا : الذي اقبله هو هو امسكوه – متي ٤٨:٢٦

-فلما جاءوا ودخلوا المنزل وسألوه هل انت يسوع فقال انا هو ، ويتابع الانجيل ما حدث بعد ذلك، :قال لهم يسوع : اتظن اني لا استطيع ان اطلب الي ابي فيقدم لي اكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة – متي ٥٣:٢٦

فلما قال لهم انا هو رجعوا الي الوراء وسقطوا علي الأرض – يوحنا المصدر السابق

-يذكر بعد ذلك رد فعل التلاميذ عندما راوا الجنود في (متي ٥٦:٢٦) و (مرقس ٥٠:١٤) بنفس النص : فتركه التلاميذ كلهم وهربوا.

اذا نفهم من رواية الانجيل في هذا المشهد ان الجنود جاءوا فاوقعهم يسوع علي الأرض كلهم وعندما رأي التلاميذ ذلك هربوا كلهم ، ولكن ماذا حدث ليسوع نفسه؟

اذا كان قد قبل ان يقبض عليه لأنه يعلم ان هذا هو قدره فلماذا يوقعهم جميعا علي الأرض ، هل هو استعرض قوة ، ام ان ذلك كان بغرض الهرب مع التلاميذ ، وهو المنطقي .

ثانيا: ان الشهود الذين كانوا في هذا المشهد قد هربوا بعدما أوقع يسوع الجنود ، ولم يتبق شهود تاريخيين علي الواقعة سوي يسوع والجنود ، اذا أي تفاصيل سيذكرها الانجيل من هذه اللحظة ستكون خالية من الأدلة تماما ، فمن الذي حكا لكاتب الانجيل ما حدث بعد ذلك ، هل هو يسوع؟ ام احد الجنود .

ان مصداقية القصة في هذا المشهد تقف عندما هرب التلاميذ ولا يمكننا في سياق السرد التاريخي ان نصدق أي ما جاء بعد ذلك .

ثالثا: القرآن، يحسم لنا الامر بشان هذه الواقعة والقصة كلها في قوله تعالي: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ --ال عمران ٥٥

اذا الله اخبر المسيح بالمؤامرة – وهكذا يثبت الانجيل – ويعده بانه سينجيه منها وهو دليل علي ان المسيح لم يقبض عليه أصلا.

٤) المشهد الثاني : المحاكمة (الأقل موثوقية):

أولا: يحكي لنا الانجيل بتفصيل إجراءات المحاكمة ولكن بغض النظر عن التفاصيل ، في سياق البحث التاريخي ما يهمنا هو الدليل علي تلك التفاصيل ، من الذي كان حاضرا للمحاكمات ليحكي لكاتب الانجيل ما حدث، لنفهم أولا كيف كانت المحاكمات تتم في هذا الوقت..

يقدم المتهم الي رئيس الكهنة للتحقيق ثم يرسل الي الحاكم الروماني (بيلاطس البنطي) لأنه هو صاحب السلطة العليا في اصدار احكام الإعدام ، ويستجوب مباشرة منه ويصدر الحكم بنفسه.

ثانيا: رواية الانجيل : تم التحقيق أولا عند رئيس الكهنة اليهود وهناك يحاكم ويتهم بالتجديف ، ثم يسلم الي الحاكم الروماني لان الحكم بالإعدام يحتاج تصديق ، ويذكر ان بيلاطس ارسله الي هيرودس مرة اخري ، وهناك ملاحظات في الرواية الانجيلية:

فمن ناحية يذكر الانجيل ان المحاكمة تمت ليلا وهو امر غير معتاد في القضاء الروماني، وثانيا نقل المتهم عدة مرات بين اكثر من محكمة هو أيضا مذكور فقط في نجيل (لوقا) ولا تذكره باقي الاناجيل ، وثالثا، الاناجيل تصف ان جمعا من الناس طالب بصلبه .

والنقطة الأهم هي رواية الانجيل لما دار في محاكمة بيلاطس ،وانه قال : لني لم اجد علة في هذا الانسان مما تشكون به عليه – لوقا ٢٣:٤

وفي(متي ٢٧:٢٤)قال اني برئ من دم هذا البار، اذا لماذا يصدر الامر بقتله اذا كان هو وحده صاحب السلطة في حين انه غير مقتنع بانه مذنب،

ثم من هو الشاهد الذي اخبرنا بكل هذه التفاصيل أصلا؟

الخلاصة اننا في سياق النقل التاريخي لا يمكننا اثبات واقعة المقاضاة بالمرة ولا يوجد عليها أي دليل موثق ولا شهود .

٥) المشهد الثالث : الصلب:

أولا: يؤكد الانجيل ان أحدا من التلاميذ لم يشهد هذا الموقف الا فقط النساء المذكورين (مريم العذراء ومريم المجدلية واخرين) ، وهؤلاء هم شهود الواقعة الأكثر جدلا في التاريخ ، والتي أقيمت عليها عقيدة كاملة ،

ثانيا: في العصر الروماني ان إجراءات تنفيذ حكم الإعدام صلبا يكون عاما باجتماع مئات الناس لمشاهدة هذا الحدث المثير ، وقد اكد الانجيل نفسه ان النساء الشهود كانوا في الخلف وراء جموع الناس الحاشدة ، فمن الصعب عليهم اذا تحديد ملامح المسيح الذي لم يكن قد رفع علي الصليب بعد حيث سيقوم بحمل صليبه علي ظهره لمسافة كبيرة الي حيث يتم الصلب وسط الحشود التي تلقي عليه القاذورات وتبصق عليه وتلعنه – حسب رواية الانجيل – ومن الصعب جدا لأي من النسوة الحاضرات ان تقترب منه او تكون ف الصفوف الاولي

ثالثا: يؤكد أيضا الانجيل انه كان قد جرح في راسه ووجهة كان ملطخا بالدماء مما يصعب فرصة التعرف عليه حتي اذا وصلت احداهن الي الصفوف الامامية.

٦) الرواية الإسلامية: القرآن يحسم الامر تماما بقوله تعالي (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)، ولننظر ما ذا تعني الآيات..

أولا: شبه لهم : اعتقد ان المفتاح في فهم الآية في هذه الكلمة ، في استعمال العرب ، أي ظن انه رأي الشخص ولكنه كان مخطئ، والحقيقة ان لفظ (شبه) قد يكون راجع علي المسيح نفسه وقد يكون راجعا علي الواقعة او الفعل ، والآية جاءت بصيغة نافية (ما قتلوه ولكن شبه لهم) اذا بمفهوم المخالفة تكون الآية (شبه لهم انهم قتلوه) أي ان الاشتباه هنا في الفعل ، أي انهم ظنوا خطئا انهم قتلوه

ثانيا: الضمير المستتر في (قتلوه) و (شبه لهم) قد يشمل الجميع ، أي اكثر من طرف ، فيمكن ان نفهم الجملة بهذه الصيغة (اليهود – القتلة – ظنوا انهم قتلوه) و يمكن ان تقرا أيضا بصيغة اخري (اتباع المسيح ظنوا انهم – أي القتلة – قتلوه وصلبوه) .

ثالثا: شبه لهم ليست بالضرورة مشتقة من (الشبه) أي التشابه في الشكل بمعني انه٨م راوا شخصا يشبه المسيح فظنوا انه هو ، وهي الرواية الأكثر انتشارا بين المفسرين ، ولكننا نرجح ان (شبه لهم) من الأصل (اشتبه) أي اختلط عليهم الامر فظنوا من خلال ملابسات الموقف ان المصلوب هو المسيح ،

و قوله تعالي (ان الذين اختلفوا فيه لفي شك) يؤيد هذه النظرية والله اعلم.
٧) ماذا حدث فعلا..
من الواضح من السياق التاريخي ومن الآيات انه لا يوجد دليل علي واقعة القبض علي المسيح ومحاكمته وصلبه الا في رؤوس أولئك الذين كتبوا الانجيل والذين نقلو ربما من شهادات شفهية من عامة الناس ومن النساء اللاتي لم ترين شيئا مؤكدا، ان المصدر الوحيد لواقعة صلب المسيح هي شهادة النسوة والتي بالمناسبة لا يعتد بها في الشريعة اليهودية لا في اضيق الأمور، لان الانجيل نفسه يعترف ان أحدا من التلاميذ لم يشهد هذه الوقائع ابدا وانهم اختفوا طيلة مدة المحاكمة والصلب ولم يعرفوا بصلبه الا من الاخبار التي جاءتهم من النسوة فقط ، اما النسوة فلم يتمكنوا من رؤية ما حدث عن قرب ولذلك استنتجوا فقط ان المسيح هو احد الثلاثة الذين صلبوا (حسب الانجيل كان المسيح واثنان معه) دون ان يتمكنوا من رؤية وجهه الذي كان ملطخا بالدماء. اذا كان المسيح قد اختفي بالفعل منذ ان أوقع الجنود ارضا وبعدما هرب التلاميذ وان أحدا لم يعرف يقينا ماذا حدث منذ هذه الساعة وحتي ظهر المسيح بعد ثلاثة أيام امام تلاميذه.

☐القيامة والرفع الي السماء

أولا: الانجيل كمصدر تاريخي : ان البحث التاريخي يهتم في الأساس بالدلائل التاريخية الموثقة او الأحداث الثابتة ، وهو ما يجعل الاعتماد علي رواية الاناجيل وحدها غير منصف وغير كاف لأثبات وقائع تاريخية مزعومة ، فالإنجيل – حتي من وجهة نظر المؤمنين به – ليس الا وجهة نظر لكاتبيه ، ولا تعتبر حتي شهادات تاريخية لان أحدا منهم لم يعاصر الحدث ولم يذكر حتي أسماء الشهود الذين اعتمد عليهم كمصدر للمعلومة.
ومن ناحية خري فان أحدا من المسيحيين لم يزعم حتي ان الانجيل كلام الله المنزل علي احد أنبياءه ، مما يعطيه بعض المصداقية ولو بالنسبة للمؤمنين به – مثل قوة القرآن في الاثبات عند المسلمين – وكل ذلك يجعل شهادة الانجيل وحدها مجرد وجهة نظر وليست مصدر موثوق يؤخذ منه التاريخ . وللأسف فان الاعتماد علي رواية الانجيل وحدها كدليل علي قيامة المسيح وحتي صلبه ، يعد عبثا وتزويرا للتاريخ .
ثانيا: حتي رواية الانجيل عن قيامة المسيح بعد وضعه في القبر ثلاثة أيام ، تعتمد كلية علي شهادة امرأه واحدة يزعم انها زارت قبره فوجدته مفتوحا ووجدت شابا – في رواية ملاك – اخبرها انه قام .
والحقيقة انه لم يخبرها بانه قام بل استنكر سؤالها عنه بقوله – حسب الانجيل : لماذا تطلبين الحي بين الأموات؟ حتي رواية الانجيل عجزت عن اثبات ان المسيح وضع في القبر ثم خرج حيا ، وهناك كارثة اخري ظهرت مؤخرا بين الناقدين النصيين المسيحيين ، تسمي (نهاية انجيل مرقس الطويلة) فقد اكتشفوا ان هناك جزء كبير قد

اضيف لاحقا علي النص الأصلي يحكي ان تلك المراة عادت بعد حديثها مع الشاب – الملاك – فقابلت المسيح في الطريق واخبرها ان تذهب وتخبر التلاميذ انه قد قام .
ثم ينتقل الانجيل الي مشهد اخر فيه يظهر المسيح نفسه للتلاميذ ليخبرهم انه حي .
ثالثا: الانجيل يثبت ان المسيح لم يمت:
يظهر المسيح للتلاميذ في مخبئهم بعد ثلاثة أيام من الصلب المزعوم ، ويحاول بكل الطرق ان يفهمهم انه حي لم يمت، فيقول لهم اعطوني خبزا وسمكا فيأكل امامهم ويشرب ويذكرهم بان الروح لا تأكل ولا تشرب ، ثم يطلب من احدهم ان يلمسه ، لماذا يطلب ذلك؟ هل ليثبت انه مات ثم قام من الأموات ؟ هل لمس الشخص يدل علي انه مات ثم قام؟ ام ليثبت انه حي ولم يحدث له شيء؟
رابعا: الخلاصة اذا . ان المسيح – وفقا للمنطق التاريخي – لم يمت بل هرب حين أوقع الجنود ارض ، ثم اختفي ثلاثة أيام ثم عاد بعدما هدأت الأمور ليثبت لتلاميذه انه لم يمسه اذي وانه حي ، ثم يخبرهم انه سيرفع الي السماء سالما بمعجزة من الله ، وهذا أيضا ثابت بنص الانجيل .

المسيح لم يوضع في القبر بشهادة هذا الشاب – الملاك – الذي استنكر سؤال المراة عن المسيح وكأنه يقول لها انتي تبحثين عن شخص لم يوضع هنا أصلا فكيف تبحثين عن الحي بين الأموات ، الرجل لم يقل انه كان هنا وقام بل كان كلامه واضح ، انه لم يوضع هنا أصلا..

سادسا: بقي ان نذكر سريعا ان هذا القبر المزعوم لا يزال مثار جدل حتي اليوم فلا احد يعرف مكانه ولا حتي يمكن اثبات انه وضع بقبر حيث ان عادة الرومان ان المصلوب – خاصة في جرائم سياسية – لا يوضع بقبر ولا يسمح لذويه انزاله من علي الصليب .

٨) **الرفع الي السماء :**

ذكرنا في الفصل الأول ان النبي (ادريس) قد رفع الي السماء حيا ، وهكذا يؤمن اليهود والمسيحيون والمسلمون أيضا، وبنفس المنطق قد حدث ذلك للمسيح ، باختلاف هو أيمان المسلمين والمسيحيين – دون اليهود – بعودته مرة اخري، وسنناقش الاعتقاد وفقا لرواية القرآن..

قوله تعالي (و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين – ال عمران)

وقوله تعالي: وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا – النساء ١٥٩

أولا: قد رأينا كلامه للناس في المهد ، ولكننا لم نر بعد كلامه كهلا ، والكهل هو من تجاوز الخمسين من عمره وهو ما لم يحدث حيث رفع المسيح – وفقا للإنجيل – في سن الخامسة والثلاثين او قبل ذلك ،وهو ما يدل علي انه سيعود ويعيش حتي يبلغ الخمسين علي الأقل.

ثانيا: قبل موته: دليل اخر علي انه سيظهر علي الأرض ، وفقا للإسلام ، اما المسيحيين فيؤمنون ان مات مرة ولن يموت مرة اخري ،

ثالثا: اذا اردنا أيجاد تفسير علمي منطقي لرفع شخص الي السماء وغيابه الفي سنة ثم يعود مرة اخري، فان النسبية الخاصة لأينشتاين لا تنكر ذلك ، وبدون الدخول في تفاصيل فيزيائية متعلقة بمفهوم الزمن واختلافه من مكان لأخر – سنوضح ذلك بتفصيل في الحديث عن الاسراء والمعراج – فيمكن للشخص ان يقضي وقتا قصيرا في بعد او موضع بعيد في الكون ، في حين تمر مئات السنوات علي الأرض دون ان يتاثر عمره بها ، ولذلك فان المسيح من الممكن نظريا ان يعود بعد آلاف السنين بنفس العمر تقريبا الي الارض.

خلاصة: ان اثبات هذا الامر مرهون بالمستقبل الان ، فوفقا للاعتقاد الإسلامي ، ان المسيح لم يكمل رسالته في الأرض بعد وان ذلك سيحدث عندما يعود الي الأرض مرة اخري وهذا لم يحدث بعد ، اذا نحن امام تاريخ لم يتم اثباته بعد والدليل علي صحته مرهونا بالمستقبل ، فهل سيثبت المستقبل القريب نبوءة القرآن ؟

ةالحقيقة ان هذا الدليل القادم من المستقبل سيحسم الجدل التاريخي كله حول السيد المسيح ، ويجيب عن كل الأسئلة التي أثيرت حوله ، هل هو الله المتجسد ، هل صلب وقتل ، هل مات ثم قام من الموت ؟

اننا في انتظار الإجابة في العقود القليلة القادمة..

الفصل السابع عشر

أصحاب الكهف

متي حدثت القصة

اين حدثت القصة

لم تكن هذه القصة اقل من قصص الأنبياء في سياق هذا البحث ،حيث ذكرت في القرآن في سورة خاصة باسمها من ناحية ، ومن ناحية اخري فان سياق بحثنا يقتضي المرور بهذه القصة التاريخية الهامة ، حيث يمكن اعتبارها حلقة في السلسلة التي توصل بين عصر النبي عيسي ، والنبي محمد عليهم السلام ، فهي تقع في نقطة ما خلال القرون الستة التي تفصل بين الرسول صلي الله عليه وسلمين ، والحقيقة ان القصة قد ذكرت قبل النص القرآني بقرون في ادبيات رومانية ومسيحية لاحقة ، وفي هذا البحث سنحاول تحديد الزمن الادق لحدوثها والمكان الجغرافي الصحيح ..

☐الزمان والمكان

---

١) المصادر التاريخية التي ذكرت القصة :

أولا: رواية السبعة النائمين من (افسس) :

هي اقدم رواية معروفة للقصة وقد كتبها (يعقوب السروغي) الذي عاش ٤٥١ – ٥٢١م وكان اسقفا وشاعرا دينيا سريانيا ، وكتب نصا بعنوان (عظة عن فتيان افسس) وهذا النص نفسه يعتمد علي نص يوناني اقدم لكنه مفقود ، اذا الواقعة نفسها ترجع الي ما قبل النص اليوناني الأصلي ..

وفقا للرواية ، انه في زمن الامبراطور الروماني (ديسيوس ٢٤٩ – ٢٥١م) امر الامبراطور الناس ان يقدموا قرابين للألهة الرومان ولكن مجموعة من الشبان المسيحيين في مدينة افسس رفضوا عبادة تلك الآلهة الوثنية ، وعندما اشتد التهديد عليهم هربوا الي كهف في جبل قريب من المدينة ثم امر الامبراطور بأغلاق الكهف عليهم بالحجارة فناموا نوما معجزا ، وبعد قرون ، في زمكن الامبراطور (ثيودوسيوس الثاني ٤٠٨ – ٤٥٠م) رجل أراد فتح الكهف ليبني حظيرة غنم فرفع الحجارة واستيقظ الشباب ،

واحدهم ذهب الي المدينة ليشتري خبزا بعملات قديمة ، فاندهش الناس لان العملات تعود لزمن قديم ، وعندما عرف الاسقف والناس قصتهم ذهبوا الي الكهف .ثم ماتوا بعد ذلك واعتبروا قديسين.

ثانيا: رواية اخري للقصة (جورجي اوف تورز) ٥٩٤ – ٥٣٨م

ذكرت نفس الأحداث تقريبا وذكر انها مأخوذة من رواية يونانية ربما هي الرواية التي اخذ منها النص السابق.

ثالثا: ذكر تاريخي مبكر (المؤرخ السرياني ذكرياس اوف ميتيلين ٥١٨ – ٤٩١م) وذكر ان القيامة حدثت في عهد الامبراطور (ثيودوسيوس الثاني) أيضا.

رابعا: دليل اثري مبك :كتاب مسيحي اسما de situ terrae sanctae كتب بين ٥٣١ – ٥١٨م وذكر وجود كنيسة مبنية فوق كهف أصحاب الكهف في افسس – وهو مطابق لنص القرآن انهم بنوا عليه مسجدا (أي دار عبادة) .

وهذا يدل ان القصة كانت مشهورة جدا في أوائل القرن السادس وقبل نزول القرآن.

٢) تقدير الزمن التقريبي للواقعة :

أولا: ان اقدم تأريخ للقصة يعود الي حوالي ٢٥٠م ، ولكن الرواية القرآنية تؤكد انهم ناموا ثلاث قرون تقريبا مما يجعل قيامهم في ٥٥٠م تقريبا وهو امر صعب الحدوث لان اقدم ذكر للقصة يعود الي ٥٣١ م والذي تأكد انه منقول من نص يوناني اقدم منه ، كما انه من المنطقي مرور زمن طويل نسبيا حتي يبدأ احدهم بالتفكير في كتابة القصة بشكل روائي او الاخذ بها كعظة دينية .

ثانيا: ان تاريخ انتهاء الاضطهاد المسيحي في الإمبراطورية الرومانية والسماح بالمسيحية يرجع الي اصدار مرسوم (ميلانو ٣١٣م) في عهد (قسطنطين الأكبر) وهذا يعني ان قد تمت قبل هذا التاريخ بفترة وعلي الأرجح في ظل فترة الاضطهاد الروماني المسيحي .

ثالثا: يعتبر اكثر الاباطرة اضطهادا للمسيحيين :

-نيرون ٥٤ – ٦٨م والذي في عهده قام حريق روما الشهير والذي اتهم المسيحيين باشعاله وبدأ علي اثر ذلك بحملات اضطهاد شديد ضدهم وكتب المؤرخ (تاسيتوس) انهم اعدموا بطرق قاسية.

-سبتيموس سيفيروس ١٣٩ – ٢١١م ، اصدر مرسوما يحظر التحول الي المسيحية او اليهودية واستهدف المتحولين حديثا وكان يعاقب التحول عن الديانة الرومانيية الرسمية بالسجن والتعذيب او الإعدام ، لم يكن الاضطهاد شاملا مثل ديسيوس لكنه كان حقيقيا واكثر صرامة ممن قبله ويعتبر الأكثر اضطهادا للمسيحيين قبل (ديسيوس) .

-ديسيوس ٢٠١-٢٤٩ م وقد اصدر اول مرسوم عام يجبر كل سكان الإمبراطورية علي تقديم ذبائح للألهة الرومانية – وهو ما يوافق الروايات الأدبية المسيحية – وكل من يرفض يعاقب او يقتل وهذا ادي الي

اضطهاد واسع . ولكن المشكلة معه هو انتهاء الثلاث قرون التي ناموها في ٥٥٠ تقريبا وهو زمن متأخر عن الروايات التي تذكر القصة أصلا وهو امر مستحيل.

- فاليريان ٢٦٠ – ٢٥٣ م، وامر بقتل الأساقفة والكهنة ومصادرة ممتلكات المسيحيين .

- دقلديانوس ٣٠٥ – ٢٨٤ م اعظم اضطهاد للمسيحيين واعنفه في تاريخ المسيحية المبكر وقراراته شملت هدم الكنائس وحرق الكتب المسيحية وسجن رجال الدين واجبار المسيحيين علي عبادة الهة روما واستمر هذا الاضطهاد حتي سنة ٣١١م.

والحقيقة ان الفترة ما بين (نيرون) و (ديسيوس) تعتبر الأكثر ملائمة للقصة في الرواية القرآنية ، ولكن قبل ان نحسم الامر سنبحث مدي منطقية الامبراطور الذي استيقظوا في عهده حسب الرواية المسيحية ..

رابعا: الامبراطور الذي قاموا في عهده:

حسب الرواية هو (ثيودوسيوس الثاني) والذي حكم ما بين ٤٠٨ الي ٤٥٠ م وكانت الإمبراطورية مسيحية رسميا في عهده ، والحقيقة ان الرواية ربطت القيام في عهده علي أسس رمزية ودينية وليست تاريخية موثقة ، حيث ثارت في عهده جدل لاهوتي حول قيامة الأجساد بعد الموت فالرواية تقول ان ظهور الفتية في هذا الزمن تحديدا جاء كدليل علي إمكانية القيام من الموت .

ولكن القيام في عهده يجعل الفترة بين الحدث وانتشاره في الإمبراطورية وبدء كتابة الروايات قصيرة جدا ، ولذلك لا نرجح كونه هو الامبراطور الذي قاموا في عهده.

خامسا: **الأرجح عندنا** ان يكون امبراطور الذي ناموا في عهده هو (سبتيموس سيفيروس) وليس (ديسيوس) - الذي تم تحديده بناء علي سمعته التاريخية في اضطهاد المسيحيين ووكرههم له فقط – وهذا الامبراطور مناسب تماما لسياسة الاضطهاد والتعذيب والاعدام للمسيحيين ، وعلي **ذلك** يكون الاستيقاظ بعد ثلاث قرون ، أي في عهد الامبراطور (اناستاسيوس الأول) الذي حكم من ٤٩١ الي ٥١٨ م وفي عهده كانت المسيحية الدين الرسمي للدولة.

وعلي ذلك يكون هناك وقت مناسب قبل تدوين اول رواية مسيحية عنهم .

□تحديد المدينة والكهف

كما سبق ان قلنا ان الرواية المسيحية ليست تأريخا بل مجرد عظة دينية مستوحاة من القصة الاصلية ولذلك فمن الجائز جدا ان يكون الأسماء والأماكن والتواريخ كلها رمزية او انها اسقاطات او تخمينات لا تستند الي ادلة حقيقية ، ولذلك فمن الخطأ الاعتماد علي تلك المعلومات في سياق البحث التاريخي واعتبارها مؤكدة ، ولهذا سنبحث عن الموقع الأصلي للقصة بدون التأثر بما جاء في تلك الروايات وبالاعتماد علي المواصفات التي جاءت في القرآن..

١) المواقع المشهورة شعبيا والأكثر ترجيحا للكهف:

أولا: موقع (افسس) في تركيا (الأشهر تاريخيا وشعبيا):

في القرن الثالث الميلادي (وقت النوم) كانت مدينة (افسس) الرومانية في مقاطعة اسيا مركزا تجاريا ضخما وميناء ، وفي القرن السادي (وقت القيام) كانت تحت الحكم البيزنطي .

الموقع مبني فوقه كنيسة بيزنطية فوق الكهف(القرن الخامس الميلادي) وتحولت لاحقا الي مزار شعبي. والكهف يقع ٢كم جنوب افسس قرب جبل.

ثانيا: كهف الرقيم قرب عمان (الأشهر إسلاميا):

ويعرف باسم اهل الكهف ، قريب من مدينة (فيلادلفيا) الرومانية وكانت جزءا من حلف المدن العشر ، وهي مدينة رومانية مزدهرة فيها مسرح روماني ومعابد وطرق مرصوفة ،وأصبحت لاحقا تحت الحكم البيزنطي .

مبني فوقها كنيسة فوق الكهف (حوالي القرن السادس) ثم أصبحت مسجد لاحقا في العصر الاموي.

ثالثا: كهف طرسوس: جنوب تركيا قرب مدينة طرسوس:

وكانت مدينة رومانية مهمة في (كيليكيا) ومركز ثقافي وتجاري كبير ، وأصبحت تحت الحكم البيزنطي لاحقا وظهرت تقاليد تربط الكهف بالفتية لكن الأدلة الاثرية لا تدعمها بشدة.

٢) صفات الكهف في النص القرآني:

أولا: اتجاه الشمس :

في قوله تعالي: وتري الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه- الكهف)

تزاور: أي تميل او تنحرف

تقرضهم : القرض هو القطع او المرور السريع والمعني عند المفسرين انها تمر عنهم ولا تصيبهم مباشرة .

التفسير الجغرافي: هذا الوصف يدل علي ان باب الكهف ليس مواجها للشمس مباشرة فالشمس تمر بجانب الكهف صباحا ومساءا دون دخولها بقوة ، أي ان باب الكهف متجه نحو الشمال تقريبا وفقا للتفسير الشائع .

ثانيا: وجود ساحة داخلية واسعة :

قوله تعالي : وهم في فجوة منه.

فجوة : أي فراغ واسع داخل الشئ وهو منطقي ليتسع لسبعة اشخاص بالغين وكلبهم يتحركون فيه اثناء تقلبهم في النوم ولا يكونون متلاصقين بشكل غير مريح .

وهذا دليل علي انهم لم يكونوا عند المدخل بل في مساحة داخلية واسعة تسمح بالتهوية والضوء غير لمباشر ، ولو كانوا عند المدخل لكان الضوء مباشر .

ثالثا: وجود فتحة يدخل منها الضوء: وهو ما نستخلصه مما سبق فالشمس لا تدخل مباشرة لكن الضوء يصل اليهم رغم ذلك فلابد اذا من وجود فتحة اخري غير فتحة المدخل .

رابعا: إمكانية رؤية الداخل من الخارج:

قوله تعالي: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا .

وهو ما يدل علي انك اذا وقفت عند مدخل الكهف ستتمكن من رؤيتهم جميعا وهو دليل علي ان المدخل ليس مغلقا – بخلاف الرواية المسيحية التي تقول ان الحاكم امر بسد المدخل ثم جاء رجل بعد قرنين ليفتحه .

خامسا: البناء فوق الكهف:

قوله تعالي: قالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم ، وقال الذين غلبوا علي امرهم لنتخذن عليهم مسجدا.

المسجد هو مكان للعبادة وليس مرتبط بدين معين ، ولذلك فوجود الكنيسة فوق الكهف مطابق للاية ،

٣) تطبيق الصفات القرآنية علي المواقع المرجحة:

أولا موقع (افسس) :

ما ينطبق عليه هو فقط البناء (الكنيسة) فوق الكهف ولكنها ترجع للقرن الخامس الميلادي أي قبل وقت قيامهم من النوم وهو ما يخالف رواية القرآن وان كان يطابق الرواية المسيحية التي تجعل عدد سنوات النوم مائة وثمانين سنة فقط .

ولكن نجد ان مدخل الكهف جنوب شرقي تقريبا وهو ما يخالف اول الشروط في اتجاه الشمس كما في القرآن.

ثانيا: موقع الرقيم بالأردن:

مدخل الكهف يتجه نحو الشمال ونجد ان حركة الشمس تمر يمسنا صباحا ويسارا مساء دون دخول مباشر ، كما انه يطابق الفجوة الداخلية الواسعة ، ونجد من ناحية ثالثة ان مدخل الكهف واضح من الخارج مع ساحة صغيرة ، ورابعا هناك كنيسة مبنية فوق الكهف يرجع تاريخ بناءها الي القرن السادس الميلادي وهو مطابق لحساباتنا لوقت الاستيقاظ .

ثالثا: كهف طرسوس :

لا توجد أي علامات واضحة من هذا الكهف تحديدا فهو ليس واسعة ولا يوجد بناء اثري عليه – الا من مزار صغير .

ومما سبق نجد تطابقا مثيرا لموقع كهف الرقيم بالأردن للصفات الواردة بالقرآن ولذلك نرجح هذا الموقع بشدة .

□القصة في رواية القرآن

١)كما قلنا ان القصة تبدأ في حوالي العام ٢٠٠ م علي الأرجح في عهد الامبراطور الروماني (سبتيموس سيفيروس) الذي حكم حتي عام ٢١١م وقد تميز عهده باضطهاد ملحوظ ضد المسيحيين ومنع تماما اعتناق الدين المسيحي او اليهودي وقد سنت قوانين شديدة ضدهم تبدأ من الحبس والتعذيب وتصل الي الإعدام.

لا يمكن التأكد من طبيعة او مكانة أولئك الفتية في المجتمع ، ولا يمكن بالطبع الاعتماد علي الرواية الأدبية المسيحية لأنها كما قلنا تغير كثير من التفاصيل لخدمة السياق القصصي الدرامي والشعري والديني ، ولذلك سنتجاوز هذه التفصيلة .

٢) عدد الفتية:

أولا: هذه النقطة من النقاط المهمة والتي لاقت اختلافا وجدلا بين الباحثين ، ورغم اننا لا نعرف أي من تلك الروايات الان الا ان القرآن يؤكد انها كانت محل نقاش وجدل خاصة في القرن السادس الميلادي ، وهو الامر الذي جعل مجموعة من الناس في المدينة يسألون الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم عنهم وهو ما يؤكد قرب عهدهم بعهده ويؤكد رواية القرآن من الاختلاف في امر هؤلاء الفتية فجاء القرآن ليحسم الجدل في شات هذه الأمور.

ورغم اننا لا نعرف اشهر الروايات التي تختلف في عددهم الا ان القرآن قد كشفها لنا دون الإشارة الي صاحب كل رواية، فمن الواضح انهم ثلاث اراء قوية ، الأول انهم ثلاثة ورابعهم الكلب ، والثاني انهم خمسة وسادسهم الكلب ، والثالث انهم سبعة وثامنهم الكلب،

ومن المثير ان القرآن يؤيد الرأي الأخير – حسب اجماع المفسرين- انهم سبعة وثامنهم الكلب، حيث تفصل الآيات بشكل واضح بين الرأيين الاولين بقوله (رجما بالغيب) بينما يعامل الرأي الثالث بشكل مختلف ، وهذا ما استقر عليه المفسرين ، وهو الرأي الأكثر قبولا عند المسيحيين– حتي قبل نزول الآيات – وهو المستقر عليه اليوم وواضح من عدد القبور داخل الكهف (كهف افسس وكهف الرقيم بهما ثمانية قبور) ،

ثانيا: الرقيم ، لغة هو الكتابة والنقش والتسجيل وهو اللوح المكتوب وهو لوح رصاص او نحاس كتب عليه خبر أصحاب الكهف واسماءهم وقصتهم ووضع عند باب الكهف، والحقيقة ان الكشوف الاثرية لم تجد مثل هذا اللوح في الموقع وهذا منطقي فمن الصعب بقاء مثل هذا اللوح لاكثر من الف وخمسمائة عام خصوصا ان الموقع قد تم إعادة بناءه كمزار علي مدار السنين وبناء كنائس ومزارات وإعادة بناءها.

٣) اذا هرب هؤلاء الفتية عندما كشف امرهم بعد ان اعتنقوا المسيحية ، وطالما انهم اعتنقوا المسيحية في عهد الدولة الرومانية (قبل مجمع نيقيه) فان الاحتمال الاغلب انهم اعتنقوا مسيحية المسيح الاصلية قبل ان تصبح عقيدة الثالوث هي العقيدة الرسمية وطالما ان القرآن (الرواية الإسلامية) قد اثنت عليهم فان الأكيد انهم كانوا موحدين وليسوا علي دين بولس .

عندما علموا انهم اصبحوا مطلوبين للمحاكمة هربوا الي الجبل الذي فيه الكهف غير قاصدين مكان محدد للهرب ، حيث جميع المدن المحيطة في هذا لوقت كانت خاضعة لحكم الإمبراطورية الرومانية ،

كما قلنا ان المدينة التي هربوا منها هي (فيلادلفيا) الرومانية وهي (الأردن) تحت حكم الرومان في هذا الوقت ويقع الجبل علي مسافة ٧ – ٨ كيلومترات وهو الجبل المسمى اليوم (الرجيب) شرق مدينة (عمان) والكهف محفور في السفح الجنوبي للجبل وليس في القمة .

وحسب الروايات الشعبية – غير مؤكدة – انهم ستة هربوا من المدينة والتقوا برجل سابع معه كلب وهربوا جميعا الي داخل الكهف ليقضوا الليل ثم يتابعوا هروبهم في الصباح.

وعلي الأرجح ان الملاحقة كانت من حاكم المدينة وليس من جميع الإمبراطورية.

٤) مدة النوم:

هذه النقطة الخلافية بين الرواية المسيحية والإسلامية ، حيث تقول الرواية الأدبية المسيحية كما رأينا انهم ناموا من ١٨٠ الي ٢٠٠ سنة ، بينما يؤكد اللفظ القرآني انها كانت ثلاثة قرون ..

أولا: قوله تعالي (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) : وهو إشارة الي عدم الالتفات الي الروايات غير القرآنية بشكل واضح ، فقوله (تستفت فيهم) أي في اهل الكهف ، (منهم) أي من اهل الكتاب من أصحاب الروايات السابقة علي القرآن

ثانيا: ثم يقرر بعد ذلك جملة خبرية منفصلة بقوله تعالي (ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا) وهي باتفاق اهل التفسير تدل علي المدة المذكورة بصيغة تأكيد وتقرير ولا تأويل فيها .

ثالثا: قوله تعالي : وازدادوا تسعا :

يعتبر بعض الباحثين الآية اعجازا ودقة في تحديد المدة بالتقويمين الشمسي والقمري،

فالتقويم الروماني/اليولياني (زمن القصة) يتبع السنة الشمسية والتي تساوي تقريبا (٣٦٥,٢٥ يوم) اما التقويم العربي (وقت نزولا لقران) يعتمد علي السنة القمرية وتبلغ حوالي (٣٥٤,٣٧٦)يوم تقريبا بالاعتماد علي دورة القمر ، وبالحساب الدقيق نجد ان ٣٠٠ سنة شمسية تساوي ١٠٩٥٧٥ يوم واذا قسمناها علي طول السنة

القمرية يكون الناتج ٣٩٠,٢ سنة قمرية وهو ما يدل علي دقة الرقم القرآني فما نستنتجه هنا هو انهم ناموا ٣٠٠ سنة شمسية بالضبط وما يقابلها بالتقويم القمري ٣٠٩ وهو الرقم الدقيق .

٥) الجانب العلمي : الثبات الطويل بين العلم والخرافة:

من الصعب تحديد التفسير العلمي لإمكانية النوم لمدة ثلاث قرون متتالية، ولكن رغم ذلك نجد ان القرن قد عالج واحدة من المشكلات التي قد تثور في هذا الامر ولنفصل الصعوبات المطروحة في هذه الظاهرة المعجزة..

أولا: السبات الطبيعي عند الحيوانات:

وهو ما يسمي بالسبات الشتوي ويوجد عند بعض الحيوانات مثل (السنجاب القطبي) و (الدب البني) و (الخفاش البني الصغير) ، وم يحدث هو انخفاض شديد في درجة الحرارة الجسم ، وانخفاض في ضربات القلب وبطء الأيض (التمثيل الغذائي)،

فالسنجاب القطبي مثلا يمكن ان تنخفض درجة حرارة جسمه الي -٢ دون ان يموت ،ولكن في الحيوانات يستمر هذا السبات لأسابيع او شهر واحد وليس سنوات او قرون .

ثانيا: هل يمكن تطبيقه علي الانسان:

العلماء يحاولون ذلك اليوم والفكرة هي ابطاء العمليات الحيوية جدا بحيث ان الجسم يستهلك طاقة قليلة جدا وقد تم عمل تجارب خفض درجة الحرارة الي حوالي ٣٢ درجة لحماية الدماغ بعد توقف القلب لكنها تستمر لساعات او يوم تقريبا وليس سنوات – او علي القل حتي الان.

ثالثا: لماذا لا يمكن للإنسان النوم لسنوات:

اول المشكلات هو تلف الخلايا ، فحتي لو كان الأيض بطيئا فالخلايا تتلف وتتراكم السموم ،

وثانيا الشيخوخة مرتبطة بالزمن والضرر الجزيئي مثل تلف الحمض النووي

وثالثا ضمور العضلات وفقدان العظام للكالسيوم .

رابعا: هل يمكن نظريا علي الأقل تحقيق السبات الطويل:

يوجد احتمال نظري بتقنيات مستقبلية :

الاولي _أيقاف العمليات الحيوية) : فلو استطاع العلم ابطاء الأيض ١٠٠٠ مرة وبالتالي منع الخلايا من التلف فقد يصبح النوم لعقود ممكنا ،

الثاني_ (تعديل الجينات): بعض العلماء يفكرون في نقل جينات السبات من عند الحيوانات الي البشر .

خامسا: كيف يمكن تفسير نوم اهل الكهف علميا:

يمكن وصف ما حدث وفقا للقران كما يلي :

-أيقاف الحركة الطويل: أي بقاء الجسم لقرون دون تحلل او موت وهذا يتطلب علميا ، ابطاء شديد للأيض وتوقف شبه كامل لعمليات الخلايا وهو يشابه ما يحاول العلماء تحقيقه اليوم ويسمي suspended animation وهي حالة يتباطأ فيها الجسم جدا.

-تقليب الأجساد: (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) وهي نقطة طبية دقيقة جدا فلو بقي انسان في وضع واحد سنوات يحدث (تقرح الفراش) وموت الانسجة وتعفن الجلد اما التقلب فهو يمنع ضغط الدم علي الجلد وتوقف الدورة الدموية ،

-العينان مفتوحتان : (وتحسبهم يقاظا وهم رقود) وهو يوحي بحالة تشبه غيبوبة عميقة او سبات عصبي حيث قد تبقي العين نصف مفتوحة .

-حفظ البيئة داخل الكهف : (تزاور عن كهفهم ذات اليمين ..) هذا يدل عي ان الكهف لا تصله شمس مباشرة لكنه جيد الإضاءة والتهوية وهذا يمنع ارتفاع الحرارة ونمو البكتيريا.

-دور الكلب: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) يمنع دخول الحيوانات الأخرى التي يمكن ان تؤذيهم .

اذا كيف يمكن ان نفهم ما حدث بشكل علمي نظري:

لو حاولنا بناء سيناريو علمي سيكون كالتالي: دخولهم في سبات جسم شديد يشبه سبات الحيوانات ، حيث انخفاض درجة حرارة الجسم وضربات القلب واستهلاك الاكسجين ، وبعض الحيوانات تنخفض الأيض عندهم الي ٩٥% وهو ما يمكن ان يسبب توقف شبه كامل للشيخوخة حيث يقل تلف الخلايا ،

ومن ناحية اخري فان جو الكهف من حرارة ثابتة ورطوبة مستقرة وقلة البكتيريا يساعد في حفظ الجسم .

الخلاصة : ان ما حدث ممكن علميا من الناحية النظرية حتي الان ، اذ انه لم يسجل حالة واحدة في التاريخ التجريبي قد مرت بهذه العملية بنجاح، واذا كان الامر غير ممكن علميا لما تمت دراسته ومحاولة إنجازه اليوم ، ولو قلنا ان احتمال حدوث ذلك طبيعيا هو واحد في التاريخ ، فاننا امام تلك الحالة النادرة الان .

وفي السنوات القادمة سيثبت العلم امكان حدوث ذلك .

٦) لقد هيأ الله لهم الظرف بحيث يبقي الكهف امنا لثلاثة قرون ، دون ان ينتبه احد الي وجودهم فيه ، فظلت الاعين بعيدة عن الكهف ،

لقد نام هؤلاء في النصف الثاني من يوم الهروب – غالبا بعد نزول الشمس – علي امل ان يستأنفوا المسيرة في الصباح ربما الي مدينة اخري خارج نطاق سلطة الحاكم ،

٧) لقد ناموا حول العام ٢٠٠ الميلادي في ظل الإمبراطورية الرومانية الوثنية واستيقظوا في ظل الإمبراطورية البيزنطية حوالي ٥٠٠ م ، أي في دولة مختلفة تماما عن التي عرفوها ، وقبل ان نكمل قصتهم ، حري بنا ان نستعرض بأيجاز شديد شكل الحياه في كل من الدولتين..

أولا: الإمبراطورية الرومانية ٢٠٠ م:

الدين __ الحكم الروماني وثني وكان الامبراطور يعامل تقريبا كاله وكان هناك اضطهاد شديد للمسيحيين ، وكانت المدن مليئة بتماثيل الآلهة وطقوس الامبراطور .

اللغة __ اللاتينية واليونانية ، والارامية أحيانا في الشام (غالبا في فيلادلفيا) .

شكل الملابس__ اللباس الروماني التقليدي (التوجا) و (التونيك) وكان الجنود يلبسون دروعا كلاسيكية.

شكل المدن__كانت مليئة بمعابد الآلهة مثل (زيوس) و (ارتيموس) ، والمسارح الرومانية وحمامات عامة وساحات سياسية وتماثيل وثنية في كل مكان.

النقود __كانت العملات تحمل صور الاباطرة ورموز وثنية .وكانت العملات غالبا برنزية او فضية مثل (الدينار)

ثانيا : الإمبراطورية البيزنطية المسيحية:

الدين ـــ بعد مرسوم (ميلان) أصبحت المسيحية دينا معترفا به ثم أصبحت في عهد (جستنيان) دينا رسميا للدولة ، فاغلقت المعابد الوثنية وأصبحت الكنائس مركزا للمدن،

شكل المدن ـــ كانت الكنائس البنايات الأهم والكثر رؤية وكذلك الاديرة وساحات دينية ، واصبح يري (الصليب) بكثرة وصور القديسين والمسيح واختفت معظم التماثيل الوثنية .

اللغة ـــ حدث تغيير مهم حيث أصبحت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في الإمبراطورية البيزنطية وتراجعت اللغات اللاتينية في الشرق .

شكل الملابس ـــ بيزنطية مزخرفة واقمشة حرير وتأثير شرقي واضح والصليب بظهر في الزينة.

النقودـــ بدأ يظهر رمز الصليب في العملات .وكانت غالبا ذهبية وعليها كتابات يونانية بدلا من اللاتينية .

٨) نتابع القصة ، استيقظ الفتية وقد ظنوا انهم ناموا حتي الصباح ، وقوله (يوما او بعض يوم) يدل علي انهم استيقظوا في وقت مقارب للوقت الذي ناموا فيه ، أي ربما قبل غروب الشمس بقليل ، ثم اتفقوا علي ارسال احدهم ببعض النقود سرا ، أي متخفيا، ليشتري بعض الطعام بدون ان يتم كشف امره ،

ودخل الفتي مدينة (فيلادلفيا) والتي كان يتوقع ان يكون شكلها كالتالي:

مسرح روماني كبير ومعابد وثنية وساحات عامة وطرق مرصوفة بالحجر وهو ما يتبين لنا من الاثار المكتشفة اليوم .

ولكنه فوجئ بالشكل التالي:

لا توجد معابد وثنية او أغلقت من قرون واهملت فتبدو كاثار ، مع ظهور للكنائس ورموز المسيحية ، واختفاء للتماثيل الوثنية ، كما ان لباس الناس قد تغير كليا ، كما قلنا ، إضافة الي رجال الدين بلباسهم المميز وهو امر لم يره من قبل ، كما ان لغة الناس تغيرت تماما (فيلادلفيا كانت تتحدث اللاتينية ولغات الشرق – واهم شيء هو النقود..

بعد ان حاول الشاب تدارك الصدمة ، وربما لا يزال تحت تاثيرها، دخل الي احد المتاجر وهو يكاد يفقد وعيه، وتكلم بلغته القديمة غالبا الارامية ، وهذه اللغة ستكون مفهومة بالنسبة لهم ولكن ستكون لهجتها غريبة وقديمة وغير مألوفة .

وعندما قدم له النقود من القرن الثالث، كانت تلك هي الصدمة الحقيقية.

بدأ البائع والعامة ينظرون الي ملابس الشاب ولغته الغريبة وهو امر يمكن تفسيره، ولكن النقود القديمة كانت تعتبر كنز ، لم يمر احد بالمرة انه هذا الشاب من عصر مضي ، ولكن كل ما يشغل بالهم من أين اتي بتلك العملات القديمة ، وعندما بدأ الناس يسألونه ويكلمونه ، بدأ هو يسأل عما كان يعرفه من أسماء شوارع واباطرة وحكام وأسماء اشخاص ماتوا من ثلاث قرون، وهنا بدأ الناس يرتابوا ، وبالطبع لابد ان يتجمع الناس حوله مما يثير ريبة الحراس.

وبالتالي انتهي به الامر امام الحاكم او قائد المدينة (الولاية العربية في الإمبراطورية) وكانت عاصمتها في (بوسترا) .

ان ما سيحدث هو ان الحاكم سيستجوبه عن مصدر النقود ولن يتم تصديق قصة انه من زمن قديم وكل ما يهمهم هو مكان الكنز . وفي النهاية سيدلهم علي مكان الكهف ليثبت ما يقول.

٩) وهذا قوله تعالي (وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق) والمقصود ب(يعلموا) غالبا الناس وليس اهل الكهف ، وقد حدث ان الشاب اخذهم الي مكان الكهف حيث قابلوا الفتية وتكلموا معهم وبدأوا يصدقون روايتهم، لأنها تتفق مع الدين الجديد ، والذي يعرف وجود قديسين ومعجزات واحياء بعد الموت .

١٠)انا لا نعرف علي وجه اليقين ماذا حدث بعد ذلك ، الروايات الشعبية والمسيحية تقول انهم دعوا الله ان يقض ارواحهم في الكهف ويموتوا ، ولكن القرآن لا يخبرنا بنهايتهم او وقت موتهم ، وربما عاشوا مدة قليلة في الكهف ورفضوا النزول الي المدينة ، في عالم لا يعرفون عنه شيء ولا يستطيعون احتماله ، وغالبا انهم لم يعمروا كثيرا بعد هذه اليوم وربما ماتوا بعد فترة قصيرة، وأيا كان مكان موتهم فقد تم دفنهم في الكهف بمعرفة السلطات التي اعتبرتهم قديسين واعتبر الكهف مزارا وبنيت فوقه كنيسة بيزنطية ، لازالت اثارها موجودة حتي اليوم .

الفصل الثامن عشر

محـــمـــد

الرسول الاخير

حادث الفيل

مكة في زمن النبي

البعثة والاضطهاد

انشقاق القمر

الاسراء والمعراج

دولة الإسلام في المدينة

غزوة بدر والملائكة

وفاة النبي

تعتبر سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم تحديدا الأكثر توثيقا بين الأنبياء والأكثر موثوقية من الناحية التاريخية ، من ناحية لقرب زمنها ، ومن ناحية اخري لكثرة الشهود الذين حكوا تفاصيل القصة بمئات المشاهد التي جمعها المؤرخين في زمن النبي صلي الله عليه وسلم وفي الازمان التالية مباشرة حيث تمكنوا من تدوين شهادات لاناس عاصروه وسمعوا منه وشهدوا معه المشاهد التي حكوها.

واذا كان هناك بالفعل آلاف الكتب والمؤلفات التي تحكي سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم بتفاصيل دقيقة ، فماذا يمكن ان نقدمه في هذا البحث من جديد ،

الحقيقة ان هناك الكثير، فبينما قام مئات الباحثين والمؤرخين المسلمين بحكاية سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم في كتبهم فاننا سنجد كل هذه الروايات تعتمد علي الرواية من الناحية الدينية فقط ، لا التاريخية لابحتة، فلقد تمت الكتابة عنه كنبي وليس كشخصية قيادية تاريخية فلم يتم معالجة الأحداث المعاصرة لحياته كأحداث تاريخية ، مثل واقعة الفيل ، التي عولجت علي ضوء القرآن ، كمعجزة دينية فقط

وليس كحدث تاريخي ، مما جعل البعض يشكك في الواقعة التاريخية ، وكذلك بعض الأحداث التي لم توثق الا كمعجزات مثل انشقاق القمر والاسراء والمعراج ، لم يقم أي من الباحثين بمعالجتها كحدث تاريخي او علمي.

في هذا البحث سنهتم بالجانب التاريخي والعلمي بحيث نشمل بالبحث كل تفصيلة – غير دينية – اغفلتها كتب السيرة مع الاحتفاظ بسياق القصص النبوي لسيرة النبي دون التفرع لشخصيات اخري.

أولا سنرسم صورة عامة للحياة في الجزيرة العربية والممالك التي عاشت فيها ، وثانيا لشكل حياة العرب في مكة تحديدا في هذا القرن ، وتتبع أصول النبي وعائلته ، ثم نبدأ قصة النبي بحادثة الفيل بشكل مفصل كما لم يتم بحثها من قبل، وقبل كل هذا سنلقي نظرة سريعة علي شكل القرن السادس الميلادي بنصفيه حتي نعرف في أي جو عالمي ولد النبي محمد صلي الله عليه وسلم .

القرن السادس الميلادي

النصف الأول (٥٠٠ – ٥٥٠م) :

يعتبر النصف الأول من القرن السادس الميلادي هو الأسوأ في تاريخ البشرية بحسب معظم المؤرخين والباحثين، وذلك لتراكم عدة كوارث لا تجتمع عادة ..

١) التدهور المناخي الكبير(٥٣٦م):

هذا العام هو أسوأ عام مر بتاريخ البشر ، فقد حدثت ظاهرة غامضة وصفها المؤرخون بانها (الشمس اشرقت كالقمر بلا ضوء طوال العام) وقال ذلك المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس) بسبب انفجارات بركانية ضخمة سببت غبارا في الغلاف الجوي مما ادي الي انخفاض شديد في درجات الحرارة وفشل المحاصيل ومجاعات واسعة .

٢) المجاعات العالمية:

بعد هذا العام حدثت مجاعات في أوروبا وفي الشرق الأوسط واضطرابات في الصين بسبب قلة الضوء وبرودة المناخ ،

٣)الطاعون الأعظم (٥٤١م):

في سنة ٥٤١م بدأ اخطر وباء في ذلك العصر وهو (طاعون جستنيان) والذي انتشر في مصر والشام والاناضول وأوروبا ويقدر انه قتل عشرات الملأيين وربما ثلث سكان البحر المتوسط .

٤) الحروب الكبرى:

اندلعت حروب شديدة بين الإمبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية (الساسانية) والتي استنزفت الاقتصاد والسكان .

النصف الثاني من القرن السادس الميلادي (٥٥٠ – ٦٠٠م):

١) استمرار الطاعون وقدكان يعود في موجات متتالية ولا يختفي،

٢) تحركات الشعوب والهجرات مثل (آلافار) و (السلاف) الذين دخلوا البلقان وغيروا التركيبة السكانية لأوروبا الشرقية.

والامر المثير ان تلك الأمور خاصة الطاعون والمجاعات بدأت تقل في نهاية القرن وبداية البعثة الإسلامية .

□شكل الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي

١) شمال الجزيرة (الحجاز وتهامة و نجد) :

كانت مجموعة قبائل مستقلة مثل (قريش) في مكة ، و(بنو تميم ، بنو هاشم ، بنو جزيمة وغيرهم في الحجاز) ، لا وجود لدولة مركزية كبيرة بل تحالفات قبلية غالبا للحماية والتجارة ، وكانت مكة والمدينة مركزان مهمان للتجارة بين اليمن والشرق الأوسط وشبه الجزيرة .

٢)جنوب الجزيرة (اليمن الحالي) : مملكة حمير أصبحت قوة الرئيسية في جنوب الجزيرة ، اما مملكة سبا وحضرموت كانت تحت ضغط داخلي وخارجي ، وكان الجنوب عموما متصل بالبحر الأحمر وله علاقات تجارية مع الحبشة ومصر.

٣) الحبشة: الاسم التاريخي (مملكة اكسوم) وهي اثيوبيا الحالية ، وكانت في اقوي فترة لها في القرن السادي وكانت قوة بحرية وتجارية كبيرة وكانت تحكم مناطق تضم اثيوبيا الحالية واريتريا وأجزاء من اليمن (صنعاء) وكانت ديانتها المسيحية الارثوذكسية منذ القرن الرابع الميلادي، وهناك علاقات تجارية مع العرب عبر البحر لاحمر مع تداخلات عسكرية مثل ما حدث في اليمن عندما استولي بعض حكام الحبشة علي مناطق جنوبية .

٤) البيزنطيون: سيطروا علي الشام وأجزاء من العراق .

٥) الفرس الساسانيون: سيطروا علي أيران والعراق الشرقي .





الشكل (٢-٤): خريطة الممالك العربية المتحالفة مع الروم والفرس.

مكة عبر التاريخ

١) تقع مكة في الحجاز بين تهامة ونجد علي طرق التجارة بين اليمن والشام والحجاز ، وكانت دائما مركزا تجاريا ودينيا منذ القرون القديمة بسبب الكعبة والتي اعتبرت منذ عهد النبي اسماعيل عليه السلام قبلة للحج والعبادة بين دين التوحيد في عصر اسماعيل عليه السلام وما بعده ثم عبادة الاصنام التي استمرت حتي الفتح الإسلامي ،

٢)كانت مكة تدار بنظام قبلي غير مركزي ، فكل قبيلة لها نفوذ ودور محدد ،

أولا: الحكم : عبارة عن مجلس شيوخ من كبار القبائل (الزعماء وكبار التجار) ، وكانت (قريش) هي القبيلة المسيطرة والاهم لكنها ليست الحكومة بالمعني الحديث بل تحالف قبلي يحافظ علي الامن والتجارة ،

وكان الحكم يقوم علي حفظ الامن الداخلي والتجاري وإدارة الحج والدفاع عن المدينة ضد القبائل الخارجية .

ثانيا: القبائلا لمسيطرة:

قريش كانت الرئيسية وتتفرع الي عدة بطون متعددة أهمها:

-بني هاشم . لهم مكانة دينية خاصة (حماية الكعبة وحفظ امانة الحج).

-بني عبد شمس ، بني مخزوم، بني تيم: لهم أدوار في التجارة والحماية العسكرية .

ثالثا: الحج وادوار القبائل:

كان الحج هو اهم حدث ديني وتجاري في المنطقة وكان يتم تقسيم أدوار القبائل كالتالي:

- حماية الكعبة وضمان امان الحجاج من الاعتداءات: بني هاشم ، بني عبد مناف

-تنظيم مواسم الحج وتحديد مواعيد الطواف وتنظيم الميقات وحفظ النظام: قريش عامة

-الخدمات والضيافة وتقديم الطعام والاشراف علي القوافل: قبائل مكة الأخرى.

-التجارة اثناء الحج واستغلال وجود الحجيج لتعزيز التجارة : تجار قريش.

وكانت كل قبيلة تحصل علي امتيازات مقابل الخدمة مثل نسب من التجارة او احترام نفوذها في المدينة وهذا النظام ساعد علي استقرار مكة سياسيا واقتصاديا رغم غياب الدولة المركزية.

والسيطرة علي الكعبة كانت هي السبب في نفوذ قريش تحديدا في مكة .

☐ الدين في مكة

كان الدين في مكة في القرن السادس الميلادي مزيجا من بقايا ديانة ابراهيم عليه السلام عليه السلام (الحنفية) مع الوثنية العربية التي دخلت لاحقا وكانت الكعبة مركزا دينا لكل قبائل العرب تقريبا.

١) طبيعة الاعتقاد في مكة:

العرب كانوا يعتقدون بوجود خالق اعلي لكنهم يعبدون اصناما وسطاء بينه وبينه (ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي- الزمر ٣) ، أي ان الاصنام كانت تمثيلا لقوي الهية ، وكانت العبادات تشمل الطواف بالكعبة والذبح والنذور والاستقسام بالأزلام والحج والعمرة والتلبية لكن مع ادخال اصنام متعددة ،

ويمكن تقسيم الآلهة عندهم الي ثلاث طبقات :

أولا: الله الأعلى وهو الخالق

ثانيا: الهة كبري وهي : هبل واللات والعزي ومناة ،

ثالثا: الهة قبلية : لكل قبيلة صنمها الخاص مثل : ود وسواع ويغوث.

٢)اصل دخول الاصنام الي مكة :

تذكر المصادر ان الذي ادخل الوثنية الي مكة هو (عمرو بن لحي الخزاعي) زعيم خزاعة الذي كانه يحكم مكة قبل قريش وقد جلب (هبل) من الشام ووضعه في الكعبة . والحقيقة ان توثيق هذه الأحداث ليس مؤكدا ولكنه علي الاغلب صحيح فمن المعروف في تاريخ العرب ان مكة حكمت من قبل قبيلة (جرهم) ثم انتزعت بالقوة من قبيلة (خزاعة) والتي حكمت قبل قريش في حوالي القرن الرابع الميلادي ولكن غير مؤكد ان تاريخ (هبل) وعبادة الاصنام يرجع الي هذا الزمن .

٣) اهم الهة مكة :

-هبل : اكبر صنم في الكعبة وهو تمثال من العقيق الأحمر موضوع داخلا لكعبة ومعه ٧ ازلام للاستقسام وكانت قريش تستقسم عنده في الزواج والسفر والحرب النسب وكان يخدمه بعض بطون قريش .

-اللات: صنم كبير في الطائف وتعبده قبيلة (ثقيف) بشكل أساسي ووظيفته في العقيدة الهة الخصوبة والهة الطعام وكان لها بيت مثل الكعبة .

-العزي: معبدها في واد بين مكة والطائف يسمي (نخلة) وترتبط بها قبائل: قريش وكنانة وكانت اعظم الاصنام عند قريش بعد هبل.

-مناة: اقدم الاصنام ومكانها قرب البحر الأحمر بين مكة والمدينة وتعبدها من القبائل: الاوس والخزرج وغسان ، ووظيفتها الهة القدر والمصير وكان الحجاج يحلقون رؤوسهم عندا .

ويذكر ان الاصنام التي كانت داخل الكعبة حوالي ٣٦٠ صنما من اشهرها : اساف ونائلة وموضوعان عند الصفا والمروة ،

-ود : وعبده بنو كلب وكان يمثل اله الحرب ،

-سواع : تعبده قبيلة هزيل

-يغوث: عبدته قبيلة مراد

-يعوق: تعبده همدان

-نسر : تعبده حمير ، وهذه الاصنام الخمسة مذكورة بالقرآن في سورة نوح وواضح انهم باقين منذ زمن طويل جدا وانتقلوا من بلاد بين النهرين .

٤) خدمة الكعبة والطقوس بين القبائل:

أولا: السدانة : وهي حراسة الكعبة كانت عند (بنو الدار) .

ثانيا: السقاية (سقاية الحاج) : عند العباس بن عبد المطلب من بني هاشم

ثالثا: الرفادة وهي اطعام الحاج: عند بني هاشم وكان يقوم بها سابقا عبد المطلب بن هاشم

رابعا: الوادة وهي قيادة الحرب :كانت عند بني عبد الدار

خامسا: دار الندوة وهي مقر حكم مكة :كانت بيد قصي بن كلاب ثم ذريته .

٥) الديانات الأخرى في مكة:

رغم سيطرة الوثنية كان يوجد ديانات اخري بشكل قليل مثل:

الحنفاء : وهم من بقي علي ديانة التوحيد منذ عهد اسماعيل عليه السلام مثل (زيد بن عمرو بن نفيل) .

النصرانية: المسيحيين من العرب .

اليهودية: كانت اكثر انتشارا في يثرب.

☐ عبد المطلب ومكانته

١) هو عبد المطلب بن هاشم (بني هاشم) بن عبد مناف بن قصي، ينتمي الي قبيلة قريش ، فخد بني هاشم احد أفخاذ قريش المهمة.

من ابرز شيوخ مكة في القرن السادس الميلادي ويحظى باحترام القبائل الأخرى لأنه حامي الكعبة ووريث منصب رعاية الحج، وكان زعيما روحيا واقتصاديا في مكة قبل الإسلام .

ينسب اليه بناء بئر (زمزم) بعد ان انقطع الحفر وضاع الماء وهذه خطوة عززت مكانته في مكة بشدة ،

٢) أبناء عبد المطلب:

أبو طالب : وريث العهد من ابيه وانجب كل من : علي ، عقيل، جعفر، العباس.

عبد الله: والد النبي .

العباس: وأولاده هم ، عبد الله ، الفضل

زيد: لا تذكر المصادر أولاده

المطلب: بعض المصادر تذكره كفخذ ثانوي في مكة

قثم ،حي ، فالح: أيضا لا يوجد عنهم معلومات مؤكدة.

أبو لهب : وأولاده عتبة وعتيبة وفهيم .

عام الفيل

يرجح انه هو العام الذي ولد فيه النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، وهو الذي حدث في بدايته الحادث المشهور والمسجل بالقرآن والذي يعتقد انه بين عامي ٥٧٠ و ٥٧٥ م .

١) اثيوبيا : الجيش الغازي:

الدولة الحاكمة في اثيوبيا في هذا التاريخ تحديدا كانت تسمي (مملكة اكسوم) وقد حكمها في تلك الفترة تحديدا اثنان من الملوك:

-(وازنا) ٥٥٠ – ٥٧٠ م ونعرفه أساسا من العملات التي سكت باسمه في تلك الفترة .

-(الا جاباز) ٥٧٠ – ٥٨٠ م ، وتظهر أسماءه في النقوش والعملات الاكسومية .

كان اثيوبيا في هذا الوقت قوة إقليمية كبيرة خصوصا في البحر الأحمر ، وكانت نفوذها يمتد الي اثيوبيا واريتريا وسواحل السودان واليمن ، وقد بدأ تدخلها العسكري في اليمن حوالي ٥٢٥م من الملك الاكسومي الشهير (كاليب) وهو الذي اسقط مملكة (حمير) وقد حكم اليمن بواسطة قائد حبشي اسمه (ابرهة) وهنا يظهر الاسم الأشهر والمرتبط بحادث الفيل.

و(ابرهة) ليس ملك الحبشة ولكنه قائد جيش وحاكم علي اليمن باسم اكسوم في الفترة ما بين ٥٣٥ الي ٥٧٠م وفي عهده أصبحت اليمن شبه دولة مستقلة لكنها مرتبطة باكسوم سياسيا.

٢) القائد:

هو (ابرهة الاشرم) وهو شخصية تاريخية مؤكدة بهذا الاسم وهو قائد عسكري حبشي ثم اصبح حاكم اليمن لصالح اكسوم بين ٥٣٥ و ٥٧٠م تقريبا ، وقد ظهر اسمه في النقوش السبئية في اليمن أهمها نقش(بئر المريغان) والمؤرخ ٥٥٢م ويتحدث عن حملة عسكرية قام بها ابرهة ضد قبائل عربية في شمال الجزيرة (قبائل معد) .

وسمي الاشرم لشق علي انفه وهو كنية وليس اسم ، وفي النقوش السبئية يعرف بأسماء إضافية مثل zybmn/zbymn

وقد وصفه المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس) بانه كان عبدا سابقا لتاجر روماني في ادو ليس ، وهذا غير مؤكد ولكن ما يستفاد انه كان موثقا ومذكورا في المصادر التاريخية المعاصرة ،

اما المصادر الاثرية فنجد اسمه منقوشا في (نفش سد مأرب cih541 الذي يرجع لعام ٥٤٨موكتب باللغة السبئية يوثق إصلاحات اجراها ابرهة علي السد واستقباله وفودا دبلوماسية من الحبشة وبيزنطة وفارس والغساسنة ، وكذلك نجد اسمه في نقش مريغان ٥٥٢م ويؤرخ انتصاره علي قبيلة معد ووصوله للمدينة المنورة ، ونجد اسمه أيضا في نقش ثالث والمثير وجود نقوش لأفيال علي صخور في ــبئر حمي) اكتشفت عام ٢٠١٤م يذكره مع رسمة لفيل يرجح انه شوهد في موكبه ، وفي عام ٢٠٢٥م نشر الباحثان (كريستيان روبان) و(زاهر عاطف) نقشا جديدا امر ابرهة بكتابته مع ذكر فيلة .

كان ابرهة في البداية حاكم اليمن لصالح اكسوم ، ثم قاد انقلابا واستولي لنفسه علي حكم اليمن واعلن نفسه ملكا وهو امر يحدث كثيرا في تلك العصور وما قبلها تماما كما فعل (بطليموس) عندما استقل بمصر عن الإمبراطورية اليونانية بعد موت الاسكندر.

ويعطينا هذا إشارة عن عقلية ابرهة وشخصيته المتسلطة والمتعالية ، وقد حاولت اكسوم عزله بالقوة ولكنها فشلت واعترفت به ملكا علي اليمن لاحقا مما يدل علي قوته .

تذكر المصادر الإسلامية انه بني كنيسة في صنعاء اسمها (القليس) وجعلها مركزا للحج بدلا من الكعبة ، لكن للأسف لا يوجد نقش او دليل اثري علي ذلك .

ما نعرفه انه قاد بعد ذلك حملات عسكرية في انحاء الجزيرة ووصل لمناطق مثل نجد ووسط الجزيرة ويمكن ان نستنتج انه من المنطقي ان يصل الي مكة كونها مركزا دينيا واقتصاديا هاما في الجزيرة العربية اذا كانت لديه مثل تلك الميول التوسعية او أراد اخضاع العرب من حوله.

٣) الحملة:

أولا: النقوش اليمنية التاريخية تثبت وجود حملات عسكرية في الجزيرة العربية ضد قبائل عربية شمال اليمن ولكن لا يوجد نقش صريح يذكر مكة او الكعبة ، ومع ذلك اكتشف حديثا نقش يذكر الفيلة في الجيش وهو ما قد يرتبط بتلك الحملة .

ثانيا: الشعر الجاهلي دون هذه الحملة قبل الإسلام وهو ما ذكره شعراء مثل:

-أبو قيس ابن الاصلت

-امية بن ابي الصلت ، وقد ذكر هلاك جيش ابرهة .

ثالثا: طريق الحملة الطبيعي:

الطريق التجاري المشهور والمعروف في هذا الوقت بين اليمن ومكة هو (طريق البخور) والذي كان يربط الحجاز والشام واليمن ، ومن المعقول اذا خرجت الحملة من صنعاء – عاصمته وقتئذ – ستمر عبر نجران ثم بيشة ثم الطائف ثم مكة ، وهو طريق مستخدم منذ قرون .

رابعا: الفيل:

لقد كان الفيل معروفا تاريخيا في جيش اكسوم ، وبعض النقوش اليمنية في عهد ابرهة تذكر كلمة فيل في سياق عسكري .

واذا كان هذا صحيحا انه علي الاغلب سيكون الفيل الأفريقي الموجود طبيعيا في اثيوبيا والسودان وهو مستخدم من قبل حضارات قريبة مثل (هانيبال) في حروبه ضد روما .

٤) سبب الغزو:

ان السبب المنطقي التاريخي لغزو ابرهة لمكة يتلخص في عدة نقاط:

أولا: السيطرة علي طريق التجارة : وهو الأكثر منطقية عند المؤرخين ، فقد كان يحكم اليمن التي تعتمد تجارتها علي طريق اليمن والحجاز والشام ، ومكة كانت تقطه مؤثرة علي هذا الطريق اذ ان السيطرة عليها تعني السيطرة علي القوافل وفرض ضرائب علي القوافل والحجاج ووضع القبائل تحت نفوذه ،

ثانيا: اخضاع القبائل الشمالية: فالنقوش تثبت انه كان يحاول اخضاع القبائل العربية وقد كانت مكة مركز قبلي مهم ورمز لقريش وعليه فان ضرب مكة قد يكون رسالة سياسية لبقية القبائل.

ثالثا: المنافسة الدينية والاقتصادية:

اذا صحت الرواية عند مؤرخي الإسلام انه أراد تحويل المركز الديني من الكعبة الي كنيسته (قليس) لتحويل التجارة والنفوذ الديني اليها ، فربما كان يريد فرض الدين المسيحي بالقوة وانهاء قوة الكعبة كمركز وثني لعبادة الاصنام في هذا الوقت .

رابعا: حادثة استفزاز او صراع قبلي:

بعض الروايات العربية تذكر ان عربيا من قريش او الحجاز دخل الكنيسة ودنسها ولا يوجد دليل علي ذلك. ولكن فكرة ان حادث بعينه استفز ابرهة وعجل بالغزو ليست بعيدة عن المنطق.

٥) إمكانية الحملة:

أولا: المسافة من صنعاء الي مكة حوالي ٨٥٠ – ١٩٩٩ كم لكن الجيوش القديمة لم تكن تمشي في خط مستقيم بل عبر طرق القوافل المعروفة ،

ثانيا: لم يكن الطريق كله صحراء رملية بل كان الطريق بين اليمن ومكة جبالا (جبال اليمن) وهضاب عسير واودية الحجاز وليس صحراء الربع الخالي كما يظن البعض، وعلي ذلك فان الطريق كان يمر بنجران وبيشة والطائف وهذه مناطق فيها اودية وزراعة وابار ولهذا استخدمت منذ آلاف السنين في التجارة وهذا الطريق هو جزء من طريق البخور .

ثالثا: الماء: لان طريق القوافل يعتمد علي سلسلة من الابار والواحات ، مثل : واحة نجران واودية بيشة وابار الطائف وابار مكة وقد كانت القوافل تمر بهذا الطريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا ولو لم توجد مياه لما استخدم هذا الطريق .

رابعا: الفيل يمكنه ان يقطع تلك المسافة في هذا الطريق نظريا علي النحو التالي:

الفيل الأفريقي يمكنه السير يوميا ٢٠-٣٠كم ويحتاج الي ١٠٠-٢٠٠لتر من الماء يوميا بجانب ١٥٠ كجم من النباتات وعلي ذلك يمكن ان تستغرق الرحلة حوالي ٣٠ يوما وهو ما قد يقدم عليه حاكم مغرور مثل ابرهة اذا أراد السيطرة علي مكة بأي وسيلة وهي حملة تستحق العناء لما ستعود عليه من فوائد جمة كما ذكرنا.

وهناك امثلة تاريخية لرحلات بجيوش تحتوي علي فيلة لمسافات مماثلة ، اشهرها جملة الجنرال القرطاجي (هانيبال) والذي قاد فيلة عبر اسبانيا وجبال الالب لحوالي ١٥٠٠ كم رغم ان كثير منها مات في الطريق ولكن إصرار قائد الحملة هو الذي يحدد اذا كان الحملة ممكنة ام لا.

٦) شكل الجيش:

يمكن تخيل شكل وعدد هذا الجيش وفقا لحملات ابرهة نفسه في المنطقة والموثقة اثريا..

أولا: العنصر الأساسي : الفيلة وهو فيل افريقي غالبا ثلاثة او اقل ، وقد كانت عنصر اكسومي اصيل في الجيش ويعتقد انها استخدمت في الحروب مع اليمن لزرع الرعب في قلوب الجيش وكسر الاسوار.

ثانيا: المشاة الحبشية : النواة الاكسومية للجيش من محاربين متمرسين ذوو تجربة في حروب الهضبة الأفريقية .

ثالثا: مرتزقة يمنيون: بعد سنوات من حكمه لليمن سيعتمد بشكل أساسي علي عدد من قبائل يمنية موالية خاصة من همدان وكندة ومذحج لدرايتهم بطبيعة الارض الصحراوية والحروب العربية .

رابعا: الخيالة: عنصر أساسي خاصة في حروب الصحراء والحروب مع العرب.

خامسا: المنطق التاريخي والجغرافي في المنطقة يجعل العدد المرجح للجيش بين ٥ الي ١٥ الفا ، لان التضاريس والمسافة لا تدعم تحمل امداد عدد كبير ، اضافة الي حمل الفيلة ، كما ان الحرب ضد مكة لم تكن تحتاج اكثر من ذلك في هذا الوقت خاصة ان جيش ابرهة له سمعة مرعبة ستسبقه الي مكة لتهزم جيشها قبل وصول جيش ابرهة .

٧) احداث الغزو:

عندما وصل الجيش الي مشارف مكة وقد علم بالتأكيد أهلها باخبار الحملة قبل وصولها ، وبحسب المصادر الإسلامية – فانهم لم يحاولوا التصدي او الحرب ولم يشكلوا جيشا للدفاع بل تذكر المصادر ان عبد المطلب بن

هاشم – سيد مكة في هذا الوقت – قال : ان للبيت رب يحميه ، وعلي ذلك كان عليهم ان ينتظروا حماية الرب لمكة .

٨) فناء الجيش وفقا للقران : في سورة الفيل يصف القرآن طريقة هلاك الجيش عن بكرة ابيه بطريقة تشبه احداث عذاب العرب البائدة في قصة قوم عاد او لوط او ثمود ، والوصف القرآني يتلخص في الاتي..

أولا: طير ابابيل: وابابيل هي جمع وتعني مجموعات واسراب متتالية ، ورغم ان البعض يحاول تفسير الامر انه وباء او مرض مثل (طاعون جستنيان) الا ان اللفظ القرآني كان محددا بالطير وهو – ان لم يكن من الطيور – فعلي الأقل يعني كائنا يطير وليس ريحا او فيروسا او بكتيريا ، فالطير يعني شيئا يمكن للناس رؤيته والا فلا تكون هناك معجزة او عبرة،

ثانيا: ترميهم : واللفظ واضح انها تلقي عليهم من اعلي وليس تصيبهم بمرض .

ثالثا: حجارة من سجيل : وهي كما قلنا من قبل تعني الطين المحروق الصلب (مثل الفخار) وهو ما يفسد افتراض الوباء بانواعه اذ لم يفسر لنا ما هو الحجارة من سجيل.

رابعا: للأسف قيدتنا الرواية القرآنية بتحديد دقيق لا يقبل التأويل ، فالصفات واضحة واصبح علينا الان ان فسرها بشكل منطقي وعلمي دون الخروج عن اطار النص القرآني مع استبعاد افتراض الوباء ..

التفسير العلمي :

أولا: الطير : لمعرفة نوع الطير يمكننا ان نبحث أولا عن الطيور التيعرف عنها سلوك رمي الأشياء من اعلي والحقيقة انه هناك عدة طريق تفعل ذلك..

-النسر الملتحي : اشهر طائر معروف باسقاط الأشياء عمدا ، فيحمل العظم في منقاره ويرتفع الي ما قد يصل ٥٠ -١٥٠ مترا ويسقطه علي الصخور ليتكسر ثم يتزل ويأكل النخاع بداخل العظم. وهذا السلوك معروف علميا (التغذية بالاسقاط).

-الغربان: من اذكي الطيور وتستخدم طرقا عدة لاسقاط الأشياء مثل الجوز او المحار علي الصخور لكسره وسجل أيضا انها ترمي الحجارة في الماء لترفع مستواه للوصول للطعام.

-الغراب الأسود الكبير : سلوكه قريب من الغراب العادي وسجل أحيانا يرمي بالعظام من ارتفاع لكسره كما لوحظ أيضا انه يسقط أشياء علي الحيوانات والبشر عمدا لإبعادهم عن العش.

-النورس: تستخدم الاسقاط خصوصا مع المحار والقواقع.

-العقاب: سجلت أحيانا تسقط فرائسها من ارتفاع مثل السلاحف .

ومن هذه الأنواع نجد فقط بعضها يعيش في اسراب كبيرة مثل: النورس ولكنها لا تبتعد عن الماء ولا تعتقد وجودها في مكة ابدا ، اما الغربان فموجودة بكثرة في الجزيرة العربية ويمكن ان تتحرك في اسراب خصوصا عند الطعام ولكنها ليست اسرابا ضخمة مثل الطيور المهاجرة، ولا نجد ذلك بالنسبة للنسر الملتحي او العقبان.

واذا افترضنا ان جيشا من خمسة الي خمسة عشر الفا يتم اهلاكه بهذه الطريقة فاننا سنحتاج حوالي ١٥ الي ٤٥ الف طائر في السرب ، او اسراب متعاقبة، والحقيقة ان هذا ليس عددا خرافيا لسرب طيور ، في الجزيرة العربية توجد اسراب بهذا العدد بل واكبر من ذلك ، مثل:

-الغربان الصحراوية تتحرك أحيانا في جماعات كبيرة حول الطعام .

-الزرزور: اسراب تصل للأيين أحيانا لكن لم يعرف انها تحمل أشياء اثناء الطيران.

ولذلك نرجح ان تكون غربان لأنها ستحمل حجارة اكبر حجما قادرة علي قتل انسان .

ثانيا: الهجوم :

وفقا لوصف القرآن فان الطيور باعداد كبيرة (٤٥ الفا كما قلنا) وهي (ابابيل) أي اسراب متعاقبة وليست كلها دفعة واحدة ، فيمكننا ان نفهم ان ما حدث كان مجموعات كل مجموعة من ٥٠٠ الي ١٠٠٠ من الغربان ، وهذا الحدث سيكون استثنائي وغير معتاد بالنسبة لسلوك الغربان لكننا نتحدث بالفعل عن حدث غير مالوف وغير متكرر ، وهذا آلافتراض يتيح إمكانية مرور السرب والقاءه ما بيده من حجارة ثم الذهاب لالتقاط حجارة اخري ويعود ليلقيها وهذا يجعل العدد الكلي المطلوب ٥٠٠٠ طائر وهو معقول جدا ومنطقي بالنظر للغربان خصوصا ، وهو عدد كافي لقتل جيش مكون من ١٠ آلاف فرد اذا كان سيهجم علي دفعات متتالية ومتكررة .

الهلاك: كيف يمكن للحجارة ان تقتل جيشا كاملا..

عند سقوط جسم صغير من ارتفاع فان التاثير يعتمد علي وزن الجسم (٣٠-٥٠جرام) والارتفاع، وبالتأي اسرعة النهائية التي يصل اليها الجسم عند السقوط وأخيرا نقطة الإصابة (الراس).

فلو كان السقوط من ١٠٠ متر افتراضا ان وزن الحجر ٥٠ جراما ستكون السرعة حوالي ١٨٠كم/س وهي تقترب من سرعة كرة بيسبول قوية تصيب راس لاعب وهي كافية لقتل مباشر لو كانت إصابة في الراس او احداث جروح بالغة في الجسم ، واذا تخيلنا لامشهد الكامل فان هناك حوالي ٥٠٠٠ طائر يلقي ٥٠٠٠ حجرا صلبا (كرة بيسبول) من ارتفاع عالي جدا فان الحجارة ستسقط كالسيول من ارتفاع وهذا الوصف قادر علي إبادة جيش كامل في غضون ساعات قليلة .

يصف لنا اقران المشهد النهائي بقوله تعالي (فجعلهم كعصف مأكول)، والعصف هو ورق الزرع او التبن اليابس بعد الحصاد – ابن عباس، ومأكول أي ما اكلته الدواب وبقي منه المفتت ، والقصد ان أجسادهم

صارت مفتتة مثل بقأيا الزرع بعد اكل الدواب ، وهذا الوصف يتوافق مع الفرضية التي طرحناها لكيفية حدوث الهلاك ، فاذا تخيلنا آلاف الأحجار المندفعة بقوة من السماء كالقذائف وما يمكن ان تفعله باجساد البشر ، تماما مثلما تفعل المدافع من العصور الوسطي والتي ستمزق الأجساد بشكل عشوائي ، وبعد المعركة ستري اجسادا بالآلاف ملقاة فوق بعضها ، ليس فيها جسد واحد كامل ، أي ستبدو كأنها بقأيا ثمرة مأكولة بعضها فقد نصفه وبعضها بقي منه الفتات ، وكلهم قد مزقته القذائف وبدا كالمصفاة .

ويذكر أخيرا ان هذه الحادثة كانت نهاية ابرهة والذي يرجح انه – وفقا للحملات السابقة – كان يسير علي راس الجيش ، ومن المثير ان المصادر التاريخية تؤرخ نهاية فترة حكمه بنفس العام ٥٧٠ – ٥٧٢م كما ان نهاية دولته أيضا كانت في نفس العام عندما استعان العرب بقيادة (سيف بن ذي يزن) بالامبراطورية الساسانية لأنهاء الوجود الحبشي في اليمن فارسلوا جيشا بقيادة (وهرز) والذي هزم ابن ابرهة الذي تولي بعده وهو بداية التبعية اليمنية للفرس والتي استمرت حتي الفتح الإسلامي.



طريق ابرهة المعروف قديما والذي سلكه الجيش من اليمن الي مكة



كنيسة) قليس (التي بناها ابرهة في صنعاء ولازالت اثارها موجودة الي الان

□ مكة قبل ولادة الرسول صلي الله عليه وسلم

١) سادة مكة في عام ٥٧٠م :

عبد المطلب بن هاشم : السيد الأعلى لقريش ومكة

حرب بن امية : (بنو عبد شمس /امية) وهو من كبار زعماء قريش وقاد بني عبد شمس في حرب الفجار وخلف عبد المطلب في قيادة الحرب .

الرفادة: المطعم بن عدي (بنو نوفل)

السدانة والحجابة: عكرمة بن هاشم ، (بنو عبد الدار)

قيادة الفرسان : الوليد بن المغيرة (بنو مخزوم) ، مخرمة بن نوفل (بنو اسد)

المشورة: خويلد بن اسد (بنو اسد) والد خديجة زوجة الرسول صلي الله عليه وسلم

الديات: عبد الله بن جدعان (بنو تيم)

السفارة: بنو عدي

الحكومة والأيسار : بنو سهم/جمح

وكان الصراع مشتد بين أولاد عبد الدار واولاد عبد مناف وانقسمت القبائل القرشية فوقف بنو اسد وزهرة وتيم والحارث مع بني عبد مناف بينما وقف بنو مخزوم وجمح وعدي وسهم مع بني عبد الدار وسمي الفريق الأول (المطيبين) لأنه غمسوا أيديهم في جفنة طيب والثاني (اللعقة) او (الاحلاف) لأنهم غمسوا أيديهم بالدم ،
وكانت بني مخزوم في ثروتها وعدتها وباسها من اقوي البطون القرشية لكنها لم تستاثر بالزعامة لأنها كانت تنافس بني هاشم وبني امية وبني عبد الدار معا – المصدر ابن إسحاق وابن هشام والطبري .

٢) الحياة في مكة ٥٧٠م:

أولا: البيوت والعمارة:

علي الرغم مما حظي به اهل مكة من ثراء تجاري الا انه لم يذكر بناء القصور او الدور الفخمة وكانت مواد البناء هي المدر – الطين المتماسك اللزج – والحجارة اما الاسقف فكانت من خشب الدوم والاثل وجريد النخل وشجر الاذخر،

وكانت مكة من المدن الحضرية التي يسكنها التجار وأصحاب الحرف وكانت حياة سكانها اقل قسوة من حياة البدو الرحل فسكنوا بيوتا حجرية ولبسوا ثياب فاخرة واكلوا اللحم ، وكان التمييز الجغرافي واضح داخل مكة ، بيوت اعيان قريش في المناطق المحيطة بالكعبة مباشرة بينما يسكن الفقراء والموالي والعبيد في اطراف المدينة .

ثانيا: الطبقات الاجتماعية:

كان المجتمع منقسما الي طبقات متنوعة اعلاها الملوك والاسياد والرؤساء والاشراف والاحرار ومن كان ينحدر من سلالة طاهرة ، وادناها العبيد والاماء وكان اهل الجاهلية أحرارا وعبيدا يستوي في ذلك الاعراب واهل المدر فالحر يتصرف بأموره كما يشاء اما العبد فأمره بيد مالكه.

وكانت هناك فئة تسمي (الصعاليك) وهي الطبقة الثائرة وهم فئة لا تملك شيئا من وسائل الإنتاج تمردت علي الأوضاع الطبقية وشنت عليها الحرب بخروجهم افرادا عن قبائلهم باختيارهم وتجمعهم علي اختلاف اصولهم في عصابات مسلحة واطلق عليهم العرب (الذؤبان) وابرزهم (عروة بن الود) و (تأبط شرا) و (الشنفري) وهؤلاء تركوا شعرا لايزال يدرس حتي اليوم.

ويوجد أيضا طائفة (الموالي) وهو فئة متوسطة بين الاحرار والعبيد ، وهم المحررون الذين اعتقوا لكنهم ظلوا مرتبطين بمواليهم اجتماعيا وكان وضعهم هشا ، فهم احرار قانونا لكن محدودون الحراك اجتماعيا .

وأخيرا العبيد: وهذا الجانب موثق بشكل جيد جدا ، وتم جلبهم للعمل في الرعي والزراعة والحراسة التجارية وهي اعمال مهينة يأنف العرب ممارستها ، وقد سكنوا اكواخا حقيرة وعاشوا بضنك منجية الحرمان والجوع وجردوا من جميع الحقوق وفرضت عليهم واجبات مرهقة سلبتهم انسانيتهم ، فليس للعبد ان يتزوج الا بإذن سيده علي ان يتزوج فقط من عبدة مثله ، وغالبا يكون مصدرهم اما العمل في الاعمال الحقيرة لفقرهم واما الاسر من الحروب.

٣) الاخلاق في مكة:

كان التفاخر بالتسبب ابرز تلك الطباع ، فالتفاخر بالإباء والبطون والمآثر ،

ومن الرذائل الموثقة لديهم :

أولا: وأد البنات: وهي ظاهرة موثقة في المصادر والقرآن ولم تكن عارمة لكل الناس بل غالبا مرتبطة بالفقر او الخوف من العار.

ثانيا: الخمر والميسر: كانت من السلع التي يتنافس عليها الأغنياء المنسوجات النفيسة كالديباج والاستبرق والخمر التي كانت جزءا من حياة النخبة اليومية .

ثالثا: الربا : الاستغلال الاقتصادي من الربا والاحتكار التجاري كان منتشرا وسط الأثرياء ويمارس خصوصا علي الفقراء.



موقع دار الندوة مقر حكم مكة وقد دخل اليوم ضمن ساحة المسجد الحرام

□ مولد الرسول صلي الله عليه وسلم

١) والدة الرسول صلي الله عليه وسلم :

هي امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ومن جهة أمها هي ابنة برة بنت عبد العزي من بني عبد الدار،

نشات في اسرة عريقة النسب واتسمت بالبيان وعرفت بطلاقة اللسان ورباها عمها وهيب بن عبد مناف وكانت تعرف (بزهرة قريش) وهي من بنات اعمام عبد الله بن عبد المطلب زوجها اذ يلتقي نسبهما عند كلاب بن مرة.

٢)والد الرسول صلي الله عليه وسلم:

عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة وكان يلقب (أبو قثم) . وامه فاطمة بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم وانجبت لعبد المطلب ثلاثة من الذكور هم أبو طالب ، والزبير وعبد الله الذي ولد حوالي ٥٤٥م وهو الابن الأصغر والاحب لابيه.

حادث الذبح: وهو وفقا للمصادر الإسلامية فقط ، ان عبد المطلب نذر ان وهبه الله عشرة من الأولاد ان ينحر احدهم عند الكعبة ، ولما تحقق الطلب وولد عشرة استهم بين ابناءه ليختار أيهم يذبح وفاء بالنذر وهو امر عظيم عند العرب، فوقع السهم علي عبد الله الذي كان يحبه بشدة فاقبل عند الكعبة ليذبحه فمنعته قريش ولا سيما اخواله من بني مخزوم واخوه أبو طالب ، فقام بفداء ابنه بمئة من الابل ولهذا لقب (بالذبيح).

وبعد تلك الحادثة قرر عبد المطلب ان يزوجه فأخذه الي وهيب بن عبد مناف وهو عم امنة بنت وهب فخطبها اليه وخطب في الوقت نفسه ابنة وهيب لنفسه (هالة) التي ولدت له حمزة (عم النبي الذي كان من عمره) وولدت امنة محمد .

٣) ولادة النبي :

أولا : ولد النبي بين ٥٧٠ و ٥٧١م في عام الفيل وفقا لأجماع الروايات الإسلامية ، هذا ما اتفق عليه مؤرخي المسلمين ، واختلفوا في تحديد اليوم ،

و الثابت بنص الحديث انه ولد يوم اثنين ، اما تحديد اليوم ففيه اختلاف وان كانت الافتراضات كلها تبقي في نطاق شهر ربيع الأول ولذلك فان اقوال العلماء كانت بين (٢ ، ٨، ١٠، ١٢، ١٧ ربيع الأول) علي ان الأرجح عندهم هو ١٢ ربيع الأول ولا يوجد دليل اكيد علي ذلك .

واذا كان هذا الرأي صحيحا فيكون الرسول صلي الله عليه وسلم قد ولد في يوم ٢٠ أو ٢٢ ابريل لعام ٥٧١ م

وهذا اليوم تقريبي لصعوبة تحديد التقويم القمري قبل الإسلام .

ثانيا: المؤكد هو ولادة النبي في مكة في دار من دور بني هاشم، والاقل موثوقية هو انه ولد في دار عمه (أبو طالب) وكان بيته قرب الكعبة ، في شعب بني هاشم وهو ما ذكره محمد بن اسحق ، وهذا الموقع معروف اثريا اليوم وبني عليه مكتبة مكة المكرمة .

ثالثا: من المعروف ان والده (عبد الله) توفي قبل ولادته وكان في تجارة الي غزة مع قافلة قريش ومات في طريق العودة في يثرب عند اخواله من بني النجار ، وهذا في المصادر المبكرة ، واختلف في تحديد زمن الوفاة والاشهر انه توفي والنبي في بطن امه – محمد بن اسحق ، عبد الملك بن هشام ، محمد بن جرير الطبري .

ويمكن تقريب زمن الوفاة ٥٧٠م وقد دفن في يثرب في دار من دور بني النجار ولا يعرف قبره اليوم بشكل قاطع.

٤) الكفالة:

أولا: في التقاليد القرشية في هذا الوقت انه اذا مات والد الطفل فان الكفالة تنتقل الي الجد من جهة الاب (عبد المطلب) ثم الي اقرب رجل من العصبة (العم غالبا) .

ثانيا: اذا انتقلت كفالة الرسول صلي الله عليه وسلم الي جده عبد المطلب لكنه بقي في بيت امه التي تولت رعايته الفعلية ، وقد ارضعته (ثويبة مولاة ابي لهب) وكانت جارية عند ابي لهب والتي ارضعته مع عمه المولود معه (حمزة بن عبد المطلب) .

ثالثا: من عادة الاشراف في مكة ارسال الأطفال الي البادية في سن الرضاعة لتعلم الفصاحة العربية وتقوية الجسم وهذا تقليد معروف عند قريش ،وقد اخذ النبي الي المرأة التي كفلته في البادية (حليمة السعدية) من قبيلة بني سعد ، والتي اخذته وهو رضيع وعاش معها عدة سنوات - سيرة ابن هشام ، محمد بن اسحق ، تاريخ الرسل والملوك للطبري.

ولا يوجد نص مؤكد عن عمره بدقة حين اخذته والمشهور انه بقي عندها الي سن ٤ سنوات تقريبا ثم اعيد الي امه في مكة ،

٥) وفاة امه:

وفقا للأرجح من الروايات انها توفيت وعمره ست سنوات في الطريق بين مكة والمدينة في مكان يسمي (الابواء) ودفنت هناك ، وقد روي في صحيح مسلم ان النبي زار قبر امه مع الصحابة عند التوجه الي مكة وبكي عنده وجلس قليلا ثم انصرف ، ومكان القبر معروف اليوم، وعلي ذلك يكون وفاتها حول العام ٥٧٦ م .

وبوفاة امه ينتقل الي بيت جده حسب التقاليد حيث يكفله .

٦)وفاة جده:

ما اتفق عليه المؤرخين ان وفاة عبد المطلب بن هاشم عندما كان النبي في الثامنة من عمره أي حوالي ٥٧٨م وهو ما اتفق عليه ، والراجح انه توفي في عمر الثمانين او اكثر قليلا وقد بقي من أولاده علي قيد الحياة :

الحارث، الزبير ، أبو طالب ، عبد الله، العباس، حمزة، أبو لهب، ضرار ، المقوم، ومن البنات : عاتكة ، اميمة ، صفية .

وبوفاته تنتقل الكفالة الي العم الشقيق (أبو طالب) ويذكر ان عبد المطلب قد اوصي بانتقال الكفالة الي أبو طالب تحديدا ، كما ان النبي كان مرتبطا عاطفيا به وبزوجته بصفة خاصة .

ودفن عبد المطلب في مقبرة المعلاة في مكة وهي مقبرة قديمة لقريش.



قبر عبد الله بن عبد المطلب و قبر السيدة امنة بنت وهب والدا الرسول

النبي من الطفولة الي البعثة

١) تولت زوجة أبو طالب السيدة (فاطمة بنت اسد) من بني هاشم رعاية النبي في طفولته وكان يعتبرها امه الثانية وقد ثبت انه نزل معها في قبرها وكفنها برداءه وبقي معها مدة وكان يحبها حبا شديدا.

٢) في الطفولة تعلم النبي الفصاحة وتعود علي اخلاق العرب كالشرف والكرم والأمانة وعمل مع اعمامه في رعاية الغنم وهو ثابت بنص الحديث ولا يعرف الكثير مما هو موثوق عن طفولته غير ذلك.

٣) **حادث شق الصدر عند حليمة:**

من اكثر النقاط جدلا واهمية هي الحادثة المشهورة حدثت للنبي اثناء وجوده في البادية مع حليمة السعدية وقد ثبتت بالحديث ونص القرآن وهي علي التفصيل التالي:

وقعت الحادثة وفقا للرأي الراجح في السنة الرابعة من مولد النبي وهو في بادية بني سعد ،

أولا: الحديث : عن انس بن مالك ان النبي اتاه جبريل هو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده مكانه وجاء الغلمان يسعون الي امه فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال انس : اري اثر المخيط في صدره - صحيح مسلم.

وقد روي عن عتبة بن السلمي ان رجل سأل الرسول صلي الله عليه وسلم كيف كان اول شأنك ، قال ..فانطلق اخي وكنت عند البهم فاقبل طيران ابيضان فقال احدهما لصاحبه اهو هو ؟قال نعم، فاقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه حصه واختم عليه بخاتم النبوة - رواه الدارمي والحاكم وصححه ، في مسند الحاكم.

ثانيا: علمت حليمة بهذا الامر وهو موثق بعدة طرق ، أولها ان اخوه من الرضاعة اخبرها بذلك اذ رأي الرجلين يبطحانه وهو موافق لحديث مسلم، فخرجت وزوجها نحوه فوجدانه منتقع اللون فحكا لهما ما حدث. والثاني انها بعد هذه الواقعة خشيت عليه فحملته الي امه امنة .

ثالثا: من القرآن قوله تعالي: الم نشرح لك صدرك ، وقد اجمع المفسرين علي ارتباطها بالحادثة.

رابعا: التفسير المنطقي للحادث:

رغم الحديثين ، فان مسالة اثبات التفسير الحرفي والمادي للحدث يظل امرا عسيرا،

فمن ناحية نجد ان الحديث الأول ليس مرفوعا الي النبي وهو لا يعدو قول الصحابي انس بن مالك ، ولا يذكر الحديث انه سمع من الرسول صلي الله عليه وسلم ذلك ، وبالطبع لم يشهد الواقعة ، اما عن قوله (اري اثر المخيط) فلم يقل به أحدا من الصحابة غيره والله اعلم.

ومن ناحية الحديث الثاني ، فإسناده كما رواه احمد : حيوة ويزيد بن عبد ربه وبقية وخالد بن معدان و ابن عمرو السلمي وعتبة بن السلمي ، وعلته في (بقية بن الوليد) وقال البوصيري بقية ثقة وان كان مدلسا فقد صرح بالتحديث في بعض طرقه ، ووافقه الالباني في السلسلة الصحيحة . والحديث بإسناده المنفرد ضعيف بسبب (بقية) اما رفعه الي الحسن لغيره فمبني علي الشواهد الأخرى ، والحديث علي قول المحدثين لا يرتقي الي درجة الاحتجاج به ، ولا يمكن ان نقول انه موضوع رغم ذلك.

ومن ناحية الآية : فلا يمكن الجزم بانطباقها علي الواقعة كتفسير وحيد ، اذ ان قوله تعالي (نشرح صدرك) قد تكرر في القرآن في مواضع اخري مثل قوله (من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام – الانعام ٦) وقوله (رب اشرح لي صدري – طه ٢٥) ولم يرد تفسيرها حرفيا بشق الصدر بل كان المعني مجازيا .

ولا يجب الخلط بين حادث شق الصدر في الطفولة والحادث المماثل في حديث الاسراء والمعراج والأخير ثابت بدلائل اقوي.

والحقيقة اننا لا نحاول انكار الواقعة بقدر ما نحاول التيقن من المعلومات التاريخية التي نذكرها ، بدون الذهاب وراء الروايات المشهورة بدون دليل مؤكد وقد انكر الكثير من السلف هذه القصة منهم ،القاضي عبد الجبار من المعتزلة واما جمهور اهل السنة فقد اثبتوا شق الصدر في المعراج اما حادث الطفولة فبنوها علي التحسين بالشواهد وهي درجة ادني من الصحة – الالباني، وقد أشار الفخر الرازي الي هذا الخلاف في تفسيره لسورة الشرح ونقل حجج القاضي دون ان يردها مما يدل علي ان المسألة فيها خلافا حقيقيا. واما عن تفسير الآية فالجمهور علي ان الشرح بمعني الانفتاح علي الرسالة وهو قول الطبري والحسن البصري وجمهور اللغويين .

٤) صفات النبي الشكلية :

سنورد فقط المجمع عليه من الروايات ..

أولا: القامة والبنية العامة:

روي البخاري عن انس بن مالك : انه كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا القصير مما يجعل طوله حوالي ١٧٣سم تقريبا وهو المتوسط ،

وعن البراء بن عازب: انه كان مربوعا بعيد ما بين المنكبين أي عريض الكتفين واسع الصدر ومربوع أي متوسط القامة لا بالنحيف ولا البدين وبنيته الجسمانية قوية ، مما يجعل وزنه تقريبا ٧٥ - ٨٠ كجم .

ثانيا: اللون:

روي البخاري عن اني: انه ازهر اللون ليس بأبيض امهق ولا ادم ، أي لون مشرق يجمع بياضا وحمرة ، لا شاحب ولا اسمر ، والامهق هو الأبيض الباهت كلون الجص .

ثالثا: الوجه:

عن البراء بن عازب في رواية البخاري : انه كان احسن الناس وجها ، اذا سر استنار وجهه حتي كانه قطعة قمر ، واجمعت الروايات ان وجهه كان مستدير لا كالسيف الحاد ، وكان اسيل الوجه (أي مستوي) سهل الخدين ولم يكن مستديرا غاية الاستدارة ، والاسيل في العربية هو الوجه الذي لا نتوء فيه ولا حدة وممتد الخد لطيف الملامح ،

وكان واسع الجبهة والجبين – رواه الترمذي في الشمائل، و وصفه بن ابي خيثمة :كان اجلي الجبين اذا طلع جبينه بين الشعر والجبين هو جانبي الجبهة ،

وكان حاجباه قويين مقوسين متصلين اتصالا خفيفا لا يري ، وكان غزير شعرهما وبينهما عرق يدره الغضب أي يظهر في الغضب، ويطول طرفاهما حتي يصل الي مؤخر العين من غير قرن

اما العينان : فعن عائشة قالت:كانت عيناه نجلاءان ادعجها ، والنجلاء الواسعة الحسنة والدعج شدة سواء الحدقة وكان اهدب الاشفار حتي تكاد تلتبس من كثرتها ، أي الرموش كثيرة، وروي الترمذي : اذا نظرت اليه قلت اكحل العينين وليس بأكحل ، أي كحل طبيعي ،وقال علي بن ابي طالب : عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العينين بالحمرة ، أي بياض العينين به حمرة بسيطة طبيعية.

وعن الانف كان مستقيما اقني – أي طويل في وسطه بعض ارتفاع مع دقة ارنبته يحسب من لم يتأمله اشما أي مرتفع في القصبة .

وكان ابيض الخد سهل وفي بياضهما حمرة – الشمائل .

وكان ضليع الفم وقيل احسن الناس شفتين والطفهم ختم فم اشنب مفلج الاسنان ، اذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه وضليع الفم يعني واسع واشنب أي في اسنانه رقة وتحدد وبياض وصفاء ومفلج الاسنان أي بين ثناياه فرج خفيفة خاصة العليا وختم الفم نهأيته وزاويتاه .

قال هند بن ابي هالة: كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة أي مثل الصورة المنحوتة في استطالتها ونقاءها كالفضة .

رابعا: الشعر :

عن البراء ، ان شعره كان يبلغ شحمة اذنيه ووصفه انس بانه ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أي لا شديد التجعد ولا مسترسلا تاما .

خامسا: اللحية:

روي مسلم عن جابر بن سمرة ، انه كان كثير شعر اللحية .وقيل كث اللحية أي كثيفة وكثرت أصولها وقصرت وجعدت وفيها شيء من الالتفاف ، وقال السيوطي ، مستديرة أي ينبت من الخدين بتناسق ، وله شعر ينبت بين الشفة السفلي والذقن ، اما الشارب فكان يحفه أي يقصه دون حلقه .

سادسا: الكفان والجسد: عن انس بن مالك ، انه قال : ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف النبي ولا شممت ريحا قط اطيب من ريحه ،وكان ضخم اليدين وعرقه كان طيب الرائحة ،

سابعا: خاتم النبوة :

في صحيح مسلم ان خاتم النبوة عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده وهو شيء بارز كالشامة بين كتفيه، وعن ابي سعيد الخدري قال: كان في ظهره بضعة ناشزة – أي قطعة لحم بارزة ، وقال القرطبي :اتفقت الاحاديث الثابتة علي ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الأيسر قدره اذ قلل كبيضة الحمامة وإذ كثر كجمع اليد.

ونختم بأبيات قالها شاعر الرسول صلي الله عليه وسلم (حسان بن ثابت) بإسناد اليه غير ثابت..

خلقت مبرأً من كل عيب   كأنك خلقت كما تشاء

واحسن منك لم تر قط عيني   واجمل منك لم تلد النساء

٥)زواجه من خديجة:

أولا: خديجة :

هي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب، أمها فاطمة بنت زائدة من بني عامر ، واخوتها عدي والعوام (والد الزبير بن العوام) ونوفل وحزام وعمرو ، وقد لقبت في الجاهلية (بالطاهرة) لعفتها ونزاهتها ،وكانت تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال علي مالها وترسل القوافل الي الشام واليمن وكانت شديدة التدقيق فيمن توليه وكانت شخصية قوية اذ تدير تجارة ضخمة في مجتمع ذكوري لا يرحم ،

تزوجت خديجة قبل النبي مرتين ، الاولي من (أبو هالة بن زرارة) من سادات بني تميم وأولادها منه : عند ، هالة (وقد اسلم) ، الطاهر (اسلم أيضا) .

والثاني من (عتيق بن عائذ المخزومي) وقد توفي عنها وانجبت منه هند بنت عتيق وقد اسلمت.

ثانيا زواجها من محمد :

من الثابت انه قد كان يدير تجارة لها، وكانت لها تجارة ضخمة تستعين برجال ثقات من قريش لادارتها والسفر ، وقد استعانت بالرسول صلي الله عليه وسلم لما عرف عنه في مكة من الصدق والأمانة ، ووفقا للرواية الأرجح والاشهر، ان نفيسة بنت منية صديقتها تحدثت اليه بالزواج من خديجة ، وكان عمره حسب الأشهر من الروايات ٢٥ عاما وكانت هي في الخامسة والثلاثين الي الاربعين بقليل حيث تكون قادرة علي الانجاب اكثر من مرة ،

ثالثا: أولاد النبي :

انجب الرسول صلي الله عليه وسلم من خديجة ، من الذكور :

القاسم: وكني به ، وتوفي وقد بلغ نحو سنتين في اصح الروايات. وقد حزن النبي حزنا شديدا .

عبد الله: ولد بعد البعثة ومات طفلا .

من الاناث:

زينب – الكبرى : وقد عاشت وتزوجت من (العاص بن الربيع) وهو ابن اخت خديجة وظل علي كفره حين هاجر النبي فبقيت زينب في مكة معه ثم اسر في بدر فافتدته واطلق النبي سراحه واسلم بعد ذلك. وتوفت زينب عام ٨هـ عن تسعة وعشرين عاما تاركة ابنتها (امامة).

رقية: خطبت أولا (لعتبة بن ابي لهب) قبل البعثة ثم طلقت منه بعد البعثة وتزوجها (عثمان بن عفان) وانجبت منه (عبد الله) الذي توفي وهو في السادسة. وقد مرضت بالحمي الشديدة في وقت بدر وتوفيت عن اثنين وعشرين عاما.

ام كلثوم: خطبت (لعتيبة بن ابي لهب) وطلقها بعد الإسلام وتزوجت هي الأخرى من (عثمان بن عفان) بعد وفاة رقية ولذلك لقب بذي النورين ولم تنجب منه احد، وتوفيت سنة ٩هـ ودفنت بالبقيع.

فاطمة – الصغري: اصغر بنات النبي وهي الوحيدة التي ارضعتها خديجة بنفسها وتزوجت (علي بن ابي طالب) وانجبت منه الحسن والحسين ومحسن وزينب وام كلثوم ، وتوفيت بعد النبي بست اشهر عن ثمانية وعشرين عاما وهي الوحيدة التي لم يدفنها بيده.

وقد اصبح النبي يدير تجارتها بالكامل بعد الزواج ، وهو قوله تعالي (ووجدك عائلا فاغني) وقد كان النبي فقيرا قبل ذلك .

☐ بعثة النبي

١) الزمان:

أولا: من المتفق عليه بين الجمهور ان اول نزول الوحي كان يوم بعثة النبي ، وكان يوم الاثنين ،ومن الثابت بنص القرآن انه كان في ليلة القدر وهي ، حسب ما ثبت بالحديث والمتفق عليه في العشر الاواخر من شهر رمضان، وهذا أيضا ثابت بقوله تعالي (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) وقوله (انا انزلناه في ليلة القدر) ، وعلي ذلك يكون يوم اثنين في العشر الاواخر من شهر رمضان .

ثانيا: متفق أيضا علي ان بعثة النبي كانت في سن الأربعين وقد ولد النبي في عام ٥٧٠م كما قلنا وعليه يكون بعثته في عام ٦١٠م .

ثالثا: بحساب الأيام المقابلة للعشر الاواخر من شهر رمضان في هذا العام نجد ان أيام ٢٠ الي ٣٠ رمضان ، يقابلها تقريبا الأيام (١٠ الي ١٩ أغسطس) ، واذا حسبنا أيام الاثنين منهم تكون البعثة في (١٠ أغسطس ،

او ١٧ أغسطس) لعام ٦١٠م والله اعلم. والجير بالذكر ان ١٧ أغسطس كان يقابل يوم ٢٧ رمضان وهو اكثر الأيام ترجيحا عند العلماء ليكون موافق ليلة القدر .

وهذا الحساب علي أساس ان هلال رمضان ٦١٠م رئي مساء ٢٠ يوليو وهو ما تعطيه الحسابات الفلكية الحديثة لموضع القمر في ذلك العام والحساب قد يحتمل خطأ يوم واحد في الاتجاهين .

٢) المكان :

نزل الوحي علي النبي في (غار حراء) بإجماع الفقهاء ، وهو الغار الذي في جبل النور شمال شرق المسجد الحرام في مكة المكرمة وبينه وبين الكعبة نحو ٤ كم ويرتفع الجبل حوالي ٦٤٠ مترا فوق سطح البحر ، والغار هو فتحة صغيرة ضيقة طوله نحو ٤ امتار يمكن ان يجلس فيه عدة اشخاص فقط وفتحته تتجه تقريبا للكعبة .

٣) تعبد النبي في حراء:

كان النبي علي غير دين قريش ، وهو ثابت ومجمع عليه ، فقد نبذ عبادة الاصنام وبقي علي دين ابراهيم عليه السلام (الحنيف) وقد سبق ان قلنا ان قلة من قريش كانوا لا يزالون علي دين ابراهيم عليه السلام ، ولا يعرف صفة التعبد الذي كان يؤديه الرسول صلي الله عليه وسلم ، الا انه وفقا لكتب السيرة كان يظل أياما يتأمل ويتفكر وهو ما يسمي عند العرب في الجاهلية (التحنث) أي الاعتزال والخلاصة هي اعتزال الاصنام وتجنب الصلاة لها وهو ثابت في حديث عائشة (كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد) .

٤) بدء نزول الوحي والبعثة:

أولا: الحديث الوحيد الذي لدينا هو حديث عائشة وهو ليس مرفوعا الي النبي وقد اخرجه البخاري ، وهو ان النبي كان يتعبد في غار حراء فسمع صوتا ولا يري مصدره يقول (اقرا) وهو امر مرعب في الجاهلية حيث تنتشر قصص الجن والشياطين التي تكلم الناس وقد فزع النبي لذلك ، وربما طن في البداية انه يتوهم ، ثم جاء الصوت واضحا للمرة الثانية بنفس الكلمة (اقرا) فقال النبي بتلقائية (ما انا بقارئ) فهو امي لا يقرأ ولا يكتب ، ثم تكرر القول فقال النبي ما انا بقارئ ، ثم قال الصوت (اقرأ بسم ربك الذي خلق ..) وهنا فزع الرسول صلي الله عليه وسلم وخرج من الغار يجري الي ان وصل بيته ودخل علي خديجة وقال لها (زملوني ، زملوني) أي غطوني، وكان يرتجف .

وحسب الحديث ان خديجة قالت له (لا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين علي نوائب الحق) – صحيح البخاري.

ثم ذهبت به الي (ورقة بن نوفل) ، الذي قال : هذا الناموس الذي نزل علي موسي عليه السلام .

وقبت في الصحيحين حديث الرسول صلي الله عليه وسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله : جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل (يأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر) ثم حمي الوحي وتتابع ،

وهذا اذا ما نزل من الوحي بعد اقرأ بسم ربك الذي خلق ..).

ثانيا: نزول الوحي مرة ثانية:

اذا الثابت ان اول ما نزل من الوحي علي الاطلاق هو الخمس آيات الاولي من سورة العلق ، ثم أوائل المدثر – وفقا لحديث الرسول صلي الله عليه وسلم في الصحيحين، ثم أوائل المزمل .

اما الثانية والثالثة فالاغلب انها كانت بدون سماع صوت خارجي او رؤية المتكلم وهي بالطريقة التي وصفها الرسول صلي الله عليه وسلم في حديث لاحق حيث قال (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال)، اذا سمع الرسول صلي الله عليه وسلم اكلام في اذنه داخليا وهو في بيته ربما بعدما افاق من الحمة وربما في اثناءها .



الراجح عند العلماء السيرة ان انقطاع الوحي بعد حادثة الغار كان عدة أيام وليس اكثر مرض فيهم الرسول صلي الله عليه وسلم منذ ان عاد محموما من الغار، والخلاف حول متي اخبر بانه رسول صراحة والاغلب ان ذلك كان بعد تفسير ورقة بن نوفل لحادث الغار وانه اول من بشره بان هذا من علامات النبوة .

ثالثا: ورقة بن نوفل:

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزي وهو ابن عم خديجة ، وقد اتبع النصرانية في الجاهلية لما قرر نبذ دين قريش ومعه عمرو بن نفيل ، وكان عالما بالكتب وقيل انه لم يكن يتبع طقوسا بل اعتنق الدين فقط وقد قرأ التوراة والانجيل وكان من علماء اهل الكتاب في مكة وقد كان شيخا طاعنا في السن واصابه العمي حين بعث النبي وقد درس نبوءات الكتب في الرسول صلي الله عليه وسلم القادم وعلم انه من الجزيرة وكان ينتظر خروجه قبل ان يموت ،

وجاءته خديجة بعد حادثة الغار تستشيره في امر محمد اذ كانت بفطنتها تحس ان ما حدث له حقيقي وله علاقة بنبوءات ورقة بن نوفل، وقد روي فيما اتفق عليه انه قال للنبي: هذا الناموس الذي انزل علي موسي عليه السلام ياليتني فيها جزعا يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك فقال النبي : اومخرجي هم؟ قال نعم لم يات رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا، وفي رواية اخري انه لقي النبي مرة ثانية والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ..

رواية حسنة رواها احمد وابو نعيم وقبلها جمع من العلماء.

وجاء في البخاري عن عائشة ، ثم لم ينشب ورقة ان توفي أي توفي بعد ذلك بوقت قصير نحو٦١١م

٥) بدء الدعوة:

أولا: دعوة الاعمام :

من المتفق عليه ان اول من اسلم علي الاطلاق هي السيدة خديجة ، ربما بعدما سمعت من ورقة بن نوفل الذي وضع لهما النقط علي الحروف ، وعلي ذ١لك يكون ورقة هو اول من امن من الشيوخ وثاني المسلمين بعد خديجة او كان معا. وثالثهما (زيد بن حارثة) مولي رسول الله وهو اول من اسلم من غير الاحرار، وكان عند النبي يربيه كابنه حتي نزل تحريم التبني،

بعد ذلك بدأ في دعوة الدائرة الضيقة من الاقربين ، وهم اعمامه والرواية الاوثق انه جمعهم علي مأدبة طعام وقال لهم : والله اذلي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم خاصة والي الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وانها الجنة ابدا او النار ابدا ، فقال أبو طالب (ما احب الينا معاونتك ..والله لا أزال احوطك وامنعك غير نفسي لا تطاوعني علي فراق دين عبد المطلب)، وقال أبو لهب: هذه والله السوءة خذوا علي يديه قبل ان يأخذ غيركم)،

ولم يسلم العباس بن عبد المطلب الا قبل فتح مكة بقليل وقد كان يكتم اسلامه مدة .

والثابت بنص القرآن ان أبو لهب لم يسلم قط .

وقد اسلم في حينها علي بن ابي طالب ابن عمه رغم ان ابيه لم يسلم الا ان أبا طالب لم يمنعه ولم يرده، ويكون علي اول من اسلم من الصبية وقيل ان عمره كان ٧-١٠ سنوات .

ثانيا: اسلام أبو بكر والمسلمون الأوائل :

أبو بكر (عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي، ولد بعد عام الفيل بنحو ثلاث سنين وكان بيض اللون نحيف الجسم خفيف العرضين معروق الوجه ناتئ الجبهة ،كان تاجرا لم يشرب الخمر قط ولم يسجد لصنم وكان من رؤساء قريش وزعمائها وعلمائها بالأنساب.

كان صاحب رسول الله قبل البعثة يعرف بصدقه وامانته وكرمه واما اسلامه فمن المجمع عليه انه لقي النبي فقال : احق ما تقول قريش يا محمد من تركك الهتهم وتسفيهك عقولهم وتكفيرك اباءهم . فقال بلي اني رسول الله ونبيه بعثني لأبلغ رسالته وادعوك الي الله بالحق والله انه للحق ،وقرا عليه القرآن فاسلم لتوه ، وكان اول من اسلم من الرجال.

وقدكان اسلام أبو بكر عونا كبيرا للنبي في دعوته فقد اسلم أولا اهل بيته، ثم اسلم علي يده كبار الصحابة : عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله .

المسلمون الأوائل:

سعد بن ابي وقاس اسلم وروي انه قال ان امه حلفت الا تكلمه ولا تأكل ولا تشرب حتي يغير دينه. واسلم خالد بن سعيد بن العاص، وعبد الله بن مسعود وخباب بن الارت وبلال الحبشي وعمار بن ياسر وامه وابيه ، والارقم بن ابي الارقم وكان في السادسة عشر وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يجتمع بالمسلمين في داره وهي في وسط دور بني مخزوم من كفار سادة قريش وهو خداع ذكي حيث لا ينتظر وجودهم هناك.

٦) اسلام الجن:

هذه القصة ثابتة بنص القرآن بقوله تعالي (قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا) ، وفي هذه الحادثة جدلا واسعا حيث انتشرت روايات عن عبد الله بن مسعود انه رأي الرسول صلي الله عليه وسلم يقابل أناسا طوالا سود هم من الجن، لكن الآيات لا تصرح بمقابلته للجن ولكن قوله تعالي (اوحي الي انه..) تفيد ان النبي لم يكن يعرف المعلومة وانما جاءته بوحي فلو قابلهم لما احتاج الي اخبار من الله بوحي، وقوله (استمع) يفيد انهم سمعوا القرآن يتلي وهو امر ثابت ان الجن تري وتسمع الانسان دون ان يراهم بقوله تعالي(يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وقد ذهب ابن هشام في سيرته الي انهم راوا الرسول صلي الله عليه

وسلم بمكة وهو يصلي بأصحابه فاستمعوا للقران واخبروا قومهم (عشيرتهم) ، واما عن دعوته للجن مرة ثانية قابلهم فيها فلا ننكرها وانما كل رواياتها عن عبد الله بن مسعود غير مرفوعة الي النبي والله اعلم.

٧) اعلان الدعوة (حادثة الصفا) :

وظل الإسلام سرا ثلاث سنوات حسب اغلب العلماء ، ثم نزل قوله تعالي (وانذر عشيرتك الاقربين) ، فصعد النبي علي الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر ، يا بني عدي، - ونادي بطون قريش- حتي اجتمعوا وجاء أبو لهب وسائر قريش..

قال النبي: ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد – رواية مسلم عن ابي هريرة في لفظ اخر (فاني لا املك لكم من الله شيئا).

اما أبا لهب فقال : تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا وانصرف، فنزلت سورة المسد في الحال (غالبا سمعها في اذنه كما سبق) ،

واما أبا سفيان وصناديد قريش : فصمتوا ولم يجيبوا وتفرق عامة الناس دون استجابة.

٦) سادة قريش في وقت البعثة:

عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب (بني عبد شمس)

طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر (من بني نوفل)

النضر بن الحارث بن كلدة (من بني عبد الدار)

أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام (بني اسد)

عمرو بن هشام (أبو جهل) والوليد بن المغيرة وكان يعادل قريش ثمة بالرأي. من بني مخزوم

نبيه ومنبه ابنا الحجاج (من بني سهم)

امية بن خلف (بني جمح)

٧) اسلام الضعفاء واشتداد الأذى:

أولا: في تلك الفترة بدأ انتشار الإسلام في الانتشار بين الضعفاء والعبيد والفقراء ، فاسلم بلال بن رباح وهو عبد امية بن خلف واسلمت اسرة عمار بن ياسر وهم عبيد عمرو بن هشام(أبو جهل) ، واشتد تعذيبهم حتي كان أبو بكر يشتريهم ويحررهم وابرزهم بلال الذي اتعب امية بن خلف حتي قال الناس: لا ندري من يعذب من،

وفي هذه المرحلة العلنية اسلم (أبو ذر الغفاري) وكان اول دليل علي قوة الإسلام وعلي انه يدخل علي قلب اشد الناس شرا فيقلبه الي اكثرهم صلاحا، فقد كان أبو ذر من قبيلة غفار وقد اشتهر فيهم انهم لصوص باحتراف يقطعون الطريق ويسرقون القوافل ويقتلون الناس وقد تعجب الرسول صلي الله عليه وسلم عندما دخل عليه يريد الإسلام ، ورجع الي قومه فاسلم نصفهم ، واسلم الطفيل بن عمرو ، وغيرهم، وكان عذابهم شبيه بأساليب الرومان والفرس فكانوا يتفننون في عذابهم علي اعين الناس حتي يسمعوا منهم ككلمة الكفر فيتركوهم وبعضهم ابي ان يكفر بالإسلام وماتوا علي اسلامهم بسبب العذاب مثل سمية ام عمار بن ياسر قتلها أبو جهل اثناء تعذيبها ،

وقد اشتد الأذى ليصل الي الرسول صلي الله عليه وسلم نفسه فقد كانوا يسبونه ويدعونه (مذمم) وهي مضاد (محمد) في اللغة ، وكان الأذى الأكبر يطاله من عمه أبو لهب وامرأته (ام جميل بنت حرب) ، فكانت تسبه وتشعر في هجاءه وكانت تأتي بمخلفات الذبائح تضعها علي باب بيته ، وعن عمرو بن العاص قال ان اشد ما رأي من اذي للرسول ان (عقبة بن ابي معيط) اقبل علي الرسول صلي الله عليه وسلم وهو يصلي فاخذ بثوبه ولواه علي عنقه يخنقه حتي دفع عنه أبو بكر وقال له (أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله).

٨) المرحلة الثانية : هي لجوء قريش الي التفاوض :

فبعد ان يأسوا من ارتداد من اسلموا او توقف انتشار الإسلام اصبحوا عاجزين بكل قواهم ان يوقفوا مد الإسلام ، وكانت فكرة التخلص من النبي مستبعدة لان ذلك سيقيم حربا قبلية لا طاقة لهم بها اذ انه ابن اخ أبو طالب سيد بنو هاشم ولهم حلفاء سيدافعون لهم .

وكانت اول حيلهم هي ارسال وفد الي أبو طالب يطلبون منه كف ابن أخيه عنهم فذهب الي النبي و قال له : ان بني عمك هؤلاء قد زعموا انك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن اذاهم ، فقال : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علي ان اترك هذا الامر ما تركته حتي يظهره الله او اهلك دونه . فاستسلم عمه لأرادته ولم يجبره علي شيء وانصرف الوفد بدون نتيجة.

المرحلة الثالثة: الجدال:

فقد استعانت قريش باليهود لأيجاد حجج لإثبات كذب الرسول صلي الله عليه وسلم ، وقد جادلوه في اركان العقيدة من جنة ونار وقضاء وقدر والروح وغيرها وكان القرآن ينزل ليرد علي كل حجة لهم ، وكذلك قالوا لماذا لا ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الالواح علي موسي عليه السلام مرة واحدة ، فنزل قوله تعالي (لولا انزل القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك) ، وقد كانوا يأنفون من الاستماع للرسول بحضور المستضعفين ويطلبوا طردهم من الاجتماعات من المسلمين فنزل قوله تعالي (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) واثناء هذه الاجتماعات والمناظرات حدثت قصة ابن ام مكتوم التي نزلت فيها سورة عبس..

اسلام ابن ام مكتوم:

هذا ثابت بنص القرآن في سورة عبس ، حيث كان الرسول صلي الله عليه وسلم يناجي سادة قريش (عتبة بن ربيعة) وابا جهل والعباس بن عبد المطلب وامية بني خلف وقد احتدم النقاش واشتد الغضب ، وقد جاءه رجل اعمي هو (عبد الله بن قيس بن زائدة بن الاصم) وهو ابن خال خديجة بنت خويلد، وجعل يستقرئه القرآن وهو في خضم المعركة الكلامية وظل يلح عليه مما اضجر النبي فعبس في وجهه فانصرف عنه ، ونزل قوله تعالي: عبس وتولي ، ان جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يتذكي..) ومنذ حينها كان الرسول صلي الله عليه وسلم اذا لقاه قال له (اهلا بمن عاتبني فيه ربي).

وقد جادلوه في البعث فكان قولهم كما اخبر القرآن (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) ، فجاء العاص بن وائل بعظم بال فقال للرسول أيبعث الله هذا العظم البالي ساخرا، فقال الرسول صلي الله عليه وسلم : نعم ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك جهنم،

المرحلة الرابعة: طلب المعجزات : هذه المحاولة اليائسة الأخيرة بعد ان عجزوا ان يثبتوا كذب النبي وهي طلبهم لمعجزات تثبت نبوته ، وقد ذكر القرآن ذلك بقوله (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) ، وهكذا فقد طلبوا امورا تعجيزية وهم واثقين انه لن يأت بها ، ولكن حتي لو اتي بها لم يكن لديهم استعداد للأيمان لان الذين امنوا قبلهم لم يشهدوا معجزات ولكن انشرحت صدورهم لقبول الحق ، اما هؤلاء فكانت لديهم اسبابهم لرفض الأيمان.

الوليد بن المغيرة:

كما قلنا كان يري انه احق اهل مكة بالنبوة ، وقد ذهب الي النبي صلي الله عليه وسلم وجلس معه قرأ عليه من القرآن ، فتغير وجهه وتأثر تأثرا واضحا ورجع الي دار الندوة وظل صامتا يفكر فيما سمع ولم يكن يتجاوب مع

المشورة التي كانت دائرة حوله فقد كانوا يريدون ان يحسموا امر محمد فقالوا كاهن وقالوا مجنون وقالوا شاعر، ثم سأله أبو جهل عما حدث من مقابلته للنبي فقال الوليد: لقد سمعت كلاما ما هو بالشعر وما هو بالهزل وان الذي يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما هو بقول البشر .

وهذا يدل علي ان عقله قد وزن القرآن ميزانا دقيقا وعلم انه ليس كلام الشعر وليس كلاما بلا معني وقد اعترف بانه كلام معجز لا يمكن لمحمد ان يكتبه ولا ان يمليه عليه احد فهو ليس مثل كلام البشر ، ولكنه الكبر ، الذي جعله يضع حاجزا بينه وبين الحق فكيف يعترف بالإسلام وهو سيد المعارضين وقد تفتق ذهنه عن حل يقوله لهم حتي لا يتهموه بالكفر بعدما نطق لسانه بالحق ، فقال هذا سحر ، ونزلت فيه آيات من سورة المدثر في قوله تعالي (ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهود، ثم يطمع ان ازيد) الي قوله (انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، وقال ان هو الا سحر يؤثر – المدثر)

وهنا تبقي مسألة لنعالجها في اطار المعجزات الحسية وهي حادثة انشقاق القمر..

٩) انشقاق القمر:

هذه المسألة لاقت جدلا واسعا حتي اليوم بين منكر ومثبت ومن المفترض ان هذه الحادثة حدثت ما بين عام ٦١١ – ٦١٥م ، والحقيقة ان الادلة عليها ليست قوية بما فيه الكفاية ، وحتي النص القرآني يمكن تاويله واحالته الي معني اخر وسنفصل ذلك.

أولا: من الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر علي عهد رسول الله فلقتين – البخاري (٣٨٦٨)ومسلم(٢٨٠٠) متفق عليه وليس مرفوعا.

عن انس بن مالك : ان اهل مكة سألوا رسول الله ان يريهم اية فاراهم القمر شقين حتي راوا حراء بينهما – البخاري (٣٦٣٧)ومسلم(٢٨٠٢) متفق عليه وهو أيضا غير مرفوع.

عن ابن عمر : انشق القمر علي عهد رسول الله – مسلم (٢٨٠٣) صحيح غير مرفوع

عن عبد الله ابن مسعود: انشق القمر ونحن مع النبي بمني فقال اشهدوا فذهبت فرقة نحو الجبل – البخاري(٣٨٦٩) صحيح .

عن جبير بن مطعم: انشق القمر علي عهد رسول الله فصار فرقتين فرقة علي هذا الجبل وفرقة علي هذا الجبل – البخاري (٣٨٧٠) صحيح .

ورغم انها كلها غير مرفوعة الي النبي وهي اقوال صحابة فكلها اما صححها البخاري او مسلم او كلاهما معا ، كما ان اتفاق الروايات المتعددة لشهود عدة انما تفيد الثقة في الرواية بشهادة الشهود العدول.

ثانيا: القرآن:

قوله تعال (اقتربت الساعة وانشق القمر- القمر ١) .

القول الأول: ان الفعل وقع وانتهي في زمن النبي وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وانس بن مالك والطبري والبغوي وابن كثير وابن عثيمين وجمهور المفسرين علي ذلك ، ومقصود بها تلك الحادثة.

القول الثاني: سيقع مستقبلا: أي يوم القيامة او قبلها وقد رده جمهور الفقهاء لورود الاحاديث الصريحة في وقوعها في زمن النبي.

ثالثا: التعقيب العلمي : هل يمكن علميا ان ينشق القمر ويلتئم مرة اخري؟

القمر جسم صخري ضخم قطره حوالي ٣٤٧٤ كم وانشقاقه الي نصفين يتطلب طاقة هائلة جدا ، ولو افترضنا انه انقسم فان الجاذبية قد تعيده للالتئام وقد يرتب اثارا واضحة مثل تشققات هائلة وحطام منتشر حول الأرض ، كما انه قد يؤثر بشدة علي مداره . والحقيقة العلمية ان القمر لا يمكن ان ينقسم الا باصطدام جسم ضخم كنيزك ، وهذا من شأنه تفتيت جزئي للقمر ولا يمكن ان ينفلق نصفين ويعود سليما كما هو ، إضافة الي انه وأيا كانت الكيفية التي انقسم بها – ولو بشكل اعجازي بحت – فلا يمكن ان ننسي ان القمر جسم ضخم يؤثر علي الحياة علي كوكب الأرض بشكل قوي فاذا حدث هذا الانقسام الحقيقي للقمر سيترتب عليه كوارث أرضية ضخمة مثل:

-تأثير المد الجاذبي: فلو اقتربا لقمر جدا من الأرض من الممكن ان يتفكك ويتحول الي حلقات مثل زحل ولا يلتئم مرة اخري .

-اضطراب الجاذبية: فالقمر مسئول عن استقرار محور الارض والمد والجزر ولو تفكك سيضطرب المد والجزر مما يزيد او يقل بشكل خطير من حركة البحار والمحيطات وقد يؤدي الي موجات تسونامي عالمية ،

-سقوط حطام علي الأرض: لو تفكك القمر لأي نصفين فان كثير من الحطام الصخري الناتج عن عملية الانقسام سيصطدم بالأرض في صورة نيازك وسيؤدي الي دمار واسع وحرائق وتغير مناخي.

-تغير دوران الأرض : القمر يثبت ميل الأرض وبدونه ممكن ان يضطرب هذا الميل ويحدث تغير مناخي شديد جدا في العالم .

والخلاصة ان مثل هذا الحادث ولو وقع بشكل معجز فهو مختلف عن أي معجزة محدودة اخري للأنبياء والرسل فقد يسبب دمارا شديدا في العالم شبيه بالدمار الذي يصفه القرآن في مشاهد الساعة.

ما نراه اليوم من البعثات الاستكشافية (ابوللو) تظهر ان القمر يحتوي علي فوالق وشقوق طبيعية واثار اصطدامات نيازك ولكن لا يوجد دليل مؤكد (معلن) يدعم ان القمر انقسم فعليا في وقت ما ..

ان مسالة الانقسام الحقيقي للقمر غير ممكنة ، و يكون التفسير الأقرب للحادثة هو الانقسام الظاهري..

الانقسام الظاهري يعني وجود ظاهرة بصرية تجعل اهل مكة تحديدا يرون القمر فلقتين بسبب انكسار الضوء مثلا ، او مرور جرم امام القمر ولا نعرف حقيقة ما حدث فالإشارات القرآنية والروايات قليلة وغير حاسمة ولا يسعنا الا ان نثبت الحادثة تاريخيا اعتمادا علي الشهود وعلي اعتبار تفسير الآية وربما يتم كشف حقائق كانت مخفية عنا عمدا في السنوات القادمة .

١٠) حرب الفرس والروم:

تعتبر هذه الحادثة من الاثباتات التي أيد القرآن بها النبي واثبت اعجازه وتجاوزه للزمان والمكان ، ولحسن الحظ فان السجلات التاريخية تدعم البحث بشكل جيد ..

أولا: النبوءة جاءت في قوله تعالي (غلبت الروم ،في ادني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين – الروم ٣).

ثانيا: الروم هو الاسم الذي اطلقه العرب عل الإمبراطورية البيزنطية وكانوا في صراع تاريخي محتدم مع الإمبراطورية الفارسية الساسانية ،

ثالثا: الأحداث التاريخية:

في وائلا لقرن السابع الميلادي كان الصراع محتدم بين الفرس والروم ولم تكن مجرد حرب حدودية انما حرب وجود وهيمنة علي الشرق الأدنى كله (الشام ومصر والعراق والاناضول) ، وفي عهد الامبراطور (هراكليوس) كانت الدولة البيزنطية تعاني من ضعف واضطرابات داخلية وضعف اقتصادي وتمردات عسكرية بينما كان الامبراطور الفارسي (كسري الثاني) في اوج قوته وبدأ هجوما كاسحا ،

بين عامي ٦١٠ – ٦١٤ م قاد القائد الفارسي (شهربيار) حملة عسكرية شديدة التنظيم وقام بالسيطرة علي سوريا ثم تقدم جنوبا وحاصر القدس واسقطها ٦١٤م ، وقام بتدمير الكنائس واسر آلاف السكان وبدت الإمبراطورية البيزنطية وكأنها تنهار بالكامل وهذا قوله تعالي (غلبت الروم) ،

ثالثا: التفسير الجغرافي (ادني الأرض):

ادني الأرض هو اقرب الأرض للعرب وهي بلاد الشام وفلسطين ، ويمكن ان نخصص اكثر بارض البحر الميت وهي اخفض منطقة يابسة علي وجه الأرض وقد دارت هناك معارك اثناء الاستيلاء علي الشام.

وقد مثلت هذه الحادثة الما للمسلمين حيث كانوا يعتبرونها انتصارا للوثنية علي التوحيد فكان المسيحيين اقرب عقيدة لهم من الفرس .

رابعا: التحول :قام الامبراطور (هراكليوس) بإصلاحات داخلية جزرية وأعاد تنظيم الجيش وفرض ضرائب استثنائية وقام بتعبئة دينية للشعب المسيحي وقرر نقل الحرب الي ارض الفرس بدلا من الدفاع ، وبدأ الهجوم ٦٢٢م فتحرك عبر الأناضول وضرب خطوط امداد الفرس وحقق سلسلة انتصارات من ٦٢٢-٦٢٧م ولنهك الجيش الفارسي، وصولا الي معركة (نينوي) الحاسمة ٦٢٧م مما ادي الي تمرد داخلي في الدولة الفارسية أدت لقتل كسري واستعاد الروم الأراضي المحتلة من الفرس.

خامسا: في بضع سنين: البضع في اللغة تعني العدد من ٣ الي ٩ سنوات ، وبتطبيق هذا الحساب علي التواريخ الموثقة لدينا نجد ان الهزيمة الكبرى للروم كانت عام ٦١٤م ، وبداية انتصارهم في الكرة الثانية كانت عام ٦٢٢م أي ان الفارق بينهما ٨ -٩ سنوات بحساب فرق الشهور وهو تطابق للنبوءة القرآنية (في) أي بضع سنين بتمام العدد (٩) وليس خلال بضع سنين، والحقيقة ان هذا التحول لم يكن متوقعا بالمرة بمقاييس اهل هذا الزمان فقد كانت الهزيمة ساحقة ولهذا كانت النبوءة القرآنية أولا بهزيمة الروم وقد اخبر بها الرسول صلي الله عليه وسلم اهل مكة قبل ان يصل الخبر اليهم .

١١) لماذا رفضت قريش دعوة النبي:

أولا: عقلية عمرو بن هشام وسادة قريش :

لقد كان هناك دائما تحد واضح بين بنو هاشم وبني مخزوم وكان من الصعب ان يقبل عمرو بن هشام – وهو المعروف بذكائه وفطنته حتي انه لقب بابي الحكم ودخل دار الندوة وهو في الخامسة والعشرين وكان سيدا لقريش مسموع الرأي - ولكنه ابي ان يتفضل عليهم بنو هاشم بخروج نبي منهم ، وهكذا كان يفكر الوليد بن المغيرة اغني اغنياء مكة وعظيمها وكبيرها ، اذا كانت مسألة غيرة وتنافس قبلي في المقام الأول وهذا يؤكده قوله تعالي (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) .

ثانيا: لقد ثقل عليهم مساواه الإسلام بين السادة والعبيد والضعفاء والفقراء وقد كانوا سادة قريش مسموعين الكلمة ورأوا ان الإسلام يجرئ عليهم عبيدهم اذ يشعرون بانهم مساوون لهم في الدرجة كما ان تسارع هؤلاء الفقراء الي الإسلام جعلهم يأنفون ان يدخلوا دين الفقراء والمستضعفين.

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول صلي الله عليه وسلم :

هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس من كبار سادة قريش واشرافها واحد اعقل رجالها واكثرهم تأثيرا ، وهو والد هند بنت عتبة زوجة أبو سفيان وابنه أبو حذيفة بن عتبة اسلم مبكرا ، وكان من احلم قريش واوسطهم رأيا وكان يكره الإيذاء المادي للنبي ، وقد اوفدته قريش ليفاوض النبي مثل من سبقوه ويعرض عليه حلولا بعينها لعله يرجع عن مسالة النبوة ، فقال له : اسمع مني اعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها ، ان كنت تريد مالا جعلنا لك من اموالنا حتي تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان ما بك داء او جنونا بذلنا في طلب طبيبك حتي نبرئك، وهذه العروض الكبيرة تكشف لنا يأس الكفار وقوة امر الإسلام وقلة حيلتهم رغم ما يظهرونه من جبروت وقوة، فقال النبي : افرغت يا أبا الوليد ، قال نعم ، قال : فاسمع مني ثم تلا عليه من اول سورة فصلت (حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون) فاخذ عتبة يستمع ووضع يده خلف ظهره متكئا منصتا وقد بدا التأثر واضحا فلم يكن قد سمع القرآن من قبل ولم يتوقع ان يكون بهذا الكمال ، وقال له النبي : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانت وذاك.

رجع عتبة الي دار الندوة فقالوا نري وجهك غير الوجه الذي ذهبت به فقال عتبة: والله سمعت قولا ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر وما هو بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش اطيعوني واجعلوه بي وخلو بين هذا

الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا عظيم ، فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد، فقال لهم اذا علا في القوم فهو منا علونا معه واذا عاديناه فلا يكون لنا منه شرفا ، وقد اعترضوا علي رأيه وظلوا علي عندهم وكفرهم.

ثالثا: لقد استحقر هؤلاء السادة محمد وقدروا بعقولهم انه كان من الاصح ان ينزل النبوة علي واحد من كبارهم – بحسب تقديراتهم – وهذا قوله تعالي (وقالوا لولا انزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم) والقريتين بإجماع المفسرين هما مكة والطائف ، اما الرجال فهم غالبا (الوليد بن المغيرة من مكة) و(عروة بن مسعود الثقفي من الطائف) . ولذلك فقد كان الوليد بن المغيرة يكره محمد كرها شديدا ويشعر بإهانة شخصية حتي انه اوصي أولاده قبل موته بالا يؤمنوا بمحمد والمفارقة انهم اسلموا جميعا.

١٢) الهجرة الي الحبشة:

الاولي: كانت في العام الخامس من البعثة ، ٦١٥ م وقد ارسل النبي احد عشر رجلا واربع نسوة مشاة الي البحر وركبوا سفينة الي الحبشة (اثيوبيا) هربا من تضييق قريش عليهم ولم تكن لهم منعة ولا قوة ، وقد اخبرهم النبي بان بالحبشة ملك عادل ..

وفي هذا الوقت كان ملك الحبشة هو (اصحمة بن ابجر) المعروف بلقب (النجاشي) وهو لقب مثل قيصر وكسري يلقب به ملوك الحبشة، وقد اظهر تسامحا دينيا تجاه المهاجرين المسلمين رغم ان الدولة كانت مسيحية ، واما عن ركوبهم البحر فهو منطقي حيث كان عليهم عبور البحر الاحمر الي اثيوبيا.

الهجرة الثانية: وهي موجة ثانية من المسلمين الذين هربوا من مكة من اذي الكفار الي الحبشة حيث علموا استقرار امر المهاجرين الاولين وحياتهم بسلام فهاجر نحو ثمانين رجل في ارجح الروايات، وفي تلك المرة أرسلت قريش عمرو بن العاص وكان من دهاة العرب وامكنهم من الكلام والاقناع الي ملك الحبشة يريدون استرداد المهاجرين خوفا من ان يكونوا جالية وينشروا الإسلام في الحبشة وتقوي شوكتهم ، فذهب عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة وناقش ملك الحبشة الذي اتي بوفد من المسلمين علي رأسهم جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي الذي هاجر الي الحبشة من قبل ، فجادل عمرو بن العاص وانتصر فقد اقنع الملك ان الإسلام والمسيحية ينبثقان من اصل واحد وكانت اول مرة يهزم فيها عمرو بن العاص ويرجع دون تحقيق مهمته.

١٣) اسلام حمزة بن عبد المطلب :

كما عرفنا فان حمزة كان قريب السن من رسول الله وقد ولد تقريبا في نفس الوقت ، وقد كان اسلامه علي الأرجح في السنة السادسة من البعثة وقبل هجرة الحبشة الثانية ،

والرواية المشهورة عند المؤرخين هي ان أبو جهل (عمرو بن هشام) اتي الرسول صلي الله عليه وسلم وكان يصلي عند الصفا فأذاه وشتمه شتما شديدا والرسول صلي الله عليه وسلم لا يرد، ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه حتي نزف منه الدم ثم انصرف الي نادي قريش فجلس معهم .

وقد كان حمزة خارج مكة علي الأرجح وكان معروفا بقوته وشدته الجسدية وشجاعته الاستثنائية وقيل انه كان يصيد الأسود ، فجاءته جارية وهو عائد متوجه لبيته فأخبرته بما حدث ، فأخذته غضبة لابن عمه فتوجه مباشرة الي مجلس قريش وفيه عمرو بن هشام فاقبل اليه حتي اذا قام له يريد ان يحييه قال له حمزة: يا مصفر استه ، تشتم ابن اخي وانا علي دينه ، فضربه فشجه (جرحه بشدة) وقال له : ردها علي ان استطعت، فسكت أبو جهل لعلمه عدم قدرته علي قتال حمزة، فثار رجال من بني مخزوم ثم ثار رجال من بني هاشم كانوا بالكعبة فقال أبو جهل ، دعوه فقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وقد كان من غير المعتد ان يسكت عن تلك الإهانة وهو سيد من سادة قريش . وقيل ان (عتبة بن ربيعة) عاتب ابي جهل وقال له : ما كان الرجل مسلما حتي دفعته الي الإسلام دفعا، أي ان حمزة دخل الإسلام غضبة لرسول الله وليس رغبة منه.

وقد راجع حمزة نفسه بعدها اذ اعلن اسلامه وهو لم يكن ينتوي ان يسلم ولم يفكر أصلا، فذهب الي الرسول صلي الله عليه وسلم وحدثه فدخل الإسلام في قلبه وكان اول عز للإسلام وأول ضربة موجعة لقريش.

١٤) اسلام عمر بن الخطاب:

لا يختلف المؤرخين وكتاب السيرة النبوية ان اسلام عمر بن الخطاب لم يكن كإسلام رجل اخر بل نقطة تحول كبيرة في الدعوة الإسلامية وضربة كوجعة لقريش بعد اسلام حمزة بن عبد المطلب قبله ، وقد ثبت ان الرسول صلي الله عليه وسلم قد دعا قائلا : اللهم اعز الإسلام بأحب الرجلين اليك) وكان المقصود (عمرو بن هشام و عمر بن الخطاب) فاختار الله احبهما اليه .

وقصة اسلام عمر بن الخطاب مشهورة ومعروفة وكان سببها اخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها (سعيد بن جبير) احد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد اسلما قبله وقيل ان عمر كان عازما علي قتل النبي في دار الارقم حتي مر علي بيت اخته بعد علمه انها اسلمت فخرج من عندها الي الرسول صلي الله عليه وسلم يريد ان يستقر وقد طرق الإسلام قلبه واصبح حائرا فلما قابل الرسول صلي الله عليه وسلم اسلم ، وكبر الحاضرين لإسلامه وفرح

رسول الله بعمر فرحا شديدا ، ومنذ هذا اليوم قرر عمر بن الخطاب ان الدعوة لن تكون سرا بعد ، وخرج الي ائمة الكفر يطرق بابهم واحدا واحدا يريد ان ينازعه احد ، فذهب الي (عمرو بن هشام) وهو خاله ، فقال له : اما علمت اني اسلمت ؟ فلم يرد عليه واغلق الباب في وجهه ثم ذهب الي العاص بن وائل وعتبة بن ربيعة ولما لم يجد الاثر الذي اراده ذهب الي الكعبة واعلن اسلامه . وقد كانت صدمة لقريش اذا ان عمر بن الخطاب كان سيدا وقويا وكان اول من اسلم من الاقوياء وقد تحقق ما خشته اذ اعلن اسلامه متحديا كل كبير وصغير وبالطبع لم يكن بيدهم أي شيء يفعلونه اذ انه من قبيلة قوية تمنعه وكل ما فعلوه هو انهم التزموا الصمت والهزيمة وقويت شوكة الإسلام بإسلام عمر واصبح المسلمون يمشون مطمئنين في مكة بعد ان كانوا يجتمعون سرا ويكتمون اسلامهم.

١٥) حصار المسلمين (شعب ابي طالب):

المرحلة الرابعة من التصعيد التي لجات اليها قريش بعد صاعقة اسلام عمر فعلموا ان الإيذاء الجسدي واللفظي والجدال والتفاوض لن يوقف المد الإسلامي فلجأوا الي خيار الحصار الاقتصادي والمقاطعة، حتي انهم عرضوا علي ابي طالب تسليم محمد واستبداله بأفضل شب في قريش ليكون ابنه .

أولا: وثيقة المقاطعة:

كتبت ووضعت في جوف الكعبة والزمت قريش ببطونها بالبنود التالية:

-مقاطعة اقتصادية: الا يبيعوا بني هاشم وبني عبد المطلب ولا يبتاعوا منهم شيئا .

-مقاطعة اجتماعية: الا يناكحوهم ولا يتزوجوا منهم

-مقاطعة سياسية: الا يجالسوهم ولا يكلموهم ولا يخالطوهم حتي يسلموا النبي لقتله.

ثانيا: الحصار شمل : بنو هاشم وبنو عبد المطلب كلهم مسلمين وكافرين لان قريش ارادت عزل القبيلة التي تحمي النبي فدخل الشعب النبي والمسلمين وأبو طالب نفسه وبقية بني هاشم غير المسلمين – الا أبو لهب فانه انحاز الي قريش وخرج من الشعب .

ثالثا: الشعب: هو واد ضيق في اطراف مكة بين جبالها وكان يملكه أبو طالب ويقع في الجهة الشمالية من المسجد الحرام وبقايا موضعه معرفة اليوم .

رابعا: أحوال المحاصرين: كانوا يأكلون أوراق الشجر والجلود حين ينفذ الطعام وكان يسمع بكاء الأطفال من وراء الشعب جوعا، وقال سعد بن ابي وقاس : لقد كنت اطأ في الليل علي شيء رطب فأخذه واضعه في فمي وما ادري ما هو الا ان اصبح فاري انه جلد بعير .

وكان يصلهم بعض الطعام في موسم الحج فقط لان الأشهر الحرم كانت توقف العداوات فيتسلل بعض المتعاطفين بالطعام خفية ، ومن ابرزهم (حكيم بن حزام) ابن اخي خديجة .

خامس : انهاء المقاطعة: كان (هشام بن عمرو العامري) يتسلل بالابل محملة بالطعام ، فلما طال الحصار ذهب الي (زهير بن ابي امية) وهو ابن (عاتكة)عمة النبي ، فقال له أترضى ان تلبس الثياب وتأكل الطعام وتنكح النساء واخوالك حيث قد علمت؟ فتحرك زهير ومعه نخوة جماعة من قريش هم : (هشام بن عمرو) و (زهير بن امية) و (المطعم بن عدي) و (أبو البختري بن هشام) و (زمعة بن الأسود) واتفقوا علي نقض الصحيفة فذهبوا الي الكعبة واعلنوا ذلك فثار أبو جهل وقال : هذا امر ابرم بليل – أي مكيدة دبرت في الخفاء ، ثم قاموا فاتوا بالصحيفة فاذا الارضة (حشرة) اكلتها .

سادسا: مدة الحصار استمر الحصار ثلاث سنوات – أي انتهي في عام ٦٢٠م العام العاشر من البعثة ، وكانت الاحزان الحقيقية لازالت لم تأت بعد ..

١٦) عام الحزن:

أولا: وفاة أبو طالب: لم تمر اشهر حتي يتلقى لرسول ضربة قاسية ، بوفاة عمه أبو طالب في عام ٦٢٠م لينكشف الغطاء والدرع الذي كان يحميه من بطش قريش ويخسر الاب والسند للمرة الثانية بعد موت ابيه ، واما ما المه اكثر من موته هو إصراره علي التمسك بدين قريش وكان النبي يترجاه وهو علي فرش الموت ان يقول كلمة يشفع بها له عند الله ، الا ان عقيدة الجاهلية من الخوف من المعرة قد استحكمت في صدره وعقله فمات علي دين قريش .



■ جبل أبوقبيس أعلى جبال مكة ٤٢٠ مترًا.. وأشهرها جبل النور وعمر والرحمة وثور والكعبة وفاران والطارقي وقعيقان والعبادي وجبل السيدة نسبة إلى السيدة خديجة بنت خويلد زوجة الرسول وتشهد صخور ابوقبيس على ما جرى من عذابات حصار المسلمين في شعب ابي طالب على مدى ثلاث سنوات عجاف..

ثانيا: وفاة خديجة :

لم تمر اشهر بعد موت ابي طالب الذي سبب اذي نفسي للرسول والمسلمين حتي جاء القدر بضربة ثانية للرسول ، بوفاة زوجته خديجة ، التي توفيت في عام ٦٢٠م وقيل كانت في الخامسة والخمسين ولكن الاصح ان تكون في الستين اذا كانت تزوجت منه في عمر الخامسة والثلاثين ، فقد النبي الاب والام للمرة الثانية وقد اصبح الرسول صلي الله عليه وسلم في اشد الحزن واليأس والخوف مما ستفعله به قريش . وكان يقول في وداعها: امنت بي حين كفر الناس وصدقتني حين كذبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقني الله ولدها حين حرمني أولاد غيرها .

١٧) رحلة الطائف:

لم تكن الاحزان والالام لتكتفي من النبي حتي اضطر للخروج من مكة خوفا مما ستفعله قريش به بعد فقدانه الحماية فقرر الذهاب للطائف يلتمس النصرة ويحاول إقامة قاعدة جديدة للدعوة ، فذهب ماشيا علي قدميه مسافة نحو ثمانين كيلو مترا الي الطائف وحيدا في رحلة قاسية،

أولا: ذهب الرسول صلي الله عليه وسلم الي سادة ثقيف وهم: أبناء عمرو بن عمير : (عبد ياليل) و (مسعود) و (حبيب) طالبا اللجوء والحماية والإقامة السلمية ، فقالوا له (اما وجد الله غيرك؟) وسخروا منه وسفهوه وشتموه ، بل اغروا سفائهم وعبيدهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتي ادموا قدميه ولم يزالوا به حتي اخرج من الطائف مطرودا شر طرده

ثانيا: وهنا اجتمعت الاحزان والالام علي النبي وهو في الصحراء خارج الطائف وخارج مكة وخارج اهله مستضعف ومطارد يخشي دخول مكة فيقتل وليس له من يحميه ، ليس له زوجة ولا اب ولا مجير الا الله، فجلس وهو في اقصي درجات الشدة والحزن يناجي ربه بدعاء يفطر القلب، كما جلس موسي عليه السلام في مدين بعد هروبه من مصر وكما هرب ابراهيم عليه السلام من قبل ، فقال:

اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علي الناس ، يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي ، الي من تكلني؟ الي بعيد يتجهمني ام الي عدو ملكته امري ، ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ، غير ان عافيتك هي أوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بي غضبك او يحل علي سخطك ، لك العتبى حتي ترضي ولا حول ولا قوة الا بك- رواه الطبراني وابن اسحق وهو من اصح ما روي في ادعية السيرة .

ثالثا: اجارة المطعم بن عدي:

لما أراد النبي العودة الي مكة ارسل يطلب جوارا من عدة سادة قريش فرفضوه كلهم الا المطعم بن عدي وهو مشرك ، فقبل ان يجيره (أي يدخل النبي مكة في حمايته) . ودخل النبي مكة في حمأيته .

☐ الاسراء والمعراج

ان حادثة الاسراء والمعراج كانت ولا زالت محل نقاش ، واختلفت فيها اراء الباحثين ، وفي هذا البحث سنفصل القصة تفصيلا تاريخيا وعلميا دقيقا ،

١ الاسراء:

أولا: المقصود بالإسراء هو الرحلة التي جرت علي الأرض، في داخل حدود المكان (الكوكب) وهي انطلاق الرسول صلي الله عليه وسلم بطريقة ما من مكة الي القدس ، وما جري هناك من احداث حسية سنناقشها بعد قليل،

والاسراء في اللغة هو اشتقاق من الجزر (س ر ي) ويسري الرجل أي يسير ليلا ، اما الاسراء فهو فعل متعد أي سيره غيره ، وهو دليل علي ان الرسول صلي الله عليه وسلم لم يسري بنفسه بل كان بقوة خارجة عنه. ورغم ان الاسراء لا يكون الا ليلا بطبيعة اللغة الا ان القرآن قال (ليلا) وقد ذهب المفسرين الي ان ذلك يفيد التقليل أي في جزء يسير من الليل للتنبيه علي سرعة الرحلة.

ثانيا: وقد ثبت الاسراء بنص القرآن بما لا يقبل الشك او التأويل بقوله تعالي: سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا - الاسراء١

و قد اجمع المفسرين علي انطباق الآية علي الواقعة المذكورة بدون تأويل ، ونري ان الآية لا تقبل معني غيره وقد دل علي ذلك أيضا قوله تعالي (لنريه من آياتنا) وهي إشارة الي ان الواقعة مثلت اية (علامة او معجزة) من الله ،

ثالثا: وقت الاسراء:

اتفق الجمهور علي انها كانت بعد حادثة الطائف ورجوعه مكة مباشرة أي بين ٦٢٠ – ٦٢١م وكان النبي اذا في الخمسين من عمره او يزيد عن ذلك، اما الوقت فهو بنص الآية كان بالليل ولا يعرف اليوم بالتحديد واما عن الأيام المعروفة شعبيا والتي يحتفل بها لهذا اليوم فهي بناء علي اراء متعددة لم يثبت أي منها لا بنص ولا بدليل، والصحيح انه كان ما بين وقت العشاء الي قبل طلوع الفجر وهو الوقت الذي يسمي ليلا عند العرب ، وهو نفسه وقت الإفطار في رمضان بنص الآية (وكلو واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) وهو نهاية الليل وجائز ان يكون الحدث خلال هذه الفترة ولا يوجد دليل صحيح ومؤكد عن الفترة التي استغرقتها الرحلة حسب ما اجمع عليه من صحيح الاحاديث .

٢) المسجد الأقصى:

هذه نقطة مهمة جدا ، فالثابت والمؤكد تاريخيا ان المسجد الأقصى – المسجد الكبير في القدس ومحيطه ومسجد قبة الصخرة – لم يكن لهما وجود في زمن النبي ، وقد بينا سابقا في فصل سليمان عليه السلام متي بني المسجد، اما المسجد المقصود في الآيات فليس مقصود به البناء الذي نراه اليوم في القدس ..

أولا: المسجد في اللغة هو مكان العبادة ولا يقتصر علي المسجد الإسلامي بل يسمي مسجدا كذلك الكنيسة والمعبد كما ورد في سورة الكهف (لنتخذن عليهم مسجدا) ، والاقصي أي الابعد ولم يكن هناك مكان مقدس غير الكعبة الا في القدس وقد اجتمع المفسرون علي ان المقصود هو المسجد الأقصي في القدس

ثانيا: ما المكان المقصود في الآية:

في القرن السابع الميلادي كان في تلك البقعة مجرد بقايا متهدمة للهيكل اليهودي الثاني الذي تم تدميره علي يد (تيتوس) عام ٧٠م اثناء حصار القدس ولم يتم بناءه او العناية به منذ ذلك الوقت واصبح المكان في عهد النبي ساحة مفتوحة وخراب فيه بقايا واثار وظل مهملا تحت حكم البيزنطيين.

وأيا كان فالمقصود بالمسجد في الآية هو الموقع المقدس والذي يشمل مساحة المسجد الأقصى الحالية ويشمل الصخرة المقدسة (قدس الاقداس) والتي يعتقد انها محور قدسية المكان عند الأمم السابقة وربما استمدت تلك القدسية من تقاليد ترجع لأنبياء الله الذين عاشوا في هذا المكان والله اعلم.

٣) المعراج:

أولا: المقصود بالمعراج هو الشق الثاني من الرحلة والذي يفترض حدوثه خارج نطاق الأرض ، كما سنري في الحديث، وهذا الشق ينطوي علي احداث خارقة للعادة – ربما بمقاييس هذا الزمان علي وجه الخصوص – وان كانت هناك تفسيرات علمية ممكنة كما سنري،

والمعراج لغة من فعل عرج وهو الصعود والارتفاع وتكرر اللفظ في القرآن بنفس المعني ، قوله تعالي (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) أي تصعد اليه ، وقوله (يدبر الامر من السماء الي الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة) أي يصعد اليه الامر،

ثانيا: المعراج ثابت بنص القرآن أيضا، بحسب اجماع المفسرين في أوائل سورة النجم في قوله تعالي (ذو مرة فاستوي ، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلي ، فكان قاب قوسين او ادني ،فأوحي الي عبده ما اوحي، ما

كذب الفؤاد ما رأي ، ولقد راه نزلة اخري عند سدرة المنتهي ، عندها جنة المأوي ، اذ يغشي السدرة ما يغشي ، ما زاغ البصر وما طغي- النجم) وهذه الآيات تفسر كثير من المسائل التي اختلف فيها العلماء بشان المعراج وطبيعته واحداثه كما سنري.

٤) طبيعة الرحلة :

اختلف العلماء بشان طبيعة الرحلة في عدة مسائل:

أولا: الاسراء بالروح ام بالجسد : من اكثر المسائل جدلا بين العلماء وقد ذهب الجمهور الي ان الرحلتين (الاسراء والمعراج) كانتا بالروح والجسد معا لقوله تعالي (اسري بعبده) تأسيسا علي ان لفظ العبد لم يطلق الا علي الانسان كاملا وليس روحه فقط ، ونجد ذلك في قوله تعالي (الحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب- الكهف١) و قوله (ذكر رحمت ربك عبده ذكريا-مريم٢) و قوله تعالي (تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا) ، (اليس الله بكاف عبده) ، (فأوحي الي عبده ما اوحي) ، اما اذا اشار القرآن الي الروح بدون الجسد فيستخدم كلمة نفس غالبا مثل قوله تعالي (الله يتوفى الانفس حين مماتها والتي لم تمت في منامها) وهو اللفظ المستخدم لوصف الروح وقد يستعمل كذلك لوصف الروح والجسد معا ، ولكن (عبده) لم تستخدم الا للإنسان بروحه وجسده .

ثانيا: هل كان الاسراء يقظة ام رؤيا :

اذا كان الاسراء نوما فهذا يعني انه كان بالروح دون الجسد لان الروح تتحرك اثناء النوم بدون الجسد وهو ما قرره القرآن (الله يتوفي الانفس حين مماتها والتي لم تمت في منامها) – بعيدا عن التفسير العلمي – ولذلك فالذين أيدوا كون الاسراء بالروح فقط قالوا انه كان في المنام وهذا يعني انه كان رؤيا ولا يوجد حل اخر في هذا الفرض ، وافتراض انه كان رؤيا ينفي المعجزة كلية من ناحية ويخالف سياق القرآن ودلالة اللفظ في سورة الاسراء والتي جاءت بصيغة خبرية مؤكدة لم يختلف عليها المفسرون ، قوله تعالي (سبحان الذي اسري بعيده ليلا) فقد دلت صيغة الماضي علي وقوع الحدث حقيقة كما ان تحديد الزمن دلالة واضحة علي حدوثه ، ومن ناحية ثانية فاذا أراد القرآن ان يصف رؤيا لوصفها بشكل مباشر والامثلة كثيرة ومنها قوله تعالي : (قال يابني اني اري في المنام اني اذبحك-الصافات) وقوله تعالي (اني رأيت احد عشر كوكبا – يوسف) وقوله تعالي (قال الملك اني اري سبع بقرات – يوسف) وقوله تعالي (اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم –

الانفال) ، وهناك دلالات متفق عليه عند المفسرين للرؤيا في لفظ القرآن والجمهور علي ان الاسراء لم يكن في منام او رؤيا.

٥) المعراج بين العلم والدين:

يعتبر هذا السؤال هو محور الجدل التاريخي بين العلم والدين حول حقيقة الاسراء والمعراج، والسبب الرئيسي لانكار البعض وقوع الرحلة برمتها .

ان المنطلق في فهم وتقبل القصة يبدأ أولا عند فهم النموذج القرآني للبناء الكوني ومطابقته مع النموذج العلمي المقترح حاليا والمقبول في المجتمع العلمي اليوم، والحقيقة ان النموذج القرآني لا يتعارض –بل ينسجم مع الفرضيات العلمية بحيث يضيف اليها ويسد الثغرات ويحل الكثير من المشاكل العلمية حول فهمنا للكون ،

وسنعرض بأيجاز شديد الصورة التي يعطيها لنا القرآن للكون كله ومدي انسجامها مع النموذج العلمي الحالي حتي نفهم رحلة الرسول صلي الله عليه وسلم خلال طبقات هذا الكون عبر السماوات ونفهم المفردات الواردة بالحديث والمؤيدة بنص القرآن كما سنري ..

أولا: الكون وفقا للعلم الحديث:

بأيجاز شديد ، يمكن تلخيص الكون انه بدأ بذرة متناهية الصغر ذات كتلة شديدة الثقل وباختصار كانت تلك النقطة تحوي كل ماهو موجود الان من ذرات ونجوم وكواكب وفضاء شاسع ولكنها مضغوطة في تلك الذرة الصغيرة، ولسبب ما – عجز العلم عن تفسيره حتي الان- انفجرت تلك الذرة مكونة كونا شاسعا مستمر في الاتساع والتباعد بين اجزاءه ، اما ما بعد حافة هذا الكون المتسع فلا نعرف عنه شيء.

هذا الكون المرئي الأسود بذراته ونجومه ومجراته يشكل حوالي ٥% من الكون الحقيقي والباقي بين عنصرين لا يفهم عنهما العلم أي شيء ، مادة مظلمة وطاقة مظلمة يشكلان ٩٥% من الكون المرئي ولا نعرف ماهيتهما ، كما ان هذه الكون يتسارع في الاتساع ولا نعرف أيضا سبب هذا التسارع وكانما هناك شيء خفي يؤثر عليه ، ومن اجل حل هذه الالغاز افترضت كثير من النظريات التي عجز العلم عن اثباتها مثل وجود اكوان لا نهائية متوازية او فقاعات كونية وغيرها.

ثانيا: النموذج القرآني للكون :

من الآيات المجتمعة في القرآن يمكننا ان نفهم الكون التالي:

السماء السوداء التي يصفها العلم اليوم علي انها الكون ما هي الا سماء دنيا – أي الأدني والاقرب الينا – وحيط بها سماء ثانية أوسع واشمل منها تمثل خلفية لها بحيث يمكن ان نقول ان سماءنا الدنيا تسبح في السماء الثانية ، ولا يمكن ان نقول تحديدا انهما طبقات راسية او هرمية او انهما كرتين متداخلتين بالمعني الدقيق انما ما يمكن ان نجزم به انهما متداخلتان بحيث لا يمكن فصلهما او تمييز فاصل بينهما ان السماء الدنيا تتاثر بالسماء الاولي تماما وهذا الفرض يحل كثير من المشاكل في النموذج العلمي السابق..

فمن ناحية : نجد تفسير للمادة المظلمة بانها جزء من السماء الثانية –الخلفية – التي تسبح فيها السماء الاولي تقريبا ، ومن ناحية ثانية: ان الطاقة المظلمة التي تسبب كل من الجاذبية والتسارع في الاتساع الغير مفسرين ، انهما اثر مباشر للسماء الثانية علي السماء الدنيا ، اذا السماء الثانية هي التي تسبب الجاذبية والتماسك بين مكونات السماء الاولي.

السماء الثانية ما هي الا نموذج مكبر من السماء الاولي والتي تسبح بدورها في سماء ثالثة اكبر واقدم منها ، ووفقا للقران ، هناك سبع طبقات بهذا الشكل متداخلين بطريقة لا يمكن فهمها الا اذا فهمنا كيفية تواجد الإبعاد الكونية الكثيرة والتي يفترض ان تزيد عن عشرة – خاصة بالسماء الاولي فقط

يغلف تلك السماوات –الطبقات – السبع غشاء عظيم اكبر منهم يسميه القرآن (سدرة المنتهي) وهي الفاصل بين الزمكان (الزمان والمكان/الكون) ، وبين ما هو خارجه – أي خارج الزمكان – والذي لابد ان يكون هو المصدر اللانهائي والأزلي لكل شيء ، بكلمة ادق – هو الله

في كل سماء لابد ان توجد حياة من نوع ما ، وبالتالي أماكن تصلح لهذه الحياة متوافقة مع طبيعتها، اما السدرة (الغشاء) فلا يوجد به حياة ولا يمكن اختراقه فهو برزخ او فاصل بين الكون (الزمكان) واللانهائية (الله) وهي شاسعة جدا.

هذه السماوات السبع لابد ان تكون في حركة مستمرة ، لان الزمان يفترض الحركة والسكون هو انعدام الزمن ، فلا فرق بين السماوات السبع ، كلها حيوات وكلها تشمل مخلوقات مكلفة ومخلوقات مفطورة (الملائكة) ، ولذلك فان الفرض المرجح ان السماوات السبع نشأت كل منها بانفجار مشابه لانفجارنا الكبير لكنه بالطبع كان اكبر ، وعلي ذلك فان السماء السابعة خلقت أولا ثم التي تليها وتكون سماءنا الدنيا هي الأخيرة .

هذا أيجاز شديد وملخص للتصور القرآني عن الكون حتي ندرك الشكل العام للكون والسماوات السبع وبعد ذلك يصبح فهم الرحلة التي خاضها الرسول صلي الله عليه وسلم أيسر .

٦) البراق:

ورد الاسم في بعض الروايات وليس كلها ولكنها اتفقت في وصفه ، وهو وسيلة الانتقال التي استخدمت في الرحلتين الاسراء والمعراج، وحسب وصف الرسول صلي الله عليه وسلم انها (دابة دون الحمار وفوق البغل) وهو وصف للحجم وليس بالضرورة حيوان محدد ، اما قوله دابة فهو وفقا لاستخدام العرب يدل علي انه كان يري صورة لحيوان او كائن حي ولو كان كائنا معروفا للعرب لذكر اسمه لكن من الواضح انه تشكل لحيوان لا يعرف له الرسول صلي الله عليه وسلم اسما او لم ير مثله من قبل، وقد ورد في بعض الروايات انها بيضاء وهو ما يصعب مطابقتها مع حيوان بعينه.

الوصف الثاني : تضع حافرها عند منتهي بصرها: وهو الوصف المهم لدينا لأنه سيفسر لنا كيفية التحرك خلال تلك المسافات الشاسعة عبر سبع سماوات ..

ان الفهم الحرفي للوصف (تضع حافرها عند منهي بصرها) قد فسره العلماء ببساطة انه يدل علي السرعة العالية جدا، ولكن الحقيقة ان تجاوز مسافات فلكية (ملايين السنوات الضوئية) في تلك الرحلة الغير متكررة ، يفترض سرعات تصل الي آلاف الاضعاف لسرعة الضوء ، وهو ما سيتسبب في احتراق الجسد البشري بلا شك ، كما ان السير بهذه السرعة يفترض تقريبا توقف الزمن او الاقتراب من الصفر ، وهو ما ينفرد به (الفوتون) او ذرة الضوء، والحقيقة ان ما حدث لم يكن سيرا بسرعات مهولة وانما كان سيرا في اختصارات مكانية (مسارات دودية) او تجاوز للمكان من خلال ابعاد علوية (البعد الخامس فما فوق) وهو بالضبط الكيفية التي تسير بها الملائكة والجن ، فهم في الحقيقة لا يقطعون المسافة ولكنها يتجاوزونها ولفهم ذلك يمكن شرح مثال مبسط ..

ان التحرك من نقطة علي طرف ورقة بيضاء الي نقطة اخري علي الطرف الاخر يفترض التحرك مثلا في خط مستقيم بين النقطتين قاطعا المسافة بين طرفي الورقة كلها ، اما وفقا لنسبية (أينشتاين) فيمكن تجاوز المسافة بطي الزمكان تماما كما نطوي الورقة أيتلامس طرفيها فتنتقل اذا النقطة الاولي الي الثانية بالتلامس المباشر دون الحاجة لقطع المسافة بينهما ، ولا يمكن تحقيق ذلك الا برؤية الورقة من اعلي – أي من بعد ثالث (الارتفاع) اما النقطتين علي طرفي الورقة فلا يمكنهما رؤية هذا البعد الثالث لأنهما ثنائي الإبعاد ، اما نحن البشر فما نراه هو فقط ثلاثي الإبعاد ، وعلي الرغم من وجود ابعاد اخري حولنا لكننا لا نميزها ، واذا حدث وعرفنا أين وكيف تتواجد سيكون سهلا علينا تجاوز المسافة والزمن .

اما البراق ، فهو كائن ينتمي لإبعاد اعلي او قادر علي تمييزها بسهولة ولذلك سيعرف أين يسير متجاوزا المسافات .

الخلاصة ان التحرك بهذا الشكل – او ما سيراه الرسول صلي الله عليه وسلم امامه خلال الحركة – سيكون كالتالي:

يري مثلا منتهي بصره جبل احد علي اقصي مسافة تدركها عينه ، ثم في لحظة يجد نفسه تحت سفح الجبل وينتقل بصره الي النقطة التالية في اقصي مدي للرؤية، ثم ينتقل اليها في لحظة اخري دون ان يجتاز المسافة الي هذه النقطة ، وهذا يطابق وصفه للبراق عندما قال (تضع حافرها عند منتهي بصرها) وهو يقصد اذا بصره هو لأنه لا يري ما تراه الدابة بل يصف ما كان يراه هو ، انتقال فوري الي اقصي ما يدركه بصره . وبالتالي وجد نفسه ينتقل بين عدة نقاط بسرعة دون ان يشعر باجتياز مسافة ما حتي وصل الي القدس .

اذا تلك الدابة قد تكون كائنا نورانيا مثل الملائكة او ذات طبيعة اخري ولكن كان يجب ان تظهر للنبي في صورة حيوان مفهوم المعالم بالنسبة له حتي يمكن لعقله تفسيره وفهمه ولذلك لا تظهر الملائكة علي صورتها الحقيقية لان العقل لن يفهم ولن يفسر وبالتالي لن تتم رؤيتها وانما تظهر في صور يمكن للعقل فهمها كالبشر وعلي ذلك فقد ظهر البراق في صورة تشبه الحيوان وبلون يدركه العقل وليس هذا هو شكلها الحقيقي.

٧) البراق:

والمقصود هو الوسيلة التي اخذت الرسول صلي الله عليه وسلم عبر تلك الرحلة الاستثنائية، والحقيقة ان الاسم لا يظهر في جميع الروايات – وهي قليلة – واما المجمع عليه في وصفها فهو التالي:

أولا: دابة : وهو وصف لما راه النبي فحسب ولا يعني بالضرورة انها كانت حيوانا حقيقيا وانما هكذا ظهرت للنبي لان العقل البشري لن يميز او يقرأ صورة الكائن الحقيقية وبالطبع لا يوجد حيوان – دابة – يستطيع عبور اقطار السماوات الي السماء السابعة بهذه الكيفية والأرجح انه كائن ينتمي لتلك الإبعاد العلوية – مثل الملائكة – تم تصويره للنبي في هيئة يفهمها عقله البشري الذي لا يدرك الا درجة معينة من الموجات الضوئية ولا يفسر سوي الاشكال التي تعود علي رؤيتها، فكان ما راه النبي هو ما وصفه .

ثانيا: بين الحمار والبغل وفي رواية فوق الحمار ودون البغل وهو وصف للحجم وليس وصفا لحيوان معين كما أراد بعض المفسرين ان يقول، والحقيقة لو كان حيوانا مميزا لذكر النبي اسمه وانما الوصف يدل علي انه لم ير مثله قط.

ثالثا: يضع حافره عند منتهي بصره: وهو الوصف الأهم هنا، لأنه يعطينا فكرة عن كيفية الحركة في تلك الرحلة الاستثنائية والحقيقة ان هذا الوصف يجيب عن السؤال الأهم في القصة وهو كيفية السير لمسافات شاسعة في ليلة واحدة فمجرد عبور سماءنا الدنيا (الفضاء الكوني المنظور) يتطلب ملايين السنوات الضوئية ومليارات السنين الأرضية ، واما وصف الرسول صلي الله عليه وسلم المعجز فقد شرح لنا المسألة من الناحية الفيزيائية ولكن بلغة العربي البدوي الغير متعلم والمعلم من قبل الله تعالي .

ان ما نفهمه من الوصف يتطابق مع الفيزياء الحديثة ، فيدل علي ان ما حدث لم يكن سيرا بسرعات فائقة ولا حتي بسرعة الضوء ، وانما كان اختصارا للمسافات – او كما يصفه أينشتاين – طي الزمكان، ولنعطي مثالا بسيطا للتفسير..

اذا كان لدينا نقطتان علي طرفي ورقة بيضاء فان الوصول من النقطة الاولي للثانية يتطلب بالطريقة العادية ان نسير في خط او منحني قاطعين المسافة بين النقطتين علي طول الورقة، اما طي الزمكان فيعني ان تمسك بالورقة وتطويها بحيث تتلامس النقطتان ويكون المرور من احدهما الي الأخرى لا يحتاج لقطع أي مسافة ولا أي زمن ، وهذا وصف مطابق لما وصفه النبي، كيف ذلك؟

ان النبي كان يصف ما يراه هو وليس الدابة ، فالنبي يري مثلا اخر منظر علي امتداد بصره (جبل مثلا) ثم في اللحظة التالية تماما يجد نفسه واقفا عند هذا الجبل وينتقل بصره الي النقطة التالية علي مرمي بصره وهكذا ، مشاهد تتغير كل لحظة ومسافات تقطع دون ان تشعر انها قطعت، وهذا بالضبط ما يعنيه (تضح حافرها عند منتهي بصرها – أي بصره هو) وبعدة نقلات للمناظر امامه يجد نفسه امام منظر المسجد الأقصى في لحظات قليلة.

ان ما يحدث هو ان البراق كائن يستطيع ادراك الإبعاد التي لا نستطيع ادراكها نحن – تماما كالملائكة والجن الذين ينتقلون دون مراعاة حدود المسافة ، فالنقطتان علي الورقة البيضاء يرون العالم ثنائي الإبعاد (طول وعرض) واما نحن فنراهما من اعلي – أي من بعد ثالث (الارتفاع) ولذلك نعرف خدعة طي الورقة بينهما لا يعرفونها هم لأنهما لا يريان البعد الثالث الذي نراه نحن.

وبالتالي فان البراق يري الإبعاد ما فوق الرابع ويعرف كيفية الانتقال من مكان لأخر بسهولة دون ان يضطر لقطع المسافة بالكامل .

رحلة المعراج:

ان الاحاديث التي وصفت الرحلة كثيرة وللأسف ليست كلها بنفس الدرجة من الصحة ، ولحسن الحظ فقط تكلم عنها القرآن في سورة النجم مما يجعل لدينا أساس صلب وموثق نقيم عليه القصة بالاستعانة بما صح من الروايات في الحديث..

الانطلاق من القدس الي خارج الأرض:

بداية الرحلة الي اعلي كانت من القدس ولا يوجد دليل اكيد علي ان الانطلاق كان من الصخرة المقدسة ، وكلها روايات او تفسيرات لاحقة لن يرد بشأنها حديث صحيح ولا نص قراني، اما عن تفاصيل الرحلة خارج الأرض فنأخذها من اشهر واوثق الروايات في صحيح البخاري ومسلم وهي رواية انس بن مالك، ومضمونها كالتالي:

أولا: لقاء الأنبياء:

يذكر النبي لقاءه لعدد من الأنبياء موزعين علي السماوات السبع ، والحقيقة اننا امام سؤال محير، هل كان ما لقاه النبي من أنبياء هو أرواح ام احياء؟

اعتقد ان لقاء انسان حي لروح هو امر صعب التأكد منه ، فمن ناحية نعلم من القرآن انه يمكن للأرواح ان تتقابل وتتفاعل مع بعضها وان كانت احدها لأحياء والأخرى لأموات وهو ما ذكرناه من إشارة في سورة الزمر ، ولكن في حالتنا هذه نحن امام انسان كامل بالروح والجسد التقي بأرواح أناس ميتين ، والامر اذا لا يخرج عن احتمالين، الأول ان يكون ما لقاه النبي هو احياء مؤقت للأنبياء بالروح والجسد معا ، واما انه لقي ارواحهم الميتة دون تغيير وهو ما يفتح الباب للتساؤل عن أحوال الأرواح الموتى في حياة البرزخ بين الحياة والبعث.

والحقيقة ان هذه الرحلة تعطينا بعض التفسيرات عن كل شيء حولنا وتعطينا أيضا سيل من الأسئلة والافتراضات الصعبة، والأرجح عندنا ان النبي لقي الأنبياء والرسل وهم اموات أي أرواح فقط وهو ما يمكن ان يدل علي إمكانية اللقاء من هذا النوع بشرط فهم حقيقة الإبعاد التي تقف حاجزا بيننا وبينهم، كما ان إمكانية العودة للجسد ليست بأيديهم لان هناك كائنات مكلفة بانتزاع الروح من الجسد واعادتها عند البعث واما الأرواح فلا تملك تلك القدرة ولا تعرف الطريقة حتي.

ومن ناحية اخري نفهم من هذا اللقاء ان الأرواح كلها ليست في مكان واحد وان هذا البرزخ (ومن وراءهم برزخ الي يوم يبعثون) ليس مكان محدد بل وصف لمكان كل روح وهي موزعة علي السماوات ولا نعرف معيار هذا التوزيع .

ومن ناحية ثالثة يمكن ان نفترض وجود أماكن للسكن في السماوات مثل كواكب السماء الاولي وهو ما اشارت اليه احد الروايات حيث وصف النبي أوراق شجر مثل اذن الفيل ، مما قد يدل – ان صحت الرواية – علي وجود بيئات مشابهة للأرض ولكن بصورة مختلفة .

اذا لم يلق النبي الأنبياء وهم يسبحون في السماوات بل كل في بيئة ونظام صالح للسكن ، كل علي حسب درجته وعمله ، فالصالحين يرون أماكن جميلة والعصاة يرون أماكن قاسية وأيا كان ، فان النبي قابل كل نبي ورسول في مكان له معالم مميزة مثل الأرض .

ثانيا: البيت المعمور: في نفس الرواية يقول الرسول صلي الله عليه وسلم (ثم رفعت الي البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه) – البخاري ٣٨٨٧ ، مسلم ١٦٢.

لم ترد روايات مفصلة في ماهية البيت المعمور الا رواية واحدة يذكر فيها انه بمحاذاة الكعبة حتي لو وقع لوقع فوقها ، وهي رواية غير مؤكدة

وحسب تفسير العلماء فهي مثل كعبة الملائكة يحجون اليها كل يوم ، وعلي أي حال لا يمكن انكار وجود البيت المعمور لذكره في القرآن في سورة الطور والاشكال اذا هو في وصفه وماهيته.

ثالثا: سدرة المنتهي: أيضا وجودها قطعي بنص القرآن (النجم) وقد اشرنا الي انها مثل الغشاء الفاصل بين عالم الحياة (السماوات السبع) وبين ما هو خارج الزمان والمكان ولنستعرض وصف القرآن للسدرة وما بعدها..

يقول تعالي (اذ يغشي السدرة ما يغشي): وهو حسب تفسير العلماء ما بعد السدرة وهو غير معلوم لان القرآن امسك عن البوح بماهيته ، ويغشي أي يغلف او يغطي او يحيط والمقصود هو ما وراءها واللفظ يدل علي ان ما وراء السدرة يحيط بجميع الكون بكل ما فيه وهو اكبر واعظم واوسع وفي فهمنا ان ما يغشي السدرة هو الكيان او المساحة او أيا كان ما يعجز لفظ اللغة عن الاتيان بكلمة تشمله لان ما نتحدث عنه هو (اللأنهائية/الأزلية) وهو مصدر كل شيء ولا يمكن ان يكون في مكان ولا يوجد عنده زمان وهو تعريف فيزيائي أيضا وليس فلسفي ، والكلمة الوحيدة القادرة عل ان تصفه هي (الله) ، ولذلك قال تعالي (يغشي السدرة ما

يغشي) أي شيء لا يمكن وصفه لان الله يملأ المساحة اللانهائية التي خلق عليها الكون والتي كانت موجودة قبل خلقه ، والكون يسبح فيها ولذلك قال تعالي (يغشي) وليس (يحيط) لان الإحاطة محددة بالمكان اما الغشاوة فيمكن ان تكون لانهائية .

قوله تعالي (ثم دنا فتدلي ، فكان قاب قوسين او ادني):

أي ان الرسول صلي الله عليه وسلم قد اقترب من السدرة عند اخر حدود السماء السابعة الاخذة في الاتساع ، وهي الحدود التي لم يتجاوزها مخلوق ولا يمكنه تجاوزها لأنها غير معدة للسكن او الحياة ولا تخضع لقوانين الكون .

واما رواية المشهورة والمتداولة عن قول جبريل للنبي (لو تقدمت لاخترقت ولو تجاوزت انا لاحترقت) فلم تثبت في الصحيحين ولا في السنن الأربعة ولم يرد عنها بسند متصل ، والثابت هو ان الجميع توقف عند بداية السدرة وهو ما يتسق مع المنطق والعلم فهذا هو نهاية الزمان والمكان ولا يمكن لمخلوق خاضع لقوانين ان يتجاوزه ولا يمكن التنبؤ بماهيتها ابدا لان القوانين والمنطق لا ينطبق عليها ولا نعلم مساحتها ولا حدودها وكل ما يفهم انها تحيط بكل ما هو مخلوق احاطة تامة وهنا كانت حدود رحلة المعراج وتوقف النبي ليستمع الي الوحي مباشرة بدون وسيط .

رابعا: في تلك المرحلة اصبح النبي اقرب ما يكون من حدود الزمان والمكان ولا يمكن تخيل المنظر الذي كان يراه النبي وهو وقد خص النبي بهذا التكريم الذي لن يناله بشر ابدا وقد اخذ في اعظم رحلة يمكن لأنسان ان يخرج فيها وقد ادرك حجم الكون وحكم الأرض وحجم البشر وعلم ان كل مشاكله ومعاناته مع الكفار والحياة والموت لا يساوي شيئا امام هذا الكون العظيم المعجز وقد رأي الرسول صلي الله عليه وسلم ما لم يتخيله عقل (وقد رأي من آيات ربه الكبرى) فيا لحظ النبي برحلته وبدنوه من الله عز وجل .

لقد كانت نهاية تلك الرحلة هي اكتمال اركان الدين بالركن الأهم وهو فرض الصلاة وقد أراد الله تعالي ان تسلم تلك الأمانة مباشرة الي يد النبي بدون وسيط ولا وحي ، وقد اخبرنا النبي عن ذلك في الحديث ، ان الله فرض عليه خمسين صلاة ثم خففت الي خمسة ولكن يبقي اجر الخمسين .

وعلي ذلك فانه وفقا للحديث الصحيح تكون الصلاة قد فرضت في العام ١٠ – ١١ من البعثة ما يقابل ٦٢٠-٦٢١م والله اعلم.

خامسا: انتهت الرحلة وعاد النبي الي مكة وبدأت الفتنة ..

ان المتفق عليه من الروايات هو ان الكفار جادلوا في صحة القصة وكذبوا النبي ، وقد ذكر كثير من العلماء ان هناك زيادات في الرواية قبلها البعض وطرحها البعض ومنها ان النبي اوريت له صورة المسجد الأقصى ليصفه للكفار لاثبات انه ذهب اليه والحقيقة ان هذا الحدث لا حاجة له به، فقد ذهب النبي بالفعل الي المسجد وصلي به وعرج منه الي السماء فهو يعلم كيف يبدو فلماذا اذن يحتاج لان تقرب اليه الصورة ليصف منها للكفار ، ومن المتفق عليه أيضا هو موقف أبو بكر من الخبر عندما اعلم به من بعض المشركين بهدف تشكيكه في سلامة عقل النبي فكان رده بدون تردد : ان كان قال هذا فقد صدق، وفي ذلك اتفق علي سبب تسميته بالصديق لأنه صدق حتي دون ان يسمع من النبي الخبر .

□التمهيد الهجرة الي المدينة

لم يكن قرار الهجرة قرارا فرديا من النبي ، انما كان بوحي وامر من الله ، كما قلنا فالأنبياء لا تغادر مكان دعوتها الا بأمر من الله ، وقد رأي النبي رؤيا انه يهاجر الي ارض بها نخل وقد فهم ان المقصود يثرب، وهي المدينة الوحيدة التي بها نخل في المنطقة ، وقد كان النبي قد بعث رجالا من قبل الي يثرب لتأسيس ارض للدعوة الي الإسلام وقد مهدت تلك الدعوة لقبول الإسلام في المدينة ، وبقي ان يضمن الرسول صلي الله عليه وسلم ان ما حدث في الطائف لن يتكرر هناك، وقد كان تخطيطه سياسيا ذكيا ظهر في بيعتا العقبة الاولي والثانية كما سنري..

١) بيعة العقبة الاولي:

وقعت في السنة الثانية عشرة من البعثة – ٦٢٢م ، وقد التقي النبي بوفد من الاوس والخزرج من اهل يثرب ، وقد كانوا منذ شهور فقط في حرب طاحنة وقد ورد في بعض كتب السيرة ان النبي كان له دور في الإصلاح بينهما ووقف الحرب مما فتح صدورهم لقبول الإسلام .

كان الوفد – حسب رواية ابن اسحق- من اثناعشر رجلا ، علي رأسهم (عبادة بن الصامت) وهو ابرز رواة الواقعة وقد اشترك في البيعة الثانية أيضا. وفيهم أيضا: اسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ورافع بن مالك ، وقد اختلطوا من بني النجار وبنو زريق وبنو سلمة وبنو عبيد وبنوو حرام.

هذا الوفد تقدم الي النبي بمكة عند العقبة (بمني) وقد عاهدوه علي الإسلام وكان مضمون البيعة :

الا يشركوا بالله شيئا ، الا يسرقوا ، الا يزنوا ، الا يقتلوا أولادهم، الا ياتون ببهتام يفترونه ، الا يعصوا النبي في معروف .

ويتضح ان البيعة الاولي كانت تمهيدا للثانية فلم تتضمن بنودا قتالية ولا حماية وانما هي ضمان مبدئي لتوغل الإسلام في قلوبهم واستعدادهم بعد ذلك لتحمل مسئولية نصرة النبي وحمأيته عندما يهاجر الي المدينة.

وعاد الوفد وارسل النبي معهم (مصعب بن عمير) ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين وكان من اوائل سفراء الأيلام فاقام في المدينة عند (اسعد بن ازارة) واسهم اسهاما بالغا في نشر الإسلام بين الاوس والخزرج، ونلاحظ ان الشريعة الإسلامية لم تكن قد نزلت بعد وان الإسلام كان مبني غالبا علي الأيمان وحفظ ما نزل من القرآن والصلاة التي شرعت في الاسراء والمعراج كما رأينا.

٢) بيعة العقبة الثانية:

أولا: وقعت في السنة الثالثة عشر من البعثة – ٦٢٣م ، في موسم الحج ، أي بعد عام تقريبا من توغل الإسلام في صدور اهل المدينة وقد حضر وفدا اكبر هذه المرة في معظم الروايات كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، من الاوس والخزرج وهو ما يعكس نجاح (مصعب بن عمير) في تجاوز الخلافات بين الطرفين وزيادة عدد المسلمين وقد حضر منهم فقط نحو سبعين .

اختار النبي من بينهم اثناعشر نقيبا ، تسعة من الاوس وثلاثة من الخزرج هم:

من الخزرج: اسعد بن زرارة ، سعد بن الربيع ، عبد الله بن رواحة (له دور في معركة مؤتة) ، رافع بن مالك ، البراء بن معرور، عبد الله بن عمرو ، عبادة بن الصامت ، سعد بن عبادة (سيد الخزرج) ، المنذر بن عمرو.

من الاوس: اسيد بن حضير ، سعد بن خيثمة ، رفاعة بن عبد المنذر.

وقد انعقدت البيعة سرا في جوف الليل في الشعب المعروف بشعب العقبة وهو بمني، في اليوم الثالث من أيام التشريق وقد اوصي النبي المسلمين المكيين بالتخلف عنه في تلك الليلة فلم يحضر منهم الا العباس بن عبد المطلب (وكان علي دين قومه) ليشهد علي ابن أخيه ويطمئن علي سلامته،

ثانيا: مضمون البيعة: خطب العباس أولا مؤكدا ان محمد في منعة من قومه ببني هاشم لكنه أراد ان يعرف ما يعطيه القوم من عهد ونصرة ، ثم تكلم النبي ونلا من القرآن ورغب في الإسلام .

هذه المرة كانت البيعة بمثابة ميثاق وعهد ممهد للهجرة ، فقد تضمنت الي جانب البنود الدينية مثلا لبيعة الاولي ، بنودا دفاعية :

السمع والطاعة في النشاط والكسل

النفقة في العسر واليسر

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

القيام لله لا تاخذهم فيه لومة لائم

النصرة اذا قدم النبي عليهم وان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وازواجهم وابناءهم

وقد سال احدهم (البراء بن معرور) عما لهم ان وفوا بهذا فقال النبي : الجنة

ثالثا: محاولة قريش الأيقاع بالوفد:

لما علمت قريش بالامر ، بالطبع حاولت افساده بكل الطرق لأنه تمهيد لاقامة دولة مسلمة في المدينة وإعطاء قوة ومنعة للنبي اذا هم حاولوا التخلص منه وهو ما كان يتم تدبيره بالفعل، فخرجت قريش اثر الوفود فادركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فاخذوهم ، ثم افلت المنذر وامسك سعد حتي خلصه مطعم بن عدي وجار له اخر، وهذا التصرف يدل علي تهور قريش ويأسها اذ كان المساس بسعد بن عبادة خاصة – سيد الخزرج – قد ينذر بحرب طاحنة مع قبيلته القوية.

٣) بدء هجرة المسلمين:

امر النبي ببدء الخروج الي المدينة سرا ، في السنة الثالثة عشر من البعثة ٦٢٣م، وقد بدأ المسلمين بالخروج فراد وجماعات في صمت وسرية ، وقد هاجر من الأوائل:

أبو سلمة بن عبد الأسد (اول المهاجرين)

عامر بن ربيعة وزوجته

عبد الله بن جحش (استولي أبو جهل علي بيته بعد الهجرة)

عمر بن الخطاب : لم يهاجر سرا بل خرج الي الكعبة وطاف وصلي ثم اشهر سيفه وقال : من أراد ان تثكله امه وييتم ولده فليلقني خلف هذا الوادي – وهي ليست رواية قوية .

طلحة بن عبيد الله ، هاجر مع عمر بن الخطاب او قريب منه

ولما استاذن أبو بكر النبي في الخروج قال له النبي : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فادرك أبو بكر انه سيصحب النبي نفسه فانتظر واعد العدة .

وقد عملت قريش كل ما في وسعها لمنع هذه الهجرات فقد امسك الاباء بابناءهم ومنعوهم وحبسوهم والسادة بعبيدهم وحبسوهم وعزبوهم وقد اشتد الاذي عي الضعفاء والفقراء ووضعوا الحراس علي مداخل مكة ليمنعوا الهجرة ، وهو موقف غريب ، حيث كان من المنطقي ان يفرحوا بخروج مصدر ازعاجهم وتعكير صفوهم من مكة الا انه الكبر الذي جعلهم يكرهوا ان يسافر محمد ومن معه الي بلد امنا يقيم فيه الإسلام ويعلو شأنه.

٤) التامر لقتل النبي:

اجتمع سادة قريش أخيرا في دار الندوة ، لأيجاد حل نهائي في شان محمد قبل ان يهرب من أيديهم ويدخل في حماية المدينة وهو قوله تعالي (اذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك) وهو ما انم عنه الاجتماع من مقترحات ثلاثة: الأول السجن في بيت وتسمير الباب عليه حتي يموت ثم عورض الاقتراح بان أصحاب محمد سيجتمعون ويخرجوه ، والاقتراح الثاني ان ينفي ويخرج وهو بالضبط ما لا يريدونه ، والثالث هو ان يقتلوه وقد تمت الموافقة عليه ولكن بتحفظات شديدة.

المشكلة في قتل النبي هي انه سيفتح باب للثأر من قبيلته (بنو هاشم) أولا ثم (بنو عبد المطلب) اهله وهذا سيحدث وفقا للعادات القبلية حتي لو كانوا علي غير دينه وحتي لو كانوا يكرهونه فان المنعة والثار هنا من قوانين القبائل وتجاوزها سيلحق العار والخزي بالقبيلة للابد ، وثالثا فان هناك قبائل اخري يمكن ان تتدخل في هذا الثأر مثل حلف الفضول والقبائل المتحالفة مع بنو هاشم . ولذلك كان يجب أيجاد حل شيطاني يخرجهم من هذه الورطة اذا هم هموا بقتل محمد.

وكان الحل ما اقترحه (عمرو بن هشام/أبو جهل) :

وهو ان يتم اختيار من كل قبيلة فتي شاب فيجتمعوا علي النبي ويضربوه ضربة واحدة معا فيقتلوه فيتفرق دمه بين القبائل كلها فلا يستطيع بنو هاشم قتال جميع القبائل معا فيقبلوا الدية مضطرين .

ووفقا لسيرة ابن هشام فان المجتمعين الذين وافقوا علي هذا الحل الشيطاني هم:

أبو جهل (عمرو بن هشام)

شيبة بن ربيعة ، عتبة بن ربيعة

أبو سفيان بن حرب

النضر بن الحارث

أبو البختري بن هشام

زمعة بن الأسود

حكيم بن حزام

نبيه ومنبه ابنا الحجاج

امية بن خلف

٥) حصار بيت النبي:

وفقا لكتب السيرة ان النبي علم بالمؤامرة بوحي من الله (غالبا الآية في سورة الانفال) امر علي بن ابي طالب ابن عمه بالنوم في فراشه والي هنا ينتهي الخبر المؤكد نصا ومجمع عليه من العلماء والمفسرين وقد اثبته (الحاكم والذهبي والطبري وابن هشام) وعلي الرغم من انه لم يثبت في الصحيحين وقد ضعفها ابن كثير والالباني في عدة طرق ، ونفهم من ذلك ان الضعف في الأحداث التالية من خروج النبي امامهم ونثر التراب علي رؤوسهم وتلاوته من سورة يس وهو خارج امامهم وكل هذا لا يمكن الجزم به وهو ضعيف جدا.

٦) خروج النبي وأبو بكر:

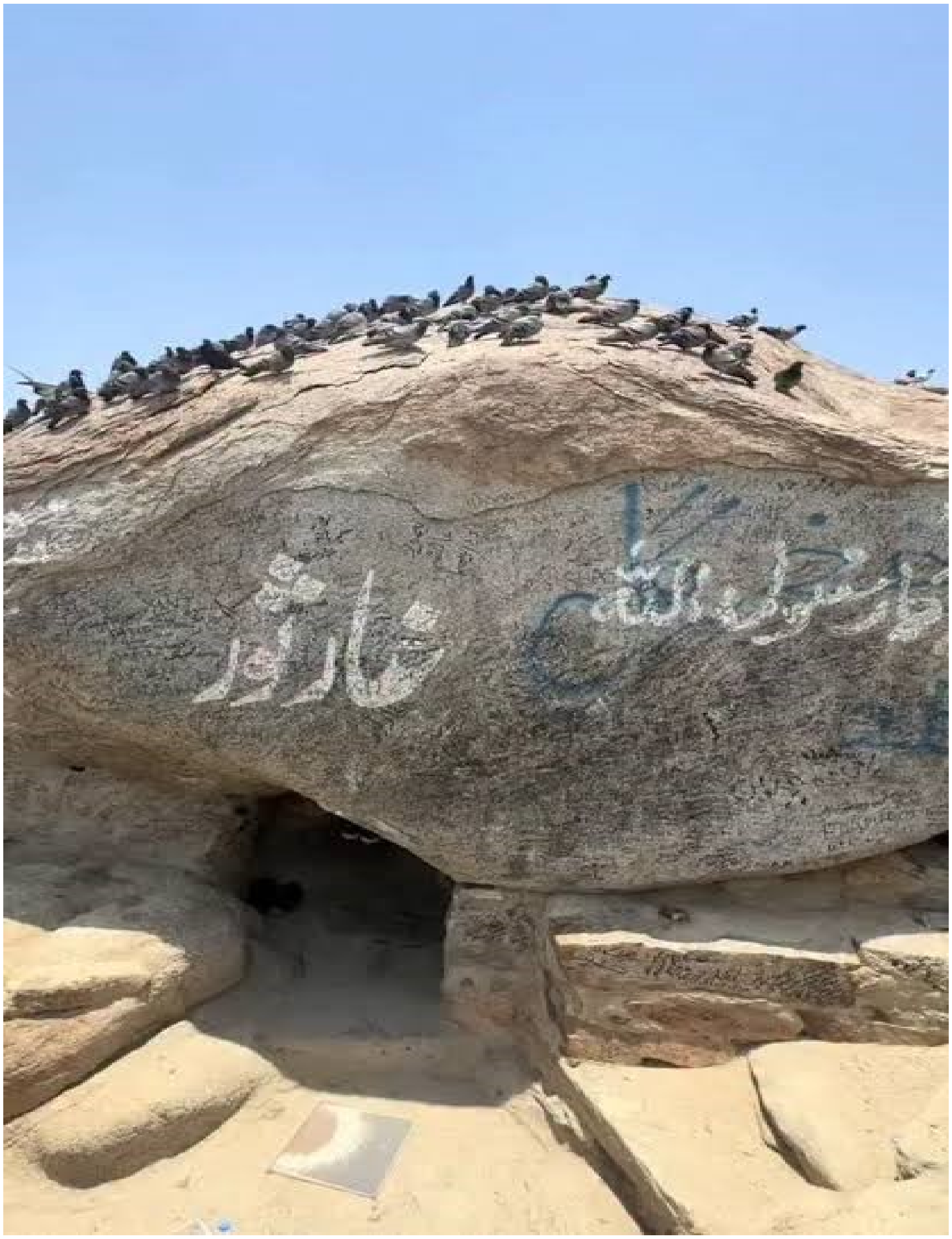
خرج النبي ليلا من بته متجها لبيت أبو بكر واعلمه ان الوقت قد حان فخرجا في راحلتين ملثمين من مكة وبدأت رحلة الهجرة الي يثرب..

أولا: ان الطريق الذي سلكه النبي الي المدينة يمر بجبل ثور وبه الغار الذي مكثا به وهو ماا يدلنا علي السمار وهو مخالف تماما للمسار الطبيعي والمعروف من مكة للمدينة ، فقد اتجها أولا ناحية الجنوب –عكس اتجاه المدينة – ومكثا في غار بجبل ثور ثلاثة أيام وفقا للمجمع عليه، وخلالها كان يأتيهما (عبد الله بن ابي بكر) باخبار قريش والأماكن التي يبحثون فيها عن النبي ، وكانت اخته (أسماء بنت ابي بكر) تأتيهما بالطعام مخفيا علي وسطها ، وكان (عامر بن فهيرة)مولي أبو بكر يرعي الغنم علي مسارهما ليطمس اثار اقدامهما .

وقد وردت قصة ضعيفة لا اصل لها في الصحاح ونبذها كثير من الكتاب السيرة وهي قصة الحمامة والعنكبوت اللذان سدا مدخل الغار ، وهي عير ثابتة بأي دليل، وما هو ثابت فقط ما جاء بنص القرآن من قول النبي لابي بكر (لا تحزن ان الله معنا) ولا يمكننا الجزم بسياق هذه القصة ولماذا قالها النبي وربما ان اقتراب قريش من مكانهما صحيحا.

ثانيا: بد ثلاثة أيام نزلا من الغار واستأجرا دليلا هو (عبد الله بن اريقط) وهو مرشدهما في الطريق رغم انه لم يكن مسلما حينها، فسلك بهما طريقا غير معروف الي المدينة قرب الساحل وهو أطول قليلا ثم نزلا أخيرا بقباء واسس النبي اول مسجد في الإسلام بقباء ومكث هناك اثنا عشر يوما حسب الروايات المشهورة.

ثالثا: بعث النبي الي المدينة فجاءوه منها مسلحين وقيل نحو خمسمائة رجل يحيطون بهما





خريطة توضح أولا طريق الهجرة الذي سلكه المسلمين من مكة الي المدينة وثانيا المسار الذي سلكه المهاجرون من قبل الي الحبشة

المدينة قبل الهجرة

من المهم جدا قبل الانتقال الي المرحلة الثانية من سيرة النبي والتي ستشكل اختلافا جزريا في القصة التاريخية وفي تأسيس دولة الإسلام في المدينة ان نعرف تفصيلا جيدا عنها وعن سكانها الذين سيشكلون بعد ذلك جزءا رئيسيا في الأحداث وخاصة وضع اليهود – الأعداء الجدد للنبي – والذين كان الإسلام بمثابة نكبة سياسية ودينية عليهم..

١) الجغرافيا:

عرفت المدينة قبل الإسلام (بيثرب) وهو الاسم الوارد في القرآن في سورة الأحزاب وان كان النبي سماها المدينة وطيبة ، وتقع في واحة خصبة تحيط بها حرتان بركانيتان من الشرق والغرب مما جعلها قابلة للدفاع الطبيعي من جهتين وكانت زراعتها قائمة علي النخيل والحبوب وبعض الكروم.

٢)السكان :

أولا: العرب: قبيلتين عربيتان (الاوس والخزرج) تنتسبان الي الازد من اليمن وتعدان من القبائل القحطانية التي هاجرت شمالا بعد انهيار سد مأرب (سبا) واستقرتا في يثرب واقاموا علاقات مع اليهود الساكنين فيها قبلهم.

الخزرج : عدة قبائل منها بنو النجار وبنو الحارث و بنو ساعدة وبنو سلمة وبنو زريق وبنو عوف وبنو بياضة. واشرفهم بنو النجار واكثرهم عددا.

ويتزعمهم في وقت الهجرة : عبد الله بن ابي بن سلول (كان علي وشك ان يتوج زعيما علي المدينة لولا دخول الإسلام) ، وسعد بن عبادة.

الاوس: بنو الاشهل، بنو ظفر، بنو حارثة، بنو معاوية، واشدهم باسا كانوا بنو الاشهل .

ويتزعمهم : سعد بن معاذ و اسيد بن حضير

ثانيا اليهود:

لا نعرف رواية مؤكدة تاريخيا عن كيفية وصولهم للجزيرة وواضح ان ذلك كان منذ قرون قبل النبي ، والأرجح ان ذلك يعود الي فترة السبي البابلي او دمار الهيكل الثاني ٧٠م ، كما ان بعض القبائل العربية تهودت ، وقيل انهم سكنوا هذه المنطقة تحديدا لنبوءة خروج النبي المخلص منها كما سنري بعد قليل.

ينقسم يهود المدينة الي ثلاث قبائل : بنو قينقاع وبني النضير وبني قريضه..

بنو قينقاع: موقعهم داخل المدينة في حيهم المحصن المعروف (بسوق بني قينقاع) في قلب يثرب وكانوا حلفاء الخزرج ، وقد امتهنوا الصياغة والذهب وصناعة الحلي وبيعها وبيع السلاح والتجارة عموما، وكانوا اشد القبائل اليهودية جرأة ومشاكسة وكانوا اقلهم عددا .

بنو النضير : بزعامة (حيي بن الاخطب) ، يسكنون جنوبي المدينة علي نحو ثلاثة اميال في منطقة خصبة تضم مزارعهم ونخيلهم وحصونهم المنيعة وكانوا حلفاء للاوس ، وقد امتهنوا الزراعة وخاصة النخيل ، والتجارة والاقراض بالربا، وهو ابرز وسائلهم في بسط النفوذ باقراض زعماء العرب والاحبار.

وكانوا يعدون اشرف القبائل وأكثرها ثقافة في نظر اليهود انفسهم.

بنو قريضة: زعيمهم (كعب بن اسد) ، يسكنون جنوب شرق المدينة في منطقة تعرف (بمهزور) علي بعد نحو خمسة اميال من المسجد النبوي لاحقا وكانت لهم حصون متعددة، وكانوا حلفاء الاوس وارتباطهم ببنو النضير وثيقا ويعدون من اصل واحد ، مهنتهم الزراعة والصياغة وصناعة السلاح ويملكون ثروات كبيرة في النخيل والأراضي.

وكان النفوذ اليهودي عموما في يثرب قويا ، بنظام الحلف والجوار وهو الأداة السياسية التي توقي بها اليهود يثرب فكل قبيلة يهودية ربطت نفسها بقبيلة عربية مجاورة وهو ما يعني انهم كانوا يجرون حلفاءهم في حروب حتي ضد بعضهم البعض وهو قوله تعالي (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي) .

كذلك فان لهم احبارا وزعماء دينيين ابرزهم (حيي بن الاخطب) سيد بني النضير واشد الناس عداوة للإسلام كما سنري وكذلك (سلام بن الحقيق) وقد بعث النبي اليه نفرا من الخزرق ليقتلوه، و(كعب بن الاشرف) وهو شخصية بالغة الأثر وذا مكانة رفيعة وقد ذهب الي مكة يحرض علي المسلمين وقد بعث اليه النبي أيضا لقتله.

ومنهم (أبو عامر الراهب)وقد كان ينتظر أيضا خروج نبي ولما عرف النبي محمد جحده وحرض ضده.

٣) الوضع السياسي في المدينة:

أولا : حروب الاوس والخزرج:

خاضوا سلسلة من الحروب الداخلية المدمرة علي مدي عقود ابرزها حرب (بعاث) وهي اشدها وقعت قبل الهجرة بسنوات قليلة وكانت جولة من سلسلة صراعات طويلة انتهت بانتصار الاوس والراجح انهم دخلوا الإسلام بعد انهاك في الحروب كل منهما دخل ملاذا من الاخر وقد وحد الإسلام بينهما وانهي هذا الخلاف الطويل.

ثانيا: تتويج زعيم موحد:

هو عبد الله بن ابي بن سلول من بني الحارث بن الخزرج وكان الشخصية الأبرز في يثرب قبل الهجرة يجمع عليه الخزرج وكثير من الاوس بوصفه اكثر الرجال حكمة ودهاء واوسعهم علاقات ، وبحسب سيرة ابن هشام وابن اسحق، ان اهل المدينة كانوا يريدون تتويجه زعيما اعلي ليثرب لأنهاء التناحر بين القبيلتين وهو ما جاء الإسلام ليهدمه تماما .

والمؤكد تاريخيا انه اسلم ظاهرا لكنه اضمر حقده وهو رأس المنافقين في المدينة طوال العهد النبي وقد حافظ علي مكانته القبلية وعلاقته مع اليهود واستخدم هذه الشبكة للأضرار بالمسلمين في اكثر من موقف من عزوة احد الي حادثة آلافك وغزوة بني المصطلق كما سنري..

٤) موقف اليهود من النبي :

في هذا المبحث سنعرض الدلائل النصية علي علم اليهود مسبقا ببعثة النبي قبل مولده وانتظارهم له ..

وهو امر ثابت أيضا بنص القرآن قوله تعالي في سورة البقرة (وقد كانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا) وهو ما ثبت ان اليهود كانوا يعأيرون الكفار من العرب ويتوعدونهم بقرب خروج نبيهم المخلص من الجزيرة العربية وبذلك سينتهي تحكم العرب فيها وسيسودها اليهود ويصبح الكفار عبيدا لديهم ، وقد كانوا يعرفون صفات النبي محمد معرفة دقيقة وهو قوله تعالي (يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) ولما خرج النبي تطابقت فيه كل شروطهم

وعلاماتهم الا شرط واحد ، وهو انه ليس من بني إسرائيل بل عربي من نسل اسماعيل عليه السلام ، ورغم ان التوراة تذكر صراحة انه من نسل اسماعيل عليه السلام الا ان اليهود انكروه ورفضوا قبوله كما رفضوا عيسي من قبل وهو قوله تعالي (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وسنعرض بعض الآيات التوراتية التي تثبت نبوءة خروج النبي محمد من مكة ..

-اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه – التثنية ١٨

والنص يتكلم عن نسل (قيدار) وهو عدنان في العربية وهم احفاد اسماعيل عليه السلام كما هو ثابت

-وجاء الرب من سيناء ، واشرق لهم من ساعير ، وتلالا قدما من جبل فاران و جاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمني برزت نار شريعة لهم – سفر التكوين ٢١

وفاران هي (قفار) حول مكة كما سنري ..

-واتخذت له امه زوجة من مصر ومن ولده الأول (قيدار) انحدر الاحفاد العرب الذين سكنوا منذ ذلك الحين في قفار فاران – اشعياء ٤٢

-القدوس من جبل فاران جلاله غطي السماوات والأرض امتلات بحمده وتسبيحه – حبقوق

-لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار لتي سكنها قيدار لتترنم ، سكان سالع علي رؤوس الجبال ليهتفوا وليمجدوا الرب تمجيدا – أشياء ٤٢

-وحي من جمة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب ، تبيتين يا قوافل الددانيين، و يا سكان ارض تيماء وافوا الهارب بخبزة (من الهارب اليس محمد) - أشياء

وهذه فقط ما تبقي من النصوص بعد إخفاء معظمها وتحريف الكثير منها في الترجمات وقد أورد العلماء السلف كثير من النصوص التي اطلعوا عليها في القرون الاولي من الإسلام والتي لم يتبقي منها اليوم الا القليل وسجلوها في كتبهم ولحين الحظ بقي الكثير من هذه الكتب ومنها (تحفة الاريب في الرد علي اهل الصليب) .



رسم يوضح توزيع قبائل الأنصار وقبائل ا ليهود داخل المدينة



دولة الإسلام في المدينة المنورة (١هـ – ٢هـ)

من هنا تبدأ مرحلة جديدة تماما من قصة النبي محمد وفي قصة الإسلام التي بدأ صغيرا خفيا ثم وجد نواه دولته في المدينة والتي انطلق منها نوره يضئ العالم ليصبح مهيمنا علي جزيرة العرب ويخرج من صلبه رجالا فتحوا امبراطوريتي الفرس والروم معا في عدة سنوات ،

١)وصول النبي الي المدينة:

بدأت إقامة النبي في المدينة في السنة الثالثة عشر من البعثة (١ هجرية) ٦٢٣م

ولما دخل النبي المدينة كان المسلمين في انتظاره منذ أيام يبعثون بعضهم كل يوم لينظر هل وصل ام لا، ولما وصل النبي كانوا يهللون ويكبرون واستقبل النبي استقبالا يليق بمكانته أخيرا، استقبالا يليق بنبي ، وقد علمنا كيف تم استقباله من قبل في الطائف بالحجارة والسب واللعن والسخرية وطرد منها يغطيه الدم والحسرة والحزن ، وقد عوضه الله استقبالا بالفرح والفخر والاحضان الحارة والنصرة والحب الشديدين ، وقد صعد الناس فوق البيوت والنخيل ينظرونه علي الافق وقد قال الصحابي (البراء بن عازب) ما رأيت اهلا لمدينة فرحوا بشيء فرحهم بقدوم رسول الله.

ومشي الرسول صلي الله عليه وسلم حتي وقف عند دار أبو أيوب الانصاري فقال أي بيوتنا اقرب فقال انا يا رسول الله ، فنزل النبي في داره ، وقد تنازع الأنصار(اسم اهل المدينة بعد الهجرة ونصرتهم للنبي والمسلمين) علي استضافة المهاجرين ويفضلونهم علي انفسهم في المأكل والملبس والمسكن ، وقد نزل فيهم قوله تعالي (والذين تبوأوا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون – الحشر٩)

٢) بناء المسجد النبوي: قد كان النبي يصلي حيث ادركته الصلاة ولم يكن هناك مكان مخصص للصلاة في الإسلام ثم امر ببناء مسجد في ارض كان بها نخل لغلامين يتيمين من بني النجار اشتراها النبي وكان المسلمين يسوونها ويقطعون نخيلها ويصفونها بالحجارة وكانوا يعملون في بناء المسجد بسعادة شديدة والرسول صلي الله عليه وسلم يعمل معهم بيده ، وكان اول بناء له بالجريدة ثم بعد الهجرة بسنوات قليلة تم بناءه بالطوب اللبن.

٣) المؤاخاة بين المهاجرين والانصار:

هذا نظام اجتماعي فريد ابتكره الرسول صلي الله عليه وسلم لضمان توطيد العلاقات بينهما ، وهو نظام شبه قانوني فريد يترتب عليه حقوق وواجبات علي الطرفين، وقد ترك المهاجرين أموالهم وازواجهم بمكة عند خروجهم

اذ رفضت قريش ان يخرجوا بها نم مكة كنوع من الضغط لمنعهم من الخروج وقد تخلوا عنها طواعية في سبيل تلبية امر الله ورسوله بالهجرة، ووصلوا الي المدينة وهم لا يملكون مالا ولا سكنا ولا ازواجا ، وبالمؤاخاة اصبح كل مهاجر له اخ من الأنصار يعامل علي هذا الأساس كانه اخاه الذي ولدته امه وقد بلغ كرم الأنصار مبلغا عظيما فكانوا يقتسمون أموالهم ومساكنهم ومزارعهم مع اخوتهم من المهاجرين ، وقد تركوا من أراضيهم أجزاء كبيرة للرسول قام ببناء مساكن للمهاجرين عليها واستزرع بعضها وقد شملت المؤاخاة حوالي تسعين رجلا من الأنصار والمهاجرين ، وقد شرع الرسول صلي الله عليه وسلم في البداية التوارث بين المتآخين ثم الغي بعد فترة بقوله تعالي (واولي الارحام بعضهم اولي ببعض) وكان الهدف منه هو تقوية العلاقة بينهما .

ثم ظهرت مشكلة جديدة وهي ان معظم المهاجرين كانوا من الفقراء وكانوا يعملون اما بالرعي او عبيدا عند اسيادهم ولا يعرفون الزراعة وهي الأساس في المدينة كما ان توافد المهاجرين عبر السنوات التالية للهجرة سبب مشكلة جديدة وهي عدم وجود مأوي للوافدين ولا عمل وهؤلاء سموا (باهل الصفة) وقد تم اسكانهم بدار تسمي بهذا الاسم قرب قباء وكان الرجل اذا قدم من مكة الي المدينة وكان له معرفة من اهل المدينة وفد عليه وان لم يكن يعرف أحدا اسكن في الصفة واهل الصفة ليسوا فقط ممن اسكنوا هنالك انما منهم من بقي عند مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم وانقطع للعادة والدعوة وقد زهدوا الدنيا ولبسوا الثياب التي تقيهم البرد فحسب ولم يطمعوا في الطعام ولا المال ، ومنهم أسماء عظيمة من الصحابة واشهرهم:

أبو هريرة ، أبو ذر الغفاري ، واثلة بن الاسقع، قيس بن طهفة الغفاري، كعب بن مالك الانصاري ، سلمان الفارسي ، حنظلة بن عامر الانصاري (غسيل الملائكة) ، حذيفة بن اليمان (كاتم سر الرسول صلي الله عليه وسلم) ، خباب بن الارت ، عبد الله بن مسعود (حبر الامة) ، سفينة (مولي النبي) ، بلال بن رباح (مؤذن النبي) ، البراء بن مالك الانصاري، ثوبان (مولي النبي) ، سعد بن ابي وقاس (خال النبي) ،

وقد كان النبي واصحابه يتصدقون عليهم بالمال والطعام ويعتنون بهم .

٤) اعلان دستور المدينة:

وهي الوثيقة التي ستحدد بعد ذلك علاقة اهل المدينة وسكانها ببعض ، ولا يوجد اصل مؤكد لهذه الوثيقة وقد وردت بنودها في عدة كتب للسيرة اقدمها سيرة ابن اسحق، والاغلب انها كانت وثيقتان واحدة لموادعة اليهود في المدينة والأخرى بين المهاجرين والانصار، واما تاريخ كتابتها فغير مؤكد الا انه يتراوح بين سنة الهجرة وما بعد غزوة بدر ، والراجح ان وثيقة اليهود كانت في بداية سكن الرسول صلي الله عليه وسلم بالمدينة،

أولا: وثيقة المهاجرين والانصار:

يمكن اختصار بعض بنودها المهمة في الاتي:

-ذكر النبي كل بطن من بطون الأنصار وابقاهم علي ارضهم وأشار لأي انهم يعاونون المهاجرين الذين في ارضهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

-ان المؤمنين مع بعضهم علي من بغي منهم او ابتغي ظلما او اثما او عدوانا او فسادا بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولدهم.

-ولا يقتل مؤمنا مؤمن في كافر ولا يعاون كافر عليه، وانهم معا يحاربون من حاربهم وينصرون من نصرهم ويحرم عليهم نصر المشركين ضد المؤمنين

ثانيا: بنود مهادنة اليهود:

-ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين

-يهود بني عوف امه مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم الا من ظلم نفسه واثم .

وان ليهود بني النجار(ثم عدد البطون كلها) مثل ما ليهود بني عوف.

-وان علي اليهود نفقتهم وعلي المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر علي من حارب اهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم .

-انه لا يأثم المرء بحليفه ان النصر للمظلوم

-ان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم

-ان كان بين اهل هذه الصحيفة من شجار فمرده الي الله ورسوله

-لا تجار قريش ولا من نصرها

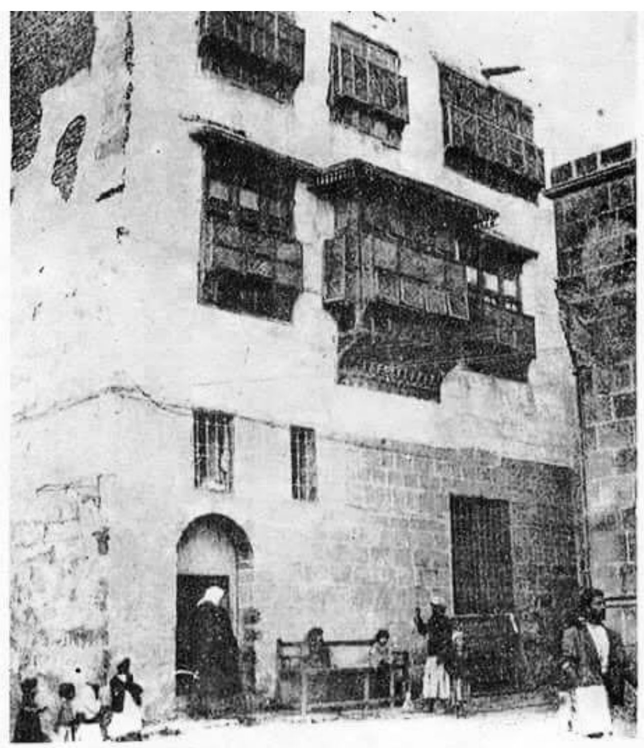
-ان بينهم النصر من دهم يثرب (دفاع مشترك عن المدينة)

٥) تحويل القبلة :

يعتبر حادثا جوهريا في صلب الدين الإسلامي بعدما ظل المسلمون طوال وجودهم في مكة يصلون ناحية المسجد الأقصي ، وقد استمر ذلك حتي منتصف رجب في العام الثاني من الهجرة – ٦٢٥م ، وهو وفقا لرواية (سعيد بن المسيب) قبل بدر بشهرين، قد نزل الوحي بالامر بالتحول من المسجد الأقصي الي المسجد الحرام (الكعبة) بقوله تعالي (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره – البقرة) ومنذ هذا العام يصلي المسلمون حول العالم ناحية المسجد الحرام .

وبالطبع لم يعجب اليهود التحول عن قبلتهم (المسجد الأقصي مكان الهيكل) وقد قالوا ان ما يفعله المسلمين ليس برا والبر ان تكون وجهتهم للمسجد الأقصي ولذلك قال تعالي (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من اتقي) وكذلك في مجادلتهم المستمرة واعتراضهم علي هذا التحويل قالوا انه أراد ان يسترضي اهل مكة ، وفي ذلك قال تعالي (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) وقيل ان الآية نزلت قبل ان يجادل اليهود نبوءة بما سيفعلونه ورغم انهم سمعوا الآية الا انهم نفذوا نبوءتها حرفيا.

والحقيقة ان القبلة الاولي عندما كان المسلمين في المدينة ناحية المسجد الأقصي كانت واجبة لأنها لو كانت بداءة قبل الكعبة لقيل ان النبي يستعمل قبلة الكفار ولذلك عندما خرج من مكة كان من المعقول ان يستقبل الكعبة وهو في حال قوة حتي لا يقال انه كان يسترضي قريش .



دار أبو أيوب الانصاري بالمدينة حيث نزل النبي قبل بناء بيته

تصميم يوضع شكل بيت النبي في المدينة

العام الثاني الهجري (٦٢٤م)

غزوة بدر الكبرى

---

١) تشريع الجهاد في الإسلام:

لقد مر تشريع الجهاد بعدة مراحل منذ نزول الإسلام ، فقد بدأ في مراحله الاولي بالكف عن القتال بقوله تعالي (كفوا أيديكم واقيموا الصلاة – النساء ٧٧) وذلك لقلة عدد المسلمين ولتجنب الإبادة والتهور ولأعدادهم أيمانيا أولا.

ثم بعد ذلك جاء الاذن فقط بالقتال والغرض منه الاستعداد والتدريب وتكوين جيش اولي وهو ما سيأخذ وقت وجاء ذلك بقوله (اذن لذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله علي نصرهم لقدير – الحج ٣٩) وقد نزلت في بداية الهجرة وهو ليس امرا بالقتال بل مجرد فتح المنع القديم واجازة القتال في شريعة الإسلام من حيث المبدأ، وليس امرا مباشرا بالقتال، وفيه اذن بالقتال الدفاعي فقط وليس الهجومي.

اما المرحلة الثالثة ، وهي فرض القتال وكانت بقوله تعالي (كتب عليكم القتال وهو كره لكم-البقرة ٢١٦) وهنا اصبح القتال واجبا اذا تطلب ذلك واصبح اثما من يتخلف عنه ، وكان سبب تشريع القتال هو ردا علي ممارسات قريش المستمرة منذ الهجرة ضد مسلمي مكة واهل المهاجرين الذين لم يستطيعوا اللحاق بهم وازواجهم ، والذين اشتد إيذائهم من الكفار ومصادرة أموالهم واخراجهم من ديارهم وهو قوله تعالي (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق)، وكذلك لحماية المدينة (الدولة الجديدة) فقد كانت قريش تستمر بتهديد المسلمين في المدينة رغم أنها لم تنفذ تهديدها بعد، وقد سيطرت كذلك علي التجارة ومنعت تجارة المسلمين قدر المستطاع، وهو ما ادي الي اول تصعيد من جانب المسلمين..

٢) استهداف قوافل قريش: يعتبر هذا التصعيد سياسيا واستراتيجيا بحتا بعيد عن الدين ، وهو من قبيل التخطيط السياسي للنبي كحاكم لدولة الإسلام ولا ينبغي ان يؤخذ تدبيراته هذه من جانب ديني وأي قائد ذكي كان سيفعل ذلك حماية لدولته الوليدة التي لا تزال في حالة ضعف نسبي اقتصاديا وعسكريا في مواجهة قريش وهي قوة موجودة بالفعل ومهددة لوجودهم فهي اذا حرب للبقاء .

قرر النبي ضرب قريش في تجارتهم لمعاقبتهم علي ما اغتنموا من المسلمين وسرقوا من أموالهم في مكة واستيلائهم علي بيتهم واراضيهم بل وزوجاتهم ، فقرر الاغارة علي قوافل قريش التجارية التي تمر بالقرب من المدينة في طريق الشام وهي تمثل الشريان الرئيسي الاقتصادي لهم وقاموا بمصادرة القوافل وتوزيعها كغنائم علي المسلمين تعويضا عما اخذه الكفار منهم في مكة ، ومن ناحية اخري كانت خطوة جيدة للضغط علي قريش للكف عن اذي المسلمين الذين لم يتمكنوا من الخروج من مكة والهجرة بعد، وهي رسالة أيضا لإظهار القوة بان الطريق اصبح تحت أيدي المسلمين ولا بد لقريش منذ هذه اللحظة ان تحسب لهم حسابا.

٣)حملات حول المدينة :

بدأت عقلية النبي العسكرية والسياسية تظهر بعد ذلك في قدرته علي السيطرة السياسية علي ما حوله وإقامة وضعا يجبر الجوار علي احترام الدولة الإسلامية الناشئة ، وقد بعث بسرايا عسكرية صغيرة لتنفيذ عمليات محدودة حول المدينة منها :

أولا: (سرية حمزة بن عبد المطلب) في السنة الاولي من الهجرة لاعتراض قافلة كبيرة لقريش في (سيف البحر) ناحية (العيص) وقد استولي عليها دون قتال،

ثانيا/ سرية عبيدة بن الحارث: أيضا لاعتراض قوافل تجارية لقريش عند (رابغ) واستولي عليها دون قتال.

ثالثا: سرية سعد بن ابي وقاس: محاولة ثالثة لاعتراض القوافل في ٢٠ مقاتل مسلم ، ولكنها فشلت في ادراكها، حيث بدأت قريش هنا في زيادة الاحتياط وهو ما يدل علي تأثير قوي للسرايا السابقة من اخافة قريش.

وانتقل الي مرحلة ثانية ، ليست مجرد سرايا بل تسمي غزوات ، والغزوة هي السرية التي يكون الرسول صلي الله عليه وسلم ينفسه علي رأسها وهي:

أولا: غزوة الابواء (ودان) : اول غزوات النبي في شهر صفر الثاني من الهجرة ٦٢٥م ، حيث خرج النبي في ٧٠ من المسلمين بين مكة والمدينة بهدف تامين المنطقة وادراك قافلة لقريش وقد انتهت دون قتال بعقد حلف

مع بني ضمرة وكانت بداية شبكة التحالفات مع المسلمين حول المدينة وبداية العلاقات الدبلوماسية وتأكيد لوجود الدولة الإسلامية بقيادة الرسول صلي الله عليه وسلم .

ثانيا: غزوة بواط : في ربيع الأول من الثاني الهجري، خرج النبي في ٢٠٠ ممن المقاتلين ونلاحظ هنا ان العدد بدأ يزداد بسرعة ، وكان الهدف منها أيضا الحاق بقافلة كبيرة ولكن لم يتم ادراكها ،

ثالثا: غزوة (سفوان) المسماه (ببدر الاولي): ربيع الأول العام الثاني الهجري ٦٢٥م

وكان سببها اغارة (كرز بن جابر الفهري) علي مراعي المدينة ، وللأسف لم يتم ادراكه .

رابعا: غزوة العشيرة: جمادي الاول ٢هـ ، العدد ٢٠٠ مقاتل وكان الهدف قافلة يقودها (سفيان بن حرب بنفسه) ولم يحدث قتال معه وتم عقد تحالف ثاني مع (بني مدلج) وهذه هي القافلة نفسها التي ستعود لاحقا وتكون السبب في غزوة بدر الكبرى.

خامسا: سرية عبد الله بن جحش (نخلة): في اثناعشر رجلا فقط ، وكانت مهمتها استطلاع قريش ، وكانت نتيجتها قتل (عمرو بن الحضرمي) واسر اثنين وكان ذلك في الشهر الحرام وقد استنكر الناس هذا الفعل ونزل قوله تعالي (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتل قتال فيه كثير) وكانت هذه السرية اول دم حقيقي بين الطرفين وتصعيد كبير مع قريش .

وبعد هذه الواقعة غضبت قريش بشدة ووصل التوتر الي أقصاه ثم حدثت القشة التي قصمت ظهر البعير عندما خرج النبي لاعتراض قافلة ابي سفيان العائدة من الشام والتي لم يدركوها في ذهابها،

٤) لقد كانت تلك القافلة من اضخم قوافل قريش وكانوا يعولون عليها لتعويض ما اغتنمه المسلمين في القوافل من قبل ومن ناحية اخري كانت هدفا استراتيجيا للمسلمين وضربة قاضية لقريش حيث وضعوا فيها كل أموالهم ،

خرج النبي علي راس٣١٩ رجل منهم ١٠٠ من المهاجرين والباقي من الانصار في شهر رمضان الثاني من الهجرة وكانوا فرسان فقط يتعاقبون علي ٧٠ بعيرا ، ولم يكونوا خرجوا لقتال جيش بل اعتراض قافلة فقط وقد عين النبي (عبد الله بن ام مكتوم) علي المدينة خليفة له حتي يرجع

، ويحسب في هذا المقام لابو سفيان ذكاءه العسكري، فقد كان حذرا جدا وقام بتغيير مسار القافلة وترك الطريق المعتاد واقترب من ساحل البحر ثم ارسل جاسوسا للتاكد من وجود المسلمين ثم ارسل رسالة عاجلة الي قريش ليستنجد بهم، فخرجت قريش علي الفور بحوالي ١٠٠٠ مقاتل بسلاحهم كاملا يقودهم (عمرو بن هشام

بنفسه) والهدف كان حماية القافلة وإظهار قوتهم امام العرب، وقد نجت القافلة بالكامل الي مكة وارسل أبو سفيان الي جيش قريش المتمركز قرب بدر رسالة ليرجعوا الي مكة فقد وصلت القافلة بسلام وانتهي الهدف من الجيش.

وهنا انقسمت الآراء بين قادة الجيش القرشي، بين فريق يري الرجوع الي مكة فقد أتت الحملة هدفها ووصلت القافلة بسلام منهم (الاخنس بن شريق) وبين من يري ان يستمروا في التقدم لملاقاه سرية المسلمين وابادتهم عن بكرة ابيهم وفيهم النبي، وعلي رأسهم بالطبع (أبو جهل) وقال لن نرجع حتي نصل بدر ونقيم احتفالا ونظهر قوتنا ، وقد نزلوا علي رأيه واكملوا نحو بدر رغم زوال السبب الأساسي للحملة. وقد انشق بنو زهرة عن جيش قريش وعادوا الي مكة.

٥) لما علم النبي بهذا ، لم تعد هناك قافلة بل جيش ضخم قادم اليهم استشار الصحابة ، وقد اعلن المهاجرون استعدادهم للقتال ، اما الأنصار (سعد بن عبادة) قال : لو خضت البحر لخضناه معك ، وهنا قرر النبي التقدم نحو الجيش لان الهروب كان سيعني انكسار شوكة المسلمين واهتزاز صورتهم اما المنطقة وتجرؤ القبائل المشركة عليهم بعد ذلك وهو ما يعني موت دولة الإسلام قبل مولدها.

وارسل النبي العيون لاستكشاف مواقع العدو وعددهم وأماكن تواجد قادتهم ،واستنتج النبي عددهم من عدد ما يذبحونه من الابل كل يوم،

٦) تفصيل الجيشين:

أولا: جيش المسلمين:

عدد الجيش الإسلامي في بدر كان من ٣١٣-٣١٩ مقاتل ، و٧٠ من الابل و اثنان فقط من الخيل ، ولم يكونوا مستعدين للحرب أصلا ،

كان الرسول صلي الله عليه وسلم هو القائد العام للجيش وقد اعطي الرايات الفرعية لعدة قادة ابرزهم :

مصعب بن عمير (لواء ابيض)

علي بن ابي طالب (راية سوداء)

سعد بن معاذ (راية سوداء قيادة الأنصار)

حمزة بن عبد المطلب

أبو بكر الصديق

عمر بن الخطاب

المقداد بن عمرو وقد شارك كبار الصحابة في القتال منهم :

عبد الرحمن بن عوف ، الزبير بن العوام ، سعد بن ابي وقاس، أبو عبيدة بن الجراح ، بلال بن رباح ، عمار بن ياسر ، عبد الله بن مسعود.

وقد نظم الجيش بحيث يكون المهاجرين في لواء والانصار في لوائين الاوس والخزرج ، وقد أشار (الحباب بن منذر) علي النبي ان ينزل بعد مجاوزة بئر بدر فيشرب المسلمون من البئر ويحرم منه جيش الكفار وقد اخذ النبي برأيه تاسيسا لمبدأ الشوري ، وقد كسب المسلمون ارضا وميزة علي الكفار بهذا التموضع الذكي، وهو المسمى (بالعدوة الدنيا) وقاموا ببناء مقر للقيادة للنبي واغلقوا الابار المحيطة وتركوا بدر فقط ، مما اعطاهم ميزة تكتيكية للتحكم في الماء .

ثانيا: جيش قريش:

كان عددهم ١٠٠٠ مقاتل و١٠٠ من الخيل و ٧٠٠ من الابل وهذا يظهر تفوق عددي وتسليحي واضح،

كان عمرو بن هشام (أبو جهل) القائد العام للجيش ، ومعه صفوة سادة قريش وقادتها منهم:

عتبة بن ربيعة ، شيبة بن ربيعة ، الوليد بن عتبة

امية بن خلف (وقد خرج مكرها حتي لا يعيروه)

سهيل بن عمرو

صفوان بن امية

ولسوء حظهم ان سفيان بن حرب لم يكن معهم لأنه كان مع القافلة التي نجت.

تموضع جيش الكفار في (العدوة القصوى) وهي المكان الابعد عن المدينة وارضها رملية واقل ثباتا، وبعيدة عن الابار اما ارض المسلمين فقد كانت مرتفعة نسبيا وارضها صلبة.

٧) المبارزة وبدء القتال:

لا يخفي ان وضع المسلمين – رغم جرأتهم وشجاعتهم – كان ضعيفا وهم لم يخرجوا للقتال ولم يستعدوا كأي جيش قبل المعركة ، وقد فاقهم جيش الكفار عددا بل ثلاثة اضعافهم وكانوا مسلحين ومتمرسين علي القتال وفي كامل عدتهم واستعدادهم، وقد كان النبي يبيت ليلته يقظا يصلي ويدعو الله قائلا : اللهم ان تهلك هذه الفئة لا تعبد، ولما جاء الصباح قال للناس : الصلاة عباد الله ، فصلي بهم وحرضهم علي القتال وشجعهم ، وقد كانوا يخشون ان يناموا فيفاجئهم الكفار فكانوا يقاومون النوم ، وقد ثبت ان الله امطرهم بمطر في هذا اليوم بالقرآن قوله تعالي (اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط علي قلوبكم ويثبت به الاقدام – الانفال ١١).

أولا: تنظيم الصفوف:

في بداية اليوم السابع عشر من رمضان عام ٢هـ – ٦٢٥م - قام الرسول صلي الله عليه وسلم بتنظيم الجيش المتواضع بنظام الصفوف ، وهو نظام مختلف عن المتبع في جيوش العرب الذين كانوا يعتمدون علي الكر والفر وليس الصفوف المتراصة ، فهكذا كان جيش المشركين ، والواقع ان هذا النظام كان لازما في موقف الجيش ببدر لان نظام الصفوف يحافظ علي الجيش ككتلة واحدة ويحمي المنتصف والعمق ويقلل من الخسائر في الأرواح ، رغم ان أسلوب الكر والفر اسرع واكثر مرونة في القتال – هكذا انتصر المسلمين علي جيوش الروم والفرس متجاوزين التفوق العددي الهائل – وقد كان الرسول صلي الله عليه وسلم محقا في اختياره لنظام الصفوف لقلة عدد الجيش وعدم استعدادهم للقتال الاحترافي لنظام الكر والفر، ونصبت خيمة للرسول ليدير منها المعركة وليتم الحفاظ علي حياة القائد الأعلى .

ثانيا: عندما تراءي الجيشان وبدأت اول مراحل القتال وهي المبارزة قال النبي للمسلمين : قوموا الي جنة عرضها السماوات والأرض، ولما نظر النبي الي جيش الكفار وهم الف وننظر قلة جيش المسلمين رفع يديه الي السماء وقال (اللهم ات ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض) وهي رواية عمر بن الخطاب ، فنزل قوله تعالي (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين) وقد روي علي بن ابي طالب ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يقاتل معهم وكان اشدهم بأسا .

وكان اول قتل في هذه المعركة قبل التقاء الجيشين ، ان رجل من الكفار (الأسود بن عبد الأسد المخزومي) خرج واقسم ان يشرب من ماء بدر فقام اليه حمزة بن عبد المطلب فقتله .

ثالثا: المبارزات الفردية:

هذه هي عادة الجيوش العربية بالذات في هذا العصر ، كان القتال يبدأ بالمبارزات الفردية فيخرج من جيش الكفار ثلاثة من سادتهم هم:

عتبة بن ربيعة ، الوليد ابن عتبة بن ربيعة ، شيبة بن عتبة ابن ربيعة ، فانتدب النبي لهم ثلاثة من شباب الأنصار فرفضوا الا ان يخرج لهم من المهاجرين (يعتبرونهم كفؤا لهم من أهلهم) فخرج لهم :

علي بن ابي طالب ، حمزة بن عبد المطلب ، عبيدة بن الحارث، فقتلوهم جميعا وجرح عبيدة وحمل الي خلف الجيش،

رابعا: بدأ القتال وقد امر الرسول صلي الله عليه وسلم أصحابه اذا اقترب الجيش منهم ان يرشقوهم بالنبال للاستفادة منها بقدر المستطاع وروي ان النبي اخذ حفنة من الرمال ورماها باتجاة المشركين وقال : شاهت الوجوه، سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقد اثر ذلك في اعينهم وهي رواية ضعيفة ولكنها تتفق مع قوله تعالي (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي) ، ثم التحم الجيشان وبدأ القتال الفعلي.

خامسا: مقتل زعماء الكفار:

اذا كان هناك امرا اثر اشد الأثر في قلب موازين هذه المعركة فهو مقتل قادة المشركين وسادتهم جميعا في هذه الحرب مما اضعف معنويات جيش المشركين وعلي رأس القتلى كان عمرو بن هشام (أبو جهل) قائد الجيش ومطاع قريش وسيد مكة ، والأدهى من ذلك انه قتل قتلة مهينة ، لا علي يد صناديد المسلمين واقوياءهم بل غلامين (١٥ – ١٦ عاما) ، ويتفق اهل السيرة علي اسماءهما وهم (معاذ بن عمرو بن الجموح ، و معاذ بن عفراء) اذ يحكي الصحابي (عبد الرحمن بن عوف) انهما اتيا اليه في اثناء القتال وسألاه : يا عماه أين أبا جهل ؟ فاشار لهما عليه وكان بعيدا في مؤخرة جيش الكفار ، فجريا يشقان الصفوف خلسة حتي وصلا اليه فضربه احدهما علي ساقة فوقع والأخر طعنه ثم هربا ، ويحكي (عبد الله بن مسعود) انه وجده يحبو علي الأرض ولا زال حيا فجلس علي صدره ولما راه أبو جهل ازداد المه لأنه كان يحتقر عبد الله بن مسعود في مكة وكان يسبه ويؤذيه ، فلما دارت الأيام كان هذا الصغير (رويعي الغنم كما كان يسميه) هو الذي سيضع نهايته، فقطع رأسه واخذها الي الرسول صلي الله عليه وسلم فصاح قائلا : الله اكبر قتل فرعون هذه الامة.

والرأس الثانية كانت راس (امية بن خلف) وقد اختلف في قاتله هل هو بلال بن رباح الذي كان يعذبه ، والأرجح من الروايات الصحيحة انه قتل في المعركة ولم يكن بلال هو قاتله وقيل انه أشار عليه ليقتل.

٨) نزول الملائكة:

وصلنا الي النقطة الجوهرية والصعبة في غزوة بدر ، وهي اشتراك الملائكة في القتال وسنقسم هذا الجزء الي عدة مسائل ..

أولا: ثبوت الواقعة وصحتها:

لقد ثبتت هذه الواقعة تاريخيا – لا بشهادات الشهود – بل بنص القرآن وهو الامر الذي لم يعد منه مفر في تصديق هذا الحدث المعجز ، وقد ثبت ذلك بقوله تعالي : اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ، وما جعله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم – الانفال ٩) وقد اجمع المفسرين والعلماء علي ان الآية نزلت في موقعة بدر ، ثم قوله تعالي (اذ يوحي ربك الي الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان – الانفال ١٢)

وقد ثبتت أيضا في الاحاديث الصحيحة منها:

عن ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشتد في اثر مشرك اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت فارس يقول : اقدم حيزوم، فنظر الي المشرك فخر مستلقيا وإذ وجهه قد شق كضربة سوط فاخبر الانصاري النبي فقال : ذلك مدد السماء الثالثة – صحيح مسلم

حديث اسر العباس بن عبد المطلب: عندما جاء به رجل من الأنصار اسيرا الي الرسول صلي الله عليه وسلم قال العباس : والله ما اسرني هذا ، اسرني رجل اجلح من احين الناس وجها علي فرس ابلق، وقال الرسول صلي الله عليه وسلم للأنصاري بل أيدك الله بملك – رواه الامام احمد

ثانيا: معقولية الواقعة من الناحية العلمية:

لسنا بصدد التفصيل في طبيعة الملائكة ، وقد ثبت وجودهم –علي الأقل بنصوص القرآن الكثيرة – واما من الناحية العلمية فلا يمكن القول باستحالة وجود الملائكة من الناحية النظرية ، لمجرد ان العلم لم يخضعهم للتجربة او الرصد ، وهناك الكثير من الافتراضات العلمية النظرية ظلت عقودا دون اثبات او ملاحظة مباشرة واشهرها

الثقوب السوداء التي تنبأ بها (أينشتاين) واثبتها في معادلات رياضية فقط وظلت مجرد فرضية قوية دون اثبات مادي حتي تم تصويرها لأول مرة في القرن الواحد والعشرين (تليسكوب جيمس ويب) .

وذا تحدثنا عن طبيعة تكوين الملائكة ككائنات غير منظورة ، فيمكننا أيضا الاستفادة من حديث عائشة عن النبي انهم خلقوا من نور وهو من اصح الاحاديث التي تذكر الملائكة، وأيا كان، فان تصور تكوينهم من (نور) اذا ترجم الي لغة الفيزياء فان هذا يعني (طاقة) والحقيقة اننا نتحدث عن طاقة هائلة جدا ، اذا جمعنا خصائص الملائكة من القرآن ، واهمها ما نراه في هذه الواقعة ، فان الطاقة التي لديها القدرة علي احداث اثر مادي قوي بالإنسان كجسد مادي متماسك (مثل الضرب او الجرح) لابد ان تكون ذات تركيز شديد وكثافة عالية (مثل الليزر الذي يقطع الاجسام الصلبة) وهو طاقة وليس مادة، كما ان الطاقة التي يمكنها التحول من طاقة الي مادة (تشكل الملائكة في صورة بشر) وقد ثبت ذلك في حوادث عديدة في سياق قصص الأنبياء كما رأينا (رسل ابراهيم عليه السلام ولوط) و (مريم) ممكن من الناحية الفيزيائية اذا كانت طاقة قوية وعالية ، كما يتسق هذا الافتراض مع سرعة الملائكة العالية والتي ثبتت أيضا بنص القرآن (يعرج اليه الروح والملائكة في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) هو أيضا منطقي من الناحية الفيزيائية لان الطاقة (النور) وهي عبارة عن فوتونات ليس لها وزن او كتلة تقريبا ووفقا للنسبية فانه اذا كانت الكتلة تساوي صفر يتوقف الزمن وكلما اقتربنا من هذه الكتلة الضئيلة كلما قل زمن الحركة وزادت بالتالي السرعة .

الخلاصة اذا انه ليس من المستحيل علميا من الناحية النظرية ان تكون الملائكة قادرة علي اتشكل بل وأيذاء الكفار بالضرب او القتل ، ولكن السؤال التالي ، هل كانت الملائكة موجودة لتقتل ام تساعد فقط ؟

ثالثا: دور الملائكة في المعركة:

لم ترد روايات صحيحة او قوية مقبولة في قتل الملائكة لأي من المشركين والروايات الصحيحة كلها اما بالجرح الشديد (رواية حيزوم) او المساعدة في الاسر (رواية العباس) واذا نظرنا الي الآيات سنفهم الغرض من مشاركة الملائكة ، فقوله تعالي (وما جعله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله) وهو نص صريح علي ان الهدف الرئيسي هو تثبيت قلوب المسلمين ، فماذا لو كنت تحارب جيشا وحدك من الف مقاتل ثم علمت ان الف من الملائكة يقاتلون معك ، حتي لو لم يقتلوا أحدا فان هذا كاف لرفع روحك المعنوية وتثبيت قلبك ونزع الخوف من الهزيمة منه ، و قوله تعالي (فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب)

دليل اخر يدعم هذا الهدف وهو ارعاب الكفار ، وبنفس المبدأ مهما بلغ عدد الجيش ماذا لو علم ورأي وتأكد ان كائنات خفية تقاتل مع المسلمين هذا كاف لإضعافهم ودب الرعب في قلوبهم ، واما قوله تعالي (اضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) فلا يدل بالضرورة علي القتل بل الجرح الشديد واسقاطهم ارضا ، وفي رواية بن مسعود قال ان الرجل سقط وعلي وجهه شج مثل شق السوط وهو لم يمت بل كان الغرض ان يدب فيهم الرعب اذا علموا انهم يضربون من كانات غير مرئية أيا كان معتقدهم فيها .

والحقيقة ان القول بان الملائكة كانوا معاونين فقط وليسوا مقاتلين حقيقة يعطي للمسلمين حقهم في نسبة النصر اليهم والا لظنوا ان الملائكة هي التي انتصرت وليس المسلمين ولقالوا لولاهم لما انتصرنا ولكن الله اكد في الآيات ان النصر من عنده ، ومن ناحية اخري فان الفا من الملائكة كافين لافناء جيش الكفار لو كان كل ملاك سيقتل رجل واحد فقط ، ولكن نتيجة المعركة تقول غير ذلك كما سنري..

٩) نهاية المعركة:

لم تكن هذه النهاية متوقعة وفقا للمنطق العسكري، لم يفن جيش المسلمين كما توقع أبو جهل عندما قرر التحرك لملاقاتهم وعدم الرجوع لمكة ،بل قتل من المشركين سبعون واسر سبعون وفر الباقين الي مكة تاركين الغنائم كاملة وهو امر غير متوقع .

أولا: خسائر المسلمين :

أربعة عشر شهيدا فقط! من بين ٣١٩ رجل ضد ١٠٠٠ قتل أربعة عشر فقط ستة من المهاجرين وهم:

عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب (المبارز في البداية ومات متأثرا بجراحه)

عمير بن ابي وقاس(اخو سعد وعمره ١٦ سنة)

صفوان بن بيضاء ، ذو الشمالين بن عبد عمرو ، عاقل بن بكير ، الحارث بن صفوان الفهري

ومن الأنصار ثمانية:

سعد بن خيثمة ، مبشر بن عبد المنذر ، يزيد بن الحارث بن فسحم ، عمير بن الحمام الانصاري ، رافع بن المعلي، حارثة بن سراقة ، عوف بن الحارث ، معوذ بن الحارث (قاتلا أبو جهل).

ثانيا: قتلي اكفار:

سبعون رجل اهمهم:

عتبة بن ربيعة ، وولداه شيبة والوليد (والد هند زوجة أبو سفيان واخويها).

حنظلة بن ابي سفيان

عمرو بن هشام (أبو جهل) ،

امية بن خلف

أبو قيس بن الوليد بن المغيرة (اخو خالد بن الوليد)

نوفل بن خويلد بن اسد (اخو خديجة وقتله علي بن ابي طالب وكان من شياطين قريش).

اما المقتولون صبرا بعد المعركة بامر النبي (من الاسري):

النضر بن الحارث (حامل لواء المشركين ومن اشد الناس أيذاءا للرسول).

عقبة بن ابي معيط ومن اشد الناس أيذاء للنبي في مكة.

وقد أشار النبي بنبوءة الي مواقع جثث قتلي اشراف قريش ووجدوا بالضبط في أماكنهم التي اخبر به النبي

ثالثا: الاسري السبعون وابرزهم:

العباس بن عبد المطلب (عم النبي واخا حمزة)، واخذت منه فدية أربعة آلاف درهم واسلم قبل فتح مكة.

عقيل بن ابي طالب(اخو علي وتأخر اسلامه الي فتح مكة)

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

السائب بن عبيد (جد الامام الشافعي وكان حامل راية بني هاشم في المشركين)فدي نفسه ثم اسلم

الوليد بن الوليد بن المغيرة : اسلم واعتق وبقي وحسن اسلامه وكان سبب في اسلام خالد بن الوليد اخوه

سهيل بن عمرو : خطيب قريش ومفاوضها اراد عمر بن الخطاب ان تقلع ثناياه لئلا يخطب ضد المسلمين وقال الرسول صلي الله عليه وسلم (لعله يقوم مقاما ترضاه) واسلم بعد ذلك وحارب في الردة

أبو العاص بن الربيع : زوج السيدة زينب بنت الرسول صلي الله عليه وسلم وقد بقيت معه بمكة (قبل تحريم الزواج من الكفار والحكم بالتفريق) وقد بعثت بعقد كان لامها فداء لزوجها فلما راه الرسول صلي الله عليه وسلم طلب من المسلمين ان يطلقوه بدون فداء فوافقوا فاطلقه.

رابعا: معاملة الاسري :

استشار النبي أصحابه فيما يفعل بالاسري اذ لم يكن هناك تشريع في معاملتهم حتي الان فاشار عمر بن الخطاب بقتلهم وأشار أبو بكر بالاحسان لعلهم يسلموا ويفيدوا الإسلام بعد ذلك واخذ النبي برأي أبو بكر واحسن معاملتهم وكان يطعمهم طعاما افضل مما ياكل الجيش وكان يطلقهم علي شرط ان يعلوا خمسة من المسلمين القراءة والكتابة لمن كان منهم متعلما .

ولكن بعد ذلك نزل قوله تعالي بوضع قاعدة وهي ان الأنبياء لا تأخذ الفدية للاسري (ما كان لنبي ان يكون له اسري حتي يثخن في الأرض ، تريدون عرض الحياة الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب اليم) الي قوله تعالي (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وقد جاء القرآن مؤيدا لرأي عمر بن الخطاب في قتل كبار الاسري واشرافهم. ولكن هذا الحكم القرآني كان في البداية وبعد ذلك جعل الاختيار بين القتل والاسر للامام وسنري ذلك في حروب المسلمين مع يهود المدينة.

خامسا : دفن القتلى من الجيشين:

اقام الرسول صلي الله عليه وسلم ببدر ثلاثة أيام بعد المعركة ودفن الشهداء المسلمين وصلي عليهم وكانت القاعدة الإسلامية منذ هذا الوقت ان الشهداء يدفنون في ارض المعركة ولا يحملون الي المدينة فيبعثون بدمائهم وجراحهم وملابسهم كما هي يوم القيامة شهادة علي اخلاصهم وموتهم في سبيل الله. ومدفنهم معروف اليوم باسم (شهداء بدر) .

اما قتلي المشركين السبعين فقد امر بإلقائهم في بعض ابار بدر الجافة وهو موضع معروف باسم (قليب بدر) ثم وقف عند بعضهم وكلمهم وناداهم باسماءهم واحدا واحدا وقال : أيسركم انكم اطعتم الله ورسوله؟ انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فقال عمر بن الخطاب :يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال له : والي نفس محمد بيده ما انتم اسمع لما أقول منهم.

ولم يسعي الرسول صلي الله عليه وسلم خلف قافلة أبو سفيان بعد بدر فقد نزل قوله تعالي (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ – الانفال ٧) وقد اختار لهم الطائفة الصعبة وهي غنائم قريش الكبيرة

سادسا: الغنائم:

لم يكن قد نزل تشريع في التعامل مع الغنائم وكيفية قسمتها في بداية الامر وقد اختلف المسلمون في تقسيمها حتي نزل قوله تعالي :واعلموا انما غنمتم من شيء فلله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين و ابن السبيل ، وقد اقتسم الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم من الغنائم لبعض الذين لم يشهدوا بدر لاعذار ومنهم (عثمان بن عفان) الذي امره الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم بالبقاء مع ابنته التي كانت في مرض الموت واعتره الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم من المشاركين في بدر.

١٠) اثر معركة بدر :

أولا في مكة:

كان دوي الهزيمة شديد خاصة بمعايير العرب فكيف لفئة من الهاربين الضعفاء والصعاليك الذين كانوا عبيدا لهم يهزمون جيشا ثلاثة اضعافهم من صناديد قريش وكبارها ومحاربيها الأقوياء وهم بكامل عدتهم وسلاحهم ، وكيف لاصحاب هذا الدين الجديد ان يكسروا قوة قريش ، وكان الناس بين منكر ومصدق لمسألة الملائكة وظنوا ان الهاربين من المعركة من الكفار يتعللون بها لإبعاد الخزي والعار عنهم ، وأصبحت مكة خاوية بعد مقتل سادتها جملة واحدة ولم يتبق منهم الا القليل.

هلاك أبو لهب:

ان كثير من الروايات تذكر ان سببا رئيسيا في هلاك أبو لهب (عم النبي صلي الله عليه وسلم) قد ازداد عليه المرض بعد سماع خبر الهزيمة وقد أصيب بحمي (غالبا طاعون او مرض جلدي شديد) وامتلأ جسد بالطفح والورم ثم مات بعدها وكل ذلك في نفس عام بدر، وقد ثبت ان أولاده تركوه أياما لا يقربون جسده ولا يريدون دفنه خوفا من العدوي ثم حفروا حفرة والقوه فيها باستخدام العصي وردموها عليه .

والغريب ان ابي لهب بعد نزول القرآن يتوعده بالنار وهو اثبات انه سيموت كافرا ورغم علمه بهذه الآيات وسخريته منها الا انه مات كافرا ولو أراد ان يثبت خطأ الإسلام وكذب محمد لأدعي الإسلام ولكنه الكبر، الذي جعله يثبت ان القرآن حق وان محمد نبي بلا شك.

وفاة الوليد بن المغيرة:

أيضا كان ممن ماتوا بعد بدر ، وسمع خبر موت ابنه واسر وإسلام الاخر وكان طاعنا في السن ، وقيل انه مات بسبب خدش او جرح لم يلتئم ابدا وقد اوصي ما بقي من أولاده بعدم اتباع دين محمد ابدا ولكن لسخرية القدر اسلموا جميعا وكان خالدا عزا للإسلام ونكاية للوليد بن المغيرة الذي كان يري انه احق بالنبوة من محمد .

وبعد كارثة بدر، وموت سادة قريش انتقلت السيادة الي ابي سفيان وقد خلفت بدر فراغا إداريا شديدا واصبح هو سيد قريش الأوحد وكان ذلك بحق عبئا علي المسلمين فابي سفيان ليس متهورا مثل أبو جهل وليس متكبرا غبيا بل كان يحسب لكل امر حساب وهو من عائلة اشتهرت بالذكاء والدهاء ، ويكفي ان اثنان من دهاة العرب كانا ولداه هما (معاوية بن ابي سفيان) و (يزيد بن ابي سفيان) واسلما جميعا .

ثانيا: في المدينة:

لقد كانت الغنائم التي اغتنمها المسلمون اثر المعركة اضعاف ما كان ينتظر اغتنامه من قافلة أبي سفيان (غير ذات الشوكة) وهي الطائفة السهلة التي اشير اليها في القرآن ولكن الله اعطاهم المغانم الكثيرة والنصر المبين فالي جانب الغنائم وفداء الاسري والسلاح الكثير الذي حصلوا عليه وكان مهما جدا في زيادة عدد الجيش الإسلامي،

الا ان دوي النصر كان له وقعا مهما في المدينة حيث ثبت الروح المعنوية لمسلمين وقوي أيمانهم ان الله سينصر عباده مهما كانوا ضعفاء واكد مبدأ حربي جديد سيلازم الجيش الإسلامي بعد ذلك وهو قوله تعالي (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)كما ان واقعة نزول الملائكة قد كان لها اثرها في تثبيت قلوب المؤمنين حديثي الإسلام والذين كانوا مترددين في تصديق نبوة الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم اذ لم يكونوا قد رأوا من معجزات الرسل من قبل، كما كان سببا في دخول مزيد من الناس الي الإسلام سواء من اهل المدينة او مما حولها ممن سمعوا بهذه المعركة الغير متكافئة واشتد غيظ اليهود ويقينهم في نفس الوقت بنوة محمد ، وكذلك قد عرفوا ان هذا الدين لن ينكسر بل هو في نمو وازدهار مهما بلغت قوة اعداءه.





تشريع الصيام:

من اهم الأحداث التي وقعت في العام الثاني من الهجرة هو تشريع الصوم ، وكان ذلك في نفس الشهر الذي شهد غزوة بدر (١٧ رمضان) وكان اول شهر يصومه المسلمون وقد زاد من عزيمتهم اثناء القتال انهم كانوا صائمين يقاتلون علي بطون فارغة ورغم ذلك كانوا اشد علي الكفار ، وفي ذلك الشهر من هذا العام كان اول عيد فطر يحتفل به المسلمون .

ان تشريع الصيام نصا كان قبل ذلك العام عندما نزل قوله تعالي (كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم) وكان قبل الهجرة ولا يعلم اذا كانوا يصومون أياما معينة صياما متقطعا وكان ذلك اختياريا لقوله تعالي (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أي كان تطوعا لوجه الله وليس فرضا يحاسبون عليه ، و كان ذلك اعدادا لهم للصيام المتواصل ، اما تشريع الصوم كفريضة فكان في العام الثاني من الهجرة ٦٢٥م بنزول قوله تعالي (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ...فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهنا كانت صيغة الامر واضحة

العام الثالث الهجري (٦٢٦م)

قبل دخول العام الثالث للهجرة وقعت احداث هامة كنتيجة غير مباشرة لمعركة بدر ، واهم ذلك ظهور حقد اليهود وعداءهم علنا للإسلام بعدما كانوا يكتمون هذا الحقد سرا وقد كانوا يسيئون للنبي باللمز فيلقون عليه السلام بتحريف القول فيقولون (السام عليك يا محمد) والسام هو الحزن والمرض وكان النبي صلي الله عليه وسلم يرد عليهم بذكاء (وعليكم مثلما قلتم) وكثير من الحداث التي لا يمكن الالمام بها جميعا دون اغفال بعضها ،

وتجلي هذا الحقد ووصل ذروته من اكثر قبائلهم كرها للنبي وهم (بنو قينقاع) والذي انتهي باجلائهم من المدينة ..

اجلاء يهود بني قينقاع

وفقا (للزهري والواقدي) فقد وقعت هذه الحادثة في شوال – أي بعد بدر بشهر واحد فقط – وقبل ان نعرض لسبب الاجلاء لابد ان نشير الي بعض الروايات الضعيفة التي وردت من ان النبي صلي الله عليه وسلم بعد بدر خطب في بني قينقاع وامرهم بالدخول في الإسلام والا سيكون مصيرهم مثل كفار بدر ولما رفضوا اجلاهم ، وهذه الرواية تخالف التعايش السلمي الذي انتهجه المسلمين في المدينة والمواثيق بين النبي صلي الله عليه وسلم وبينهم ان يبقي كل علي دينه ويعني ان النبي صلي الله عليه وسلم قد نقض هذا العهد من جانبه ويعني كذلك ان السلام سينشر في المدينة بالقوة ، والصحيح والمتفق عليه هو واقعة سوق بني قينقاع ..

١) واقعة السوق:

تتلخص الواقعة ان احد اليهود رأي امرأه مسلمة في السوق فقام بربط طرف ثوبها بعمود او شيء ثابت دون ان تشعر وهي جالسة ، فلما قامت انكشف الثوب او انقطع فظهر جسمها عاريا فضحكوا وضحك اليهود من حولهم ، فقام احد المسلمين وغضب لذلك فقتل هذا اليهودي ، فاجتمع اليهود في السوق علي هذا المسلم فقتلوه .

٢) اعتبر النبي صلي الله عليه وسلم بداءة ان ما حدث نقض للعهد والوثيقة بينهم والتي تنص علي عدم قتال اليهود للمسلمين وعلي عدم الغدر بهم او إيذائهم ،

وقبل واقعة السوق كانت هناك مقدمات اما هذه الواقعة فكانت كالقشة التي قسمت ظهر البعير ، فقد كان اليهود يصرحون علنا غيظهم من نتيجة المعركة فقالوا للنبي (لا يغرنك امك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة ، والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا) وفي ذلك نزل قوله تعالي (قل ستغلبون وتحشرون الي جهنم وبئس المهاد – ال عمران ١٢) وهذا تهديد مستتر بالحرب والعداء وإعلان غير مباشر عن انحيازهم لأي فئة ضد المسلمين وحزنهم من انتصار المسلمين رغم انهم حلفاء لهم بنص معاهدة مكتوبة .

وهذه الواقعة تظهر ان التعايش السلمي اصبح غير ممكن بين بنو قريضة وبين المسلمين لان الصدور قد أظهرت ما بها من غل وكره.

٣) القرآن يحسم الامر: نزل قوله تعالي (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم علي سواء – الانفال) وهو ما يؤكد ان النبي صلي الله عليه وسلم كان مترقبا ومتوقعا لمثل هذه الأفعال الدنيئة ، وبعد مشورة قرر النبي صلي

الله عليه وسلم اجلاءهم من المدينة ، والحقيقة ان ذلك ليس سهلا علي الاطلاق فبنو قينقاع من اقوي يهود المدينة واشدهم في القتال ولكن من الواضح ان القول الذي قالوه للنبي من قبل (لو قاتلتنا لعرفت اننا نحن الناس) قد ان الوقت ليتم اختباره .

٤)حصار بني قينقاع:

لقد خرج النبي صلي الله عليه وسلم بنفسه في الجيش واستخلف علي المدينة (أبا لبابة بن عبد المنذر) وفي رواية اخري (عثمان ابن عفان) واعطي اللواء (لحمزة بن عبد المطلب) وقام بحصار حصنهم داخل المدينة خمسة عشر ليلة والعجيب انهم لم يخرجوا لمحاربته رغم شدتهم وقوتهم ورغم ما كانوا يقولونه من استعراض للقوة امام النبي صلي الله عليه وسلم الا انهم خاروا وظلوا داخل بيوتهم وحصنهم ، وبعد خمسة عشر يوما استسلموا بدون قتال وهو دليل علي ضعفهم وجبنهم ، وعرضوا الاستسلام بدون شروط والخضوع لامر الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم.

٥) امر النبي صلي الله عليه وسلم باسر اليهود المحاصرين وربط أيديهم (الرجال والجنود) استعدادا لتنفيذ الحكم فيهم ، ثم تقدم (عبد الله بن ابي بن سلول) زعيم الاوس وحليف بنو قينقاع كما ذكرنا ، ليشفع لهم عند الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم ، وهو قد اعلن اسلامه بعد الهجرة الا ان الجميع كان يعلم انه منافق، وقال للنبي (يا محمد احسن في موالي) فاعرض عنه النبي صلي الله عليه وسلم فادخل يده في جيب درع النبي صلي الله عليه وسلم (ليمسكه) فقال النبي صلي الله عليه وسلم (ارسلني) وغضب فلم يزل يلح علي النبي صلي الله عليه وسلم ويقول (والله لا ارسلك حتي تحسن في موالي ، اربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع وقد منعوني من الأحمر والاسود تحصدهم في غداه واحدة؟) فقال النبي (هم لك) واخلي سبيل الذين ذكرهم ، تكريما للحلف لا اعترافا بحقه وقد اجمع المفسرين ان نزول قوله تعالي في هذا الموقف ردا علي ابي بن سلول قوله تعالي (يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم - المائدة ٥١)،

وفي المقابل تقدم (عبادة بن الصامت) وهو من الأنصار الذي بأيع في العقبة الاولي والثانية وكان له موالي من اليهود مثل ابي بن سلول ، وقال (يا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثير العدد واني ابرا الي الله ورسوله من ولأيتهم واني اتولي الله ورسوله) .

٦) تفاصيل الاجلاء:

اذا كان النبي صلي الله عليه وسلم قد تجاوز عن قتل اليهود او عقابهم ، الا انه امر:

أولا: بإجلائهم تماما الي خارج المدينة تاركين خلفهم أموالهم الثابتة (أراضي وعقارات وبيوت) ثانيا: وسمح لهم فقط بأخذ الأموال المنقولة والمتاع ، وتمت مصادرة السلاح بالكامل وقد كان كثير جدا لأنهم صناع سلاح ، وحدادين ، وقسمه النبي صلي الله عليه وسلم بين المسلمين كغنائم حرب بعد اخراج الخمس وفقا للشريعة وكان اول مرة يعمل بهذا الشرع لأنه شرع بعد بدر ، واخذت أراضيهم وحصونهم.

ثالثا: تم اجلاءهم خارج المدينة وقد توجهوا الي (اذرات) في السام (منطقة حوران) وقيل الي (تيماء) أولا ثم تفرقوا ، وقد اشرف علي اخراجهم (عبادة بن الصامت).

٧) اثر هذا الاجلاء:

أولا: مبدأ الردع : اثبت اجلاء بنو قريضة ان النقض الصريح للعهد مع النبي صلي الله عليه وسلم ثمنه فوري وهو ما ارعب بنو لانضير وبنو قريضة مؤقتا الا انه لم يردعهم .

ثانيا: ضعف المنافقين : وقد ظهر نفاق (عبد الله بن ابي بن سلول) وانحيازه لليهود اكثر من انحيازه للمسلمين رغم إعلانه الإسلام ، وقد فضحه القرآن كما ذكرنا .

ثالثا: تعزيز الموارد : السلاح المصادر كان له اثر كبير في توفير موارد لبناء جيش قوي ووفر أموالا طائلة كان المسلمين يحتاجونها لشراء سلاح لتسليح عدد اكبر من الجيش وهو ما جاءهم بسهولة وبدون قتال ، خصوصا ان غزوة احد كانت ستحدث بعد اشهر قليلة كما سنري.

وفاة السيدة رقية

من الحوادث الهامة في العام الثاني للهجرة وفاة السيدة رقية بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والتي توفيت في العام الثاني الهجري، عن عمر ٣٠ عاما وهي زوجة (عثمان بن عفان) الذي تخلف عن بدر لمرضها الشديد

□غزوة السويق ٢ه

وقعت احداثها في شهر ذو الحجة من العام الثاني الهجري ، بعد اجلاء بنو قريضة باقل من شهر،

فقد اقسم أبو سفيان يمينا ان يغزو النبي صلي الله عليه وسلم والمسلمين ليأخذ بثأر بدر فخرج بمئتي رجل ليلا متجها الي المدينة وقد اتجه أولا الي (سلام بن مشكم) سيد بني النضير ففتح له وتحدث معه واطلعه علي اخبار المسلمين (وكان ذلك اول بوادر خيانتهم وعدم اتعاظهم مما حدث لبنو قريضة من أسابيع قليلة) ثم ذهب الي لعريض فحرق النخل وقتل رجلين من الأنصار ثم هرب .

لما علم النبي صلي الله عليه وسلم بذلك تبعه علي رأس جيش فلما كادوا يدركوهم القي أبو سفيان وجيشه بما معهم من طعام وعدة (السويق) علي الأرض وهربوا .

غزوة القردة ٢ه

علمنا ان المسلمين قد احكموا الحصار الاقتصادي علي قريش باصطياد قوافلهم التجارية قبل بدر وان قافلة أبو سفيان قد افلتت بمعجزة واستمر الحصار بعد بدر فكانت قريش ترسل القوافل ولبا تعلم اذا كانت ستعود ام تصادر كما ان تأمين القوافل عسكريا امرا مكلف خصوصا ان قوة الجيش الإسلامي قد بدأت تظهر وتزيد خصوصا بعد انتصار بدر الساحق، ولذلك حاولت تغيير مسار قوافلها عبر طريق نجد باتجاه العراق للإفلات من الحصار ، فخرج أبو سفيان في تجار من قريش معظمها من الفضة ، فارسل النبي صلي الله عليه وسلم (زيد بن حارثة) في سرية فلقي القافلة عند ماء في نجد يدعي (القردة) ففر الرجال تاركين القافلة غنيمة له وقيل في بعض السيرة ان القافلة بلغت قيمتها ما يعادل مائة الف درهم، وبهذه الحادثة أغلقت الطرق علي قريش تماما واحكم الحصار الاقتصادي وفشلوا في أيجاد طرق اخري للتجارة .

غزوة ذي امر/ غطفان ٣ه

كان ذلك اول احداث السنة الثالثة من الهجرة ، وقعت في اول الشهور (محرم) وتعتبر اكبر حملة عسكرية قادها النبي صلي الله عليه وسلم قبل احد ،

وكان سببها ان اخبارا وصلت المدينة بان جمعا كبيرا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة علي المدينة فسار اليهم النبي صلي الله عليه وسلم في اربعمائة وخمسين مقاتلا وتفرق هذا الجمع خوفا قبل ملاقاتهم وهربوا دون قتال .

مقتل كعب الاشراف:

يعد ذلك من الأحداث الهامة التي وقعت في العام الثالث الهجري وقبل غزوة احد ، وكما قلنا ان كعب الاشراف كان من احبار اليهود الكبار من بني النضير وكان يقول في النبي صلي الله عليه وسلم شعرا هجاء يسبه ويؤذيه كثيرا وكان ظاهر العداء للإسلام سافر الي مكة وظل يقول شعره ويبكي قتلي بدر من المشركين وكان يحرض الكفار علي المسلمين، ثم رحل الي المدينة ، فأمر النبي صلي الله عليه وسلم بقتله صراحة ، فتقدم (محمد بن مسلمة الانصاري) وابدي استعداده لقتله واستأذن النبي صلي الله عليه وسلم فاذن له ، فقام الي كعب وخدعه وقتله ، فجاء اليهود ألي النبي صلي الله عليه وسلم يشتكون قتل كعب فقال لهم انه كان يظهر العداء ويحرض علي المسلمين وهذا مخالف للعهد الذي بينهم ، ففزع اليهود من هذا الحدث واصبحوا مترقبين وزاد الحقد في قلوبهم لعظم قدر كعب الاشراف عند اليهود .

النبي صلي الله عليه وسلم في العام الثاني للهجرة

بقي ان نعرف وضع النبي صلي الله عليه وسلم الاجتماعي في نهاية تلك السنة ، وهي الموافقة لعام ٦٢٥م ويكون عمر النبي صلي الله عليه وسلم في هذا العام ٥٥ عاما تقريبا وقد تزوج قبل الهجرة من السيدة عائشة بنت ابي بكر الصديق وقد اختلف في عمرها وقت الخطبة ووقت الدخول الا ان الدخول (الزواج الفعلي) كان في السنة الاولي من الهجرة . وسوف نفصل ذلك في نهاية الفصل عند الحديث عن زوجات الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم وما يهمنا هنا هو ان نعرف اسرة الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم في هذا الوقت ومن كان يعوله من النساء والأولاد والموالي.

و الزوجة الثانية للنبي في هذا الوقت كانت السيدة (هند بنت ابي امية) الملقبة (بام سلمة) وكانت قد اسلمت وهاجرت مع النبي صلي الله عليه وسلم أي ان الزواج أيضا تم في العام الأول من الهجرة.

ومن الأولاد : كان بحوزة النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الوقت بناته الأربعة من السيدة خديجة ،

ومن الموالي : (زيد بن حارثة) وكان ابنا بالتبني حتي اعتق بعد الهجرة بعد تحريم التبني، و (أبو رافع) خادم الرسول صلي الله عليه وسلم وكان يساعد في شئون المنزل،

□العام الثالث الهجري (٦٢٥م)

□غزوة أحد ٣هـ-٦٢٥م

الجغرافيا:

يقع جبل احد حوالي خمسة اميال من المسجد النبوي الحالي ، وكان ارتفاعه وقت الغزوة ١٢٨ متر ويتكون من صخور جرانيتيه حمراء وله رؤوس متعددة ويقع في مقابله جبل صغير يسمي (عينين/جبل الرماة) وبينهما وادي متسع

التاريخ: علي الراجح من الاقوال ان غزوة احد وقعت في شوال والمؤكد انها كانت في العام الثالث للهجرة ٦٢٦م ويقال انها كانت بعد بدر بسنة وشهر تقريبا.

١) ان أسباب غزوة احد كانت واضحة وجلية منذ هزيمة بدر النكراء التي بليت بها قريش وقد عزمت ساداتها وكفارها علي الانتقام واستبدال المعرة التي اصابتهم بين العرب والغنائم التي اغتنمها منهم العرب يوم بدر ثم القافلة الأخيرة التي استولي عليها المسلمين وتطويق تجارتهم بالكامل وقطع الطرق علي القوافل، وغير ذلك من العملية الفاشلة التي قام بها أبو سفيان في المدينة ، وقد اصبح الانتقام امرا لا جدال فيه، وقد قررت قريش ان تخصص القافلة التي افلتت يوم بدر (قافلة أبو سفيان) بالكامل لتجهيز الجيش الذي سيرد شرف قريش من عار بدر.

في كثير من الروايات يذكر ان (العباس بن عبد المطلب) عم الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم كان قد اسلم بعد بدر وبقي في مكة يبلغ الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم بأخبار قريش وما يعدونه والأرجح انه بقي علي دين قريش لكن ولاءه كان لابن أخيه النبي صلي الله عليه وسلم ، وقد ابلغ النبي صلي الله عليه وسلم باستعدادهم وتجهيزاتهم للجولة الثانية مع المسلمين ولذلك لم يفاجأ المسلمون بجيش احد بل كانوا مستعدين للقائهم.

٢) تدبير لقتل حمزة:

ان هناك خطأ شائع ومتداول بشدة بين الناس في شأن التآمر لقتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم في احد، وهو ان (هند بنت عتبة) هي التي كلفت بذلك ، والحقيقة ان قاتل حمزة ويسمي (وحشي) وهو عبد حبشي لم يكن مولي هند ولا زوجها أبو سفيان ، وإنما هو مولاه (جبير بن مطعم بن عدي) وقد كلف وحشي بالخروج مع جيش احد ومهمته الوحيدة هي قتل حمزة ، انتقاما لقتله عمه (طعيمة بن عدي) في مقابل حريته وعتقه من العبودية وهي جائزة كبيرة لعبد حبشي. وقد كان (وحشي) موهوبا في رمي الرمح وكن لا يخطئ هدفه ابدا ، والحقيقة ان هند بنت عتبة قد ورد انها خرجت مع الجيش في احد وكانت تقود النساء وتغني أناشيد حماسية وتدفع الفارين من المعركة وقد ثبت انها اسلمت بعد فتح مكة وفعلت نفس الدور في جيش المسلمين في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب. وهذه الرواية الصحيحة ثابتة في صحيح البخاري باسناد الي عبد العزيز بن ابي سلمة باسناد متصل.

٢) جيش قريش:

أولا : خرجت قريش في ثلاثة الوية قوامهم ثلاثة آلاف من رجال مكة في بطون متعددة (بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة) ومعهم مائة من ثقيف ، وخرجت النساء معهم علي رأسهم (هند بنت عتبة) زوجة أبو سفيان قائد الجيش، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج معهم راهب يدعي عامر ومعه سبعون فارسا من الاوس.

ثانيا: قيادة الجيش العامة كانت (أبو سفيان صخر بن حرب) علي ثلاثة الوية : لواء مع (طلحة بن ابي طلحة العبدري) و لواء مع (سفيان بن عويف الحارثي) و لواء مع رجل من الاحابيش من كنانة، وكانت قيادة الخيل مع كل من (خالد بن الوليد) علي الميمنة و (عكرمة بن ابي جهل/عمرو بن هشام) علي الميسرة وهما اثنان من اقوي القادة الشباب حينئذ وكبار قادة المسلمين بعد ذلك،

٣)عندما علم النبي صلي الله عليه وسلم بخبر تجهيز الجيش ، لم يكن يعلم وقت الهجوم بعد ولا تحركاته لان الرسالة التي وصلته من العباس تستغرق أياما لتصله وربما يكون الجيش تحرك قبل وصولها اليه ، ولذلك امر بحراسات مستمر حول المدينة تحسبا للاغارة في أي وقت وامر بجماعات استطلاع مستمرة حول المدينة وعلي طول الطريق الي مكة لمراقبة ظهور طلائع الجيش القرشي ، وفوجئوا بقرب الجيش من المدينة ولذلك جمع النبي صلي الله عليه وسلم صحابته للتشاور.

وقد أشار الرأي الأول ، (عبد الله بن ابي بن سلول) ان يتحصنوا بالمدينة ويدافعوا عنها وينتظروا قدوم الجيش وقد كانوا يفعلون ذلك في الماضي .

واما الرأي الثاني هو الخروج لملاقاتهم خارج المدينة ، وذلك لأنهم رأوا من التحصن علامة علي الجبن والخوف مما سيجرئ الكفار عليهم اكثر وان هناك شبابا أقوياء لم يقاتلوا في بدر ويتشوقون للقتال عوضا عما فاتهم من شرف القتال الي جانب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، كما ان التحصن معناه قبول حصار المشركين لهم اشهرا وقطع طرق التجارة علي المدينة مما يجعلهم في موقف ضعف، وقد اجتمع المسلمون علي الخروج والقتال فاما التنصر او الشهادة وقد أخبرهم النبي صلي الله عليه وسلم انه يخشي ان يهزموا ولكن الأغلبية تمسكت بالخروج فنزل علي رأيهم.

٤) جيش المسلمين:

خرج المسلمون بالف مقاتل بينهم مائة دارع وخمسون فارسا ، ثم فوجئ الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم بان (عبد الله بن ابي بن سلول) ومعه ثلاثمائة رجل قد التفوا ورجعوا الي المدينة عند موضع يقال له (الشيخان) وقد سبق ان عرفنا انه كان يرفض الخروج أصلا ويفضل التحصن بالمدينة وقد خرج مكرها ثم بدل رأيه بعد الخروج قائلا (علام نقتل انفسنا هاهنا؟) وقد خرج رجلان من الأنصار ليقنعوهم بالبقاء وقد كادا ان ينسحبا معهم ولكن بعد ذلك ثبتوا وعادوا الي الجيش .وهي خيانة وضربة قوية للمسلمين في وقت الحرب ، تاركين جيش المسلمين حوالي سبعمائة رجل للقاء ثلاثة آلاف.

وبعض الصحابة أرادوا مطاردة المنسحبين فاوقفهم النبي صلي الله عليه وسلم ، وقد نزلت آيات في هذه الواقعة حسب المفسرين قوله تعالي (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم يومئذ للكفر اقرب للأيمان – ال عمران ١٦٧)

التشكيل:

قسم النبي صلي الله عليه وسلم الجيش الي ثلاثة كتائب :

كتيبة المهاجرين وحمل لواءها (مصعب بن عمير) وكتيبة الاوس ولواءها مع (اسيد بن خضير) و كتيبة الخزرج وقادها (الحباب بن المنذر) ، والرماة علي الجبل قائدهم (عبد الله بن جبير بن النعمان).

ثانيا: التموضع وخطة القتال:

نزل الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم بجبل احد وجعله خلف ظهره فصار الجبل سترة للمسلمين من الخلف والوادي امامهم وقد عسكر المشركون في سفح الوادي المقابل ،

ثم تأتي اهم نقطة في الخطة والتموضع : وهي ان النبي صلي الله عليه وسلم وضع خمسين راميا واقامهم علي جبل صغير المشرف علي الوادي المعروف لاحقا (بجبل الرماه) او (عينين) واوصاهم مشددا بالا يبرحوا أماكنهم قائلا : ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتي ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطانهم فلا تبرحوا – صحيح البخاري.

٥) احداث المعركة:

أولا: سل النبي صلي الله عليه وسلم سيفه ثم رفعه وقال (من يأخذ هذا بحقه) فقام رجل وسأل ما حمق ؟ فقالان تضرب به العدو حتي ينحني ، فاخذه (أبو دجانة سماك بن خرشمة) وكان رجلا شجاعا له عصابة علي رأسه حمراء اذا وضعها علم الناس اننه سيقاتل حتي الموت فوضعها واخذ السيف يتبختر به بين الصفوف .

ثانيا: بدء المعركة بالمبارزات:

كانت المبارزة الافتتاحية ، خرج من جيش المشركين (أبو عامر الراهب) المنافق الذي فر من المدينة الي مكة ونادي الأنصار ظانا انهم سيتركون النبي صلي الله عليه وسلم لما يرونه فرد عليه الأنصار بالسب والشتم فعاد مختفيا بين الصفوف،

ثم خرج (سباع بن عبد العزي) ينادي للمبارزة فخرج له حمزة بن عبد المطلب وقتله في لحظات.

ثم خرج (طلحة بن ابي طلحة العبدري) وهو من اشجع المشركين وصاحب لواء قريش ، فخرج له (الزبير بن العوام) وفي رواية (علي بن ابي طالب) فتقاتلا فقتله وكان هذا اول حامل لواء يقتل من المشركين وحمل اللواء بعده (عثمان بن طلحة) فقتله حمزة فحمله اخوه (سعيد) فقتله سعد بن اب وقاس فحمله أخيه ،ثم تتابع حملة اللواءات يقتلون وقيل ان عشرة منهم قتلوا .

وخرج من صفوف لكفار (عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق) يطلب المبارزة ، فهم (أبو بكر) ليقاتله فاوقفه الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم . وكان من العجب امر المسلم الذي يقتل ابنه وفلذة كبده فداء لدينه ونبيه.

ثالثا: بدء القتال واحداثه:

من المشاهد ان (أبو دجانه) قد اخذ سيف الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم وكان يشق الصفوف ولا يلقي أحدا الا قتله فكانما اعطي سيفا من السماء يقاتل به ، حتي وصل الي هند بنت عتبة فكره ان يقتل امرأه فرجع عنها ،

مقتل حمزة بن عبد المطلب:

كان حمزة – كما رأينا من اقوي واشجع فرسان قريش حتي قبل الإسلام وقد رأينا كيف خار عنه أبو جهل عندما ضربه واعلن اسلامه وكان يعرف بصائد الأسود ، ولما كان سببا في قتل (طعيمة بن عدي) وعتبة بن ربيعة وولداه ، فكما رأينا قد استخدم ابن اخ طعيمة (وحشي) واخرجه للقتال ولديه مهمة واحدة ثمنها حريته وهي قتل حمزة وكان يمشي بين الصفوف بحربته يبحث في وجوه الناس عن جائزته الكبرى ، ولندع وحشي نفسه يحكي لنا قتله لحمزة بعد اسلامه: قال(خرجت انظر حمزة واتبصره حتي رأيته في عرض الناس فلما غفل استدرت بشجرة فرميته بحربتي فاضعها في ثنته حتي خرجت من بين وركيه فلما ماتوا جئت فاخذت حربتي ورجعت الي المعسكر وقعدت) والثنة هي اسفل البطن ومات حمزة في لحظتها،

رابعا: الانتصار ثم الانقلاب:

انتهت الجولة الاولي للحرب بانتصار واضح للمسلمين وبدأ المشركين يفرون واندفع المسلمون يطاردونهم ويغنمون .

ولما رأي الرماة الذين وضعهم النبي صلي الله عليه وسلم فوق الجبل ان المعركة انتهت وفرار المشركين وراوا المسلمين يجمعون الغنائم هموا بالنزول من مواقعهم للمشاركة في الغنيمة ومنعهم (عبد الله بن جبير) اميرهم من التحرك امتثالا لامر الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم الا انهم ابوا وتركوا مواقعهم وبقي منهم عدد يسير عشرة او اقل فوق الجبل،

من سوء حظ المسلمين ان خالد بن الوليد كان يقود فرسان الميسرة ويراقب، وخالد بن الوليد ليس كقائد اخر ، فله أسلوب مختلف في قيادة ما يوضع تحت يده من رجال وكان خالد يخطط ويدبر بمعزل عن الخطة العامة ولا يحب الالتزام الصارم بالخطة العامة ولذلك عندما فر الجميع من جيش المشركين ظانين انهم هزموا بقي خالد مختفيا يراقب الوضع ، فالهزيمة ليست في قاموسه ، مهما بدا من إشارات ، كان خالد ينتظر ثغرة، فرصة واحدة ليحول الهزيمة الي نصر ، فلما رأي ان الرماة (غطاء الجيش الجوي) قد نزلوا من أماكنهم التف بخيله من خلف المسلمين وقتل (عبد الله بن جبير ومن بقي معه من الرماه) ثم اخترق صفوف المسلمين من الخلف،

ولما علم الفارين من المشركين ما حدث وراوا جيش خالد ، رجعوا الي ارض المعركة ووجد المسلمين انفسهم يقاتلون جيش خالد من الخلف وجيش المشركين العائد من الامام.

خامسا: شائعة قتل النبي:

ما زاد الامر سوءا ، ان احد المشركين اخذ يصيح (ان محمدا قد قتل) وقد اثر ذلك علي الروح المعنوية للمسلمين الذين خرجوا يقاتلون مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ويستأنسون بصحبته ويتباركون بوجوده معهم ويطمئنون به ، فانهزموا داخليا قبل ان ينهزموا حقيقة ، ورأي أبو بكر الجنود جالسين فقال ما اجلسكم قالوا مات رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لهم وما تفعلون بالحياة من بعده فقاموا طالبين الشهادة ،ونزل في ذلك قوله تعالي (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأين مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم – ال عمران ١٤٤) ، وفي ظل هذا الجو المتوتر من التلاحم والهرولة واتساع ساحة المعركة وانشغال الناس بالقتال كان الصوت الذي يسمع ه صوت صيحات الاخبار الكاذبة بموت الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم اما الحقيقة فكيف يمكن ان تصل الي كل واحد من المسلمين في ميدان المعركة، لم يكن النبي صلي الله عليه وسلم قد قتل لكنه جرح فشج وجهه وكسرت رباعيته وادمي وكان يقول فيما ثبت (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الي الإسلام) ونزل قوله تعالي (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يذبهم فهم ظالمون)، وثبت حوله في اشد اللحظات قلة من الصحابة التفوا حوله يحمونه من الموت وقد اشتد المشركين عليهم يريدون قتل الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم بحق، وقد كان ممن بقي معه : عمر بن الخطاب، أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله (وقد تلقي ضربة عن وجه النبي صلي الله عليه وسلم بيده وثبت انها شلت منذ هذا اليوم حتي نهاية حياته) ، وسعد بن ابي وقاس وكان النبي صلي الله عليه وسلم يناوله النبل فيرمي بها وثبت في الصحاح ان النبي صلي الله عليه وسلم قال له (ارم بابي انت وامي) ولم يقل النبي صلي الله عليه وسلم هذا القول لاحد قط، وأبو طلحة الانصاري يحمل التروس ويغطي بها جسد النبي صلي الله عليه وسلم ، وكذلك (نسيبة بنت كعب/ام عمارة) المرأة الوحيدة التي كانت تقاتل واصيبت بجراح اثر دفاعها عن الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم .

وقد ثبت ان الذي جرح النبي صلي الله عليه وسلم في وجهه هو (عبد الله بن قميئة) وقد اعتقد انه قتله واخذ يصيح اني قتلت محمدا ، وهي التي انتشرت بها الشائعة،

اضطر المسلمون الي التقهقر نحو الشعب في جبل احد واثناء ذلك رأي (كعب بن مالك) النبي صلي الله عليه وسلم حيا فصاح (ابشروا هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم) فاشار النبي صلي الله عليه وسلم اليه ان يسكت حتي لا يكشف موقعه وتحصن المسلمون في الشعب وانتهي القتال الفعلي،

سادسا: ما بعد المعركة:

لما انتهي القتال وانسحب المشركون خرج المسلمين من الشعب يتفقدون شهدائهم فوجدوا مشهدا مروعا ، وجدوا جثة حمزة بن عبد المطلب قد شقت بطنه واخرجت كبده وقطعت اذنيه ، واما عن رواية ان هند بنت عتبة هي التي فعلت ذلك فوردت في سيرة ابن اسحق بأسانيد فيها انقطاع لكن ثبت ان جثته قد مثل بها بالفعل اما فاعلها فلم يثبت بدليل قطعي، وثبت ان النبي صلي الله عليه وسلم قد وقف علي جسده وبكي وقال (لن أصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا قط اغيط الي من هذا) وسماه بسيد الشهداء وهذا ثابت.

وقد علمنا قربه من الرسول صلي الله عليه وسلم وهما المولودان معا .

وقد ثبت أيضا من المرويات نداء (أبو سفيان) بعد المعركة علي الصحابة (افي القوم محمد؟) فامر النبي صلي الله عليه وسلم الصحابة ان يسكتوا والا يجيبوه ، ثم سال أبو سفيان (افي القوم أبا بكر)ثم سأل عن عمر ولما لم يجبه احد التفت الي قومه وقال (اما هؤلاء فقد قتلوا) ثم لم يتحمل عمر بن الخطاب هذا فقال (كذبت يا عدو الله ان الذين عددت لإحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوئك) فقال أبو سفيان (يوم بيوم بدر والحرب سجال)فقال أبو سفيان (موعدكم بدر العام المقبل) فأمره الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم ان يجيبه (نعم هو بيننا وبينك موعد).

سابعا: حمراء الأسد:

في صبيحة اليوم التالي وكان المسلمون جرحي ومنهكين جاء الخبر ان ابي سفيان وجيشه ندموا علي عدم استئصال المسلمين وعادوا او يريدون العودة للإجهاز علي ما بقي منهم وفيهم النبي صلي الله عليه وسلم ، فقرر النبي صلي الله عليه وسلم الا يخرج معه لملاقاتهم الا من شهد احد وقد كان هناك مددا جاء من المدينة ليساعد في حمل الجرحى، ثم خرج النبي صلي الله عليه وسلم ومعه الجرحى والمنهكين وساروا الي منطقة ٠حمراء الأسد) واوقدوا نيرانا كثيرة ليهموا العدو بكثرة عددهم فلما بلغ النبي صلي الله عليه وسلم الاخبار ان أبا سفيان قرر الا يعود اليهم ورحل الي مكة ونزل قوله تعالي : الذين استجابوا لله والرسول صلي الله عليه وسلم من بعد ما

اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم النأي ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم أيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل – ال عمران ١٧٣)

٦) نتائج المعركة:

أولا: الشهداء من المسلمين:

استشهد في احد نحو سبعين من المسلمين واسماءهم من سيرة ابن اسحق وابن هشام:

حمزة بن عبد المطلب – سيد الشهداء وقتله وحشي بن حرب الحبشي ودفن مع لن أخيه ٠عبد الله بن جحش) في قبر واحد معروف اليوم.

مصعب بن عمير :حامل لواء المجاهدين قتله (ابن قميئة) وهو يحمل اللواء فقطع يده فحملها بالأخرى فقطعها فامسكه بعضديه حتي قتل .

عبد الله بن جحش: ابن عمة النبي صلي الله عليه وسلم

عبد الله بن عمرو بن حرام :من سادة الأنصار الخزرج

حنظلة بن اب عامر : الملقب بغسيل الملائكة لأنه استشهد جنبا وكانت ليلة زفافه فلما سمع نفير الحرب ترك زوجته وخرج قبل ان ينتظر ليغتسل وهذا ثابت باسانيد حسنة ، وكان ابيه يقاتل مع المشركين في نفس المعركة.

عمرو بن الجموح : وقدكان اعرج واصر علي الخروج رغم عذره

سعد بن الربيع الانصاري: قتل وبه اثنا عشر جرحا

انس بن النضر عن انس بن مالك

وكان بجسده ثمانين جرحا وثبت نزوا قوله تعالي فيه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)

عبد الله بن جبير : امير الرماة ،

وقد نزل في شهداء احد قوله تعالي (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون

ثانيا: قتلي المشركين: حوالي خمسة وعشرون فقط ابرزهم:

حاملي لواء بني عبد الدار كلهم

ابي بن خلف الجمحي: وقد اقسم في مكة ان يقتل النبي صلي الله عليه وسلم بيده فقال له النبي صلي الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله وطعنه النبي صلي الله عليه وسلم بحربة فخدش خدشا صغيرا ظل يغور حتي مات اثره وقيل انه الوحيد الذي قتله النبي صلي الله عليه وسلم بيده

هشام بن ابي امية المخزومي: قتله قزمان

عمرو بن ابي وقاس (اخو سعد بن ابي وقاس) وقتله سعد بنفسه



موقع معركة احد ويظهر جبل الرماة وموضع استشهاد (حمزة بن عبد المطلب)

□العام الرابع (٤هـ٦٢٦م)

قبل حلول العام الرابع الهجري ، كان صدي أحد سيئا في المدينة وخارجها ،

فمن ناحية اليهود: ظهر عداؤهم جليا وتجرأوا بشكل غير متوقع علي المسلمين وعلي الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم حتي وصل بهم الامر الي حد تدبير قتله كما سنري،

ومن ناحية الاعراب حول المدينة فقد زادت جرأتهم أيضا علي المسلمين حتي وصل الامر بأعدادهم العدة لغزو المدينة .

١) سرية ابي سلمة:

لا يعرف بالتحديد رواية موثوقة عن تاريخ وقوع هذه الحادثة وغالبا كانت في اول العام الرابع للهجرة ربما في محرم .

كما رأينا ان العرب الكارهين للوجود الإسلامي في الجزيرة العربية قد اعجبهم ما حدث في احد وظنوا ان شوكة المسلمين قد انكسرت وحان الوقد للتداعي عليها وانهاءها ، وقد بلغ الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم ان (طلحة بن خويلد) و(سلمة بن خويلد) علي رأس قبيلة بني اسد يدعوان القوم لمهاجمة المدينة ، فدعا الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم (ابي سلمة بن عبد الاسد) وعقد له لواء سرية تبلغ عددها نحو ١٥٠ رجل من المهاجرين والانصار بينهم سعد بن ابي وقاس وابو عبيدة بن الجراح وامره الرسول صلي الله عليه وسلم ان يسير حتي ينزل بارض بني اسد بن خزيمة فيغير عليهم.

ويظهر ان السياسة العسكرية الإسلامية بدأت تتطور الي مرحلة الاغارة وحماية الحدود بالقوة وكسر شوكة الأعداء ووئد الاخطار قبل بدأها ، ويدل أيضا علي ام الدولة الإسلامية الوليدة ليست دولة رهبان ومسلمين وانما دولة سياسة واخذ بالأسباب وان لهم قوة تحميهم وتحمي حدودهم، وان الإسلام اصبح دين ودولة والرسول صلي الله عليه وسلم قائد ديني وسياسي وعسكري بالدرجة الاولي.

كانت خطة الغزو هي السرية التامة فأمره ان يسير ليلا ويستخفي نهارا ويسلك طرقا غير معتادة حتي لا يلفت النظر ، اذا كان الهدف هو اغتنام عنصر المفاجأة ، وقد نفذ (أبو سلمة) الخطة باحتراف حتي بلغ مكان يدعي (قطن) به ماء لبني اسد ، وفاجأهم قبل ان يستعدوا ويجمعوا جيوشهم ففزعوا وهربوا تاركين منازلهم فارسل خلفهم لواءين لمطاردة الهاربين فظفروا بهم ، وعادت السرية كاملة خلال عشرة أيام بدون خسائر الي المدينة وقد أوصلت الرسالة المطلوبة.

٢) سرية ابن انيس:

كانت المكائد تحاك معا حول المدينة ، فلم يكن بنو اسد فقط من فكروا في الاغارة علي المدينة بل كان أيضا (خالد بن سفيان الهزلي) يجمع الناس في موطنه (عرنة) للإغارة علي المدينة ، فعلم الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم بذلك ، ويبدو جليا ان الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم قد انشأ شبكة استخبارات واسعة ليحيط بما يحدث حوله في الجزيرة العربية فيعلم بالمكائد قبل ان تبدأ وتظهر، وعلي ذلك فقد ارسل النبي (عبد الله بن انيس) لاستطلاع الامر ،فسار حتي التقي (بخالد بن سفيان) نفسه ودار بينهما حوار ، لم يكن خالد يعلم ان انيس من عند الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم فقد اوهمه انه سمع عن انه يجمع القوم للاغارة علي المدينة وانه يريد ان ينضم اليه ، فاقتنع الرجل وسار معه حتي اذا اختلي به قام انيس وقتله وكان هذا بناء علي أوامر النبي صلي الله عليه وسلم وقد اخمدت الحركة قبل ان تبدأ.

حادثة الرجيع: وبعد ذلك سعت (هزيل) للثار لخالد بن سفيان الهزلي ، فلجأوا للخديعة فارسلوا للمدينة وفد طلبوا من النبي صلي الله عليه وسلم ان يرسل معهم عشرة من الصحابة ليفقهوا قومهم في الإسلام ويعلموهم ، فارسل النبي صلي الله عليه وسلم معهم جماعة اختلف في عددهم وعلي رأسهم (عاصم بن ثابت الاقلح) فلما وصلوا الي (ماء الرجيع) اغاروا عليهم بعدد كبير فقتلوهم غدرا رغم انهم اعط

وهم الامان عندما تحصنوا منهم . واخذوا اثنان بقيا احياء الي مكة وباعوهم عبيدا هناك وهما (خبيب بن عدي الانصاري) وقد اشتراه أبناء الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلاه ثأرا لابيهم الذي قتله خبيب في بدر ، و (زيد بن الدثنة الانصاري) واشتراه (صفوان بن امية) للثأر لابيه (امية بن خلف) الذي قتل في بدر ،

والحقيقة ان مقتلهما كان ملحميا ومحزنا ومثال علي الغدر ، وقد ورد ان أبا سفيان قد سأل زيد بن الدثنة قبل قتله : اتود لو ان محمدا عندنا فتضرب عنقه وانت في اهلك؟ فقال والله ما احب ان يفدي محمد بشوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي ، فقال أبو سفيان (والله ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد لمحمد) وهذا دليل علي ولاء الصحابة للرسول ولاءا منقطع النظير حتي انهم يحبون ان يقتلوا الف مرة فداءا له .

اما خبيب فقد امسكوه حتي انتهاء الأشهر الحرم، ثم اجمعوا علي صلبه وقد ورد انه قال عند صلبه (اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا).

٣) حادث بئر معونة:

جاء (أبو براء عامر بن مالك) الملقب بملاعب الالسنة، وسيد (بني عامر) الي النبي صلي الله عليه وسلم في المدينة فعرض عليه الإسلام فلم يسلم وطلب ان يرسل النبي صلي الله عليه وسلم معه رجالا الي اهل نجد

يدعوهم للإسلام، فتوقف النبي صلي الله عليه وسلم وقال :اخشي عليهم اهل نجد فقال البراء: انا جار لهم-أي في ذمتي وحمايتي وهو عهد عند العرب عار ان ينقضه احد – فارسل النبي صلي الله عليه وسلم البعثة اعتمادا علي كلمة البراء وضمانته ، وهم في رواية البخاري سبعون رجل ، من خيار الصحابة ويعرفون بالقراء أي يقرأون القرآن ويتفقهون في الدين وهم بالنسبة لهذه الوقت م الإسلام كانوا ثروة لا تقدر بثمن ، وكان امير هذه البعثة (المنذر بن عمرو الانصاري الساعدي) .

سارت البعثة حتي وصلت الي منطقة (بئر معونة) وهي ارض بين بني عامر وبني سليم قريبة من نجد ، فارسلوا (حرام بن ملحان) خال انس بن مالك ، الي (عامر بن الطفيل) سيد بني عامر ، بكتاب –رسالة – فلما وصله لم يقرأ الرسالة حتي ، ولكن قام بطعن الرسول صلي الله عليه وسلم (حرام) من خلفه برمح وبعدها استصرخ (عامر) قبائل بنو سليم وهم (عصية وركل و ذكوان) فاطافوا بالسبعين القراء وقتلوهم عن اخرهم ، ونجا منهم اثنان فقط.

هما (عمرو بن امية الضمري) و (كعب بن زيد) كانا بعيدا عن البعثة حين دار القتل ووقع (عمرو) بالاسر ، واطلقه عامر بن الطفيل لان امه نذرت تحرير رقبة ، واما (كعب) فجرح وظل جالسا بين القتلى فظنوه ميتا فتركوه ونجا.

عندما انطلق (عمرو بن امية) سار هاربا الي المدينة وفي طريقه قتل رجلين ظن انهما من قتلة الوفد ، واتضح بعد ذلك انهما قد وقعا امان مع النبي صلي الله عليه وسلم ولم يعلم عمرو بذلك فلما اخبر النبي صلي الله عليه وسلم وقد ثبت في البخاري حزن النبي صلي الله عليه وسلم عليهما .

بعد ما علم النبي صلي الله عليه وسلم بالغدر ثبت انه كان يدعو علي هذ١ه البطون (ذكوان و عصية و بنو لحيان) أصحاب الغدر في بئر معونة وما قبلها شهرا كاملا وكان في اشد الحزن علي الذين قتلوا وهم من كنوز الإسلام وقتها.

□اجلاء بني النضير

١) علمنا ان رجلين من الذين امنهم النبي صلي الله عليه وسلم قد قتلا علي يد مسلم خطأ فقد كان النبي صلي الله عليه وسلم قد وعد بدفع ديتهما فخرج الي بنو النضير وهم حلفاء (بني عامر) الذين كان منهم القتيلين ، يطلب منه المعونة في الدية بموجب وثيقة العهد بينهم (دستور المدينة) ، فاظهر بنو النضير القبول ودعوه ليجلي معهم ليتفقوا ، وحضر الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم الي منطقة بنو النضير وجلس معهم ولكنهم كانوا قد حاكوا مؤامرة للتخلص من النبي.

٢) لقد كانت المؤامرة بمعرفة (حيي بن الاخطب) و (سلام بن مشكم) و (كنانة بن الربيع) علي ان يقتلوا النبي صلي الله عليه وسلم بان يلقوا عليه حجر من اعلي وهو جالس معهم ، وقد اجمع المحدثين علي ان النبي صلي الله عليه وسلم علم بالمؤامرة قبل سقوط الحجر عن طريق الوحي (ربما صلصلة في الاذن او علامة يعرفها الأنبياء) فقام دون كلام وعاد الي المدينة في صمت. وقد دل التصرف الذي اخذه النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك علي ان ما حدث كان وحيا لأنه اذا كان مجرد شك لما قرر النبي صلي الله عليه وسلم اجلاءهم من المدينة.

٢)كانت هذه الحادثة هي المسمار الأخير في نعش بنو النضير ليحكم عليهم بمصير إخوانهم من بني قينقاع الذين اجلوا من قبل ، واجمع النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه علي هذا القرار وقد نزل التشريع القرآني من قبل بالحكم في مثل هذا الموقف (فلا يجاورونك فيها الا قليلا) فقرر النبي صلي الله عليه وسلم الاجلاء.

وامر النبي صلي الله عليه وسلم أصحابه بالاستعداد للحرب وارسل (محمد بن سلمة) اليهم برسالة ان امامهم عشرة أيام ليخرجوا من المدينة والا ضربت اعناقهم، وبينما كان اليهود يتباحثون الرسالة ويتشاورون في ردهم عليها ، ارسل اليهم (عبد الله بن ابي بن سلول) زعيم المنافقين والذي عرفنا موقفه من اجلاء بنو قينقاع من قبل وانحيازهم ضد المسلمين ثم خيانته لهم بانسحابه في احد ، وقد ارسل اليهم يقول :لا تخرجوا من ارضكم واموالكم وابقوا في حصونكم فان معي الفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم ويفنون عن اخرهم قبل ان يوصل اليكم) فارسل زعيم اليهود (حيي بن الاخطب) الي النبي صلي الله عليه وسلم انهم باقون في حصونهم ولن يخرجوا من المدينة وقال (اننا لن نخرج فافعل ما بدا لك)، أي انها الحرب.

٣) الحصار:

بعد انقضاء المهلة العشرة أيام ، قام النبي صلي الله عليه وسلم والمسلمين بمحاصرة حصن بنو النضير وقطعوا نخيلهم تحسينا لمواقع القتال وهو ما انزل الله قوله تعالي (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة علي أصولها فباذن الله)

أعطيت الراية (علي بن ابي طالب) واستعمل علي المدينة (عبد الله بن ام مكتوم) ، وكانت المفاجئة ان (عبد الله بن ابي بن سلول) عندما رأي المسلمين وما فعلوه خار وخاف وخزل اليهود ولم يبعث احد لنجدتهم وتركهم في مواجهة المسلمين ،وذلك قوله تعالي : الم تر الي الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ابدا ولئن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون، لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ، لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون – الحشر ١٣

٤) الاستسلام:

بعد حصار دام خمسة عشر يوما – وفقا للراجح – وقد اوشكت مؤنهم وطعامهم علي النفاذ ، وانتظروا كثيرا لامداد الذي وعدوا به من المنافقين كما ان بنو قريضة خذلتهم ولم تقف الي جانبهم والتزموا بالمعاهدة مع الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم (حتي الان) وتخلت عنهم (غطفان) وقد وعدوهم بالمساعدة ، استسلم بنو النضير علي ان يخرجوا من المدينة فاشترط النبي صلي الله عليه وسلم عليهم الاتي:

أولا: يخرجوا بأنفسهم وابنائهم ونسائهم ولا يحملون الا ما تحمله الابل من امتعة .

ثانيا: يتم تسليم السلاح كاملا وتبقي أراضيهم ونخيلهم وبيوتهم والأموال الثابتة للمسلمين،

ثالثا: لن يتم قتل أي منهم

توجه بنو النضير بعد الجلاء علي حسب الأرجح من الآراء الي (خيبر) وعلي رأسهم (الحيي بن الاخطب) الذي سيصبح بعد ذلك المحرض الأكبر ضد دولة الإسلام.

٥)كانت أموال وغنائم بنو النضير هي اول ما نزل فيه تشريع (الفئ) وهو المال الذي اخذ من العدو دون قتال وذلك بنزول قوله تعالي : وما افاء الله علي رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله علي من يشاء- الحشر) والحكم انها لا تعامل معاملة الغنائم فتقسم بنفس الطريقة بل هي للنبي يوزعها كما يري .

وقد وزعها النبي صلي الله عليه وسلم علي المهاجرين دون الأنصار لأنهم كانوا قد تركوا أهلهم واموالهم في مكة وكانوا عوائل علي الأنصار وقد كان هذا اول مال يأخذه المهاجرين ويصبحوا معتمدين علي انفسهم في المدينة ،

ولكن استثني النبي صلي الله عليه وسلم رجلين من الأنصار فاعطاهم من الفيء وهما (أبو دجانة) و (سهل بن حنيف) وذلك لشدة حاجتهما .

غزوة بدر الاخرة

١) علمنا نهاية غزوة احد عام ٣ ه وقد تواعد النبي صلي الله عليه وسلم مع أبو سفيان علي اللقاء في العام القادم في بدر لحسم المعركة بين المسلمين والمشركين والتي كانت متعادلة بينهما (بدر بأحد) ولما جاء الموعد في العام الرابع من الهجرة ٦٢٧م في شهر شوال أي بعد سنة ونصف من احد، خرج النبي صلي الله عليه وسلم بجيش قوامه ١٥٠٠ – ٢٠٠٠ مقاتل وهو اكبر جيش للمسلمين حتي هذا الوقت، وقد خرج أيضا (أبو سفيان) بجيش من ٢٠٠٠ مقاتل ،

٢) لما وصل أبو سفيان الي منطقة (الظهران) او (عسفان) القي الله في قلبه الرعب فقال : العام عام جدب وانما يصلح للغزو عام الخصب، فرجع بالجيش الي مكة .

ولما بلغ النبي صلي الله عليه وسلم رجوعهم اقام في بدر ثمانية أيام ينتظر فلم يات احد ثم رجع الي المدينة نزل في ذلك قوله تعالي : الذين استجابوا لله والرسول صلي الله عليه وسلم من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم.

غلبة الروم

لقد علمنا قبل الهجرة نزول نبوءة القرآن بهزيمة البيزنطيين امام الفرس الساسانيين التي وقعت حوالي ٦١٩ م وان القرآن تنبأ بان الروم ستكون لهم الكرة علي الفرس في بضع سنين (من ثلاثة الي تسعة) وقد رأينا تحقق النبوءة الاولي حتي جاء العام ٦٢٧م – ٤ه والذي انقلبت فيه الأمور بقيادة الامبراطور البيزنطي (هرقليوس) والذي قام بالحاق هزائم متتالية بالامبراطورية الفارسية والتي بدأت عام ٦٢١ وانتهت تقريبا عام ٦٢٧م وبذلك تكون نبوءة القرآن الثانية قد تحققت في المد التي ذكرها الله في العام الرابع الهجري وبذلك فرح المسلمون بانتصار المسيحية المؤمنة علي المجوسية الكافرة. ولم يعلموا انهم في خلال ثلاثة عقود سيخضعون الدولتين معا للإسلام .

غزوة ذات الرقاع

حدث بعد ذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم قد بلغه ان جماعة من (غطفان) وهم (بنو محارب و بنو ثعلبة) جمعوا جموعا لمحاربة المسلمين – وقد رأينا ان العرب لازالت تتجرأ علي المسلمين بعد احد – فخرج في اربعمائة رجل واستعمل (أبو ذر الغفاري) علي المدينة فلما علموا ان جيش المسلمين قادم تفرقوا وهربوا تاركين امتعتهم ونسائهم فرجع الجيش الي المدينة بدون قتال.

غزوة دومة الجندل

جموعا اخري في الجزيرة لازالت تطمح بتحقيق ما يفشل فيه الاخرون ولا يتعظ احد من العرب رغم انهم عاينوا قوة شوكة المسلمين وتنظيمهم ، فقد بلغ النبي صلي الله عليه وسلم عن جمع عند (دومة الجندل) وهي واحة كبيرة شمال الجزيرة قرب الحدود الشامية ، يغيرون علي القوافل ويهددون المدينة من الشمال،

فخرج في ١٠٠٠ رجل من المسلمين الي هذه المنطقة وهي ابعد ما وصلته جيوش المسلمين حينئذ ، وهي مسافة سير نحو ١٥ يوما ، فلما بلغوها ، وكالعادة، وجدوا القوم قد تفرقوا وهربوا فلم يلق كيدا فاقام أياما واغار علي ماشيتهم وأصاب منها ثم رجع ، وفائدة هذه الغزوة كانت في تأمين شمال المدينة وحماية القوافل وردع القبائل المترصدة.

غزوة بني المصطلق (شعبان ٥)

١)كانت قبيلة بني المصطلق خطرا علي الإسلام ، فقد ازرت قريش في احد واعدت عدة لغزو المدينة بقيادة (الحارث بن ابي ضرار) زعيمهم ، فارسل النبي صلي الله عليه وسلم (بريدة بن الحصيب) يتجسس الخبر فأكده ' فخرج النبي صلي الله عليه وسلم في جيش كبير وخرج معه (عبد الله بن ابي بن سلول) هذه المرة ورجاله طمعا

في الغنائم ليس اكثر لما رأي ان حملات المسلمين دائما تنجح وتعود بغنائم كثيرة ، واخذ الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم معه زوجته السيدة عائشة بنت ابي بكر.

٢) سار الجيش حتي وصل الي ماء يسمي (المريسيع) ونظم الصفوف وقد حمل راية المهاجرين (أبو بكر الصديق) وراية الأنصار (سعد بن عبادة) والتقي هناك الجيشان والتحموا وكانت هذه المرة معركة قتالية .

٣) قتل من بني المصطلق عشرة وكانوا اكثر من سبعمائة واسر الباقي، وقتل من المسلمين واحد فقط وغنم المسلمون غنائم طائلة ومن بين الاسري كانت (جويرية بنت الحارث) زعيمهم، فاعتقها النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك وتزوجها وادي هذا الزواج الي اطلاق جميع الاسري كرامة لها ، وترتب علي هذا التصرف ان بنو المصطلق جاءوا بعد ذلك الي النبي صلي الله عليه وسلم واسلموا جميعا واصبحوا قوة للإسلام بعدما كانوا خطرا عليه.

حادثة آ ك

لم يكن خروج المنافقين في جيش المسلمين ليمر منهم بهذه السهولة الا ان يؤذوا الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم وقد حدث ذلك بتدبير من رأس النفاق (عبد الله بن ابي) وقد نال ما أراد من ادخال الحزن والغم في صدر الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم .

١) هذه الرواية ثبتت في صحيح البخاري ومسلم ، من حديث عائشة بتفصيل كامل وملخصها فيما يلي..

كانت النساء في مؤخرة الجيش كالعادة ومعهم الرحالون وبعض الحرس ، ولما هم الجيش بالذهاب والعودة الي المدينة كانت السيدة عائشة قد تأخرت لسبب ما ، فلم يشعروا بعدم وجودها حيث كانت النساء – خاصة زوجات النبي صلي الله عليه وسلم – في خيام صغيرة مغلقة(هودج) فوق الجمال لا تري وجوههم عند الرحيل فظن الرحالة انها في هودجها فمشوا دونها، فكانت وحدها حتي ادركها (صفوان بن المعطل السلمي) واوصلها علي ناقلته الي المدينة ، ومن المرجح انه لم يكن يعرفها ، فعندما وصل الجيش والنبي الي المدينة لم يجدوها معهم ، ثم وصلت وهي علي راحلة مع صفوان.

فانتهز (عبد الله بن ابي) الفرصة واشاع ضمنا عبر ثلاثة من رجاله المنافقين في المدينة ان هناك علاقة بينها وبين صفوان وانهما تأخرا عن الجيش عمدا ليختليا بانفسهما، ولا اعرف كيف لرجل يدعي الإسلام ظاهرا علي الأقل ان يطعن في شرف زوجة رسوله وهو علي قيد الحياة.

٢)ظل النبي صلي الله عليه وسلم شهرا كاملا في حزن شديد لان الطعنة جاءته في احب زوجاته الي قلبه ، واكثرهن غيرة عليها ، وتفشي الخبر بين الناس وقد وقاطعها ولم يتكلم معها في الامر . ومرضت عائشة وعندما احست التغير في تعامل النبي صلي الله عليه وسلم معها استأذنته لان تطبب في بيت ابيها (أبو بكر) فاذن لها وحسب الأرجح من الاقوال ان السيدة عائشة لم تكن تعلم بامر الاشاعات فلما عرفت كانت ل تكف عن البكاء ليلا ولا نهارا وتدعو الله ان يبرئها ،

وقد ظهر في هذه الفتنة حقائق الرجال وعرف الناس المنافق من المؤمن وقد اعلن (سعد بن معاذ) سيد الاوس استعداده لقتل من يقول ذلك اذا كان من الاوس ، وكادت ان تقع فتنة بين الاوس الخزرج بسبب هذه الاشاعة حتي هدأهم النبي صلي الله عليه وسلم ،

وظل النبي صلي الله عليه وسلم في حزن شديد وقد انقطع الوحي شهرا كاملا، حتي نزلت آيات الله لتبرئها بقران يتلي الي يوم القيامة بقوله تعالي : إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِآلافكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.
وبعد ذلك امر النبي صلي الله عليه وسلم ان يقام حد القذف –قذف المحصنات الغافلات من الحدود في الإسلام ويعتبر من السبع الموبقات التي اذا مات عليها مسلم دون توبة دخل النار – وهم ثلاثة من المسلمين تحدثوا بما اشاعه المنافقين بآلافك وهم : مسطح بن اثاثة ، و حسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش . ولم يعاقب عبد الله بن ابي بن سلول لان الأدلة لم تكن دامغة عليه رغم علم المسلمين ضمنا انه وراء هذه الفتنة ولكن الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم لا ينبغي ان يحاسب بحد حتي تثبت التهمة يقينا .
وقد كشفت هذه الحادثة أيضا ان النبي صلي الله عليه وسلم بشرا وان الأنبياء لا يعلمون الغيب .

حادثة الانصاري والمهاجري:

لم تخمد فتنة عبد الله بن ابي حتي يبدأ فتنة جديدة وقد جاءته الفرصة عندما اقتتل رجل من الأنصار ورجل من المهاجرين علي ماء فنادي المهاجرين (يا للمهاجرين) أي يستصرخهم ونادي الانصاري الأنصار ، فقال عبد الله بن ابي وقد جاء لينصر الأنصار – باعتباره منهم – فقال قولته الشهيرة التي اشعلت الفتنة (لئن رجعنا الي

المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) يقصد المهاجرين ، ولما بلغ النبي صلي الله عليه وسلم ذلك واصحابه اقسم عمر بن الخطاب ليضربن عنق عبد الله بن ابي فمنعه النبي صلي الله عليه وسلم وقال : لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه، وهنا برز الصحابي (عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول) وهو ابن راس المنافقين نفسه وهو صحابي صادق في اسلامه ، ان يقتل ابيه بنفسه ،كي لا يقتله اخر فيطالب بالثار، واعجب النبي صلي الله عليه وسلم بوفاءه للإسلام ولو ضد ابيه وهكذا كان حال المسلمين والصحابة فالدين والرسول صلي الله عليه وسلم اهم من ابائهم وابناءهم وهو تطبيقا للمبدأ الإسلامي في قوله تعالي : قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يأتي اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ
وتم وئد الفتنة في مهدها .

النبي صلي الله عليه وسلم في الخامس من الهجرة:

اصبح النبي صلي الله عليه وسلم في عمره الثامن والخمسين بالعام الخامس الهجري الموافق ٦٢٧م وقد علمنا ان النبي صلي الله عليه وسلم كان بالفعل متزوجا من السيدة عائشة بنت ابي بكر والسيدة (هند بنت ابي امية) المعروفة (بام سلمة) وقد تزوج أخيرا من السيدة (جويرية بنت الحارث) والتي كانت سببا في اسلام قومها من بني المصطلق كما رأينا وقد ورد ان السيدة عائشة قالت : فما رأيت امرأه كانت اعظم بركة علي قومها منها ، مما يدل عن طيب خاطر رغم انها زوجة النبي صلي الله عليه وسلم . ولم ينجب النبي صلي الله عليه وسلم منها اولادا ولا بنات . وقد بقي لدي النبي صلي الله عليه وسلم ثلاثة من بناته بعد وفاة السيدة رقية بعد بدر وتزوج (عثمان بن عفان) من بنته ام كلثوم ليلقب بذي النورين لأنه تزوج اثنتان من بنات النبي صلي الله عليه وسلم تباعا.

□غزوة الأحزاب (الخندق) ٥ه

١) ما هذه المعركة الا حلقة في سلسلة المعارك الدائرة في الصراع بين المسلمين وقريش ، ورغم ان الحرب لازالت دائرة فلا داع لسبب مباشر لهذه الغزوة الا ان هناك أسبابا يمكن التماسها في هجوم قريش الشديد هذه المرة علي المدينة ..

أولا: رغم هزيمة المسلمين في احد الا ان قريش لم تتمكن من حل مشكلة الحصار الاقتصادي وتأمين طريق تجارتها ومنع المسلمين من السيطرة عليه وطالما انهم لم يبرموا أي معاهدات سلام مع المسلمين فان قوافلهم لم تزل غنيمة مباحة للمسلمين كلما ظفروا بأحدها ، وقد رأينا كيف بسط المسلمون نفوذهم علي طرق ال تجارة حولا لمدينة حتي حدود الشام شمالا .

ثانيا: ان المعركة الحاسمة لم تحدث حتي الان بعد ان رجع أبو سفيان بجيشه في لقاء بدر المتفق عليه وبالطبع لن يتركه القرشيين في مكة دون ان يقودهم الي الثأر من المسلمين الذين اصبحوا صداعا يؤرقهم حتي بعد ان خرجوا من مكة ، ولازالت الأصوات تطالب بالثار من المسلمين ولم يعد هناك بدا من انجاز ما وعده إياهم أبو سفيان .

ثالثا: لقد تمكن المسلمون خلال العام بين احد والأحزاب من إزالة كل اثار الهزيمة في احد وبسطوا نفوذهم علي كثير من القبائل حولهم وخاصة ما حدث مع بني المصطلق من هزيمة ثم انقلاب الي الإسلام وبدا ان قوة المسلمين اخذه في الزيادة ولابد من حل لإيقافهم قبل ان يقرروا القدوم لغزو مكة نفسها.

رابعا: لم يكن دور (حيي بن الاخطب) زعيم بنو النضير الذين اجلوا لنوهم وهربوا الي حصن خيبر اقل من دور أبو سفيان نفسه ، فقد انطلق يؤلب القبائل ضد المسلمين وكأنه يجمع اعداء الإسلام من كل حدب وصوب تحت راية واحدة ، فتوجه أولا الي مكة واقنع أبا سفيان وقريش بالخروج ووعدهم بان بنو النضير سيكونون معهم في الجيش وبنو قينقاع الذين اجلوا قبلهم وغيرهم من الموالين ، ثم توجه الي (غطفان) واقنع زعيمهم (عيينة بن حصن الفزاري) بالمشاركة ووعدهم بثمر خيبر لمدة سنة كاملة ، ووافقت معه كذلك (بنو سليم و بنو اسد وبنو مرة واشجع) ، ثم حاول ان يستقطب بنو قريضة الذين كانوا الوحيدين الباقين في المدينة ولا زالوا علي عهدهم ، فذهب الي (كعب بن اسد القرظي) زعيمهم واقنعه بالتواطؤ معهم .

٢) الأحزاب:

هذه المرة استطاع أبو سفيان ان يحضر للغزو تحضيرا قويا ، فقد جمع جيشا لم يحدث من قبل في حروب العرب قوامه حوالي عشرة آلاف مقاتل لغزو المدينة علي المسلمين وليس فقط مجرد لقاء في ارض حيادية ،و قد استقر كل حزب منهم في موضع حول المدينة ليضبوا الحصار علي المسلمين من كل جهة وبالطبع علم النبي صلي الله عليه وسلم بهذه التحركات الضخمة وجمع أصحابه والانصار للتشاور حول الامر.

وتجمع جيش قريش وحلفائها في مر (الظهران) حيث وافاهم حلفائهم من بنو تميم وكنانة والاحابيش ثم تحركوا نحو المدينة حتي نزلوا بمجتمع (الاسيال) من رومة بين (الجرف) و (زغابة)، اما غطفان وبنو اسد فنزلوا الي جانب جبل احد .

٣)كان الخيار عند المسلمين مثل خيارات احد ، اما الخروج لملاقاتهم واما التحصن بالمدينة ، وقد استقر الرأي بعد مشورة الصحابي (سلمان الفارسي) التاريخية بحفر خندق حول المدينة ، وكان سلمان رجل من الفرس اسلم

وانضم الي المسلمين في المدينة وقد تعلم ممن خدع وأساليب الفرس العسكرية التي لا يعرفها العرب ولذلك كانت فكرته قد اعجبت الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم لان المشركين لن يكونوا علي عهد بهذه الفكرة ولن يتوقعوها بالمرة ولم يسبق لهم تجربتها او التعامل معها من قبل، وكان هذا الرأي هو الذي جعلهم يختارون التحصن بالمدينة هذه المرة.

خطة الدفاع:

لنفهم خطة التحصن لابد ان نعرف أولا حدود المدينة وطبيعتها الجغرافية :

أولا: الجدار الشرقي والغربي : او الحرتان ، تحيطا بالمدينة من الشرق والغرب والحرة هي ارض بركانية مغطاه بحجارة سوداء صلبة متكسرة يستحيل علي الخيل والابل السير فيها ويصعب علي الرجالة الخوض فيها بشكل منتظم .

فمن الشرق (حرة واقم) وهي امتداد بركاني ضخم يمتد من الشمال الي الجنوب عرضه في بعض المواضع اكثر من عشرة كيلومترات وحجارته وعرة لا تجاز بجيش منظم ابدا.

ومن الغرب (حرة الجرف/الوبرة) اقل اتساعا لكنها كافية لصد حركة الخيل .

اذا الشرق والغرب مستحيلين علي الاختراق بموانع طبيعية وأي جيش ينوي غزو المدينة سيكون عليه استخدام الشمال او الجنوب او السير خلال تلك الحرات في ممرات ضيقة جدا من السهل الدفاع عنها وسيكون الفناء هو مصيرهم.

ثانيا: الجنوب: جبل اسود ضخم جنوب المينة يسد الطريق الجنوبية الرئيسية تقريبا ويجعلا لاقتراب من هذه الجهة محدود المسالك .

ثالثا: الشمال: جبل احد والجبال الشمالية الغربية: لا يسد الشمال بالكامل لكنه يضيق المسالك ويقيد حركة الجيوش الكبيرة .

رابعا: الثغرة الوحيدة : الشمال الغربي هو المنفذ الوحيد الذي اعتمد عليه جيش قريش في الغزو وهي الجهة الوحيدة المكشوفة من المدينة وهو السهل الشمالي الغربي بين الحرتين حيث ارض منبسطة تسمح بحركة الخيل والجيوش الكبيرة بحرية تامة وهنا بالتحديد تقرر حفر الخندق لاغلاق المدينة بالكامل.

خامسا: التضاريس الداخلية للمدينة:

كانت المدينة مليئة (بالاطام) وهي أبراج حجرية مرتفعة بنتها القبائل للدفاع وكان لكل قبيلة اطمها وكانت تعمل كمواقع رصد واطلاق نار بالسهام وكمراكز لجوء للنساء والأطفال وقد وضع النبي صلي الله عليه وسلم خلال الغزو النساء في اطم بني حارثة .

سادسا: مواقع القبائل في المدينة للدفاع:

وسط المدينة حول المسجد النبوي : بنو النجار

الجنوب الغربي (العصبة) : بنو عبد الاشهل
الشمال الغربي: قريب من الخندق: بنو ظفر وبنو حارثة
الجنوب الشرقي: منطقة النضير والمهزور : وهناك كانوا يهود بنو قريظة. وكان موقعهم اذا خلف المسلمين تماما الذين كانوا في مواجهة الأحزاب في الشمال أي كانوا من المفترض ان يحموا ظهر المسلمين.

سابعا: الخندق : التقنية الفارسية بالتفصيل:

عرفت الخنادق كتقنية دفاعية في العصور القديمة في الحضارات الرومانية والفارسية والهندية ، ولكنها مجهولة تماما عند العرب كاسلوب حرب ، ولهذا ورد ان أبو سفيان قال عند رؤية هذا الخندق : هذه مكيدة ما كانت العرب لتكيدها،

اختلفت الروايات في تحديد المواصفات والإبعاد المؤكدة للخندق ، ولكننا نعرف انه امتد من (المذاذ) وهي منطقة جبلية شمال شرق تتل الي حرة (واقم) ، الي جبل (ذباب) او (راتنج) غربا أي انه سد الثغرة الشمالية الغربية بالكامل بين الحرتين ، مما يجعل:

طوله حوالي ٥ كيلومترات ،

بعرض ما بين٤-٥ متر

العمق ما بين ٢,٥ الي ٣,٥ متر .

والعرض لابد ان يكون اكبر من قفزة الفرس لكن قابل للرمي بالسهام والفرس مستحيل ان تقفز اكثر من ٣,٥ متر في معركة مثقلة بالفارس والسلاح .

يتم رمي التراب المزال من الخندق علي الجهة الداخلية من الخندق مما يجعله ساترا ترابيا يحتمي خلفه الرماة ويصعب علي من يصل الي حافة الخندق الخارجية رؤية الداخل.

ثامنا: قوة العمل:

نحتاج نحو ٣٠٠٠ رجل لانجاز الخندق –كل ١٠ رجال يحفرون ٤٠ ذراعا ،

وبالطبع أدوات الحفر كانت المعاول والمساحي والزنابيل لنقل التراب ، وكانوا يعانون من شح الأدوات وبعض الصخور الصلبة عند الحفر كما سنري.

مدة الحفر اللازمة لانجاز الخندق في اقصي الروايات تجعلها ٢٠ يوما ولكن المرجح انها كانت اقل بكثير حيث علمنا ان جيش الأحزاب قد تحرك بالفعل ولذلك وجب انجاز الخندق في اسرع وقت وغالبا استغرق أسبوع الي عشرة أيام وهو منطقي وممكن .

٤)احداث الحفر وفقا للثابت في الصحيح :

كان الجوع وقلة الطعام من الصعاب التي واجهت المسلمين اثناء الحفر وكان النبي صلي الله عليه وسلم يشارك في الحفر بيده وفقا للثابت والمجمع عليه من الروايات وكان يربط حجرا علي معدته من شدة الجوع .

وقد ورد في صحيح البخاري من حديث (جابر بن عبد الله) انه ذهب الي اهله فذبحوا عناقا وطحنوا صاعا من شعير فدعا النبي صلي الله عليه وسلم الجيش كله ليأكلوا معه ، وهو امر مستحيل منطقيا ان يكفي هذا الطعام اكثر من عشرة افراد بالكاد ، فكيف يأكل منه ٣٠٠٠ شخص، واخذ النبي صلي الله عليه وسلم القدر يملأ بنفسه الاطباق للجنود فاكل الجنود كلهم وبقي في القدر طعام زائد وهذه المعجزة قد رأيناها في قصة المسيح عيسي عليه السلام وهو من بركة الأنبياء ولا يوجد تفسير علمي معروف لهذه الظاهرة.

ورد أيضا في الصحيح البخاري عن حادث الصخرة التي اعاقت عملية الحفر والرواية من حديث البراء بن عازب ، ان صخرة عرضت لهم اثناء الحفر عظيمة وصلبة لا تتكسر ابدا والأرض هناك كانت تحتوي علي بعض الصخور البركانية البازلتية وهي من اصلب أنواع الصخور الطبيعية ولا تتفتت بضربات عشوائية بل تتشقق علي خطوط كسر داخلية ، فجاء النبي صلي الله عليه وسلم واخذ المعول ثم ضربها فكسر ثلثها وقال (الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لابصر قصورها الحمر) ثم ضرب ضربة ثانية فكسر ثلثها وقال (..اعطيت مفاتيح فارس) ثم ضرب ثالثة فكسرها وقال (..اعطيت مفاتيح اليمن) – صحيح البخاري ولا خلاف عليه. والحقيقة انه من الرؤي التي اختص بها الأنبياء والحادثة نفسها ليس فيها شيء غير منطقي او خارق وانما قد رأي الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم لقطات لحظية امام عينيه تمثل نبوءات من المستقبل وقد تحققت جميعها بعد موته بعقد واحد وقد فتحت ارض الشام بالكامل علي يد (خالد بن الوليد) وفتحت اليمن بالكامل وفتحت الإمبراطورية الفارسية الساسانية عن بكرة ابيها ولم يبق منها شبرا الا واصبح في يد المسلمين.

وقد سجل القرآن ردود فعل بعض المنافقين من الذين كانوا يحاولون تثبيط عزيمة المسلمين في كل فرصة وفي كل يوم بقوله تعالي (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا)،

٥)وضع الجيشين:

أولا : جيش الأحزاب:

وفقا لرواية ابن اسحق وابن سعد والواقدي وهو الراجح ان الأحزاب كانوا عشرة آلاف مقاتل في المجموع ولم يسبق للجزيرة العربية ان جمعت مثل هذا العدد في مكان واحد من قبل.

الفيلق الأول: قريش والاحابيش: بقيادة (أبو سفيان بن حرب بن امية) القائد العام للأحزاب وعددهم أربعة آلاف ٤٠٠٠ مقاتل هم : قريش بطونا وافخادا من بني مخزوم وبني امية وبني نوفل وغيرهم.

الاحابيش : وهم احلاف قريش من القبائل المجاورة لمكة :بنو الحارث وبنو عبد مناة من كننانة وبنو المصطلق ومن والاهم . وابرز قادتهم (خالد بن الوليد) قائد الخيل و (عمرو بن العاص) من قادة الميمنة و (عكرمة بن ابي جهل) و (ضرار بن الخطاب الفهري) .

خرجت قريش من مكة شمالا عبر الطريق المعتادة الي المدينة.

الفيلق الثاني: غطفان وحلفائها:

القائد (عيينة بن حصن الفزاري) قائد بني فزارة في الف مقاتل ١٠٠٠ من بني فزارة وحدها وبجانبهم:
اربعمائة من بني مرة بقيادة (الحارث بن عوف المري)
اربعمائة من اشجع بقيادة (مسعر بن رخيلة)
عدد غير محدد من بنو اسد بقيادة (طليحة بن خويلد الاسدي)
عدد غير محدد من بنو سليم بقيادة (أبو الأعور السلمي)
وقد سارت غطفان وحلفائها من نجد غربا عبر طريق وادي الرملة.
وقد كان تموضع الأحزاب كالتالي:
أبو سفيان وقريش في منطقة (رومة) و(الجرف) شمال غرب الخندق في السهل المنبسط امام الثغرة الرئيسية
عيينة وغطفان : الي الشرق قليلا في منطقة ذنب نقمي عند اطراف حرة واقم محاذين للجانب الشرقي للخندق.
ثانيا: جيش المسلمين:
العدد الإجمالي للمقاتلين وفقا للراجح كانوا ثلاثة آلاف بقيادة النبي صلي الله عليه وسلم قائد اعلي للجيش كان يتنقل علي طول الخندق وقد نصب خيمته في الشعب وهو ممر جبلي بين (سلع) والخندق يمكنه من الاشراف علي الجبهة كلها.
قسم الجيش علي طول الخندق الي قطاعات دفاعية:
القطاع الأيسر :وهو الجانب الشرقي نحو حرة واقم بقيادة (زيد بن حارثة) ومهمته تامين الجانب المقابل لغطفان ومنه أي محاولة التفاف عبر اطراف الحرة
القطاع الأوسط: الثغرة الرئيسية ، واشرف عليها النبي صلي الله عليه وسلم بنفسه ووضع فيها خيرة المقاتلين .
القطاع الأيمن: الجانب الغربي بقيادة (عبد الله بن ام مكتوب) وقيل غيره في بعض الروايات.
التموضع الدفاعي للمسلمين:
جبل سلع : الجبل الصغير خلف الخندق مباشرة كان يحمي ظهر المسلمين ويمنع أي هجوم من الجنوب وعليه نصبت مواقع المراقبة
الخندق نفسه: كان المسلمون يتوزعون علي امتداده في نقاط مراقبة ورماية يتناوبون الحراسة ليلا ونهارا.
الآطام خلف الجبهة: اودع فيها النساء والأطفال في اطام بني حارثة وبني النجار وهي أبراج محصنة خلف خط القتال.
٦) المعادلة الاستراتيجية عند الالتقاء:
وصل أبو سفيان بعشرة آلاف مقاتل ظانا انه سيغير علي المدينة مباشرة من منطقة الثغرة المعروفة ، او سيلاقي جيش المسلمون خارج المدينة كما حدث في احد ، ولما وصل صعق بمنظر الخندق ولم يكن العرف قد رأوا مثل هذه التكتيكات من قبل ،وقال (هذه مكيدة لم تكن العرب تكيدها) .

الوضع المعجز امامهم كالتالي:
الخندق يمنع الخيل من العبور تماما ويمنع أي فرصة لهجوم كاسح او كر وفر كما تعودت العرب وبالتالي فقد تم تحييد سلاح الفرسان وهو اقوي سلاح عند العرب.
التراب المرفوع كساتر علي جانب الخندق الداخلي يمنع رؤية الرماة المتمركزين خلفه وبالتالي لا يمكن الاحتياط عند الاقتراب من الخندق.
جيش الأحزاب كبير ولم يكن علي استعداد لتكتيكات الحصار الطويل والتي أصبحت فرضا الان والحصار الطويل يحتاج الي مؤن وامدادات طائلة لابد من تامينها من الماء والعلف يوميا وهو ما لم يكونوا مستعدين له علي الاطلاق. ولذلك فان طول الوقت الانتظار ليس في صالحهم ابدا. خصوصا ان الشتاء كان يقترب فقد بدأ الحصار في شوال وبرد نجد قارس ليلا.
٧) أصيب الأحزاب بمفاجأة الخندق وساد جمود تكتيكي في المعركة وفسدت جميع الخطط التي كانت موضوعة للغزو، الان لا يعرف أبو سفيان كيف يتصرف وقد تبدل الوضع تماما، لم يبدأ القتال الفعلي وقد وقفت جيوش الأحزاب لا تتقدم ولا تتاخر، وما زاد الامر سوءا هو دخول الشتاء القارس والبرد الشديد وبدء نفاذ الطعام لكثرة عدد الجيش .
وخلال هذا الجمود وعدم القتال طلب المنافقون من الذين كانوا وسط المرابطين حول الخندق الانصراف بحجة ان بيوتهم عورة –أي عارية تحتاج لحماية – وهو امر سخيف حيث قد تمت دراسة وضع المدينة وكيفية تأمينها من كل الجوانب بالفعل وكما رأينا ان طبيعة المدينة تجعلها محصنة من الخلف ولا يوجد سبيل للدخول الا من خلال الثغرة التي تم سدها بالخندق ويسجل القرآن هذا التخاذل ويفضحهم بقوله تعالي : وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ويستأذن فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا – الأحزاب ١٣
٨) محاولة الاختراق الكبرى:
اتسم العرب عموما بالشجاعة والاقدام والجرأة ، ولذلك لم يكن الخندق ليمنع بعض الفرسان من التمرد علي الجمود الذي أصاب الجيش فتقدم خمسة من الفرسان ليلا في خلسة من الحراسة واقتحموا الخندق وهم:
(عمرو بن عبد ود العامري): فارس العرب قاطبة وتعده العرب بالف فارس من قريش ، وكان يومها في الثمانين من عمره ولم تذهب هيبته .
ضرار بن الخطاب
عكرمة بن ابي جهل : من اقوي الفرسان وابن عمرو بن هشام
هبيرة بن ابي وهب
نوفل بن عبد الله

فقد وجدوا موضعا ضيقا في الخندق فاقتحموه بخيلهم وتوغلوا الي ارض (السبحة) وهي ارض ملحة بين الخندق والمدينة .

عندما دخلوا وصلوا الي حيث تجمع المسلمين والنبي فقال عمرو بن عبد ود بصوته الجهوري: من يبارز؟ فقام (علي بن ابي طالب) فقال : انا له يا نبي الله، ولم يقم احد ، ثم كرر (عمرو) النداء وقال : أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم يدخلها افلا تبرزون لي رجلا ، فقام علي مرة اخري واذن له الرسول صلي الله عليه وسلم والبسه درعا واعطاه سيفه وعمامته ودعا له ، فلم يكن أحدا يبارز عمرو بن عبد ود الا ارداه قتيلا ، وكان المسلمون يعتقدون انها نهاية علي بن ابي طالب. ودارت بينهما مبارزة كلامية ثم بدأوا القتال فكان المسلمون لا يرون الا عفرة وغبار من بعيد فخرج منها علي بن ابي طالب منتصرا وقد وضعت علي يده نهاية اسطورة العرب ، فلما رأي باقي الفرسان المشركين ان عمرو قد قتل فروا وعادوا الي جيش الأحزاب ، وقتل اثناء الهروب (نوفل بن عبد الله)

محاولات الهجوم الجماعية:

بدأت قريش بعد نفاذ الصبر بمحاولات عديدة للهجوم الشامل علي الخندق واشتد القتال الدفاعي من المسلمين بالنبال وبالحراب محاولين صد العشرات الذين يحاولون القفز او النزول الي الخندق ولم يكن الامر يسيرا امام الاعداد الهائلة للمشركين وقد كانوا هم الاخرين يرشقونهم بالنبال من جانبهم ، وكان النبي يدعو ويكثر الدعاء وهو ما يكشف مدي شدة الامر عليه وعلي المسلمين . وخلال هذه الهجمات أصيب (سعد بن معاذ) ومات بعد أيام

٩) خيانة بنو قريضة :

أولا: بنود المعاهدة :

كانت المعاهدة بينهم تنص علي الدفاع المشترك عن المدينة اذا جاءها غزو خارجي ، وهو بالضبط ما يحدث الان، وكان دورهم في حرب الأحزاب ان يدافعوا عن المؤخرة – حيث بيوتهم – ويصلوا المسلمين في الجبهة بادادات الطعام والشراب والمؤن وكل شيء بشكل متواصل طوال الحرب حتي يستطيعوا الصمود علي الخندق ،

ثانيا: لقاء الحيي بن الاخطب: قد جاء الي حصن بنو قريظة وطلب الدخول فرفض زعيمهم (كعب بن اسد) قائلا : ويحك يا حيي انك امرؤ مشئوم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدق ،

فاصر الحيي علي الدخول وفي النهاية اذن له ، واخذ يلح علي سادة بني قريظة ويمنيهم بان الأحزاب لن يبرحوا مكانهم حتي يستأصلوا شأفة محمد والمسلمين وتعود المدينة لليهود كما كانت في السابق وفي النهاية طمأنهم بقوله :

ان عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا شيئا دخلت معك في حصنك فيكون ما اصابني اصابك. والقصد ان بنو قريظة خافوا لو انهم خانوا المسلمين ثم رجعت قريش بدون نصر ، ان يستفرد بهم المسلمين ويعاقبوهم.

ثالثا: الاتفاق: اتفق اليهود علي ان يقطعوا المدد الي المسلمين أولا ، وثانيا يسمحوا للمشركين من العبور والتسلل من الخلف حيث الطرق الضيقة بين الحرات .

رابعا: الاستخبارات : ان صفية بنت عبد المطلب(عمة النبي) احست بتحركات مريبة قرب حصن بنو قريظة فابلغت النبي وقد كان ينتظر مثل هذه الخيانة ويتوقعها ، فارسل أربعة من كبار الصحابة للتحقق وهم : سعد بن معاذ (زعيم الاوس وحليف بنو قريظة) وسعد بن عبادة (زعيم الخزرج – غالبا قبل اصابته) و عبد الله بن رواحة و خوات بن جبير ، واوصاهم ان يكون الامر سرا خاصة اذا وجدوا انهم بالفعل خانوا المسلمين حتي لا يؤثر الخبر علي الروح المعنوية للجيش المرابط علي الحدود ،

ولما وصل المبعوثين الي بني قريظة وعندما سالوا (كعب بن اسد) عن عهده مع النبي محمد قال لهم (من محمد؟ لا عهد بيننا وبينه) ، ولما رجعوا الي النبي اخبروه بالإشارة ففهم وكانت خيانة بنو قريظة اكبر من خيانات اليهود قبلهم فهذه خيانة وقت الحرب.

خامسا: صدمة المسلمين: كان المسلمون بدأوا يفهمون ما حدث لان الامدادات انقطعت بالفعل ومع الوقت ظهر كل شيء فقد وقع ما كان الجميع يخشاه وخانهم اليهود كعادتهم وكانها طبيعة مترسخة فيهم عند خلقهم، واصبح المسلمين محاصرين بالفعل من الامام والخلف فاليهود (بنو قريظة) داخل المدينة وخطرهم اشد من خطر الاحزاب والخوف الأكبر علي النساء في الاطام وهو ما وصفه القرآن بقوله (وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) وهو تصوير لحالة الخوف والفزع التي دبت في قلوب المسلمين ،

سادسا: التدابير الأمنية: ارسل النبي كتيبة لحراسة الجهة الجنوبية والنساء في الآطام وارسل (سلمة بن اسلم) في مئتي رجل و (زيد بن حارثة) في ثلاثمائة لتامين طرق المدينة الداخلية وشددت الحراسة الليلية تحسبا لأي اختراق من ناحية الخلف او من اليهود انفسهم.

١٠) عبقرية الرسول صلي الله عليه وسلم وحسم المعركة:

أولا: اتفاق اليهود وقريش:

ارسل أبو سفيان الي بنو قريظة للتنسيق علي الهجوم فقال لهم : اهجموا علي المسلمين من جانبكم يوم السبت حتي ننقض عليهم من الامام ، فرفض اليهود متحججين بانه يوم السبت ومحرم عليهم القتال فيه والحقيقة انهم كانوا – مثل باقي اليهود – يخشون القتال مع المسلمين وكانوا يفضلون الخيانة فقط بالتقاعس عن الامداد بالمؤن وليس القتال الفعلي.

ادرك أبو سفيان انه لن يحصل تنسيق بينه وبين اليهود وان الاعتماد عليهم غير مجدي وبدأ يفكر في اسقاط ورقتهم من الحسبان.

ثانيا: تحول مفاجئ:

اسلم (نعيم بن مسعود الاشجعي) سرا وهو في صفوف الأحزاب وكتم اسلامه ، ثم تسلل الي جانب المسلمين وقابل النبي وعرض عليه خدمته ، وهنا جاءت الخطة العبقرية التي قلبت الحرب تماما . ونعيم من قبيلة اشجع التابعة لغطفان وكان صديقا مقربا لبني قريظة يتردد عليهم ، وفي نفس الوقت كان معروفا لدي قريش وغطفان نسبا وشأنا .

ثالثا: الخطة:

ذهب (نعيم) أولا الي بني قريظة وذكرهم بشأنه فيهم وانه مصدق عندهم ، ثم اخبرهم بانه يخشي ان قريشا قد عزمت علي النهوض والرجوع الي مكة لان الحرب لا يبدو انها ستحسم قريبا، ثم أشار عليهم الا يقاتلوا مع الأحزاب الا ان يأخذوا منهم رهائن من اشرافهم يبقون في حصنهم حتي يضمنوا ان الأحزاب لن ترجع وتتركهم لينفرد بهم محمد ومن معه ، فاقتنع اليهود وقد كانوا بالفعل يشكون في ان قريش سترجع .

ثم ذهب ثانيا الي قريش وقابل (أبو سفيان) وعرفه بقدره في غطفان ، ثم اخبره انه بحكم صداقته مع بنو قريظة علم انهم نادمون علي خيانتهم للنبي وانهم يفكرون في اخذ عشرة من اشراف قريش بحجة الضمانة للتحالف بينهم وللقتال معهم الا انهم يريدون ان يقدموا هؤلاء العشرة الي محمد كبادرة علي الندم ودليل علي التحالف معه.

ثم ذهب الي غطفان وقابل زعيمهم (عيينة ب حصن) وكرر له نفس الرسالة التي اخبر بها ابوسفيان .

رابعا: النتيجة:

طلب أبو سفيان من بنو قريظة المشاركة في الهجوم النهائي والشامل بحكم الاتفاق بينهم والحقيقة انه كان يريد ان يختبرهم ليتحقق مما قاله له (نعيم) فرد عليه اليهود بما توقعه تماما ، انهم سيقاتلون معهم بشرط ام يعطوهم عشرة من اشرافهم ليبقوا معهم بحصنهم حتي نهاية الحرب ، وهنا ادرك أبو سفيان بغدر اليهود وانهار الحلف تماما .

والنتيجة ان أبو سفيان قرر في داخله ان الحرب لن تعد ممكنة وانهم لابد ان ينهضوا ويرجعوا، اما اليهود فتأكدوا ان قريش ستتركهم وحدهم فريسة للمسلمين والحقيقة انهم لن يقاتلوا المسلمين وحدهم ابدا . وبهذا امن المسلمون ان التحالف لن يكون خطرا عليهم بعد الان.

خامسا: الضربة الأخيرة :

جاء وقت التدخل الإلهي لأنهاء الازمة ، فقد حدث ما كان أبو سفيان ينتظره ويخشاه فقد هبت ريحا شديدة البرودة اطفأت نيرانهم واكفأت قدورهم وقطعت اوتاد الخيام وهو قوله تعالي: يأيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله اذ جاءتكم جنودا فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها – الأحزاب) ، وهو ما رواه الصحابي (حذيفة بن اليمان) الذي ارسله النبي سرا ليعرف اخبار جيش الأحزاب ، وكان الوضع صعب جدا بالنسبة لهم فلا يقيمون خيمة الا تنخلع لتوها ولا يقدرون علي اشعال نار للدفيء ولا للطبخ وكان البرد شديد والرياح تطير كل شيء وهنا علموا

انه لا يمكن المكوث اكثر من ذلك فامر أبو سفيان بالجلاء . وانسحب الأحزاب ليلا بلا قتال بعد حصار دام ٢٤ يوما بلا فائدة.

١١) نتائج المعركة:

أولا: شهداء المسلمين: ستة بحسب اقوي الروايات (ابن اسحق) وهم:

سعد بن معاذ: مات بعد المعركة من جرح سهم.

انس بن اوس الاشهلي

عبد الله بن سهل الاشهلي

الطفيل بن النعمان الخزرجي

ثعلبة بن غنمة الانصاري

كعب بن زيد النجاري

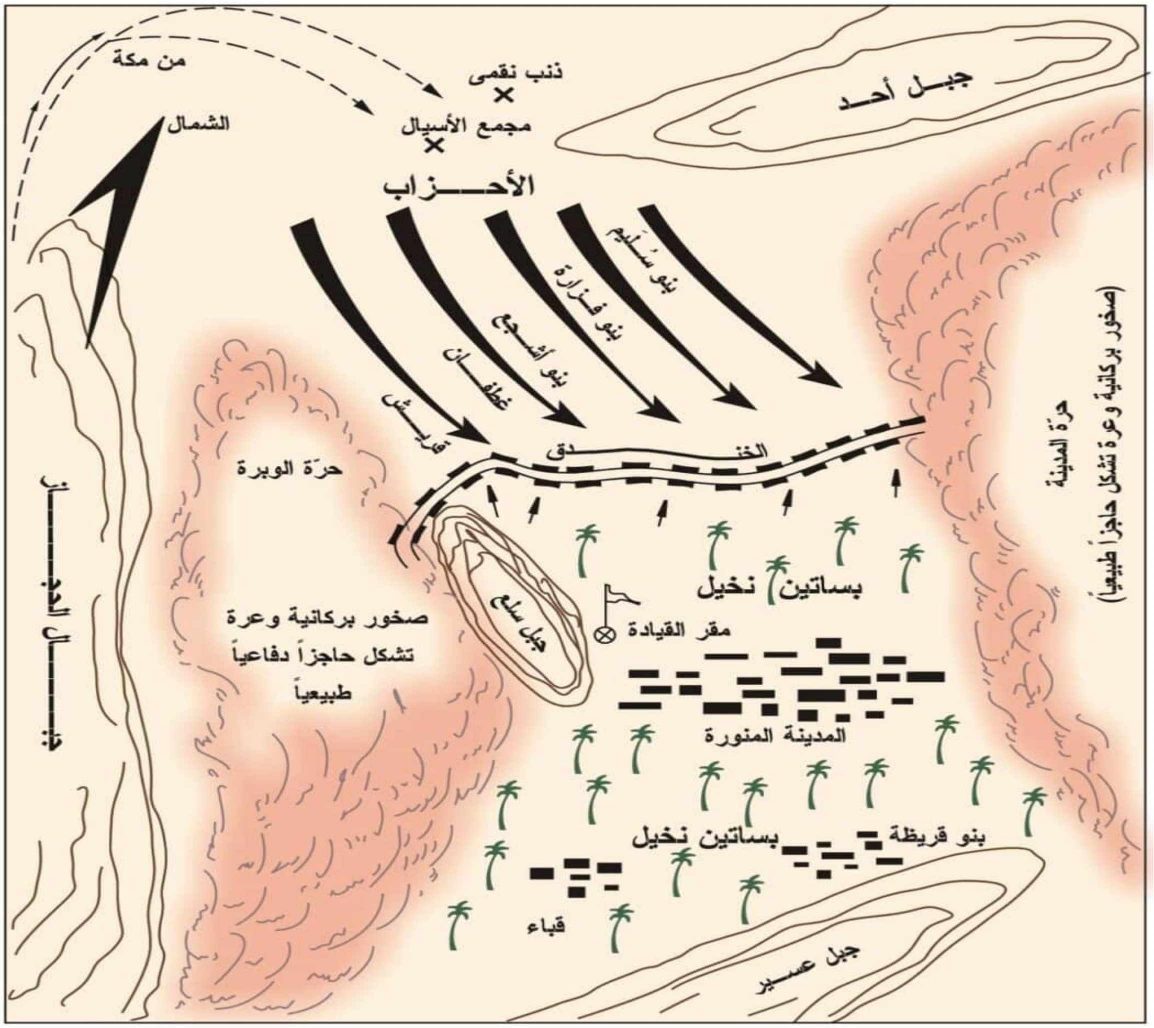
ثانيا: قتلي المشركين: ثلاثة الي خمسة اشهرهم:

عمرو بن عبد ود العامري : قتله علي بن ابي طالب

نوفل بن عبد الله المخزومي

منبه بن عثمان الليثي

ثالثا: استمر الحصار ٢٤ يوما علي الأرجح من الاقوال .



رسم يوضح بالضبط محيط المدينة والحماية الطبيعية لها ومكان الثغرة والخندق وموقع بنو قريضة خلف الجبهة

□غزوة بني قريضة

بعد ما ظهر من خيانة بنو قريظة خلال وقت الحرب وهو ما لا يمكن ان يمر بسهولة في أي نظام سياسي لو عسكري عبر التاريخ، فهذه الخيانة كانت لتؤدي الي خسارة جيش بأكمله ، ومن ناحية اخري لم يعد بإمكان المسلمين ان يثقوا في جوار اليهود بعد هذا اليوم وقد ظهر انهم لا عهد لهم ، حتي وان لم يشتركوا في القال ضد المسلمين ، وبدا للنبي ان جلاء بنو قريظة اصبح امرا لا جدال فيه وان الانتظار غير مفيد لهم ، وبالتالي فان الجيش المرابط علي حدود المدينة ، بعد ان تم جلاء الأحزاب تماما ، وفي صبيحة هذا الجلاء سيتم التحرك مباشرة الي بنو قريظة ..

١)وقعت الغزوة في اخر ذي القعدة وأول ذي الحجة من السنة الخامسة هجرية ٦٢

وقد جاء النبي الامر من الله بالتحرك مباشرة الي بنو قريظة وعدم الانتظار ، وثبت ان النبي قال : لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة – البخاري ومسلم

٢) بدأ الزحف الي حصون بني قريظة واعطيت الراية (لعلي بن ابي طالب) ولما اقترب بطليعة الجيش من حصونهم سمع سبا وكلاما غليظا في حق النبي والغريب ان ذلك السب والشتم كان جل ما فعلوه اذ لم يقاتلوا ابدا مثلهم مثل إخوانهم من قبل.

بلغ جيش المسلمين ٣٠٠٠ مقاتل هم نفسهم جيش الخندق وربما كان هناك تعزيزات ، واستمر حصارهم لحصون اليهود في لرجح الروايات ٢٥ ليلة – ابن اسحق.

٣) الجغرافيا:

حصون بني قريظة في منطقة الشعب جنوب شرق المدينة نحة ثلاثة اميال منها في منطقة تعرف (بوادي مهزور) .

٤) تحصن بنو قريظة في حصونهم المنيعة ورفضوا الخروج وجري تبادل للنبال والشتائم في الأيام الاولي .

وبعد أيام طلبوا ان يرسل النبي اليهم (أبو لبابة) وكان حليفا للاوس وله مودة عند بنو قريظة ليستشيروه في امرهم ، ولما وصل اليهم سالوه : اتري ان نتزل علي حكم محمد ؟ فاشار بيده الي حلقه – أي الذبح، ثم ندم في نفسه علي انه صرح لهم بذلك وربط نفسه في سارية المسجد واقسم الا يحله الا النبي ونزل يع قوله تعالي (واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسي الله ان يتوب عليهم – التوبة).

ودار نقاش بين بنو قريظة حول خيار الفرار ليلا نحو خيبر او الانضام لليهود في مناطق اخري – الهرب – لكنهم اختلفوا ولم يتفقوا علي شيء .

وعرض عليهم (كعب بن اسد) زعيمهم ان يتنصروا ليلحقوا بالروم فرفضوا.

٥) الاستسلام:

بعد خمسة وعشرين يوما من الحصار الشديد والرعب واليأس في أي حل ، قرر اليهود الاستسلام ، وطلبوا وساطة ابي لبابة ولما تعذر احضاره طلبوا النزول علي حكم (سعد بن معاذ) حليفهم القديم وزعيم الاوس، والمهم انهم لم يطلبوا النزول علي حكم النبي نفسه ابدا.

التحكيم:

طلب اليهود صراحة ان يكون سعد بن معاذ هو الحكم لأنهم ظنوا انه سيتساهل معهم كونه حليف قديم كما فعل مع بنو قينقاع من قبل ووافق النبي علي ذلك ، وجيء بسعد وكان محمولا لأنه لا يزال يعاني من جراح سهم الخندق ومن حوله رجال الاوس يقولون : يا أبا عمرو احسن الي مواليك ، وقال لهم غاضبا: لقد ان لسعد الا تأخذه في الله لومة لائم.

الحكم:

لما وصل قال : اتقرون بحكمي فيهم؟ قال النبي نعم، فقال سعد: وعلي من هاهنا –يقصد النبي نفسه ، قال النبي نعم فحكم سعد بالاتي:
قال سعد بن معاذ: احكم ان تقتل مقاتلهم وتسبي ذراريهم واموالهم.
فقال النبي: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات – البخاري ومسلم.
٦) تنفيذ الحكم:
الأرجح تاريخيا ان عدد المقاتلين من اليهود المنفذ فيهم الحكم بالقتل كانوا ٦٠٠ – ٧٠٠ وقد حفرت خنادق في سور المدينة ونفذ فيهم القتل علي دفعات .
وقد تم اعفاء النساء والأطفال من القتل وتم اسرهم وهذا موضع اجماع الروايات.
وقد استثنيت امرأه واحدة من بني قريضة قتلت لأنها القت رحي علي (خلاد بن سويد) فقتلته اثناء الحصار .
وقد اسلم عدد من اليهود ونجوا من القتل وهم ثلاثة .وابرز الذين قتلوا من بني قريظة:
كعب بن اسد : زعيمهم وناقض العهد
حيي بن اخطب النضيري: رأس الفتنة ومحرض الأحزاب واليهود وقد دخل حصنهم لضمان خيانتهم.
ومن ابرز من كان في الاسري : ريحانة بنت زيد بن عمرو (بنت شمعون) وصارت في ملك النبي وقد اختلف في كونه تزوجها ام لا.
تم تخميس الغنائم وفق الشرع ووزعت علي المسلمين.
وبعد هذه الأحداث مباشره توفي (سعد بن معاذ) وقد استجيبت دعوته يوم أصيب اذ قال : اللهم لا تمتني حتي تقر عيني من بني قريظة) .
٧) تقييم الحكم بالقتل وفقا للتاريخ:
صدر الحكم بإعدامهم وفقا لقانون الحرب وليس وفقا للدين الإسلامي وهذا القانون موجود في شريعة اليهود انفسهم في سفر التثنية (١٤-١٠:٢٠) الذي ينص علي نفس الحكم في حق المحاربين من مدن العدو وكان النبي طبق عليهم شريعتهم ،
ومن ناحية اخري يعد هذا الحكم من ثوابت التاريخية في القانون الدولي القديم والحديث كجزاء للخيانة العسكرية في وقت الحرب وكان يطبق بأعنف من ذلك في دول العالم القديم.
والحقيقة ان ذلك كان لازما لتحقيق الردع ولمنع تجرؤ الناس علي دولة الإسلام ولأنهم كانوا سيتسببون بخيانتهم في قتل مقاتلي المسلمين لو تمت خطتهم ، وبالتالي سبي نساءهم واولادهم واموالهم فكأنما النبي طبق عليهم ما كان ليحدث لو نجحت خيانتهم .

□العام السادس الهجري – ٦٢٩ م

غزوة بني لحيان

لقد علمنا ما حدث في العام الماضي من خيانة شديدة من بنو لحيان (هزيل) والتي سميت (بحادثة الرجيع) والتي قتل فيها عشرة من الصحابة في السنة الرابعة للهجرة ،
وقد جاء الوقت للانتقام لما فعلوه بعد ان امن المسلمون المدينة من الداخل والخارج .
١)خرج النبي في ٢٠٠ رجل وقد سار في طريق حيث يوهم قريش انه متجه للشام ثم انعطف نحو (الغرابة) حيث دار بني لحيان والهدف هو ان يضمن عدم استعدادهم او اعانة قريش لهم بمدد.
افلت بنو لحيان الي رؤوس الجبال قبل وصول الجيش ولم يقع قتال فعاد النبي دون مواجمة ، ولكن هذا الزحف حقق غايته من الردع واثبات ان الجيش الإسلامي بامكانه الوصول الي مناطق بعيدة في أي وقت .

غزوة ذي قرد (الغابة)

وقعت في ربيع الأول بسبب ان (عيينة بن حصن الفزاري) اغار بأربعين فارسا علي لقاح النبي (ابله في المرعي بالغابة علي بعد ساعة من المدينة) وقتلوا راعيها (ابن ابي ذر) واسروا زوجته.
ابصر (سلمة بن الاكوع) القوم بالصدفة وهم يغيرون ، فصاح مستغيثا بالمسلمين ثم لم ينتظر وصولهم وتبعهم وحده وجعل يرميهم بالنبال ويضطرهم للتوقف وكان يقول : انا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

وقد استرجع بمفرده جزءا من الابل التي سرقوها قبل وصول جيش المسلمين وقد أعطاه النبي سهم الفارس والراجل معا،

ووصل جيش المسلمين واستعادوا جميع الابل وقتلوا عدد من المغيرين ولم يقتل من المسلمين سوي رجل واحد (محرز بن نضلة) ولكن (عيينة) افلت من القتل.

□غزوة الحديبية

١)سميت بالغزوة لان النبي خرج بنفسه مع المسلمين وان لم يكن الخروج بغرض القتال ، و قد روي ان النبي رأي في المنام انه يدخل مكة مع أصحابه امنين محلقين رؤوسهم مقصرين فاخبر أصحابه وعزم علي أداء العمرة والأرجح انها كانت اول عمرة تؤدي في الإسلام .

اذا كان الهدف هو العمرة الي البيت الحراب مثلهم مثل باقي العرب التي تعتمر في الأشهر الحرم طوال العام .

٢) خرج النبي في ١٤٠٠ رجل وهذا العدد ثابت في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب وجابر بن عبد الله، وقد احرموا بملابس الاحرام بلا سلاح الا السيف في القراب (سلاح المسافر المعتاد) وساقوا معهم ٧٠ بدنة (الهدي) موضوع علي اعناقها علامة الهدي ، وكانت راية المسلمين بيضاء دليل علي التحرك السلمي.

حدث ذلك في ذو القعدة وهو من الأشهر الحرم مما يعني ان قريشا ستكون في موقف حرج اذا منعتهم من دخول مكة .

٤) علمت قريش بخروج النبي فارسلت ١٠٠ فارس بقيادة (خالد بن الوليد) و (عكرمة بن ابي جهل) ليعترضوا الطريق عند (كراع الغميم) ، فاخبر النبي بتمركز قريش فسأل الدليل وهو (حريث بن سلمة) فاخذ طريقا وعرا جبليا التفافيا عبر (ثنية المرار) نزولا الي منطقة الحديبية.

وحين اقترب الجيش من مشارف مكة بركت ناقة النبي (القصواء) ولم تقم ، ثم زجرها النبي فقامت واتجهت يسارا فنزلوا الي بئر الحديبية بطرف الحرم وهذا يعني ان نزولهم في هذا الموضع كان بامر الهي متمثلا في الناقة التي قال عنها النبي قبل ذلك (انها مأمورة) .

وبئر الحديبية كانت قليلة الماء وشرب منها الناس حتي نزفوها وشكي الصحابة للنبي فاخرج سهما من كنانته وامر بوضعه في البئر فنبعت الماء كمعجزة متكررة لدي الرسل .

٥) المفاوضات:

أولا: رسل قريش الي النبي :

أرسلت قريش أربعة مبعوثين الي النبي وهم:
بديل بن ورقاء الخزاعي: من خزاعة وحليف النبي جاء يستطلع واخبره النبي انهم جاؤوا زوارا لا محاربين فعاد الي قريش واخبرهم ولم يصدقوه.
مكرز بن حفص: من قريش ، جاء ورأي الهدي المقلد فادرك انهم جاءوا بالفعل لزيارة البيت ثم عاد وقال لقريش : رأيت الهدي المقلد فلا اري ان تصدوهم عن البيت ، ولكن لم يسمعوا له.
الحليس بن علقمة: رئيس الاحابيش (حلفاء قريش من القبائل) وهو رجل ذو شان ديني ، حين رأي الهدي المقلد صعق وقال ما علي هؤلاء ان يصدوا عن البيت والله لانصرفن ، ورجع غاضبا وقال لقريش : ما علي هذا حالفناكم اتصدون من جاء معظما لحرمات الله ، وهدد بانسحاب الاحابيش لو ان قريش منعتهم.
عروة بن مسعود الثقفي: من اذكي مبعوثي قريش واكثرهم خبرة ، وقد جلس مع النبي وراقب الصحابة بعين المحل السياسي ، فلاحظ انه كلما توضأ النبي تسابق الصحابة علي ماء وضوؤه وانه ما سقط من شعره الا تلقفوه ، وانهم لا يرفعون ابصارهم اليه اجلالا ، فعاد عروة الي قريش وقال لهم: أي قوم والله عرفت لقد وفدت علي الملوك وفدت علي قيصر وكسري والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه قومه ما يعظم أصحاب محمد محمدا. ثم عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ولكن قريش عاندت ولم تقبل دخولهم مكة.
ثانيا: رسل النبي الي قريش:
خراش بن امية الخزاعي: ارسله النبي فعقرت قريش بعيره (ذبحته) وكادت ان تقتله وانقذه الاحابيش.
عثمان بن عفان: ارسل النبي عثمان وكان له حماية من ابي سفيان بن حرب وكان صهرا لقريش ، ودخل عثمان بن عفان مكة ودعا قريش للسماح للنبي واصحابه بأداء العمرة ، فعرضت قريش عليه ان يطوف وحده فرفض .
بيعة الرضوان : تأخر عثمان واحتجز بمكة فشاعت في المسلمين شائعة قتله وحين بلغ النبي الخبر قال : لا نبرح حتي نناجز القوم،
ودعا أصحابه الي البيعة تحت الشجرة (سمرة) فبأيعوه جميعا علي الموت وعدم الفرار وسميت (ببيعة الرضوان)، فوضع النبي يده اليمني عن عثمان
وقد ثبت انه قد بايع ١٤٠٠ رجل ولم يبايع رجل واحد فقد هو (الجد بن قيس المنافق) فقد اختبأ تحت ابله ونزل قوله تعالي : لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة – الفتح).
ثالثا: المفاوض الأخير:
سهيل بن عمرو ، اخر من ارسلته قريش الي النبي وهو خطيب قريش وابرز ساستها حين راه النبي مقبلا قال : لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا لرجل.
بعد مفاوضات طويلة مع النبي اتفقوا علي بنود وثيقة المعاهدة .
٧) صلح الحديبية:

أولا: الوثيقة: امر النبي (علي ابن ابي طالب) بالكتابة فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل : لا نعرف الرحمن الرحيم اكتب بسمك اللهم ، فامر النبي عليا ان يمسح ما كتبه ويكتب كما قال.
ثم قال النبي اكتب: هذا ما قضي علبه محمد رسول الله ، فكتب علي، ثم اعترض سهيل مرة اخري قائلا: لو شهدنا انك رسول الله لم نمنعك ، اكتب اسمك واسم ابيك، فقال النبي لعلي : امحها فقال علي : والله لا امحوها ، ثم اصر علي ذلك حتي سأله النبي عن الكلمة – النبي لا يعرف القراءة والكتابة – فأشار عليها فمحاها النبي بيده، وكتبوا مكانها محمد بن عبد الله ، ولما اعترض علي قال له النبي انه سيقوم مقاما مثله وقد حدث وتحققت نبوءة النبي بعد عقود اثناء التحكيم بعد معركة صفين .
ثانيا: بنود المعاهدة:
-هدنة لمدة ١٠ سنوات بين قريش والمسلمين لا يقاتلون ابدا
-يرجع المسلمون هذا العام دون دخول مكة علي ان يعودوا العام القادم للعمرة ثلاثة أيام بسلاح السفر فقط.
-من جاء من قريش الي المسلمين مسلما يردوه الي قريش ، ومن جاء من المسلمين (مرتدا) الي قريش لا يردوه .
-ان من أراد الدخول في عهد محمد وعقده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه ، فوثبت خزاعة فقالوا نحن مع عهد النبي وعقده ، ودخل (بنو بكر) في عهد قريش
ثالثا: بعد كتابة المعاهدة وقبل ان يجف الحبر جاء (أبو جندل بن سهيل بن عمرو) – أي ابن المفاوض نفسه – يريد الإسلام والذهاب مع المسلمين ولم يعرف ببنود الاتفاق ، فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي، فرده النبي اليه وقال له : يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك فرجا ومخرجا.وقد اثرت هذه الواقعة في نفوس المسلمين اذ كان أبا جندب قد ظهرت اثار التعذيب عليه وهو يصرخ ويستغيث بهم ولا يقدرون علي فعل شيء، وكان (عمر بن الخطاب) بالتحدبد في حالة من الغضب الشديد وقال للنبي: لماذا تعطي الدنية في ديننا، فقال له النبي : اني رسول الله ولن يضيعني، ثم ذهب الي ابي بكر وقال له نفس الكلام ، فقال أبو بكر: الزم غرزه – أي اتبعه – فاني اشهد انه رسول الله .
وقد هدأ الناس نسبيا عندما فهموا ان ما حدث كان بامر الهي وانها خطة الله ، وخاصة بعد نزول قوله تعالي (انا فتحنا لك فتحا مبينا) وهو نبوءة مستقبلية تبشر بالخير وتفاءل بها المسلمون . وامرهم النبي بذبح الهدي وحلق رؤوسهم ثم عادوا الي المدينة وقد استغرقت رحلتهم نحو شهر ونصف.
٨)كان صلح الحديبية الذي بدأ مجحفا مزعنا للمسلمين في بدأيته هو نفسه سبب فتح مكة فيما بعد وكان نقمة علي قريش التي ظنت انها بهه المعاهدة قد انتصرت سياسيا علي المسلمين . فبينما كان بند ارجاع المسلمين الي قريش ظاهريا مانعا للإسلام وحادا من زيادة اعداد المسلمين وقوهتم الا ان الإسلام قد زادت وتيرته وزادت اعداد المسلمين بعد المعاهدة وان حبسوهم او منعوهم من اللحاق بمسلمي المدينة –كما سنري- وقد أصبحت اعداد المشركين هي التي تتناقص واصبح اعداد مسلمي مكة اكثر مما يتخيلوا .وقد ظهر ذلك واضحا اذا عرفنا ان

الرسول صلي الله عليه وسلم الذي خرج في الحديبية بألف وأربعمائة قد عاد بعد سنتين من الصلح الي مكة عتم الفتح بعشرة آلاف مسلم.
ومن ناحية اخري فان الهدنة كانت افيد للمسلمين كثيرا من قريش حيث استطاعوا السيطرة علي محيط المدينة والجزيرة وامنوا غدر القبائل واخضعوها من ناحية ومن ناحية اخري فقد دخلت معظمها في الإسلام طواعية وأصبحت قوة تضاف الي قوة المسلمين الذين أصبحت المدينة اليوم خالصة لهم بعد اجلاء اليهود جميعا فاصبحت المدينة مسلمة بالكامل تقريبا . ومن ناحية اخري فقد فرغ المسلمون من الحروب لمدة عشر سنوات يلتفتون فيها الي الدعوة الي الإسلام خارج الجزيرة العربية –كما سنري – وتدعيم ركائز الدولة الإسلامية دبلوماسيا .كما اصبح تعلم القرآن والالتفات الي ضبط الشريعة والاحكام يسيرا وقد زالت المخاطر والحروب .
وأخيرا فان صلح الحديبية يعد اعترافا سياسيا من قريش بالكيان الإسلامي بعد ان كانوا يعتبرونهم مجرد خارجين عن قريش وصابئة واعداء وقد عرفت الجزيرة العربية الكسان الجديد واعترفت به بعد هذا الصلح .

- ادثة أبو بصير

من المفارقات والطرائف التي كانت نقطة تحول قلبت المعاهدة من سلاح لقريش الي قيد علي اعناقهم هي تلك الحادثة ..
فقد اسلم رجل يدعي (أبو بصير/عتبة بن اسيد العامري) بعد وصول المسلمين الي المدينة وفر من مكة الي المدينة فارسلت قريش رجلين لاسترداده مدججين بالسلاح والفرس ، فلما وصل الي المدينة واستنجد بالنبي منهما فلما وصلا الي المدينة طلبا من النبي تسليمه بموجب المعاهدة فاضطرالنبي الي تسليمه أياهم وسط ضجر وغضب المسلمين ، فاخذاه وخرجا به من المدينة الي مكة، وفي الطريق تمكن (أبو بصير) من قتل احد الرجلين واخذ فرسه وسيفه واخذ هو يطارد الرجل الثاني الذي هرب الي المدينة ودخل الي النبي وطلب منه الإمساك بابو بصير – الذي اصبح الان هو الذي يطارده – وتسليمه له فابي النبي وقد سلمه له من قبل فعلم أبو بصير ان بقاؤه بالمدينة يعني نقض المعاهدة فخرج منها وهرب الي الساحل عند (العيص).
ولما علم مسلمي مكة بهذا الخبر اخذوا يهربون من مكة – ليس صوب المدينة – بل الي حيث أبو بصير وهرب معهم (أبو جندب) وقيل انهم وصلوا الي سبعين رجلا .
اصبح هؤلاء السبعين اليوم خطرا علي قريش حيث اخذوا يغيرون علي قوافلهم ويضربونها ويسرقون ما بها ، حتي أرسلت قريش الي النبي يناشدونه الله والرحم ان يلغي هذ البند من المعاهدة وان من اتاه مسلما من قريش بعد ذلك فهو امن وعليه فارسلا لنبي الي هؤلاء السبعين فانضموا الي المدينة وتوالت هجرات المسلمين من قريش الي المدينة بعد ذلك وكان هذا من المفارقات التي أظهرت حكمة الله تعالي وانقلاب خطة قريش عليهم .

□العام السابع الهجري – ٦٢٩م

□رسائل النبي الي الملوك

كما قلنا ان هذه الهدنة سمحت للمسلمين بالالتفات الي امر الدعوة وتوسيع نطاقها داخل وخارج الجزيرة وقد بعث النبي بالرسائل والرسل الي الملوك العرب والاعاجم حول الجزيرة العربية وفي هذا المبحث سنعرض الرسالات واثرها وفقا للثابت من الروايات والصحاح ، ثم نبحث في مدي موثوقية النسخ المعروضة في المتاحف الإسلامية اليوم من هذه الرسائل .

وارسلت الرسائل بداية من المحرم من السنة السابعة للهجرة ٦٣٠م علي النحو التالي:

الرسالة الاولي: الي قيصر الروم:

١) هو (فلافيوس هيراكليوس اوجوستوس) امبراطور بيزنطة وقد عاد للتو منتصرا من حربه ضد الفرس كما قلنا والتي تنبأ بها القرآن ، وقد حكم الإمبراطورية من ٦١٠م الي ٦٤١م ومن الجدير بالذكر انه هو نفسه الامبراطور الذي شهد الفتوحات الإسلامية لبلاده بعد ذلك.

٢) حمل لرسالة اليه الصحابي (دحية الكلبي) اختاره النبي لحسن صورته ووسامته ومهابته وهو من الصفات التي تفضل في الرسل والمبعوثين في هذا الوقت . ومعرفته ببلاط الروم وبالطبع كان يعرف اللغة المتداولة هناك كونه تاجرا ومسافرا كثير السفر كذلك قد اسلم مبكرا وشهد مشاهد كثيرة مع الرسول صلي الله عليه وسلم .

وقد وصل الي حيث القيصر وكان ذلك في مدينة (أيلياء) بيت المقدس الحالية عند وصول الرسالة بحسب خط السير المذكور في سيرة ابن هشام بناء علي ما ورد بالبخاري.

والحقيقة ان هذا منطقي تاريخيا فقد ثبت انه قد توجه للقدس بعد انتهاء الحرب مع الفرس لاستعادة (الصليب المقدس) المسروق من الفرس في هذا العام تحديدا

٣)نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله الي هرقل عظيم الروم ،سلام علي من اتبع الهدي اما بعد: فاني ادعوك بدعاية الإسلام .اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين (قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم – ال عمران) - المصدر صحيح البخاري.

والاريسيين هم الرعايا والفلاحون أي ان اثمهم سيقع عليه ان حجبهم عن الإسلام ، والقول بان الاريسيين نسبة الي (اريوس) في غير محله أولا لان اريوس قد مات منذ ما يقرب القرن وقد تم انهاء دعوته وملاحقة اتباعه ، ومن ناحية ثانية فان (اريوس) لم يكن يدع الي الوحدانية وبشرية المسيح انما كان الخلاف بينهم حول طبيعة المسيح وارادته وهل ارادته من إرادة الله ام انهما ارادتين ، وكذلك كان هناك خلاف حول فهم مسألة الاقانيم والطبيعة الإلهية.

٤) الرد علي الرسالة:

ننتقل الي واحدة من اصعب المسائل تحقيقا من الناحية التاريخية ، فالحقيقة اننا لا نملك أي مصادر عن رد فعل هرقل علي الرسالة الا من خلال المصادر الإسلامية فلا يوجد أي إشارة الي هذه الوقائع في السجلات الرومانية او غيرها ، خاصة ان دولة الإسلام أصبحت عدو قوي بعد سنوات قليلة من تلك الرسالة ومهما كان رد هرقل إيجابيا فسوف يتلاشي هذا الرد بعد نشوب الحرب ولن يكون هناك فرصة لتسجيل الحادثة بعد ذلك.

وسننقل تفاصيل الواقعة من المصادر الإسلامية فقط مع التزام المنطقية التاريخية ..

بحسب صحيح البخاري فان هرقل استدعي سفيان بن حرب وقد كان بالشام لتجارة قريش وقت وصول الرسالة ،وقد علم ان أبا سفيان زعيم مكة وعلي ذلك كان من المنطقي ان يعرف كل شيء عن الرسول صلي الله عليه وسلم المبعوث عندهم ورسالته ، وهذا منطقي قبل ان يعطي ردا علي رسالة النبي ان يعرف من زعيم المنطقة من هو ذلك النبي.

والحقيقة ان مصدر الحديث الذي دار بينهم هو البخاري بناء علي رواية عبد الله بن عباس عن أبو سفيان نفسه بعد الإسلام ، وخلاصة اللقاء كالتالي:

ساله هرقل أولا عن نسب محمد وهل ادعي قبله من قومه النبوة وهل كان معروفا عنه الكذب وهل اتباعه من الضعفاء ام من الاشراف وهل يرتد منهم احد بعد اتباعه وهل هو يغدر ام يحفظ الأمانة ، واجد الحوار الي هذا الحد منطقي ، ثم قال هرقل لابي سفيان: ان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين..

والحقيقة ان الالتزام بما هو مؤكد ومنطقي تجعلنا نتوقف الي هنا بدون تأويل ولا تخيل بعيد عن ما هو مؤكد وموثق، فلا يمكننا ان نجزم ان قيصر كان قد اقتنع بالإسلام وانه لم يدخله خوفا علي ملكه فهرقل وفقا للتاريخ الموثق ظل علي مسيحيته وظل يؤدي طقوس الكنيسة ويأخذ البركة من رجال الكنيسة قبل الحروب مع المسلمين وكان يقاتل الإسلام بشدة.

وكل ما يمكن قوله انه احسن معاملة الرسول صلي الله عليه وسلم واحترم الرسالة ولم يظهر العداء للإسلام .

الرسالة الثانية: المقوقس حاكم مصر:

المقوقس هو الاسم الذي تطلقه الرب عي حاكم مصر من قبل الروم البيزنطيين وهو Cyrus of Alexandria حاكم مصر وبطريرك الإسكندرية (رئيس الكنيسة الملكانية البيزنطية) حاكم اداري علي مصر يجمع بين السلطة الدينية والسياسية واسمه الحقيقي (كيرس السكندري).

والحقيقة ان مصر في هذا الوقت لم تكن مجرد ولاية كبيرة في الإمبراطورية بل كان العرب يعدونها دولة مستقلة رغم الاحتلال البيزنطي وهذا ما جعل النبي يبعث برسالة مستقلة الي حاكم مصر الي جانب رسالته الي حاكم الإمبراطورية كلها وكذلك لان وضع مصر الديني في هذا الوقت كان متفردا فكانت الكنيسة المصرية دائما علي عدم وفاق مع الدين الامبراطوري العام وكانت هناك شقاقات وخلافات مذهبية بينهم ولذلك علم النبي ان الدين في مصر ليس تابعا تماما للدين في الإمبراطورية.

٢)الرسول صلي الله عليه وسلم هو (حاطب ابن ابي بلتعة) اختير لمعرفته الوثيقة بمصر وأهلها ولغتهم وكان يملك اسلوبا دبلوماسيا في الحوار مع الملوك والاشراف كما انه كان محل ثقة عند النبي في مسائل مماثلة وكان شخصا هادئا ومرنا .

كان مقر المقوقس في الإسكندرية في الحي الملكي وهو منطقة كبيرة في شرق الإسكندرية القديمة كانت تضم قصور الحكم في عهد البطالمة ومراكز الإدارة ومن ضمنها مكتبة الإسكندرية ثم استخدمها البيزنطيين بعد ذلك كما هي وقد غرق جزء كبير منها اليوم والباقي اندمج في منطقة (وسط البلد) اليوم والتي تضم المنطقة المحيطة بمكتبة الإسكندرية والتي بنيت مكان المكتبة القديمة والممتد الي منطقة (المنشية) وجزء كبير من البحر لان كان يابسة وغالبا كان القصر مبني فوقها.

٣) الرسالة :

حسب ابن سعد في الطبقات:
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الي المقوقس عظيم القبط سلام من اتبع الهدي اما بعد فاني ادعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم القبط .
وقد دار حوار بين المقوقس وبين الرسول صلي الله عليه وسلم (حاطب) ولكنه غير مؤكد وقد ورد ان المقوقس ارسل ردا كتابيا الي النبي مفاده : انه اكرم رسوله وبعث اليه بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهدي اليه بغلة .
والمؤكد انه لم يسلم
٤) تحقيق وضع مارية القبطية:
أولا: المصدر هو سيرة ابن اسحق والتي نقل عنها بعد ذلك ، ولكن هذه الرواية ليست من اعلي درجات الصحة الحديثية بل من اخبار السيرة التي يقبلها المؤرخين مع وجود نقش في التفاصيل.
ثانيا: كان تبادل الهدايا بين الحكام معروفا في هذه العصور وقد يشمل الجواري والملابس والأموال ، ولكن السؤال هو لماذا قد يضطر المقوقس الي ارسال هدايا وجواري ذات شأن الي رجل عربي ليس مثبت انه نبي خاصة ان المقوقس رئيس كنيسة ولن يقبل بفكرة النبي المخلص وفقا لعقيدته والتي لا تنطبق علي الرسول صلي الله عليه وسلم ابدا بعد رسائل بولس التي حولت المسيحية تماما ، والحقيقة يمكن ان نقبل حدوث ذلك اذا كانت طبيعة المقوقس تميل الي إقامة علاقات جيدة حول مصر وليس لأنه امن بالرسالة ويبقي امر مارية القبطية غير محسوم تاريخيا والمؤكد فقط انها كانت جارية لدي النبي ولا نعرف كيف الت اليه.
ثالثا: لم يكن النبي يبقي علي جواري او سبايا الا واعتقها او تزوجها وقد ثبت انه تزوج من مارية وسنبحث هذه المسالة في نهاية هذا الفصل .

الرسالة الثالثة: النجاشي ملك الحبشة:
هو لقب ملكي لملوك الحبشة مثل قيصر ، ويستخدم للإشارة الي ملوك اكسوم ، وهو (اصحمة بن ابجر) بالعربية الحاكم في العام ٦٣٠م وهو غالبا نفسه الذي استقبل المسلمين المهاجرين قبل الهجرة ،
٢) الرسول صلي الله عليه وسلم: هو عمرو بن امية الضمري
وقد نصت الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي النجاشي ملك الحبشة اسلم انت فاني احمد الله اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسي ابن مريم وروح الله وكلمته القاها الي مريم البتول ...فاني رسول اتلله ادعوك الي الله وحده لا شريك له والموالاة علي طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني والسلام علي من اتبع الهدي.
٣) رد الرسالة:

أيضا ما علمناه من لمصادر الإسلامية فقط انه اسلم واحسن الرد واسلم معه كثير من البلاط الملكي.

الرسالة الرابعة: كسري مملك الفرس:
اشتهر ان مستلم الرسالة هو كسري ابرويز (خسرو الثاني برويز) ملك الفرس الساساني ولكن ما هو مؤكد انه توفي عام ٦٢٨م وانتهي حكمه بالموت المفاجئ بسبب الطاعون ، وبعد وفاته دخلت الإمبراطورية الساسانية مرحلة فوضي سياسية وتناوب سريع للملوك ، اما متسلم الرسالة فغالبا هو (قيباد الثاني) او من يليه وليس خسرو الثاني .
٢) حمل الرسالة : هو عبد الله بن حذافة السهمي وكان له دراية بالفرس ويتحدث لغتهم وقد ثبت في صحيح البخاري انه أوصل الرسالة الي ملك البحرين الذي اوصلها بدوره الي كسري ولم يسلمها في بلاد الفرس .
نصت الرسالة:
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي كسري عظيم الفرس سلام علي من اتبع الهدي وامن بالله ورسوله ..فاني رسول الله الي الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس.
٣) الرد: ما ثبت في المصادر الإسلامية – صحيح البخاري- ان كسري غضب من الرسالة ومزقها ثم ارسل (بازان) نائبه في اليمن يامره بأرسال من يقبض علي هذا الرجل (محمد) في الحجاز فلما بلغ انبي ذلك قال : مزق الله ملكه – البخاري
الرسالة الخامسة: ملك البحرين:
هو (المنذر بن ساوي العبدي التميمي) حاكم البحرين التابع للفرس الساسان رغم كونه عربيا من بني تميم ، وكانت تشمل الاحساء والقطيف وامتداداتها ،
وكان سكان البحرين عربا ما بين مسيحيين ووثنيين وكان التأثير الفارسي قويا (ذرادشتية ويزدانية) وكان مقر حكمه في منطقة (هجر) والاحساء قبل وبعد الإسلام.
٢) الرسول صلي الله عليه وسلم:
العلاء بن الحضرمي من (حضرموت) باليمن ، أي انه من اهل اليمن وافضل من يرسل اليهم وهو عربي معروف بمكانته وموثوق في البعثات الدبلوماسية .
الرسالة نصت:
بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الي المنذر بن ساوي سلام عليك اما بعد ، فاني اذكرك الله عز وجل ...فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام علي يهودية او مجوسية فعليه الجزية.

٣)الرد:
اسلم المنذر وحسن اسلامه وكتب للنبي قائلا: اما بعد يا رسول الله فاني قرات كتابك علي اهل البحرين فمنهم من احب الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه وفي ارضي يهود ومجوس فاحدث الي امرك.

الرسالة السادسة: ملك الشام:
هو (الحارث بن ابي شمر الغساني) ملك الغساسنة وعميل الروم البيزنطيين في الشام ، والغساسنة قبائل مسيحية عربية كانت تحكم مناطق جنوب الشام وشمال الأردن وكانت تابعة للبيزنطيين لكنها تتمتع بحكم محلي شبه مستقل ، وكانوا علي المذهب النسطوري المسيحي .
٢) الرسول صلي الله عليه وسلم: هو شجاع بن وهب الاسدي من قبيلة اسد وهو من اهل الوجاهة والقيادة . ولا يوجد توثيق دقيق لنص الرسالة .
٣) الرد: رفض الحارث الغساني اعتناق الإسلام بشدة وقال حين قرات عليه الرسالة : من ينزع ملكي مني ؟ انا سائر اليه وعزم علي غزو المدينة ولكن القيصر منعه لأسباب سياسية .ولما بلغ ذلك النبي قال : نزع الله ملكه . وقد زال ملك الغساسنة بالفعل بعد ذلك.

الرسالة السابعة: شرحبيل الغساني
شرحبيل الغساني من حكام جنوب الشام وشمال الاردن
حامل الرسالة هو (الحارث بن عمير الازدي) وهو احد قادة العرب الغساسنة وهم عرب مسيحيون تابعين للإمبراطورية البيزنطية وكانت له مكانة سياسية وعسكرية بين قبائل الشام وكان النبي قد بعث الرسالة اليه كوسيط الي ملك بصري وهي مدينة جنوب الشام كانت عامة المقاطعة الرومانية آنذاك . في منطقة مجاورة لمقاطعة (الحارث بن شمر الغساني) فهو والي (البلقاء) من قبل الروم
وكان (الحارث) متوجها الي ملك بصري برسالته الا ان (شرحبيل) تعرض له عند مروره بارضه واوثقه ثم قدم فضربت عنقه ولم يقتل للنبي رسول الا هو .
وكان هذا الفعل شائنا في قانون القبائل العرب بالخصوص وكان يعد اعلان ضمني للحرب وقد ثبت ان النبي قال حين بلغه ما حدث: هذا امر لا يصبر عنه. وقد كانت هذه الواقعة تحديدا سبب غزوة مؤتة كما سيأتي بيانها.

مدي موثوقية الرسائل المعروضة بالمتاحف اليوم:
الحقيقة انه لم يتم دراسة الرسائل الموجودة اليوم في المتاحف مثل (طوب كابي) بتركيا والتي تعرض نسخا لرسائل النبي الي الملوك ولم يتم تحديد تاريخها بدقة، الا ان موثوقيتها اعتمدت أساسا علي القبول الضمني والشعبي عبر

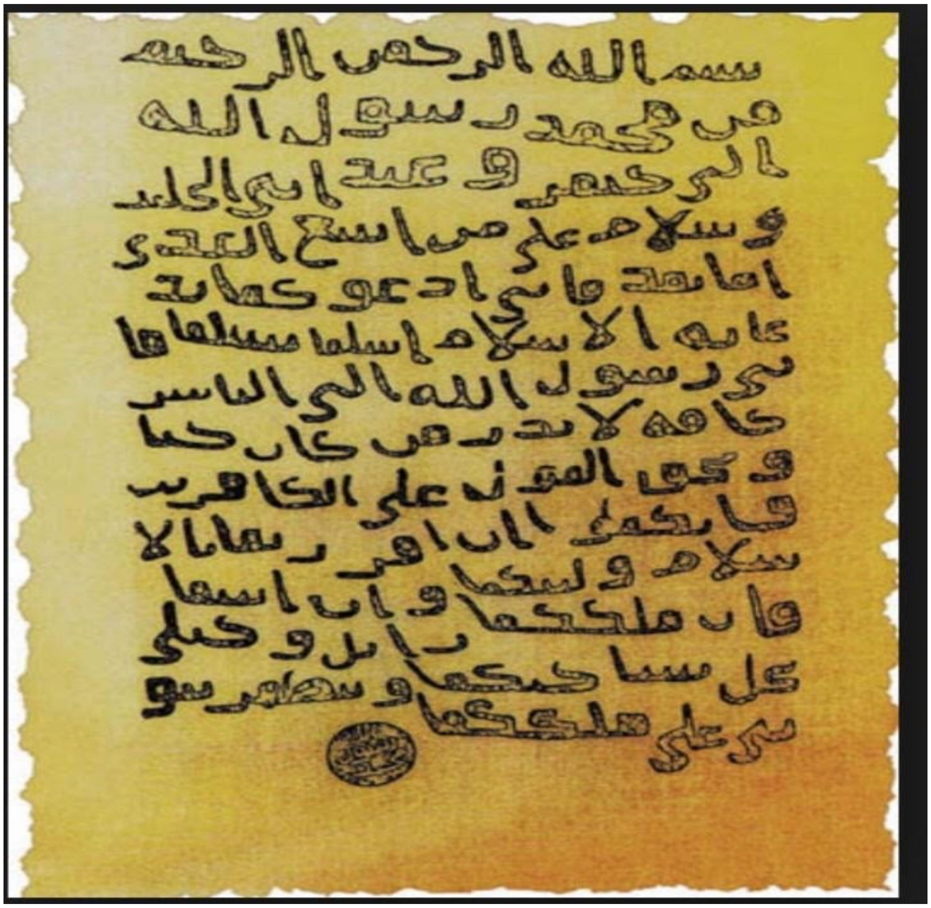
التاريخ ولكن من الناحية الاثرية يمكن ان نؤكد انها نسخ من الوثائق الاصلية يتم نسخها عبر العصور حتي تبقي كاثر اما النسخ الاصلية فلا يعرف عنها شيء حتي الان ، والحقيقة ان بعض الدراسات الظاهرية التي اجريت عليها مثل دراسة الخط لا تتوافق مع ما نعرفه من كتابات عربية من القرن السابع الميلادي .

اما عن محتوي الرسائل فهو ثابت في المصادر الإسلامية ومنها صحيح البخاري اذا فمضمون الرسائل مؤكد وثابت اما كون الوثائق المادية اصلية فهو غير مؤكد بالمرة حتي يتم التأكد بالفحص الكربوني ان تلك الاثار تعود الي القرن السابع الميلادي.





علي اليمين رسالة النبي الي) المقوقس (في مصر، وعلي اليسار رسالته الي) النجاشي ,(وهذه النسخ المعروضة في متحف) توب كابي (بتركيا لا يمكن الجزم بانها اصلية ومن المحتمل ان تكون نسخ من الاصل


بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله
الى جيفر وعبد ابني الجلندى
وسلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوكما بدعاية
الاسلام اسلما تسلما فاني
رسول الله الى الناس
كافة لانذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين
فانكما ان اقررتما بالا
سلام وليتكما
وان ابيتما فان ملككما
زائل عنكما وخيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبو
تي على ملككما

فتح خيبر ٧ هجرية-٦٢٩م

لم تكن خيبر دائما طرفا محايدا – فمنذ نزل فيهم اخر قبائل اليهود المطرودين من المدينة وعلي رأسهم حيي بن الاخطب زعيم المعارضة للإسلام ، اصبحوا المحرك الأساسي لتحالف الأحزاب ضد المسلمين وتأليب قبائل الجزيرة علي الإسلام واحدة تلو الأخرى ، وبعد فشل الأحزاب وتصفية بنو قريظة صارت خيبر القاعدة الوحيدة المتبقية للمعارضة اليهودية المنظمة ، وقد استطاع (الحيي بن الاخطب) و(سلام بن الحقيق) الذين اجلوا مع بنو النضير تزعم يهود خيبر فور وصولهم حيث كان لهم مكانة لدي اليهود عموما في الجزيرة ، وبعد صلح الحديبية أصبحت الساحة جاهزة للتفرغ لإزالة اخر معاقل الخطر علي الإسلام بعد تحييد قريش لمدة عشر سنوات وفقا للاتفاقية ، وقرر النبي التوجه لخيبر لكسر شوكة اليهود الي الابد والتفرغ الكامل لبناء دولة الإسلام .

وقد ذهب كثير من المفسرين الي ان قرار فتح خيبر لم يكن الا بأيعاذ من الله تعالي ونحن نوافق هذا الرأي حيث ان الأنبياء لا يتحركون الا بإذن او وحي الهي وقد رأوا ان الامر تمثل في قوله تعالي : وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم و لتكون للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ، واخري لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله علي كل شيء قديرا – الفتح ٢١

١) خيبر – الجغرافيا:

أولا: خيبر هي واحة تقع شمال المدينة المنورة علي بعد نحو ١٧٠ كم في واد خصيب محاط بحرات بازلتية يصعب اختراقها من معظم الجهات .

وكانت خيبر اغني تجمع يهودي في الجزيرة العربية اقتصادها قائم علي زراعة النخيل والحبوب في واحات خصبة ، كذلك الحرف المعدنية والصياغة والتجارة والاقراض بالربا .

تتركب خيبر قبليا من يهود خيبر موزعون علي عدة قبائل ابرزها : (بنو ابي الحقيق) من بني النضير المجلين من المدينة .(بنو مرحب) أصحاب اقوي الحصون ، (بنو يسر) و (بنو زهير) و (بنو عبد عوف) .

ثانيا: حصون خيبر:

أظهرت الدراسات الاثرية ان اسوار خيبر تمتد علي طول يزيد عن ١٤,٥ كم ويصل ارتفاعها الي نحو ٥ امتار ويتراوح سمكها بين ١,٧ و ٢,٤ متر ولم يبق منها اليوم سوي ٥,٩ كم مع بقايا ٧٤ حصنا . هذه الحصون اتضح انها تعود الي حوال ي٤٠٠٠ سنة بنيت في العصر البرونزي وطورت عبر العصور ثم سكنها يهود خيبر أخيرا في عهد النبي.

تتكون خيبر من ثمانية حثون مقسمة الي قسمين ،

الأول : يسمي (النطاة) وفيه خمسة حصون (ناعم و الصعب و الزبير و ابي و حصن النزار) ، وهو في المنطقة الشرقية من خيبر واقربها لجيش المسلمين القادم من وادي (الرجيع) وكان فيها المقاتلة الرئيسية.

حصن ناعم: خط الدفاع الأول واقرب الحصون للمسلمين، مصمم لإبطاء الجيوش الغازية لا الدفاع والصمود الطويل.

حصن الصعب بن معاذ: كان اكثر الحصون طعاما ومؤونة به نحو خمسة آلاف مقاتل .
حصن قلعة الزبير : علي رأس ذروة مرتفعة وهو حصن منيع لا تقدر عليه الخيل والرجال .
حصن النزار: في قلب منطقة الشق وهو من الأهم من بين الحصون المحيطة به والأقوى منعة في خيبر كلها .
والثاني : (الكتيبة) وفيه ثلاثة حصون (القموص و الوطيح و السلالم) –المصدر الواقدي لان رواية ابن اسحق مضطربة وغير واضحة في هذا الشأن.
يقع في المنطقة الجنوبية الغربية والابعد عن جيش المسلمين وكانت مخصصة للذراري والنساء والأموال والمؤن
حصن القموص: هو حصن ابي الحقيق من بني النضير المبجلين وكان اليهود علي يقين ان المسلمين لن يصلوا الي هذا الحصن ابدا .
٢)الخطة الدفاعية لليهود:
كانت الاستراتيجية الدفاعية علي ثلاثة مستويات:
أولا: الابطاء :
حصون الناعم والصعب والزبير مصممة لإبطاء الجيش المهاجم وانهاكه قبل وصوله للمراكز الحيوية.
ثانيا: التحمل: حصون الشق (ابي ونزار) مرحلة الصمود الوسطي وكان النزار يعد المانع فيها طالما ان فيها المؤن الكافية فتستطيع تحمل الحصار الطويل .
ثالثا: الحماية المطلقة: حصون الكتيبة (القموص و الوطيح و السلالم) حيث الذراري والأموال مصمما للصمود اشهرا ان اقتضي الامر
والقصد ان الاستراتيجية الدفاعية تقوم علي انهاء الجيش المهاجم عبر طول مدة الحصار وامطارهم بالنبال من الحصون فحتي لو وصلوا الي مرحلة المستوي الثالث فلن يكون هناك عدد كافي لاقتحام الحصون كما ان الجيش سيكون منهكا ويعاني نقص الامدادات .
٣) الراجح عند اهل السيرة والمؤرخين ان غزوة خيبر كانت في المحرم من سنة السابعة للهجرة بعد الحديبية بشهرين تقريبا –البخاري ، ابن اسحق.
٤) الجيش الإسلامي:
الأرجح من الروايات ان عدد المسلمين كان ١٤٠٠ الي ١٦٠٠ مقاتل ، حيث اتفقوا علي ان الذين شاركوا في خيبر هم من حضر بيعة الرضوان في الحديبية فقط وهم هذا العدد. وقد اعلن النبي ان غنائم خيبر ستكون لمن شهد الحديبية حصرا .
٥) التحرك الي خيبر:
أولا: كان ذلك عبر منطقة (الرجيع) حيث قبيلة غطفان الموالية لليهود ولأي شيء ضد المسلمين ، وقد قصد النبي ان ينزل أولا بالرجيع حتي يحول دون امداد غطفان لخيبر بأي مساعدة ويقطع الطريق عليهم فيضمن ان

يكون الحصن خالصا امام المسلمين دون مساعدة خارجية. واوهمت غطفان ان الحملة قادمة اليهم وليس الي خيبر ولذلك خافوا وتأهبوا واخلوا محيط خيبر تماما.

ثانيا: وقف المسلمون امام حصون خيبر الامامية متأهبين للقتال ووقف النبي يدعو الله النصر

وكان الجيش قد وقف أولا امام حصن (النطأة) واستعدوا للقتال فجاء النبي (الحباب بن المنذر) وسأل النبي اذا كان هذا المكان بامر من الله ام هو الرأي والمشورة فاجابه النبي انه الرأي والمشورة ، فقال الحباب ان هذا الحصن به اقوي الرماة في خيبر وامهرهم ولا يمكن الصمود امامهم ولذلك اقترح ان ينتقل الجيش الي حصن (ناعم) وقد نزل النبي علي رأيه وتحول الجيش الي حصن ناعم وبدأ القتال به.

ثالثا: **حصن (ناعم) :**

حاصر الجيش الإسلامي الحصن سبعة أيام وكانت الراية تعطي كل يوم لواحد مختلف من كبار الصحابة وحدث خلالها اشتباك عنيف بينهما وبدا ان اقتحام الحصن صعب جدا ، ثم حدث ان استشهد (محمود بن سلمة) بحجر القاه عليه (مرحب) من فوق الحصن .

وفي الليلة السابعة كان (عمر بن الخطاب) رئيس الحرس الليلي فقبض علي يهودي وامر بضرب عنقه الا ان اليهودي طلب مقابلة النبي ولما قابله قال له : ان امنتموني علي حيأتي ادلكم علي اخبار تعينكم ، فامنه النبي ، فاخبر ان اليهود قد اهلكهم الحصار فارسلوا نساءهم وذراريهم الي حصن اخر وقرروا ان يناجزوكم إذا فان فتح لكم هذا الحصن ادلكم علي مكان به منجنيق (لم يكن العرب يعرفون المنجنيق بعد) يعينكم علي فتح باقي الحصون، والحقيقة ان هذا السلاح فتاك بالنسبة لجيش المسلمين العاجز عن اختراق الحصون المنيعة وهذه النصيحة تعتبر هدية ثمينة للمسلمين.

وفي الصباح أعطيت الراية (لعلي بن ابي طالب) وبشره الله بالفتح علي يده ، وقد تحقق ما قاله اليهودي وخرج جيش خيبر من الباب ليقاتلوا المسلمين والتقي الجيشان وبدأت المبارزات الفردية فخرج اليهودي (الحرث) اخو (مرحب) وكان من صناديدهم وخرج له (علي) كالعادة وقتله – لم يثبت ان خاض علي بن ابي طالب مبارزة وخسر فيها قط – ولما رأي (مرحب) مقتل أخيه خرج متقلدا سيفين يريد القتال وهو ينشد ، فبرز له (عامر بن الاكوع) فأصيب وارتد ثم خرج له (محمد بن سلمة) وأصيب ثم برز له اخيرا (علي بن ابي طالب) وهو يقول مقولته الشهيرة :

انا الذي سمتني امي حيدرة

كليث غابات كريه المنظرة

اكيلكم بالسيف كيل السندرة

فتبارزا فقتله علي ، ثم تناول بابا من أبواب الحصن وتترس به وقاتل الجيش بقوة وفتح هذا الحصن في الليلة السابعة من الحصار الأول

حصن الصعب: كان اكثر الحصون طعاما ومؤن وفيه نحو خمسمائة مقاتل ، وقد حمل الراية هذا اليوم (الحباب بن المنذر الانصاري) واستغرق الفتح ثلاثة أيام وفتح الله عليهم وبفتح هذا لحصن وجد المسلمون كميات ضخمة من الطعام والمؤن والسلاح ومنها (المنجنيق)و (الدبابات – وهي اغنتهم عن الامدادات الناقصة ودعمتهم في اثناء حصار باقي الحصون

حصن (قلعة الزبير) : وقد تحصن فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وهو كما قلنا علي مكان عالي وهو من امنع الحصون ، وهذا الحصن فتح بالحصار فقد حاصروه ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود الي النبي وقال له : انك لو اقمت شهر ما بالوا ان لهم شرابا وعيونا تحت الأرض يخرجون ليلا ويشربون منها ثم يرجعون الي قلعتهم فان قطعت مشربهم اصحروا لك. فقطع النبي عليهم الماء فخرجوا بعدها فقتلوا المسلمين قتالا شديدا حتي فتح الله الحصن علي المسلمين .

حصون الشق:

حصن (ابي) : اقتحم المسلمون الحصن بالقوة وبالمنجنيق علي الأرجح وحازوا ما فيه من طعام ومؤن ومتاع وقد فتحت قلعة (سمران) الملحقة بالحصن وكانت تعد خط دفاع مهم.

حصن النزار: في قلب منطقة الشق، وهو الأهم من بين الحصون المحيطة به والامنع في خيبر كلها ، قاوموا المسلمين مقاومة عنيفة جدا بالنبل والحجارة ثم تهاوي دفاعهم مع الحصار الطويل ففر المقاتلين الي منطقة الكتيبة في الجنوب الغربي.

حصن القموص: كما قلنا كان اليهود علي يقين من استحالة وصول المسلمين الي هذا الحد ابدا وفي هذا الحصن كان زعماء اليهود والذراري والنساء بالإضافة الي الفارين من الحصون السابقة ، والحصن يقع علي جبل مرتفع فبدأ المدافعين المقاومة بالنبال والحجارة من اعلي ولم يجرؤوا علي الخروج للقتال ، وهو قوله تعالي (لا يقاتلونكم الا في قري محصنة او من وراء حجاب) وقد فتح الحصن عنوة بعد حصار ومقاومة وتراشق بالنبال وفي هذا الحصن اسرت (صفية بنت الحيي بن الاخطب) و (كنانة بن الربيع). وفر الناجون الي الحصن التالي.

حصن الوطيح: انتهي النبي الي حصن الوطيح والسلالم وكانا اخر الحصون افتتاحا فحاصرهم بضع عشرة ليلة ثم فتح بالتفاوض أي سلما بالاستسلام علي ان يؤمنهم علي انفسهم وذراريهم دون أموالهم فيأخذها لمسلمين .

حصن السلالم: اخر حصون خيبر ،وقد فتح بالاستسلام بعد حصار طويل .

٥) نتائج الغزو:

أولا : شهداء المسلمين: قتل في معارك خيبر حوالي ١٦ مسلم ابرزهم:

محمود بن مسلمة الانصاري :من الاوس قتل بحجر القاه مرحب

بشر بن البراء بن معرور ، عامر بن الاكوع ، ثقف بن عمرو، مسعود بن سعد، محمود بن سلمة بن خالد بن عدي ، فضيل بن النعمان، والأسود بن الراعي وهو شهيد استثنائي ، فهو راعي لأهل خيبر اتي النبي واسلم

وسأله ماذا اصنع بالغنم وهي لخيبر فقال له النبي ان يعيدها الي خيبر فأعادها ثم خرج يقاتل مع المسلمين فاستشهد ولم يصل لله سجدة واحدة وقال النبي انه في الجنة بسبب الجهاد – المصدر ابن اسحق وابن سعد

ثانيا: مصير زعماء خيبر:

سلام بن ابي الحقيق: هو الذي مول تحالف الأحزاب واوي زعماء المعارضة اليهود بعد اجلاءهم وقتل قبل الغزوة بعام في سرية (عبد الله بن عتيك) التي أرسلها النبي خصيصا لقتله.

اسير بن زرايم: الزعيم بعد مقتل سلام ، أيضا ارسل اليه النبي لقتله (عبد الله بن رواحة).

سلام بن مشكم النضيري: من اشراف بني النضير وكان المستشار الرئيسي لخيبر في التخطيط الدفاعي ، ولا يذكر اهل السيرة مصيره تحديدا للأسف.

كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق: هو زوج صفية بنت الحيي بن الاخطب وحارس كنوز بني النضير في خيبر ، اسر في المعارك فأتي به الي النبي فساله عن مكان الكنوز فأبي ان يخبره وقتله في النهاية.

الحيي بن الاخطب: زعيم بني المضير راس الكفر والمعارضة والمحرض الأكبر ضد الإسلام، قتل في اعقاب غزوة بني قريظة واجلاءهم كما سبق .

زينب بنت الحارث: امرأه يهودية من خيبر وزوجة سلام بن مشكم ، صح انها اهدت النبي شاة مسمومة ومات بسببها (بشر بن معرور).

ثالثا: قتلي اليهود اجمالا: ثلاثة وتسعون رجلا .

رابعا: بعد سقوط خيبر سارع اهل (فدك) شمال خيبر الي الاستسلام علي ان يأخذ أموالهم ويؤمنهم انفسهم وذراريهم فوافق النبي .

ثم حاصر المسلمون وادي القري وهي مجموعة قري بين خيبر وتيماء فاستسلموا وغنم المسلمون أموالا كثيرة وتركوا الأرض والنخل بيد اليهود الموجودين عليها .

لقد ابقي النبي علي يهود خيبر في ارضهم ولم يتم اجلائهم علي ان يكون للمسلمين نصف ثمار الأرض وهو ما اقترحه اليهود علي النبي قائلين : نحن اعلم بالأرض منكم ، فوافق النبي وكان يبعث كل عام عاملا ليحسب الثمار ويأتي بنصفها او ثمنه.

وبفتح خيبر أصبحت قوة المسلمين ظاهرة في ارض العرب وانتهي اذي اليهود الي الابد وانتقل النبي بعد ذلك لتأديب الاعراب حول المدينة والذين تجرأوا قبل ذلك وقتلوا من المسلمين.





صورتان لحصن خيبر المنيع باقية حتي الان

عمرة القضاء

اختلف العلماء في سبب التسمية الا ان الراجح انها كانت قضاء للعمرة التي فسدت العام الماضي بسبب حادث الحديبية وهي تحقيق للبند الأول في الاتفاق ان يرجع المسلمون العام ويعودوا في العام القادم لاداء العمرة.

وقعت في شهر ذو القعدة العام السابع للهجرة وهو بعد عام كامل من الحديبية ، والتزم النبي ببنود الاتفاقية حرفيا فقد عادوا بسلاح المسافر فقط في نفس الشهر تماما ،

١) خرج النبي في ٢٠٠٠ رجل هذه المرة وفقا للبخاري والواقدي ، وقد احرموا بملابس الاحرام وساقوا معهم ٦٠ من الهدي وامر النبي (محمد بن مسلمة) ان يسير في طليعة الفوج بمئة من الرجال مسلحين سلاحا كاملا يتوقفون عند (يأجج) علي بعد ساعة من مكة ويضعون أسلحتهم هناك في انتظار عودة المعتمرين وهذا احتياط امني مشروع لم يخالف الاتفاق لأنهم لم يدخلوا مكة بالسلاح. وحمل الراية عموما (سعد بن عبادة).

٢) دخول مكة:

قامت قريش باخلاء مكة بالكامل وصعدت الي جبل (ابي قبيس) والجبال المحيطة ووقفوا ينظرون الي دخولا لمسلمين من بعيد .
وقد دخل النبي راكبا ناقته الشهيرة (القصواء) وعبد الله بن رواحة اخذ بزمامها يقول: خلوا بني الكفار عن سبيله ، اليوم نضربكم علي تأويله ، ضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله،
دخل المسلمون يلبون بتلبية الحج : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك. وقريش تنظر من فوق الجبال وكان صوتهم يدوي ويملا وادي مكة.
٣) حادثة الرمل:
بلغ النبي ان قريش تقول انهم يقدمون علينا وقد وهنتهم حمي يثرب – أي هم متعبون – فامر النبي اصحابه ان يرملوا (أي يسرعوا في المشي) في الأشواط الثلاثة الاولي من الطواف ليظهروا قوتهم وصحتهم وامرهم ان يمشوا مشيا عاديا في الأشواط الأربعة التالية (هم سبعة أشواط أي لفات) وقد بقيت سنة متبعة بعد ذلك – البخاري
وادي النبي واصحابه المناسك كاملة في ثلاثة أيام وهي: الطواف بالبيت سبعا ثم السعي بين الصفا والمروة ثم التحلل بالحلق والتقصير .
٤) ميمونة بنت الحارث:
ثبت في الصحيح ان النبي تزوج من السيدة (ميمونة بنت الحارث الهلالية) التي عرضت نفسها علي النبي في هذه الأيام وكانت ارملة وقد تولي العقد (العباس بن عبد المطلب).
٥) كان كثير من المسلمين لهم أقارب في مكة لا يزالون علي الشرك فكانت هذه الأيام الثلاثة فرصة للقاء عائلي نادر
و جاء سهيل بن عمرو الي النبي يذكره بانتهاء الأيام الثلاثة وابي ان يتركهم اكثر من ذلك فخرج النبي واصحابه من مكة واقاموا بسرف .
٦) رات قريش بأعينها ما لم تتوقعه جيش منظم يحمل السلح بدقة دون تجاوز والتزام تام بالبنود حتي حين كان بإمكانهم الهجوم علي مكة وشعائر دينية تؤدي في قلب مكة امام اصنامهم وطواف بالكعبة التي كانت تعدها حكرا علي اتباع دينهم .

مكة تخسر فلذات اكبادها

بعد عمرة القضاء دب الإسلام في قلوب الكثير من أبناء قريش وقد راوا جمال الشرائع الإسلامية في العمرة وشاهدوا صلاه المسلمين التي تشرح القلوب وراوا تناسقهم وانسجامهم معا وسمعوا القرآن يتلي في هدوء بعيد

عن لغو الكفار قبل الهجرة ، فدب الإسلام في صدور كثير منهم ولكن التاريخ الإسلامي يذكر القليل ممن قال عنهم النبي (فلذات اكباد قريش) وخيرة شبابها ..

خالد بن الوليد:

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، امه (لبابة بنت الحارث الهلالية) اخت (ميمونة) التي تزوجها النبي في العمرة وأيضا اخت (لبابة بنت الحارث الكبرى-ام الفضل) زوجة العباس بن عبد المطلب واخت (أسماء بنت عميس) التي تزوجها (جعفر بن ابي طالب) ثم (أبو بكر) بعد ذلك .اذا خالد هو ابن اخت ام المؤمنين (ميمونة).

وابوه (الوليد بن المغيرة) كان اغني أبناء زمانه وكان يلقب (بالوحيد) وهو ما ذكره أيضا القرآن (ذرني ومن خلقت وحيدا) ولقب بريحانة قريش وكان من اشد أعداء الإسلام ومات كافرا قبل الهجرة وقيل بعد بدر، وكان له سبعة من الأولاد د (وبنين شهود) ابرزهم:

الوليد بن الوليد : اسلم قبل ذلك وكان مع المسلمين في عمرة القضاء وكتب لخالد يدعوه للإسلام

هشام بن الوليد: اسلم لكن لا يعرف متي

عمارة بن الوليد: مات كافرا في الحبشة

فاطمة بنت الوليد ، وناجية بنت الوليد : اسلمتا

لما كان المسلمون في مكة في عمرة القضاء خرج خالد من مكة لأنه كان لا يطيق ان يراهم حول الكعبة – ليس كرها في الإسلام – وانما لأنه اعتبر ذلك هزيمة لقريش ، فخالد كان يزن الأمور بميزان خاص ، ميزان النصر والهزيمة ، وكان في نفسه من الكبرياء ما يمنعه من رؤية ذلك ، وكتب اليه اخوه (الوليد) رسالة بإيعاز من النبي قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني لم ار اعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ومثل الإسلام يجهله احد؟ وقد سألني رسول الله عنك وقال أين خالد؟ فقلت يأتي به الله ،فقال ما مثله يجهل الإسلام ولو كان جعل نكايته مع المسلمين علي المشركين لكان خيرا له وقدمناه علي غيره فاستدرك يا اخي ما فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة.

بعد الرسالة خرج خالد متوجها الي المدينة فلقي في طريقه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وكلاهما يقصد الإسلام، فقال خالد : الي أين يا أبا عبد الله . فقال عمرو : والله لقد استقام المنسم – أي وضع الطريق – وان الرجل لنبي فاذهب فاسلم ، فقال خالد: وانا جئت لذلك.

ولما وصلا للمدينة حين رآهم النبي قال : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. وقال لخالد: لقد كنت اري لك عقلا تمنيت الا يسلمك الا الي خير.

ثانيا: عمرو بن العاص: ابوه العاص بن وائل من سادات قريش وأصحاب الشرف والرفعة وتولي القضاء في الجاهلية وهو الذي نزل فيه قوله تعالي (ان شانئك هو الابتر) لما قال عن النبي : انه ابتر لا عقب له – أي لا ولد له- ومات كافرا قبل الهجرة.

وامه (سلمي بنت حرملة) التي لقبت بالنابغة ، واخوه هشام بن العاص: اسلم مبكرا جدا وكان من المهاجرين الأوائل الي الحبشة واستشهد في اليرموك.

وحكي (عمرو بن العاص) اسلامه بنفسه فقال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق قلت لأصحابي : اني اري امر محمد ليعلو علوا منكرا .ثم اسلم مع خالد وعثمان بن طلحة وكانوا نصرا للإسلام .

□العام الثامن للهجرة – ٦٣٠م

سرية ذات السلاسل

وقعت هذه السرية في صفر ٨هجرية ، بسبب ما بلغ النبي ان جمعا من (قضاعة) بالقرب من الشام يتجمعون للغارة علي اطراف المدينة وقيل انهم تحالفوا مع بعض قبائل (بلي وعذرة) ، فارسل النبي (عمرو بن العاص) علي رأس ثلاثمائة مقاتل وككان ذلك اول قياداته في الإسلام .

ولما اقترب من منطقة ذات السلاسل (في اطراف الشام الجنوبية قرب وادي القري) ادرك ذالة عدده امام العدو فارسل يستمد بالنبي فأمده بجيش فيه (ابي عبيدة بن الجراح وأبو بكر وعمر بن الخطاب) ومئتين من المهاجرين الاولين ،

وقد وقع توتر قيادي بينهم ، فبينما كان أبا عبيدة قائد الجيش الإضافي الذي ارسل للنبي وكان (عمرو) قائد الجيش الأساسي الذي ارسل أصلا للمهمة فقد اصر عمرو ان يكون قائدا عاما علي الجيشين بينما رأي المهاجرين

ومنهم عمر بن الخطاب ان يكون القيادة لأبو عبيدة ، وفي النهاية قبل أبو عبيدة بن الجراح ان تكون القيادة لعمرو بن العاص منعا للفتنة ولان الغاية هي تحقيق مهمة السرية وليس التفاخر بالقيادة.

وقد وقعت بعض الأمور أيضا التي اثارت حفيظة المهاجرين ، منها ان عمرو بن العاص قد منعهم من اشعال النار للطبخ او التدفئة رغم ان البرد كان قارصا ، وكان هدفه هو الإبقاء علي سرية التحرك لان النيار كانت ستعلم العدو باقترابهم وقد اقره النبي علي ذلك.

انتهت السرية بتشتيت الأعداء دون معركة حاسمة وعاد الجيش سالما وكانت تلك اول مناورة إسلامية نحو الشمال قرب الحدود البيزنطية ومثلت تحولا استراتيجيا من المحيط الحجازي الي الفضاء لشامي.

□معركة مؤتة (جمادي الأول ٨هجرية – ٦٣٠م)

١) سبب المعركة:

كانت الحادثة الأساسية المباشرة هي مقتل (الحارث بن عمير الازدي) كما سبق – فقد ارسله النبي رسولا بكتاب الي امير بصري (او احد ملوك الشام وفي رواية الي الحارث الغساني بالبلقاء) وفي الطريق اعترضه (شرحبيل بن عمرو الغساني) وهو امير علي منطقة (البلقاء) لصالح البيزنطيين فاوثقه ثم ضرب عنقه .

هذه الحادثة تعد من الناحية القانونية والدبلوماسية في هذا الوقت – قتل الرسل – جريمة بالغة الخطورة في الأعراف العربية خصوصا ولم تكن دولة العرب او الفرس او الروم تقتل الرسل ،و أحيانا تعني اعلان الحرب ، وقد شكلت تلك الواقعة استفزازا للمسلمين يستوجب الرد العسكري ولا يمكن تجاوزها دون المساس بهيبة الدولة – أيا كانت تلك الدولة.

٢) قرار الحرب:

امر النبي بتجهيز جيش للتحرك نحو الشام وكان هذا اكبر جيش إسلامي يخرج خارج الجزيرة العربية حتي هذا الوقت وقد كان قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وهو المتفق عليه عند اهل السيرة.

٣) الاطار الجيوسياسي لأرض المعركة:

كانت الإمبراطورية البيزنطية قد استعادت الأراضي التي استولت عليها الفرس الساسانيين ومنها أجزاء من الشام بين ٦١٣ و ٦٢٨م كما علمنا ، وكان (الغساسنة) وهم بنو غسان الحاجز العربي الشامي –المسيحي- التابع للامبراطورية يتمركزون في البلقاء وحوران والجولان وعاصمتهم (البصري) – ليست البصرة العراقية وكانت (مؤتة) نفسها قرية في البلقاء جنوب الأردن حاليا قرب الكرك ، وكانت في نطاق السيطرة الغسانية-البيزنطية.

لما علم الغساسنة بجمع جيش المسلمين بعثوا الي البيزنطيين ليرسلوا اليهم جيش روماني إضافة الي جيش الغساسنة ، والحقيقة ان (هراكليوس) لم يكن محتاجا لاقناع كبير بحرب المسلمين اذ كان يحس تهديدا من التحرك الإسلامي قرب الحدود البيزنطية واعتبرها فرصة لسحق الجيش الإسلامي قبل ان يكتمل نموه وكانت فرصة لا تفوت.

٤) الجيش الإسلامي:

اجتمع ثلاثة آلاف مقاتل مسلم الغالبية من الأنصار وفيهم كثيرين من حديثي الإسلام مثل خالد بن الوليد .

أولا: القيادة :

من الغريب وغير المعتاد ان يعين الرسول صلي الله عليه وسلم اكثر من قائد للجيش علي التوالي وهو ما فهمه الكثير من الصحابة علي انها نبوءة بالقتل .

أعطيت الراية العامة (لزيد بن حارثة) مولي رسول الله الذي اعتقه وكان قد قاد عدة سرايا قبل مؤتة (الجمح و وادي القري و غيرها) ولديه خبرة في القيادة .

ثم عين النبي خليفة له اذا هو قتل في المعركة وهو (جعفر بن ابي طالب) اخو علي بن ابي طالب وقيل ان عمره كان نحو ٤١ عاما وكان شديد القرب من الرسول صلي الله عليه وسلم .

ثم عين ثالثا وهو (عبد الله بن رواحة) وهو قائد معروف قاد عدة سرايا قبل مؤتة وكان شاعرا مفوها شجاعا وهو من الاثني عشر نقيبا في بيعة العقبة الثانية وعرف بالأقبال علي الموت.

ثانيا: السلاح والتجهيز:

كان أساس الجيش الإسلامي في هذه المرحلة هو المشاة مع عدد من الفرسان كانوا يحملون السيوف والدروع الجلدية والرماح والقسي ، والراية بيضاء يحملها القائد.

٥) جيش البيزنطيين/الغساسنة:

البنية الأساسية لجيش العدو كانت ثلاثة طبقات:

الاولي: البيزنطيين : مائة الف وفقا للأرجح من الروايات – الواقدي وابن اسحق وابن سعد .

الثانية الغساسنة: الفيلق العربي للجيش البيزنطي علي الحدود الجنوبية واميرهم (شرحبيل بن عمرو الغساني) نفسه .

الثالثة: القبائل العربية المتحالفة: حول الغساسنة تجمعت قبائل عربية مسيحية او موالية لبيزنطة من (لخم وجذام وبلي و بهراء و بكر) وهذه القبائل تسكن المنطقة الممتدة من البلقاء جنوبا الي اطراف الحجاز شمالا.

وقد بلغ عدد الفئتين (الغساسنة والقبائل) نحو مائة ال أيضا وفقا للأرجح من الروايات ، رغم ان كثير من المؤرخين الحديثين يرون انه من المبالغات .

كان الجيش يتركب وفقا للنظام التالي:

القلب والجناح الأيمن : الفيلق الرومي البيزنطي وهم مشاة ثقيلة وفرسان مدرعين(كاتافراكت)cataphract وهي قوة ضاربة لا نظير لها في الجزيرة آنذاك.

الاجنحة والمقدمة: الغساسنة والعرب – جعلهم الروم في الامام – فرسان خفيفة ورماة

الأطراف والاحتياط: القبائل المتحالفة وهم مشاة ورماة

٦) اختلاف أسلوب القتال بين الجيشين:

أولا: العرب: يعتمدون علي أسلوب القتال المباشر والالتحام والروح المعنوية العالية والأيمان بالقضية التي يقاتلون لأجلها – حتي قبل الإسلام – وأسلوب الكر والفر والهجوم السريع ثم الانسحاب السريع وتجنب المواجهات الطويلة الثقيلة مستغلين مهارتهم في التحرك السريع علي رمال الصحراء وهو ما يفتقده جيش الروم .

ثانيا: البيزنطيين:

يعتمد جيش البيزنطيين النظامي علي التنظيم الصارم واستخدام التفوق العددي ، والاعتماد علي المشاة الثقيلة لتكوين خطوط دفاعية ، مع دعم الفرسان للهجوم الجانبي ،

الخطة الأساسية هي تثبيت العدو ثم استنزافه بالضغط المباشر الي الامام بتكتلات ثقيلة وتحركات بطيئة ، وهذا يفقدهم المرونة والخفة في الحركة لان الجنود لابد ان يبقون وفقا لتشكيلات محددة متكاتفين لاغلاق الثغرات بين الصفوف كانهم سور واحد وكذلك ثقل الدروع والسلاح يعوق التحرك بحرية . كما ان اتباع الأوامر القيادية الهرمية لا يمنحهم حرية في التحرك او تغيير الخطة وفقا للظروف ولا يمنحهم مساحة للارتجال خاصة في مواجهة عدو غير تقليدي مثل العرب فقد اعتاد هؤلاء الجنود الذين حضروا مؤتة علي الحرب مع الفرس التي انتهت لتوها ولذلك يعد العرب بالنسبة لهم عدو بتكتيكات لم يسبق لهم التعامل معها من قبل.

٧) ميدان المعركة:

مؤتة تقع علي هضبة البلقاء جنوب الأردن علي ارتفاع ٩٠٠ الي ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، غربها واد عميق يصل نحو البحر الميت وشرقها بادية شبه صحراوية وشمالها سهول البلقاء المنفتحة باتجاه مأدبا وعمان ، وجنوبها الطريق الي معان والحجاز

وكانت مؤتة منطقة استراتيجية للتحكم في طريق البخور القديم وعلي الطريق الرئيسي الرابط بين الحجاز والشام . الهضبة مسطحة تفيد الجيوش الكبيرة ذات الاجنحة العريضة ولذلك اختارها الجيش البيزنطي الغساني ، اما الجيش الصغير مثل جيش المسلمين فيحتاج ارض ضيقة او تضاريس تبطل ميزة العدد وهو بالضبط ما ادركه خالد بن الوليد لاحقا وتصرف علي أساسه .

٨)تحرك المسلمين :

أولا: خرج الجيش من المدينة وقد رافقهم النبي حتي بلغ ثنية الوداع فوقف يوصيهم : اغزوا بسم الله وفي سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأه ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقطعوا شجرا ولا تخربوا نخيلا ولا تهدموا بناء.

هذه كانت عقيدة القتال وقانونها الذي استمر يقاتل المسلمون وفقا له حتي بعد وفاة النبي واثناء الفتوحات الإسلامية من بعده.

ثانيا: وصل الجيش الي (معان) وهناك علموا من خلال الاستطلاع بعدد الجيش الذي ينتظرهم ومكانه بمؤتة وكانت الصدمة ، فلا يوجد تكافؤ عددي ولا حتي قريب منه ، ورغم ان بعض المؤرخين الحديثين يرون ان العدد لم يتجاوز الثلاثين الفا – أي عدد الروم – الا اننا حتي وفقا لهذا الافتراض امام نسبة واحد الي عشرة اضعاف جيش المسلمين وهو امر يستحيل بمعايير العسكريين ان ينتصر يه المسلمون او حتي يخرجوا بدون ان يتم سحقهم.

وانقسمت الآراء حول الرجوع الي النبي ليدبرهم امرهم والسير للقاء العدو ولتكن الشهادة في سبيل الله ، حتي خطب (عبد الله بن رواحة) قائلا: ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون وهي الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولكن نقاتلهم بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا الي احدي الحسنيين النصر او الشهادة. فتشجع الناس وقرروا المضي الي المعركة.

٩) المعركة يوما بيوم:

اليوم الأول:

اصطدم الجيشان في سهل مؤتة وقد وقفت جيوش البيزنطيين صفا هائلة لا يري اوله من اخره بينما وقف جيش المسلمين كما اعتدوا ، قلب وميمنة وميسرة ، وليس لدينا رواية اكيدة عن طريقة سير القتال ، ولكن مما نعرفه عن أسلوب قتال كلا الجيشين نفترض أولا تبادل النبال ثم بدء الالتحام المباشر ،ولم يكن الروم اخطر علي المسلمين من الغساسنة الذ١ين يعرفون اسلوبهم ويتقنون حروب الصحراء فكانوا هم الاثقل في المعركة ،

وفي اليوم الأول قتل (زيد بن حارثة) برمح وروي انه لم يقتل بضربة واحدة بل تراكمت الجراح عليه ومات في عمق صفوف العدو.

ثانيا: تلقي الراية (جعفر بن ابي طالب) وقطعت يده اليمني فامسك الراية باليسرى فقطعت فاحتضنها بعضديه وصدره فأصيب بضربة اردته شهيدا ، والهدف من استمرار حمل الراية انها كانت الطريقة التي يعرف بها المسلمين في اركان الجيش ان القائد علي قيد الحياة وكذلك كانت الرسائل والتكتيكات والتحركات تتم من خلال

تحريك الرايات بشكل متفق عليه وهذا هو السبب في إبقاء الراية مرفوعة لان مقتل القائد يؤثر علي الروح المعنوية للجند.
وروي انه قد وجد بعد ذلك وفي جسده ٩٠ جرحا .ولقبه النبي (بذي الجناحين) وهو ثابت في البخاري.
ثالثا: تلقي الراية القائد الثالث المعين وهو (عبد الله بن رواحة) وهو كما قلنا ذا إرادة واقدام منقطع النظير وكان يبث روح القتال ويرفع معنويات الجيش بشعره وخطبه اثناء القتال وروي انه كان ينشد :

اقسمت يا نفس لتنزلن لتنزلنه او لتكرهن
ان اجلب الناس وشدوا الرنة مالي اراكي تكرهين الجنة

وهي تعني انه قد عزم علي القتال حتي الموت ، ثم نزل عن فرسه وقاتل بسيفه ثم قتل .
وهنا اصبح الجيش في مأزق فقد قتل الثلاثة الذين عينهم النبي ولم يعد للجيش قائدا ، وقد اشتد القتال وفي مثل هذه المعركة لا يمكن الارتجال ابدا ويحتاج الجيش لإعادة ترتيب خاصة وقد قتل الكثير من المسلمين ، حين سقط (عبد الله بن رواحة) اخذت الراية أيادي متعددة لمدد قصيرة وبحسب ابن إسحاق، فقد اخذ الراية أخيرا (ثابت بن ارقم الانصاري) ثم قال: يا معشر المسلمين اصطلحوا علي رجل، فأشاروا الي خالد وقد كان حديث العهد بالإسلام ثم اجمعوا عليه فاخذ الراية ، وبدأت مرحلة مختلفة تماما من الحرب.
اليوم الثاني: خالد بن الوليد:
ادرك خالد ان الاستمرار في الهجوم المباشر علي جيش اضخم بمراحل و علي ارض منبسطة يعني الفناء الكامل فاصدر عدة قرارات سريعة:
-وقف الهجوم المباشر والانسحاب بالجيش انسحاب تكتيكي.
-إعادة ترتيب الصفوف بالكامل: قلب الميمنة الي الميسرة والميسرة الي الميمنة واخر المقدمة وابراز من كانوا بالخلف الي الامام،
ولنفهم خطته بالتفصيل..
لقد فهم خالد بحنكته العسكرية ونظرته الشاملة للموقف ان الانتصار الحقيقي علي العدو هو امر مستحيل تماما ، ولذلك لم يبق امامه الا النجاة بمن بقي من الجيش ولكن بشرط الا يفهم العدو ان الجيش المسلم يقوم بالانسحاب لان ذلك سيجعلهم يطاردونه او حتي ينقضون عليه قبل الشروع في الانسحاب وهو ما سيؤدي حتما الي السحق التام لجيش المسلمين.
اذا الحل الوحيد – نظريا- هو ان يتأكد العدو ان المسلمين سيقاتلون حتي النصر، ولكن المشكلة هي ان الجيش البيزنطي اصبح تقريبا يعرف ان عدد المسلمين قليل ولو لم يكن يتخيل انه قليل الي هذا الحد والا لكان

انقض عليه منذ اليوم الأول ولم يستخدم أسلوب التكتلات والصفوف الثابتة وهو امر منطقي اذ صمد جيش المسلمين الي اليوم الثاني ولو كان الروم يعلمون العدد الحقيقي للمسلمين لما بقي منهم واحد حتي اليوم الثاني.
وكانت الخطة هي ان يعتقد الروم ان الجيش الذي سيرونه في اليوم الثاني مختلف عن الذي كان في اليوم الأول ، كيف ذلك؟
ان تنظيم الجيشين كان يقوم علي ميمنة وميسرة ووسط (قلب) وعلي ذلك فان ميمنة جيش المسلمين ستكون مواجهة لميسرة جيش الروم التي تبعد مسافة كبيرة عن ميمنته وبالتالي لا تعرف عنها شيء. فاذا قام بتبديل الميمنة بالميسرة فان الجنود الذين سيراهم الروم سيكونون مختلفين تماما من حيث اللباس والرايات والوجوه وأسلوب القتال لان الجيش الإسلامي كان يتم ترتيبه قبليا وكل قبيلة او قسم (مهاجرين وانصار) له لباس ورايات وطريقة مختلفة.
وهو ما سيقنع الروم بان هناك امدادات جديدة قد وصلت بين اليوم الاول والثاني وبذلك سيعيدون التفكير في الانقضاض المباشر اذا كانوا قد ادركوا العدد الحقيقي للمسلمين.
سير القتال في اليوم الثاني:
ما فعله خالد بن الوليد لم يكن هزيمة بل انسحابا تكتيكيا محسوبا وهو من اصعب المناورات العسكرية تنفيذا ، فإخراج جيش صغير من مواجهة جيش اضخم بكثير دون ان يتحول الي مذبحة يعتبر امر شبه مستحيل ولم يسجل التاريخ نجاحه الا مرات قليلة جدا.
كانت الخطة هي أيهام العدو ان الجيش الإسلامي يهجم بشدة وبالتالي اجباره علي التراجع التكتيكي ثم في مرحلة محددة يبدأ الجيش بالانسحاب الي الخلف بدلا من التقدم الي الامام وقد حقق هذا الامر المستحيل من خلال خطة محكمة :
أولا: كتيبة من الفرسان تبتعد خلف الافق قبل بدء القتال في اليوم الثاني وتنتظر الإشارة ، بينما يقوم الجيش الأساسي (بعد تبديل الأماكن) بالضغط الشرس علي العدو الذي اصبح يعتقد الان ان هناك مدد قد جاء وانه يقاتل علي الأقل ضعف العدد الذي كان يقاتله في اليوم الأول ، وقد ساهم في نجاح الخطة بسالة وشراسة قتال المسلمين التي أحدثت خسائر كبيرة في صفوف العدو الذي اصبح غير قادر علي تحديد العدد الحقيقي لجيش المسلمين ، وقد حكي (خالد بن الوليد) بنفسه بعد ذلك انه قد تكسرت في يده تسعة اسياف اثناء القتال مما يعطينا صورة عن شدة القتال في هذا اليوم وكان الغرض كما قلنا هو اجبار العدو علي التراجع التكتيكي لإعادة تنظيم الصفوف وتبديلها بالاحتياطي وهو أسلوب القتال الروماني .
ثانيا: عند الإشارة يبدا الفرسان الذين تم اخفاءهم في القدوم حتي يصلوا الي ابعد نقطة يمكن لجيش الروم رؤيتها ويبدأوا بالتحرك في دوائر لأحداث غبار كثيف قدر الإمكان مما سيوحي للروم بان مددا إضافيا قد وصل وهذا سيدعم الهدف الأصلي وهو اجبار العدو علي قرار التراجع المؤقت وأيهامهم بالعدد الكبير لجيش المسلمين .

ثالثا: لقد كانت العناية الإلهية هي الفيصل في اقناع الروم بالتراجع وقذف الرعب في قلوبهم وقد قاموا بالفعل بالانسحاب الي الوراء لتبديل الصفوف وارسال الجرحى والمنهكين الي الصفوف الخلفية والاتيان بصفوف جديدة لم تقاتل الي الامام ، واستغل المسلمون هذا التراجع بالضغط للامام ثم الانسحاب المفاجئ الي الخلف ولكن هذه المرة كان الانسحاب نهائيا الي المدينة.

١٠)لم يكن ما فعله خالد بن الوليد هزيمة ولم يكن هروبا ، لان العدو لم يكن يعلم ذلك ولم يكن يطاردهم ، انما كان تصرفا عسكريا بارعا وسريعا لإنقاذ آلاف المسلمين للاستفادة منهم في ترسيخ الإسلام وليكونوا نواة جيش جديد ينتقم وينتصر وهذا التصرف كان معروفا ومقبولا لدي الجيوش القديمة وسوف نراه أيضا في الفتوحات الإسلامية بعد ذلك ، حيث يفر الباقون من جيش الروم والفرس ثم يكونون جيوشا جديدة تعود لمواجهة المسلمين.

ولقد عرف التاريخ القديم الانسحاب التكتيكي عموما ولكنه لم يعرف انه قد نجح بهذه الطريقة المثالية الا مرات قليلة منها:

-انسحاب الاغريق في مسيرة العشرة آلاف بقيادة (زينوفون) انسحب الجيش من داخل العمق الفارسي بعد مقتل قائدهم لآلاف الكيلومترات وسط جيوش الأعداء. وعبر أراضي معادية بالكامل والرجوع الي اليونان سالمين.

- انسحاب الرومان في معركة (كارهأي) بعد هزيمة (كراسوس) امام الفرثيين وقد استطاع جزء من الجيش الانسحاب سالما .

١١) استقبال الجيش في المدينة:

كان النبي مؤيد ببث مباشر الهي بتفاصيل المعركة ، وهو امر مماثل للاستبصار عن بعد ، فكان يخبر المسلمين بمقتل كل قائد من القادة الثلاثة ثم تلقي خالد بن الوليد الراية وهذا ثابت بصحيح البخاري،

حين وصل جيش المسلمون الي المدينة خرج أهلها يرمونهم بالتراب ويقولون : يا فرارة فررتم في سبيل الله، وكان هذا الاستقبال مؤلما، فقال النبي : ليسوا بالفرارين ولكنهم الكرارين ان شاء الله.

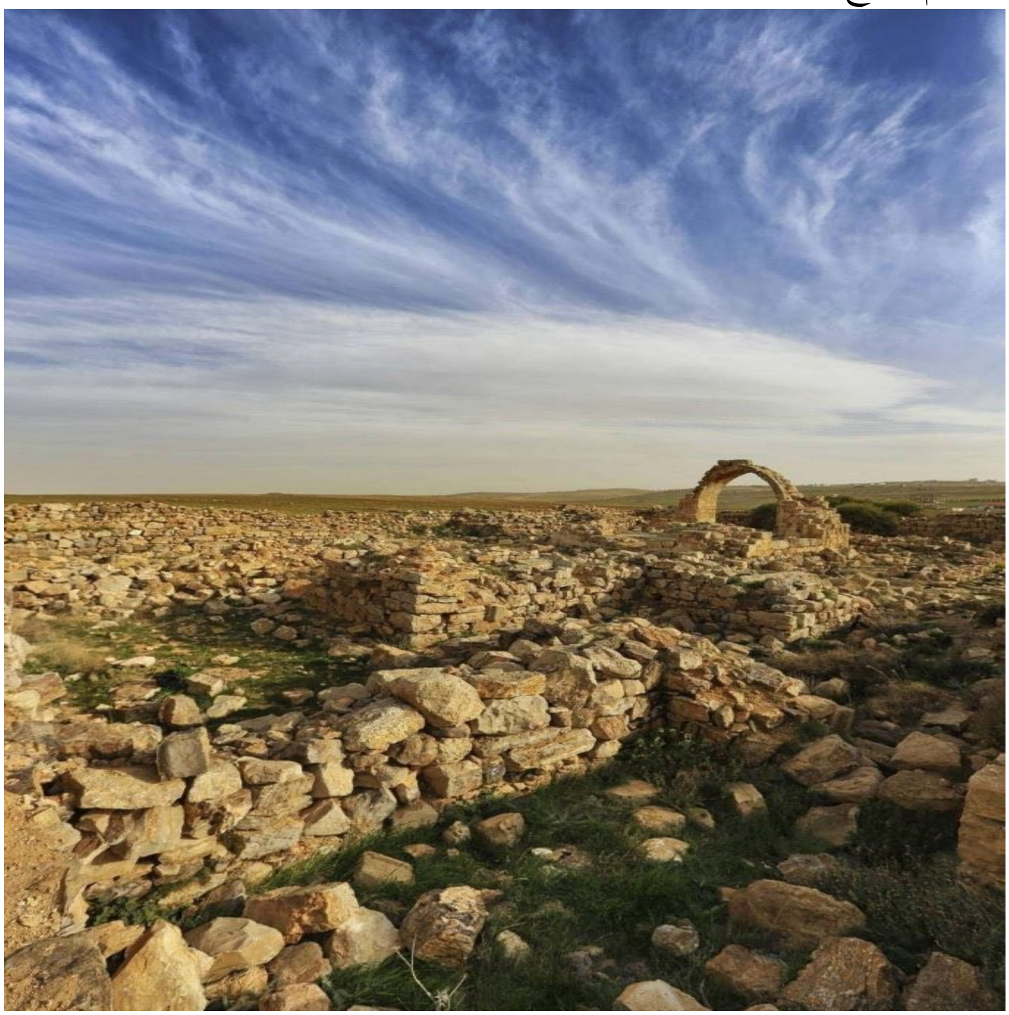
وهو دليل علي ان ما حدث لم يكن هزيمة بل انسحاب تكتيكي ناجح .

وقد ثبت في الصحاح ان النبي منح خالدا لقبه الذي عرف به تاريخيا اذ قال: خالد سيف من سيوف الله سله الله علي الكافرين، وقد انتشر هذا اللقب بعد ذلك في الفتوحات حتي سال احد قادة الفرس خالدا اذا كان الله قد انزل علي محمد سيفا أعطاه لخالد وهو ما يبين الأثر الشديد لسمعته في قلوب الفرس والروم بعد ذلك.

١٢) نتائج المعركة:

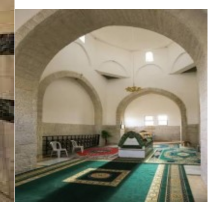
أولا: النصر ام الهزيمة: ان معيار تقييم أي معركة عسكرية هو بمدي تحقق اهداف كل طرف فيها ، وبالنسبة لجيش مؤتة فقد ارسل – لا لإفناء جيش العدو – بل لتحقيق الانتقام والردع لقتل الرسول صلي الله عليه

وسلم ولإثبات قوة المسلمين وقدرتهم علي الرد، وقد تحقق هذا الهدف جزئيا اذ اثبتوا انهم قادرين علي مواجهة جيش بيزنطي ضخم والرجوع برأس مرفوعة .
ثانيا: الخسائر في جيش المسلمين: هذا امر استثنائي اذا صحت الروايات التي وردتنا ان عدد قتلي المسلمين ١٢ شهيدا فقط من اصل ٣٠٠٠ مقاتل ، فكيف كان عدد قتلي الروم اذا كان ٣٠٠٠ الا ١٢ علي قيد الحياة مع شدة القتال واجبار الروم علي التراجع .
ان تقييم التاريخ العسكري لمؤتة لا يعتبره هزيمة بقدر ما يعتبره نصرا وهو ما يتفق عليه المحللون العسكريون اليوم.



موقع معركة مؤتة التاريخية





بالاعلي قبر الصحابي) عبد الله بن رواحة (وبالاسفل ضريح يضم شهداء من معركة مؤتة بينهم قبر جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم جميعا

نقض الحديبية

لقد علمنا ان صلح الحديبية الذي تم في العام السادس الهجري قد نص في بنوده علي حق دخول القبائل العربية في أي من الحلفين – حلف قريش وحلف المسلمين – وقد انضمت (بنو خزاعة) الي حلف النبي بينما انضمت (بنو بكر) الي حلف قريش، والحلف في عرف العرب قديما هو ما يمكن تسميته بلغة عصرنا (باتفاق الدفاع المشترك) بمعني ان أي اعتداء علي احد اطراف الحلف يستوجب اعلان الحرب من قبل حليفه علي المعتدي.

٢) ليلة الوطيس: اغارت بنو بكر علي خزاعة في موضع يسمي (الوطيس) قرب مكة والاشد من ذلك ان قريشا امدت بني بكر بالسلاح سرا وشارك بعض رجالها في الغارة متنكرين في الظلام وكأنه كان امرا معدا قاصدا نقض اتفاق الحديبية .

قتل من بنو خزاعة في هذا الاعتداء بين عشرين وثلاثين رجلا وقد اعتبر ذلك انتهاكا صارخا لاتفاق الحديبية الذي نص علي هدنة عشر سنوات بين المسلمين وقريش لا يعتدي احدهم فيها علي الاخر ، وبالتالي اخترقت قريش اثنان من بنود الاتفاق ، الأول عدم الاعتداء علي المسلمين والثاني تفعيل بند الدفاع المشترك ضدهم بسبب اعانة بنو بكر علي خزاعة.

٣) ما زاد الامر سوءا هو فرار من نجا من خزاعة الي الكعبة ملتجئين بحرمة المسجد وهو امر كان معروف عند العرب فكانت الكعبة مكانا يحرم فيه القتال بالمرة ولو كان الملتجئ من الأعداء ، لكن بنو بكر لاحقوهم وقتلوهم في الحرم خارقين قانون مكة والعرب (قانون دولي) بانتهاكهم حرمة المكان المقدس .

٤) وصل (عمرو بن سالم الخزاعي) الي المدينة مسرعا يستغيث بالنبي وانشد ابياتا من الشعر فسمعها النبي وسمعها المسلمون وردد النبي قائلا: نصرت يا عمرو بن سالم

ثم رأي الغيم في السماء فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب.

٥) حين ادركت قريش خطورة ما فعلت وان النبي قد يتحرك بجيش نحو مكة الي المدينة ، ارسلوا (أبو سفيان) الي المدينة لتجديد الصلح او تمديده ، وقد دخل أبو سفيان المدينة مباشرة الي بيت ابنته (ام حبيبة) زوجة النبي وقد وجد منها معاملة جافة وقد ظهر عليها التحول الشديد بعد الإسلام ورفضت ان تتوسط له عند النبي ، فخرج الي ابي بكر فاعتذر ورفض التوسط ، ثم عمد الي عمر بن الخطاب الذي كان احب اليه ان يقتله ،فرفض بغضب، ثم ذهب أخيرا الي علي بن ابي طالب ولم يجبه أيضا ولما لم يجد فائدة ركب ورجع الي مكة خائبا وهو يعلم بحنكته ان امر قريش قد بات الي زوال.

□فتح مكة ٦٣٠م

يعتبر فتح مكة هو تتويج لمسيرة الإسلام واكتمال لقوته وغاية كل مسلم هاجر وترك اهله وماله ووطنه الحبيب وانتصارا علي الكفر ونهاية لعصر الوثنية وعبادة الاصنام في جزيرة العرب ، وبداية لانتشار الإسلام في العالم كله ، وتطهيرا لقبلة المسلمين وبيت الله الحرام من نجس الشرك.

١) تجهيز الجيش:

أولا: بدأ النبي بتجهيز الجيش في شعبان ٨ هجرية مع إخفاء الوجهة وكان الكتمان مقصودا ومحكما لضمان عنصر المفاجأة ورغم ان قريش كانت تتوقع ان يتخذ النبي قرارا حاسما مثل قرار الحرب الا انهم لم يتوقعوا ضخامة الجيش ومهابته.

كان القصد من ذلك هو تضليل عيون قريش التي كانت تنتظر خروج المسلمين ، فاذا كانوا يعلمون بقدومهم الا انهم علي الأقل لا يعرفون متي وأين يخرج الجيش الإسلامي من المدينة وهذا ما قصده النبي،

خرج النبي علي رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل – متفق عليه في اغلب المصادر – وهو معادل تقريبا لجيش الأحزاب الذي خرج منذ سنوات قليلة جدا يحاصر المسلمين وهم قلة. ويعتبر ذلك اكبر جيش إسلامي حتي هذا الوقت،

ثانيا: قيادة الجيش كانت كالتالي:

الوسط: بقيادة (أبو عبيدة ابن الجراح) وكان جيش المهاجرين

الجناح: الأول : الاوس بقيادة (اسيد بن خضير)

الجناح الثاني: الخزرج بقيادة (الحباب بن المنذر)

المقدمة: بنو سليم بقيادة (خالد بن الوليد) وكانت المرة الاولي التي يعين فيها رسميا .

الأطراف: قبائل اخري عليهم قادة متعددين

الراية الكبرى: (سعد بن عبادة)

٢) خرج الجيش في شهر رمضان وكانوا صياما من مكة الي منطقة (كديد) وهي عين جارية تبعد من مكة ٨٦ ميلا ثم وصلوا الي (ظهران) وقد عرض لهم في الطريق كثير من زعماء القبائل فاسلموا منهم (أبو سفيان بن الحارث) اخو الرسول صلي الله عليه وسلم من الرضاعة و (عبد الله بن امية بن المغيرة) .

٣)موقف أبو سفيان:

كان اكثر من يشعر بالضغط النفسي من بين قريش كلها هو أبو سفيان الزعيم المحنك وقائد قريش في احد والأحزاب وغيرها والذي كان يأبي الهزيمة ، ولكنه ليس متهورا ويقيس الأمور ويزنها بعقله ، فحين علم باقتراب

الجيش من مكة خرج مع (العباس بن عبد المطلب) الي النبي بعد ان اقنعه العباس ان يطلب من النبي الصلح والدخول بلا قتال اذ كان واضحا ان قتال جيش المسلمين اصبح مستحيلا في هذه المرحلة وقد علمنا ان صناديد قريش وفرسانهم قد اسلموا وأصبحت قريش في موضع ضعف شديد وأي مقاومة سوف تعد انتحارا ورأي أبو سفيان ان الاستسلام هو افضل حل.

ومضوا حتي نزلوا علي رسول الله فاشار النبي الي العباس ان يأخذ أبو سفيان الي خيمته ويقابله في اليوم الثاني ، وخلال هذا اليوم كان العباس يريد ان يري أبو سفيان قوة الجيش الإسلامي وقد كان معظم الجنود ملثمين مما يبعث الرعب في القلب حتي ان النبي مر بجواره دون ان يميزه وقال أبو سفيان : والله لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم كبيرا فال له العباس، ويحك، انها النبوة .

ولما دخل علي النبي أخيرا قال له :ويحك يا أبا سفيان الم يان لك ان تعلم انه لا اله الا الله؟ فقال له: بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك، اما هذه ففي نفسي منها شيء واري لو كان معه اله غيره لقد اغني عني شيئا . ونطق بالشهادتين. وروي ان أبا سفيان كان يفكر في هذا الوقت قبل عرضه علي النبي ان يجمع له جمعا ويقاتله ففوجئ بيد النبي تضرب علي كتفه قائلا: اذا يخزيك الله وهو ما حكاه أبو سفيان بنفسه لاحقا من الأمور التي جعلته يوقن بنبوة محمد.

ثم صرح له النبي بالأمان لمن دخل الكعبة او لزم بيته او دخل بيت ابي سفيان –كان النبي يريد ان يعطيه شيئا يرضي به كبرياءه ويبقي له من الرفعة – فعاد الي مكة وخطب في الناس قائلا:

يا معشر قريش قد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به فمن دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن. وهنا حسم الامر واصبح الاستسلام رسميا.

٤) التخطيط العسكري للفتح:

أولا: مكة محاطة بجبال من كل جهة ، (جبل ابي قبيس) شرقا وجبل (قيقعان) غربا وجبل (هندي) شمالا و المنخفضات جنوبا وهذه التضاريس تجعل الدخول من محور واحد سهل الدفاع عنه وصعب الاختراق، ولذلك قرر النبي تقسيم الجيش علي أربعة محاور:

الأول الشمال الغربي : بقيادة (الزبير بن العوام) من اعلي مكة عبر ثنية (كداء) وهي التلة الشمالية المشرفة علي المدينة وهو يتجه مباشرة الي المسجد الحرام والكعبة .

الثاني: الجنوب (الكدي) بقيادة خالد بن الوليد علي رأس المهاجرين واسلم وغفار وسليم، من اسفل مكة عبر ثنية كدي الجنوبية – هذا المحور قابل المقاومة الوحيدة يوم الفتح كما سيلي.

الثالث: الشرق بقيادة (أبو عبيدة بن الجراح) من الجهة الشرقية عبر بطن الوادي ، لتأمين الجانب الشرقي ومنع أي فرار نحو الطائف ونجد

الرابع: الشمال الشرقي: بقيادة (قيس بن سعد بن عبادة)-نزعت القيادة من سعد بن عبادة بعدما قال مقولته الشهيرة (اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة) – من جهة الحجون الشمالية الشرقية.
ثانيا: اصدر النبي قبل الدخول توجيهات صارمة وردت عند ابن اسحق وابن سعد:
لا يقتل الا من قاتل ، ثم استثني النبي عدد من المشركين بالاسم وقال يقتلوا ولو تعلقوا باستار الكعبة وسيرد، وقد اباح النبي لخزاعة ان تثأر من بنو بكر في اليوم الأول من الفتح حتي العصر.
٥) المقاومة الوحيدة:
تجمع عدد من قريش في المحور الجنوبي لمقاومة دخول خالد وكان علي رأسهم:
صفوان بن امية ، عكرمة بن ابي جهل ، سهيل بن عمرو وهم من الأسماء الكبيرة التي بقيت علي الشرك حتي هذه اللحظة والمفارقة انهم جميعا كانوا أصدقاء مقربين من خالد بن الوليد.
اشتبك معهم جيش خالد عند (الخندمة) وهو جبل في جنوب مكة وكانت المواجهة قصيرة لكنها حقيقية ، وقد قتل رجلان من المسلمين وقتل نحو اثني عشر من قريش وفر الباقين وعلي راسهم الثلاثة المذكورين فقد فر صفوان وعكرمة الي البحر واختبأ سهيل في بيته.
حين وصل خالد الي الكعبة حيث كان النبي قال له : قضي الله خيرا وكان امر الله قدرا مقدورا.
٦) الدخول التاريخي للنبي:
دخل النبي مكة من ثنية (كداء) الشمالية يوم ٢٠ رمضان ٨ هجرية علي ناقته القصواء، وعليه خوذة الحرب ورأسه منحن تواضعا لله ، وكان يردد : انا فتحنا لك فتحا مبينا
ولم يكن في وجهه شيئا من الكبر او الانتصار،
طاف النبي بالكعبة سبعا علي ناقته وكان بالكعبة ٣٦٠ صنما فاخذ النبي قضيبا وجعل يطعن كل صنم وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا. وكان كل صنم يطعن يقع علي وجهة
ثم طلب النبي من عثمان بن طلحة الحجبي –حارس الكعبة الذي اسلم في صفر ٨ هجرية مفتاح الكعبة ، ففتح النبي الباب ودخل ، وقد رأي المسلمون داخل ال كعبة صورا وتماثيل فامر بمحو كل الصور وكانت تمثل ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام يستقسمان بالأزلام ، ثم اعطي النبي المفتاح ل(عبد الله بن طلحة) وقال له: خذوها يا بني ابي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم، وهذا قرار تاريخي بالإبقاء علي السدانة في أهلها وبقيت فيهم حتي اليوم.
خطبة الفتح الكبرى:
وقف النبي علي باب الكعبة والناس مجتمعون مسلمين ومشركين واهل مكة فخطب فيهم قائلا:
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده،
يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم ؟

قالوا: خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء،
وهي الكلمة التي كان لها اثر استراتيجي بعيد المدي فقد دخل الإسلام معظم اهل مكة من قريش بعدها واصبح ابناءهم من كبار القادة في الفتوحات الإسلامية لاحقا.
واثر هذا العفو تم إبقاء هل مكة علي أراضيهم واموالهم ولم تؤخذ منهم جزية ولا خراج لقدسية مكة فلم تعامل معاملة الأراضي المفتوحة .
وعين النبي (عتاب بن اسيد) واليا علي مكة وهو شاب ذكي من قريش لم يتجاوز الخامسة والعشرين ، وابقي (معاذ بن جبل) يعلم الناس الإسلام والقرآن.
٧) المهدر دمهم:
امر النبي بقتل عدد محدد بالاسم من المشركين وقال ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهو اذان بإلغاء هذه العادة والحرمة وهم:
عكرمة بن ابي جهل: هو ابن عمرو بن هشام زعيم المشركين الأول ، وكان من اشد القادة عداء للإسلام ، وقاد المقاومة الوحيدة في فتح مكة كما ذكرنا ، وقد فر الي اليمن بعد مقاومة خالد ثم جاءت زوجته الي النبي تشفع فيه فعفي عنه النبي ولحقته زوجته واعادته فقدم علي النبي واسلم.
هبار بن الأسود: روع زينب بنت النبي وكانت في مكة لم تهاجر في البداية فتسبب في اجهاض حملها ، وقد عفا عنه النبي بعد قدومه مسلما.
عبد الله بن سعد بن ابي السرح: كان مسلما ثم ارتد عن الإسلام ونزل بمكة وادعي انه كان يملي علي النبي القرآن وكان يقنع الناس بكذب النبي ، شفع له عثمان بن عفان واسلم بعد ذلك.
مقيس بن ضبابة: قتل رجلا من الأنصار غدرا بعد ان اخذ ديته ، ادركوه وقتل
عبد الله بن خطل: ارتد وقتل خادمه المسلم وكان يتغنى بهجاء النبي ، قتل وهو متعلق بأستار الكعبة
قينتان مغنيتان: كانتا تتغنيان بهجاء النبي فقتلت احداهما واسلمت الأخرى وعفي عنها.

٨) هدم الاصنام:
ارسل النبي لهدم الاصنام الكبرى خارج الحرم
فارسل (خالد بن الوليد) الي (نخلة) لهدم العزي التي كانت تعظمها مضر
وارسل (عمرو بن العاص) الي هزيل لهدم سواع
وارسل (سعد بن زيد الاشهلي) الي صنم مناة بالمشلل – ناحية قديد قرب مكة

٩) بعد فتح مكة تحولت راية الشرك من قريش الي (هوازن) و (ثقيف) اللاتي سارعت لملء الفراغ وتعبئة العرب المشركين ضد الإسلام وقد كان الجولة التالية في حنين والطائف بعد ذلك.

□غزوة حنين (شوال ٨ هجرية)

تعتبر غزوة حنين اكبر معركة برية خاضها المسلمون في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم من حيث عدد المقاتلين وشدة القتال وصعوبته وقد وقعت بعد أسابيع من فتح مكة وقبل ان يشرع النبي بالعودة اتلي المدينة .

١) المقدمات:

بعد دوي خبر فتح مكة في الجزيرة العربية وسقوط قريش كقوة مهيمنة وسقوط مركز ديني وتجاري مثل مكة في أيدي المسلمين ، لم تنتظر اكبر قبيلتين في منطقة الحجاز وما جاورها وهما (هوازن) و(ثقيف) ان ينزل الجيش الإسلامي عليهما بعد سقوط مكة الا وقد قرروا بسرعة المبادرة لتدمير الجيش الإسلامي وشن هجوم ساحق قبل ان يتوطد نفوذهم اكثر من ذلك،

ظلت هوازن تجمع لقتال المسلمين حتي قبل فتح مكة بمدة طويلة فلم يكن من الصعب جمع جيش ضخم في مدة قصيرة ،وتقرر نهائيا غزو المسلمين في مكة.

٢) جيش التحالف:

كانت قيادة الجيش العامة بيد شاب لم يتجاوز الثلاثين هو (مالك بن عوف الانصاري) وقد سلك مسلكا استراتيجيا جريئا بل متهورا اذ قرر ان تسوق القبائل مع الجيش النساء والأطفال والأموال والانعام حتي لا يفكر مقاتل في الفرار خشية علي ذويه ، وقد عارضه في هذا رجل كان يعتبر اسطورة قيادية في العرب وهو (دريد بن الصمة) المعمر القائد من بني جشم وقد تجاوز المائة عام وذهب بصره وقد اصطحبوه معهم لمشورته العسكرية،

انضمت الي الجيش قبائل متعددة ، هوازن بفروعها (نصر و جشم و سعد وبنو بكر وهلال) و(ثقيف) التي أسهمت بجزء من مقاتليها رغم ان بعض مصادرها الداخلية اشارت الي تردد في القيادة .

بلغ اجمالي عدد جيوش التحالف عددا يعتبر كسرا للرقم القياسي لجيش الأحزاب وجيش والمسلمين في فتح مكة فقد بلغ في رواية ابن اسحق ٢٠٠٠٠ عشرون الف مقاتل ، منهم ٤٠٠٠ من ثقيف

كان القائد العام هو (مالك بن عوف الانصاري) وشيخ المشورة هو (دريد بن الصمة) وقائد ثقيف (قارب بن الأسود) وكان حامل راية هوازن هو (أبو جرول) .

٢) جيش المسلمين:

عندما علم النبي بتجهيز التحالف بعث عينا ليتأكد من الخبر فرجع بتاكيده وان عددهم كبير جدا فنادي في قومه لجمع الجيش فاجتمع له جيش من مسلمي المدينة الذين جاءوا لفتح مكة بالإضافة الي كثيرين من مكة بعد الفتح كانوا اول مرة يقاتلون في صفوف المسلمين .

بلغ اجمالي جيش المسلمين ١٢٠٠٠ اثناعشر الف مقاتل عشرة كانوا هم الفاتحين واثنان انضموا اليهم من مكة بعد لفتح وكانوا وفقا للروايات الراجحة كالاتي:

المهاجرون والانصار:٨٠٠٠ بقيادة (علي بن ابي طالب/المهاجرين) و (الحباب بن المنذر /الاوس) و (اسيد بن حضير/الخزرج)

قبائل مسلمة اخري: ٢٠٠٠

الطلقاء من قريش: ١٤٠٠

طلقاء من قبائل اخري: ٦٠٠

وقد استعار النبي من (صفوان بن امية) وكان لا يزال علي الشرك ١٠٠ درع وما يقابلها من سلاح وكان صفوان خرج مع الجيش ، وقد خرج أيضا (أبو سفيان بن حرب) وابنه (معاوية بن ابي سفيان) و (حكيم بن حزام) و(سهيل بن عمرو) وقد اسلموا حديثا.

كانت قيادة وتقسيم الجيش كالتالي:

القيادة العامة للرسول وكان في مؤخرة الجيش نسبيا عند دخول الوادي علي بغلته ومعه قلة من الثابتين.

المقدمة (الطليعة) بقيادة (خالد بن الوليد).

القلب: خلف الجيش مباشرة وفيه معظم الجيش

٣) حنين – الجغرافيا:

يقع وادي حنين بين مكة والطائف ويبعد حوالي ٢٠ كم شرقا باتجاه الطائف والمنطقة ضمن الحجاز غرب الجزيرة العربية ، ووادي دنين هو واد ضيق نسبيا يسمح بالكمائن بسهولة ومحاط بمرتفعات من الجبال والتلال تحيط به من الجانبين وتوفر مواقع مثالية للرماة والمختبئين ، والجيش الداخل من جهة مكة سينزل فجأة الي الوادي في انحدار مفاجئ وهذا يجعل الجيش مكشوفا وفاقدا للتماسك في البداية ، كذلك فان بعض الأشجار والصخور ساعدت علي الاختباء واستخدمها جيش هوازن كستار.

٤) خطة هوازن :
وضع مالك بن عوف الجيش صفوفا ، الخيل في الامام ومن ورائها المشاة ثم جعل من ورائهم النساء فوق الابل ومن وراء ذلك كله البقر والغنم ثم امر الناس ان يتجاوزوا الي قمم حنين وعند مضيق الوادي ، وكانت خطته انه اذا نزل المسلمون بالوادي شدوا عليهم شدة رجل واحد فتضعضعت صفوفهم ويفقدون السيطرة .
قسم جيش التحالف كالتالي:
الرماة كانوا علي مرتفعات حنين الجانبية خلف الصخور والأشجار مختبئين ودورهم اطلاق السهام علي الجيش حين دخوله عبر الوادي بين الجبلين وخلق صدمة نفسية وفوضي.
القوات الرئيسية خلف الرماة في عمق الوادي مستعدين للهجوم بعد بدء الفوضى في جيش المسلمين.
احتياطي ومعسكر الخلف: النساء والأموال خلف الجيش كما علمنا.
٥) تحرك المسلمين الي الفخ:
خرج النبي من مكة في السادس من شوال سنة ٨ هجرية الي جنوب وادي حنين وقد سلك طريق (التنعيم) ثم مضي نحو الجنوب الشرقي ، وقد اعجب المسلمون بعددهم اذ لم ير العرب جيشا مثله من قبل وقال الناس : لن نغلب اليوم من قلة
وصل الجيش الي وادي حنين ووقف علي مقربة استعدادا للدخول في الفجر وهوازن تكمن في الشعاب .
في الفجر بدأ دخول جيش المسلمين الي الوادي الضيق ثم انهالت عليهم السهام من كل جانب وقد بدأ بالفعل اضطراب شديد وتراجع الي الخلف في فوضي عارمة وبقي النبي ثابتا مع نفر قليل، واخذ ينادي : انا النبي لا كذب، انا بن عبد المطلب . وعاد المقاتلون الهاربون.
كان الجو شديد الحرارة علي رؤوس المسلمين بينما اختبأ الأعداء بين الأشجار فوق المرتفعات وكان غبار الرمال الساخنة يحجب الرؤية ويحرق الوجوه والانوف وكان هذا النهار شديد البأس علي المسلمين الذين امطرتهم النبال من فوقهم .وفر الطلقاء والاعراب وبقي من بقي مع النبي من الثابتين.
لما حاولوا جمع شتاتهم ودخلوا وعبرت الطليعة المضيق بالفعل وجدوا امامهم جيش هوازن ينقض من الامام ومن الجانبين وكانت الطليعة بقيادة خالد بن الوليد ، وللأسف انكسرت الطليعة وانهارت المقدمة وتداعي الناس علي بعضهم في ضيق الوادي وقد ثبت مع النبي في وسط هذا الخضم ثمانية اشخاص يحوطونه ويحمونه ابرزهم:
العباس بن عبد المطلب
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : ابن عمه
علي بن ابي طالب
أيمن بن عبيد

وقد نزل قوله تعالي :(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثن انزل الله سكينته علي رسوله وعلي المؤمنين – التوبة).

لقد اعتقد الناس مرة اخري ان الرسول صلي الله عليه وسلم قد قتل في هذا الفخ وانهارت معنوياتهم فاخذ العباس ينادي ان الرسول صلي الله عليه وسلم حي واخذ ينادي علي اهل بيعة الرضوان وعلي الأنصار وعلي المهاجرين فلما سمعوا النداء بدأ الناس يتجمعون مرة اخري كتلة واحدة ويقاتلون صائحين : لبيك ، لبيك. فقال النبي: الان حمي الوطيس ، شاهت الوجوه ، انهزموا ورب محمد.

وقد اشتد قتال المسلمين وبدأت الأمور تتقلب.

٦) التحول الي النصر:

بدأ الجيش الإسلامي بالضغط علي التحالف وبدأ الجيش بالتراجع امام ضغط المسلمين حتي في نقطة ما بدأوا بالفرار تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم علي الجمال والابل وهو ما حذر منه (دريد بن الصمة) من قبل فكانت الخسارة لا توصف.

امر النبي بتعقب الفارين حتي لا يعودوا للاجتماع والتكتل مرة اخري ومنعهم من قتل النساء والذراري

روي ان عدد السبايا في هذه المعركة نحو الستة آلاف من النساء والذراري واموالا طائلة ، قدرت في بعض الروايات :

٢٤ الف بعير و ٤٠ الف شاة و ٤٠٠٠ اوقية من الفضة

٧) تعقب الفارين:

فرت هوازن بعد الهزيمة الي الجبال والأودية وتحصن (مالك بن عوف) بالطائف بينما تحصن اخرون (باوطاس) وهو واد بين الطائف وحنين وعسكر (بنو غيرة) في (نخلة) بين سبواحة والشرائع وقد ارسل النبي سرايا خلف من هرب الي (نخلة) وارسل (أبو عامر الاشعري) الي اوطاس فقاتلهم وقتل (دريد بن الصمة) . والأكثرية من الهاربين تحصنوا بالطائف.

حصار الطائف

١) تمتاز الطائف بموقعها الجبلي واسوارها العالية وحصونها المنيعة ولا يوجد منفذ اليها سوي أبوابها الضخمة التي أغلقت في وجه جيش المسلمين.

والطائف بقيت مدينة العداء والبغض للنبي منذ ان طردوه منها شر طردة عندما قدم اليهم من سنوات قليلة وحيدا يدعوهم الي الله وقد عاد اليهم اليوم باثنا عشر مقاتل مستعدين للموت في سبيل دعوته ودونه ،

كان في الطائف ما يكفي من طعام ومؤن لحصار سنة كاملة ولديها من وسائل الدفاع ما يجعلها منيعة مستعصية علي الفتح.

٢)وصل جيش المسلمين الي الطائف في العشرين من شوال وكانت لازالت السرايا التي أرسلت الي نخلة واوطاس لم تنضم الي الجيش الأساسي ، وقد ضرب الجيش الحصار عليهم لمدة بضع عشر يوما في ارجح الروايات.

سلك جيش المسلمون الطريق القديم الذي يدخل الطائف من ناحية الجنوب فمروا علي (نخلة لأيمانة) ثم (قر المنازل) ٨٠ كم من مكة، ثم وصلوا قريبا من حصون الطائف وكانوا قريب من سهام هوازن فأصيب منهم ثم تحولوا الي موضع اخر هو المقام فيه اليوم مسجد (عبد الله بن عباس) وكان القتال قد بدأ بتراشق النبال من الطرفين ، وقد استخدم المسلمون الة من الخشب المغلف بالجلود مستديرة ليحتموا من السهام وظيفتها ثقب الاسوار (ram)تسمي الدبابة فالقت عليها ثقيف من فوق الاسوار قطع حديد محماة فأحرقتها وهي اول غزوة يستخدم فيها المسلمون الات حديثة لضرب الحصون وبدأوا كذل بضربها بالمنجنيق – عرفوه من فتح خيبر كما ذكرنا وبدأوا بصناعته – وقد صمدت ثقيف في حصونها بقوة وقد استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا بينما قتل من الطائف ثلاثة فقط.

٣) لم يكن القصد من حصار لاطائف هو الفتح والغزو بل كسر شوكة هوازن وثقيف وردعهم حتي لا يعودون الي قتال المسلمين مرة اخري وقد رأي النبي امتناع الحصون وانهاك جيش المسلمين من قتال حنين الشديد والمرهق فلم يرد ان يشق عليهم اكثر من ذلك فامر بالانسحاب وفك الحصار . ثم عادوا الي الجعرانة حيث تكمن غنائم هوازن الخرافية والتي لم يتم توزيعها بعد.

٤)توزيع الغنائم:

انتظر النبي اثنا عشر ليلة قبل توزيع الغنائم املا ان تنزل عليه هوازن وثقيف مسلمين متفاوضين فلم يكن ما يهم الرسول صلي الله عليه وسلم هو النصر او الغنيمة بل ما يهمه هو نشر دعوة السلام وتنفيذ رسالته في الدنيا بإدخال اكبر عدد من الناس في دين الله قبل ان يموت وتنتهي رسالته.

لقد تم توزيع غنائم حنين بطريقة مختلفة وقد اعتبرت (فيء) وكما ذكرنا انه يوزع وفقا لما يراه النبي وليس مثل غنائم القتال التي تخمس ثم يوزع الباقي بالتساوي،

لقد اعطي النبي الجزء الأكبر للطلقاء (المعفي عنهم من قريش وليسوا جميعا مسلمين) والاعراب تأليفا لقلوبهم رغبة في جزبهم للإسلام ، وكان يعطي كل منهم عطاءا جزيلا فقد اعطي مائة من الابل لكل من (سهيل بن عمرو) و (حكيم بن حزام) و (صفوان بن ثابت) و(أبو سفيان بن حرب) واسلموا جميعا وكانوا نصرا للإسلام

بعد ذلك في فتوحات البلدان ، وقال (صفوان بن امية) :لقد اعطاني رسول الله ما اعطاني وكان ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتي انه لاحب الناس الي.
لقد بلغ الأنصار الحزن لما رأوا النبي يبدي حدثاء العهد بالإسلام والمشركين عنهم في العطاء وقالوا : يعطي قريشا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فعلم النبي بحزنهم فجمعهم في قبة وقال لهم:
ان قريشا حديثي عهد بجاهلية ومصيبة فاردت ان اتالفهم واجبرهم ،اما ترضون ان يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الي بيوتكم ، لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار.
وقد كان هذا عندهم خير من الدنيا بما فيها ، ان يأخذ الناس أموالا وغنائم ويأخذ الأنصار النبي معهم الي المدينة يعيش وسطهم يرونه كل يوم حتي يموت ، ولم يكن متوقعا ان يعود النبي الي المدينة بعد فتح مكة وقد ظنوا انه سيبقي في مسقط راسه ولن يعود الي المدينة ابدا.
فقال الأنصار : رضينا برسول الله قسما وحظا.
) وفد هوازن والسبايا:
لقد حدث ما كان النبي ينتظره ويريده ، وفدت من هوازن يريدون الإسلام ويسالون النبي رد السبايا والأموال ليهم فخيرهم النبي بين السبي والمال فاختاروا السبي ’ فاستأذن النبي المسلمين في رد السبي الي هوازن وانهم جاءوا يعلنون اسلامهم فرده المسلمين عن طيب خاطر كرامة لرسول الله.
وسال النبي عن (مالك بن عوف) زعيمهم فقالوا انه متحصن بالطائف ، فاخبرهم النبي انه سيرد اليه اهله اذا هو جاءه مسلما ، وبعد ذلك جاء بالفعل وقد اسلم وحسن اسلامه واكرمه النبي وامره علي قومه وبعض القبائل المجاورة الأخرى.
واسلم بعد ذلك من الطائف زعماء كبيرين مثل (عروة بن مسعود الثقفي) الذي لحق بالنبي قبل وصوله للمدينة واسلم وعاد الي الطائف يدعو قومه للإسلام فأصابوه بسهام ودفن مع شهداء حصار الطائف، وقد قدم وفد من الطائف بعد غزوة تبوك واعلنوا اسلامهم وقد انتشر الإسلام أخيرا وبدا يتسع فيها .



موقع وميدان معركة) حنين (ويظهر فيه وادي حنين والمضيق الذي حوصر فيه المسلمين



بقايا حصن الطائف قرب مكة



وفاة زينب

وكان في اخر العام الثامن الهجري فقد توفت زينب بنت النبي وزوجة (بو العاص) في ذي الحجة وغسلها النبي وزوجاته وحزن عليها حزنا شديدا.

□العام التاسع الهجري ٦٣١م

وفد ثقيف وإسلام الطائف (رجب ، هجرية)

بعد حصار الطائف الفاشل في أواخر العام الثامن وانسحاب النبي دون فتح ظل اهل الطائف علي شركهم اشهرا، ثم تحولت موازين القوي تدريجيا في شبه الجزيرة حتي قرر زعماء ثقيف ارسال وفد للتفاوض مع النبي لأنهم توقعوا عودة الجيش الإسلامي اليهم بعد حين لأنهاء ما لم يتم انهاءه وغزو الطائف.

قدم الوفد وعلي رأسه (عبد ياليل بن عمرو) مع خمسة اخرين – حسب ابن اسحق، ونزلوا علي (المغيرة بن شعبة) الذي اخبرهم بآداب المجلس النبوي،

عندما اجتمعوا بالنبي طلبوا شروطا من بينها:

الإبقاء علي صنم اللات ثلاث سنوات قبل هدمه والاعفاء من الصلاة وعدم تحطيم الاوثان الأخرى بأيديهم.

وبالطبع رفض النبي الشروط كلها لان الدين لا يقسم ولا يتجزأ غير انه ارسل (أبو سفيان) و (المغيرة) لهدم اللات ، وقد اسلم الوفد في النهاية وارسل معهم (عثمان بن ابي العاص) اميرا علي الطائف وكن اصغرهم سنا .

وفد بني تميم

تواترت الوفود في هذا العام علي النبي بعد ثبوت شوكة وقوة الإسلام في اجزيرة وتحقيق الردع العام وقد بادرت القبائل الي الإسلام طوعا، ومن ابرزهم (بنو تميم) الذين ارسلوا وفدا وصف في قوله تعالي (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون) .

قدم وفد بني تميم ثم نادوا النبي من وراء حجرات ازواجه باعلي أصواتهم وطلبوا مفاخرة ، فأجازها النبي فتقدم (الزبرقان) من بدر بن قيس وشاعرهم (عمرو بن الاهتم) واجابهم النبي ب(ثابت بن قيس) و (حسان بن ثابت) للمبارزة الشعرية ، وبعد المبارزة اقر بنو تميم بتفوق شعراء النبي واسلم بعضهم .

بعثة الي اليمن ونجران

بعث النبي (خالد بن الوليد) الي بني الحارث بن كعب بنجران داعيا لا مقاتلا فاسلموا ثم اتبعه (بعلي بن ابي طالب) ليعلمهم القرآن والفرائض وعاد بوفد منهم الي المدينة.
ثم بعث عليا الي اليمن قاضيا فكان مدخل لإسلام همدان وقبائل اخري.

مسجد ضرار

بني في أواخر السنة التاسعة وقبل الخروج الي تبوك بقليل وكان في منطقة (قباء) بالقرب من المدينة المنورة وقريبا من مسجد قباء الحالي، قام ببناءه المنافقون علي راسهم (عبد الله بن ابي بن سلول) ولم يكن الهدف منه العبادة بل الاضرار بالمسلمين والتفريق بينهم وكان منبر المنافقين في احباط الحشد لغزوة تبوك واصبح مقرا للتامر ضد الإسلام وقد نزل الوحي بأحراقه بعد عودة النبي من تبوك كما سنري.

غزوة تبوك

بعد فتح مكة انهارت المقاومة الداخلية للإسلام في جزيرة العرب وبقيت القوة الوحيدة القادرة علي تهديد الإسلام هي الإمبراطورية البيزنطية واتباعها من العرب.
وقد كشفت معركة مؤتة الخطر الحقيقي لهم من الشمال وخصوصا العرب الموالين للرومان
١) وصلت الي النبي اخبار نقلها الوافدين من الشام بان الامبراطور (هراكليوس) يعد جيشا عظيما في الشام من القبائل العربية التابعة للبيزنطيين (غسان و لخم و جزام و عاملة) تحتشد في البلقاء بالإضافة الي جيش الروم نفسه بهدف ضرب شمال الجزيرة وانهاء دولة الإسلام التي باتت الخطر الوحيد في اعتقاد الروم الذي يهددهم بعد اخضاع الفرس لفترة.
وبدأت الحرب الدعائية للمنافقين في المدينة بزعامة (عبد الله بن ابي بن سلول) وقالوا للناس لا تنفروا في الحر ونزل قوله تعالي (قل جهنم اشد حرا) ومنهم الاعراب الذين كشف الله نفاقهم فقال تعالي (الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله علي رسوله) والاعراب هم من كانوا حول المدينة (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا علي النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم)
٢) لم يجد النبي بدا من اعلان الحشد للحرب للقاء الجيش قبل ان يقضوا علي الدولة الناشئة وعلي الرغم من ان هذا الحدث قد تصاف ان يكون في موسم شديد الحرارة خاصة في ارض الجزيرة الصحراوية القاسية وتصادف

أيضا انه كان عام جدب شحت فيه المحاصيل وكانت المدينة في قحط نسبي وقلة طعام ولكن الموقف كان عصيبا وكان القتال هنا مفروضا علي المسلمين ولا مفر منه.
٣) اتفقت المصادر علي كون جيش تبوك هو اكبر جيش إسلامي خرج مع النبي في حياته وقد بلغ نحو ٣٠٠٠٠ ثلاثين الفا وفي رواية سبعة وعشرين الف.
سمي هذا الجيش بجيش (العسرة) لأنه خرج في شدة الحر وضيق اليد وقال النبي في حديث لاحق ان (عثمان بن عفان) لما جهزه : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم.
كان الوضع الاقتصادي في المدينة شحيحا فامر النبي بالإنفاق في سبيل الله فكانت التبرعات علي النحو التالي:
عثمان بن عفان : ٣٠٠ بعير باحلاسها واقتابها و١٠٠٠ دينار ذهبا وفي رواية انه جهز ثلث الجيش – الترمذي ، مسند احمد
عبد الرحمن بن عوف: ٢٠٠ اوقية فضة – ابن اسحق
أبو بكر الصديق: جاء بماله كله ٤٠٠٠ درهم – أبو داود
عمر بن الخطاب: نصف ماله – أبو داوود
العباس بن عبد المطلب : مال كثير دون تحديد
وقد تبرعت النساء بحليهن وتبرع المسلمون بكثير من الأموال.
وقد جاء (ابي عقيل الانصاري) بصاعين من تمر هو كل ما يملك فضحك المنافقون ونزل فيهم قوله تعالي (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات-التوبة).
أصحاب الاعذار:
اتي رهط من الأنصار يعرفون (بالبكائيين) وهم سبعة رجال يطلبون حملانا (ركوبا) فلم يجدو النبي ما يحملهم عليه وكانوا يريدون القتال معه ولا يوجد من السلاح ما يكفيهم ، فرجعوا وهم يبكون لأنهم لن يساهموا في الغزوة مع النبي وقال تعالي فيهم: ولا علي الذين ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع - التوبة
وهناك اخرون استبقاهم النبي ولم يخرجوا معه بامر منه منهم (علي بن ابي طالب) و (عبد الله بن مكتوم) الذين استحلفهم النبي علي المدينة.
وقد نزل قول الله تعالي حاسما في امر المتباطئين والمتخاذلين عن الخروج في هذه الغزوة : يأيها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الي الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل - التوبة.
المنافقين:

من اشهر ما كشفته غزوة تبوك هم المنافقين والتي استحوذت اخبارهم علي معظم آيات سورة التوبة ، وقد تخلف منهم عدد كبير بأعذار واهية وبالطبع كان علي رأسهم (عبد الله بن ابي بن سلول) الذي تخلف وارجف في المدينة واخذ يثبط الناس عن الخروج ، ومنهم:
ثلاثة من الصحابة لم يكن لهم عذر وهم: (مرارة بن الربيع العامري) و (هلال بن امية الواقفي) و (كعب بن مالك)وهو الراوي وقد نزلت فيهم آيات في التوبة سنذكرها في موضعها.
كان مسجد ضرار هو منبر المنافقين في تفريق المسلمين واحباطهم وكان الهدف منه هو تقسيم جماعة المسلمين علي مسجدين حتي لا يجتمعوا مع الرسول صلي الله عليه وسلم في مسجد واحد وقد طلبوا منه الصلاة فيه كثيرا الا انه رفض وجاء القرآن ليكشف امره بقوله تعالي (لا تقم فيه ابدا لمسجد أسس علي التقوي من اول يوم احق ان تقوم فيه، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين - التوبة)
وفي النهاية تخلف معظم المنافقين عن الغزوة ولكن بقي جزء منهم مع الجيش لإحباطه وتنفيذ الخطة البديلة كما سنري.
٤) تبوك الجغرافيا:
تبوك واحة في شمال الجزيرة العربية تقع اليوم في منطقة تبوك بالمملكة العربية السعودية جنوب الأردن وتبعد من المدينة نحو ٧٠٠ كم شمالا.
ويعتبر موقع استراتيجيا لجيش المسلمين :
فمن ناحية توجد عيون مياة معروفة منذ القدم تكفي لاعاشة جيش كبير مثل جيش تبوك . وكذلك فهي اخر ارض جنوبية (جنوب الأردن) واراضي الغساسنة وهي اقرب نقطة يمكن نزول المسلمين بها دون ان يدخلوا الي نطاق الأراضي الخاضعة للغساسنة وجيشهم ، كما انه سهل منفتح يصلح لتمركز جيش كبير ويصعب نصب الكمائن – كما حدث في حنين.
وتبوك تمثل المثلث الذي تتقاطع فيهم مصالح الغساسنة والانباط والقبائل الموالية للروم والوصول اليها يعني الوقوف علي عتبة الإمبراطورية البيزنطية مباشرة . وهي مسافة محسوبة بحيث لا تكون بعيدة بحيث تستنزف الجيش ولا قريبة بحيث لا ترسل رسالة ردع الي الجيش الغساني المقبل علي غزو المسلمين ، وأخيرا لان الانباء التي أفادت بتحضير الغزو جاءت تحديدا من هذه المنطقة.
٥) جيش المسلمين:
اتفقت المصادر كما قلنا علي انه اكبر جيش خرج مع النبي علي الاطلاق وكان قرابة ٣٠ الف مقاتل وهو الرقم الأكثر شيوعا في المصادر وهو معقول مقارنة بجيش حنين والوفود التي انضمت للمسلمين بعد ذلك فمن المنطقي ان نجد من هوازن وثقيف ومكة زيادة علي الجيش الأصلي .
قيادة الجيش كالتالي:

القيادة العامة : النبي
حامل لواء المهاجرين : أبو بكر الصديق
حامل لواء الأنصار : الحباب بن المنذر
المقدمة (الطليعة) : خالد بن الوليد
راية بني سليم: عباد بن بشر
٦) جيش لروم:
من المفترض ان يتكون الجيش الضخم الذي جاءت النبي اخباره من فيلق بيزنطي واخر غساني وقبائل مسيحية موالية لهم ، وغالبا بقيادة شرحبيل نفسه.
والمشكلة في وصف الجيش المعادي في غزوة تبوك ليس لقلة الروايات التاريخية او لضعفها وانما لان هذا الجيش لم يظهر ابدا ولم ير وهو ما جعل المؤرخين في اضطراب، حيث اصبح من الصعب ان نحدد ان كان هذا الجيش حقيقي ام لا، والحقيقة ان الامر من الناحية التاريخية يحتمل عدة افتراضات :
الأول: كان هناك جيش بالفعل محتشد ولكنه لم يكن ضخما كما حدث في مؤتة واغلب الظن انه كان عربيا خالصا لم يشترك فيه الروم وتركوا العرب تواجه العرب في هذه المعركة بعد ما عرفوا من صعوبة هذه التجربة التي لمسوها في مؤتة ورأي الرومان ان يرموهم بما هم ند لهم كالغساسنة، وعلي ذلك يفترض ان جيشهم كان صغيرا بالمقارنة بجيش المسلمين ، مما يسمح بافتراض انهم تراجعوا لما عرفوا ان الجيش هذه المرة كان عشرة اضعاف جيش مؤتة المتواضع .
ثانيا: كانت انباء وجود جيش من خاطئة من الأساس وهو احتمال مستبعد لان النبي لم يكن ليحرك جيشا بهذا الحجم بناء علي اخبار غير متيقن منها.
٧) وصل جيش المسلمين الي تبوك عبر طريق الحجاز الشامي ومروا بمدائن صالح (ذكرناها بتفصيل في الفصل الخاص بالنبي صالح) ثم الي تبوك وهي مسافة اجمالية نحو ٧٠٠ كم ، وقد ثبت ان النبي نهاهم عن الشرب من ماء المدائن وقد ثبت في البخاري باعلي درجات الثبوت معجزة اخراج الماء من يد النبي ليشرب الجيش وكان ذلك بعد ان منعهم من الشرب من ماء المدائن .
لما وصل النبي الي تبوك ارسل خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارسا الي (دومة الجندل) او الجوف ، لأسر (اكيدر بن عبد الملك الكندي) الحاكم المسيحي الغساني الموالي للبيزنطيين وقد تنبأ النبي واخبر خالدا بمكانه وانه سيجده خرج ليصيد البقر وقد اخبرنا خالد بانه وجده كما وصف النبي بالضبط واسره واحضره الي النبي
فصالحه علي الجزية وخلي سبيله وكانت (دومة الجندل) موقعا استراتيجيا هاما يتحكم في طرق القوافل بين الشام والجزيرة وقد اصبح الان تحت يد المسلمين .

وحدث خلال وجود الجيش بتبوك أيضا ان (يوحنا بن رؤية/يوهانس) حاكم أيلة العقبة اتي النبي في تبوك مصالحا ، فاعطاه النبي كتاب بالأمان مقابل دفع الجزية وهو حاكم مسيحي علي العقبة ، ولحسن الحظ فان وثيقة الصلح المذكورة هي واحدة من اقدم وافضل الوثائق الصريحة المؤكدة اليوم مع اهل الكتاب المسيحيين .
وحدث أيضا صلح مع اهل (جراب) و (اذرح) وهي مناطق جنوب الأردن اليوم.
وهذه الوثائق تعتبر كنز اثري إسلامي تقدم نماذج لعقود الذمة الموثقة .
اذا جاءت وفود وحدثت مصالحات واحداث دبلوماسية كثيرة اثناء وجود الجيش الإسلامي في تبوك لمدة عشرين يوما كاملة ، اما الحدث الرئيسي الذي كان ينتظره الجيش لم يحدث ابدا. فلم يأت جيش الروم ولم يظهر جنود الغساسنة ولم يحدث قتال واغلب الظن كما قلنا ان الجيش انسحب وتراجع .

محاولة اغتيال النبي:

يعتبر الحدث الأبرز في تبوك هو تجرؤ المنافقين الذين خرجوا مع الجيش لتنفيذ مخطط قد حيك بليل اذ فشلوا في تثبيط المسلمين عن الخروج في الجيش فهموا بالخطة البديلة وهي قتل النبي ..
وقد حدث ذلك اثناء عودة الجيش بعد عشرين يوما من تبوك وفي احدي الليالي كان النبي يسير في عقبة (طريق جبلي ضيق) وامر الجيش بالسلوك في بطن الوادي فسلك النبي العقبة ومعه (حذيفة بن اليمان) يقود ناقته و(عمار بن ياسر) يسوقها ، فاذا بركب من المتلثمين المقنعين (نحو اثنا عشر رجل) يسلكون العقبة حوله ، فشعر بهم حذيفة فنبح فيهم فانكشفوا وهربوا مندمجين في الجيش لكيلا يعرفوا، وكان الهدف هو تخويف ناقة النبي حتي تضطرب وتلقيه من فوق المرتفع وهو أسلوب خبيث ،
اخبر النبي (حذيفة بن اليمام) بأسمائهم جميعا وعددهم فقال للنبي : الا تبعث اليهم (أي يقتلهم) فقال النبي: اكره ان يتحدث العرب ان محمدا قاتل بقوم حتي اذا اظفره الله بهم قتلهم.
وقد ثبت ان (حذيفة بن اليمان) قال: اخبرني الرسول صلي الله عليه وسلم بما يكون حتي تقوم الساعة وما تركت شيئا الا سألته عنه الا ان اساله من اصحابي اهل النار – صحيح مسلم
والمؤكد هو اخباره عن أسماء الاثنا عشر رجل والضيف هو اخبار أسماء المنافقين في الجيش كله، وقد عرف ان بعض الصحابة كانوا اذا مات مسلما لم يصلوا عليه الا اذا راول حذيفة يصلي عليه لان المنافق لا يصلي عليه ، وقد ورد ان (عمر بن الخطاب) عندما كان يحتضر اخذ يلح علي حذيفة ان يخبره اذا كان اسمه في الذين اخبر عهنهم النبي فقال لا.
وهذا سبب تسميته بكاتم سر النبي.
وورد أيضا ان النبي اخبر بعض أصحابه وهم في طريق العودة عن اقتراب اجل (عبد الله بن ابي بن سلول) وانه سيموت علي النفاق وقد حدث انه مات بعد عودتهم من تبوك كما سنري.

كانت اهم نتائج الغزوة هي اثبات قوة الإسلام وتحقيق الردع الخارجي وكسر هيبة الغساسنة بل والروم أيضا فالان عرفوا ان للإسلام جيش قوي وضخم قادر علي الوصول الي حدود دولتهم العظيمة واليوم اصبح يحسب له حساب.



موقع معسكر المسلمين في تبوك ومن المحتمل ان تظهر الهضبة التي شهدت محاولة اغتيال النبي علي اليمين

وفاة عبد الله بن ابي بن سلول

كما ذكرنا من قبل، ان هذا الرجل قبل مجيء النبي الي المدينة كان علي وشك ان يتوج ملكا موحدا (مجازا) علي المدينة وكانت الاوس والخزرج قد اجتمعتا عليه فلما جاء النبي هدم كل شيء، واصبح بالتدريج هو الزعيم الأوحد ليس فقط للمدينة بل اصبح اليوم تقريبا زعيم الجزيرة العربية واقوي شخصية فيها ، وقد ترك هذا الامر

جرحا عنده لم يندمل، وقد دخلا لإسلام مضطرا لركوب الموجة والانحناء للتيار ، وكان يعرف لدي الجميع انه هو راس النفاق ولكن اسلامه الظاهر كان يمنع من المساس به، وكان يعتبر اخطر شخصية بعد حيي بن الاخطب والان بعد تنحية اليهود وخطرهم وبعد ان خضعت قبائل الجزيرة وعلي راسها قريش للإسلام اصبح هو العدو الاكبر من الجبهة الداخلية.

مات عبد الله بن ابي بن سلول في ذي القعدة من العام التاسع الهجري بعد أسابيع قليلة من عودة الجيش من تبوك وكان مرضه قد اشتد عليه وهو يري نتائج تبوك ويري آيات التوبة تكشف رجاله تباعا ، ولما احس باقتراب اجله ارسل الي النبي يطلب منه ان يأتيه ، فاتاه النبي وكان عنده ابنه (عبد الله) وكان هذا الرجل (عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول) علي النقيض من والده بل كان قد هم بقتله من قبل في حادث بني المصطلق ومنعه النبي ، فسال الرسول صلي الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفن ابيه فيه وكان معروفا بانه بار بوالده ، لعل الله يراف به فهو يعلم ان ابيه منافق، فأعطاه النبي قميصه.

لما مات ، جاء ابنه عبد الله الي النبي يطلب منه ان يصلي عليه فقام النبي ليصلي عليه فمنعه (عمر بن الخطاب) حتي انه كان يمسك بثياب النبي لكيلا يذهب وقد نزلت من قبل اية تمنع النبي من الصلاة علي المنافقين وهو قوله تعالي: استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم – التوبة) وكانت الآية واضحة في تخيير النبي وليست حاسمة في المنع فرد عليه النبي انه سيستغفر اكثر من سبعين مرة لان ما يهمه هو زيادة عدد المسلمين ولا شيء اخر، فظل عمر يتوسل علي الا يذهب النبي للصلاة الا ان النبي اصر وذهب وصلي عليه.

وبعد انتهاء الصلاة مباشرة نزل قوله تعالي حاسما: ولا تصل علي احد منهم مات ابدا ولا تقم علي قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون – التوبة

الثلاثة الذين خلفوا

قلنا قبل الخروج الي تبوك ان هناك ثلاثة من الصحابة خلفوا ولم يخرجوا مع الجيش ولم يكن لهم عذر وهم :

كعب بن مالك بن ابي كعب الانصاري: وهو شاعر الرسول صلي الله عليه وسلم الكبير مع حسان بن ثابت ، وشهد العقبة وبدر واحد والخندق وسائر المشاهد ، الا تبوك، وكان ميسور الحال ولم يكن له عذر مادي .

مرارة بن الربيع العامري وهو من اهل بدر أيضا ولم يكن له عذر

هلال بن امية الواقفي وهو من بني واقف من الأنصار وقيل انه ضعيف البدن وقت تبوك.

لقد وصف (كعب) بنفسه هذه الحادثة وقال عن نفسه اننه كان يماطل ويتردد في الخروج ثم تخلف في النهاية ولما عاد الجيش من تبوك جاء المخلفون من المدينة وكانوا اكثر من ثمانين رجل يعتذرون للنبي باعذار كاذبة ويحلفون بالله فقبل منهم النبي واستغفر لهم للظاهر وترك سرائرهم لله يحاسبهم بها.

ولما جاءه كعب قال له النبي: ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فاعترف بذنبه ولم يذكر اعذارا للنبي لعلمه انه سيكشف كذبه لو كذب علبه ، فقال النبي: اما هذا فقد صدق قم حتي يقذي الله فيك، وكان هذا هو مصير الثلاثة كلهم لأنه٨م اعترفوا بذنبهم ولم يختلقوا اعذار مثلا لباقين ،وامر النبي المسلمين بمقاطعتهم ، وحكي كعب انه اذا كان يسلم علي النبي لا يعرف اذا كان النبي حرك شفتيه برد السلام ام لا ، وكان النبي اذا اقبل كعب صرف وجهه عنه ، واما الاخران فاقاما في بيوتهما يبكيان، وكان أيضا الصحابة يفعلون مثل ذلك معهم ولا يردون عليهم ،

وبعد أربعين ليلة من المقاطعة امر النبي الثلاثة باعتزال نسائهم كعقوبة إضافية ، ولما تمت الليلة الخمسين من المقاطعة نزل القرآن يحسم امرهم بقوله تعالي: وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتي اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم – التوبة

ويالها من فرحة بعد هذا العقاب النفسي الشديد اذ جاء الفرج من الله بآيات قرانيه وورد ان كعبا قد تبرع بماله كله للمسلمين في سبيل الله فرحا بهذا الخبر،

ولكت اذا كان هذا العقاب الشديد للثلاثة الذين ندموا واعترفوا بذنبهم فما بال أولئك الذين لم يندموا وجاءوا النبي يحلفون بأعذار واهية وقد كشفهم القرآن أيضا بقوله تعالي:

يعتذرون اليكم اذا رجعتم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم – التوبة

وقوله تعالي: يحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون – التوبة

وقوله تعالي: يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضي عن القوم الفاسقين – التوبة

وفود العرب

بعد تبوك انكسر اخر حاجز نفسي امام القبائل في الجزيرة فتوالت الوفود علي المدينة من كل اتجاه حتي سمي العام التاسع بعام الوفود

كانت القبائل العربية تنتظر تراقب هل سيصمد هذا الدين الجديد هل سيتسع ام سينكسر مع الضربات المتتالية والقوي المحيطة به، كان الامل عندهم دائما من الشمال من الروم فهم الاقدر علي كسر شوكة الدولة الجديدة ولكن لما لم يفلح ذلك خصوصا بعد تبوك وما عرف العرب من ان الجيش الرومي او الغساسنة قد خاروا وتراجعوا أمم جيش الإسلام فقد ثبتت الرؤيا اذا ، فالغلبة والمستقبل للإسلام والمسلمين فراحوا يتوافدون يقدمون فروض الطاعة والولاء ويدخلون في دين الله افواجا رغبا ورهبا وهو قوله تعالي في هذه الواقعة: اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا – النصر

وقد فهم أبو بكر وابن عباس من هذه الآيات قرب اجل النبي لقرب إتمام الرسالة وسنبحث هذا لاحقا..

وفد بني عامر بن صعصعة: وفيهم (عامر بن الطفيل) وكان من اشد أعداء الإسلام واشجع فرسان العرب، قدم وعرض علي انبي ان يجعل له الامر من بعده او يجعله علي ولاية اهل الوبر (البادية) وله الحضر – أي يقسم الأرض بين النبي وبينه- فرفض النبي فاراد عامر ان يقتل النبي في المجلس ولكنه خاف وهرب ومات بعدها بالطاعون.

وفد ثقيف: وقد اسلموا في رجب قبيل تبوك كما رأينا

وفد همدان: ارسل النبي عليا الي همدان فاسلموا كلهم في يوم واحد وسجد النبي شكرا لهذا وقال السلام علي همدان

وفد بني فزارة: وفيهم عيينة بن حصن الفزاري الذي سبق ذكره وعداءه للنبي ، اسلم شكليا ولم يرسخ في قلبه حتي ارتد بعد وفاة النبي في حروب الردة واتي به اسير الي ابي بكر

وفد بني حنيفة: وفيهم (مسيلمة الكذاب) الذي قدم الي النبي مع وفده واسلموا ظاهرا لكن مسيلمة ادعي النبوة بعد وفاة النبي ومات في حروب الردة

وفد كندة: فيهم (الاشعث بن قيس) اذلي اسلم ثم ارتد ثم أعاد اسلامه في عهد ابي بكر وتزوج اخته ام فروة

وفد الاشعريين: وفيهم (أبو موسي عليه السلام الاشعري) وقد اسلم قديما وكان في الحبشة لك قدوم قومه رسميا كان في هذا الوقت

الامراء علي الامصار

بعد توسع رقعة الإسلام كان يجب ارسال امراء في البقاع المتفرقة لضمان التزام الناس بالدين وجمع الذكاة وتعليمهم الشريعة فبعث النبي عمالا وقضاة علي المناطق المختلفة:

مكة: عتاب بن اسيد : منذ الفتح

الطائف: عثمان بن اب العاص

البحرين: العلاء بن الحضرمي
عمان: عمرو بن العاص
اليمن : معاذ بن جبل (للقضاء)
اليمن: أبو موسي عليه السلام الاشعري: الامارة
نجران: أبو سفيان بن حرب

حج ابي بكر بالناس
اخر ما حدث في العام التاسع الهجري هو ارسال النبي لابي بكر اميرا علي وفد المسلمين الي مكة لاداء الحج وهو اول حج إسلامي منظم ولم يخرج النبي بنفسه لان المشركين كانوا لا يزالون يطوفون بالبيت عراه وفق عاداتهم الجاهلية وكان لابد من اعلان قطيعة رسمية معهم أولا.
وارسل النبي (علي بن ابي طالب) ليحج عنه وهو اول تشريع لامكانية أداء الحج بالنيابة في الإسلام ، ولما وصل علي الي الحجاج المسلمين ابلغ رسالات قد أرسلها معه النبي وهي قوانين الهية جديدة متعلقة بالحج:

- لا يحج بعد هذا العام مشرك : وقد كان يسمح لهم بالحج قبل ذلك
- -لا يطوف بالبيت عريان
- من كان بينه وبين النبي عهد فعهده الي مدته ومن لا عهد له فاجله الي أربعة اشهر: وهو تطبيقا للاية التي نزلت بهذا قوله تعالي: يأيها الذين امنوا انما المشركين نجس فلا يقربوا المسجد بعد عامهم هذا – التوبة

وكذلك قوله تعالي (فسيحوا في الأرض أربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله – التوبة وكان هذا نهاية وجود الشرك في مكة رسميا وتطهير الحرم للابد وحتي اليوم لا يسمح لغير المسلم دخول الحرم ولا مكة.

وفاة ام كلثوم
وكان كل عام لابد ان يختتم بوفاة بنت من بناته ، فقد توفيت السيدة (ام كلثوم) بنت النبي وزوجة (عثمان ابن عفان) الثانية بعد وفاة زوجته الاولي رقية بنت النبي أيضا وهو حزن فوق حزن، وقد توفيت في شعبان من العام التاسع الهجري بعد تبوك وجلس النبي علي قبرها وعيناه تدمعان والان لم يتبق م بنات النبي الا فاطمة وورد ان النبي قال لعثمان لو كان عندنا ثالثة لزوجناكها .

□العام العاشر الهجري (٦٣٣م)

سرية الي نجران

ارسل النبي سرية بقيادة (خالد بن الوليد) الي بني الحارث في نجران داعيا لا مقاتلا، فدعاهم ثلاثة أيام الي الإسلام فاسلموا دون قتال ثم ارسل اليهم (معاذ بن جبل) معلما وعاد خالد بوفودهم الي المدينة.

اسلام اليمن

كان اليمن اخر الجزيرة العربية اسلاما وكان ذلك كاملا في العام العاشر فقد بعث النبي علي بن ابي طالب قاضيا واميرا علي اليمن وقد اقام العدل فيها واسلمت قبائل اليمن الكبرى :

همدان ومذحج وحمير وارسل الحارث بن عبد كلال واخوه كتابا الي النبي يعلنان اسلامهما فكتب اليهما النبي يثبت لهما حقوقهما ويبين الشرائع .

وفاة ابراهيم عليه السلام

سبق ان علمنا ان النبي تزوج من جاريته المسيحية – اسلمت بعد ذلك – مارية القبطية وقد انجبت له في نهاية العام الثامن ولدا وقد سر به النبي بشدة فكأي رجل كان يتمني الولد ولكن الله كان لديه قضاء وتدبير خاص لا يعلمه الا هو فقد توفي في العام العاشر للهجرة في عمر ستة عشر شهرا في ربيع الأول وحزن النبي لذلك بشدة وقال حديثه الشهير : ان العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم عليه السلام لمحزونون – البخاري

وحدث ان كسفت الشمس يوم وفاة ابراهيم عليه السلام فقال الناس انها كسفت لموته ، فخطب النبي فيهم فقال: ان الشمس والقمر أيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وصلوا حتي تنجلي – متفق عليه

ولحسن الحظ انه يمكننا الان ان نحسب بدقة وقت حدوث هذا الكسوف بالتحديد ،ويعتقد انه كان موافق للسابع والعشرين من يناير عام ٦٣٣م ، ويراعي اختلاف التقويم الهجري عن الميلادي

ودفن ابراهيم عليه السلام بالبقيع وغسله الفضل بن العباس ونزل النبي في قبره بنفسه.

حادثة الوليد بن عقبة

ارسل النبي (الوليد ابن عقبة) جابيا للذكاة الي بني المصطلق فلما سمعوا به خرجوا لاستقباله فرحين فظنهم الوليد خارجين لقتاله فرجع الي المدينة واخبر النبي بانهم ابوا أداء الذكاة ، فهم النبي بغزوهم فانزل الله تعالي: يأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين – الحجرات
ثم ارسل النبي من يتحقق فوجد القوم مسلمين مطيعين

وفد نجران

من اهم احداث هذا العام وفد نجران المسيحي من جنوب الجزيرة وشمال اليمن اليوم ، وكان فيها جالية مسيحية عريقة من بني الحارث بن كعب ولهم تاريخ في التضحية من اجل الدين – يذكر ان أصحاب الاخدود منهم – والوفد كان نحو ستين رجلا جاؤوا النبي بقيادة (السيد امير نجران) و (العاقب رئيسهم الديني) و (أبو حارثة بن علقمة) اسقفهم الكبير وعالمهم ، وقد جرت بينهم وبين النبي مناظرة طويلة في شان عيسي عليه السلام فانزل الله في شانهم قوله تعالي: فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علي الكاذبين – ال عمران
ثم دعا النبي اهل نجران للمباهلة ، وهي ان يجتمع الفريقان ويدعو كل طرف الله ان يهلك الكاذب ، فلما جاء النبي صباح اليوم الذي حددوه جاء يحمل الحسين بن علي ويمسك بيده الأخرى الحسن اخوه وفاطمة تمشي خلفه وعلي معها – وهم اهل النبي – فلما راه اهل نجران مقبلا بهذه الصورة تشاوروا فقال الاسقف أبو حارثة: يا معشر النصارى اني اري وجوها لو سالوا الله ان يزيل جيلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقي علي وجه الأرض نصراني الي يوم القيامة فرفضوا المباهلة وطلبوا الصلح ،
عاهدهم النبي علي دفع الجزية مقابل الحماية الإسلامية الكاملة لهم وكنائسهم واموالهم ولا يغير اسقف ولا راهب من منصبه وكتب لهم كتابا بذلك

تجهيز سرية أسامة بن زيد

في أواخر العام العاشر وقبل موسم الحج، بد أ النبي بتجهيز جيش بقيادة (أسامة بن زيد حارثة) وكان في الثامنة عشر من عمره ، للذهاب نحو البلقاء جنوب الأردن حيث حدثت مؤته – مقتل ابيه زيد بن حارثة ، وسنتحدث عن ذلك في موضعه.

□حجة الوداع

لم يحج النبي كما رأينا في العام التاسع ولا في أي عام الا مرة واحدة فقط في العام العاشر الهجري
١) وفي أواخر هذا العام في ذي الحجة اعلن النبي عن عزمه علي الحج بعد ان تطهر المسجد الحرام من نجس الشرك تماما ، فتجمع الناس في المدينة من كل الامصار حتي لم تتسع لهم كلهم ، فخرج الرسول صلي الله عليه وسلم ومعه الحجاج باعداد مهولة ليشهدوا اول حج مع النبي --واخر حج أيضا- وقدر المؤرخين عدد الحجاج نحو مائة الف ولا نعرف اذا كان الرقم صحيح ام مبالغ فيه وخرجت امهات المؤمنين جميعا ، ووفود من القبائل واهل اليمن مع (معاذ بن جبل) وبالطبع اهل مكة
اهل النبي من ذي الحليفة(ابيار علي اليوم علي بعد ٩ كم من المدينة) وهو ميقات اهل المدينة حتي اليوم – أي المكان الذي يخرجون منه للحج – وهو يلبي ومعه المسلمين : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
ووصل النبي الي (سرف) في اول ذو الحجة واقام ليلة بها ، ودخل مكة في ٤ ذو الحجة من الثنية العليا (كداء)
.
٢) لما دخل النبي المسجد الحرام طاف بالمسجد مباشرة ثم استلم الحجر الأسود وقبله (قال عمر بن الخطاب لولا رأيت النبي يقبله ما قبلته) وطاف سبعة أشواط ثم صلي خلف المقام – مقام ابراهيم عليه السلام – ركعتين ثم سعي بين الصفا والمروة
اقام النبي في مكة من ٤ الي ٨ ذو الحجة أربعة أيام يقصر الصلاة وكان يصلي بالناس في الحرم
٣) التروية: في صبيحة الثامن من ذي الحجة توجه النبي واصحابه الي مني وسمي (يوم التروية) لان الحجاج كانوا يتزودون فيه بالماء لأيام عرفة
فصلي النبي في مني الظهر والعصر والمعرب والعشاء والفجر وبات بها تلك الليلة
٤) عرفة: هذا اعظم أيام الحج واجلها خاصة في هذا العام بالتحديد فما شهد التاريخ حتي اليوم ولم يشهد وقفة عرفة كما حدثت في العام العاشر الهجري.
امر النبي بناقته فرحلت عنه ونزل في بطن الوادي ــوادي عرنة- ثم خطب النبي خطبته الأسطورية بعرفة والتي جمعت أصول الإسلام واركانه كلها وكان الناس يسمعون .
خطبة عرفة تلخصت في التالي:
أولا: حرمة الدماء والأموال والاعراض: ان دماؤكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا

ثانيا: الربا: خطب بتحريم الربا
ثالثا: النساء: فاتقوا الله في النساء ، ثم بين احكام النشوز وسلطة الزوج
رابعا: الكتاب والسنة: تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ابدا ان اعتصمتم به ، كتاب الله وسنة رسوله
خامسا: في المسئولية والحساب: سال النبي الناس : وانتم تسالون عني فما انتم قائلون؟ قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت ، فرفع اصبعه الي السماء وقال : اللهم اشهد ثلاث مرات، وكان ذلك امرا خاصا بالنبي نفسه لأنه علم ان الله سيشهد عليه قومه يوم القيامة هل بلغ الرسالة وادي الأمانة التي ارسله بها الله ولذلك قال اللهم فاشهد.
سادسا: المساواه: لا فضل لعربي علي اعجمي ولا لاحمر علي اسود الا بالتقوي
سابعا: تمام الدين: في كثير من الروايات قيل انه في يوم عرفة نزل قوله تعالي: اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا – المائدة ٣
ولما تلاها النبي علي الناس بكي كثير من الصحابة الكبار ومنهم عمر وأبو بكر ، ولما سئلوا عن سبب بكائهم قالوا ك انه ليس بعد الكمال الا النقصان ، وعلم الصحابة ان إتمام الرسالة وكمال الدين يعني نهاية رسالة النبي ، وبالنسبة للعالم كله نهاية الرسالات الإلهية للابد ونهاية النبوة .
وقف النبي بعرفة عند الصخرات في اسفل جبل الرحمة علي راحلته وكان يذكر الله ويدعو حتي غربت الشمس وجمع بين الظهر والعصر باذان واحد واقامتين.
٦) ليلة العيد:
لما غابت الشمس دفع النبي من عرفة الي المزدلفة فجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير ، وبات هناك ولما صلي الفجر وقف عند المشعر الحرام يذكر الله ثم ذهب الي الجمرة
رمي الرسول صلي الله عليه وسلم جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات ثم نحر الهدي بيده ثم حلق راسه وكان الناس يتنازعون علي اخذ شعر النبي .
خطب النبي خطبة ثانية يوم النحر ثم نزل وطاف بالبيت طواف الإفاضة ثم بات في مني أيام التشريق الثلاثة ورمي الجمرات الثلاث الصغرى والوسطي والكبرى ثم خطب خطبة ثالثة ثم اقام ثلاثة أيام ثم انصرف الي مكة واخر ما فعله النبي كان طواف الوداع وكان هذا اخر عهده بمكة طيلة حياته.

حادثة غدير خم

غدير خم هو موضع بين مكة والمدينة عند الجحفة (ميقات اهل الشام) فيه ماء واشجار يقع عنده تفرق الطرق ، فمن هناك يفترق اهل المدينة عن الشام عن مصر فكل يذهب في طريق مختلف وقد وقف النبي قبل ان يتفرق الناس ثم خطب فيهم خطبة طويلة:

قال : أيها الناس انه لم يكن لنبي ان يعمر اكثر مما عمره الله لي واني اوشك ان ادعي فأجيب .

ثم قال : اذكركم الله في اهل بيتي – رواه مسلم

وقد وضح من هذه الخطبة ان النبي علم باقتراب اجله واوصي الناس باهل بيته من بعده

العام الحادي عشر الهجري (٦٣٣م) – العام الاخير

وصل النبي الي المدينة في ١١ محرم من السنة الحادية عشرة من الهجرة ، وكان ذلك اخر أيام حياته صحيحا قبل بدء المرض.

جيش أسامة

كان قد بدأ النبي بتجهيز الجيش بقيادة أسامة بن زيد قبل خروجه للحج ، فعمد الي استكمال تجهيزه بعد عودته وعسكر الجيش (بالجرف) لكن النبي مرض قبل ان يتحرك الجيش .

وفاة النبي

بدأ المرض في أوائل ربيع الأول من الاعم ١١ هجري ٦٣٤م

١) المرض:

لم يرد في أي من الروايات والصحاح وصف دقيق للمرض الذي أصاب النبي ومات اثره ، ولكن يمكننا جمع الإشارات من الاحاديث والروايات ووضع افتراض قريب لنوع المرض:

أولا: الحمي الشديدة: ثبت ذلك في البخاري ومسلم انه كان يصاب بحمي شديدة جدا ويشتد عليه الوجع وكان يغشي عليه أحيانا من شدة الحرارة

ثانيا: الصداع : فقد ورد انه كان يشتكي من وجع راسه

ثالثا: الضعف العام والاعياء: لم يكن يستطع الخروج للصلاة في الأيام الأخيرة وكان يحمل بين رجلين من شدة التعب ولا يقدر علي المشي

رابعا: الاغماء المتكرر: فكان يغمي عليه عدة مرات ثم يفيق ويطلب ان يصب الماء علي راسه ليتمكن من الخروج للناس

خامسا: التفسير الطبي اليوم لهذه الاعراض يمكن ان يكون :

التهاب شديد بسبب عدوي بكتيرية او فيروسية ، ام حمي جمازية قوية مثل (التيفويد) او تاثير السم الذي وضع له في خيبر قد تأخر وبدا في الظهور،

٢)الأيام الاولي من المرض:

استمر النبي في اول الأيام بالصلاة بالناس رغم الألم الشديد وكان يوصي كثيرا بالصلاة والرفق بالضعفاء وذكر انه أحيانا كان ينطق بصعوبة

٣)الأيام الأشد :

توقف النبي عن الامامة بالصلاة بعد ذلك اذ لم يعد قادر علي الوقوف فامر أبا بكر بالصلاة بالناس وكان يصر علي الا يصلي مكانه احد وهو ما فهم منه استخلاف ابي بكر بعد الرسول صلي الله عليه وسلم.

وورد انه في يوم لم يكن ابي بكر حاضرا فصلي عمر بصوته الجهوري فسمع النبي صوت عمر فغضب اذ لم يكن الامام هو أبو بكر

وفي يوم الاثنين قبل وفاته بيومين، خف عنه الألم قليلا فخرج للمسجد في صلاة الفجر وكان أبو بكر يصلي بالناس فلما رأي النبي أراد ان يتاخر ليؤم النبي بنفسه فاشار النبي اليه ان يبقي وجلس النبي عن يسار ابي بكر وصلي قاعدا وكانت تلك اخر مرة رأي الناس النبي بالمسجد.

٤) الوصايا الأخيرة:

في تلك الأيام اوصي النبي بعدة وصأيا منها:

أولا: لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ثم قال : لا تتخذوا قبري وثنا يعبد – متفق عليه

الثاني: الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم

الثالث: اعتق النبي ما كان في ملكه من الرقيق

الرابع: كان عنده دينار او اثنان فامر بإخراجهما وقال :لا يلقي الله محمد وعنده شيء من الدنيا

الخامس: اوصيكم بالانصار خيرا فانهم كرشي وعيبتي – البخاري

٥) الوفاة:

في صبيحة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري٦٣٣م ، كانت عائشة مسندة النبي اليها وكانت الصلاة قائمة وأبو بكر يؤم الناس وكانت حجرة النبي وعائشة بينها وبين المسجد ستار ، فانكشف الستار فنظر النبي الي صفوف المصلين وكان وجهه كالورقة البيضاء فتبسم ثم رجع الي فراشه،

قالت عائشة رضي الله عنها: ان اخر ما قاله النبي : اللهم الرفيق الأعلى

وكان النبي جالسا بين صدرها وعنقها مستندا اليها وهو يحتضر شديد الاعياء والالم، وقالت عائشة: فلا اكره شدة الموت لاحد بعدما رأيت شدته علي رسول الله – رواه البخاري

وكانت يده في اناء ماء يغسل بها وجهه ويقول : لا اله الا الله ان للموت سكرات – البخاري

وعليا الارجح انه توفي في الضحي من هذا اليوم

٦) صاعقة الخبر:

رغم كل العلامات علي قرب وفاة النبي الا ان المسلمين كانوا يرفضون في داخلهم التصديق بان النبي سيرحل عنهم يوما ، وكان الناس كلما راوه يصلي معهم احسوا بان المرض سيزول وان النبي سيحيا ، والحقيقة ان عمر النبي في الإسلام ٢٣ عاما كان قصير جدا ، خصوص علي أولئك الذين لسلموا متأخرا ، فبالنسبة لهم لم

يشبعوا من صحبة النبي وجواره ورؤيته وسماع صوته والتعلم منه ، وكان احدهم يود لو ان النبي يعيش مثلما عاش نبي الله نوح ن قبل فيستمتع بصحبته اجيالا متتالية ، وكذلك الصحابة الكبار الذين صاحبوا النبي من قبل الهجرة ، لقد وقع خبر الوفاة عليهم كالصاعقة :

خرجت السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي الي الناس بخبر وفاة النبي صارخة تبكي : وا ابتاه ، واصفياة واخليل الرحمن ، ثم انتشر الخبر في المسجد عقب صلاة الفجر ثم تفاوتت ردود الفعل:

عمر بن الخطاب: خرج الي الناس يقول : والله ما مات رسول الله وانما ١ذهب الي ربه كما ذهب موسي عليه السلام الي لقاء ربه واخذ يتوعد من قال بموته

أبو بكر الصديق: جاء من خارج المسجد اذ لم يكن حاضرا وقت الوفاة وكان بمنزله (بالسنح) ودخل علي النبي وكشف عن وجهه ، ثم قبله بين عينيه ثم قال: طبت حيا وميتا يا رسول الله، ثم خرج للناس وصاح فيهم: أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالي : وما محمد الا رسولا قد خلت من قبله الرسل افأين مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم – ال عمران

وقال عمر بن الخطاب لما سمع ذلك: فوالله لكاني لم اسمعها حتي تلاها أبو بكر فعقرت حتي ما تقلني رجلاي فخررت الي الأرض – البخاري

علي بن ابي طالب: كان في البيت ثم جلس وعيناة تذرفان وقال: بابي انت وامي يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم بنقطع بموت غيرك ن النبوة والانباء واخبار السماء . خصصت حتي صرت مسليا عمن سواك، وعممت حتي صار الناس فيك سواء، ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفذنا عليك ماء الشؤون، لكن الذي لا يسلي عنه داء لا دواء له – ابن سعد والبيهقي

عثمان بن عفان: صعق عثمان بالخبر صعقة شديدة وذكر انه لم يستطع الكلام طويلا وكان يقول لاحقا : ما ظننت ان أحدا يموت بعد رسول الله حتي اقرا هذه الآية

أبو عبيدة بن الجراح: كان من الهادئين وهذا طبعه ،

سعد بن عبادة : كان في السقيفة مريضا لا يستطيع القيام وكان مرشح من الأنصار للخلافة كما سيلي

انس بن مالك : قال: ما كان يوم اضوأ ولا أنور من اليوم الذي قدم فيه رسول الله علينا، وما كان يوم اظلم ولا اقبح من اليوم الذي مات فيه – الترمذي

بلال بن رباح: صعق بلال وفقد القدرة علي النطق طويلا وحين طلب منه ان يؤذن بعد الوفاة اذن ثم اذا وصل الي (اشهد ان محمدا رسول الله) انتحب وبكس وبكي الناس اجمعون وبعد ذلك اعتذر عن الاذان وقال : لا اؤذن لاحد بعد رسول الله

وانشد (حسان بن ثابت) شاعر الرسول صلي الله عليه وسلم قصيدته في رثاء النبي وكانت تقطع قلوب الناس وهي ابلغ ما رثي به النبي بعد موته ومنها:

هلموا فابكوا مالكم لا تبكون   من حقت له العبرات والوجد يحمد

اطالت مفارقنا فبكيت احمدا   وكنت لفقده احزن واكمد

٧) التغسيل والتكفين:

غسل النبي وعليه قميصه لم ينزعوه وكان الغاسل (علي بن ابي طالب) و(الفضل بن العباس) و (قثم بن عباس) و (أسامة بن زيد) ومولاه صالح

وكفن في ثلاثة اثواب بيضاء من اليمن ليس فيها قميص ولا عمامة – البخاري ومسلم

٨) الصلاة والدفن : صلي الناس علي النبي افرادا بلا امام لان النبي لا يتقدم عليه امام حتي بعد موته.

اختلف الناس أين يدفن النبي ، وقال أبو بكر: سمعت النبي يقول : ما قبض نبي حتي دفن حيث يقبض – الترمذي وأبو داوود

فحفر له ودفن في موضع فراشه في بيت عائشة ودفنه (علي بن ابي طالب) و(الفضل بن العباس) وقثم ، بعد يومين من وفاته .

٩) توفي الرسول صلي الله عليه وسلم في عمر الثالثة والستين تقريبا بفرق شهور زيادة ونقصان عام ٦٣٤م

الموافق الحادي عشر من الهجرة ، وقد بقي من ابناءه فاطمة فقط والتي توفت بعد وفاة ابيها بستة اشهر فقط وقد ورد ان النبي قد اخبرها بانه سيموت في هذا العام ثم اخبرها انها اول من سيلحق به من اهله وقد حدث.





بالأعلى قبر النبي من الخارج بالمدينة المنورة واسفله يوضح كيف تبدو الحجرة من الداخل

وبوفاة الرسول صلي الله عليه وسلم انتهت الرسالة وانتهت معها كافة الرسالات السماوية فمحمد هو اخر الأنبياء واخر المرسلين وقد تم في عهده دين الله كاملا لا ينقصه شيء ولا يوجد وحي بعد النبي .

اجتماع السقيفة

لقد أصبحت تلك الواقعة سببا في الطعن في الصحابة من الفرق الإسلامية المتأخرة والتي تغالي في التفرقة بين صحابة النبي وكلهم سواء لا يطعن في احدهم بمثقال ذرة من عيب، والحقيقة ان الصحابة وخاصة الكبار والمبشرين بالجنة كان شغلهم وهدفهم الأول هو الإسلام ، ذلك الدين الذي حملوه علي اعناقهم وقاتلوا من اجله وعانوا في بناءه وبناء دولة الإسلام مع النبي طيلة حياتهم ، والان بعد وفاة النبي لا يمكنهم ان يقفوا يشاهدوا تعبهم ينهار .

بينما كان الهاشميون وبعض الصحابة يتولون تغسيل النبي وكفنه اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون في الخلافة، لم يكن هدفهم هو الطمع في ملك الدولة بعد وفاة النبي ، بل كانوا يرون ما لا يراه الباحثين الحديثين اليوم ، لأنهم اعلم باهل الجزيرة والمنافقين والذين دخلوا الإسلام رهبة من الرسول صلي الله عليه وسلم وعرفوا ان هذا العقد سوف ينفرط سريعا بعد دوي خبر وفاة النبي الا اذا كان هناك راس للدولة يجتمع عليه الناس ويدبر الامر لان هذه هي عادة الشعوب اذا تركت بلا راس او مرجعية او حاكم لدولة أصبحت اليوم تحكم الجزيرة العربية كلها تقريبا وخاصة ان هناك جمع للذكاة من الأطراف المترامية ودين بالولاء وجيش متفرق عليهم، وقد اثبتت الأيام القليلة التالية لذلك صحة مخاوفهم اذ ارتد عشرات الآلاف من اركان الجزيرة بعد وفاة النبي.

كان (سعد بن عبادة) مرشح الأنصار وكان مريضا لا يقوي علي الوقوف ولكن لكبر قدره في المدينة اجتمع عليه الأنصار، ولما علم بعض المهاجرين بذلك اسرعوا واصبح الامر مختلفا عليه فقيل من الانصار امير ومن المهاجرين امير، ولما بلغ أبو بكر هذا الامر اسرع وترك النبي والتجهيز – خاصة انه لم يكن من المشاركين في الغسل او الكفن ولم يكن له دور هناك، سرع ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح لان الدولة كانت علي وشك الانقسام.

لما وصل أبو بكر خطب في المجتمعين وذكر فضل الأنصار و فضل المهاجرين وهدأ الأمور،

ثم لما قال احدهم : منا امير ومنكم امير قال عمر بن الخطاب: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد

فمد عمر يده فبايع أبا بكر وقال: من كان يرضي ان يكون اميرا علي قوم فيهم أبو بكر فليتقدم، فاجتمع الناس علي ان اصلحهم للخلافة هو أبو بكر ، ثم بايع أبو عبيدة ثم بايع الموجودين كلهم بلا اختلاف - البخاري



مكان سقيفة بني ساعدة في المدينة محفوظ حتي اليوم كأثر تاريخي

وفاة فاطمة بنت النبي

لابد أولا من استيعاب مكانة السيدة فاطمة الملقبة (بالزهراء) عند رسول الله ، فقد قال النبي فيها : فاطمة سيدة نساء اهل الجنة – البخاري

وقال: فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني – متفق عليه

وقال: احب اهلي الي فاطمة – الترمذي وحسنه

وكان النبي اذا قدم من سفر بدأ بها قبل نساءه

زواجها: تقدم أبو بكر الصديق لخطبة فاطمة فاعتذر النبي وقال: انتظر بها القضاء

ثم جاء عمر بن الخطاب يخطبها ، وكان كل همه هو مصاهرة النبي بأي طريقة ، فاعتذر النبي أيضا،

وقد كان عليا يكن في نفسه رغبته فيها الا انه كان يستحي من النبي ان يطلبها منه ، فلما جاء النبي ليخطبها جلس ولم يتكلم فقال له النبي: ما جاء بك ؟الك حاجة؟

فسكت علي، فقال النبي: جئت تخطب فاطمة؟ فقال نعم ، فقال النبي: هل عندك من شيء تصدقها أياه ؟ قال علي: ما عندي الا درعي الحطمية ولا اجد غيرها ، فقال النبي: انكحتكها علي ما عندك – أبو داود والنسائي واحمد بأسانيد حسنة

ثم استأذنها النبي فسكتت فقال النبي : السكوت إقرار وقد شرعت هنا ان سكوت البكر قبول ضمني للزواج وهو ما يعمل به اليوم

عقد نكاحهما في المدينة في السنة الثانية للهجرة بعد بدر مباشرة وكانت في سن الخامسة عشرة الي السابعة عشرة وكان علي بن ابي طالب قد تجاوز العشرين

أولادها: احفاد النبي والذين انحصرت ذريته الشريفة فيهم حتي اليوم :

الحسن بن علي بن ابي طالب: ولد في رمضان ٣ هجرية وسماه النبي بنفسه وكان اشبه الناس بالنبي ، وقتل بعد مقتل ابيه علي يد الخوارج بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية

الحسين بن علي بن ابي طالب: ولد في ٤ هجرية قال النبي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وقتل في كربلاء في عهد يزيد بن معاوية

زينب بنت علي بن ابي طالب: ولدت في ٦ هجرية و كانت تشبه جدها النبي في الفصاحة والشجاعة وكان لها دور في كربلاء وقاتلت مع الحسين .

ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب: ولدت في ٦ هجرية وتزوجها (عمر بن الخطاب) في خلافته وكان عمرها عشر سنوات وقيل اكثر

وفاتها: لما اشتد بالنبي المرض كانت في بيته دائما فاخبرها النبي انه قد حل اجله وانها اول اهل بيته لحاقا به في الجنة، وبعد وفاة النبي كانت اشد الناس حزنا وقالت عنها عائشة : ما رأيت فاطمة ضاحكة قط بعد وفاة النبي

مرضت فاطمة بعد وفاة النبي بفترة قصيرة وكان مرض جسدي بسبب الحزن الشديد وقيل انه حمي ووجع شديد ولما اقترب موتها اوصت ان يتولى الغسل أسماء بنت عميس – زوجة ابي بكر الصديق وام عائشة، وان تدفن ليلا ثم اوصت علي ان يتزوج بعدها من (امامة بنت زينب) اختها وهو ما فعله علي وقد توفيت هي الأخرى

توفيت فاطمة في ١١ هجرية بعد ستة اشهر من وفاة النبي عن عمر سبع وعشرين عاما ودفنت بالبقيع وهو الراجح عند الفقهاء .

☐ زوجات النبي

اتفق العلماء علي ان أمهات المؤمنين احدي عشرة تزوجهن النبي جميعا لكنه توفي عن تسع علي ذمته.

١) خديجة بنت خويلد بن اسد القرشية: تكبر النبي بنحو خمسة عشر سنة وقد سبق ذكرها بتفصيل

ولدت قبل النبي ولدان وبنت ، وولدت من النبي ستة :

القاسم: مات طفلا

زينب ، رقية ، ام كلثوم، فاطمة

عبد الله : مات طفلا

توفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بثلاث سنوات في عام الحزن ودفنت بالحجون (اعلي مكة)

٢) سودة بنت زمعة بنت قيس العامرية القرشية:

تصغر النبي بعشر سنوات وتزوجها بعد خديجة مباشرة في السنة العاشرة من البعثة وعمرها وقت الزواج ثلاثين عاما وكان عمر النبي خمسين عاما

وكانت متزوجة قبله من (السكران بن عمرو) اخي (سهيل بن عمرو)

لم تنجب من النبي

وكانت سودة بدينة ضخمة الجسم طيبة القلب كثيرة الفكاهة كان النبي يضحك من مزاحها ، ولما كبرت في السن خشيت ان يطلقها النبي فوهبت يومها لعائشة ونزل فيها قوله تعالي: وان امرأه خافت من بعلها نشوزا او اعراضا – النساء

ولم تنجب من النبي ، وتوفيت في اخر خلافة (عمر بن الخطاب) في الخمسين

٣) عائشة بنت ابي بكر الصديق:

ولدت بعد البعثة بأربع سنوات ٦١٤م ، خطبها النبي وعقد عليها في مكة وعمرها ست سنوات، وبني بها (دخل بها) في المدينة وعمرها تسع سنوات في الثانية من الهجرة ،وهذا الرقم ثابت في الصحيحين وقد أصبحت تلك مادة للطعن في الإسلام تارة وفي الصحاح تار اخري والخلاصة ان سن الزواج يختلف من عصر لأخر ومن مكان لأخر ، وفي الإسلام ما يهم هو قدرة البنت علي الزواج بدنيا وعقلا ، وكانت العرب تخطب في هذا السن وتتزوج في التاسعة والعاشرة والثانية عشرة وحتي اليوم يحدث ذلك وتتحمل الزوجة أعباء الحمل والولادة في سن العاشرة ولا يوجد مانع طبي من هذا ولابد ان نفهم ان الدخول بالزوجة في لغة العرب لا يعني بالضرورة العلاقة الجنسية الكاملة التي تنتهي بالإخصاب والحمل ، ولكن يكفي الاستمتاع الجنسي في حدود اذا كانت حالة البنت جسديا وعقليا لا تسمح بالحمل او يوجد مخاطر منها والنبي كان ارحم الناس بزوجاته ولم يكن ليؤذي السيدة عائشة وهي احب زوجاته الي قلبه .

تعتبر السيدة عائشة اكثر الصحابيات رواية للحديث عن النبي فقد روت نحو ٢٢١٠ حديث وكانت تعتبر من فقهاء الامة وكان الصحابة يسالونها عن السنة فتفتيهم .

وورد ان احد المسلمين قال : لو مات النبي لتزوجت عائشة ، فنزل قوله تعالي: وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما- الاحزاب

لم تنجب السيدة عائشة ابدا ، وتوفيت في سنة ٥٧ هجرية عن عمر تجاوز الستين عاما ودفنت بالبقيع

٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب:

ولدت قبل الهجرة بخمس سنوات ٦٠٥م ، وكانت متزوجة قبل النبي من (حنيس بن حذافة السهمي) وشهد بدرا وأصيب فيها وتوفي ، فعرض عمر بن الخطاب علي عثمان ان يتزوجها فاعتذر ثم علي أبو بكر فسكت ولم يجبه ، فحزن عمر بن الخطاب ثم خطبها النبي ففرح عمر وقال : اتزوج خيرا من عثمان ويزوج عثمان خيرا منها – أي ام كلثوم بنت النبي

تزوجها النبي في العام الثالث الهجري وعمرها نحو ثماني عشرة سنة ،وكانت قارئة للقران قوية الشخصية مثل ابيها ، تجادل النبي أحيانا ، وثبت ان النبي طلق*ها ثم راجعها لان جبريل* اخبره انها صوامة قو-امة وانها زوجتك في الجنة – النسائي وصححه الحاكم

لم تنجب حفصة من النبي وتوفيت في عهد معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٤ هجرية في عمر الستين ودفنت بالبقيع

٥) زينب بنت خزيمة:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية. ولدت نحو ٥٩٥م، وقد تزوجت قبل النبي (الطفيل بن الحارث) او (عبيدة بن الحارث) استشهد في بدر

تزوجها النبي في رمضان سنة ٣ هجرية وعمرها نحو الثلاثين وكانت تسمي (بأم المساكين) لكثرة اطعامها المساكين وسخائها

لم تنجب للنبي وتوفيت في العام الرابع الهجري ودفنها النبي بنفسه.

٦)ام سلمة:

هند بنت امية المخزومية ولدت نحو ٥٩٦م كانت متزوج-ة من (ابي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي) أحد السابقين للإسلام هاجرا معا وأصيب في أحد وتوفي،

بعد وفاة زوجها عرض عليها أبو بكر الزواج فرفضت فخطبها النبي فاعتذرت بانها غيور وكبيرة وذات أيتام فقال النبي: اما الغيرة فأدعو الله ان يذهبها واما السن فانا أكبر منك واما الأيتام فعلي الله ورسوله، وتزوجها في شوال سنة ٤ هجرية وتزوجها النبي وربي أولادها وهم : عمر بن ابي سلمة ، زينب بنت ابي سلمة ، درة بنت ابي سلمة ، وقد تربوا في بيت النبي وتعلموا منه مباشرة ،

وقد ورد انها سالت النبي : ما اري النساء يذكرن في القرآن ، فنزل قوله تعالي: ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات..الاحزاب٣٥

ولم تنجب من النبي وكانت من اعقل نساءه واكثرهن رأيا وقد توفيت سنة ٦١ هجرية وعاصرت مقتل الحسين وكانت اخر أمهات المؤمنين وفاة عن عمر ٨٥ عام .

٧) جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار

ابوها الحارث بن ابي ضرار سيد بني المصطلق ،

ولدت نحو ٦٠٨م وكانت متزوجة قبل النبي من (مسافع بن صفوان) فقتل في غزوة بني المصطلق ٦ هجرية ووقعت جويرية في السبي في سهم (ثابت بن قيس) فكاتبته لتف\ي نفسها فجاءت النبي تطلب معونتها فعرض عليها النبي ان يؤدي عنها كتابتها ويتزوجها فقبلت فتزوجها في شعبان ٦ هجرية.

لما تزوجها النبي اعتق الصحابة من في أيديهم من بني المصطلق فاعتق بسبب زواجها نحو مائة منهم وقالت عائشة : فما اعلم امرأه كانت اعظم بركة علي قومها منها.

وواضح ان زواج الرسول صلي الله عليه وسلم منها لم يكن طمعا في الزواج بل كانت اهداف دينية لكسب اسلام بني المصطلق وقد عرفنا كيفية تفكير النبي في حياته فالدعوة وزيادة عدد المسلمين هي اول ما يشغله ويضعه فوق كل شيء

لم تنجب من النبي وتوفيت سنة ٥٠ هجرية عن عمر خمسة وستين عاما ودفنت بالبقيع

٨) ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب الاموية:

هي رملة بنت أبو سفيان ولدت نحو ٥٩٢م

تزوجت قبل النبي من (عبيد الله بن جحش) واسلما معا وهاجرا الي الحبشة ، ثن تنصر زوجها وارتد عن الإسلام ومات نصرانيا فبقيت وحيدة في الحبشة مع ابنها (حبيبة)

ارسل النبي الي النجاشي ملك الحبشة يخطبها ، فزوجها من النبي بالوكالة واصدق عنه اربعمائة دينار وكان الولي في العقد النجاشي نفسه وقيل (عثمان بن عفان) وكان ذلك سنة ٧ هجرية .

كان ابو سفيان لا يزال مشركا في هذا الوقت وكان زواج النبي منها رسالة سياسية وعاطفية وكان هدفه هو ابو سفيان وقريش وفي ذلك قوله تعالي : عسي الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة – الممتحنة

،وقد عرفنا انه بعد نقض قريش وبنو بكر للحديبية وعزم النبي علي غزو مكة جاء ابوها (أبو سفيان) الي بيتها في المدينة يرجوها تتوسط ليقابل النبي ورفضت ثم لم تدعه يجلس علي فراش النبي وقالت : انت مشرك ولا يجلس علي فراش النبي مشرك

لم تنجب من النبي وتوفيت سنة ٤٤ هجرية وقيل ٥٦ ودفنت بالبقيع

٩)صفية بنت حيي بن الاخطب:

هي (صفية بنت الحيي بن الاخطب) ممن بني النضير من نسل هارون عليه السلام، ولدت نحو ٦١٠م ، وتزوجت قبل النبي من (سلام بن مشكم) ثم من (كنانة بن ابي الحقيق) زعيم يهود خيبر الذي قتل في المعركة

وقعت في السبي في خيبر سنة ٧ هجرية فاختارها النبي و اعتقها وتزوجها وجعل صداقها هو عتقها ، واقام بها النبي في طريق العودة ، وقالت بعض نساء النبي لها انت يهودية ابنة يهودي فحزنت واخبرت النبي فقال : قولي لهن : ابي هارون وعمي موسي عليه السلام وزوجي محمد – الترمذي

لم تنجب من النبي وتوفيت سنة ٥٠ ودفنت بالبقيع

وكان زواجه منها أيضا رسالة لليهود .

١٠) ميمونة بنت الحارث:

ميمونة بنت الحارث الهلالية ، خالة ابن عباس وخالة (خالد بن الوليد) ولدت نحو ٥٩٤م ، وتزوجت قبل النبي من (مسعود بن عمرو الثقفي) ففارقها ثم من (ابي رهم بن عبد العزي) فمات .

تزوجها النبي في ذي القعدة سنة ٧ هجرية في عمرة القضاء، بعد التحلل (العدة) وهي اخر من تزوج النبي

لم تنجب من النبي وتوفيت سنة ٥١ هجرية ودفنت في (سرف) .

زينب بنت جحش :

هي زينب بنت جحش بن رئاب الاسدية، ابنة عمة النبي (أمها ميمونة بنت عبد المطلب) ، ولدت نحو ٥٩٠م، تزوجت قبل النبي من (زيد بن حارثة) مولي النبي وابنه بالتبني فلم يستمر الزواج وطلقها زيد .

ثم تزوجها النبي بأمر قراني بعد نزول قوله تعالي: فلما قضي زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون عل المؤمنين حرجا في ازواج ادعيائهم – الأحزاب

وهو تشريع بان زوجة الابن المتبني ليست محرمة وذلك بعد الغاء التبني أصلا. وكانت تفخر وتقول للنبي: زوجك الله إياي من السماء

كانت زينب بنت جحش سخية جدا وقالت عائشة: كانت زينب تعمل بيدها وتتصدق وقالت : ما رأيت امرأه خيرا في الدين من زينب وان كانت تحاربني

وكانت وليمة زواجها هي الاوفر وليمة في ازواج النبي واطعم القوم حتي شبعوا ،

وقد نزلت فيها آيات الاستئذان وحجاب بيوت النبي وهو قوله تعالي: يأيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الي طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا واذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتموهن متاعا فأسالوهن من وراء حجاب – الاحزاب٥٣.

لم تنجب من النبي وتوفيت سنة ٢٠ هجرية في خلافة عمر بن الخطاب وكانت اول أمهات المؤمنين وفاة بعد النبي وقال عمر ينعيها: كانت مباركة علي المساكين، ودفنت بالبقيع وصلي عليها عمر بن الخطاب.

تعدد الزوجات عند النبي

أولا: التعدد : من المهم التحدث قليلا عن تلك المسالة اذ انها سنلاحظ ان النبي قد جمع في نهاية حياته بين تسعة من النساء في وقت واحد رغم ان الإسلام لم يشرع للرجل اكثر من أربعة زوجات في نفس الوقت، ولكن النبي كان له خصوصية – لا للمتعة – وانما لاداء وظائف سياسية ودينية واجتماعية تخدم الدعوة كما سنري ، ومن ناحية اخري فان قدرة الرجل العادي علي العدل المطلق بين أربعة نساء هي من اصعب واشق الأمور عقليا وصحيا فكيف يمكن لرجل عادي ان يجمع بين تسعة في ان واحد، والرسول صلي الله عليه وسلم بشهادة زوجاته بعد ذلك لم يظل أي منهم وكان اعدل الناس في اهل بيته وكان يربي لهم أولادهم الذين ليسوا من صلبه ، وهي من القدرات التي أعطاها الله تعالي للأنبياء – لا لمتعة شخصية – وانما لمهات تخدم رسالتهم

ثانيا: لم يكن زواج النبي من نساءه الإحدى عشر لمتعة شخصية او رغبة منه – الا في زواجه من عائشة بنت ابي بكر – وما عداها كان كله لأهداف سياسية او دينية او اجتماعية كما رأينا ، ويدعم ذلك أيضا ان نساءه كن

جميعا متزوجات قبله مرة او مرتين من الارامل او المطلقات ولم يكن من الصبايا او صغار السن بل اصغرهن سنا كانت في الثلاثين وهو عمر – في عرف العرب قديما – يعد كبيرا اذا علمنا ان النساء كن يتزوجن في العاشرة والثالثة عشر واصغر من ذلك ، كما ان بعضهن كانت معها أولاد وكان علي النبي ان يعيلهم ويربيهم ، فاذا كان النبي يريد تعدد لإشباع شهوة او طمع في النساء فكان من السهل ان يختار من بنات المسلمين الصبايا والفتيات الصغيرات الأشد جمالا وكانت أي منهن تتمني ان تكون زوجة للنبي وأي اسرة تتمني مصاهرته، ولكن اذا تأملنا فأننا سنجد من زوجاته القبيحات وكبيرات السن ،

وأخيرا فان قدسية الأنبياء تمنعنا من الاعتقاد بان النبي كان ينظر لمتعته الشخصية مثلما منعتنا من تصديق رواية التوراة عن داود عليه السلام كما سبق وذكرنا من انه اشتهي زوجة احد جنوده وزنا بها.

ثالثا: قد رأينا ان الله وضع قواعد خاصة بنساء النبي منها انه لا يجوز ان يتزوجن بعده ابدا وهي خاصية تشريفية للنبي فلا يجوز ان يحل مكانه رجل اقل مرتبة دينيا ، ومنها ان نساء النبي يحاسبون علي اخطائهم بالضعف وهو قوله تعالي: يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك علي الله يسيرا - الأحزاب

وكذلك فان جميع زوجات النبي يدخلن في نطاق (ال البيت) وهو ما يغفل عنه كثير من الناس باعتبار ذرية فاطمة واقارب النبي فقط هم اهل البيت، وذلك بقوله تعالي: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا – وهو تكملة لقوله لنساء النبي مخاطبا : وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولي.



مقبرة لزوجات النبي بالبقيع لا يعرف بالتحديد اسماءهم



مقبرتي زوجات النبي) خديجة بنت خويلد (و) ميمونة بنت الحارث

الردة بعد وفاة النبي

من المهم ان نستكمل قصة الإسلام الذي بناة النبي طيلة حياته مع أصحابه ونعرف مصير القبائل التي شهدنا اسلامها معا خلال رحلتنا مع الرسول صلي الله عليه وسلم..

لم تكن الردة التي حدثت بعد وفاة النبي ظاهرة واحدة بل طيفا متعدد الأسباب والدرجات علي النحو التالي:

١) مدعو النبوة:

أولا: الأسود العنسي – اليمن:

هو (عبهلة بن كعب العنسي) من قبيلة عنس من اليمن ادعي النبوة في اخر حياة النبي ١٠ هجرية وفي وقت قصير استطاع ان يستولي علي نجران وصنعاء ومأرب ومعظم اليمن الشمالي وقتل عامل الرسول صلي الله عليه وسلم علي صنعاء واكره زوجته علي الزواج منه والمفارقة انه قتل في نفس الليلة التي مات فيها لنبي

ثانيا: مسيلمة الكذاب – اليمامة:

هو مسيلمة بن حبيب الحنفي من بني حنيفة في اليمامة (نجد الشرقية) ادعي النبوة في حياة النبي وقد جاء في وفد بني حنيفة مع الوفود ولما عاد كتب للنبي : من مسيلمة رسول الله الي محمد رسول الله ، اما بعد فان الأرض بيننا نصفين غير ان قريشا قوم يعتدون

فقال النبي : لو سالني هذه القصبة ما اعطيته أياها وكتب اليه: من محمد رسول الله الي مسيلمة الكذاب – رواه البخاري

وكان مسيلمة بعد وفاة النبي اخطر واقوي زعماء المرتدين وامنت به بنو حنيفة كلهم.

ثالثا: طليحة بن خويلد الاسدي: من بنو اسد ادعي النبوة في حياة النبي وكان قد اسلم أولا ثم ارتد وبعد وفاة النبي انضمت اليه :

بنو اسد ، بنو غطفان ، بنو طئ ، بنو فزارة وقد جمع جيشا كبيرا هاجم به اطراف المدينة

رابعا: سجاح بنت الحارث التميمية: من بني تميم شمال الجزيرة كانت مسيحية قبل ادعاء النبوة ثم ادعتها بعد وفاة النبي مباشرة وجمعت جيشا كبيرا من قبائل تميم وتزوجت من مسيلمة، ومن الطرائف انه جعل مهرها اعفاء قومها من صلاة الفجر والعشاء .

٢) القبائل التي ارتدت بعد النبي غيرهم:

أولا: بنو ذبيان و بنو عبس وبنو مرة – غطفان:

لم يدعوا نبوة بل رفضوا السلطة المركزية ورفضوا الذكاة وكان اسلامهم من البداية هشا فدخلوا الإسلام خوفا لا قناعة.

ثانيا: بنو فزارة – نجد الشمالية:

بزعامة (عيينة بن حصن الفزاري) الذي سبق ذكره في الوفود ، وكان من الذين أعطوا بسخاء من غنائم حنين فاسلم ثم انضم الي (طليحة بن خويلد) لما ادعي النبوة

ثالثا: بنو تميم – شمال الجزيرة وشرقها:

لم يرتدوا كلهم فبعضهم ثبت اما المرتدون كانوا اتباع سجاح وبعضهم منع الذكاة

رابعا: بنو سليم – الحجاز الشمالي ما بين خيبر والمدينة:

رفضوا الذكاة وارجفوا

خامسا: بنو هوازن – الطائف وما جاوره:

لم ترتد كليا لكن بعض البطون فقط

سادسا: قبائل اليمن – الردة الجنوبية:

كانت خليط من بقايا الأسود العنسي من اتباعه ومن بنو كندة من حضرموت وبنو المدجج وقبائل من عمان والبحرين

سابعا: بنو عامر بن صعصعة – نجد الوسطي :

تذبذب اسلامهم منذ البداية وبعضهم اسلم ولكن ولاءهم القبلي كان اقوي

٣) كان هذا كله علي عاتق أبو بكر والصحابة الثابتين والذي بدا واحدة من اعنف الحروب التي شهدتها الجزيرة العربية وأكثرها قوة وهي حروب الردة وقد استطاع أبو بكر – ذلك الرجل رقيق القلب – والذي تحول الي النقيض ان يرجع سطوة الإسلام في الجزيرة العربية ويرد القبائل الي قوة الإسلام وقد ظهرت في هذه الحرب اسطورة (خالد بن الوليد) التي انتقلت بالدولة الإسلامية من مرحلة البقاء في حدود الجزيرة الي الفتوحات

الإسلامية ، ذلك المد الإسلامي الذي لم تقف امامه اقوى امبراطوريتين في هذا الوقت ولمدة الف سنة، فانتهت دولة الفرس الساساني وأصبحت بلاد فارس الوثنية مسلمة ، وتحررت أراضي الشام والعراق من الاحتلال البيزنطي ثم فتحت مصر والقدس، ثم استمرت الفتوحات وانتشر الإسلام في اركان الأرض .

☐ العالم في حياة النبي محمد

١)الإمبراطورية البيزنطية (الرومان الشرقية):

كانت تمتد في ثراقيا ويونان واسيا الصغري الي سوريا وفلسطين ومصر وشمال افريقيا وأجزاء من أيطاليا والبلقان ، لغتها الرسمية هي اليونانية والدين المسيحي (الملكانية /الخلقدونية) وعاصمتها (القسطنطينية) فوق مضيق البسفور.

الحكام البيزنطيين المعاصرين لحياة محمد :

يوستينوس الثاني(٥٦٥-٥٧٨م(: أصيب بالجنون في نهاية حكمه رفع الجزية للفرس فشنوا الحرب .

تيباريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٢م) : يعتبر اصل الحرب مع الفرس

موريكيوس (٥٨٢-٦٠٢) : أعاد الاستقرار للإمبراطورية وساعد (خسرو الثاني) في استعادة عرشه وخلق علاقة دبلوماسية مع الفرس وتم اغتياله لاحقا بانقلاب عسكري

فوكاس (٦٠٢-٦١٠م) : مغتصب العرش كان عهده موسوم بالاضطهاد والقسوة واطيح به واعدم

هركليوس (٦١٠ – ٦٤١م) : اعظم اباطرة هذه الحقبة انقذ الإمبراطورية من الأنهيار الكامل واستعاد سوريا ومصر وفلسطين من الفرس بعد الهزيمة وفي عهده كانت الرسالة الإسلامية بالكامل وشهد فتوحات المسلمين لبلاده وهو متلقي رسالة النبي وهو نفسه الذي خسر في اليرموك.

٢) أوروبا الغربية – الرومان الغربيون:

القسم الثاني من الإمبراطورية الرومانية بعد الانقسام ، وكانت تتألف من عدة ممالك ناشئة شكلت بعد ذلك أوروبا الحالية وهي:

أولا: الفرانك) franks الفرنجة) ٥٠٠-٧٥١م : يسيطرون علي فرنسا وألمانيا ، مسيحيون كاثوليك ، خلفاء (كلوفيس) وهم سلالات ضعيفة لم تصبح دول قوية حتي هذا الوقت

ثانيا: القوط : goths انتهوا ٧١١م ، يحكمون اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا ، مسيحيون عاصمتهم (طليطلة) بينهم حروب داخلية مستمرة

ثالثا: اللومبارد في إيطاليا: ٥٦٨ – ٧٧٤م: يسيطرون علي شمال إيطاليا (روما) تحت نفوذ متزلزل السلطة بابوية (جريجوريوس الأول) .

رابعا: الانجلو ساكسون : القرن ٥ – ١١م : ممالك صغيرة متحاربة وهم النواة التي أصبحت لاحقا (إنجلترا).

٣) الإمبراطورية الساسانية الفارسية:

تعد اخر واعظم امبراطوريات الفرس وحضارات ما بين النهرين بعد (البابلية والاشورية والسومرية) قبل الإسلام ، وتمتد حدودها من سواحل دجلة والفرات شرقا الي أفغانستان واسيا الوسطي ومن القوقاز شمالا الي الخليج جنوبا ، عاصمتها (تيسفون/المدائن) قرب بغداد اليوم ، ديانتهم الزرادشتية مع تسامح محدود لليهود والمسيحيين .

الحكام المعاصرين لحياة النبي :

هرمز الرابع (٥٧٩-٥٩٠م): حكم عسير واجه تمردا من القائد (بهرام تشوبين) وخلع وقتل علي يد ابنه

خسرو الثاني (ابرويز) (٥٩٠ – ٦٢٨م): اعظم ملوك الساسان في هذه الحقبة اجبر علي الفرار أولا ولجا الي هرقل ثم استعاد عرشه بمساعدته ثم شن حربا توسعية واسعة احتل فيها مصر والشام ةفلسطين (غلبت الروم في ادني الأرض)ويعتقد انه متلقي رسالة النبي ، وقتل علي يد ابنه (شيرويه)

قباذ الثاني (شيرويه) (٦٢٨م: حكم اشهر قليلة بعد ان قتل اباه واخوته وابرم سلام مع البيزنطيين ومات بالطاعون

فترة الفوضى (٦٢٨ – ٦٣٢م) : تعاقب خلالها اثنا عشر ملكا بينهم ملكتان وحروب أهلية واضطرابات ،

يزدجر الثالث (٦٣٢ – ٦٥١م) : اخر ملوك الساسان صعد علي العرش في العام الذي توفي فيه النبي وواجه الفتح الإسلامي وتمزقت الإمبراطورية في عهده تطبيقا لدعوة النبي ولقي حتفه بعد هروب متكرر امام تقدم المسلمين .

٤)شبه الجزيرة العربية:

أولا: مكة المكرمة: الحجاز : مدينة تجارية تسيطر عليها قريش ولا تتبع الفرس ولا الروم

ثانيا: الغساسنة (بنو عسان) (٣٠٠ – ٦٣٨م) : الشام واطراف الجزيرة : دولة عميلة للبيزنطيين ، مسيحيين مونوفيزيين ، درع الحدود البيزنطية مع الجزيرة امراءهم (الملك الحارث بن ابي شمر الغساني)

ثالثا: المناذرة (حتي ٦٠٢م): الحيرة (العراق جنوبا) عملاء للفرس الساسانيين وعاصمتهم (الحيرة) اخر ملوكهم (النعمان بن المنذر) قتل علي يد كسرو والغيت المملكة في ٦٠٢م

رابعا: اليمن (٥٧٢ – ٦٢٨م): جنوب الجزيرة تحت حكم الفرس بعد طرد الاحباش ، والي فارسي يديرها (باذان) اسلم عام ٦٢٨م واسلم معه اليمن

خامسا: كندة : نجد وعموم الجزيرة، قبائل مستقلة تنتقل بين الولاءات ، وكانت مملكة ثم تفككت ،

٥)الصين وشرق اسيا:

في عام ٥٧٠ م كانت الصين تعيش نهاية عصر الممالك الشمالية والجنوبية (٣٦٠ عام) من التفتت السياسي كانت تحكم من اسر (سوي بي) الشمالية والجنوبية ثم توحدت في (٥٨١م) ثم اسرة (تانغ) الخالدة ٦١٨م

يانغ جيان ٥٨١ – ٦٠٤م: موحد الصين بعد قرون من التفتت قام بإصلاحات إدارية عميقة وبني نظام حكومي (كيجو) ومؤسس السد الكبير الأول

يانغ كوانغ ٦٠٤ – ٦١٨م : بني القناة الكبرى الأطول في العالم وشن حروبا مدمرة علي كوريا فشلت وحكمه المسرف ادي الي ثورة واغتيل

لي يوان ٦١٨ – ٦٢٦م: مؤسس سلالة تانغ ، تولي السلطة في فترة فوضي وارسي أسس الدولة قبل ان يجبر علي التنازل

تأيزونج – لي شيمين ٦٢٦ – ٦٤٩م: اعظم اباطرة تانغ اخذ العرش بانقلاب علي أخيه ، حكمه اتسم بالعدل والتوسع وقوة الجيش ولقب بالسيد الفضيل

٦) الهند وجنوب اسيا):

أولا: هارشافاردهانا (٦٠٦ – ٦٤٧م) : شمال الهند ، اخر اباطرة الكبار في شمال الهند قبل الإسلام انتصر في معارك عديدة لكنه مني بالهزيمة امام ممالك الدكن الرحالة شيوان تانغ الصيني زاره وكتب عنه

ثانيا: ممالك الغرب التشالوكية ٥٤٣ – ٧٥٣م: الدكن جنوب وسط الهند ، توقفت توسعات (هارشا) جنوبا بسبب هزيمته كما علمنا وازدهرت حضارتهم وفنونهم

ثالثا: مملكة بآلافا : جنوب شرق الهند نشرت ثقافة الهندية الي جنوب شرق اسيا

رابعا: مملكة كمبوديا الخميرية الاولي : جنوب شرق اسيا ، نشاة الحضارة الهندووسية البوذية في كامبوديا وفيتنام والميكونج

٧) افريقيا:

أولا: مملكة اكسوم الحبشية: اثيوبيا واريتريا ، امبراطورية اثيوبية قوية اشهر حكامها (النجاشي) (اصحمة بن ابجر) اجار المسلمين الأوائل واسلم

ثانيا: النوبة (البجة والمقرة والعلوة) : السودان وممالك مسيحية نوبية تقاوم التحولات بقيت مسيحية لقرون بعد الإسلام

٨) اسيا الوسطي والتركية:

أولا: الخاقانية التركية: انقسمت الي الشرقية (منغوليا و سيبيريا) والغربية (اسيا الوسطي وأذربيجان) حول ٥٨٣م ، القوة العسكرية الرحالة الأكبر في اسيا ، الخاقانية الغربية تحالفت أحيانا مع البيزنطيين ضد الفرس ، أفواج

من الترك ستدخل الإسلام لاحقا وستعيد تشكيل تاريخه

ثانيا: الهيفتاليين (الهون البيض) : كانوا قوة كبري قبل هذه الحقبة بحلول ٥٧٠م تراجع نفوذهم كثيرا تحت ضربات الترك والساسان

٩) الأميركتان:

أولا: حضارة المايا الكلاسيكية (٢٥٠ – ٩٠٠م) في ذروة ازدهارها ، مدن عظيمة مثل (تيكال و بالنكي و كوبان)، ازدهر علم الفلك والتقويم والكتابة الهيروغليفية وحرب متواصلة بين المدن

ويعتقد ان (تشيشين أيتزا) قد تم بناءه في هذا القرن

ثانيا: حضارة تيوتيواكان : في المكسيك ، بدأت بالتراجع وكانت عاصمة ضخمة عدد سكانها يتجاوز ١٢٥٠٠٠ نسمة

١٠) جنوب شرق اسيا: مملكة شريويجأيا (سومطرة) تبرز كقوة بحرية هندوسية – بوذية ، الخمير في كامبوديا والممالك الجاوية .

خاتمة الفصل

ان الفصل الأخير في تاريخ الأنبياء يعتبر أيضا الفصل الأخير في قصة النبوة علي الأرض والتي استمرت لأكثر من اثنا عشر الف سنة وانتهت في القرن السابع الميلادي ، مما يعني اننا اليوم ، وبعد الف وأربعمائة عام من هذا الزمن نعيش في اخر ما تبقي من عمر الانسان علي الأرض ، لقد انتهت رسالة السماء الرسمية وانتهي زمن المعلمين وانتهي سرد الشريعة واملائها من السماء الي الأرض، واصبح عبء تبليغ الرسالة واكمال ما بدأه الأنبياء يقع علي البشر العاديين ، فبينما كان الانسان يعتمد علي الأنبياء المرسلين من عند الله والمؤيدين بالمعجزات في نشر الرسالة ، اصبح واجب النشر والتبليغ علي عاتقه اليوم بعد انقطاع الوحي تماما ولذلك ، ومن خلال دراسة

تاريخ الأنبياء رأينا الفرق الكبير بين رسالة الأنبياء جميعا وبين رسالة ومنهج النبي محمد ، والذي كان يمهد البشرية لتحمل عبء التبليغ من بعده لأنه لن يكون هناك رسول او نبي اخر ، ومن هذا المنطلق كان كل نبي يرسل لقومه خاصة في منطقة جغرافية محددة ، وقد يتزامن عدة أنبياء في عدة أماكن كما رأينا (لوط وابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام) ، اما بالنسبة للنبي الأخير فقد كان لزاما ان يكون مرسل للناس كافة ولذلك اتسم منهجه بملامح مختلفة عن باقي الأنبياء واهم هذه الملامح هو القتال من اجل نشر الدين.

☐ هل انتشر الإسلام بحد السيف

لا يمكن تجاوز هذا السؤال الذي مازال يستخدم كطعن ضد الإسلام ، ورغم ان هذا السؤال قد قتل بحثا وتم الرد عليه مرارا الا ان اغفاله في هذا البحث يعد نقصا واضحا ، فاذا كنا قد روينا قصة الأنبياء مترابطين ، ككيان واحد ودين واحد ، فان هذا الدين الذي تبلور في النهاية في قالب واحد هو الإسلام التي اتمه الله في عهد النبي محمد ، هو الذي راح خلفاء الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم يقاتلون ويبذلون دماؤهم من اجل تثبيته وحمايته وفيما يلي نفصل الإجابة علي هذا السؤال من خلال دراسة أسباب الحروب التي بدأت أولا في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم ثم استكملت من بعده ...

١) لقد رأينا من خلال دراسة غزوات الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم والسرايا التي بعثها بنفسه انه لم يكن أي منها بغرض فرض الإسلام بالقوة وذلك يظهر جليا في عدة نقاط:

أولا: غزوة بدر: كانت مفاجأة غير متوقعة من المسلمين حيث قرر أبو جهل التحرك بالجيش لمواجهة جيش المسلمين الذي يبلغ حوالي ثلث جيش الكفار وكان الفناء هو الفرض الحتمي للمسلمين لولا تأييد الله لرسول والمسلمين ولم يكن هناك أي هدف في نشر الإسلام ولكنها معركة سياسية بحتة.

ثانيا: غزوة احد : كان المبادأة من الكفار بقيادة أبو سفيان وكان المسلمين في حالة دفاع وكان الهدف من الحرب الانتقام لخسارتهم في بدر أي هدف سياسي عسكري بحت.

ثالثا: غزوة الخندق: دفاع عن المدينة ضد غزو الأحزاب ولا يمكن بأي حال وصفها بانها كانت من اجل نشر الإسلام .

رابعا: مؤتة: كانت بهدف سياسي بالدرجة الاولي لإثبات موقف من قتل رسول النبي وأي دولة في هذا الزمن وأي زمن كانت ستحشد قواتها للرد علي هذا التصرف لان قتل الرسل يعتبر اعلانا للحرب، ولا يمكن وصف المعركة بانها كانت لنشر الإسلام .

خامسا: جلاء اليهود : ثلاثة غزوات لم يحدث فيها قتال كان الهدف منها واضحا وهو اجلاء اليهود من المدينة بناء علي المعاهدة المكتوبة بينهم وبين المسلمين بعد الهجرة ، ولم يكن الدافع هو اجبارهم علي الإسلام وكان مطلب النبي واضحا من ابلاغهم بالجلاء من المدينة ولم يسلم منهم احد ولم يدخلوا في طاعة المسلمين ولم يدفعوا جزية.

سادسا: خيبر: كانت خيبر اول الغزوات التي تمت بمبادئه من المسلمين بغرض الغزو ، وقد رأينا الهدف من الغزو هو قمع المعارضات والمؤامرات التي كان اليهود وزعمائهم المتحصنين في خيبر يحيكونها ضد المسلمين بدون انقطاع وكان اكبرها تأليب الأحزاب علي المسلمين لغزو المدينة، اذا الهدف من الغزو كان سياسي بالدرجة الاولي لحماية حدود المدينة والقضاء علي اعداءها ولم يطلب المسلمين من اليهود الدخول في الإسلام مقابل فك الحصار .

سابعا: فتح مكة: كان واضح تماما ان فتح مكة والتحرك اليها كان اثر نقض صلح الحديبية والذي نص علي بند الدفاع المشترك بين المسلمين وخزاعة وقد تم الاعتداء عليهم من بنو بكر وقريش ، اذا الهدف سياسي وعسكري ، اما عن دخول المكيين في الإسلام فقد رأينا ان ذلك قد تم طوعا او ربما بناء علي ذكاء وفطنة من النبي الذي اطلق الاسري وعفا عن المكيين حين كان بمقدوره وفقا لقوانين واعراف العرب ان يستولي علي ارض مكة واموال المكيين التي سرقوها من المسلمين ويضرب اعناقهم ، ولكنه استطاع استمالتهم للإسلام بذكاء شديد وليس بالقوة وقد بدا ذلك أيضا في عهد ابي سفيان الذي نص علي ان كل من دخل بيته كان امنا .

ثامنا: حنين وحصار الطائف: أيضا كما رأينا ان غزوة حنين كانت بغرض الدفاع حين حشدت هوازن وثقيف جيشا ضخما لغزو مكة ، اذا الهدف كان دفاعا عسكريا عن الأرض التي تم فتحها وتصرف النبي كقائد سياسي عسكري وليس ديني ولم يطلب منهم ان يسلموا ، وقد رأينا كيف اعطاهم السبايا وهم كثيرين عندما جاءوا يطلبونها بعد الحرب بدون مقابل . اما حصار الطائف فهو استكمال للغزوة وأي قائد عسكري بارع كان سيطارد الفارين من الأعداء ويحاصر الحصن لكسر شوكتهم وضمان عدم تجمعهم ضد الدولة الإسلامية مرة اخري وقد انفك الحصار دون ان يسلموا .

تاسعا: تبوك : كما رأينا فان الهدف كان لملاقاة الجيش البيزنطي الغساني الذي علم المسلمين تحضيره لغزوهم ، أي انها كانت دفاعية بحتة.

٢) حروب الردة:

لقد رأينا كيف انقلب كثير من القبائل العربية التي هي دعامة الإسلام علي اعقابهم بعد وفاة النبي ، وارتد بعضهم تماما بينما منع بعضهم الذكاة واتبع اخرون المتنبئين الكذبة وكانت حروب الردة ضرورة حتمية لا يغفل عنها الا حاكم فاشل او ضعيف واذا تم ترك العقد ينحل لضاع تعب الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم والمسلمين السنوات السابقة كله هباء.

أولا: المتنبئين: لقد قرر السلام مبدأ هو ان محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وان الدين تم واكتمل ولا يجوز ان يضاف اليه او ينقص منه شيء، فاذا ترك المتنبئين واتباعهم فان هذا سيكون اعتداءا صارخا على هذا المبدأ وتدميرا للدين الإسلامي الذي ارتضاه الله، ولذلك كان لزاما ان يتم اسكات هؤلاء الفاسقين الذين تسببوا في اضلال الآلاف من الناس الذين كانوا علي الإسلام راضين به ومطمئنين.

ثانيا: مانعي الذكاة:

الذكاة هي المقابل الإسلامي لنظام الضرائب الحالية ، وهي من ناحية اخري ركن من اركان الإسلام التي لا يقوم بدونها ، وهي فرض شرعه الله وحرم تركه فيكون مانع الذكاة خارج عن الإسلام بأجماع العلماء، ولذلك فان منع أداء الذكاة يعد خرقا للدين الإسلامي من ناحية وخرقا للنظام السياسي والإداري من ناحية اخري لان الذكاة (الضرائب) من أعمدة الاقتصاد في أي دولة واليوم لا يمكن ان تستسلم أي حكومة اذا قررت احدي المدن او المقاطعات التضامن علي عدم دفع الضرائب و قد يصل الامر لإرسال الجيش لإعادتهم الي رشدهم ، فالذكاة هي صورة من صور الانتماء والتبعية السياسية للدولة الإسلامية ومن ناحية اخري هي انتماء للدين والكيان الإسلامي ، ومنع الذكاة سيقطع الامداد المالي الذي تنفق به الدولة علي رعاياها وعلي الجيش وغيرها من مصارف الذكاة ، اذا رفض أداء الذكاة يعتبر انخلاع عن الدولة الإسلامية ومحاولة للخروج عن الجماعة وأي نظام سيادي متماسك سيقاتل الخارجين عن القانون لحفظ تماسك الدولة ولهذا فطن (أبو بكر الصديق) خطورة منع الذكاة قائلا: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الي رسول الله لقاتلتهم عليه،

اذا لا يمكن القول بان الحرب كانت لفرض الإسلام بالقوة بل هي إعادة لم الشمل وتماسك الدولة ليعلم الناس انما الإسلام باق حتي بعد موت النبي.

ثالثا: استخدام الحرب:

من الخطأ الاعتقاد بان الحرب والقوة كانت هي الوسيلة الوحيدة التي اتبعها أبو بكر الصديق، لأنه يحرص علي حرمة دماء المسلمين ، فقد بعث جامعي الذكاة الي المقاطعات والقبائل أولا فرفضوا اداءها اما بحجة موت الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم وانخلاعهم من هذا الركن فقط، واما لأنهم ارتدوا عن الإسلام ككل ، وبعد ذلك ارسل سرايا صغيرة لتحذيرهم من خطورة ما يفعلونه ولما ابوا قرر ان يقاتلهم ، علي الرغم من ان الجيش لم يكن مستعدا للقتال وكان الجيش الأساسي قد خرج بقيادة أسامة بن زيد وقد جهزه الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم قبل موته، اذا كانت الحرب ضرورة حتمية وسريعة رغم عدم الاستعداد،

ومن الناحية الشرعية فقد سقطت حرمة الدم بالردة لان الإسلام يجعل حدا للردة وهو القتل بشروط، وعليه فان أبو بكر قد طبق د الردة وارهب المرتدين وحقق الردع ، لان الحرية في اعتناق الإسلام تكون قبل الدخول فيه ، فلما دخلوا في الإسلام انطبقت عليهم احكامه كافة ومنها عدم جواز الخروج منه .

٣)الفتوحات الإسلامية:

وصلنا الي النقطة الأخطر في هذا المقام وهي الفتوحات الإسلامية داخل وخارج الجزيرة العربية والتي انتهت بإسقاط امبراطورية الفرس الساسانية واقصاء الإمبراطورية البيزنطية من الشرق الأوسط ومصر واعادتهم الي القسطنطينية ولنفصل هذه الحروب..

أولا: الجزيرة العربية:

لم يكن في تخطيط الخلافة الإسلامية (أبو بكر) التحرك نحو الشام والعراق بالجيش خصوصا بعد انهاكه في حرب دموية شديدة في انحاء الجزيرة ، وقد بدا ذلك في خطابه الي (خالد بن الوليد) الذي بدا كأنما يستشيره في ارسال – فقط – من أراد الخروج معه ، اذا لم يؤمر الجيش بالتحرك وانما كان الامر خياريا لهم ، ولنفهم أولا كيف بدأ التحرك الأول ونقطة البداية في الفتوحات ..

بعد انتهاء اخر الحروب ضد المرتدين وكانت في موقعة اليمامة ، استقر الإسلام في الجزيرة العربية وعلمت القبائل ان للإسلام سيف وجيش يدافع عنه ، ثم حدث ان (المثني بن حارثة الشيباني) القائد المسلم الذي كان يؤرق نوم الجيش الفارسي المحتل في اطراف العراق ، ارسل الي أبو بكر الصديق ، يطلب منه الاذن بالإغارة علي حاميات الفرس في العراق حيث وجد نقاط ضعف فيها وقلة ملحوظة من الجنود وكانت فرصته في تحرير ارضه

من الاحتلال الفارسي ، فأذن له أبو بكر ثم ارسل الي خالد بن الوليد ان يرسل من تطوع من الجيش ويكون علي راس حملة لمساعدة المثني،

ثانيا: أسباب الفتح: لقد عرف التاريخ والمؤرخين جيدا كيف يكون الاحتلال الفارسي للبلاد وكيف كان الفرس يفرضون ضرائب باهظة ويعاملون اهل البلاد المحتلة بافظع الوسائل وقد عان بالمسلمين بالأخص من هذه القسوة وقد عرفنا نظرة الفرس للإسلام الوليد فرغم تسامحهم النسبي مع المسيحيين واليهود الا انهم عاملوا المسلمين بشكل مختلف ، وقد عاني الناس اذا في البلاد الخاضعة للاحتلال الفارسي اشد المعاناة ثم جاء الفتح الإسلامي ليرسي قواعد جديدة تماما لم يعهدها التاريخ في الدول التي تم فتحها كما سنري.

اذا كانت الشرارة الاولي في العراق فقد وصل جيش خالد بن الوليد وبدأت اسطورة القائد الذي لا يهزم وقد تم تطهير العراق من الوجود الفارسي بعد ان خسروا معركة تلو الأخرى

ثم رأي المسلمون كيف اصبح الجيش الإسلامي قوة لا يستهان بها وقد دخل الناس في الإسلام افواجا وانضموا الي الجيش كتحد ورغبة في اسقاط الاحتلال الفارسي خصوصا بعد المعاملة التي لاقوها علي يد المسلمين الفاتحين والتي حفزت الكثير علي الدخول في هذا الدين . فانطلقوا يحررون الجزيرة من البيزنطيين والذين لم يكونوا مختلفين عن الفرس في ممارستهم ضد البلاد المحتلة وخاصة في فرضهم للدين المسيحي بمذهب الإمبراطورية حتي علي البلاد التي كانت تدين أساسا بالمسيحية ، وما كانوا يقومون به من اضطهاد للمسلمين خاصة ،

ثالثا: ان الرد الأقوى علي من يقول ان الإسلام انتشر بحد السيف يكمن في الكيفية التي تعامل بها المسلمون مع البلاد التي خضعت لهم ، ويتضح ذلك في المبدأ الذي قرره الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم عندما جهز جيش مؤتة حين قال : اغزو بسم الله وفي سبيل الله ، ثم منعهم من قتل كبار السن والنساء والأطفال وحتي الرجال غير المسلحين وأولئك الذي لزموا بيوتهم لا يقاتلون المسلمين ، ثم حتي بعد الفتح يقوم القائد الفاتح بإعطاء المدينة الخاضعة له عهدا بالحفاظ علي سلامتهم واراضيهم واموالهم ونساءهم علي ان يدفعوا الجزية ويظلوا علي اديانهم أيا كان ، ولحسن الحظ فقد بقت الوثيقة الشهيرة المسماة (بالعهدة العمرية) التي تضمنت تعهد وكتاب من (عمر بن الخطاب) في خلافته عند فتح القدس سلما وقد ارتضي البطاركة تسليمها للمسلمين طوعا وقد تعهدوا لهم في المقابل بالحفاظ علي كنائسهم واراضيهم وعدم التدخل في تعيين او عزل رجال الدين المسيحي بل وحماية المدينة عسكريا وكل ذلك مقابل دفع الجزية التي هي جزء ضئيل بالمقارنة بالضرائب التي كان يفرضها الرومان عليهم من قبل .

ثم رأينا بعد ذلك كيف تم فتح مصر ، وقد اعترف البطاركة المسيحيين بعد ذلك بما فعله (عمرو بن العاص) معهم وقد ساعدوا المسيحيون المسلمون في الدخول والتغلب علي الاحتلال البيزنطي القاسي الذي كان يفرض مذهبا مسيحيا علي اهل مصر وكانت الكنيسة المصرية (الإسكندرية) دائما علي خلاف وصراع دائم مع الإمبراطورية حتي انهم كانوا يقتلون ويحبسون الرهبان وقد خلعوا البطرق (بنيامين) بطرك الإسكندرية ونفوه في الصحراء ، فأعاده عمرو بن العاص واعطاه جميع كنائسه واعطاه حرية الدين وكيفية أداء الطقوس وتعيين رجال الدين ، ووضعت مصر تحت حماية الجيش الإسلامي واسقطت عنهم الضرائب الا الجزية فقط ، ثم امر عمرو بن العاص بترميم الكنائس التي كانت موجودة قبل الفتح .

وهذا المنهج قد تم اتباعه من قبل في كافة المدن الخاضعة للمسلمين وهو نفسه الذي جعلهم يفضلوا الدخول في الإسلام وتحمل اعباءه والقتال في صفوف المسلمين رغم ان نظام الجزية يجعلهم غير ملزمين بالقتال في الجيش بل ان مبلغ الجزية اقل بكثير من مقدار الذكاة المفروض فرضا علي المسلمين .

٤) الفتوحات الإسلامية لم تكن حربا من اجل اجبار الناس علي الدخول في الإسلام بل كانت دفاعا عن حدود الدولة الإسلامية من تهديد الفرس والروم الذي قد بدأت بوادره أولا في مؤتة ثم في تبوك وكان معلوما ان الدولتين عندما يستقر الصراع بينهما سيوجهون وجوههم نحو دولة المسلمين التي باتت تهديدا صريحا علي حدودهم ، فالفتوحات الإسلامية اذا تعتبر هدفا سياسيا لتأمين الدولة الناشئة ضد امبراطوريتين عظيمتين قد تنقضا عليهم في أي وقت.

والفتوحات الإسلامية أيضا كانت نشرا للدين الإسلامي ولكن ليس بالقوة بل بافساح الطريق الذي كان مغلقا امام الدين ليدخل وينتشر داخل هذه البلاد التي كانت حكومات الاحتلال تضيق عليه تمنعه، وقد بدا ذلك جليا من سرعة انتشار الإسلام ودخول المسلمين حديثي العهد بالإسلام في الجيش الإسلامي والمخاطرة بحياتهم من اجله فكيف يمكن تصور هذا اذا كانوا قد دخلوا الإسلام كرها بالقوة.

٥) ان الجهاد ونشر الإسلام يعتبر فرض ديني بمقتضي القرآن ، لان الشعوب التي علي الوثنية او المسيحية المحرفة ستضغط علي شعوبها وتضيق عليهم حتي لا يتركوا الدين الرسمي للإمبراطورية وعلي ذلك سيمنعون أي محاولة لنشر الإسلام.

٦) وأخيرا فان الدليل الأقوى علي ان الإسلام انتشر بالسلام وليس بالقوة هو وجود الآلاف من العائلات المسيحية خاصة في مصر والشام والقدس والتي تمتد أصولها الي ما قبل ظهور الإسلام لازالت تعيش علي ارضها

وتمتع بحرية ممارسة المسيحية وتمررها الي الأجيال التالية بحرية تامة ولو كان الإسلام جبرا لقطع نسل هؤلاء ولاندثرت المسيحية من هذه البلاد خلال الف وأربعمائة عام ولكن وصول ذرية هذه العائلات الي اليوم يعد دليلا قويا علي انهم تركوا ودينهم لم يتدخل فيه احد ، كذلك فان عدد الكنائس التي كانت موجودة في هذه البلاد وقت الفتح الإسلامي مقارنة بعدد الكنائس الموجودة اليوم لهو خير دليل علي عدم قمع اهل المسيحية وتركهم يبنون كنائسهم وتزداد اعدادهم.

وأخيرا نذكر فضل الفتح الإسلامي في انقاذ المذهب الأرثوذكسي (الكنيسة القبطية) والذي كان يعاني اضطهاد شديد وتنكيل بدعاته ورجال الدين الأرثوذكس من قبل الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تمارس سياسة لفرض ونشر عقيدتها المخالفة للكنيسة القبطية ولما جاء الفتح الإسلامي أوقف هذه السياسة وترك الكنيسة تنظم مذاهبها كما تشاء ومن ثم انتشرت الطائفة الارثوذكسية بحرية في مصر وهي موجودة حتي الان وأصبحت لها حرية تامة بلا تضييق ولولا هذا الفتح كلان من الممكن مع الوقت ان يتم تحجيمها حتي تندثر.

خاتمة الكتاب

رسالة الله في الأرض

لقد كان لله تعالي منهجا ونظاما في الأرض قد تم وضعه وصياغته قبل ادم وقبل ظهور اول انسان عاقل لديه القدرة علي فهم وتقبل الدين والعبادة في ابسط صورها ، هذا النظام الدين الذي اخذ يتبلور عبر عشرات الآلاف من السنين وربما اكثر ، فنحن لا نعرف بالتحديد متي بدأ الاعداد الإلهي للإنسان لتقبل الدين بمعني الامر والنهي والطقوس والصلاة ومعرفة الخالق والخضوع له وعبادته، وطالما ان الانسان عرف في كافة العصور وعلي اختلاف الزمان والمكان ان لهذا الكون اله واحد ، فهذه الفطرة التي فطر الانسان عليها وترسخت في عقله الباطن حتي لو حاول انكارها متمردا ، الا ان الانسان طالما عرف بفطرته ان الاله واحد ولو رمز اليه بعدة اشكال من الآلهة الا اننا نجد في جميع الديانات القديمة رمزا واشارة الي اله اكبر واحد لا ند له، فهكذا هي الفطرة وهكذا هو المنطق السليم.

لقد شرع الله نظاما وشريعة متكاملة واحدة ، واعلمها للإنسان علي مراحل طويلة ، فبدأ بأنبياء – رسل من عنده – لإعادة البشر الي فطرتهم كلما انحرفوا عنها وتركوا الاله الحقيقي وعبدوا الرموز الفرعية ، وقد اصبح ذلك مرضا عالميا لصيقا بالنفس البشرية لقرون وقرون وسيظل كذلك مهما بلغ الانسان من التقدم العلمي ومهما اتسع عقله ، ولذلك لم يكن رسول واحد ليكفي ، فالرسل بشر تعيش ثم تموت ثم يمحي اثرها وتنسي تعاليمهم مع الوقت وان بقيت ذكراهم كأساطير موروثة تمت الإضافة اليها والمحو كما حدث في (قوائم الملوك) .

ثم تقرر انزال اول الشرائع البسيطة التي تتضمن تعاليم محددة ، افعل ولا تفعل ، حتي يتعلم الانسان الالتزام ، ولو انزلت الشريعة كاملة دفعة واحدة لما التزم بها احد .

وقد أراد الله للشريعة ان تنزل بالتدريج لان كل عصر له معطياته وملامحه وكان لابد ان تواكب تلك الشريعة معطيات كل عصر ، ولذلك انزلت صحف ابراهيم عليه السلام ثم الواح موسي عليه السلام ثم زبور داود ثم

تعاليم عيسي ثم آيات القرآن الكريم ومن هنا نفهم قوله تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم) فالدين الذي بدأ منذ آلاف السنين بأول نبي – ادم او من كان قبله – تم واكتمل في رسالة محمد بنزول اخر آيات القرآن الكريم .

عندما يقول تعالي (ان الدين عند الله الإسلام) وعندما نقرا قوله تعالي (ما كان ابراهيم عليه السلام يهوديا او نصرانيا بل كان حنيفا مسلما) فماذا يعني الإسلام ، وكيف كان ابراهيم عليه السلام مسلما اذا كان الإسلام انزل بعده بآلاف السنين ، الحقيقة ان فهم حقيقة الدين عند الله هو المفتاح لحل هذا الاشكال، فالإسلام هو الاسم الذي سمي به الدين الكلي او الشريعة الكاملة التي وضعها الله منذ البداية وقبل خلق ادم ، فالإسلام هو الدين الذي نزل علي مراحل كثيرة وقد جاء كل رسول ليضع عدة احجار إضافية في هذا البناء ، فجاء موسي عليه السلام بالوصايا العشر التي لم تمح من الدين بعد ذلك لا في عهد المسيح الذي قال (ما جئت لانقض الناموس بل اكمله) والذي اضاف احجارا علي البناء ، ثم جاء محمد ليكتمل في عهده البناء ويوضع لأول مرة في قالب واحد مكتوب ومقروء بلفظه ومعناه من عند الخالق نفسه ، وعليه بصمته.

فاذا رجعنا الي شريعة موسي عليه السلام سنجد ان موسي عليه السلام نفسه لم يصف شريعته باليهودية ولا غيرها ولكن هذا الوصف جاء متأخرا ربما بعد سليمان عليه السلام، واذا رجعنا الي عهد عيسي سنجد ان لفظ (المسيحية) او (النصرانية) او الصليبية لم يكن مستخدم ولم يقل انه جاء بدين جديد كما رأينا بل جاء ليكمل القديم ، اما لفظ الإسلام فقد استخدم لأول مرة في عهد النبي محمد لأنه الوصف الوحيد الذي وصف به الدين الكامل وربما كان هذا هو المسمى الذي استخدمه الأنبياء من قبل بلغاتهم المختلفة. ومن هنا نفهم كيف كان ابراهيم عليه السلام مسلما ، لأنه كان يتبع نفس البناء ونفس الدين قبل ان يكتمل من بعده علي مراحل ،

اذا لا يوجد ديانات سماوية كما يقال ، انما دين واحد ، من أجزاء كثيرة ، فالتوراة جزء والانجيل جزء والقرآن هو الجامع الشامل لهما والذي اكمل النواقص فيهما واخرج لنا المنتج النهائي الذي وجب اتباعه.

وهناك خلط شائع ، او ربما مغالطة ، حول قوله تعالي (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا والنصارى والصابئين مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخر وَعَمِلَ صالحا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فيدعي البعض ان كل هؤلاء مقبول منهم يوم القيامة اذا جاءوا الله نصاري فقط او يهود فقط ، ولكن الحقيقة هي ان الآية تتحدث عن اتباع كل دين في العصر الذي نزل فيه، فاتباع موسي عليه السلام في الفترة ما بينه وبين عيسي قد نجوا واتبعوا الدين الصحيح (الإسلام) واتباع عيسي المسيح في الفترة حتي بعثة النبي محمد قد نجوا أيضا وهم (مسلمون) وفقا لما عاصروه من البناء ، اما ببعثة النبي قد اصبح الإسلام هو الدين الوحيد المقبول (ومن يبتغ

غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) لان كل انسان واجب عليه اتباع اخر تحديث من الدين ويكون علي ذلك (مسلما) وهو ما يفسر قوله تعالي : ووصي ابراهيم عليه السلام بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

فمات اسحق ويعقوب اذا علي الإسلام وفقا لأخر تحديث عاصروه.

القرآن

وقد تمثل كمال الدين أخيرا في الوثيقة الختامية والشاملة لجميع الاحكام التي انزلت منذ ادم وحتي محمد وكانت هي القرآن الكريم ، والقرآن ليس كتاب ، وانما هو حالة فريدة لا مثيل لها في التاريخ ، انه متفرد من حيث مصدره فهو منزل من خارج الكون المادي وهو كلام الله لفظا ومعني ، وقد تميز بالإعجاز في كل جوانبه ، وقد اعترف بذلك اهل مكة والعرب الذين لم يتقنوا شيئا كما اتقنوا اللغة العربية وتلاعبوا بها وطوعوها ليصنعوا فنونا فريدة من الكلام تمثلت في الشعر العربي الذي لا مثيل له، ولكنهم وقفوا عاجزين عن اخفاء اعجابهم وانبهارهم ببراعة القرآن في اللغة وعجزهم عن الاتيان بمثله وقد تمثل ذلك في قوله تعالي (فاتوا بسورة من مثله) والله يعلم اذ وضع هذا التحدي امام العرب تحديدا وهم البارعين في اللغة العربية وقد اعترفوا بكماله كما رأينا موقف (عتبة بن ربيعة) و (الوليد بن المغيرة) ومن العجيب ان نجد من المشككين اليوم من يدعي بوجود أخطاء لغوية في القرآن وقد عجز اهل اللغة انفسهم عن القول بهذه الحجة ولكنهم لما راوا كماله قالوا (سحر) لان السحر هو التفسير الوحيد لديهم لما هو خارق للعادة ، ولأنهم علموا ان النبي كان اميا لا يعرف القراءة والكتابة

ان الفرق بين القرآن وما قبله من الكتب السماوية هو الكمال والموثوقية، فالقرآن كما قلنا هو الوثيقة الاقدم من حيث الموثوقية والمطابقة لنسخها التي تعد اليوم بمئات المليارات حول العالم ومن الثابت اليوم ان القرآن الذي يقرأه كل مسلم حول العالم مطابق تماما للنسخ الاصلية المعروضة بالمتاحف مثل (مسجد الحين بالقاهرة) ومتحف الإسلامي بتركيا . والتي ثبت بالبحث انها تعود الي فترة ما بعد النبي والتي عاصرت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، اما الاناجيل الكثيرة والتي لا يكاد احدها يطابق الاخر والتي كتبت باعتراف الباحثين المسيحيين اليوم بعد مئة عام علي الأقل من زمن المسيح وكذلك التوراة التي كتبت بعد موسي عليه السلام بستمائة عام علي الأقل والتي لا يمكن تجاهل الأخطاء الكارثية العلمية والتاريخية والمنطقية أيضا فيها .

وفي نهاية هذا البحث الطويل نخلص الي ان الدين الذي ارتضاه الله للبشر هو النسخة الكاملة التي تطورت وتراكمت احكامها وشريعتها عبر الاف السنين وتبلورت في شكلها الأخير المتمثل في القران المعجز و الذي يعد الكتاب السماوي الخاص بكل الأديان وليس باتباع رسالة محمد فحسب، واذا قام المسيحي واليهودي بدراسته سيجد انه يطابق احكام التي جاء بها موسي وتعاليم المسيح ليكون دستور الحياة الذي بقي بعد انتهاء عصر الأنبياء.

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ — البقرة ١٣٦

المصادر

لقد اعتمدنا في هذا البحث الطويل علي نوعين من المصادر: الأول هو المراجع والكتب القديمة والحديثة ، والثاني هو المصادر الالكترونية المفتوحة ومنها منصات الذكاء الصناعي (sonnet 4.6), (gpt 5) والتي تأكدنا من مطابقتها للثابت والموثق وفقا لأحدث البحوث والاكتشافات العلمية والتاريخية والاثرية ،ولذلك تعتبر المراجع المذكورة تاليا هي جزء قليل من المصادر الحقيقية لهذا البحث .

المراجع (غير مرتبة حسب الفصول)

١) تاريخ بابل واشور – جميل نخلة المدور

٢) قوة اشور – الدكتور عامر سليمان

٣)مملكتا قتبان وسبا ، استكشاف الممالك القديمة علي طريق التوابل – ويندل فيلبس

٤) تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود – فراس السواح

٥)الخروج من التيه – عبد العزيز حمودة

٦)الجديد في تاريخ دولة سبا وحمير – محمد حسين الفرح

٧)موسوعة مصر القديمة – الدكتور سليم حسن

٨)انجيل بابل – خزعل الماجدي

٩) تاريخ اليهود واثارهم في مصر – تقي الدين المقريزي

١٠)يهود مصر – عرفة عبده علي

١١) تاريخ العرب القديم – احمد حجازي السقا

١٢)تاريخ ثمود – البير فان دين براندن

١٣) جمهرة النسب – هشام أبو المنذر بن محمد الكلبي

١٤)دراسة في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها – الدكتور عبد الرحمن الانصاري

١٥)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – جواد علي

١٦)ملحمة جلجامش – نائل حنون

١٧)ملحمة جلجامش – أنور غني الموسوي

١٨)الاساطير السومرية – الحسيني الحسيني معدي

١٩)مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – طه باقر

٢٠)وثائق من الشرق الأدنى القديم (١ القوائم الملكية والتاريخية في بلاد الرافدين) – د/أسامة عدنان يحيي

٢١)لسان العرب – ابن منظور

٢٢)تاريخ اليهود – يوسيفوس فلافيوس

٢٣)اثار اليهود القديمة – محمد حمدي ابراهيم عليه السلام

٢٤)قوم عاد وارم ذات العماد – خالد علي نبهان

٢٥)سليمان عليه السلام النبي الملك – منصور عبد الحكيم

٢٦)تاريخ المسجد الأقصى – محمد هاشم موسي عليه السلام غوشة

٢٧)الاسراء والمعراج – جال الدين السيوطي

٢٨)محمد في الكتاب المقدس – عبد الاحد داود

٢٩)البشارة الكبير – محمد في الكتب المقدسة – سامي عامري

٣٠) صحيح القصص النبوي – أبو اسحق الحويني

٣١)سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة – محمد ناصر الدين الالباني

٣٢)أسباب النزول – جلال الدين السيوطي

٣٣)محمد الرسالة والرسول صلي الله عليه وسلم – نظمي لوقا

٣٤)خالد بن الوليد دراسة عسكرية – الجنرال ا.ا.اكرم (ترجمة العميد صبحي الجابي)

٣٥)حضارة ما بين النهرين العريقة – ك.ماتفيف

٣٦)تاريخ الطبري – محمد بن جرير الطبري

٣٧)بلاد ما بين النهرين – ل.ديلا يورت

٣٨)السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين – جان كلود مارثورن

٣٩)الحضارات السامية القديمة – سيبيو موسكاني

٤٠)الانباء عن دولة بلقيس وسبأ – الأمير الصنعاني

٤١)العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم – عقيد محمد فرج

٤٢)حقيقة السبي البابلي – فاضل الربيعي

٤٣)السيرة النبوية الصحيحة – اكرم العامري

٤٤) السيرة النبوية – ابن هشام

٤٥) الوجود التاريخي للأنبياء – سامي عامري

٤٦) أنبياء سومريون – خزعل الماجدي